شرح اصول الکافی

تألیف

صدرالدین محمد بن ابراهیم الشیرازی

کتاب فضل العلم و کتاب الحجة

علی بنصیحه

محمد خواجوی

موسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

بسم الله الرحمن الرحيم

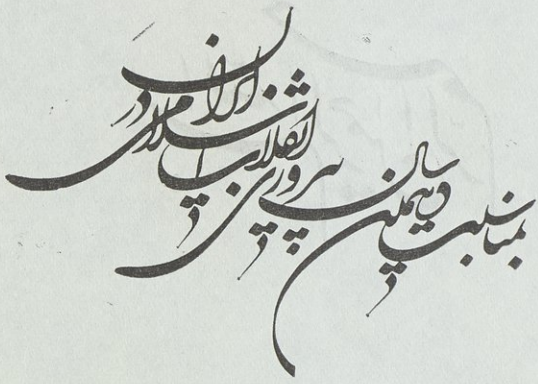
بمناسبت دهمین سالگرد پیروزی انقلاب اسلامی

Ṣadr al-Dīn al-Shīrāzī

شرح اصول الکافی

لمؤلفه

صدرالدین محمد بن ابراهیم الشیرازی

کتاب فضل العلم و کتاب الحجة

عنی بتصحیحه

محمد خواجوی

مؤسسهٔ مطالعات و تحقیقات فرهنگی

تهران ۱۳۶۷

2271
.518
.895
jild 2

مؤسسهٔ مطالعات و تحقیقات فرهنگی
وابسته به
وزارت فرهنگ و آموزش عالی

شرح اصول کافی جلد دوم
شماره ۵۸۵
مصحح : محمد خواجوی
تیراژ : ۲۰۰۰ نسخه
تاریخ انتشار : ۱۳۶۷
ناظر چاپ : ابوالفضل صحتی
نوبت اول : چاپ اول
چاپخانه : خواندنیها
بها : با جلد شمیز ۲۰۰۰ ریال، با جلد کالینگور ۲۴۰۰ ریال
حق چاپ برای ناشر محفوظ است

صدرالدین شیرازی، محمد بن ابراهیم، ـ۱۰۵۰ ق.
شرح اصول کافی.
مندرجات : ج ۱. کتاب العقل و الجهل ج ۲. کتاب فضل العلم و کتاب الحجة
۱. احادیث شیعه. الف. کلینی، محمد بن یعقوب، ـ ۳۲۹ ق.
اصول کافی. شرح. ب. خواجوی، محمد، ۱۳۱۳ـ . ویرایشگر.
ج. عنوان.
BP ۱۲۹/۵۰۸/ص۴خ۹ ۲۹۷/۲۱۲

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 016494898

فهرس المطالب

كتاب فضل العلم

وهو الباب الثانى من كتاب العقل
باب فرض العلم ـ الحديث الاول ١
الحديث الثانى ٩
الحديث الثالث ١٠
الحديث الرابع ١٣
الحديث الخامس ١٧
الحديث السادس ٢٣
الحديث السابع ٢٥
الحديث الثامن ٢٦
الحديث التاسع ٣٣

باب صفة العلم و فضله و فضل العلماء
و هو الباب الثالث
الحديث الاول ٣٥
الحديث الثانى ٣٩

الحديث الثالث ۴۴
الحديث الرابع ۴۵
تنبيه و تذكير ۴۶
الحديث الخامس ۴۷
الحديث السادس ۴۹
الحديث السابع ۵۰
الحديث الثامن ۵۱
الحديث التاسع ۵۲

باب اصناف الناس
و هو الباب الرابع
الحديث الاول ۵۶
تبصرة و تذكرة ۵۹
الحديث الثانى ۶۱
الحديث الثالث ۶۴
الحديث الرابع ۶۶

باب ثواب العالم والمتعلم
و هو الباب الخامس
الحديث الاول ۶۷
الحديث الثانى ۷۵
الحديث الثالث ۷۷
الحديث الرابع ۸۱
تذكرة استنارية ۸۳

اعتضاد تمثیلی ۸۵
الحدیث الخامس ۸۶
الحدیث السادس ۱۱۱

باب صفة العلماء
وهوالباب السادس
الحدیث الاول ۱۱۳
الحدیث الثانی ۱۲۳
الحدیث الثالث ۱۲۴
تبصرة ۱۲۶
الحدیث الرابع ۱۲۸
الحدیث لخامس ۱۳۰
الحدیث السادس ۱۳۲
الحدیث السابع ۱۳۴

باب حق العالم
و هوالباب السابع
الحدیث الاول ۱۳۶
تذنیب ۱۳۸

باب فقد العلماء
و هو الباب الثامن
الحدیث الاول ۱۴۵
الحدیث الثانی ۱۴۷

الحدیث الثالث ۱۴۸
الحدیث الرابع ۱۵۰
الحدیث الخامس ۱۵۱
الحدیث السادس ۱۵۳

باب مجالسة العلماء و صحبتهم
و هو الباب التاسع
الحدیث الاول ۱۵۹
الحدیث الثانی ۱۵۹
الحدیث الثالث ۱۶۱
الحدیث الرابع ۱۶۲
الحدیث الخامس ۱۶۳

باب سؤال العالم و تذاکره
و هو الباب العاشر
الحدیث الاول ۱۶۴
الحدیث الثانی ۱۶۵
الحدیث الثالث ۱۷۰
الحدیث الرابع ۱۷۱
الحدیث الخامس ۱۷۱
الحدیث السادس ۱۷۴
الحدیث السابع ۱۷۴
الحدیث الثامن ۱۷۶
الحدیث التاسع ۱۷۷

الحديث العاشر ۱۷۸

باب بذل العلم
و هو الباب الحادى عشر
الحديث الاول ۱۷۹
الحديث الثانى ۱۸۲
الحديث الثالث ۱۸۳
الحديث الرابع ۱۸۴

باب النهى عن القول بغير علم
و هو الباب الثانى عشر
الحديث الاول ۱۸۶
الحديث الثانى ۱۸۷
الحديث الثالث ۱۸۸
الحديث الرابع ۱۸۹
الحديث الخامس ۱۹۱
الحديث السادس ۱۹۲
الحديث السابع ۱۹۴
الحديث الثامن ۱۹۶
الحديث التاسع ۱۹۷

باب من عمل بغير علم
و هو الباب الثالث عشر
الحديث الاول ۲۰۰

الحديث الثانی ۲۰۲
الحديث الثالث ۲۰۵

باب استعمال العلم
و هو الباب الرابع عشر
الحديث الاول ۲۰۶
الحديث الثانی ۲۱۵
الحديث الثالث ۲۱۵
الحديث الرابع ۲۱۷
الحديث الخامس ۲۱۸
الحديث السادس ۲۱۹
الحديث السابع ۲۲۲

باب المستأكل بعلمه و المباهی به
و هو الباب الخامس عشر
الحديث الاول ۲۲۴
الحديث الثانی ۲۲۵
الحديث الثالث ۲۲۷
الحديث الرابع ۲۲۸
الحديث الخامس ۲۲۹

باب لزوم الحجة علی العالم...
و هو الباب السادس عشر
الحديث الاول ۲۳۰

الحديث الثانى ۲۳۱
الحديث الثالث ۲۳۱
الحديث الرابع ۲۳۳

باب النوادر
و هو الباب السابع عشر
الحديث الاول ۲۳۷
الحديث الثانى ۲۳۸
الحديث الثالث ۲۳۹
الحديث الرابع ۲۴۱
الحديث الخامس ۲۴۲
الحديث السادس ۲۴۶
الحديث السابع ۲۴۹
الحديث الثامن ۲۵۶
الحديث التاسع ۲۵۸
الحديث العاشر ۲۵۹
الحديث الحادى عشر ۲۶۱
الحديث الثانى عشر ۲۶۳
الحديث الثالث عشر ۲۶۳
الحديث الرابع عشر ۲۶۳
الحديث الخامس‌عشر ۲۶۵

باب رواية الكتب وفضل‌الكتابة...
و هوالباب الثامن عشر
الحديث الاول ۲۶۷

الحدیث الثانی ۲۶۸
الحدیث الثالث ۲۷۰
الحدیث الرابع ۲۷۰
الحدیث الخامس ۲۷۱
الحدیب السادس ۲۷۲
الحدیث السابع ۲۷۴
الحدیث الثامن ۲۷۴
الحدیث التاسع ۲۷۵
الحدیث العاشر ۲۷۶
الحدیث الحادی عشر ۲۷۶
الحدیث الثانی عشر ۲۷۷
الحدیث الثالث عشر ۲۷۸
الحدیث الرابع عشر ۲۷۹
الحدیث الخامس عشر ۲۸۰

باب التقلید
و هو الباب التاسع عشر
الحدیث الاول ۲۸۱
الحدیث الثانی ۲۸۲
الحدیث الثالث ۲۸۵

باب البدع و الرأی و المقائیس
و هو الباب العشرون
الحدیث الاول ۲۸۶

الحديث الثانى	۲۸۸
الحديث الثالث	۲۸۸
الحديث الرابع	۲۸۹
الحديث الخامس	۲۹۰
الحديث السادس	۲۹۲
تكملة استبصارية	۲۹۵
الحديث السابع	۳۰۲
الحديث الثامن	۳۰۴
الحديث التاسع	۳۰۴
الحديث العاشر	۳۰۶
الحديث الحادى عشر	۳۰۷
الحديث الثانى عشر	۳۰۸
الحديث الثالث عشر	۳۰۸
الحديث الرابع عشر	۳۱۱
الحديث الخامس عشر	۳۱۲
الحديث السادس عشر	۳۱۳
الحديث السابع عشر	۳۱۴
الحديث الثامن عشر	۳۱۵
الحديث التاسع عشر	۳۱۷
الحديث العشرون	۳۱۸
الحديث الواحد و العشرون	۳۱۹
تبصرة	۳۱۹
الحديث الثانى و العشرون	۳۲۱

باب الرد الی الکتاب و السنة...
و هو الباب الواحد والعشرون
الحدیث الاول ۳۲۴
نقل کلام لتوضیح مرام ۳۲۵
الحدیث الثانی ۳۲۸
الحدیث الثالث ۳۲۹
الحدیث الرابع ۳۳۱
الحدیث الخامس ۳۳۱
الحدیث السادس ۳۳۵
الحدیث السابع ۳۳۷
الحدیث الثامن ۳۴۶
الحدیث التاسع ۳۴۸
الحدیث العاشر ۳۴۹

باب اختلاف الحدیث
و هو الباب الثانی و العشرون
الحدیث الاول ۳۵۲
الحدیث الثانی ۳۶۱
الحدیث الثالث ۳۶۱
الحدیث الرابع ۳۶۲
الحدیث الخامس ۳۶۳
الحدیث السادس ۳۶۴
الحدیث السابع ۳۶۵
الحدیث الثامن ۳۶۶

الحديث التاسع ۳۶۶
الحديث العاشر ۳۷۱

باب الاخذ بالسنة
و هو الباب الثالث و العشرون
الحديث الاول ۳۷۳
الحديث الثانى ۳۷۵
الحديث الثالث ۳۷۶
الحديث الرابع ۳۷۶
الحديث الخامس ۳۷۷
الحديث السادس ۳۷۷
الحديث السابع ۳۷۸
الحديث الثامن ۳۷۸
الحديث التاسع ۳۸۲
الحديث العاشر ۳۸۲
الحديث الحادى عشر ۳۸۳
الحديث الثانى عشر ۳۸۴

تذكرة

نلفت نظر القراء الكرام الى رموز نسخ التى اعتمدت عليها فى تصحيح كتاب الحجة :

«م» رمز نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ٣٢ و كانت سنة تحريرها ١٢٣٣ هجرية.

«ط» رمز نسخة المطبوعة بالطبعة الحجرية فى سنة ١٢٨٢ هجرية.

و نسخة المتن نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ٤٨٠٦ وكانت سنة تحريرها ١٣٢٠ هجرية.

ولقلة حجم كتاب شرح فضل العلم و كذا شرح كتاب الحجة بالنسبة الى كتابى العقل والتوحيد، جعلناهما فى مجلدة واحدة، والا على الترتيب الاصلى، لابدان يكون كتاب الحجة بعد كتاب التوحيد ، الذى فيه ثلاث و ثلاثون باباً و سبعة عشر و مائتان حديثا

و فى مواضع شتى من كتاب الحجة تعليقات للعارف الولوى المولى على النورى قدس الله سره القدوسى وضعناها فى مواضعها ـ ذيل صفحتها ـ فتذكر.

فهرس المطالب

كتاب الحجة

مقدمة الشارح ٣٨٧

باب الاضطرار الى الحجة

الحديث الاول ٣٩٠
الحديث الثانى ٣٩٥
الحديث الثالث ٤٠١
الحديث الرابع ٤٠٥
الحديث الخامس ٤١٣

باب طبقات الانبياء و الرسل
و هو الباب الثانى من كتاب الحجة

الحديث الاول ٤١٧
الحديث الثانى ٤٣٠
الحديث الثالث ٤٣٢

الحديث الرابع ۴۳۳

باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث
و هو الباب الثانى

الحديث الاول ۴۳۴
الحديث الثانى ۴۴۵
الحديث الثالث ۴۴۷
الحديث الرابع ۴۵۱

باب ان الحجة لايقوم لله على خلقه الا بالامام
و هو الباب الرابع

الحديث الاول ۴۶۳
الحديث الثانى ۴۶۶
الحديث الثالث ۴۶۶
الحديث الرابع ۴۶۷

باب ان الارض لاتخلو من حجة
و هو الباب الخامس

الحديث الاول ۴۶۸
الحديث الثانى ۴۷۸
الحديث الثالث ۴۷۹
الحديث الرابع ۴۸۲
الحديث الخامس ۴۸۳

الحديث السادس ۴۷۳
الحديث السابع ۴۸۴
الحديث الثامن ۴۸۵
الحديث التاسع ۴۸۶
الحديث العاشر ۴۸۷
الحديث الحادى عشر ۴۸۸
الحديث الثانى عشر ۴۸۸
تذنيب ۴۸۹
الحديث الثالث عشر ۵۰۱

باب انه لو لم يكن فى الارض الارجلان...
و هو باب السادس
الحديث الاول ۵۰۲
الحديث الثانى ۵۰۴
الحديث الثالث ۵۰۵
الحديث الرابع ۵۰۶
الحديث الخامس ۵۰۷

باب معرفة الامام و الرد عليه
و هو الباب السابع
الحديث الاول ۵۰۸
الحديث الثانى ۵۱۱
الحديث الثالث ۵۱۲

الحدیث الرابع ۵۱۵
الحدیث الخامس ۵۱۶
الحدیث السادس ۵۲۱
الحدیث السابع ۵۳۰
الحدیث الثامن ۵۳۲
الحدیث التاسع ۵۳۵
الحدیث العاشر ۵۴۹
الحدیث الحادی عشر ۵۵۰
الحدیث الثانی عشر ۵۵۱
الحدیث الثالث عشر ۵۵۲
الحدیث الرابع عشر ۵۵۳

فرض طاعة الائمة علیهم السلام
و هو الباب الثامن
الحدیث الاول ۵۵۵
الحدیث الثانی ۵۵۶
الحدیث الثالث ۵۵۷
الحدیث الرابع ۵۵۷
الحدیث الخامس ۵۶۰
الحدیث السادس ۵۶۲
الحدیث السابع ۵۶۷
الحدیث الثامن ۵۶۷
الحدیث التاسع ۵۶۸
الحدیث العاشر ۵۶۸

الحديث الحادى عشر ۵۶۹
الحديث الثانى عشر ۵۷۴
الحديث الثالث عشر ۵۷۵
الحديث الرابع عشر ۵۷۶
الحديث الخامس عشر ۵۷۸
الحديث السادس عشر ۵۸۰
الحديث السابع عشر ۵۸۳

باب ان الائمة شهداءالله على خلقه
و هو الباب التاسع
فى معنى الشهيد ۵۸۷
الحديث الاول ۵۸۹
الحديث الثانى ۵۹۱
الحديث الثالث ۵۹۵
الحديث الرابع ۵۹۶
الحديث الخامس ۶۰۳

باب ان الائمة هم الهداة
و هو الباب العاشر
الحديث الاول ۶۰۷
الحديث الثانى ۶۰۷
الحديث الثالث ۶۱۰
الحديث الرابع ۶۱۵

باب ان الائمة ولاة امرالله و خزنة علمه
الحديث الاول ۶۱۶

الفهارس ۶۲۱

كتاب فضل العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

باب فرض العلم

ووجوب طلبه والحث عليه

وهو الباب الثانى من كتاب العقل وفيه تسعة احاديث

الحديث الاول

وهو الخامس والثلاثون

«اخبرنا محمدبن يعقوب عن على بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسن بن ابى الحسين الفارسى»، لم اجد هذا الاسم فى كتب الرجال[1]، «عن عبدالرحمن بن زيد» بن اسلم التنوخى المدنى من اصحاب الصادق عليه السلام، «عن ابيه» زيدبن اسلم مولى عمر بن الخطاب من اصحاب الصادق عليه السلام، المدنى العدوى «صه» قال الشيخ الطوسى: فيه نظر، «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: طلب العلم

١ــ و فى جامع الرواة: عبدالرحمن بن زيدبن اسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابى جعفر عليه السلام فى باب ان رسول الله صلى الله عليه و اله حرم كل مسكر فى كتاب الاشربة. الحسن بن ابى الحسين الفارسى عن عبدالرحمن بن زيد، فى نسخة واخرى عبدالله بن زيد عن ابيه عن ابى عبدالله عليه السلام فى باب فرض العلم.

فريضة على كل مسلم الا ان الله يحب بغاة العلم.

الشرح

بغاة العلم اى طلابه وهى جمع باغ كالهداة جمع هاد، يقال: بغى يبغى بغاء بالضم اذا طلب، وقد يجمع الباغى على بغيان كما فى الحديث: انطلقوا بغيانا، اى ناشدين و طالبين كرعيان و رعاة جمع راع. و اما حديث عمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية فهى فيه بمعنى الظالمة الخارجة عن طاعة الامام، و اصل البغى مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: فلا تبغوا عليهن سبيلا (النساء ـ ٣٤)، اى ان اطعنكم لا يبقى لكم عليهن طريق الا ان يكون بغياً وجوراً.

اعلم ايدك الله ان هذا الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه واله بالاتفاق مشتمل على مقصدين: الاول فضل العلم وشرفه مطلقا و الثانى تعيين العلم الذى وجب على كل مسلم اما فضل العلم فشواهده من القران: شهد الله انه لا اله الا هو و الملائكة و اولوا العلم (آل عمران ـ ١٨)، فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بالملائكة و ثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلا وجلالة، و قوله تعالى: يرفع الله الذين امنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ١١).

قال ابن عباس رضى الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة، بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام[١].

وقال تعالى: هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون (الزمر ـ ٩)، وقال تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء (الفاطر ـ ٢٨) و قال: كفى بالله شهيداً بينى وبينكم و من عنده علم الكتاب (الرعد ـ ٤٣)، وقال تعالى: قال الذين اوتوا العلم: ويلكم ثواب الله خير (القصص ـ ٨٠) بين ان عظم قدر الاخرة لا يعرف الا بالعلم، وقال: وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (العنكبوت ـ ٤٣)، بين ان رموز القران و اسراره و اغواره لا يعلمها الا اولوا العلم، و لذا قال: ومايعلم تأويله الا الله

١ ـ المراد تصوير الكثرة لا الحصر فى هذه العدة.

و الراسخون فى العلم (آل عمران ـ ٧)، على قرائة الوصل[١].

وقال ايضا تعالى: و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق (سبا ـ ٦)، دل بمفهومه على ان غيرهم لايعلم المنزل على الرسول صلى الله عليه واله حقاً.

ومن الحديث قوله صلى الله عليه واله: يا على نوم العالم افضل من عبادة العابد، يا على ركعتان يصليهما العالم افضل من الف ركعة يصليها العابد، يا على لافقر اشد من الجهل ولاعبادة مثل التفكر، وعن الصادق عليه السلام: اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس فى صعيد واحد ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء.

وقال صلى الله عليه واله: العامل على غير بصيرة كالسائر على الطريق لايزيده سرعة السير من الطريق الابعداً، وقال صلى الله عليه واله: الانبياء قادة والعلماء سادة ومجالستهم عبادة، وقال: النظر الى وجه العالم عبادة.

و روى فى كتاب الاحياء عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال: اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله تعالى: انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة، وهذا انما يكون للعلماء المعلمين ومن اجل العلم المتعدى[٢] لاالعلم اللازم الذى لايتعدى.

وقال صلى الله عليه واله: ان الله وملائكته و اهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها والحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس بالخير. وقال صلى الله عليه واله: اذامات ابن ادم انقطع عمله الامن ثلاث: علم ينتفع به اوصدقة جارية او ولد صالح يدعوله. وقال صلى الله عليه و اله: لاحسد الافى اثنين[٣]: رجل اتاه الله حكمة فهو يقضى

١ـ حتى يكون مفاده: الا، اى الراسخون فى العلم، لا ان الراسخون كلمة مستأنف.

٢ـ انما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم «الاحياء».

٣ـ اثنتين ـ «الاحياء».

بها ويعلمها الناس و رجل اتاه‌الله مالا فسلطه على انفاقه فـي الحق فهو ينفق منه سراً و جهراً[1].

وسيجيء احاديث عن الائمة عليه‌السلام في باب صفة العلم وفضله فيها غنية لهذا المقصد من طرين الخبر، و اما طريق العقل فيه فاعلم:

ان العلم عبارة عن حضور الصورة المجردة عن المواد و الاجسام عند العقل، و لاشك ان اشرف الممكنات و اعلاها و انورها هو الموجود الذى لاتعلق له بـالامور الجسمانية.

وايضا قد تقرر في علم النفس: ان النفس في اول الفطرة امر بالقوة في باب العقل والمعقول كالهيولى التى لاصورة لها في ذاتها في باب الحس والمحسوس، فاذا ادركت اوائل العلوم والضروريات حصل لها استعداد ادراك النظريات وصارت عقلا بالملكة، ثم اذا تكررت منه الافكار و الانظار فصارت باشراق النور العقلى على ذاتها من المبدأ الاعلى عقلا بالفعل وعاقلة ومعقولة فيصير وجودها وجودا اخر عقليا بعدما كان وجودها وجوداً حسياً حيوانياً فتكون احد سكان عالم الجبروت بعدما كانت احد سكان العالم الادنى.

فاى فضيلة و كمال اشرف واعلى من فضيلة العلم و كماله الذى يجعل الاموات احياء و الظلمات انواراً؟ اعنى الأموات بالقياس الى الحيوة العقلية و اعنى بالظلمات ظلمات الجهل والعمى كما سبق ذكره.

واما المقصد الثانى: وهو تعيين العلم الذى وقع في قوله صلى‌الله عليه واله طلب العلم فريضة على كل مسلم وكذا في قوله صلى‌الله عليه واله: اطلبوا العلم ولو بالصين.

فاعلم ان الناس اختلفوا في العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم وتحزبـوا فيه احزاباً و افترقوا على فرق كثيرة ولاحاجة في تفصيل الاقـوال ونقلها جميعا و حجة كل فريق، ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده.

فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات‌الله وصفاته.

۱ــ و رجل اتاه‌الله مالا فسلطه على هلكته في الخير «الاحياء».

وقال الفقهاء رحمهم‌الله تعالى هوعلم الفقه اذبه يعرف العبادات والحلال و الحرام وكيفية المعاملات وما يحرم منها ويحل.

وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بها يتوصل الى العلوم كلها.

و قال المتصوفة المراد به هذا العلم، اى التصوف و هو علم السلوك و علم الشهود، فقال بعضهم هو علم العبد بحاله و مقامه من‌الله و عندالله[1] و قال بعضهم هو علم الباطن وهوالعلم بالاخلاص و افات النفوس و تميز[2] لمة الملك من لمةالشيطان، و ذلك يجب على اقوام مخصوصين وهم اهل لذلك وقد صرفوا اللفظ عن عمومه.

و قال ابوطالب المكى: هوالعلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهوقوله صلى‌الله عليه واله: بنى‌الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس‌فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب.

اقول: التحقيق فى‌هذا المقام: ان‌لفظ العلم كلفظ الوجودمن الالفاظ المشككة، و هوالذى له معنى واحد مشترك متفاوت الحصول كمالا ونقصاً شدة وضعفاً و اذا كان كذلك ولاشبهة فى‌انه شىء يستكمل به الانسان ويحتاج اليه فى‌معرفة نفسة ومعرفة ربه و معرفة انبيائه و رسله وحججه و اياته ومعرفة العمل بما يسعده و يقربه الى‌الله وبما يخلصه من‌الشقاوة والعذاب و البعد عن‌الله تعالى و دار كرامته.

فكلما حصل له شىء من‌العلم وجب عليه مرتبة اخرى فوقه ولاحدله يقف‌عنده اذ مراتب القرب و منازل الوصول غير متناهية، ولهذا قال اعلم‌الخلائق صلى‌الله عليه واله: رب زدنى علماً (طه ـ١١٤)، فعلى هذاكان معنى الحديث: ان طلب جنس‌العلم و طبيعته واجب على كل مسلم، سواء كان المسلم جاهلا اوعالماً ناقصا اوكاملا اعنى بالنسبة الى مادونه، و الافلاحد لكمال العلم.

وقريب من هذا المعنى ما ذكره صاحب‌كتاب الاحياء وليس بذاك و هوقوله:

١ــ من‌الله عزوجل «الاحياء».

٢ــ تمييز «الاحياء».

ان العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم الاعلم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك. فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة النهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادتين[١] وفهم معناهما، و ليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر و الاستدلال و البحث عن تحرير الادلة، بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، و ذلك قد يحصل بمجرد التقليد و السماع من غير بحث وبرهان.

اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه واله من اجلاف العرب التصديق والاقرار من غير تعليم[٢] دليل، فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب وقته، وكان العلم الذى هو فرض عينه فى وقت تكلم الكلمة[٣] وفهمهما، بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله تعالى غير عاص، و انما يجب غير ذلك بعارض يعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه، وتلك العوارض اما ان يكون فى الفعل و اما فى الترك و اما فى الاعتقاد.

اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة و ان كان صحيحا و كان بحيث لو صبر الى زوال[٤] الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل خرج[٥] الوقت لو اشتغل بالتعلم، فلا يبعد ان تقول[٦] الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات، فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وكيفيته، فان

١ــ الشهادة «الاحياء».

٢ــ تعلم «الاحياء».

٣ــ فقد ادى واجب الوقت، وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تكلم الكلمتين «الاحياء».

٤ــ الى وقت زوال «الاحياء».

٥ــ يخرج «الاحياء».

٦ــ يقال «الاحياء».

تجددله مال اوكان عنده مال لزمه تعلم مايجب من الزكوة ولكن لافى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام وكذا الكلام فى الحج و الجهاد وغيرهما من الواجبات التى هى فروض الاعيان.

و اما الترك فيجب علم ذلك[١] ايضاً بحسب مايتجدد من الحال و ذلك يختلف باختلاف الشخص، فلا[٢] يجب على الاعمى، تعلم مايحرم من النظر ولاعلى الابكم، تعلم مايحرم من الكلام ولاعلى البدوى، تعلم مايحل الجلوس فيه من المساكن، و ذلك ايضا واجب بحسب مايقتضيه الحال فما[٣] ينفك عنه لايجب تعلمه وهوملابس له يجب تنبيهه فيه[٤]، كما لوكان عندالاسلام لابساً للحرير جالساً[٥] فى مكان الغصب وناظراً الى غير[٦] محرم فيجب تعريفه ذلك[٧] وكذا ماهوبصدد التعرض له على القرب كالاكل، فيجب تعليمه حتى اذاكان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر و اكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.

و اما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمة الشهادة فيجب عليه تعلم مايتوصل به الى ازالة الشك، فان لم يخطرله ذلك و مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم او حادث اوانه مرئى اوغير مرئى اوانه محل الحوادث[٨] اولا الى غيرذلك مما يذكر فى المعتقدات فقدمات على الاسلام اجماعاً، ولكن كلما خطر له خاطرشك اونحوه فى معتقده فيجب عليه تعلمه وطلب العلم بدفعه.

١ــ و اما التروك فيجب تعلم ذلك «احياء».

٢ــ يختلف بحال الشخص، اذلا «الاحياء».

٣ــ فما يعلم انه «الاحياء».

٤ــ عليه «الاحياء».

٥ــ او جالساً «الاحياء».

٦ــ او ناظراً الى غير ذى محرم «الاحياء».

٧ــ بذلك «الاحياء».

٨ــ كلام الله قديم و انه مرئى و انه محل الحوادث «الاحياء».

هذا حاصل ما ذكره وفيه نظر.

اما اولا: فتخصيص ذلك العلم بعلم الاعمال و المعاملات دون غيره من العلوم التى لايتعلق بعمل او كيفية عمل ليس بموجه، لأن العلم بوحدانيته تعالى و برائته عن النقائص كلها يجب طلبه و اكتسابه وكذا العلم بكيفية صفاته و افعاله وملائكته و كتبه و رسله وملكه وملكوته وخلقه و امره و احاطته بالاشياء كلها علماً وحفظا و رحمة و وجوداً وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها و احوالها ونشآتها وخلقها و بعثها الى الله والنشأة الاخرة و سعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس، و لايلزم ان يكون العلم الذى يجب تعلمه على كل مسلم علماً واحداً بعينه ولاالواجب على احد بعينه هوالواجب على الاخر.

واماثانيا فنقول: ظاهر الحديث يفيد انوجوب طلب العلم، غير منفك عن المسلم فى وقت من الاوقات كماقيل: من المهد الى اللحد، فان هذا هو المدلول الحقيقى الموافق للفظ من غير تجوز، اذقوله عليه السلام: طلب العلم فريضة، اى بالفعل يجب ان يكون متلبساً بطلبه، و دل عليه الدليل العقلى الذى ذكرناه فما الباعث على صرف الحديث عن ظاهره كما فعله؟

و اما ثالثا: فان الذى تصوره وصوره يلزم على مقتضاه سقوط هذا الفرض عن اكثر الناس بناء على ماحصل له فى اول بلوغه، سيما اذا لم يختلج بباله شك فى صدق كلمة الشهادة، فيكون باقى عمره فارغاً عن طلب وكسب و ذلك فى غاية البعد.

و اما رابعا: فالذى ظهر من كلامه ان وجوب الاعتقاد بمدلول كلمة الشهادة، انما هو لتوقف صحة العمل و العبادة عليه لاغير ممنوع، بل الحق ان ذلك مع قطع النظر عن توقف الاعمال امر واجب على كل احد، ولامنافاة بين كون الشىء واجباً فى نفسه و واجبا لغيره.

فالاولى ان يحمل معنى الحديث على ماحملنا من ان طلب العلم واجب على كل احد فى كل وقت، فان طبيعة العلم معنى واحد مشكك ليس له حد مخصوص، والانسان ايضا سيما العاقل الزكى دائم الانتقال من نشأة الى نشأة ومن طور الى طور، وكلما بلغ الى

مرتبة كمالية كان حكمه كحكم الصبى اذا بلغ فيجب عليه من التعلم او التفكر مالا يجب قبل ذلك ويكون حكمه فى الاعراض عنه او التقاعد او الجحود له والانكار حكم ماسبق فى ترتب العقاب ولزوم الشقاوة و العذاب الا ان يتداركه الله تعالى بلطفه و رحمته اويمحوه ويعفوعنه بتجاوزه.

الحديث الثانى
وهو السادس والثلاثون

«محمدبن يحيى عن محمدبن الحسين» بن ابى الخطاب واسم ابى لخطاب زيد ويكنى محمدبابى جعفر الزيات الهمدانى جليل من اصحابنا عظيم القدر كثير الرواية ثقة عين حسن التصانيف مسكون الى روايته له تصانيف «صه» ويحتمل ان يكون ابن سعيد الصائغ و هو كوفى ينزل فى بنى زمل[1]، ابوجعفر ضعيف وقيل: انه غال، احمدبن محمدبن رباح روى عنه بكتبه ومات سنة تسع وستين ومائتين «صه».

«عن محمدبن عبدالله» مشترك بين جماعة ضعفاء.

«عن عيسى بن عبدالله العمرى»، الظاهر انه عيسى بن عبدالله بن محمدبن عمربن على بن ابى طالب الهاشمى وله كتاب، و قد جمع ابوبكر محمدبن سالم الجعالى[2] روايات عيسى عن ابائه، ويحتمل ان يكون سعدبن مالك الاشعرى روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام و له مسائل للرضا عليه السلام، قال على بن احمد العقيقى: انه يشبه اباه وكان وجهاً عند ابى عبدالله عليه السلام مختصاً به «صه».

روى الكشى عن حمدويه بن نصير عن محمدبن الحسين بن ابى الخطاب عن احمدبن عيسى[3] عن يونس بن يعقوب: ان الصادق عليه السلام قيل بين[4] عينيه وقال له:

١ــ بنى ذهل «جش ــ جامع الرواة».

٢ــ الجعابى «جامع الرواة ــ جش».

٣ــ عن احمدبن محمدبن ابى نصر «كش» وفى «جش» كما فى المتن ــ اى منافى الدنيا والاخرة.

٤ــ قبل ما بين «كش ــ جامع الرواة».

انت[١] منا اهل البيت.

قال الكشي: روى محمدبن مسعود قال، حدثني علي‌بن محمد قال: حدثني احمدبن محمد عن موسى‌بن طلحة عن ابي‌محمد اخي يونس‌بن يعقوب قال: كنت بالمدينة فاستقبلني جعفربن محمد عليهما السلام في‌بعض ازقتها[٢] قال فقال: اذهب يا يونس فان بالباب منا رجل‌اهل البيت، قال: فجئت الى‌الباب فاذاً عيسى‌بن عبدالله القمي[٣] قال: فقلت[٤] من انت؟ فقال: انارجل من اهل قم قال: فلم يكن من[٥] ان اقبل ابوعبدالله قال: فدخل على‌الحمار الدار[٦] ثم التفت الينا فقال: ادخلا ثم قال يا يونس بن يعقوب: احسبك انكرت قولي لك ان عيسى‌بن عبدالله منا اهل البيت؟ قال: قلت: اى والله جعلت فداك، لان عيسى‌بن عبدالله رجل من اهل قم، فقال يا يونس‌بن‌يعقوب: عيسى‌بن عبدالله هومناحي وهومناميت[٧].

«عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال طلب‌العلم فريضة»

الشرح

قدمضى مافيه كفاية لشرحه.

الحديث الثالث
وهوالسابع و الثلاثون

«علي‌بن ابراهيم عن محمدبن عيسى»بن عبيدبن يقطين مولى بني‌اسدبن‌خزيمة

١ـ انك «كش ـ جامع‌الرواة».
٢ـ الزقاق بالضم ـ الطريق والسبيل والسوق ومنه زق‌العطار، والجمع منه ازقة.
٣ـ القمي جالس «جامع‌الرواة ـ كش».
٤ـ فقلت له «جامع‌الرواة».
٥ـ باسرع من‌ان اقبل «جامع‌الرواة».
٦ـ اى خشبة الدار ـ مدخل البيت.
٧ـ مناحيا وهو مناميتاً «جامع‌الرواة».

ابوجعفر العبيدى اليقطينى يونسى[١]، قال العلامة: اختلف علماؤنا فى شأنه فقال شيخنا الطوسى رحمه‌الله: انه ضعيف، استثناه ابوجعفربن بابويه من رجال نوادر الحكمة و قال: لااروى مايختص به[٢]، وقيل: انه كان على مذهب[٣] الغلاة.

وقال الكشى: حدثنى على‌بن محمد القتيبى كان الفضل‌بن شاذان رحمه‌الله يحب العبيدى ويثنى عليه ويمدحه ويميل اليه ويقول: ليس فى اقرانه مثله.

وقال النجاشى: جليل فى اصحابنا ثقة عين كثير الرواية حسن التصانيف روى عن ابى‌جعفر الثانى عليه‌السلام مكاتبة ومشافهة.

و ذكر ابوجعفربن بابويه عن ابن الوليد انه قال: ما تفرد به‌محمدبن عيسى من كتب يونس وحديثه لايعتمد عليه، قال: و رأيت اصحابنا ينكرون هذا القول ويقولون: من مثل ابى‌جعفر محمدبن عيسى؟ سكن بغداد وله كتب، قال العلامة: و الاقوى عندى قبول روايته، «عن يونس‌بن عبدالرحمن» مولى على‌بن يقطين ابومحمد كان وجهاً فى اصحابنا متقدماً عظيم المنزلة روى عن ابى‌الحسن موسى و عن‌الرضا عليهما السلام، وكان الرضا عليه‌السلام يشير اليه فى العلم و الفتياء وكان ممن بذل له على‌الوقف مال جليل فامتنع من اخذه وثبت على‌الحق.

وروى الشيخ المفيد عن‌ابى‌القاسم جعفربن‌محمدبن قولويه عن‌على‌بن‌الحسين بن بابويه عن عبدالله‌بن جعفر الحميرى رحمهم‌الله تعالى‌قال: قال لنا ابوهاشم داود بن القاسم الجعفرى رحمه‌الله عرضت على ابى محمد صاحب‌العسكر عليه‌السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال: تصنيف من هذا؟ قلت تصنيف يونس مولى اليقطين

١ــ اليونسيه اصحاب يونس النميرى زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له و ترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وماسوى المعرفة من‌الطاعة ليس من الايمان ــ راجع الملل والنحل. و فى الفرق بين الفرق. هؤلاء اتباع يونس‌بن عبدالرحمن القمى وكان فى‌الامامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى‌بن جعفر عليه‌السلام.

٢ــ بروايته «جامع‌الرواة ــ ست».

٣ــ يذهب مذهب «جامع‌الرواة ــ ست».

فقال: اعطاه الله لكل حرف نوراً يوم القيامة «صه».

و روى الكشي عن علي بن محمد القتيبي عن الفضل بن شاذان قال: حدثني عبدالعزيز بن المهتدي وكان خير قمي رأيته وكان وكيل الرضا عليه السلام و خاصته، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: اني لا القاك في كل وقت فعن من اخذ معالم ديني؟ قال: خذ عن يونس بن عبدالرحمن.

وقال العلامة: وفي حديث صحيح عن علي بن محمد القتيبي عن الفضل بن شاذان عن محمد بن الحسن الواسطي وجعفر بن عيسى ومحمد بن يونس ان الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات.

وقال النجاشي: ومدائح يونس كثيرة ليس هذا موضع بيانها[١] وانما ذكرنا هذا حتى لا نخليه من بعض حقوقه رحمه الله.

وقال زين المتأخرين طاب ثراه: اورد الكشي في ذمه نحو عشرة احاديث و حاصل الجواب عنها يرجع الى ضعف سندها وجهالة بعض رجالها[٢] والله اعلم بحاله، قال النجاشي: قال محمد بن علي بن الحسين: سمعت محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله يقول: كتب يونس بن عبدالرحمن التي هي بالروايات كلها صحيحة معتمد عليها الا ما يتفرد[٣] به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ولم يروه غيره، فانه[٤] لا يعتمد عليه ولا يفتى به «عن بعض اصحابه قال: سأل ابوالحسن عليه السلام هل يسع الناس ترك المسأله عما يحتاجون اليه؟ فقال: لا».

الشرح

المسالة والسؤال ما يسأله الانسان وسألته الشيء وعن الشيء سؤالا ومسألة، قوله:

١ــ هذا موضعها «جامع الرواة ــ جش».
٢ــ رواتها «جامع الرواة».
٣ــ ينفرد «جامع الرواة».
٤ــ فانا لا نعتمد عليه ولا نفتي به «جامع الرواة».

عما يحتاجون اليه اى فى امور دينهم كماهو الظاهر، فيجب على المسؤل الجواب عنه اذا كان السؤال فى الواجبات ويستحب اذا كان فى المندوبات.

والسؤال فى كتاب الله تعالى و الحديث نوعان: احدهما ماكان على وجه التبيين و التعليم مما تمس الحاجة اليه وهومباح اومندوب اومأمور به، والاخر ماكان على طريق التكلف والتعنت وهو مكروه ومنهى عنه، وكلماكان من هذا الوجه فان وقع السكوت عن جوابه فانماهو ردع و زجر للسائل و ان وقع الجواب عنه فهو عقوبة و تغليظ.

فقوله عليه السلام: عما يحتاجون اليه، اشارة الى تخصيص السؤال بمايكون من القسم الاول سواء كان الحاجة اليه للشخص بخصوصه اوللامة، فان كان الاول كان الفرض المستفاد عن المنع عن ترك السؤال فرض عين و ان كان الثانى كان الفرض فرض كفاية، فماورد فى بعض الاحاديث من النهى عن كثرة السؤال قيل: هو الذى كان من القسم الثانى، فلايجب الجواب عنه ولايستحب بل ربما يحرم وقيل: هومن سؤال الناس اموالهم، و كذا ماورد عنه صلى الله عليه واله انه كره المسائل و عابها، المراد بها المسائل الدقيقة التى لايحتاج اليها الناس ولايصلح لهم التفتيش والخوض فيها فيحرم الجواب عنها كما فى قوله صلى الله عليه و اله: لاتؤتوا الحكمة غير اهلها. لانه من قبيل تعليق الدر باعناق الخنازير.

الحديث الرابع
وهوالثامن و الثلاثون

«على بن محمد وغيره عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن حسن بن محبوب عن هشام بن سالم»، الجواليقى الجعفى مولى بشر بن مروان ابوالحكم من[1] سبى الجورجان روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ثقة ثقة «صه» قال النجاشى: له كتاب روى عنه ابن ابى عمير، وفى الفهرست:

١ــ كان من «جامع الرواة».

له اصل روى ابن ابى‌عمير وصفوان‌بن يحيى وعلى‌بن حكم.

قال ابن طاوس قدس سره: ظاهرانه صحيح العقيدة معروف‌الولاية غيرمدافع.

قال بعض الفضلاء: و ماروا‌ه الكشى من انه يزعم ان‌الله عزوجل صورة و ان ادم مخلوق على‌مثال‌الرب تعالى ففى‌الطريق محمدبن موسى‌بن عيسى الهمدانى وهو ضعيف واسكيب‌بن عبدك الكيسانى وعبدالملك‌بن هشام الحناط[1] وهما مجهولاالحال على ان‌كون ابن عبدك كيسانياً ذم حاضر. انتهى.

اقول: لاحاجة فى الاعتذار عن ما نسب‌اليه الى ما ذكره، لان القول بان‌الله صورة لايستلزم‌القول بالتجسيم فان مثله قد يصدر عن‌العرفاء الكاملين، فان‌لفظ‌الصورة مشترك عندالعلماء بين معان غير ما وقع فى‌العرف من معنى الشكل و الخلقة، فانهم يطلقون تارة على‌ماهية الشىء وتارة على وجوده فى‌العقل و تارة على‌كمال الشىء و تمامه وتارة على الوجود البحت الذى لاتعلق له بجسم ولاجسمانى كالذوات المفارقة عن‌المواد و الاجرام فيقولون: ذاته تعالى صورة الصور وحقيقة الحقائق، كأن غيره سبحانه بالقياس‌اليه ناقص الوجود و الحقيقة حيث يحتاج الى‌صور يصوره ويخرجه من حدالقوة و الامكان الى حدالفعل و الوجود.

فعلى‌هذا لايلزم من اطلاق الصورة عليه تعالى اعتقاد التجسيم سواء كانت التسمية بها مأذوناً فيها من‌الشرع اولا. ثم قدوردالحديث‌المشهوربين‌الخاصة والعامة: ان الله خلق ادم على‌صورته، كما سيجىء فى‌هذا الكتاب، والمراد منه كونه مخلوقا على‌مثال الرب تعالى والفرق حاصل بين‌المثال والمثل و الاول لايستلزم الثانى، فان مثل‌الشىء هوالمشارك لهفى‌تمام الحقيقة ومثاله هومشاركه فى‌النسب و الاضافات، والله سبحانه منزه عن‌المثل لاعن المثال لقوله تعالى: وله المثل الاعلى فى‌السموات (الروم - ٢٧).

«عن ابى‌حمزة» الثمالى اسمه ثابت‌بن دينار ابوصفية مولى عربى ازدى ثقة، قال النجاشى: لقى على‌بن الحسين و ابا جعفر و اباعبدالله و ابا الحسن عليهم‌السلام

١ـ الخياط «جامع‌الرواة».

وروى عنهم وكان من خيار اصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم فى الرواية والحديث.

وقال الكشى: قال الفضل بن شاذان: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ابو حمزة الثمالى فى زمانه كلقمان فى زمانه وذلك انه خدم اربعة منا: على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر ويونس فى زمانه كسلمان فى زمانه[١]، وبعض النسخ سلمان بدل لقمان كما فى كتاب النجاشى، وفيه مات سنة خمسين ومائة و اختلف فى بقائه الى وقت ابى الحسن عليه السلام، «عن ابى اسحق السبيعى» عمرو بن عبدالله بن على تابعى ويأتى عمر كما فى رجال الشيخ على ما يوجد من نسخه[٢]، و فى القاموس: السبيع كامير السبيع بن سبيع ابو بطن من همدان، منهم الامام ابو اسحق عمرو بن عبدالله ومحله بالكوفة منسوبة اليهم ايضاً. انتهى.

وقال ابن الاثير فى النهاية: السبيع هو بفتح السين وكسر الباء محلة من محال الكوفة منسوبة الى قبيلة وهم بنو سبيع من همدان. انتهى.

وقال بعض الفضلاء فى رجاله: هو وولده اسمه يونس من العامة. «عمن حدثه قال: سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول: ايها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به، الا و ان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال، ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه و سيفى لكم والعلم مخزون عند اهله، و قد امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه».

الشرح

قد علمت فيما سبق، ان الاعمال الدينية كالصلوة والصيام وغيرهما انما يراد للاحوال اعنى طهارة القلب وصفاؤه عن الاخباث و الشهوات و التعلقات، والاحوال انما يراد للعلوم، فهذا معنى قوله عليه السلام: ان كمال الدين طلب العلم، اى غاية الاعمال الدينية و التكاليف الشرعية طلب العلم.

١ــ و يونس بن عبدالرحمن كذلك هو سلمان فى زمانه «كش».

٢ــ قال ابو على فى رجاله: عمرو بن ابو اسحق السبيعى يأتى بعنوان عمرو.

ثم العلم قسمان: علم مكاشفة: كالعلم بذات الله وصفاته و افعاله، وعلم معاملة: و هو العلم المتعلق بكيفية اعمال الطاعات وتروك المعاصى والسيئات: فالاول يراد لنفسه و الثانى يـراد للعمل به والعمل يراد للعلم ايضا، فالعلم هـو الاول و الاخر والمبدأ و الغاية.

فضرب من العلم وسيلة وضرب من العلم غاية، و هـو الاشرف الاعلى، والعمل لايكون الا وسيلة لانه من الدنيا والدنيا وسيلة للاخرة فكذا ماهو منها، فلاخير فى طاعة لايكون وسيلة للعلم: وكذا العلم المتعلق بها اذا لم يكن وسيلة الى العمل المؤدى الى الحال المؤدى الى العلم الحر والمعرفة الخالصة لوجه الله فقوله عليه السلام : والعمل به، اشارة الـى ثمرة ضرب من العلوم و اوائلها ومباديها دون غاياتها وثمراتها.

و اما قوله عليه السلام: الا و ان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال، فهو من قبيل دعوى الشيء ببينة ومن قبيل قضاياقياساتها معها كقولنا: الاربعة زوج لكونها منقسمة بمتساويين، و ذلك لان نسبة العلم الى الروح كنسبة المال الى البدن، حيث ان العلم غذاء للروح يحيى بهويقوى ويتكمل، كما ان بالمال يتغذى البدن ويحيى وينمو ويتكمل ولاشك ان الروح اشرف من البدن وحيوته ادوم وابقى من حيوة البدن لانها حيوة زائلة منقطعة وحيوة الروح ابدية لانهاية لها فطلب مايوجب حيوة الروح و هو العلم اوجب من طلب المال، و المراد انه لوفرض ان طلب المال واجب فطلب العلم اوجب منه، فهذا لاينافى فضيلة الزهد.

وما يستفاد ايضاً من قـوله عليه السلام: ان المال مقسوم الى اخـره وبيانه: ان رزق العبد و ما ينوط به فى الدنيا امر مقدر مقسوم فى القدر لاصنع للعبد فيه اصلا، ولا دخـل للطلب والتدبـر فيه كما هـو مكشوف عند من علم كيفية انتظام الامور الكائنة الارضية بالاسباب السماوية والاغراض العلوية التابعة للاحكام القدرية، ومع ذلك قد اخبر الله تعالى بان الرزق مقسوم فى الازل و اكـد ذلك بالضمان والاقسام[1] المقتضى للايفاء:

١ـ اى باليمين.

اما الاول فقوله تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا (الزخرف ـ ٢٢)، و قوله تعالى: وفى السماء رزقكم وما توعدون (الذاريات ـ ٢٣).

و اما الثانى[١] فقوله: فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون (الذاريات ـ ٢٣).

و اما العلم فلايمكن حصوله للعبد الا بالكسب والسعى والطلب والجهد ومع ذلك فقد وقع الامر من الله و رسوله علينا بطلبه.

فان العلم مخزون فى خزائن الله الغيبية من الاذهان العالية والسافلة و هى اهل العلم. والانسان فى اول الفطرة خالية عنه لكونه بعيد المناسبة الى عالم الملكوت العلوى، و انما يمكن له ان يصير اهلا للعلم والاختزان اذا طلب و ارتاض بالفكر والسعى و امعن فى تصفية القلب و تهذيبه حتى يصير مشابهاً لمعادن العلم و خزائن المعرفة كالحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها فتصير مثلها فى الاضائة والاحراق، فكذلك النفوس الانسانية اذا تفكرت فى الملكوت وطلبت العلم بالمواظبة على تحصيله تشبهت بالخزانة العقلية فصارت مثلها، ولهذا امر عليه السلام بعد امر الله و رسوله صلى الله عليه واله بقوله عليه السلام: فاطلبوه، تأمل تعرف. والله اعلم.

الحديث الخامس
وهو التاسع والثلاثون

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى عن يعقوب بن يزيد»، الكاتب الانبارى و يعرف بالقمى[٢] ثقة، وقد مر اسم ابيه ابو يعقوب و وصفه بالثقة فى الحديث الشعرين.

قال النجاشى: ابن يزيد بن حماد الانصارى السلمى ابو يوسف الكاتب من كتاب المستنصر روى عن ابى جعفر الثانى عليه السلام و انتقل الى بغداد كان ثقة صدوقا و

١ـ اى اليمين والضمان.

٢ـ بالعمى. النسخة البدل لجامع الرواة.

كذلك ابوه، وقال الشيخ: انه كثير الرواية ثقة، «عن ابى عبدالله» مشترك بين جماعة اكثرها ضعفاء ومجاهيل «عن رجل من اصحابنا رفعه قال: قال ابو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضة».

«وفى حديث آخر قال: قال ابو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، الا وان الله يحب بغاة العلم».

الشرح

قد مر شرحه وبرهانه وعلمت ما العلم الذى هو فرض عين مطلقاً، و الذى هو فرض عين لكل احد بخصوصه وانه ليس امراً معينا، بل ذلك مما يختلف بالقياس الى الاشخاص و الاوقات، فان اشتهيت ان تعرف العلم الذى هو من فروض الكفايات و الذى هو محمود و الذى هو مذموم فاسمع فيه كاملا سنذكره.

قال ابو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء اعلم: ان العلوم تنقسم الى شرعية وغير شرعية: و اعنى بالشرعية مايستفاد من الانبياء عليهم السلام ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة. والعلوم التى ليست شرعية تنقسم الى ماهو محمود و الى ماهو مذموم و الى ماهو مباح.

فالمحمود مايرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب و ذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس بفريضة، اما فرض الكفاية فهو كل علم لايستغنى عنه فى المعاملات وقسمة المواريث و الوصايا وغيرها، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها وقع اهل البلد فى الحرج و اذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين، و اما مايعد فضيلة لافريضة فكالتعمق فى دقائق الحساب و خفايا[1] الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه زيادة[2] قوة فى القدر المحتاج اليه.

و اما المذموم من العلم فكعلم السحر والطلسمات و علم الشعبذة و التلبيسات،

١ــ و حقائق «الاحياء».

٢ــ و لكنه يفيد زيادة «الاحياء».

و اما المباح فكالعلم بالاشعار التى لاسحت[١] فيها و تواريخ الاخبار ونحوها، و امـا العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان ولكن[٢] قد يلتبس بها مايظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة.

اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات: اما الاصول فهى الكتاب والسنة و الاجماع و اما الفروع فما فهم من هذه الاصول لابموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول واتسع بسببها الفهم حتى يفهم من اللفظ الملفوظ به غيره، كما فهم من قوله صلى الله عليه وآله: لايقضى القاضى حين يقضى وهوغضبان، انه لايقضى اذا كان جائعا و حـاقنا ومتألماً لمرض اوعطشاناً وشبهها مما يشغله عـن الاحتياط فيما هو بصدده[٣].

واما المقدمات فهى مـاتجرى فهى ماتجرى منها مجرى الالات كعلم اللغة و والنحو فانها آلتان لعلم الكتاب والسنة وليسا فى ذاتهما من العلوم الشرعية ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشارع. اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب فيصير تعلم اللغة والنحو من الاتها.

واما المتممات فهى فى علم القران ينقسم الى مايتعلق باللفظ كعلم القرائة ومخارج الحروف والى مايتعلق بالمعنى كالتفسير والى مايتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ و العام والخاص والنص و الظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض و هـو العلم المسمى باصول الفقه.

قال: فهذه العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات، فجعل علم الفقه ملحقاً بعلم الدنيا والحق الفقهاء بعلماء الدنيا وبين ذلك ببيان تفصيلى يطول ذكره

١ــ لاسخف «الاحياء».

٢ــ فهى محمودة كلها ولكن «الاحياء».

٣ــ فـى الحديث: لارأى لحاقن ولاحـاقب ولاحازق، هكـذا فى غـريب القتبى. فالحاقن الذى به بول كثير والحاقب المحصور والحازق الذى ضاق خفه فخرق قدمـه اى ضغطها. كذا بخطه قدس سره فى الحاشية.

من اراد ان يطلع عليه فليرجع الى ما ذكره، ثم قال:

فان قلت: فقد سويت بين الفقه و الطب اذالطب ايضاً يتعلق بالدنيا و هوصحة الجسد ويتعلق[1] بهصلاح الدين وهذه التسوية يخالف اجماع المسلمين؟

فاعلم: ان التسوية غيرلازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه: احدها انه علم شرعى اى[2] مستفاد من النبوة بخلاف الطب، و الثانى انه لايستغنى عنه احد من سالكى طريق الاخرة البتة لاالصحيح ولاالمريض، و اما الطب فلايحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون، والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة لانه نظر فى اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأوها صفات القلوب.

فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية فى الاخرة و المذموم من المذمومة ولايخفى[3] اتصال الجوارح بالقلب، و اما الصحة و المرض فمنشأوهما صفات[4] فى المزاج و الاخلاط و ذلك من اوصاف البدن لامن اوصاف القلب، فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه و اذا اضيف الى طريق الاخرة ظهر شرف علم الاخرة[5] و انة قسمان: علم مكاشفة وعلم معاملة.

و الاول هوعلم الباطن، و ذلك غاية العلوم وهوعلم الصديقين و المقربين وهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ينكشف فى ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماؤها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة. فتتضح له ذلك حتى تحصل له المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى و بصفاته التامات و افعاله وبحكمته فى خلق الدنيا و الاخرة ووجه ترتيب الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة و النبى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة و الشياطين وكيفية معاداة الشيطان

١ــ و ذلك يتعلق به ايضا «الاحياء».

٢ــ اذهو «الاحياء».

٣ــ والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى «الاحياء».

٤ــ صفاء «الاحياء».

٥ــ اذا اضيف علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضاً شرف علم طريق الاخرة «الاحياء»

للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء عليهم السلام وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات و الارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط و الميزان و الحساب ومعنى قوله تعالى:

وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (الاسراء ـ ١٤)، ومعنى قوله: و ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (العنكبوت ـ ٦٤)، ومعنى لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه و النزول فى جواره ومعنى السعادة و الشقاوة و تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكواكب الدرى فى جو[1] السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله.

قال: واما القسم الثانى من علم الاخرة وهو علم المعاملة فهو العلم باحوال القلب. اما مايحمد منها فكالصبر و الشكر والخوف و الرجاء[2] و الزهد والتقوى و القناعة و السخاوة ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال ومعرفة الاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص، فمعرفة حقائق هذه الاحوال و حدودها و اسبابها التى بها يكتسب وثمراتها و علاماتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى و مازال حتى يعود هى من[3] علم الاخرة.

و اما مايذم فخوف الفقر والغل والحسد والحقد و الغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب و العداوة والبغضاء و الطمع والبخل والاشر والبطر و الفخر والخيلاء و المباهاة و الاستكبار عن الحق و العجب و المكر والخيانة و المخادعة وطول الامل والقسوة و الفظاظة الى غير ذلك من رذائل الاخلاق.

فهذه و امثالها هى مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها هى

١ـ جوف «الاحياء».

٢ـ الرجاء والرضاء «الاحياء».

٣ـ يعود من «الاحياء».

الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات. فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها و اسبابها وعلاماتها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين فى فتوى علماء الاخرة و المعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الاخرة، كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة.

ولو سأل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذى فى اهماله هلاكه فى الاخرة. ولو سألته عن الظهار واللعان والسبق والرمى يسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور و لايحتاج الى شىء منها، وان احتيج لم يخل البلاد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلايزال يتعب فيه ليلا ونهاراً فى حفظه و درسه و يغفل عما هو مهم نفسه فى الدين ويزعم انه مشتغل بعلم الدين ويلبس على نفسه وعلى غيره.

و الفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر فى فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات، فكم من بلد ليس فيه طبيب الامن اهل الذمة ولايجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لاترى احداً يشتغل به ويتهافت[1] على علم الفقه لاسيما الخلافيات و الجدليات والبلد مشحون من الفقهاء، و ليس الباعث الا ان الطب ليس ميسر الوصول به الى تولى الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام و تقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط على الاعداء.

هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء والله المستعان واليه اللياز[2] فى ان يعيدنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان. انتهى كلامه.

ثم لايخفى ان قوله عليه السلام: ان الله يحب بغاة العلم، اى طالبيه مما يدل على ان العلم الذى طالبوه محبوبون لله ينبغى ان يكون علماً شريفا الهياً مقصوداً لذاته لاالذى هو مقصود لغيره مما يتعلق بالامور الخسيسة، فان الذى يكون مقصوداً لغيره

١ــ يتهاترون «الاحياء».

٢ــ والملاذ «الاحياء» لاذبه لوذاً و لياذاً اى لجأ اليه وعاذبه.

يكون هومراداً محبوباً لنفسه، بل ذلك الغير ويكون هووسيلة، والوسيلة للشيء دائما يكون اخس رتبة من ذلك الشيء، فالعلم المتعلق بالعمل ادون منزلة من العمل، والعمل امرجسمانى خسيس و ذلك العلم اخس منه.

واما العلم المطلق المجردعن التعلقات فلاشبهة فى انه رفيع القدر شريف المنزلة فطالبه وصاحبه هوالحرى بان يكون من محبوبى الحق تعالى و مقربيه ومجاوريه فى الملاء الاعلى، والله اعلم.

الحديث السادس
وهوالاربعون

«على بن محمدبن عبدالله عن احمدبن محمدبن خالد عن عثمان بن عيسى» هو ابوعمرو العامرى الكلابى الرواسى من ولدعبدالله بن رواس بتشديد الواو بعد الراء والسين المهملة اخيراً[١]، واقفى من اصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام كذا فى الفهرست و فى الخلاصة على وفق ما ذكره النجاشى، كان شيخ الواقفة و وجهها واحد وكلاء المستبدين[٢] بمال موسى بن جعفر عليهما السلام.

ذكر نصربن صباح ان عثمان بن عيسى كان واقفيا وكان وكيل ابى الحسن موسى عليه السلام وفى يده مال[٣] فسخط عليه الرضا عليه السلام ثم مات[٤] عثمان وبعث بالمال[٥] اليه وكان شيخا عمرستين سنة و كان يروى عن ابى حمزة الثمالى ولايتهمون عثمان بن عيسى.

قال حمدويه: قال محمدبن عيسى: ان عثمان بن عيسى رأى فى منامه انه يموت

١ــ يقال لبايع الرؤس رأاس والعامة يقول رواس.
٢ــ المستمدين «جش».
٣ــ فمنعه فسخط «جش».
٤ــ تاب «جامع الرواة ــ جش ــ كش».
٥ــ ثم تاب و بعث اليه بالمال «جش».

بالخير[1] ويدفن فيه فرفض الكوفة ومنزله وخرج الى الخير[2] و ابناه بعير[3] فقال: لاابرح حتى يمضى الله مقاديره، و اقام يعبد ربه عزوجل حتى مات و دفن[4] ونقل الكشى قولا بان عثمان بن عيسى ممن اجتمعت العصابة على تصحيح مايصح عنهم واقروا له بالفقه و العلم.

و ذكر الفاضل محمد الاسترابادى ان العلامة رحمه الله حسن طريق الصدوق الى سماعة[5] وفيه عثمان بن عيسى و قال: هنا الوجه عندى التوقف فيما ينفرد به، وفى كتب الاستدلال جزم بضعفه، «عن على بن ابى حمزة قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: تفقهوا فى الدين فانه من لم يتفقه منكم فى الدين فهو اعرابى، ان الله يقول فى كتابه: ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (التوبة ـ ۱۲۲).

الشرح

قد علمت فيماسبق ما معنى التفقه فى الدين و ما الفقه الذى يترتب عليه الانذار و التخويف فلانعيده وقوله: فهو اعرابى، اى عامى جاهل بامر الدين، لان الاعراب سكان البادية الذين لايقيمون الامصار ولايدخلونها الالحاجة. فهم جهلة لايعرفون مناهج الشريعة والدين، فسمى عليه السلام من لم يكن متفقهاً فى الدين اعرابياً لكونه مثله فى الحال والصفة مما يتعلق بحال العاقبة وامر الاخرة، و انما جعل المهاجر ضد الاعرابى لاجل اكتسابه للدين وتعلمه للفقه واليقين، و الا فيكون مثله لاضده.

۱ـ بالحاير «جش».

۲ـ الحير «جامع الرواة ـ كش».

۳ـ و ابناه معه فقال «جامع الرواة».

۴ـ دفن هناك «جش».

۵ـ اى سماعة بن مهران بن عبدالرحمن الحضرمى و كان واقفيا روى عن ابى عبدالله وابى الحسن ثقة ثقة، له كتاب يرويه عنه جماعة كثيرة وعثمان بن عيسى عنه «رجال ابوعلى».

الحديث السابع
وهو الحادى والاربعون

«الحسين بن محمد عن جعفر بن محمد عن القاسم بن الربيع»، مشترك بين اثنين: احدهما من روى عنه على بن ابراهيم بكتابه، و جعفر بن محمد بن مالك الفزارى الكوفى قال: حدثنا القاسم بن الربيع بن بنت زيد الشحام، والثانى المذكور فى الخلاصة: ابن الربيع الصحاف كوفى ضعيف فى حديثه غال فى مذهبه لا التفات اليه ولا ارتفاع به.

«عن مفضل بن عمر قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: عليكم بالتفقه فى دين الله ولا تكونوا اعرابا، فان[1] من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا.

الشرح

معنى النظر ههنا الاختيار والرحمة والعطوفة قال تعالى: ولا ينظر اليهم... ولا يزكيهم (ال عمران ـ ٧٧)، وفى الحديث: ان الله لاينظر الى صوركم و اموالكم[2] و لكن الى قلوبكم ونياتكم. فترك النظر مقابل الرحمة والمحبة اعنى الغضب والنقمة، لان النظر فى الشاهد دليل المحبة و ترك النظر دليل البغض والكراهة.

والنظر يقع على الاجسام المحسوسة و على المعانى المعقولة، فماكان بالابصار فهو للاجسام وماكان للبصائر فهو للمعانى، والله مقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو السر واللب و هو القلب و احواله، فمن كان ذا قلب منور بالعلم والفقه كان منظوراً له تعالى باللطف والعناية ومن لم يكن كذلك بل كان حكم قلبه فى القساوة والظلمة كحكم الاجسام لم يكن منظوراً بعناية الله تعالى، ولا يتنور القلب و يتجرد عن شبه الجسم الا بنور المعرفة واليقين ، فمن لاعلم له لاقلب له اعنى اللطيفة الملكوتية،

١ـ فانه (الكافى).

٢ـ و اعمالكم ـ النسخة البدل فى الاصل للشارح.

فليس فى مثل هذاالانسان شيء ينظر اليه الحق تعالى.

فقد دل كلامه عليه السلام على ان باكتساب العلم والتفقه يصير الصورة معنى والمحسوس معقولا و به يخرج النفس العاقلة من القوة الى الفعل و يصير وجود الانسان به وجوداً اخر اخروياً غير الوجود الدنيوى الذى كان اولا؛ ولما كان العمل تابعاً للذات كانت زكوته و طهارته تابعة لتزكية القلب وتطهيره. فتأمل تعرف.

الحديث الثامن
وهو الثانى والاربعون

«محمدبن اسمعيل» هذا الاسم مشترك بين اثنى عشر رجلا من الرواة سوى محمد بن اسمعيل بن بزيع، وهم محمدبن اسمعيل بن ميمون الزعفرانى ومحمدبن اسمعيل بن احمد البرمكى الرازى صاحب الصومعة وعشرة اخرون.

اما العشرة الباقون فلم يوثق احد علماء الرجال احداً منهم. فانهم لم يذكروا من حال الاثنين منهم و هما الكنانى و الجعفرى الا ان لكل منهما كتاباً، و لامن حال الاثنين الاخرين وهما الصيمرى والسلحى الا انهما من اصحاب ابى الحسن الثالث عليه السلام ولامن حال الستة البواقى الا انهم من اصحاب الصادق عليه السلام وبقاء احدهم الى عصر الكلينى بعيد جداً.

وقد اطبق متأخروا علمائنا رحمهم الله على تصحيح مايرويه عن محمدبن اسمعيل فبقى الاحتمال فى ابن بزيع والرجلين الباقيين وهما محمدبن اسمعيل بن ميمون الزعفرانى ومحمدبن اسمعيل بن احمد البرمكى الرازى صاحب الصومعة، ولنذكر اولا حال كل من هؤلاء الثلاثة ثم نتكلم فى ان المراد ههنا اى واحد منهم.

اما المطلب الاول فنقول فيه: اما محمدبن اسمعيل بن بزيع فهو ابوجعفر مولى ابى جعفر المنصور وولد بزيع بيت[1] منهم حمزة بن بزيع وكان من صالحى هذه الطائفة وثقاتهم كثير العمل.

١ــ بيت العرب. اى: شرفها.

قال الشيخ الطوسى رحمه‌الله: ان محمدبن اسمعيل‌بن بزيع ثقة صحيح‌الرواية مولى المنصور وقال‌الكشى: كان من رجال ابى‌الحسن موسى عليه‌السلام و ادرك ابا جعفر الثانى عليه‌السلام قال حمدويه عن اشياخه: انه و احمدبن حمزة كانا فى‌عداد الوزراء وكان على‌بن النعمان وصى بكتبه لمحمدبن اسمعيل و قال على‌بن الحسن: انه ثقة ثقة عين.

وحكى بعض اصحابنا عن ابن الوليد قال وفى‌روايته محمدبن اسمعيل‌بن‌بزيع قال‌الرضا عليه‌السلام: انالله تعالى بابواب الظالمين من نورالله به البرهان ومكن له فى البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح‌الله به امورالمسلمين، لانهم ملجاء المؤمنين من الضرر واليه مفزع[1] ذى‌الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن‌الله روعة المؤمن فى دارالظلم. اولئك المؤمنون حقا اولئك امناءالله فى‌ارضه اولئك نورالله فى‌رعيتهم يوم القيامة ويزهر نورهم لاهل‌السموات كماتزهرالكواكب الدرية لاهل‌الارض. اولئك من‌نورهم نورالقيامة تضىء منهم القيامة، خلقوا والله للجنة وخلقت‌الجنة لهم فهنيئاً لهم، ما على احدكم ان لوشاء لنال هذا كله، قال: قلت‌له: بماذا جعلنى الله فداك؟ قال: يكون معهم فيسرنا بادخال السرور على‌المؤمن[2] من شيعتنا، فكن منهم يا محمد.

و روى الكشى عن‌على‌بن محمد قال: حدثنى بنان‌بن محمد عن على‌بن‌مهزيار عن محمدبن اسمعيل‌بن بزيع قال: سألت اباجعفر عليه‌السلام ان يؤمرلى[3] بقميص من قمصه اعده لكفنى‌فبعث به الى، قال: قلت‌له: كيف اصنع به جعلت فداك؟ قال: انزع ازراره.

قال الكشى: وجدت فى كتاب محمدبن‌الحسن بن بندارالقمى بخطه حدثنى محمدبن يحيى‌العطار عن محمدبن احمدبن يحيى قال: كنت بفيد[4] فقال لى‌محمد بن

١ــ الضر و اليه يفزع ذو «جامع‌الرواة ــ جش»

٢ــ المؤمنين «جامع‌الرواة ــ جش».

٣ــ يأمرلى «كش ــ جامع‌الرواة».

٤ــ فيد: منزل بطريق مكة.

علي بن بلال: مـربنا الى قبر محمدبن اسمعيل بن بـزيع لنزوره، فلما اتيناه جلس عند رأسه مستقبل القبلة و القبر امـامه ثم قال: اخبرنى صاحب هذا القبر يعنى محمدبـن اسمعيل انه سمع ابا جعفر عليه السلام يقول: من زار قبراخيه المؤمن فجلس عند قبره و استقبل القبلة و وضع يده على القبر وقرأ انا انزلناه فى ليلة القدر سبع مرات امن من فزع الاكبر. وقال النجاشى بعد الحكاية المذكورة: وله كتب روى عنه احمدبن محمدبن عيسى ومعوية بن حكيم و ابراهيم بن هاشم ومحمدبن ابى الخطاب[1].

و اما محمدبـن اسمعيل بن ميمون الزعفرانى، و كنيته ابوعبدالله فهو عين ثقة روى عنه الثقات و روى عنهم ولقى اصحاب ابى عبدالله عليه السلام قال النجاشى: له كتاب روى عنه عبدالله بن محمد خالد.

و امـا محمدبن اسمعيل بن احمدبن بشير البرمكى فهو ابـوعبدالله المعروف بصاحب الصومعة سكن بقم وليس اصله منها. ذكر ذلك ابو العباس بن نوح قال النجاشى: له كتب روى عنه محمدبن جعفر الاسدى وقـال العلامة: اختلف علمائنا فى شأنه فقال النجاشى: انه ثقة مستقيم، وقـال ابن الغضائرى: انه ضعيف، و قـول النجاشى عندى ارجح.

واما المطلب الثانى: فـاعلم انه قال شيخنا المكرم بهاء الملة والـدين العاملى عظم الله قدره فى كتابه المسمى بمشرق الشمسين بهذه العبارة: «تبصرة» دأب ثقة الاسلام رحمه الله فى كتاب الكافى انه يأتى فى كل حديث بجميع سلسلة السند بينه وبين المعصوم عليه السلام ولايحذف من اول السند احداً، ثم انه كثيراً ما يذكر فى صدور السند محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان و هو يقتضى كون الرواية عنه بغير واسطة، فـربما ظن بعضهم ان المراد به الثقة الجليل محمدبن اسمعيل بن بزيع، و ايدوا ذلـك بما يعطيه كلام الشيخ تقى الدين حسن بن داود رحمه الله حيث قال فى كتابه: اذا وردت روايـة عن محمدبن يعقوب عن محمدبن اسمعيل ففى صحتها قولان: فان فـى لقائه له اشكالا

١ـ محمدبن حسين بن ابى الخطاب «جش ـ جامع الرواة».

فنقف لجهالة الواسطة بينهما و ان كانا مرضيين معظمين. انتهى كلامه[١]. و الظاهر ان ظن كونه ابن بزيع من الظنون الواهية ويدل على ذلك وجوه:

الاول: ان ابن بزيع من اصحاب ابى الحسن الرضا و ابى جعفر الجواد عليهما السلام، وقد ادرك عصر الكاظم عليه السلام و روى عنه كما ذكره علماء الرجال فبقاؤه الى زمن الكلينى مستبعد.

الثانى: ان قول علماء الرجال: ان محمد بن اسمعيل ادرك اباجعفر الثانى عليه السلام يعطى انه لم يدرك من بعده احداً من الائمة عليهم السلام، فان مثل هذه العبارة انما يذكرونها فى اخر امام ادركه الراوى كما لايخفى على من له انس بكلامهم.

الثالث: انه رحمه الله لو بقى الى زمن الكلينى نور الله مرقده لكان قد عاصر ستة من الائمة عليهم السلام وهذه مزية عظيمة لم يظفر بها احد من اصحابهم عليهم السلام، فكان ينبغى لعلماء الرجال ذكرها وعدها من جملة مزاياه وحيث ان احداً لم يذكره، علم انه غير واقع.

الرابع ان محمد بن اسمعيل الذى يروى عنه الكلينى بغير واسطة يروى عن الفضل بن شاذان، و ابن بزيع كان من مشايخ الفضل بن شاذان، كما ذكره الكشى.

الخامس: ما اشتهر على الالسنة ان وفات ابن بزيع كانت فى حيوة الجواد.

السادس: انا استقرينا جميع احاديث الكلينى المروية عن محمد بن اسمعيل فوجدناه كلما قيده بابن بزيع فانما يذكره فى اواسط السند ويروى عنه بواسطتين هكذا: محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن اسمعيل بن بزيع، واما محمد بن اسمعيل الذى يذكره فى اول السند فلم نظفر بعد الاستقراء الكامل و التتبع التام بتقيده مرة من المرات بابن بزيع، ويبعد ان يكون هذا من الاتفاقيات المطردة.

السابع ان ابن بزيع من اصحاب الائمة الثلاثة اعنى الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام وقد سمع منهم سلام الله عليهم احاديث متكثرة بالمشافهة، فلو لقيه الكلينى لنقل عنه شيئاً من تلك الاحاديث التى نقلها عنهم بغير واسطة ليكون الواسطة بينه و

١ــ اى كلام الشيخ تقى الدين فى كتابه.

بين كلا من الائمة الثلاثة عليهم السلام واحداً، فان قلة الوسائط شيء مطلوب و شدة اهتمام المحدثين بعلو السند امر معلوم، ومحمدبن اسمعيل الذى يذكره فى اوائل السند ليس له رواية عن احد المعصومين سلام الله عليهم بدون واسطة اصلا بل جميع رواياته عنهم عليهم السلام انما هى بوسائط عديدة.

فان قلت: للمناقشة فى هذه الوجوه محال واسع كما يناقش فى الاول بان لقاء الكلينى من لقى الكاظم عليه السلام غير مستنكر، لان وفاته عليه السلام سنة ثلاث وثمانين ومائة و وفات الكلينى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وبين الوفاتين، مائة وخمس و اربعون سنة، فغاية مايلزم تعمير ابن بزيع الى قريب مائة سنة و هو غير مستبعد. و فى الثانى يمنع كون تلك العبارة نصاً فى ذلك، ولو سلم فلعلل المراد بالادراك الرواية لادراك الرؤية ولادراك الزمان فقط، وفى الثالث بان المزية العظمى رؤية الائمة عليهم السلام والرواية عنهم بلاواسطة لامجرد المعاصرة لهم من دون رؤية ولارواية، فيجوز ان يكون ابن بزيع عاصر باقى الائمة لكنهم لم يرهم.

قلت: اكثر هذه الوجوه، و ان امكنت المناقشة فيه بانفراده، لكن الانصاف انه يحصل من مجموعها ظن غالب يتآخم العلم: بان الرجل المتنازع فيه ليس هو ابن بزيع، و ليس الظن الحاصل منها ادون من سائر الظنون المعول عليها فى علم الرجال كما لايخفى على من خاض فى ذلك الفن و مارسه والله اعلم. انتهى كلامه زيد اكرامه فنقول:

اذا تقرر هذا، وظهر ضعف القول و بعد الظن بان المذكور هو ابن البزيع، و قد اطبق علماؤنا المتأخرون قدس الله ارواحهم على تصحيح ما يرويه الكلينى عن محمدبن اسمعيل الذى فيه النزاع، و اطباقهم هذا قرينة على انه ليس احداً من اولئك الذين لم يوثقهم[1] احد من علماء الرجال، فبقى الامر دائراً بين الزعفرانى والبرمكى، فانهما ثقتان من اصحابنا لكن الزعفرانى ممن لقى الصادق عليه السلام كما نص عليه النجاشى فيبعد بقاؤه الى عصر الكلينى. فيقوى الظن فى جانب البرمكى فانه مع كونه

١ــ اى العشرة المذكورة سابقا.

رازياً كالكلينى، فزمانه فى غاية القرب من زمانه، لان النجاشى يروى عن الكلينى بواسطتين وعن محمدبن اسمعيل البرمكى بثلاث وسائط والصدوق يروى عن الكلينى بواسطة واحدة و عن البرمكى بواسطتين، والكشى حيث انه معاصر للكلينى يروى عن البرمكى بواسطة و بدونها.

و ايضا فمحمدبن جعفر الاسدى المعروف بمحمدبن ابى عبدالله الذى كان معاصراً لبرمكى توفى قبل وفاة الكلينى بقريب من ستة عشر سنة، فلم يبق مرية فى قرب زمان الكلينى من زمان البرمكى جداً . و اما روايته عنه فى بعض الاوقات بتوسط الاسدى فغير قادح فى المعاصرة، فان الرواية عن الشيخ تارة بواسطة و اخرى بغيرها[1] امر شائع متعارف لاغرابة فيه. والله اعلم. هذا ما ذكره ايضا شيخنا البهائى جل بهاؤه و مجده بعد ما زيف القول بكون المذكور ابن البزيع او واحد من العشرة الباقية.

«عن الفضل بن شاذان»، بالشين والذال المعجمتين والنون، ابن الخليل بالخاء المعجمة ابومحمد الازدى النيشابورى، كان ابوه من اصحاب يونس و روى عن ابى جعفر الثانى عليه السلام وقيل: عن الرضا عليه السلام ايضا. وكان ثقة جليلا، فقيها متكلماً له عظم شأن فى هذه الطائفة، قيل: انه صنف مائة و ثمانين كتابا و ترحم عليه ابومحمد عليه السلام مرتين و روى ثلاثا ولاء، و نقل الكشى عن الائمة عليهم السلام مدحه ثم ذكر ما ينافيه و قد اجبنا عنه فى كتابنا الكبير: وهذا الشيخ اجل من ان يغمز عليه فانه رئيس طائفتنا رضى الله عنه «صه» وقال النجاشى: اجل اصحابنا الفقهاء والمتكلمين وله جلالة فى هذه الطائفة وهو فى قدره اشهر من ان نصفه.

و قال الشيخ فى الفهرست: متكلم فقيه جليل القدر له كتب و مصنفات روى الكشى عن الملقب بتور[2] من اهل البرزجان[3] من نيشابور: ان ابامحمد الفضل بن شاذان كان وجهه الى العراق فذكر انه دخل على ابى محمد عليه السلام فلما اراد ان يخرج

١ــ بدونها. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

٢ــ بتورا «جامع الرواة»

٣ــ بوزجان «جامع الرواة ــ كش».

سقط عنه کتاب و کان من تصنیف الفضل، فتناوله ابومحمد علیه السلام و نظرفیه و ترحم علیه و ذکر انه قال : اغبط اهل خراسان بمکان الفضل بن شاذان و کان بین اظهرکم.

«عن ابن ابی عمیر»، و هو محمدبن زیادبن عیسی ابومحمد[1] مولی الازد من موالی المهلب بن ابی صفرة وقیل مولی بنی امیة والاول اصح، بغدادی الاصل والمقام لقی اباالحسن موسی علیه السلام وسمع منه احادیث کناه فی بعضها فقال: یاابامحمد[1]، و روی عن الرضا علیه السلام جلیل القدر عظیم المنزلة فینا وعند المخالفین «صه» قال الکشی: انه ممن اجمعت اصحابنا علی تصحیح مایصح عنه و اقروا له بالفقه والعلم، و قال الشیخ الطوسی: انه اوثق الناس عندالخاصة والعامة و انسکهم نسکاً و اورعهم و اعبدهم، ادرك من الائمة ثلاثة: ابا ابراهیم موسی بن جعفر علیه السلام ولم یرو عنه و روی عن ابی الحسن الرضا علیه السلام و ابی جعفر الثانی علیه السلام.

«عن جمیل بن دراج» بالدال غیر المجمعة والراء المشددة والجیم. و دراج یکنی بابی الصبیح بن عبدالله ابی علی النخعی وقال ابن فضال: ابومحمد شیخنا و وجه الطائفة ثقة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام و اخوه نوح بن دراج القاضی ایضا من اصحابنا، و کان یخفی امره ومات فی ایام الرضا علیه السلام و کان اکبر من نوح وعمی فی اخر عمره واخذ عن زرارة له اصل «صه» قال الکشی: انه ممن اجمعت العصابه علی تصحیح مایصح عن هؤلاء و تصدیقهم لمایقولون واقروالهم بالفقه: جمیل بن دراج وعبدالله بن مسکان وعبدالله بن بکیر وحمادبن عیسی وحمادبن عثمان و ابان بن عثمان، قالوا: و زعم ابو اسحق الفقیه یعنی ثعلبة بن میمون ان افقه هؤلاء جمیل بن دراج وهم[2] اصحاب ابی عبدالله علیه السلام.

«عن ابان بن تغلب» بالتاء المنقوطة فوقها نقطتین المفتوحة و الغین المعجمة الساکنة ابن رباح ثقة جلیل القدر عظیم المنزلة فی اصحابنا، لقی ابامحمد علی بن الحسین

۱ـ ابو احمد «جش ـ جامع الرواة».

۲ـ وهم احداث اصحاب «جامع الرواة».

و ابا جعفر و ابا عبدالله عليهم السلام وقدم الى المدينة وروى عنهم وقال له الباقر عليه السلام: اجلس فى مسجد المدينة و افت الناس، فانى احب ان يرى فى شيعتى مثلك، و مات فى حيوة ابى عبدالله عليه السلام فقال الصادق عليه السلام لما اتاه نعيه: اما والله لقد اوجع قلبى موت ابان، و مات فى سنة احدى و اربعين و مائة. و روى ان الصادق عليه السلام قال له: يا ابان: ناظر اهل المدينة فانى احب ان يكون مثلك من رواتى و رجالى.

«عن ابى عبدالله عليه السلام قال: لوددت ان اصحابى ضربت رؤسهم بالسياط حتى يتفقهوا.»

الشرح

معناه واضح. السياط جمع سوط و هو الذى يجلد به، و الاصل سواط بالواو فقلبت ياء لكسرة ماقبلها، وقد يجمع على الاصل اسواط، والذى نقل عن ابى هريرة: فجعلنا نضرب باسياطنا وقسينا بالياء هو شاذ والقياس اسواطنا، كما يقال فى جمع ريح: ارياح شاذا و القياس ارواح وهو المطرد المستعمل وانما قلبت الواو فى سياط لكسرة ماقبلها ولا كسرة فى اسواط.

الحديث التاسع
و هو الثالث و الاربعون

على بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى «عمن رواه عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رجل جعلت فداك: رجل عرف هذا الامر لزم بيته ولم يتعرف الى احد من اخوانه فقال[1] كيف يتفقه هذا فى دينه؟»

١ــ قال: فقال: (الكافى).

الشرح

اعلم: ان الناس اختلفوا فى ان لزوم البيت والعزلة من الخلق افضل او المخالطة والصحبة معهم؟ و التحقيق ان كلا من الامرين يفضل على الاخر فى وقت ومن جهة، و ذلك يختلف باختلاف حال الاشخاص بل باختلاف حال شخص واحد بحسب الاوقات. فان كثيراً من المقاصد الدينية و الدنياوية يتوقف حصولها على الاستعانة بالغير واعظم ذلك كله التعلم والتفقه فى الدين، فانه اعظم و اهم من كل عبادة وطاعة ولايتصور ذلك الا بالمخالطة والصحبة مع المعلمين والاستاذين، وكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة.

فالمحتاج الى التعلم كماهو فرض عليه فمايفوت به و هو العزلة حرام عليه فهو يكون عاصياً بالعزلة ولزوم البيت، اللهم الا ان لايتأتى منه الخوض فى العلوم و رأى الاشتغال بالعبادة و الاكتفاء بالتقليد فيما سمعه منذاول الامر واعتقده اولى، فلايبعد ان يكون العزلة فى حقه راجحاً سيما اذا لم يتمش منه انفاع الغير و لااكتساب الخيرات الدنيوية، فان عبادة الجهال ليس فيها كثير خير.

واما من كان يقدر على التبريز فى علوم الدين واصول اليقين، فالعزلة فى حقه قبل التعلم والتفقه هى الخسران المبين، ولهذا قال بعضهم: تفقه ثم اعتزل.

ومن اعتزل قبل التعلم، فهو فى الاكثر مضيع اوقاته بنوم اوفكر فى هوس، وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها و هولاينفك فى اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لايدرى، ولاينفك فى اعتقاده فى الله تعالى وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها، فيكون فى اكثر احواله ضحكة للشيطان وهويرى نفسه من العباد، فالعلم هو اصل الدين فلاخير فى عزلة العوام والجهال.

قال بعض العلماء: مثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجها، فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لامحالة مرضه؛ فلايليق العزلة الا بالعلماء.

باب صفة العلم و فضله و فضل العلماء

و هو الباب الثالث وفيه تسعة احاديث

الحديث الاول

وهو السابع والاربعون

«محمدبن الحسن وعلى بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان عن درست الواسطى عن ابراهيم بن عبدالحميد عن ابى الحسن موسى عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه واله المسجد، فاذاً جماعة قداطافوا برجل فقال: ماهذا؟ فقيل: علامة، قال: وما العلامة؟ فقالوا: اعلم الناس بانساب العرب و وقائعها و ايام الجاهلية و الاشعار العربية فقال[1] النبى صلى الله عليه واله: ذاك علم لايضر من جهله و لاينفع من علمه، ثم قال النبى صلى الله عليه واله: انما العلم ثلاثة: اية محكمة اوفريضة عادلة اوسنة قائمة وما خلاهن فضل».

الشرح

قوله عليه السلام: فقيل: علامة، اى عالم جداً، والهاء فيه للمبالغة، قوله: قال: و ما العلامة؟ كلمة ما من جملة كلمات الاستفهام التى يقع بها السؤال عن ماهية الشىء اوسببه او وجوده اوكمه اوكيفه اومتاه اواينه او غير ذلك. فالسؤال عن ماهية الشىء بـ «ماهو» وعن سببه بـ «لمهو»، وعن وجوده بـ «هل هو»، وعن مقداره اوعدده بـ «كم هو»، وعن صفته بـ «كيف هو» وعن زمانه بـ «متى هو»، وعن مكانه بـ «اين هو».

فان قلت: المناسب ههنا ايراد كلمة «لم» بدل «ما».

قلنا: قد تقرر فى العلوم العقلية: ان مطلب «ماهو» و «لمهو» فى كثير من الاشياء متحدان، وهى كالمفارقات العقلية التى وجودها الخاص عين ماهيتها فمن علم ان العقل مثلا «ماهو» علم ايضا «لمهو» وكما اذا اخذت الماهية مع وجودها الخاص، فان سبب وجود الشىء و ان كان خارجاً عن نفس ماهيته لكنه داخل فى قوام وجوده.

---

١ ـ قال: فقال. (الكافى).

فاذا كان السؤال عن الماهية الموجودة فصح ايراد كلمة «لم» بدل «ما» و كذا اذا كان السؤال عن سبب وجود الشيء بـ «ماهو» نفس الوجود صح ايراد كلمة «ما» بدل «لم» ونظير ذلك انه اذا اخذ الموصوف مع صفته كالجسم مع البياض كانهما امر واحد مركب من مادة وصورة، فاذا سأل عن المجموع سأل بـ «ماهو» ويقع في الجواب: الجسم الابيض كما يقع الحد المركب من الجنس والفصل، ففي هذا المثال قد وقع في جواب «ماهو» ما كان يقع في جواب «كيف هو».

ففي ما نحن فيه لما كان غرضه صلى الله عليه واله الاستكشاف عن حقيقة عالمية ذلك الرجل المقيد بالعلم المأخوذ بكونه عالماً، فكان السؤال عن سبب اتصافه بالعلامة راجعاً الى السؤال عن حقيقة كونه علامة، ولهذا وقع الجواب بنحو علمه الداخل في كونه علامة بزعمهم وهو علمه بانساب العرب وحكاياتها وعلمه بالاشعار العربية، فذلك العلم داخل في حقيقة عالميته وعلة لاتصاف ذاته بنعت العلم.

وهذا كما اذا سأل ما الخسوف؟ يقع الجواب: بانه محق ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين الشمس عند المقابلة الحقيقية. و اذا سأل: لم الخسوف؟ يقع الجواب بحيلولة الارض بينهما عند المقابلة فيمحق نوره، فاذن يشارك فيه الجوابان: اعني الحد و البرهان فافهم هذا، فانه من غوامض العلوم.

ثم لما زعموا ان ماحصل لذلك الرجل، هو من العلوم المعتبرة الحقيقية فينبههم رسول الله صلى الله عليه واله بان الذي حصل ليس علما بالحقيقة، اذ العلم بالحقيقة هو الذي يضر جهله في المعاد وينفع اقتناؤه ذخراً ليوم يقوم فيه الاشهاد لا الذي يستحسنه العوام ويكون مصيدة للحطام، ثم افاد صلى الله عليه واله لهم ان العلم الذي يضر جهله وينفع علمه في الاخرة ماذا؟ فقال: انما العلم ثلاثة... الى اخره

واعلم انك قد علمت سابقاً ان العلوم الاخروية قسمان: علوم معاملة وعلوم مكاشفة، والظاهر ان هذه الاقسام التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه واله وحصرها في ثلاثة هي علوم المعاملة، لانها التي يقع بها الانتفاع لاكثر الخلق.

و اما علوم المكاشفة فلم توجد في كل وقت الا في اقل قليل من الناس، وهو

اعزمن الكبريت الاحمر كمادل عليه بعض الاحاديث الاتية فى كتاب الايمان، والمذكور منها فى القران انما كان على سبيل الرمز فى متشابهات القران التى لايعلم تأويلها الاالله والراسخون فى العلم.

ولما كانت العلوم الدينية النافعة فى الاخرة اما متعلقة بالاصول الاعتقادية او بالفروع العملية، والثانية اما متعلقة بالافعال واعمال الجوارح من الحلال والحرام واما متعلقة بالاحوال و اعمال القلب من محاسن الاخلاق ومقابحها ونيات الضمائر و اغراضها فهى ثلاثة اقسام: فقوله صلى الله عليه واله: اية محكمة، اشارة الى القسم الاول وهو اصول العقائد و اركانها المستفادة من الايات المحكمات القرانية، و قوله صلى الله عليه واله: اوفريضة عادلة، اشارة الى العلم بفرائض الاعمال و واجباتها و محرماتها التى يجب على المكلفين الاتيان بها والكف عنها وقوله: اوسنة قائمة، اشارة الى العلم بالسنن والنوافل، فانها من الاعمال التى يؤثر فى جلب الاحوال للقلوب و كسب الاخلاق الحسنة و ازالة الملكات الرديئة وكلها ثابتة من طريق الحديث والسنة.

ويحتمل ان يكون الثانى اشارة الى علوم الاخلاق وصفات القلب، وان اكثرها مما يستقل العقل بادراكه اعنى محاسن تلك الاحوال و مقابحها. والثالث وهو قوله صلى الله عليه واله: اوسنة قائمة، اشارة الى العلم باعمال المكلفين و احكامها الخمسة المستفاد جلها بل كلها من السنة القائمة، اى الاحاديث الصحيحة الثابتة بنقل الرواة العدول و الرجال الثقات.

و قوله صلى الله عليه واله: و ماخلاهن فضل، اى ما خلا هذه الثلاثة سواء كان محموداً كالطب ونحوه، اومذموماً كعلم السحر والشعبذة والفأل واحكام النجوم وغيرها، فان اكثر مايعده العامة من العلوم المستحسنة المحمودة ليس منها بل يكون مذموماً.

فان قلت: العلم هو معرفة الشيء على ماهو عليه و هو من صفات الله تعالى، فكيف يكون الشيء علما ومع كونه علما مذموماً؟

قلنا: ان العلم لايذم لعينه و لالكونه علماً على الاطلاق و انما الذم متوجه اليه لاحد اسباب ثلاثة:

احدها ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه اوبغيره، كما يذم علم السحر و الطلسمات وهوحق اذشهد القران له وبه يتوسل الى مايفرقون به بين المرء وزوجه.

الثانى ان يكون مضراً بصاحبه فى اكثر الامر كعلم النجوم، فانه فى نفسه غير مذموم اذهوقسمان: قسم يتعلق بالحساب و الهيئة وقد نطق القران بان مسير الكواكب محسوب اذقال: والشمس والقمر بحسبان (الرحمن ـ ٥)، وقال: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (يس ـ ٣٩) ، و قال: لتعلموا عدد السنين والحساب (يونس ـ ٥) ، والثانى الاحكام، و حاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب، و هو كالاستدلال الطبيب بالنبض و حركة الشرايين على ما سيحدث فى بدن الانسان من الصحة والمرض و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه و انما زجر عنه لثلاثة اوجه:

الاول: انه مضر باكثر الخلق، فانه اذا القى اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير هذه الكواكب والانظار وقع فى نفوسهم ان الكواكب هى المؤثرات و انها الالهة المدبرة، لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها فى القلوب فيلتفت اليها و يرى الخير والشر مرجواً و محذوراً من جهتها و ينمحى ذكر الله عن القلب، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ هو الذى يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه.

والثانى: ان احكام النجوم تخمين محض ليس بعلم لا باليقين ولا بالظن، فالحكم به حكم بجهل فيكون مذموماً على هذا من حيث انه جهل وكذب لامن حيث انه علم وحق، و لقدكان ذلك معجزة لادريس النبى عليه السلام وقد اندرس و انمحى وما يتفق احيانا من اصابة المنجم فهو اتفاق.

و ثالث الوجوه انه لافائدة فيه، و اقل احواله انه خوض فى فضول لايعنى و تضييع العمر الذى هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة وهو غاية الخسران، فالخوض فى النجوم و ما يشبهه اقتحام خطر او خوض جهالة من غير فائدة، فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه، و اكثر ادلتها ممايطلع

عليه.

السبب الثالث غموض بعض العلوم الحقة و دقته، فان الخوض فى علم لايستقل الخائض بدركه مذموم فيجب كف الناس عن البحث عنه والخوض فيه، و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و اله: اذا ذكر القدر فامسكوا، و قال امير المؤمنين عليه السلام كما رواه الصدوق فى كتاب التوحيد باسناده عن الاصبغ بن نباته: الا ان القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله، و حرز من حرز الله مرفوع فى حجاب الله، مطوى عن خلق الله مختوم بخاتم الله... الحديث بطوله.

و اعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار فى معالجات المرضى يستبعدها من لايعرفها، فكذا الانبياء عليهم السلام اطباء القلوب عارفون باسباب الحيوة الاخروية، فلاتحكم بمعقولك على سنتهم و احكامهم، ففى اسرار الشريعة و لطائفها المفيدة لصفاء القلوب و طهارتها و اصلاحها المترقى الى جوار الله والوصول الى دار كرامته امور تكل عن ادراكها الافهام، و تدق عن ادراكها عقول الانام بقوة افكارها و استدلالاتها، وكل مالم يصل عقلك الى وجه الحكمة فيه فاعزل العقل عن الفكرة فيه و لازم الاتباع.

و لذلك ورد عن النبى صلى الله عليه و اله انه قال: ان من العلم جهلا و ان من العقل عياً[1]. ومعلوم ان العلم لايكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الاضرار و انه قال صلى الله عليه و اله: قليل من التوفيق خير من كثير من العلم، فقد تبين ان معنى كون علم مذموماً ماذا، و الا فالعلم فى نفسه اى علم كان نوع من النور والظهور قل او كثر والنور لايكون الا ممدوحاً بنفسه، وانما الذم لاجل ما لزمه من ضرر او شر.

الحديث الثانى
وهو الخامس والاربعون

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد عن ابى

١ــ عى عيا وعياء: اى جهله.

البخترى»، بالباء المنقطة تحتها نقطة والخاء المعجمة والتاء المنقطة فوقها نقطتين والراء اسمه وهب بن وهب بن عبدالله بن زمعة بن الاسود ابن عبدالمطلب[1] بن عبدالعزى روى عن ابى عبدالله عليه السلام وكان كذاباً قاضيا عاميا، الا انله احاديث عن جعفر بن محمد عليهما السلام كلها لايوثق بها، وله احاديث مع الرشيد فى الكذب. قال سعد: تزوج ابو عبدالله عليه السلام بامه «صه».

قال الكشى عن على القتيبى، عن الفضل بن شاذان: كان ابو البخترى من اكذب البرية وقال الشيخ فى الفهرست: انه ضعيف عامى المذهب له كتب روى عنه السندى[2] بن محمد و ابراهيم بن هاشم و سهل بن رجاء الشيبانى. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان العلماء ورثة الانبياء: و ذاك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً و انما اورثوا احاديث من احاديثهم، فمن اخذ بشىء منها فقد اخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم[3] عمن تأخذونه فان فينا اهل البيت فى كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين».

الشرح

الحديث لغة يرادف الكلام، سمى به لانه يحدث شيئا فشيئا، و فى الاصطلاح كلام خاص عن النبى صلى الله عليه واله او الامام او الصحابى او التابعى ومن يحذو حذوه يحكى قولهم او فعلهم او تقريرهم، وبعض المحدثين لايطلق اسم الحديث الا على ماكان عن المعصوم.

والانتحال من النحلة وهى النسبة بالباطل، و نحلت القول من باب منع نحلا اضفت اليه قولا قاله غيره و ادعيته عليه، و انتحل فلان شعر غيره او قول غيره ادعاء

۱ــ ابن المطلب «كش ــ جش ــ ست ــ جخ».

۲ــ له كتب عند السندى ابن محمد وابراهيم بن هاشم و سهل بن حاد (رجاء) الشيبانى (الصنعانى ــ ست) «جامع الرواة».

۳ــ علمكم هذا (الكافى).

لنفسه وتنحله مثله، وفلان منتحل مذهب كذا وقبيلة كذا اذاانتسب اليه، قوله عليه السلام: ان العلماء ورثة الانبياء.

اعلم ايها الطالب الذكى الفهم اضاءالله قلبك بانوار العلم والعرفان: انه كما ان الولادة قسمان: احديهما الصورية وهى المعروفة عندالناس فى هذه النشأة البدنية والاخرى المعنوية وهى ولادة الروح فى النشأة الباطنة، و اشار المسيح على نبينا واله وعليه السلام الى الولادتين جميعا بقوله: لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين، فكذا الوراثة قسمان: مالية و علمية، والانبياء عليهم السلام من حيث كونهم انبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً بل ميراثهم هو العلم والكلام. فوراثهم لايكونوا الا العلماء.

وقد اختلفوا فى معنى ال النبى صلى الله عليه و اله، فالاكثر على انهم اهل بيته، و استدل الشافعى بما روى فى الحديث عنه صلى الله عليه و اله: لاتحل الصدقة لمحمد و ال محمد صلى الله عليه و اله، على ان ال محمد صلى الله عليه و اله هم الذين حرمت عليهم الصدقة و هم صلبة بنى هاشم و بنى المطلب وقيل: اصحابه ومن امن به، وهو فى اللغة يقع على الجميع.

قال بعض الفضلاء المتأخرين فى معرض تحقيق الال ما حاصله: ان ال النبى صلى الله عليه واله كل من يؤل اليه وهم قسمان: الاول من يؤل اليه مآلا صورياً جسمانياً كاولاده و من يحذوحذوهم من اقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة فى الشريعة المحمدية، والثانى من يؤل اليه مآلا معنويا روحانياً وهم اولاده الروحانيين من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكوة انواره، سواء سبقوه بالزمان او لحقوه.

ولاشك ان النسبة الثانية اكد من الاولى، و اذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور كما فى الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين، وكما حرم على اولاده الصوريين الصدقة الصورية حرم على الاولاد المعنويين الصدقة المعنوية اعنى تقليد الغير فى العلوم والمعارف. انتهى ملخص كلامه.

قوله عليه السلام: و انما اورثوا احاديث من احاديثهم، اى احاديث هى بعض من

كل احاديثهم، وكما ان المواريث الصورية متفاوتة في القدر والعدد حسب تفاوت القرابة، فكذا في هذه الوراثة المعنوية من كان اكثر نصيباً و اوفر استفادة من النبي صلى الله عليه و اله كان اشد قرابة و اكد نسبة، وليس المراد من اخذ الاحاديث عنهم عليهم السلام مجرد حفظ الالفاظ الكتابية فان ذلك شيء قليل النفع ليس من الميراث العلمي بشيء بل اللفظ من الدنيا والاخذ به يشبه الميراث الصورى، وانما المراد اخذ معانيها العلمية و مطاويها العقلية و مضامينها الحكمية كما دل عليه قوله عليه السلام: فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً، لان قليلا من العلم والمعرفة خير مما طلعت الشمس عليه من شرق الدنيا الى غربها.

قوله عليه السلام: فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، اى تأملوا في علمكم الذى به تكونون من جملة العلماء الذين هم من وراث الانبياء فان لكل علم وصنعة بيتاً واهل بيت مخصوص و الائمة المعصومون عليهم السلام اهل بيت النبوة والعلم و اصل شجرة العلم المعبر عنه بلسان الشريعة بـ «طوبى» في دارهم، والشجرة الخبيثة كناية عن العلوم الباطلة و المغاليط الوهمية التى لاحقيقة لها ولاثبات كما قال تعالى اشارة الى الاولى: كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها (ابراهيم - ۲۴ و ۲۵) وقال في الثانية: كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة (ابراهيم - ۲۶ و ۲۷)، لاتبديل لكلمات الله (يونس - ۶۴).

و الشجرة الملعونة في القران التى نزلت في ال ابى سفيان، كناية عن ماينتحل به الفجار المنافقون والامراء الباغون والرؤساء المضلون والائمة المفسدون، فالمأخوذ من اهل بيت النبوة عليهم السلام هو ميراث العلم و الاخذون العلم منهم ورثة الانبياء عليهم السلام المستضيئون بانوارهم دون من اخذ النصيب من غيرهم، فان ذلك ليس علما ولاحكمة بل ماكان الاجدلا يختصم به طالب المباهاة بالغلبة و الافحام اوفتوى حكومة يستعين بها القضاة و غيرهم على الحكومة وفصل الخصام اوخطابة يتصنع به الواعظ في مجمع العوام اوسجعاً مزخرفاً يتوسل به الحطام.

وقوله عليه‌السلام: فان فينا اهل البيت فی كل خلف عدولاينفون عنه الی اخره، يعنی ان فينا فی كل مايخلف عن النبی صلی الله عليه واله من العلوم الحقيقية جماعة عدولا ای امة وسطاً لهم الاستقامة فی طريق الحق من غير تحريف و لاغلو ولاتقصير، فينفون عن العلم ويذبون عن الدين تحريف الغالين و اضلال المضلين و يدفعون انتحال المبطلين ای المنتحلين بالشرع علی الوجه الباطل، وهم اكثر المنتسبين الی الشريعة والدين من غير بصيرة ولايقين، و يبطلون تأويلات الجاهلين المؤلين لكلام الله لاعلی طريقة، المحرفين للكلم عن مواضعها.

فاهل البيت عليهم السلام هم الراسخون فی العلم وعندهم تأويل الاحاديث، واهل الظاهر و القشر بمعزل عن معرفة بطون القران و تأويل الاحاديث. اذ القشر لايعرف الا القشر و اللب لايعرفه الا اولوا الالباب، وهم الذين عبرت ارواحهم عن عالم الصورة والحس الی عالم المعنی و العقل فهم يأخذون العلم عن الله بنور الاحوال و غيرهم يأخذون عن الرجال و ليس سبيلهم الاجمع الاقوال.

واعلم ان الفرق بين اهل البيت عليهم السلام اعنی الاولياء الكاملين وبين غيرهم من العلماء فی باب الوراثة عن النبی صلی الله عليه واله، ان الولی المعصوم من الخطاء لايأخذ العلم الذی هو ميراث الانبياء والرسل الابعد ان يرث الله منهم ثم يلقيه اليه[1]، و اما سائر علماء الرسوم يأخذون العلم خلفاً عن سلف عن خلف حتی ينتهی الی النبی صلی الله عليه واله اوالی الوارث الالهی وهكذا الی يوم القيامة فيبعد النسب.

و اما الاولياء عليهم السلام فهم يأخذون ميراث الانبياء عليهم السلام عن الله من حيث كونه ورثة وجادبه علی هؤلاء، فهم ورثة الرسل و رواة الاحاديث عنهم بمثل هذا السند العالی المحفوظ الذی لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد. (فصلت ـ ۴۲).

۱ـ ای يرث الله تعالی من الانبياء ثم يلقی ای الحق تعالی هذا العلم الی الولی المعصوم.

ولاجله قال بعض اهل الحق[1] اخـذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحی الـذی لايموت. و قال الله تعالى لنبيه فی مثل هـذا المقام بعد ذكر الانبياء عليه و عليهم السلام فی سورة الانعام: اولئك الذين هدى الله فبهديم اقتده (الانعام ـ ۹۰)، و كانوا قد ماتوا و ورثهم الله وهو خير الوارثين ثم جاد على النبی صلى الله عليه واله بذلك الهدى الذی هداهم به، وهذا عين ما ذكرنا فی علم الاولياء وهديهم بهدى النبی وهدى الانبياء عليه وعليهم صلوات الله اجمعين. هذا خلاصة ما ذكره بعض العرفاء[2] وهو تحقيق شريف حقيق بالتصديق، والله ولی التوفيق.

الحديث الثالث
وهو السادس و الاربعون

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن على الوشاء عن حماد بـن عثمان عن ابی عبدالله عليه السلام: اذا اراد الله بعبد خيراً فقهه فی الدين».

الشرح

يستفاد من هذا الحديث ان العلم امر وهبی لايحصل بمجرد العمل والسعی بل يتعلق بمشية الله. بل الانسان بحسب النشأة الباطنة انواع مختلفة، والعالم مخالف لغيره من افراد البشر مخالفة ذاتية كما دل عليه قوله تعالى: هل يستوی الذين يعلمون والذين لايعلمون (الزمر ـ ۹)، وقول النبی صلى الله عليه واله: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة... الحديث، وقد مر غير مرة ان المراد من التفقه فی الدين ماذا؟ فلانعيده.

۱ـ هو ابو يزيد البسطامی قدس سره.

۲ـ و هو شيخ الاكبر محی الدين الاعرابی قدس سره فی كتابه المسمی بـ «الفتوحات المكية».

الحديث الرابع
وهو السابع و الاربعون

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حمادبن عيسى»، الجهنى البصرى ابو محمد مولى، وقيل: عربى اصله الكوفه وسكن البصرة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن و الرضا عليهم السلام ومات فى حيوة ابى جعفر الثانى عليه السلام ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا ولاعن ابى جعفر عليهما السلام وكان ثقة فى حديثه صدوقا، قال سمعت من ابى عبدالله سبعين حديثا فلم ازل ادخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين. دعاله ابو عبدالله عليه السلام بان يحج خمسين حجة فحجها و غرق بعد ذلك «صه»

قال زين المجتهدين: كان الغرق فى غسل احرام الحج الحادى و الخمسين و كان من جهينة، وتوفى سنة تسع ومأتين و قيل ثمان ومأتين بوادى قناة وهو واديسيل من الشجرة الى المدينة وهو غريق الجحفة وله نيف وتسعون سنة «صه» وقال الشيخ فى الفهرست: له كتب، وقال الكشى: اجمعت العصابة على تصحيح مايصح عنه اقروا له بالفقه فى اخرين.

روى الكشى عن حمدويه عن العبيدى عن حمادبن عيسى: قال: دخلت على ابى الحسن الاول فقلت[1]: جعلت فداك، ادع الله ان يرزقنى داراً و زوجاً و ولداً و خادماً و الحج فى كل سنة فقال: اللهم صل على محمد و ال محمد وارزقه داراً و زوجة و ولداً وخادماً والحج خمسين سنة، فلما[2] شرط خمسين سنة علمت انى لااحج اكثر من خمسين سنة، قدرزقت كل ذلك وحججت ثمان واربعين سنة. فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين ثم خرج بعد حاجاً[3]، فلما صار فى موضع الاحرام دخل يغتسل فجاء الوادى[4]

١ــ فقلت له «كش».

٢ــ قال حماد: فلما «كش».

٣ــ بعد الخمسين حاجا «كش».

٤ــ ودى الشيء: سال، ومنه اشتقاق الوادى لسيلان الماء فيه.

فحمله فغرقه الماء رحمه‌الله.

«عن ربعی بن عبدالله»، بالباء المنقطة تحتها وبعدها العين المهملة ابن عبدالله بن جارود[1] بن ابی سبرة بفتح المهملة و سكون الموحدة ابونعيم بصری ثقة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن عليهما السلام و صحب الفضيل بن يسار و اكثر الاخذ عنه و كان خصيصا به «صه» فی الفهرست: روی عنه ابن ابی عمير و حماد بن عيسى، قال الكشی: قال محمد بن مسعود: سألت ابامحمد عبدالله بن محمد بن خالد الطيالسی عن ربعی بن عبدالله فقال: هو ابن جارود[1] بصری ثقة، «عن رجل عن ابی جعفر عليه السلام قال: الكمال كل الكمال: التفقه فی الدين والصبر علی النائبة و تقدير المعيشة».

الشرح

النائبة هی ماينوب الانسان ای ينزل به من المهمات والحوادث، من ناب عنی فلان ينوب منابا اذا قام مقامی، و انتاب فلان القوم انتيابا اتاهم مرة بعد اخری، والنائبة المصيبة، واحدة نوائب الدهر.

قدر علی الانسان رزقه قدرا مثل قتر و قدر علی عياله قدرا مثل قتر ومعناه ضيق، و قدرت الشیء قدراً من التقدير، والمراد من تقدير المعيشة ههنا اما الضيق والعسرة و اما كون المعيشة علی قدر الكفاية من غير تقتير ولا توسعة كما فی قوله تعالی فی معرض المدح: والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (الفرقان-۶۷)، و لكل منهما وجه فی اكتساب العلم، فالاول من جهة رياضة النفس و تصفية الذهن و ترقيق القلب والثانی من جهة فراغ البال وقلة الاشتغال بامور الدنيا.

تنبيه و تذكير

جعل عليه السلام مجامع الكمالات الانسانية منحصرة فی ثلاثة امور: العلم والصبر وتقدير المعيشة، وذلك لان الخير والكمال بالحقيقة عبارة عن الاحاطة بالمعلومات

۱- الجارود «كش - جش - جامع الرواة».

والتجرد عن الدنيات، و بهما يحصل التخلق باخلاق الله و التشبه بالملائكة المقربين، اما التفقه فى الدين فبه يحصل الاحاطة بالمعلومات.

و اما الصبر فهو عبارة عن ثبات باعث الدين وجنود العقل فى مقابلة باعث الهوى وجنود الشهوة، و ذلك لان التجرد المحض للخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون الخير سجية اهل الشهوة والهوى كالبهائم والشياطين و الرجوع الى الخير بعد الوقوع فى الشر من خواص الادميين.

و الانسان خلق فى ابتداء الصبى ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه الا قوة الشهوة فليس فيه الا جند الهوى كما فى البهائم، ولكن الله فضله و رفع درجته عن درجة البهائم و الشياطين بان وكل له ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه، فاختص بصفتين: احديهما قوة معرفة الله ومعرفة رسوله والعلم باليوم الاخر و هو التفقه فى الدين و الثانية قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة وهى عبارة عن الصبر، اذ به فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات والتحمل للشدائد والنائبات.

واما التقدير فى المعيشة فلان يكون فارغ البال لا يهتم بشىء غير طلب العلم للكمال وقمع الاعداء للارتحال، فالاول[1] هو الكمال بالحقيقة والاخيران هما المطلوبان بالتبع لتوقفه عليهما.

الحديث الخامس
وهو الثامن و الاربعون

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن اسمعيل بن جابر»، الجعفى الكوفى ثقة ممدوح، وما ورد فيه من الذم فقد بينا ضعفه فى كتابنا الكبير وكان من اصحاب الباقر عليه السلام وحديثه اعتمد عليه «صه» قال النجاشى: ثقة ممدوح له اصول رواها عنه صفوان بن يحيى و هو من اصحاب الباقر عليه السلام روى عنهما عليهما السلام ايضا. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: العلماء امناء و الاتقياء حصون و

١ــ اى المعرفة.

الاوصياء سادة. وفی رواية اخرى: العلماء منار و الاتقياء حصون و الاوصياء سادة».

الشرح

اما كون العلماء امناء الله فی ارضه فلانهم حملة لكتابه وحفظة لاسراره و خزنة لحكمته و ليس لغيرهم هذا الشأن حتى يكون اميناً، اذليس من الحمل و الحفظ و الخزانة فی شیء.

و اما كونهم مناراً فی بلاده كما فی الرواية الاخرى فلان بهم يعرف معالم دين الله وسبيل طاعته وطريق رضوانه.

و اما كون الاتقياء حصونا للشريعة فلان بالتقوى يدفع فساد المفسدين. فان مواظبة اهل التقوى و اصحاب الورع على فعل الطاعات وترك المنكرات تؤثر تأثيراً عظيما فی قلوب الناس فلايجترؤن على هتك حرمة الشريعة وهدم حصونها.

واما كون الاوصياء سادة فلانهم اجل العلماء وافضلهم و اعظمهم والعلماء سادات الناس، لانهم فی رتبة الانسانية وحقيقة الادمية وهی العقل والتميز والروية والنطق اعظمهم و اكملهم، و الافضل من الافضل اولى بان يكون افضل و اجل، فالاوصياء عليهم السلام اولى بان يكونوا سادة الخلائق اجمعين سوى النبيين عليهم الصلوة والسلام.

و السادة جمع السيد من ساد قومه يسودهم سيادة و سوددا وسيدودة فهو سيد، وقوم سادة ای جل وعظم عليهم؛ وتقدير سيد فعيل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبائع. و قيل: فعيل، وسوده قومه وهو اسود من فلان ای اجل منه، وهذا سيد قومه اليوم و هو سائد قومه عن قليل.

وفی النهاية: فيه انه جاءه[1] رجل فقال: انت سيد قريش فقال: السيد «الله» ای هو الذی يحق له السيادة، كأنه كره ان يحمد فی وجهه واحب التواضع، ومنه الحديث لما قالوا له: انت سيدنا قال: قولوا بقولكم ای ادعونی نبياً و رسولا كما سمانی الله تعالى ولاتسمونی سيداً كما تسمون رؤسائكم، فانی لست كاحدهم ممن يسودكم فی

۱ــ جاء رجل الى النبی صلى الله عليه و اله. «النهاية»

اسباب الدنيا.

وفي الحديث: اناسيدولدادم ولافخر، قالهاخباراً عما اكرمهالله تعالى من الفضل و السوددو تحدثا بنعمةالله عنده و اعلاماً لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه و لهذا اتبعه بقوله: ولافخر، اى ان هذه الفضيلة التى نلتهاكرامة من الله لم انلها من قبل نفسى ولابلغتها بقوتى فليس لى ان افتخر بها، ومنه كل بنى ادم سيد، فالرجل سيد اهل بيته والمرأة سيدة اهل بيتها، وفيه قال للانصار: قوموا الى سيدكم، يعنى سعدبن عباده، ارادا افضلكم رجلا، وفى رواية: انظروا الى سيدكم، اى مقدمكم.

الحديث السادس
و هوالتاسع و الاربعون

«احمدبن ادريس» ابوعلى الاشعرى القمى كان ثقة فقيهاً فى اصحابنا كثير الحديث صحيح الروايات[1]، «عن محمدبن حسان عن ادريس بن الحسن» مجهول غير مذكور فى كتب الرجال التى رأيناها. «عن ابى اسحق الكندى عن بشير الدهان»، روى عن ابى عبدالله عليه السلام وقيل: يسير بالياء والسين غير المعجمة من اصحاب الكاظم عليه السلام «قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: لاخير فيمن لايتفقه من اصحابنا، يا بشير: ان الرجل منهم اذا لم يستغن بفقهه احتاج اليهم، فاذا احتاج اليهم ادخلوه فى باب ضلالتهم و هولايعلم.

الشرح

لماكانت الفرقة الناجية الفائزة مذهبهم يخالف مذهب العامة وجماهير الفرق فى اكثر الاصول كمادل عليه قول الصادق عليه السلام: حديثنا صعب مستصعب لايحتمله الا ملك مقرب اونبى مرسل اوعبدامتحن الله قلبه للايمان، فلابد للمرء الذى هوشيعى امامى المذهب ان يكون متفقها عارفاً باصول هذا المذهب، عالما بمأخذه وقواعده ليكون

١ــ كثير الرواية «جش ــ جامع الرواة».

على بصيرة في دينه، متخلقاً باخلاق الائمة عليهم السلام، ناهجاً منهجهم سالكاً طريقهم، و الا لكان اما متحيراً في دينه لما رأى من مخالفته لمذاهب الجمهور المنتسبين الى العلم و الفضيلة او داخلا في ضلال اهل الاهواء مفتوناً بطريقة علماء الدنيا الراغبين الى طلب الجاه و الرئاسة الضالين المضلين للخلق.

لانهم ليسوا من دين الله ومعرفته ومعرفة الاخرة في شيء ولاخبر لهم من مفسدات الاعمال ومشوشات القلوب ومكدراتها ومبعدات النفوس عن الله والدار الاخرة، لاغترارهم بمجرد حفظ الاقوال و نقل الاخبار و الروايات وضبط اسامي الرجال، فوجب ان لايكون المنتحل بهذا المذهب عاميا مقلداً من غير بصيرة، بل عارفا فقيهاً متديناً صالحاً ورعاً معرضاً عن الخلق مؤثراً للخلوة مع الله بالمناجاة والفكر والصمت.

عن محمد بن احمد بن ابى نصر البزنطي قال: قال ابو الحسن عليه السلام: من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت.

الحديث السابع
و هو الخمسون

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن ابى عبدالله عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: لاخير في العيش الا لرجلين: عالم مطاع[1] ومستمع واع».

الشرح

العيش الحيوة والمراد عيش الاخرة وهي العيشة الراضية، وقدسبق في الكلام ان حيوة الاخرة لاتحصل الابالعلم، بل الحيوة الاخروية نفس قوة العلم و الادراك و اليه الاشارة بقوله تعالى: اومن كان ميتاً فاحييناه(الانعام ـ ١٢٢)، و اما العمل الصالح فانما يطلب لكونه وسيلة الى العلم والمعرفة.

١ـ او (الكافي).

و اذا تقرر هذا فنقول: الناس على اربعة اقسام: لانه اما جاهل او غير جاهل، و الثانى اما عالم بالفعل اوبالقوة وهو المستمع، و الاول اما جاحد للعلم اوغير جاحد.

و اذا كانت حيوة الاخرة وعيشها بالعلم فالقسمان الاولان[1] من اهل العيشة الراضية والنعمة الباقية الا انها للاول بالذات وللثانى بالتبعية، لان الاول منته الى الغاية و الثانى فى سبيل الهداية. و اما الاخيران فالثالث[2] من اهل النقمة و العذاب والمعيشة الضنك والرابع[3] فى مشية الله تعالى او فى الرحمة الواسعة.

الحديث الثامن
و هو الحادى والخمسون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير. ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن ابى عمير عن سيف بن عميرة عن ابى حمزة عن ابى جعفر عليه السلام قال: عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد».

الشرح

قد علمت ان العقل وهو الصورة المفارقة عن المواد و التغيرات والنقائص و الاعدام و الشرور اقرب المجعولات اليه تعالى و اكرم المفطورات لديه، و الانسان فى اول النشأة عقل بالقوة جسمانى بالفعل، ومن شأنه ان يخرج من القوة الى الفعل و من الظلمة الى النور فيصير عقلا بالفعل بعد ماكان عقلا بالقوة نفساً بالفعل، وانما الشىء الذى به يصير جوهراً نورانياً عقليا بالفعل هو العلم، اعنى الملكة الراسخة الحاصلة للنفس الانسانية عقيب تكرر الادراكات و الانظار العقلية وتكثر التأملات و الافكار العلمية.

١ـ اى العالم بالفعل او بالقوة.

٢ـ اى الجاحد.

٣ـ اى غير جاحد.

و اذا حصلت تلك الملكة النورية فى قلب المؤمن بالفيض الربانى يحصل له بصيرة عقلية يتراء ى له حقائق الاشياء كماهى فيراها رؤية عقلية، كمايرى صور الاشياء الحسية ببصره الحسى وهو نور يفيض على العين الصحيحة باشراق الشمس عليها.

فتلك الملكة العلمية اصل كل سعادة وخيرودفع كل شقاوة وشر، و هوغاية كل سعى وحركة ونهاية كل عمل وطاعة، فاى فضيلة و منقبة افضل و اشرف ممايجعل به الحيوان البشرى ملكاً مقرباً والجوهر الظلمانى نوراً عقلياً و الاعمى بصيرا والضال مهدياً هادياً والسفلى علويا والمسجون فى سجين صائراً فى عليين؟

فالعلم هو الاكسير الكبير اذبه يصير القلب الاسود الكاسد نقداً رائجاً فى سوق الاخرة والحديد القاسى الجامد درة بيضاء بل كوكباً درياً يستضىء بنوره اهل الارض و السماء، و هوالدرياق الفاروق الذى بهيفرق بين الحق والباطل وبه يميز الخبيث من الطيب، وهوالنور الذى يحيى بهالاموات ويسعى بين ايدى المؤمنين و بايمانهم يوم جزاء الحسنات و السيئات و هوالقوة التى يقع بها الطيران الى عالم العرش فوق السموات، و اية نسبة فى الفضل و الشرف بينه وبين الاعمال و الحركات و آداب الجوارح فى الطاعات؟

ونسبة العلم الى العمل كنسبة القلب الى القالب و الروح الى الاعضاء، فحق ان عالماً ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد، وهذه النسبة ايضاً اى نسبة سبعين الف الى الواحد انما يكون محققة لاجل مافى العبادة من رائحة العلم، اذالنية معتبرة فيها والنية ضرب من المعرفة و الا فلانسبة بين العلم بلانية.

الحديث التاسع
و هوالثانى و الخمسون

«الحسين بن محمد عن احمدبن اسحق» المسمى باحمدبن اسحق رجلان اثنان كلاهما ثقتان احمدهما الرازى من اصحاب الهادى عليه السلام ثقه اورد الكشى مايدل على اختصاصه بالجهة المقدسة «صه».

حكى بعض الثقات بنيسابور انه خرج لاسحق بن اسمعيل من ابى محمد عليه‌السلام[1] توقيع: يا اسحق‌بن اسمعيل: الى‌ان قال: فليئود حقوقنا الى ابراهيم و ليحمل ذلك ابراهيم‌بن عبدة الى‌الرازى رضى‌الله عنة اوالى‌من يسمى‌له الرازى فان ذلك عن امرى و رأيى انشاءالله. انتهى. وقداورد من ذلك فى ابن اسحق القمى و يحتمل الاتحاد.

و الثانى القمى و هواحمدبن اسحق‌بن عبدالله‌بن سعدبن مالك‌بن الاحوص الاشعرى و كان‌وافد القميين روى عن‌الجواد والهادى عليهماالسلام و كان خاصة[2] ابى‌محمد عليه‌السلام و رأى صاحب‌الزمان عليه‌السلام و هوشيخ القميين وكان صالحاً ثقة «صه».

و روى الكشى عن ابى محمد الرازى قال: كنت انا و احمدبن ابى عبدالله بالعسكر فورد علينا رسول من‌الرجل فقال لنا: الغائب العليل ثقة و ايوب‌بن نوح و ابراهيم‌بن محمد الهمدانى واحمدبن حمزة واحمدبن اسحق ثقات جميعا.

وقال الشيخ فى‌كتاب الغيبة: وقدكان فى زمان السفراء المحمودين اقوام‌ثقات ترد عليهم التوقيعات من‌قبل المنسوبين[3] للسفارة من الاصل ثم قال: ومنهم احمد بن اسحق وجماعة خرج التوقيع فى‌مدحهم. روى احمدبن ادريس عن محمدبن احمد عن محمدبن‌عيسى عن‌ابى‌محمد الرازى قال: كنت واحمدبن ابى‌عبدالله بالعسكرفورد علينا رسول‌من قبل‌الرجل‌فقال: احمدبن اسحق الاشعرى وابراهيم‌بن اسحق‌الاشعرى[4] و ابراهيم‌بن محمد الهمدانى و احمدبن حمزة اليسع ثقات.

و فى ربيع الشيعة: انه من الوكلاء و انه من‌السفراء و الابواب المعروفين

١ــ حكى بعض ثقات نيشابور انه خرج لاسحق بن اسمعيل بن ابى‌محمد عليه‌السلام «جامع‌الرواة».

٢ــ من خاصة «جامع‌الرواة».

٣ــ المنصوبين «الغيبة».

٤ــ ابراهيم‌بن اسحق الاشعرى ليس اسمه فى‌كتابين الغيبة و جامع‌الرواة.

الذین لایختلف الشیعة القائلون بامامة الحسن بن علی علیهما السلام فیهم. و الظاهر ان المذکور ههنا هو الاول لکونه رازیا کالکلینی رحمهما الله، واحتمال الاتحاد ایضاً قوی کمامر. «عن سعدان بن مسلم»، اسمه عبدالرحمن کوفی من اصحاب الصادق علیه السلام قال النجاشی: ابو الحسن العامری مولی ابی العلاکرز بن جعید العامری من عامر ربیعة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام و عمر عمراً طویلا و قال الشیخ فی الفهرست: له اصل روی عنه محمد بن عذافر وصفوان ابن یحیی و العباس بن معروف وعبدالله بن الصلت القمی واحمد بن اسحق انتهی: «عن معویة بن عمار»، بن ابی معویة خباب بن عبدالله الدهنی مولاهم کوفی، و دهن بضم الدال و اسکان العین من بجلیة هو دهن بن معویة بن مسلم بن اخمس بن العوث بن انمار، کان وجها فی اصحابنا و مقدما کبیر الشأن عظیم المحل ثقة، وکان ابوه عمار ثقة فی العامة وجها یکنی ابا معویة، روی معویة عن ابی عبدالله و ابی الحسن موسی علیهما السلام ومات سنة خمس و سبعین و مائة «صه».

قال الکشی: انه کان یبیع السابری[1] وعاش مائة وخمسا وسبعین سنة، و قال علی بن احمد العقیقی: لم یکن معویة بن عمار عند اصحابنا بمستقیم کان ضعیف العقل مأموناً فی حدیثه وقال النجاشی: یکنی ابا معویة و ابا القاسم و ابا حکیم وکان له من الولد القاسم وحکیم ومحمد وقال فی الفهرست: له کتب روی عنه ابن ابی عمیر و محمد بن سکین وصفوان بن یحیی. «قال قلت لابی عبدالله علیه السلام: رجل راویة لحدیثکم یبث ذلک فی الناس ویشدده فی قلوبهم وقلوب شیعتکم، ولعل عابداً من شیعتکم لیست له هذه الروایة ایهما افضل؟ قال: الراویة لحدیثنا یشدبه قلوب شیعتنا افضل من الف عابد».

الشرح

التاء فی الراویة للمبالغة کما فی العلامة والنسابة معناه کثیر الروایة. وبث الحدیث

۱ــ هو ضرب من الثیاب الرقاق تعمل بسابور موضع بفارس.

نشره و اظهاره وفی حدیث ام زرع، زوجی لاابث خبره، ای لا انشره لقبح اثاره.

وبث الخبر و اثبه بمعنی وابثثتك سری اظهرته لك، وبثثت الخبر شدد للمبالغة وفیه ایضا لاتبثث حدیثنا تبثیثاً. والشدة القوة، وشد عضده ای قواه وشده ای اوثقه فقوله: ویشده فی قلوبهم ای یؤکد حدیثکم ویقویه فی قلوب العامة، وقوله: یشدبه قلوب شیعتنا ای یقوی بسبب بث الحدیث عقیدة قلوبهم ویزداد ایمانهم ومحبتهم لنا اهل البیت.

فان قلت الوارد فی الحدیث السابق: ان العالم المنتفع بعلمه افضل من سبعین الف عابد و فی هذا الحدیث: ان الراویة للحدیث افضل من الف عابد فما وجه التوفیق بینهما؟ حیث ان مرتبة الثانی فی الفضل جزء من سبعین جزء من مرتبة الاول فیه.

قلنا: له وجهان: احدهما ان الراوی للحدیث لایعتبر فی مفهومه ومعناه الاضبط الفاظ الحدیث ونقلها اوهما مع فهم مدلولاتها اللغویة، ولایعتبر فیه ان یکون له علم بحقائق معانیها اوله قوة الفکر والروية فی استنباط معانیها العقلیة. فلیس کل حامل حدیث عالماً بما فیه، فلیست رتبة الراوی والمحدث و ان حفظ جمیع الاحادیث کرتبة العالم و الفقیه، ومع ذلك لایبعد ان یکون افضل من العابد بالف درجة، لان روایة الراوی وسیلة لحصول العلم و استفادة المعرفة و الیقین بخلاف عبادة العابد فانها لایتعدی خیریتها، ولو تعدت لم یتعد بان یصیر وسیلة الی حصول علم ومعرفة، فشتان مابین الوسیلتین: وسیلة العلم ووسیلة العمل کمابین اصلیهما.

وثانیهما: ان یکون المراد من الالف اوسبعین الف مجرد الکثرة اللامعدودة و العدد اللامحصور، لاخصوصیة المرتبة کماهو المتعارف بین الناس فی بیان التفاضل الفاحش بین شیئین، والله اعلم.

باب اصناف الناس

و هو الباب الرابع، و فیه اربعة احادیث

الحدیث الاول

وهو الثالث والخمسون

«علی بن محمد عن سهل بن زیاد ومحمدبن یحیی عن احمدبن محمدبن عیسی جمیعا عن ابن محبوب عن ابی اسامة» هو زید الشحام بن یونس و قیل: بن موسی و قال زین المتأخرین فی حاشیة «صه» جعل ابن داود ابن موسی غیر ابـن یونس و انه واقفی وسیأتی فی قسم الضعفاء ماینا سبه. انتهی. وهو ابو اسامة مولی شدید بن عبدالرحمن بن نعیم الازدی الغامدی الکوفی روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام ثقة عین «صه» «عن هشام بن سالم» غیر معروف ولامذکور فی کتب الرجال، «عن ابی حمزة عن ابی اسحق السبیعی عمن حدثه ممن یثق[1] به قال: سمعت امیر المؤمنین علیه السلام یقول: ان الناس الوا بعد رسول الله صلی الله علیه واله الـی ثلاثة: الوا الی عالم علی هدی من الله، قد اغناه الله بما علم غیره، وجاهل مدع للعلم لاعلم له معجب بما عنده، و قـد فتنته الدنیا وفتن غیره، ومتعلم من عالم علی سبیل هدی من الله و نجاة ثم هلك من ادعی و خاب من افتری».

الشرح

قوله علیه السلام: الوا بفتح اللام من ال الشیء یؤل الی کذا ای رجع و صار الیه، وفیه[2]: من صام الدهـر فلاصام ولا ال، ای لارجع الی خیر، والاول الرجـوع، و قدمر معنی ال البنی صلی الله علیه واله و هم بالحقیقة الذین الوا الیه فی طریق الهدایة ومنهج الحق و الیقین.

الفتنة فی الاصل الامتحان و الاختبار، و افتتن الرجل وفتن فتونا فهو مفتون اذا

۱ـ یوثق (الکافی).

۲ـ ای فی الحدیث.

اصابته فتنة فذهب ماله وعقله و كذلك اذا اختبر، والفاتن المضل عن الحق، والفتان بالضم جمع الفاتن وبالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين، وفتان من صيغ المبالغة فى الفتنة: وقد كثرت فى الحديث الاستعاذة من فتنة القبر و فتنة الدجال وفتنة المحيا و الممات و غير ذلك.

وقوله عليه السلام: وقد فتنته الدنيا وفتن غيره، اى قد اضلته الدنيا و اوقعته فى فتنة الجاه والمال وحب الرياسة و هو اضل غيره و اوقعهم فيما وقع فيه من المهالك لاستحسانهم ما رأوا منه بسبب اشتهاره بالعلم الظاهر مع افلاس باطنه عن حقيقة العلم و الحال.

ومعنى الحديث: ان الناس كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه واله على قسمين: اما علماء هادين و اما متعلمين مهتدين لاثالث لهم، فصاروا بعد رسول الله الى ثلاثة اقسام:

احدها عالم على هدى من الله وبينة من ربه اخذ علمه من الله على وجه الالهام فى القلب و الالقاء فى الروع، لاجرم قد اغناه الله بعلمه الفائض من لدنه من علم غيره.

و ثانيها جاهل القلب مغرور ممكور مدع للعلم لاجل حفظه للاقوال و حمله للاسفار اووقوعه فى صحبة المشايخ و الرجال، والحال انه جاهل لاعلم له، وقلبه اعمى لابصيرة له، معجب بما عنده من ظواهر الاقوال وصور الاحاديث او المجادلات الكلامية و المغالطات الفلسفية او الخيالات و التمويهات التصوفية او الخطابات الشعرية التى يجلب بها نفوس العوام وسائر ما اغترت به علماء الدنيا الراغبون فى المال والجاه و الصيت والشهرة، فهو من الذين غرتهم الحيوة الدنيا عن الاخرة.

والذين نسوا الله فانساهم انفسهم (الحشر-١٩)، و الذين: يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم... فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً (البقره ٩ و١٠)، والذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً والذين: ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف -١٠٤) والذين: جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (غافر-٨٣)، الى غير ذلك من ذمائم الاخلاق و

الاحوال المذكورة عنهم فى القران.

و ثالثها طالب العلم متعلم ممن علمه الله، فهو و ان لم يكن بالفعل على هدى، لكنه واقع على سبيل الهدى والنجاة من العذاب، كما ان العالم على هدى من الله وفضل و رحمة. والحاصل ان الاقسام الثلاثة احدها واصل الى المطلوب والثانى معرض عنه منحرف عن سمته والثالث سالك اليه واقع فى طريقه.

فان قلت: ههنا قسم رابع كما ذكرته فيما سبق، وهو الجاهل الغافل الذى ليس بمتعلم ولا ضال.

قلنا: الكلام فيمن ليس من اهل الضرر والزمانة والنقيصة، بل فيمن كانت له قوة الارتقاء الى ملكوت السماء ولان قوله عليه السلام: ان الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه و اله، يدل على ان الكلام فيمن كان من الصحابة الذين ادركوا الخدمة والصحبة و شاهدوا الوحى و رأوا الايات والمعجزات، و مثلهم لايخلو عما يتزين به الانسان او يفتخر به على الاقران اما بحق او شبهة حق.

ثم قال عليه السلام بعد ما ذكر الاقسام: هلك من ادعى وخاب من افترى، وانما هلك المدعى للعلم و خاب المفترى على الله، لان الحيوة الاخروية والبقاء السرمدى انما يحصل بالعلم بالله واليوم الاخر و هو الايمان الحقيقى، فالعالم بالفعل حى بتلك الحيوة و انما يمنعه التحقق بها والالتذاذ بمشتهياتها الاحتجاب بهذا البدن و هذه الحيوة الطبيعية، والمتعلم ايضاً حى بالقوة اذفيه استعداد الوصول الى تلك الحيوة و هو على سبيلها.

واما المدعى للعلم مع جهله المشفوع بالغرور والاستكبار المقرون بالاستنكاف عن التعلم مع اللجاج والعناد والفرح بما عنده من شبه العلم فقد ابطل استعداده و ضل عن طريق معاده فهو من الهالكين فى المآل اذ بطلت قوته فى الحال، و انما خاب و خسر لانه قد فسدت مرآة قلبه لما ارتكمت عليها من القساوات والظلمات و عميت بصيرته بالغشاوات والكدورات كقوله تعالى: بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون (المطففين ـ ١٤)، فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون (المنافقون ـ ٣)، كلا انهم عن

ربهم يؤمئذ لمحجوبون (المطففين ـ ١٥).

تبصرة و تذكرة

اعلم ان اكثر هؤلاء غروراً و عجبا جماعة اقتصروا على علم الفتاوى والاحكام و حفظ مسائل الحلال والحرام، و زعموا انه علم الدين و علم كتاب الله و سنة سيد المرسلين و تركوا علم طريق الاخرة و مجاهدة النفس و تهذيب الباطن عن ذمائم الاخلاق ونهى النفس عن الهوى و تطهير القلب بالزهد والتقوى عن ارجاس الشهوات و ادناس الخطيئات و رفضوا بالكلية طريق المعرفة والفقه عن الله بادراك عظمته وجلالته و توحيده و تقديسه و ان منه البدء والانشاء و اليه العود والرجعى.

و هو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع و به يقع الاطلاع على حقارة الدنيا و دثورها و فنائها و عظمة الاخرة و دوامها و بقائها و به يحصل الوقوف والعثور على حقيقة البعث والنشور، و ذلك من اغمض المعارف و ادق العلوم واكثر الخلق منه غافلون بل عنه معرضون، قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون (ص-٦٧و٦٨).

وكثير من القائلين بالبعث على توهمات سخيفة و تخيلات فاسدة او مبهمة، و غاية ما تخيلوا: ان الموت عدم والبعث ايجاد مقيد بانه بعد عدم مثل الايجاد الاول، والجميع ضلال و اضلال و غلط و وبال.

فاما ظنهم ان الموت عدم فهو باطل، بل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. و ان القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، والميت اما سعيد او شقى، اما السعداء فاولئك ليسوا امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله (العمران ـ ١٦٩ و ١٧٠)، واما الاشقياء فهم ايضا احياء بضرب اخر من الحيوة، و لذلك ناداهم الرسول صلى الله عليه و اله فى واقعة بدر، ثم لما قال له عمر: انهم موتى لايسمعون قال: ما انتم لما اقوله باسمع منهم لكنهم لايقدرون على الجواب، و قال تعالى: النار يعرضون عليها غدواً و عيشاً و يوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب (غافر ـ ٤٦).

و اما ظنهم ان البعث ليس الاايجاداً ثانيا وهومثل الايجاد الاول فهو ايضا غير صحيح، بل البعث انشاء اخر لايناسب الانشاء الاول اصلا، بل للانسان نشآت كثيرة ولوجوده شئونات وتقلبات وحركات جوهرية ذاتية من نشأة الى نشأة وطور الى طور بعد نشأة الدنيا فى القبر و البرزخ و الحشر والعرض الى ان يشاءالله، كماله نشآت فى اطوار الخلقة الى ان انشأه الله خلقا اخر و هو احسن اطوار الخلقة الدنياوية، ولهذا عقب ذكره بقوله سبحانه: فتبارك الله احسن الخالقين (المؤمنون ـ۱۴)، وقال تعالى: و قد خلقكم اطواراً (نوح ـ۱۴).

ثم ظهور خاصية الولاية لمن ترزق له نشأة اخرى ثم ظهور نشأة النبوة طور اخر، والله باعث الرسل عليهم السلام كما انه باعث يوم القيامة وكمايعسر على ابن المهد فهم حقيقة التمييز، وماينكشف فى طور العقل من العجائب بعسر فهمه على المميز قبل حصول العقل، فكذلك يعسر فهم طور الولاية و النبوة فى طور العقل الذى عليه اكثر الناس، وكما ان من طباع الناس انكار مالم يبلغوه و لم ينالوه فمن طباعهم ايضا انكار الولاية وعجائبها و النبوة و غرائبها، بل من طباعهم انكار النشأة الثانية و الحيوة الاخرة و هوحيوة العلم وشهود الملكوت، لان نشأة الولاية و النبوة ايضا من ظهور سلطان الاخرة، فمن انكرحقيقة الاخرة فقد انكرهما لامحالة ولم يعرف النبى بماهو نبى و الولى بماهو ولى.

ولاشك ان هؤلاء المغترين بصورة العلم المشعوفين بما عندهم من العلم منكرون لهذه النشآت، اذلاخبر لهم عن العلوم التى هى بالحقيقة علوم وعن المعارف التى اشرنا اليها، فلاجرم اعرضوا عنها وجحدوها استكباراً وعتواً وقالوا مثل ماقال الاولون، واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (الاحقاف ـ ۱۱)، و اكثرهم على طباع السباع و الاساود[1]، خلقهم الايذاء وطبعهم التفاخر و الاستيلاء على الاقران والتطاول على الناس ولايقصدون العلم الا لضرورة مايلزمهم من المباهاة.

۱ـ اى: الحيات، جمع اسود ـ الاوساد جمع الجمع ـ قال الاعشى:

تناهيتم عنا وقدكان فيكم اساود صرعى لم يسود قتيلها «يعنى بالاوساد شخوص القتلى».

فكل علم لايحصل به المباهاة و التظاهر و التفاخر فلاوقع له عندهم كعلم القلب وعلم سلوك الاخرة ومحو الصفات المذمومة و تبديلها بالمحمودة بل انهم يستحقرونه ويسمونه التزويق[1] والتخييل.

و انما التحقيق عندهم اما معرفة المجادلات الكلامية فى المذاهب و تفاصيل العربدة والنزاع بين ارباب المذاهب واصحاب الدعاوى والخصومات اومعرفة الفروع الخلافية والترجيحات فى قوانين حفظ الابدان والانساب والاموال ، فحفظ الاموال بشروط المعاملات و حفظ الانساب بشروط المناكحات و حفظ الابدان بدفع القتل والجراحات، ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب (البقرة ـ ١٧٩)، وان المال الة وعلف للدابة الماشية فى طريق الله والبدن مركب والنفس راكبة عليه فى الذهاب الى الله كما قال المسيح النورانى على نبينا و آله وعليه السلام.

و زاد الاخرة العلم و التقوى، و انما العلم المهم هو معرفة النفس وحفظها عن المهلكات و المؤذيات ومعرفة زادها وطريقها الى الله و استقامتها على الصراط و معرفة قواطعها وعقباتها التى هى الصفات المذمومة وهى الحجب بينها وبين الله، فاذا مات العبد ملوثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن ربه، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (المطففين ـ ١٥) ومن احتجب عن ربه كان فى عذاب الجحيم، ثم انهم لصالوا الجحيم (المطففين ـ ١٦)، بل كل ميسر لما خلق له، ولاينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم (هود ـ ٣٤)، والله يقول الحق و هو يهدى السبيل (الاحزاب ـ ٤).

الحديث الثانى
و هوالرابع و الخمسون

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد عن الحسن بن على الوشاء عن احمد بن عائذ»، بالذال المعجمة ابو حبيب الاحمسى بالسين الغير المعجمة البجلى مولى

١ـ اى التزيين.

ثقة كان صحب اباخديجة سالم بن مكرم و اخذ عنه و عرف به و كان حلالا[1] «صه» قال الكشي: قال محمدبن مسعود: سألت ابا الحسن علي بن الحسن بن فضال عن احمدبن عائذ كيف هو فقال: صالح كان يسكن بغداد. و انا لم القه.

وفي كتاب الفاضل الاسترابادي: احمدبن عائذبن عائذبن حبيب، فابوحبيب كما في «صه» سهو من اصحاب الصادق عليه السلام: انتهى. «عن ابي خديجة» اسمه «سالم بن مكرم» بن عبدالله ويقال ابوسلمة الكناسي، يقال صاحب الغنم، مولى بني اسد الجمال، يقال كنيته كانت ابا خديجة و ان ابا عبدالله سماه ابا سلمة، ثقة ثقة روى عن ابي عبدالله و ابي الحسن عليهما السلام، له كتاب روى الحسن بن علي الوشاء عنه قاله النجاشي. و سيأتي تتمة شرح احواله عند اسم سالم بن مكرم «عن ابي عبدالله عليه السلام قال: الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء».

الشرح

الغثاء بالغين المعجمة المضمومة و الثاء المثلثة و الالف الممدودة ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ.

و جاء في كتاب مسلم: كما تنبت الغثائة، يريد به ما احتمله السيل من البزورات. وفي حديث القيامة: كما تنبت الحبة في غثاء السيل، وقد تكرر في الحديث اريد اراذل الناس و سقطهم.

والوجه في حصر اصناف الناس في هذه الثلاثة: ان لكل نوع من انواع الموجودات الطبيعية، غاية لاجلها خلقت وبها تمامه و كماله، و غاية خلقة الانسان ان يستكمل بالعلم والطاعة ويحيى حيوة ثانية هي حيوة العلم والعرفان وبها يستحق النعيم الدائم والسعادة الابدية.

فالناس اما واصلون الى هذه الغاية وهم العلماء، اي الذين خرجت نفوسهم من القوة الى الفعل في باب العقل والمعقول لا في باب الادراكات الخيالية او الوهمية و

١ـ الحل: دهن السمسم. والحلال بياع الشيرج وهو دهن السمسم.

سائر مايعده الجمهور علماً و فضيلة.

واما فی طريق الوصول و سبيل الهدى، وهم المتعلمون الذين اشتغلوا باكتساب العلوم الحقيقية التی يصير النفس بها عقلا وعاقلا بالفعل.

والقسم الباقی هو الذی ليس بواصل الی ماخلق لاجله ولا فی طريق الوصول اليه، فهو من الهالكين اذبطل معاده وفسد استعداده، وانما استعير لاسمه الغثاء لمشاركته معها فی بطلان الصورة، وفساد القوة التی تحرك المادة الی صورة اخری فوقها هی غاية الاولی وكمالها، كما فی سائر الطبائع التی هی متوجهة بالفطرة التی فطرها الله عليها الی ماهو اشرف منها و اقرب الی جهة الاخرة و دارالبقاء والقرار.

اذ الموجودات كلها علی مراتبها و منازلها فی القرب والبعد من الحق تعالی، متوجهة نحوه سائرة اليه تعالی مادامت علی صورتها وفطرتها الاصلية. لكن اذافسدت او انسلخت عن صورتها بعروض عارض مفسد كالغثاء ونحوها من المواد المتعفنة و الصور العاطلة الضائعة، وقفت عن طلب غايتها وتعطلت عن سيرها.

قال تعالی: ولكل وجهة هومولیها فاستبقوا الخيرات (البقرة ـ ١٤٨)، الاترى المعادن يستحيل الی اجسام النبات والنبات يستحيل الی اجسام الحيوان؟ و اشرف الحيوانات هوالانسان، فصورة النبات صراط ممدود وقد جاوزتها النفس الحيوانية ونجت منها، مامن دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربی علی صراط مستقيم (هود ـ ٥٦) وصورة الحيوان صراط ممدود وقد جاوزتها النفس الانسانية ونجت منها، و صورة الانسان صراط مستقيم بين النار والجنة واقع علی متن جهنم التی قال تعالی فی شأنها: و ان منكم الاواردها كان علی ربك حتماً مقضيا ثم ننجی الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا (مريم ٧١ و ٧٢). وهذه الصورة اخر باب فی جهنم، فای نفس جازتها نجت من جهنم و دخلت الجنة التی فيها الصور الخالصة الطاهرة كصور الملائكة و الروحانيين، و الاردت الی اسفل سافلين كما قال تعالی: لقد خلقنا الانسان فی احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين (التين ـ ٤ و ٥)... الاية.

فالعلماء الربانيون هم الذين جاوزوا هذه الصراطات و الحجب، و وصلوا

بحسب المرتبة والمقام الى النعيم المقيم.

و اما المتعلمون منهم المقتدون بهم فهم فى سمتهم سالكون سنتهم سائرون و على اثارهم مقتفون. فان وصلوا الى الغاية وفازوا بالبلوغ الى النهاية فذاك والافاجرهم على الله، ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله (النساء ـ ١٠٠)، فهؤلاء الاتباع حشرهم مع اولئك الاخيار.

و اما القسم الثالث فان لم يكن جهلهم مقروناً بالعناد و الاستكبار، فهم فى رحمة الله الواسعة والافحالهم كما افصح الله عنه بقوله: والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون (الانفال ـ ٣٦ و ٣٧).

و احسن من هذا البيان و اوضح واصرح من هذا القران النازل من عند الله الرحمن لايكون ولاكان، ولكن الجاهل المغرور ربما عنده من القشور عسوف[1] والمحمود على صورة ما فى يده من العلم مشعوف، لظنه ان العلم الممدوح المشكور عند الله و رسله هو الذى اخذه من افواه الرجال، ويحفظ به الابدان و الانساب و الاموال، و ينتظم به هذه الحيوة بدفع الجراح و القتال، و انه الموجب للشهرة والجاه و التسلط على الاقران والاشباه. ومن يضلل الله فلاهادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون. (الاعراف ـ ١٨٦).

الحديث الثالث
وهو الخامس والخمسون

«محمد بن يحيى عن عبدالله بن محمد» كأنه عبدالله بن محمد بن حصين الحصنينى[2] بالحاء المهملة والنون قبل الياء وبعدها الاهوازى روى عن الرضا عليه السلام ثقة ثقة، جرت الخدمة على يده للرضا عليه السلام، اوعبدالله بن محمد بن خالد بن عمر الطيالسى

١ـ العسف اى الاخذ على غير الطريق. العسوف: الظلوم.

٢ـ حضين الحضينى و قيل: الحصينى العبدى من الاهواز «جامع الرواة».

ابوالعباس وهوايضا ثقة كما فى «صه» «عن علی بن الحكم» من اهل الانبار، قال الكشى: عن حمدويه عن محمدبن عيسى ان علی بن الحكم: هوابن اخت داودبن النعمان بياع الانماط[1] وهونسيب[2] بنى الـزبير الصيارفة، وعلی بن الحكم تلميذ ابن ابی عمير ولقی من اصحاب ابی عبدالله عليه السلام مثل[3] ابن فضال و ابن بكير «عن علاءبن رزين عن محمدبن مسلم عن ابی حمزة الثمالی قال: قال لی ابوعبدالله عليه السلام: اغد عالماً او متعلما اواحب اهل العلم، ولاتكن رابعا فتهلك ببغضهم».

الشرح

اغد صيغة امرمن الغدو بالضم وهوسير اول النهار نقيض الرواح، و قدغدايغدو غدواً والغدوة ايضاً مابين صلوة الغداة وطلوع الشمس، و قد تكرر فی الحديث اسماً وفعلا و اسم فاعل وغيره، و المراد ههنا مطلق الصيرورة.

ای اصبح عالما اومتعلماً اوكن محبا لاهـل العلم و لاتكن قسماً رابعاً ای غير عالم ولامتعلم ولامحب لهما فتكون من الهالكين ای المعذبين بنارالجحيم.

وقوله عليه السلام: فتهلك ببغضهم، ای بسبب عـداوتك وحسدك لهم باضـافة المصدرالی المفعول، وفيه اشعاربان المنقسم الی هذه الاقسام ما سوى النفوس الناقصة الساذجة عن الدواعی النفسانية و الاغراض و الامراض الباطنية.

و فی بعض النسخ بالعين المهملة و على تقديـره كان فيه مضاف محذوف، ای بعداوة بعض هذه الثلاثة اوحسده، وتربيع الاقسام فی هذا الحديث لاينافی تثليثها كما فی الحديث السابق، فان القسمين الاخرين ههناداخلان فی القسم الثالث الـذی هناك كما وقعت الاشارة اليه.

١ــ النمط ضرب من البسط والجمع انماط.

٢ــ وهو ينسب الی «ج.كش».

٣ــ ابی عبدالله (ع) الكثير، وهو مثل «كش».

الحديث الرابع
و هو السادس و الخمسون

«علی بن ابـراهيم عن محمدبن عيسى عن يونس عن جميل عن ابـی عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول يغدو الناس على ثلاثة اصناف عالم و متعلم و غثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون و سائر الناس غثاء».

الشرح

اعلم يا حبيبی ايدك الله: انه يستفاد من هذا الحديث امور قد اكثرنا ذكـرها و كررنا بيانها عند اصحابنا المعاصرين و استبعد عند اكثرهم بل كلهم ما ادعيناه كسائر ماتفردنا بتحقيقه.

منها: ان المراد من العلم الممدوح عندالله ليس مـا اصطلح عليه الجمهور، و سموه فقهاً و اعتقدوا الماهر فيه من علماء الـدين، فان اختصاص العلم بهم عليه السلام ومن يتلوهم من الاولياء الكاملين والعلماء الراسخين كما فی هذا الحديث نص على ان المراد به، العلم الالهی والحكمة الدينية المشار اليها فی القرآن الحكيم فی مثل قوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ۴)، وقوله: و من يـؤت الحكمة فقد اوتی خيرا كثيراً (البقرة ـ ۲۶۹)، وقوله: فسوف يأتی الله بقوم يحبهم و يحبونه (المائدة ـ ۵۴)، ومحبة العبدلله تعالى فرع عرفانه بالله. وظاهر ايضا ان المحبوبين له تعالى لايكونون الا العلماء الربانيين.

ومنها: ان المراد من شيعة علی واولاده عليه وعليهم السلام ليس مجرد المحب لهم بقلبه ولسانه، من غير ان يعرف بماهم عليه من خصائص العلوم الباطنة، والاسرار الغامضة التی هم عليه دون علماء الرسوم، فانهم[1] اهل التأويل والراسخون فـی العلم بخلاف علماء الدنيا الذين هم حملة اسفار ونقلة اخباروهم المصطلح عليهم عنداولئك المصطفين الاخيار بالعامة، اذ المرادبهم المقتصرون على الظواهر الشرعية المترسمون

۱ـ ای علماء الباطن.

بالعلم، من غير بصيرة قلبية و روية عقلية من اية فرقة كانوا من فرق الاسلام.

ويؤيدهذا ما ذكره الشيخ العارف المحقق عبدالرزاق القاسانى فى كتابه المسمى باصطلاحات الصوفية: العامة هم الذين اقتصرت علومهم[1] على الشريعة ويسمى علماؤهم علماء الرسوم.

ومنها: ان الايمان عبارة عن معرفة الله ومعرفة الملائكة و الكتب والرسل و الائمة ومعرفة اليوم الاخر و يندرج فيها معرفة النفس و درجاتها و احوالها و منازلها فى القيامة، والعلم بالقبر و البعث و الحشر و الحساب و الميزان وتطائر الكتب وغير ذلك. وهذه مرتبة عظيمة فوق الاسلام الذى يقع به حقن النفوس و الاموال، وصحة العقود و المناكحات و المعاملات، ولذلك قال تعالى: وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (يوسف ـ ١٠٣) وقال: قالت الاعراب امنا... (الحجرات ـ ١٤) الاية، و يدل عليه ايضاً ماورد من الاحاديث فى فضل المؤمن وعظيم منزلته عندالله.

باب ثواب العالم و المتعلم

و هو الباب الخامس وفيه ستة احاديث

الحديث الاول

و هو السابع و الخمسون

«محمدبن الحسن وعلى بن محمد عن سهل بن زياد ومحمدبن يحيى عن احمد بن محمد جميعا عن جعفر ابن محمد الاشعرى، عن عبدالله بن الميمون القداح» بن الاسود[2] كان يبرى القداح[3] مولى بنى مخزوم روى ابوه عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام و روى هوعن ابى عبدالله عليه السلام وكان ثقة.

١ـ اقتصر علمهم (اصطلاحات).

٢ـ الاسود القداح كان يبرى القداح، المكى مولى.... (جش ـ جامع الرواة).

٣ـ القدح بالكسر: السهم قبل ان يراش و ينصل و بريت من العود و بريت القلم اذا حسرته و اذهبت لحمه. منه قدس سره.

و روی الكشی عن حمدويه عن ايوب بن نوح عن صفوان بن يحيى، عن ابی خالد القماط عن عبدالله بن ميمون عن ابی جعفر عليه السلام قال: يابن ميمون كم انتم بمكة؟ قلت: نحن اربعة، قال: انكم نورالله[1] فی ظلمات الارض، قال العلامة فی «صه» هذا لايفيد العدالة، لانه شهادة منه علی نفسه لكن الاعتماد علی ما قاله النجاشی.

و روی الكشی عن جبرئيل بن احمد قال: سمعت محمدبن عيسی يقول كان عبدالله بن ميمون يقول بالتزيد[2]، و فی هذا الطريق ضعف «صه»[3] «و علی بن ابراهيم عن ابيه عن حمادبن عيسی عن القداح عن ابی عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلی الله عليه واله: من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا فی الجنة، و ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، وانه يستغفر لطالب العلم من فی السماء ومن فی الارض حتی الحوت فی البحر، و فضل العالم علی العابد كفضل القمر علی سائر النجوم ليلة البدر، و ان العلماء ورثة الانبياء، ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما و لكن ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر».

الشرح

هذا الحديث مشتمل علی خمسة احكام فی فضيلة العلم، ونحن نريد ان نبين كل واحد منها ببيان حكمی و برهان عقلی لمی.

اما قوله صلی الله عليه و اله: من سلك طريقا الی قوله: فی الجنة، فالوجه اللمی

۱ـ انكم نور فی... (جش ـ كش).

۲ـ تزيد فی شیء: تكلف، وفی الحديث: تزخرف و زاد علی الحقيقة وقال المامقانی: هو بمعنی اظهار مسلك الزيدية، وقال الجوهری فی الصحاح: الزيد فی الحديث: الكذب.

۳ـ كتب الشارح بخطه فی الحاشية: قال زين المجتهدين فی الحاشية: الذی اعتبرناه بالاستقراء من طريقة المصنف ان ما يحكيه اولا من كتاب النجاشی ثم يعقبه بغيره ان اقتضاه الحال، و علی هذه الطريقة ليخرج قوله، لكن الاعتماد علی ما قاله النجاشی، فانه لم يتقدم للنجاشی قول مصرح، الا ان التوثيق السابق لما كان من النجاشی علی قاعدته اطلق القول بهنا ـ انتهی.

فيه ان الامور على اربعة اقسام : قسم يرضاه العقل ولا يرضاه الشهوة، و قسم يرضاه الشهوة ولا يرضاه العقل ، و قسم يرضاه العقل والشهوة ، و قسم لايرضاه العقل والشهوة.

فالاول هو الامراض والمكاره فى الدنيا، واما الثانى فهو المعاصى اجمع، واما الثالث فهو العلم، و اما الرابع فهو الجهل.

فمن اشتغل بالعلم فقد خاض فى جنة حاضرة. اذ الجنة ما تشتهيه الانفس وفيها النعيم، ومن رضى بالجهل فقد رضى بنار حاضر، اذ الجحيم مايسخطه و يستكرهه النفس. ثم من اختار العلم و يسلك سبيله يقال له غداً: تعودت المقام فى الجنة فادخل الجنة، ومن اكتفى بالجهل يقال له غدا: تعودت بالنار فادخل النار.

والذى يزيدك ايضاحاً ان العلم جنة والجهل نار: ان كمال اللذة فى ادراك المحبوب وكمال الالم فى البعد عن المحبوب، لكن محبوب كل قوة ماهو من جنسه، فلذة البصر ادراك الملونات و لذة اللمس ادراك الملموسات و لذة الشهوة ادراك المشتهيات التى من جنسها، فلشهوة البطن المأكولات و لشهوة الفرج المنكوحات و لذة القوة الغضبية بنيل الظفر والانتقام.

و حقيقة الانسان ليست شيئاً من هذه القوى المذكورة و محالها من الجوارح والاعضاء، بل النفس الناطقة الباقية بعد موت هذا البدن الكائن الفاسد، ولها قوى و حواس اخروية باقية معها و بدن مكتسب كما حقق فى مقامه.

اذا تقرر هذا و تبين ان اللذة ادراك المحبوب والالم ادراك المكروه فنقول:

كلما كان الادراك اغوص و اشد والمدرك اشرف و اكمل و ابقى وانقى وجب ان يكون اللذة اشرف و اشد؛ ولا شك ان محل العلم هو الروح و هو اشرف من البدن، ولاشك ان الادراك العقلى اغوص و اشرف، اما انه اغوص من ادراك الحواس، لانه يتعلق بباطن الشىء وظاهره و بحقيقته وعارضه و كنهه و وجهه.

و اما الحواس فيتعلق بظواهر الاشياء و سطوحها و اطرافها، ولاشك ان المعلوم اشرف من المحسوس، لانه هو رب العالمين و صفاته و مخلوقاته من الملائكة والانبياء

عليهم السلام، والعقول والنفوس وحقائق الانواع الكونية من الافلاك ومافيها وماتحتها، و اوامره و تكاليفه و احكامه و كتبه المنزلة ووعده و وعيده. و اى محسوس اشرف من ذات الله تعالى وافعاله واثاره؟ فثبت ان لالذة ولاكمال فوق لذة العلم وكماله ولاشقاوة ولانقصان فوق شقاوة الجهل و نقصانه.

فاذا ثبت ذلك، ثبت ان كل من سلك طريقا الى العلم سلك طريقا الى الجنة، و ان كل باب فى العلم باب فى الجنة[1].

و اما قوله صلى الله عليه و اله : و ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، فتأويله: ان طالب العلم بالله و توحيده شأنه ان يتفكر فى المعقولات و ينتقل من معقول الى معقول حتى ينتهى الى معرفة الله و صفاته و خواصه وكيفية صنعه و ابداعه و امره وخلقه. و اقرب الطرق و اشرفها طريق النفس، فمن عرف النفس انتقل منها الى معرفة العقل وما فوقه بان ينتقل الى عالم الملكوت ومنه الى عالم الجبروت ومنه الى عالم الالهية.

و لفظ الملائكة يطلق على الجواهر القدسية الغائبة عن الابصار و اجنحتها عبارة عن جهاتها و قواها العلمية والعملية شبهت باجنحة الطيور التى بها يقع الطيران الى فوق او تحت؛ و جناح الطائر يده والجوانح الاضلاع ممايلى الصدر وهى جمع الجانحة، قيل: معنى تضع اجنحتها ان تضعها ليكون وطأً له اذا مشى، وهو استعارة بليغة لانتقال النفس بقوتها الفكرية عليها[2] وطيها بقدم العقل، وقيل: هو بمعنى التواضع له تعظيماً لحقه وهو ايضا حسن موجه.

١ــ و اعلم ان فى قوله صلى الله عليه و آله: طريقاً فى الجنة، حيث اورد لفظة «فى» بدل «الى» تلويحاً و اشعاراً لطيفاً الى مانحن بصدد تحقيقه فى كثير من المواضع من ان العارف بمطالعته الحضرة الربوبية فى جنة عرضها السموات والارض بل اوسع و اكبر، لكن اشتغاله بهذا البدن يمنعه عن تمام المشاهدة، فاذا زال العايق فاذن فيها، وغير العارف يحتاج الى سائق وشهيد منفصلين عن ذاته كما فى الدنيا. فلتدرك غوره، ولا اظنك تدرك منه عفى عنه. كذا بخطه الشريف فى الحاشية.

٢ــ اى على الاجنحة.

و وجه ذلك: انالنفس اذا ادركتها[١] و احاطت بها علماً فكأنها نزلت من سماء ملكوتها ومقامها و وضعت عند نفس العالم حتى وطأتها، و قيل: اراد بوضع الاجنحة نزولهم فی مجالس العلم؛ والوجه العقلی فيه ما ذكرناه على انا لاننكر تصورها بصورة الطيور الباسطة اجنحتها لطالب العلم باذن الله، الا ان ذلك مجرد احتمال وتجويز غير ثابت، و ما ذكرناه امر محقق.

و اما قوله صلى الله عليه و اله: و انه يستغفر لطالب العلم من فی السماء و من فی الارض حتى الحوت فی البحر، فالوجه العقلی فيه: ان كل نعمة من نعم الله التی انعم بها على الانسان قد وجب عليه شكرها، ولايمكن الشكر على نعمة ما لم يعرف قدرها، ولايعرف قدر نعمة من النعم من لم يعلمها ولا مايتوقف عليه من اسبابها وعللها ولاكيفية الانتفاع بها.

ومامن نعمة من النعم ولو شیء حقير كفتح العين او اقل منه الا ويتوقف وجوده على وجود الاسباب التی لايتناهی، ومن كفر به كفر بها جميعا، فمن كفر بفتح العين كفر بنعمة الله فی خلق الاجفان التی من جملتها خلق اطرافها حادة منطبقة على الحدقة ليكون كالمصقلة للمرآة و دافعاً لاصابة الغبار اياها، وقد انصقلت عن الغبارات بتطبيق اطراف الجفن عليها مرة و مرتين و خرجت الاقذار الى زوايا العين ومنها الى الخارج فقد كفر نعمة الله فی خلق العين وما يتوقف عليه من الموجودات المتسلسلة عرضاً الى ما لايقف، و طولا الى مايقف عند الله.

اذ الاجفان لايقوم الا بالعين والعين لا يقوم الا بالرأس ولا الرأس الا بجميع البدن، ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالارض والماء والهواء والمطر والغيم والسحاب ولا هی الا بالشمس والقمر والنجوم المسخرات بامره، ولايقوم شیء منها الا بالسموات ولاالسموات الا بالملائكة المدبرات، ولايقوم هذه المدبرات الا بحملة العرش واهل الجبروت واللوح المحفوظ والقلم الاعلى.

فان العالم كله كالشخص يرتبط البعض منه بالبعض، فمن يكفر بنعمة التطريفة

١ــ اى الملائكة التی هی الجواهر القدسية.

الواحدة فقد كفر بكل نعمة منه تعالى فى الوجود من منتهى العرش الى الارض السفلى ومن اعلى الثريا الى تحت الثرى، فلم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا نبات ولا حجر ولا مدر الا ويلعنه و يتبرء منه، ولذلك ورد فى الخبر: ان كل بقعة يجتمع فيها قوم اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم.

فعلى هذا القياس لما كان العالم هو الذى يعرف قدر نعم الله عظائمها و دقائقها و ظواهرها و بواطنها و اصولها و فروعها، وما يتوقف عليه من المبادى والاسباب و ما يترتب عليها من الغايات والمسببات ـ وقد عرفت ان افضل ضروب الشكر للنعمة هو معرفتها ـ فلا يقدر على شكر نعمة واحدة هى احقر نعم الله كفتح عين او تنفس او اكل لقمة او شربة ماء الا الحكيم العالم بكيفية النظام و ارتباط النعم بعضها ببعض، و لهذا قال تعالى: و قليل من عبادى الشكور (سباء ـ ١٣)، فكما ان كل من كفر نعمة من نعم الله تعالى استحق ان يلعنه كل من فى السماء والارض حتى الجماد والنبات. فكل من يعلم نعمة من الله فحق له ان يستغفر له كل ملك فى السماء و كل حيوان فى الارض والماء حتى الحيتان فى البحر، فهذا هو الوجه العقلى والسر الحكمى فى هذا الكلام.

و اما قوله صلى الله عليه و اله : فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم.

فاعلم ان العلم يطلق على ثلاثة معان: احدها اضافة بين العالم والمعلوم يشتق منها اسم الفاعل و اسم المفعول و غيرهما، كالقدرة اذا اريد بها نفس الاضافة اعنى القادرية.

و ثانيها الصورة الحاصلة فى النفس من الامر العينى كليا كان ذلك الامر كصورة الانسان و صورة الفرس او جزئيا كصورة زيد و صورة عمرو و صورة هذا الفرس و ذاك الشجر.

و ثالثها الملكة الراسخة التى بها ينكشف المعلومات و يتجلى الحقائق، وهذه كملكة القدرة التى بها يتمكن القادر من فعل مقدوراته متى شاء.

وكذلك فى الابصار ثلاثة امور: اضافة بين البصر والمبصر يقال لها الرؤية، و

صورة حاصلة من المرئى فى العين، و قوة بها[1] يتمكن الحيوان من الرؤية متى اراد، فالعلم بالمعنى الاضافى ليس هو المراد ههنا اذ لا وجود له متقرراً، ولا المعنى الثانى هو المراد، لانه مطابق للعلوم متحد الماهية معه متكثر بتكثر المعلومات قابل للتغير والزوال، و لهذا قالت الصوفية: مقام واحد خير من سبعين الف حال.

بل المراد من العلم انما هو تلك الملكة الحاصلة فى نفوس العلماء بعد كثرة الافكار والانظار والتأملات والتعقلات ، و هى تختلف شدة و ضعفا وكمالا و نقصاناً بحسب تفاوت صفاء النفس وكثرة التعقلات والرياضات توفيقاً من الله و تأييداً منه.

ولا شك انها نور عقلى يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده، و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور (النور ـ ٤٠)، و هو الايمان الحقيقى لقوله: الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (البقرة ـ ٢٥٧)، و به الحيوة الاخروية الدائمة لقوله تعالى: او من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها (الانعام ـ ١٢٢)، وقوله: نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم (التحريم ـ ٨).

و هذا النور يتفاوت فى اهل الايمان بقدر تفاوت قوة ايمانهم و تفاوت قربهم من الله، فمنهم من نوره كنور الشمس وهم الانبياء والاولياء الكاملون عليهم الصلوة والسلام، ومنهم كنور القمر ومنهم كنور اعظم الكواكب ثم اصغر منه وهكذا الى السها و بعدها كانوار النيرانات.

فمنهم من نوره فى القيامة مد بصره ومنهم من نوره عند ابهام قدمه وهو اخرهم، وعلى قياس قوة هذا النور و ضعفه قوة سرعة المشى على الصراط و بطوئه. فمنهم من يمر عليه كلمح البصر[2] او اقرب منه ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم كهبوب الريح العاصف و منهم كعدو الفرس الشديد العدو. وهكذا الى ان ينتهى الى قوة من يضع رجله مرة ويكبو اخرى والنار تصيب من اطرافه.

١ـ فيها. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

٢ـ كطرف العين. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

فليس النور هناك بكثرة الاعمال انما النور بقدر قوة العلم والايمان ، و انما يعظم ثواب الاعمال بحسب مالها من النيات و بحسب مدخليتها فى اكتساب العلوم والاحوال.

فاذا تقرر ما ذكرنا و تحقق ان مدار الفضل والتفاضل بين العباد عندالله هو بحصول نور العلم فى قلوبهم و فيه يقع الموازنة والمفاضلة بميزان يوم الحساب فنقول:

لما كان النور الحسى البصرى مثالا للنور المعنوى العلمى، والتفاوت بين مراتبه مثال التفاوت بين مراتب ذلك النور، و ان كان التفاوت فيما هناك يبلغ الى حد اللانهاية بخلاف ماههنا لامتناع اللاتناهى فى الاجسام والجسمانيات، فوقع التمثيل فى التفاضل بين علم العالم وعبادة العابد بنور القمر ونور النجوم، وانما يصح هذه المقايسة لما فى العبادة من اشتراط ضرب من العلم المنغمر فى عمل العابد.

و اشترط فى هذا التمثيل ايضاً امران: كون القمر بدراً لا هلالا ولا فى حالة التربيع وغيره، وكون البدر واقعا فى الليلة لافى النهار اذ نور البدر ضعيف فى النهار، واما الليلة القمراء فاكثر النجوم مضمحلة النور فيها والقليلة منها فى غاية ضعف النورية فحينئذ يحصل التقريب فى هذا التمثيل الذى لبيان التفاوت فى الفضل بين العالم والعابد.

ثم لايخفى عليك ان المراد بالعالم المذكور فى هذا الحديث غير العالم الربانى الذى علمه لدنى حاصل بالموهبة الربانية كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلام كما يدل عليه التمثيل بالقمر، و الا لكان اللائق ان يمثل له بالشمس، لانها التى نورها مستفاد من افاضة الله تعالى بلاتوسط شىء اخر من نوعه او جنسه بخلاف سائر الاجرام الكوكبية كالقمر والنجوم، كما هو التحقيق عند حكماء الفرس والاشراقيين و تبعهم الشيخ السهروردى فى حكمة الاشراق حيث قال:

وهو رخش[1] اى الشمس بلغة الفرس قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار يعطى جميع الكواكب ضوئها ولاتأخذ منها.

فاذن الشمس مثال النبى والولى عليهما السلام و نورها الذاتى مثال الله فى هذا العالم، وله المثل الاعلى فى السموات (الروم ـ ٢٧)، و انوار الكواكب على تفاوتها امثلة علوم العلماء المستفادة من علم النبى والولى على تفاوت مراتبهم فى العلم، والنسبة بين نور القمر و انوار النجوم المختفية على البصر فى ليلة البدر مثال فضل العالم على العابد فلاتغفل. و اما قوله صلى الله عليه واله: ان العلماء ورثة الانبياء... الى اخره، فقد مر بيانه على حسب ما فى وسعنا، ومن الله التوفيق و العصمة.

الحديث الثانى
و هو الثامن و الخمسون

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح» الاسدى ثقة وجه، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ذكره ابو العباس فى كتاب الرجال «صه» و قال الشيخ: فى الفهرست ابن صالح الكوفى له اصل، من اصحاب الصادق عليه السلام. «عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال: ان الذى يعلم العلم منكم له اجر مثل اجر المتعلم وله الفضل عليه، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه اخوانكم كما علمكموه العلماء».

الشرح

قوله عليه السلام: منكم، ليس صلة للتعليم بل المراد به من جملتكم يعنى الطائفة

١ـ قال قدس سره فى كتاب هياكل النور: و اشرف الاجسام انورها و هو القديس الاب الملك هو رخش الشديد قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار كامل القوى صاحب العجائب عظيم الهيبة الالهية يعطى جميع الاجرام ضوئها ولا يأخذ منها، مثال الله الاعظم والوجهه الكبرى. و فى برهان قاطع: بضم اول و سكون ثانى: مجهول. و فتح راء بمعنى هوراست كه نام آفتاب عالمتاب است.

الفائزة، اشعاراً بانه لاثواب فى التعليم والتعلم لغير هؤلاء من اصحاب المذاهب العامية.

وقوله: كما علمكموه العلماء، الضمير المخاطب للجمع هو للمفعول الاول لفعل التعليم و الضمير المفرد العائد الى الموصول للمفعول الثانى و الفاعل هو لفظ العلماء، وههنا مسائل:

الاولى ان اجر التعليم و التعلم و ثوابهما من قبيل ثواب الاعمال دون ثواب العلم، لان ثواب العلم هو القرب والمنزلة عندالله، بل العلم الذى هو العلم بالحقيقة هو نفس التقرب الى الله و الارتقاء اليه.

و اما ثواب الاعمال البدنية فهو على حسب المشقة والتعب، فافضل الاعمال اشقها و احمزها ولهذا اجر التعليم كاجر التعلم اوازيد منه بقليل، و هذا معنى قوله: وله الفضل عليه.

والثانية ان التعلم واجب بالسنة و الاجماع و الدليل العقلى، اما الاول فلقوله صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، وقوله: اطلبوا العلم ولو بالصين، ولمامر من الاحاديث وقدمر كيفية وجوبه، و ان اى العلوم من فروض العين و ايها من فروض الكفاية.

و اما الاجماع فلاتفاق الامة على ان الكافر يخلد فى النار، و الكفر ليس الا الجهل بالتوحيد و النبوة و المعاد، و ان المؤمن يستحق الثواب الدائم و الايمان ليس الا العلم بهذه الاركان، وكلما يوجب استحقاق الثواب الدائم وضده يوجب العذاب الدائم فتعلمه و اكتسابه واجب.

و اما الدليل العقلى فبيانه على الوجه المفصل مذكور فى كتب الحكماء و العرفاء و اجماله: ان النفس الانسانية فى مبدأ تكونها ناقصة بالقوة قابلة للموت و الحيوة و حيوتها بالعلم وموتها بالجهل، فيجب عليها عقلا اكتساب مايوجب حيوتها للابدية و ازالة مايوجب موتها الابدى.

و الثالثة ان المتعلم يجب عليه ان يتعلم من حملة العلم لامن غيرهم و الا لكان كمريض يستعلج من مريض اخر مثله، بل مرض النفس و هو الجهل اشد و اقرب الى

الهلاك من مرض البدن، وهلاك النفس ابدى لانه هلاك الذات الانسانية و هلاك البدن هلاك غير ابدى، اذ المادة من شأنها ان تنبعث بصورة اخرى و البدن بمنزلة الة للنفس، و فساد الالة لايوجب فساد الذات المستعملة اياها، فالمريض بمرض الجهل اولى بان يكون طبيبه وهو المعلم عالما بما ينفعه فى الاخرة اويضره حتى لايهلكه هلاكاً ابديا.

الرابعة ان التعليم واجب كما دل عليه قوله عليه السلام: فعلموه من اخوانكم، اذ صيغة الامر ظاهرها تدل على الوجوب، ولقول النبى صلى الله عليه واله: لاتؤتوا الحكمة غير اهلها فتضلوها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم، وقوله: من اخوانكم، اشارة الى الاهل المستحق للتعليم، ولانه كما وجب على كل احد وجوباً على الكفاية تخليص المسلم من الهلاك او العذاب او ارشاده بما يخلصه، فكذلك وجب على كل من يقدر على تعليمه بمايوجب نجاته عن الهلاك الدائم ان يعلمه ويهديه وجوباً على الكفاية بل هذا اولى بالوجوب كما علمت، فثبت ان التعليم واجب عقلا وشرعاً.

و الخامسة انه يجب على المعلم ان يكون تعليمه و ارشاده للمتعلمين مثل ما تعلمه من العلماء الراشدين من غير تحريف ولاتغير ولانقصان اوكتمان للحق كما فعله قوم من احبار اليهود للاغراض النفسانية و المآرب الدنيوية قال تعالى فيهم: و قدكان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون (البقرة ـ ٧٥) و قال: ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (البقرة ـ ١٥٩).

الحديث الثالث
وهو التاسع والخمسون

«على بن ابراهيم عن احمد بن محمد البرقى عن على بن الحكم عن على بن ابى حمزة»

هذا الاسم مشترك بين رجلين: احدهما على بن حمزة الثمالى و قال الكشى: سألت ابا الحسن حمدويه بن نصير عن على بن ابى حمزة الثمالى والحسين ومحمد اخويه و ابيه فقال:

كلهم ثقات فاضلون؛ والثانی علی بن ابی حمزة سالم البطائی[١] ابو الحسن مولی الانصار قائد ابی بصیر یحیی بن القاسم، وله اخ یسمی جعفر بن ابی حمزة روی عن ابی الحسن موسی و ابی عبدالله علیهما السلام وهو احد عمد الواقفة «صه».

قال الشیخ فی الفهرست: له اصل روی عنه ابن ابی عمیر وصفوان.

و قال علی بن الحسن بن فضال: علی بن ابی حمزة کذاب متهم ملعون قد رویت عنه احادیث کثیرة و کتب تفسیر القران کله من اوله الی اخره الا انی لااستحل ان اروی عنه حدیثا واحداً.

قال ابن الغضائری: علی بن ابی حمزة لعنه الله اصل الوقف و اشد الخلق عداوة للولی بعد ابی ابراهیم علیه السلام «صه».

و روی الکشی فی ذمه روایات کثیرة منها عن حمدویه عن الحسن بن موسی عن داود بن محمد عن احمد بن محمد قال: وقف علی ابو الحسن علیه السلام فقال وهو رافع صوته: یا احمد، قلت: لبیك. قال: انه لما قبض رسول الله صلی الله علیه و اله جهد الناس فی اطفاء نور الله فابی الله الا ان یتم نوره بامیر المؤمنین علیه السلام، فلما توفی ابو الحسن علیه السلام جهد علی بن ابی حمزة و اصحابه فی اطفاء نور الله فابی الله الا ان یتم نوره.

«عن ابی بصیر»، هذا ایضاً مشترك بین رجلین: احدهما لیث بن البختری بالباء المنقطة تحتها نقطة والخاء المعجمة الساکنة والتاء المنقطة فوقها نقطتین المفتوحة والراء المکسورة، المرادی ویکنی ابامحمد.

ایضاً روی الکشی عن حمدویه بن نصیر عن یعقوب بن یزید عن محمد بن ابی عمیر عن جمیل بن دراج قال سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول: بشر المخبتین بالجنة: برید بن معویة العجلی و ابوبصیر لیث بن البختری المرادی و محمد بن مسلم و زرارة اربعة نجباء[٢] الله علی حلاله و حرامه، لولا هؤلاء انقطعت اثار النبوة و اندرست.

١ــ البطائنی (کش ــ جامع الرواة).

٢ــ نجباء امناء الله (کش).

و قال الكشي: ان ابا بصير الاسدى احد من اجتمعت العصابة على تصديقه والاقرار له بالفقه، و قال بعضهم موضع ابى‌بصير الاسدى ابوبصير المرادى و هو ليث المرادى و روى احاديث فى مدحه و جرحه ذكرناها فى كتابنا الكبير و اجبنا عنها.

و قال ابن الغضائرى: ليث‌بن البخترى المرادى ابوبصير كان ابوعبدالله عليه‌السلام يتضجر به و يتبرم[1]، واصحابه يختلفون فى‌شأنه، قال: وعندى ان‌الطعن انما وقع على دينه لاعلى حديثه وهو عندى ثقة «صه» قال العلامة: والذى اعتمد عليه قبول روايته و انه من اصحابنا الامامية للحديث الصحيح الذى ذكرناه اولا، و قول ابن الغضائرى لايوجب الطعن. انتهى.

وفى رجال الفاضل الاسترابادى: ليث المرادى ابن‌البخترى ابومحمد و قيل ابوبصير الاصغر روى عن ابى‌جعفر و ابى‌عبدالله عليهماالسلام، قاله النجاشى عن ابى عبدالله و ابى‌الحسن عليهماالسلام كما فى‌الفهرست.

روى الكشى عن الحسين‌بن الحسن بندار القمى قال: حدثنى سعدبن عبدالله عن محمدبن عبدالله المسمعى عن على‌بن حديد و على‌بن اسباط عن جميل‌بن دراج قال سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول: اوتاد الارض و اعلام‌الدين اربعة: محمدبن مسلم و بريدبن معوية وليث‌بن البخترى المرادى و زرارة‌بن اعين.

و بهذا الاسناد عن محمدبن عبدالله المسمعى عن على‌بن اسباط عن محمدبن سنان عن داودبن سرحان قال: سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول: ان اصحاب ابى كانوا زيناً احياء و امواتاً، اعنى زرارة و محمدبن مسلم و منهم ليث المرادى و بريد العجلى، هؤلاء القوامون بالقسط هؤلاء القوالون[2] و هؤلاء السابقون السابقون اولئك المقربون.

و رواه ايضاً عن محمدبن قولويه عن سعدبن محمدبن عبدالله المسمعى و عن

١ــ برم بالشيء برماً فهو مثل ضجر ضجراً، فهو ضجروزناً و معناً ــ منه قدس‌سره.

٢ــ القوامون بالصدق (كش ــ جامع‌الرواة).

حمدويه قال: حدثني يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد الاقطع قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: ما اجد احداً احيى ذكرنا و احاديث ابي الازرارة و ابي بصير ليث المرادي ومحمدبن مسلم وبريدبن معوية، و لولاهؤلاء ماكان احد يستنبط هذا. هؤلاء احفاظ الدين و امناء ابي على حلال الله و حرامه وهم السابقون الينا في الدنيا السابقون الينا في الاخرة.

وبهذا الاسناد عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلي و ابوبصير ليث بن البختري المرادي ومحمدبن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء لانقطعت اثار النبوة و اندرست، و روى في ذمه مالايصلح معارضاً ولا حجة. انتهى كلامه.

والثاني يحيى بن القاسم الحذا بالحاء المهملة من اصحاب الكاظم عليه السلام يعرف بابي بصير الاسدي مولاهم، و اختلف علمائنا فيه فالشيخ رحمه الله قال: انه واقفي، وروى الكشي روايات يتضمن ذلك وقال النجاشي يحيى بن القاسم ابوبصير الاسدي وقيل ابومحمد ثقة وجه[1] روى عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السلام كذا قال العلامة في «صه» وقال ايضاً فيه: والذي اراه العمل بروايته وان كان مذهبه فاسدا.

اقول: والظاهر انه المراد في هذا الحديث وكذا المراد من على بن ابي حمزة المذكور هو على بن ابي حمزة البطائني الواقفي، لانه كان قائد ابي بصير يحيى بن القاسم كما تقدم وكثيراً ما يروى عنه.

«قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من علم خيراً فله مثل اجر من عمل به، قلت: فان علمه غيره يجرى ذلك له؟ قال: ان علمه الناس كلهم جرى ذلك له، قلت: فان مات ؟ قال: وان مات».

الشرح

قوله يجزى بالجيم و الزاء وعلى صيغة المجهول، ويحتمل ان يكون بالحاء و

١ــ وجيه (جش).

الراء المهملتين وصيغة المعلوم، وكذا قياس قوله: جرى ذلك.

ومعنى الحديث واضح مكشوف لكن يجب ان يعلم انالمراد بالخير فى قوله عليه‌السلام: من علم خيراً، هوقاعدة كلية فى علم من علوم الدين نظرية ليست بديهية ولا بحيث من شأن كل احد ان يتفطن به حتى يظهر وجه صحة الحكم الذى ذكره عليه‌السلام من انله اجر من عمل به ولو كان جميع الناس ولو بعد وفاته الى يوم القيامة، اذ لا استبعاد فى ان اجر المعلم لقاعدة عقلية دينية كاجور جميع العالمين الى يوم القيامة.

و الدليل على ما ذكرنا انه ورد فى الحديث الاتى بدل قوله من علم خيراً قوله عليه‌السلام: من علم باب هدى، وكذا القياس فى مقابل كل منهما اعنى شراً اوباب ضلال فى ترتب الوزر.

الحديث الرابع
وهو الستون

«و بهذا الاسناد عن محمدبن عبدالحميد» بن سالم العطار ابوجعفر، روى عبدالحميد عن ابى الحسن موسى عليه‌السلام وكان ثقة من اصحابنا الكوفيين «صه».

قال زين الفقهاء فى الحاشية: هذه عبارة النجاشى و ظاهرها ان الموثق الاب لاالابن[1].

اقول: كون الظاهر الاب غير مسلم بل الظاهر ان النعوت المذكورة فى مثل هذا الموضع راجعة الى اصل الاسم[2].

«عن العلاءبن رزين عن ابى عبيدة الحذاء» اسمه زيادبن عيسى الكوفى مولى ثقة روى عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهماالسلام وقال الحسن بن على بن فضال: انه مات فى حيوة ابى عبدالله عليه‌السلام.

١ـ اى السالم لاالعبد الحميد.

٢ـ وهو عبدالحميد.

وقال الكشى: حدثنى احمدبن محمدبن يعقوب قال: اخبرنى عبدالله‌بن‌حمدويه قال: حدثنى محمدبن عيسى‌عن بشير عن الارقط عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: لما دفن ابوعبيدة الحذاء قال: انطلق بناحتى نصلى على ابى‌عبيدة، قال: فانطلقنا فلما اتينا[1] الى‌قبره لم يزد على ان دعاله فقال: اللهم برد على ابى‌عبيدة اللهم نوّرله قبره اللهم الحقه بنبيه. ولم يصل عليه، فقلت: هل على‌الميت صلوة بعدالدفن؟ قال: لا انماهو الدعاء.

وقال السيد على‌بن احمد العقيقى العلوى: ابوعبيدة زيادالحذاء حسن المنزلة عند ال محمد عليهم‌السلام وكان زامل[2] ابا جعفر عليه‌السلام الى مكة له‌كتاب يرويه على‌بن رئاب. «عن ابى‌جعفر عليه‌السلام قال: من علم باب هدى فله مثل اجرمن عمل به‌لاينقص اولئك من اجورهم شيئا، ومن علم باب ضلال‌كان عليه مثل اوزار من عمل به ولاينقص هؤلاء من اوزارهم شيئا».

الشرح

قوله عليه‌السلام: باب هدى، الهدى الرشاد خلاف الضلالة، و انما يراد به المبدأ و المنشأ للرشاد لاالمعنى المصدرى، ثم ان المراد بالهدى المستعمل المذكور فى‌الكتاب والسنة عندالتحقيق نور عقلى فائض من‌الله على قلب من استقام على سبيل المعرفة و الطاعة.

و انما سمى هدى اذبذلك النور يرى الاشياء على‌ماهى عليه ويهتدى الى‌الحق ويسلك سبيل القرب من‌الله، كما ان بالنور الحسى يرى المحسوسات ويهتدى الى المارب الحسية كما فى‌قوله تعالى: وبالنجم‌هم يهتدون (النحل ـ ١٦)، و ذلك النور سماه اهل الحكمة العتيقة عقلا بالفعل وهو الايمان الحقيقى، قال تعالى: ان الهدى هدى‌الله (آل عمران ـ ٧٣)، وقال: اولئك على هدى من ربهم (البقره ـ ٥)، وانماسمى

١ـ انتهينا (كش).

٢ـ الزامل: الرفيق، عادله على البعير اى‌ركب هو فى‌جانب من‌المحمل و رديفه.

القران هدى كما فى قوله عزوجل: ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده (الانعام ـ ٥) وقوله: هذا هدى (الجاثية ـ ١١)، لكونه وسيلة اليه تسمية للسبب باسم المسبب.

ولذلك الهدى ابواب متعددة وطرق كثيرة وهى بالحقيقة مسائل علمية و مقاصد دينية اذ كل قاعدة كلية علمية لها مدخل فى تحصيل تلك الملكة النورانية المسماة بالهدى، لانها ان كانت نظرية فلها تأثير بالذات فى تنوير القلب، وان كانت عملية فلها تأثير بواسطة العمل بها فى صفاء الضمير وتهذيب الخاطر وطهارة النفس.

فاذا تقرر ما ذكرناه ظهر لمية قوله عليه السلام من علم باب هدى فله مثل اجر من عمل به، اى اجر كل من عمل به الى يوم القيامة كما يعلم بقرينة قوله عليه السلام: ولاينقص اولئك من اجورهم شيئا وبما ذكر فى غير ذلك من الاحاديث، وكذا المراد بالضلال ظلمة باطنية متراكمة فى النفس لرسوخ الجهالات والاعراض عن سماع الحق وقبول الصدق.

وتلك الملكة النفسانية الظلمانية اصل كل شر وافة فى الدين و انحراف عن سبيل المسلمين وتولى عن الحق واليقين، ولها شعب كثيرة وابواب مختلفة هى ابواب الجحيم، لكل باب جزء مقسوم (الحجر ـ ٤٤) كباب الشهوة وباب الغضب و باب الحرص وباب الحسد وباب المكر والخديعة وباب التكبر والعجب وباب طول الامل و الاخلاد الى الدنيا و غير ذلك، فاذن قد ظهر سر قوله: من علم باب ضلال كان عليه مثل اوزار من عمل به.

تذكرة استنارية

اعلم انه ليس المراد من هذا الحديث و امثاله مثل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه واله من قوله: ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له اجر من تبعه لاينقص من اجرهم شيء، و ايما داع دعى الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولاينقص منه شيء، ان الله تعالى يوصل الثواب او العقاب الذى يستحقه الاتباع الى القادة و الرؤساء لقوله تعالى: و ان ليس للانسان الاماسعى (النجم ـ ٣٩)، وقوله: ولاتزر

وازرة وزر اخرى (فاطر ـ١٨)، و الالمادخل احد من الناس الجنة الا الرسل عليهم ـ السلام ولادخل النار احد ابداً بل كانت مقصورة على ابليس وحدة.

بل المعنى: ان المعلم الهادى الواضع لحسنة اوهدى يهتدى به انما يصدر تعليمه عن نفس ذات صفاء و اشراق كمل نورها، فاشرق على غيرها من النفوس القابلة التابعة لها فاستضاءت بنورها، و ذلك الباب العلمى المفتوح منه او السنة المأخوذة من جملة انوارها الفائضة عنها على النفوس التابعة التى اقتبستها، فكان فى النفس المتبوعة من الاستكمال بالنور الالهى و الهدى الربانى الذى هو اصل كل نور ورأس كل هدى ماهو فى قوة جميع الانوار المقتبسة عن ذلك القانون العلمى او السنة العملية ومثل لها جميعا، فكان لتلك النفس المتبوعة من الاجر و الثواب مثل ماللتابعين لهامن غير نقصان عن اجور التابعين.

و كذلك فى جانب السيئات و الضلال، فان المراد: ان الرئيس المضل اذا علم باب ضلال او وضع سيئة يكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر ذلك الاضلال او تلك السيئة الاعن نفس قداستولى عليها ظلمة الجهل المركب المضاد لنور اليقين و صارت ملكة من ملكاتها فتسود وجهها به عن قبول الانوار الالهية، وصار ذلك حجاباً بينها وبين قبول الرحمة بحيث يكون ذلك فى القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له و المقيدين به الناشئة عن فتنته واضلاله و اظلامه.

فان تلك الحجب الطارئة على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب الحاصل فى نفسه وهو اصلها، فلاجرم يكون وزره وسيئته فى قوة اوزار اتباعه و سيئاتهم التى حصلت بسبب اضلاله، لاكل سيئاتهم من كل جهة، ولذلك قال تعالى: ومن اوزار الذين يضلونهم (النحل ـ٢٥) اى بعض اوزارهم وهى الحاصلة بسبب المضلين.

وقال الواحدى: ان «من» فى هذه الاية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم، و ذلك يناقض قوله صلى الله عليه واله: من غير ان ينقص من اوزارهم شيء، وفيه نظر، فان الذى حمله و ان كان حسناً الا ان الالزام الذى ذكره غير لازم على كونه للتبعيض، لان القائل بكونها كذلك يقول: ان المراد و

ليحملوا بعض امثال اوزارالتابعين لابعض اعيان اوزارهم.

اعتضاد تمثيلي

ومما يؤيد ما ذكرناه ماورد في مثل هذا الباب من الاشارة الواردة في الخبر: ان حسنات الظالم ينتقل الى ديوان المظلوم و سيئات المظلوم ينتقل الى ديوان الظالم، فانك تعلم ان الحسنة والسيئة اعراض و احوال لايمكن نقلها من محل الى محل، فليس ذلك نقلا حقيقياً بل على وجه الاستعارة كما يقال: انتقلت الخلافة من فلان الى غيره.

وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم: حصول امثالها في قلب الظالم، ونقل حسنات الظالم الى المظلوم: حصول امثالها في قلبه، و ذلك لان للطاعة تأثيراً في النفس بالتنوير و للمعاصي تأثيراً فيها بالقسوة و الظلمة، وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية، وبالقسوة و الظلمة، يستعد للبعد و الحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي، فالطاعة مورثة لذة المشاهدة بواسطة الصفاء و النور الذي يحدث في النفس، والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث عنها.

وبين الحسنات والسيئات تضاد و تعاقب على النفس كما قال تعالى: ان الحسنات يذهبن السيئات (هود ـ ١١٤)، وقال: ولاتبطلوا اعمالكم (محمد ـ ٣٣)، وقال صلى الله عليه واله: اتبع السيئة بالحسنة تمحها، والالام ممحصات للذنوب، ولذلك قال صلى الله عليه واله: ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله، وقال: الحدود كفارات لاهلها.

والظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه مايقسي القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي يكون من طاعته فكأنه احبط طاعته، والمظلوم يرتاض نفسه وتنكسر شهوته و يستكين قلبه و يرجع الى الله تعالى فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات، فكأن النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم و انتقل السواد والظلمة

من قلبه الى قلب الظالم، و ذلك الانتقال على سبيل الاستعارة كما علمت و كما يقال: انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان.

و اعلم ان ذلك النقل و حمل الظالم اوزار المظلوم و ان كان امراً حاصلا فى الدنيا الا انه لمالم ينكشف للبصائر الا فى يوم القيامة، لاجرم خصص بيوم القيامة، و سيأتى لك بيان وظائف المعلم فى تعليمه و وظائف المتعلم فى تعلمه فى باب بذل العلم انشاءالله تعالى.

الحديث الخامس
و هو الواحد والستون

«الحسين بن محمد عن على بن محمد بن سعد» مجهول «رفعه عن ابى حمزة عن على بن الحسين عليهما السلام قال: لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، ان الله تعالى اوحى الى دانيال: ان امقت عبيدى الى الجاهل المستخف بحق اهل العلم التارك للاقتداء بهم، و ان احب عبيدى الى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القائل عن الحكماء[1]».

الشرح

السفك الاراقة و الاجراء لكل مائع، يقال سفك الدم، والدمع و الماء يسفكه سفكا، وكأنه بالدم اخص وقد تكرر فى الحديث؛ والمهج جمع المهجة وهى الدم و قيل: دم القلب خاصة، وخرجت مهجته اى روحه لاستلزام الدم الروح الحيوانى لكونه مركبه فكان خروجه خروج الروح.

و الخوض اصله المشى فى الماء و تحريكه يقال: خضت الماء اخوضه خوضاً، ثم استعمل فى التصرف فى شىء و الامعان فيه ويقال: خضت الغمرات اقتحمتها واللجج جمع اللجة بالضم وهى معظم الماء ومنه بحر لجى.

١ـ التابع للحلماء القابل عن الحكماء (الكافى).

مقته مقتا ابغضه فهومقيت وممقوت، والمقت اشدمن البغض، ونكاح المقت كان فى الجاهلية و هو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه اذاطلقها اومات عنها.

اعلم انالمطلوب كلماكان اعز و اشرف و اجل كان طلبه اكد و اوجب وارتكاب التعب والمشقة فى تحصيله اسهل على النفس واهون. ثم قدلاح لك فيما سبق وسنزيدك وضوحاً: ان قلب الانسان اى نفسه الناطقة ميت بالفعل من شأنه ان يحيى بروح الحيوة الدائمة، و ان حيوته بالعلم و حيوة القلب هى الحيوة الدائمة الذاتية التى لا يمكن زوالها و انقطاعها.

فالعلم اشرف المقاصد و اجل المآرب، فاولى به ان يصرف الهمم فى طلبه و يرتكب المخاطرات و خوض الغمرات فى تحصيله، ثم انا نرى كثيراً من الناس يتعبون انفسهم و يفرغون سعيهم، و يبذلون جهدهم و يقعون فى المخاوف والمهالك و سفك الدماء و خوض اللجج الخضراء كل ذلك فى طلب المال، و هو احد اسباب المعيشة الدنياوية فى مدة قليلة مع مالها من شوائب الافات والعاهات والامراض والمكروهات التى لامحيص عنها. فما بالهم لايرتكبون ادنى مشقة فى طلب العلم وبه الحيوة الابدية من غير شوب افة و خلل؟ وما السبب فى ذلك الا جهلهم بحقيقة العلم و ذهولهم عن شرفه و جلالته ونوره.

ولهذا قال عليه السلام: لو يعلم الناس ما فى طلب العلم.... الى اخره تنبيهاً على ان عدم توجه الخلق الى اكتساب العلم سببه عدم شعورهم بمافيه من الفائدة العظيمة التى لايوجد مثلها فى طلب شىء من الاشياء.

قال بعض الحكماء: القلب ميت و حيوته بالعلم، والعلم ميت اى مفقود عن القلب اولا، و الا فهوعين الحيوة العقلية وهو ضدالموت ولامعنى لاتصاف احدالضدين بالاخر، و حيوته اى وجدانه بالطلب والطلب ضعيف و قوته بالمدارسة، فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب و اظهاره بالمناظرة، واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم، و نتاجه بالعمل، فاذا زوج بالعمل توالد و تناسل ملكاً ابديا لا اخر له، و ان نملة واحدة نالت الرئاسة بمسألة واحدة علمتها وذلك قولها: وهم لايشعرون (النمل-١٨)، كأنها اشارت

الى تنزيه الانبياء عليهم السلام عن المعصية و ايذاء البرىء من غير جرم فقالت: لوحطمكم سليمان، فانما يصدر منه لانه لم يشعر بكم.

فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات قديمها و حادثها جواهرها واعراضها، جسمانياتها و روحانياتها و ملكها و ملكوتها، و دنياها و اخراها مشهوداتها ومغيباتها فكيف لايستحق الرئاسة العظمى والخلافة الكبرى من الله فى الدين والدنيا؟ وان الكلب المعلم يكون صيده طاهراً مذكى ببركة العلم مع انه نجس فى الاصل.

فالنفس الطاهرة فى الفطرة الاولى اذا تلوثت باوضار[1] المعصية كيف لايتطهر ولا يتقدس ببركة العلم بالله واليوم الاخر حتى ينخرط فى سلك القديسين و حزب الملائكة المقربين؟

قيل: السارق اذاكان عالما لايقطع يده لانه يقول: كان المال وديعة لى، وكذا الشارب الخمر يقول: حسبته حلالا فشربتها، وكذا الزانى يقول فى غير ذات البعل: تزوجتها وفيها حسبتها زوجتى، فانه لايحد.

ومن الدلائل على فضيلة العلم: ان يوسف على نبينا و اله و عليه السلام مع ماله من الملك والمال والجاه وحسن الخلق والخلق ذكر منة الله على نفسه بالعلم حيث قال: و علمتنى من تاويل الاحاديث (يوسف ـ ١٠١)، فانت يا عالم: اما تذكر نعمة الله عليك حيث جعلك من اهل تأويل الاحاديث فضلا عن تفسير ظاهرها، ومن العارفين باسرار الحقيقة واليقين فضلا عن الواقفين على الظواهر والقشور من فروع الشريعة والدين؟ و جعلك سمياً لنفسه و هو العليم الحكيم؟ و جعل شهادتك قريناً لشهادته و شهادة ملائكته فى باب التوحيد حيث قال: شهدالله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم؟ (العمران ـ ١٨)، و جعلك وارثاً لنبيه؟ لقوله صلى الله عليه واله: العلماء ورثة الانبياء، و داعياً لخلقه و سراجاً لاهل بلاده ومناراً فى عباده؟ لقوله تعالى: و جعلنا له نوراً (الانعام ـ ١٢٢)، وقوله: نورهم يسعى بين ايديهم و بايمانهم؟ (التحريم ـ ٨).

و قوله صلى الله عليه واله: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على

١ـ كذا فى الاصل، والظاهر: اوزار.

سائر الكواكب، وشفيعاً يوم القيامة؟ لما روى عنه صلى الله عليه واله: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء، وامیناً فی ارضه؟ لقوله صلى الله عليه واله: العالم امين الله فی الارض، وسيداً وقائداً للخلق الى جنته وثوابه وزاجراً لهم عن ناره و عقابه؟ كما قال صلى الله عليه واله: العلماء سادة و الفقهاء قادة ومجالستهم عبادة، وخليفة لنبيه صلى الله عليه و اله؟ كما قال صلى الله عليه و اله: اللهم ارحم خلفائی فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدی يروون حديثی و سنتی.

و من لطائف الشواهد اليقينية على جلالة قدر العالم وارتفاع مكانه: ای من اخص الاعمال الباطنية التی يفعلها و يتشبه بالله المفيض للارواح المحيی للاجساد هو انه بقوته الفكرية ينزع من كل مادة حسية صورة عقلية مجردة عن الشوائب الدنيوية ثم يجعلها مخزونة فی خزينة من خزائن الملكوت يحضرها متى شاء باذن الله.

فالعالم الحقيقی الربانی هو الذی يجرد الماهيات من الشخصيات و يأخذ الكليات من الجزئيات، فمن شأنه نزع الارواح من الاجساد و تصويرها تارة فی عالم التعقل بصورة العقليات و تارة اخرى بصورة تحاكيها فی عالم التمثل من الحسيات، فمن كان هذا صنيعه وديدنه مادام مبتلى بهذه الدار الكائنة المستحيلة الداثرة فعند المفارقة كيف ينحبس فی سجون التعلقات و يتقيد بقيود الشهوات و شبكة الدنيات ؟ و انی يحشر مع الاموات فی قبور الابدان الدارسات او يقف على الصراط مدة مكث ذوی الحجبات؟ لا والله، بل هداية الله ادركتهم و جذبة نوره النافذ فی قلوبهم من فوق حجب السموات رفعتهم من منازل السافلين و مواطن المجرمين الى درجات العليين عند ذی العرش اله العالمين.

وتحت كبريائه قوم مصطفون كانوا مدة حيوتهم الدنيوية باسطی ايديهم ينتظرون الرزق السماوی و يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و يلتمسون النور وهم فی ظلمة ليل داج والتوحد مع الحق، وهم بعد قرين ازواج ذات تركيب و امتزاج، و لما انفتحت ابصارهم بنور الله وحدوه و عظموه و عبدوه عبادة الاحرار شوقا و طرباً، ففريق عبدوه

عبادة الاجراء او عبيد الغلة، فيطلبون منه غيره من قضاء شهوة او دفع الم، فاولئك ليسوا احباء الله و اوليائه.

واما العلماء بالله فهم اولياء الله على الحقيقة لانهم قوم يحبهم ويحبونه (المائدة ـ ٥٤)، ولولا وجودهم فى الارض لتنوير قلوب الناس و تطهير نفوسهم عن الارجاس والادناس لقذفت السموات وبالا على من فى الارض، لانها تطحن بدورانها حبوب الكائنات و مواليد الظلمات ليصير بالتلطيف والتصفية اغذية للصالحات من النفوس العائدات الى جوار الله.

فسبحان الذى برزت له الذوات الصالحات و خرجت من ظلمات الهياكل و مضائق الابدان الى فسحة انوار القدس و اضواء الرحمن. و لنمسك عنان القلم عن صوب هذا النحو من الكلام، لانه مما يشمأز عنه طباع الاكثرين و ربما يحرك سلسلة الحمقى المجانين و لنصرفه الى منهج السماع الحسى، لان الجماهير اطوع للحس والرواية منهم للبرهان والدراية.

فنقول: دلائل فضيلة العلم من طريق النقل عن الكتاب والسنة و اثار السلف كثيرة لايعد ولايحصى و لنذكر جملة منها: اما من الكتاب فوجوه:

الاول: انه تعالى سمى العلم بالحكمة، ثم انه عظم امر الحكمة فى كثير من مواضع القران، فذلك يدل على عظم شأن العلم.

اما بيان الاول: فهو ان المفسرين قالوا: ان الحكمة جاءت فى القران على اربعة وجوه: احدها مواعظ القران قال فى البقرة: و ما انزل عليكم من الكتاب والحكمة (البقرة ـ ٢٣١)، وفى النساء: وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (النساء ـ ١١٣)، يعنى المواعظ، ومثلها فى ال عمران.

و ثانيها: الفهم والعلم قوله: و اتيناه الحكم صبيا (مريم ـ ١٢)، وفى لقمان: و اتينا لقمان الحكمة (لقمان ـ ١٢)، يعنى الفهم والعلم، وفى الانعام: اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم (الانعام ـ ٨٩).

و ثالثها النبوة، فى النساء: فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة (النساء ـ ٥٤)،

يعنى النبوة، وفى «ص» و اتيناه الحكمة (ص ـ ٢٠)، يعنى النبوة.

و رابعها القران، فى النحل: ادع الى سبيل ربك بالحكمة (النحل ـ ١٢٥)، و فى البقرة: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً (البقرة ـ ٢٦٩)، و جميع هذه الوجوه عندالتحقيق يرجع الى العلم.

واما الثانى: فهو ظاهر مكشوف من صريح القران فى مواضع الامتنان، ثم تأمل حيث سمى الله الدنيا بحذافيرها قليلا، قل متاع الدنيا قليل (النساء ـ ٧٧)، و ما سماه قليلا لانحيط بكمية مقدارها، فما ظنك بما سماه خيراً كثيراً كيف يعلم احد قدره الاالله؟

ثم البرهان العقلى قائم على قلة الدنيا كماً و كيفا و كثرة الحكمة قدراً و شرفاً، لان الدنيا متناهية الابعاد والكميات و كذا القوى والكيفيات المتعلقة بها والحكمة لانهاية لقدرها و عدتها و مدتها، لانها فوق الكميات و وراء الاعداد والمدد، و بها قامت السموات والارض فى الدنيا و اقيمت القيامة و طبقات الجنات فى الاخرة، فهذا ينبهك على فضيلة العلم.

الثانى قوله: هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (الزمر ـ ٩). اعلم انه عزوجل قد فرق فى كتابه بين سبعة امور و اضدادها: فرق بين الخبيث و الطيب فقال: قل لايستوى الخبيث و الطيب (المائدة ـ ١٠٠)، وبين الاعمى والبصير، قل هل يستوى الاعمى و البصير (الرعد ـ ١٦)، وبين النور والظلمة و بين الجنة و النار و بين الظل و الحرور. و اذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذاً من الفرق بين العلم والجهل اما بالحقيقة اوعلى التشبيه والتمثيل.

الثالث قوله تعالى: اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩) و المراد منه على اصح الاقوال. اما العلماء بالله و اليوم الاخر عامة او الائمة المعصومون عليهم السلام كما هوعند اصحابنا لانها اعلم العلماء. فالمرجع فى القولين الى العلم و كماله لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولاينعكس، ثم انظر الى هذه المرتبة فانه تعالى ذكرهم فى موضعين من كتابه فى المرتبة الثانيه فقال: شهدالله انه لااله الاهو

و الملائكة و اولوا العلم قائما بالقسط (آل عمران ـ ١٨)، وقال: اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩) ثم انه زاد في التعظيم والاكرام فجعلهم في المرتبة الاولى في ايتين قال: ومايعلم تأويله الاالله و الراسخون في العلم (ال عمران ـ ٧)، وقال: وكفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد ـ ٤٣).

الرابع قوله تعالى: يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ١١).

قال بعض المفسرين: انه تعالى ذكر الدرجات لاربعة اصناف: اولها للمؤمنين من اهل بدرو هوقوله: انما المؤمنون الذين اذا ذكرالله وجلت قلوبهم... الى قوله: لهم درجات عند ربهم (الانفال ـ ٢ ـ ٤).

الثانية للمجاهدين لقوله: فضل الله المجاهدين... على القاعدين درجة (النساء ـ ٩٥).

والثالثة من عمل الصالحات، قوله: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاؤلئك لهم الدرجات العلى (طه ـ ٧٥).

و الرابعة للعلماء، والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ١١) فالله فضل اهل بدرعلى غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات، ثم فضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب كون العلماء افضل الناس.

الخامس قوله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ـ ٢٨).

اعلم ان الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب: التوحيد و الشهادة: شهدالله... الى قوله: واولوا العلم (ال عمران ـ ١٨)، و ثالثها البكاء: ويخرون للاذقان يبكون (الاسراء ـ ١٠٩)، و رابعها الخشوع: ان الذين اوتوا العلم من قبله (الاسراء ـ ١٠٧)... الاية، و خامسها الخشية: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ـ ٢٨).

و اما الحديث فكثير منها مامر في طريقنا وماسيأتي ومانحن فيه من قوله عليه ـ

السلام: ان امقت عبيدى الى الجاهل «آه»[١]. فاذا كان الجاهل المستخف بحق العلماء التارك للاقتداء بهم امقت الناس عندالله وكان التقى الصالح الطالب للثواب الجزيل، فى لزومه للعلماء و اتباعه لهم.

وقوله عنهم: احب الناس اليه تعالى، دل ذلك على فضل العلم وشرفه اتم دلالة و اوضحه.

ومنها ما فى طريق الجمهور من وجوه: احدها ثابت عن انس قال صلى الله عليه واله: من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العلم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة و بنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض يستغفر له ويمسى ويصبح مغفوراً له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار.

وثانيها عن انس قال رسول الله صلى الله عليه واله: من طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله، و ان باباً من العلم يتعلمه الرجل بمنزلة من يكون له ابو قبيس ذهباً فينفقه فى سبيل الله.

و ثالثها الحسن مرفوعاً: من جائه الموت و هو يطلب العلم ليحيى به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة فى الجنة.

و رابعها ابوموسى الاشعرى مرفوعا: يبعث الله عباده يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء انى لم اضع نورى فيكم الا لعلمى بكم، ولااضع علمى فيكم لاعذبنكم انطلقوا فقد غفرت لكم.

وخامسها قال صلى الله عليه واله: معلم الخير اذامات بكى عليه طير الهواء و دواب الارض وحيتان البحر.

و سادسها ابوهريرة مرفوعا انه قال: من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبى من الانبياء.

وسابعها ابن عامر مرفوعاً: فضل العالم على العابد سبعين درجة بين كل درجة

١ــ اى: الى اخره.

حضر الجواد المضمرة[1] سبعين سنة، و ذلك لان الشيطان يضع البدعة للناس فينظرها العالم ويزيلها، والعابد مقبل على عبادته لايتوجه لها ولايعرف بها.

وثامنها الحسن مرفوعا: رحمة الله على خلفائى فقيل يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله.

وتاسعها قال النبى صلى الله عليه واله: من خرج يطلب باباً من العلم ليرد باطلا الى حق اوضلالا الى هدى، كان علمه كعبادة اربعين عاما.

وعاشرها قال صلى الله عليه واله لعلى عليه السلام حين بعثه الى اليمن: لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما تطلع عليه الشمس اوتغرب.

الحادى عشر ابن مسعود قال صلى الله عليه واله: من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبياً.

الثانى عشر عامر الجهنى مرفوعا: يؤتى بمداد طالب العلم و دم الشهداء يوم القيامة، لايفضل احدهما على الاخر، وفى رواية فيرجح مداد العلماء.

و الثالث عشر ابو واقد: انه صلى الله عليه واله بينما هوجالس و الناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر: فاما احدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس اليها، واما الاخر فجلس خلفهم، واما الثالث فانه رجع وفر، فلما فرغ من كلامه قال: الا اخبركم عن النفر الثلاثة؟ اما الاول فاوى الى الله فاواه الله، و اما الثانى فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه، و اما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه.

والرابع عشر قيل: يا رسول الله اى الاعمال افضل؟ قال: العلم بالله تعالى فقيل: اى الاعمال تزيد[2]؟ قال: العلم بالله، فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال صلى الله عليه واله: ان قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لاينفع مع الجهل.

١ــ حضر الفرس، اى عدوها. و تضمير الخيل: هو ان يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لاتعلف الا قوتا، و مضمار الفرس: غايته فى السباق، والمعنى: مسافة سبعين سنة تقطعها الخيل المضمرة الجياد ركضاً.

٢ــ اى العلم تريد؟ (المغنى).

الخامس عشر قال النبى صلى‌الله عليه واله: اذا كان يوم القيامة يقول‌الله تعالى للعابدين و المجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء: ان هؤلاء بفضل علمنا تعبدوا و جاهدوا، فيقول‌الله: انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون[١]، وهذا انما يكون للعلم[٢] المتعدى بالتعليم لاالعلم اللازم الذى لايتعدى.

السادس عشرقال صلى‌الله عليه واله: الدنيا ملعونة ملعون‌مافيها الا ذكرالله‌تعالى وما والاه او معلماً او متعلما.

السابع عشر قال صلى‌الله عليه و اله: ان‌الله تعالى و ملائكته و اهل‌السموات والارض حتى‌النملة فى‌جحرها و الحوت فى‌البحر ليصلون على‌معلم‌الناس بالخير[٣].

الثامن عشر: انه صلى‌الله‌عليه واله‌خرج ذات يوم فرأى مجلسين احدهمايدعون الله ويرغبون‌اليه و الثانى يعلمون‌الناس فقال صلى‌الله عليه واله: اما هؤلاء فيسألون‌الله تعالى ان‌شاء اعطاهم و ان‌شاء منعهم، و اما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلماً، ثم عدل اليهم وجلس معهم.

والتاسع عشر: لاحسد الافى اثنين: رجل اتاه‌الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس، و رجل اتاه مالا فسلطه على انفاقه فى‌الحق فهوينفق منه سراً وجهراً.

العشرون: قال صلى‌الله عليه و اله: نعم‌الهدية و نعم‌العطية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة[٤].

فهذه عشرون حديثا رواها العلماء العامة بعضها متفق عليه.

وفى‌كتاب الاحياء لابى‌حامد الغزالى. قال على‌عليه‌السلام ياكميل: العلم خير من‌المال، العلم يحرسك و انت تحرس‌المال، و العلم حاكم والمال محكوم عليه، و المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على‌الانفاق، وقال عليه‌السلام: العالم افضل من‌الصائم

١ــ يدخلون الجنة (المغنى).

٢ــ بالعلم (احياء).

٣ــ الخير (المغنى).

٤ــ عبادة سنة (المغنى).

القائم المجاهد، و اذامات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها الاخلف مثله[١]، وقال ايضاً نظما وقيل انه لابنه الحسين عليهما السلام:

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم ادم و الام حواء
فان يكن لهم في علمهم شرف تفاخرون به لا الطين و الماء[٢]
ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
و وزن[٣] كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تحز طيب الحيوة به[٤] فالناس موتى و اهل العلم احياء

و اما الآثار فقيل العلماء سرج الازمنه كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره.

اقول: قدمر ان العلم في الحقيقة نور عقلي و وجود صوري مجرد عن الجسم و ظلماته وغواشيه، ومثاله في الشاهد المحسوس هو النور الحسي الذي يبصر لذاته و يبصر به سائر المبصرات. وكما ان النور المحسوس يتفاوت شدة وضعفاً وكمالا و نقصاً فمراتبه امثلة لمراتب النور العلمي، الا ان من العلم ماهو مجرد عن غيره قائم بذاته بلاماهية وهو علم الله تعالى، ومنه ماهو مجرد عن المواد و الاجرام، ثابت الذات من غير تغير لكن غير برىء الذات عن الماهية ولوازمها من الامكان والحاجة اليه تعالى، و هو علم الذوات العقلية التي هي كلمات الله من الملائكة و الانبياء عليهم السلام و ضرب من الاولياء، ومنه ماهو مع كونه زائداً على الذات، فهو متغير زماني وهو العلوم النفسانية الفائضة على النفوس بواسطة العقول التامة، وهو علم سائر العلماء على تفاوته فيهم. اذا تقرر هذا فنقول:

لو كان في النور الحسي ضوء قائم بذاته لكان مثالا لعلم الله تعالى، والله نور

١ــ منه (الاحياء).
٢ــ هذين البيتين ليستا في الاحياء.
٣ــ و قدر (الاحياء).
٤ــ ففز بعلم تعش حياً به ابدا (الاحياء).

السموات والارض (النور ـ٣٥)، و اما الشمس فمثال لعلم الملائكة و الانبياء و الاولياء عليهم السلام: فان علومهم زائدة على ذواتهم فائضة عليهم من الله، ضرورة كالشمس وضوئها اللازم لها لابواسطة نيراخر، والكواكب امثلة لعلوم الاولياء المستفادة عن الله بتابعية النبى صلى الله عليه واله على وجه الاعداد لا الايجاد، كانوار الكواكب عندمن جعلها فائضة من الله تعالى على اجرامها بتبعية نور الشمس بتبعية لازمة.

و اما النيرات و المصابيح و السرج فانوارها امثلة لعلوم العلماء النظار و المجتهدين، لان علومهم ليست مستفادة من الله وملكوته الاعلى كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلام. بل انما هى حاصلة لهم بتعليم بشرى خارجى لاباستفاضة باطنية بطريق الوحى و الالهام؛ فالمراد من العلماء فى قوله: العلماء سرج الازمنة، هو العلماء النظار و اهل الاجتهاد؛ و اما سائر المتعلمين و المقلدين فمثالهم فى علمهم الحاصل بالتقليد كمثال نورالارض، نورالجدار والسطح وصحن الدار.

قال ابن مسعود رضى الله عنه: عليكم بالعلم قبل ان يرفع، و رفعه ان يهلك رواته، فوالذى نفسى بيده ليؤدن رجال قتلوا فى سبيل الله تعالى شهداء ان يبعثهم الله علماء لمايرون من كرامتهم.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء ارحم بامة محمد صلى الله عليه واله من ابائهم و امهاتهم قيل: فكيف ذلك؟ قال: لان ابائهم و امهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة.

وقال معاذ بن جبل: تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة[1] وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة و بذله لاهله قربة، و هو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة، والدليل على الهدى والمصباح فى السراء والضراء، والدين عند الاخلاء[2] والقريب عند الغرباء والسلاح على الاعداء و منار سبيل الجنة.

١ـ خشية (المغنى).

٢ـ والدليل على السراء والضراء والزين عند الاخلاء «الاحياء» وفى نسخة اخرى: والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء.

يرفع الله تعالى به اقواماً فيجعلهم فى الخير قادة هداة، فيقتدى بهم ادلة فى الخير تقتص اثارهم و ترمق[١] افعالهم و ترغب الملائكة فى خلتهم و باجنحتها تمسحهم ، و كل رطب و يابس يستغفر لهم حتى الحيتان فى البحر و هوامه و سباع البر و انعامه و هوام الارض والسماء و نجومها.

لان العلم حيوة القلب من العمى و نور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الاخيار والدرجات العلى، و به يطاع الله و به يعبد و به يوحد و به يتورع ويزهد و به توصل الارحام وتعرف الحلال والحرام، و هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء. والله اعلم.

وسأل ابن المبارك عن[٢] الناس فقال: العلماء قيل: فمن الملوك؟ قال الزهاد، قيل: فمن السفيه[٣]؟ قال: الذى يأكل بدينه[٤].

وانما لم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى بها ميز الانسان عن البهائم هى العلم والانسان، انسان بما هو شريف لاجله، و ليس ذلك بقوة شخصه، فان الجمل اقوى منه، ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه، ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه، ولا باكله فان الحمار اوسع منه بطناً، ولا بالمجامعة فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه، بل لم يخلق الا للعلم ولا يشرف الا بذلك.

وقال فتح الموصلى: أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قال: بلى! قال: كذلك القلب اذا منع العلم والحكمة ثلاثة ايام.

و لقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة و بهما حيوته، كما ان غذاء الجسد الطعام، و من فقد العلم والحكمة فقلبه مريض و موته لازم ولكنه لايشعر. اذ حب الدنيا و اشتغاله بحيوة الجسد ابطل احساسه بالموت، و اذا حط عنه موت الجسد اعباء الدنيا

١ــ اى اطال و ادام النظر.
٢ــ من (الاحياء).
٣ــ السفلة (الاحياء).
٤ــ يأكلون الدنيا بدين (الاحياء).

احس بهلاكه.

وقال الاحنف: كاد العلماء ان يكونوا اربابا، وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل مصيره. و قال ابن ابى الجعد: اشترانى مولاى بثلاثة مائة درهم و اعتقنى، فقلت: باى حرفة احترف؟ فقال: باحسن حرفة فاحترفت بالعلم، فما تمت لى سنة حتى اتانى امير المدينة زائراً فلم اذن له.

وقيل لبعض الحكماء: اى الاشياء تقتنى؟ قال الاشياء التى اذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعنى العلم. ولعله اراد بغرق السفينة هلاك البدن بالموت.

و هذا اى تشبيه البدن بالسفينة والدنيا بالبحر يوافق كلام فيثاغورس فى رسالة له فى معاتبة النفس حيث قال: يا نفس ان هذا المركب الذى قد ركبته فى هذا البحر الاعظم جوهره من جوهر هذا الماء، انما هذه السفينة مياه جامدة و بالغرور تركبت، ويوشك ان تطلع عليها الشمس فينحل فتعود الى عنصرها و تتركك جالسة على وجهها ان امكنك الجلوس، ولامركب حينئذ الا ما اكتسبته من جودة السباحة وحسن التهدى. انتهى.

والمراد ان النفس عند هلاك البدن لا يمكنها الخلاص من بحر الطبيعة التى سيبرز فى القيامة نار جهنم الا بسفينة العلم والهدى ولا المشى على الصراط الا بقوتى اليقين والتقوى.

وقيل لاسكندر: ما بالك تحب معلمك اكثر مما تحب لابيك؟ فقال: لان معلمى سبب حيوتى الروحانية الاخروية و ابى وسيلة حيوتى الجسمانية.

ومن وصايا لقمان لابنه يابنى: جالس العلماء و زاحمهم بركبتيك، فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما انه يحيى الارض بوابل السماء.

و اعلم ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم؛ اما التورية ففيها انه تعالى قال لموسى عليه السلام: عظم الحكمة فانى لااجعل الحكمة فى قلب عبد الا واردت ان اغفر له، فتعلمها ثم اعمل بها ثم اتركها لى تنال بذلك كرامتى فى الدنيا والاخرة.

واما الزبور، فقال الله تعالى يا داود: قل لاحبار بنى اسرائيل و رهبانهم: حادثوا

من الناس الاتقياء ، فان لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء ، فان لم تجدوا فحادثوا العقلاء. فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ماجعلت واحدة منهن فى احد من خلقى و اريد هلاكه.

وانما قدم التقى على العلم لان التقى لايوجد بدون العلم ـ كمابين فى موضعه من ان الخشية لاتحصل الا مع العلم ـ ولاشك ان الموصوف بالامرين اشرف من الموصوف باحدهما، ولهذا السر قدم العالم على العاقل لان كل عالم عاقل ولاعكس كلياً، قال تعالى: و اتقوا الله يعلمكم (البقرة - ٢٨٢).

بل اقول: التقوى يوجب تجرد النفس عن الدنيا والاجرام، والتجرد مستلزم للعلم، وكل مجرد عن المواد ذاتاً و تعلقاً فهو كامل بالفعل.

و اما الانجيل فقال تعالى فى السورة السابعة: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار، اطلبوا العلم و تعلموا فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم ، و ان لم يرفعكم لم يضعكم و ان لم يغنكم فلم يفقركم، و ان لم ينفعكم لم يضركم. ان الله يقول يوم القيامه: يا معشر العلماء، ما ظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا ان ترحمنا و تغفر لنا، فيقول: فانى قدفعلت انى استودعكم حكمتى لا لشر اردته بل لخير اردته بكم، فادخلوا فى صالح عبادى الى جنتى برحمتى.

و قال مقاتل: وجدت فى الانجيل ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى: عظم العلماء و اعرف فضلهم، و انى فضلتهم على جميع خلقى الا النبيين و المرسلين كفضل الشمس على الكواكب و كفضل الاخرة على الدنيا و كفضلى على كل شيء.

و روى عن عيسى عليه السلام انه قال: ان من امة محمد صلى الله عليه واله علماء حكماء كأنهم من الفقه انبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ويدخلون الجنة بلااله الاالله.

و اعلم ان المراد بهذه الكلمة فى مثل هذا الموضع، هو علم التوحيد لامجرد التلفظ بهالسانا او الاخطار بالبال مفهوماً، ولاالتصديق بها تقليداً ولاالاعتقاد بها قلباً بادلة يحررها المتكلم. و ان كان شيء من هذه المقامات، يكتفى به لعامة المكلفين و

يحكم باسلامهم فى الشريعة؛ وعلم التوحيد علم شريف يتشعب منه سائر العلوم، ويختص بدركه اخص خواص هذه الامة كما قيل: جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد اويطلع عليه الا واحد بعد واحد.

و روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء، قال الراوى: فالعلم مرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة؛ وعنه صلى الله عليه واله: الناس كلهم موتى الا العالمون، والخبر مشهور.

الناس موتى واهل العلم احياء والناس مرضى و هم فيهم اطباء
والناس ارض واهل العلم فوقهم سماء نور وما فى النور ظلماء
و زمرة العلم روح الخلق كلهم و سائر الناس فى التمثيل اعضاء

قال ابوسعيد الخدرى: يقسم الجنة على عشر الاف جزء، تسعة الاف وتسمائة وتسعة وتسعون للذين عقلوا عن الله امره، فكان قدر ثوابهم قدر ما قسم لهم من العقول يقسمون المنازل فيها، وجزء للمؤمنين الضعفاء.

وقال اخر وقد نسب الى على عليه السلام:

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله و اجسادهم قبل القبور قبور
وان امرء لم يحيى بالعلم ميت و ليس لهم حتى النشور نشور

وقال سقراط: اذا اقبلت الحكمة خدمت[1] الشهوات العقول، واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات.

وقيل لذيمقراطيس: لاتنظر، فغمض عينيه، قيل له: لاتسمع، فسداذنيه، قيل له: لاتتكلم، فوضع يده على شفتيه، قيل له: لاتعلم، قال: لااقدر.

وانما ارادان البواطن من عالم الملكوت بامر الله لاتندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر و اختيار الظاهر.

ولماكان الانسان بصورته الظاهرة من عالم الخلق و الحدوث كان معزول الولاية عن التصرف فى قلبه، ولهذا قال صلى الله عليه واله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع

١ــ الحكمة اذا اقبلت خدمت «الملل والنحل».

الرحمن يقلبه كيف يشاء، و انما خص ذلك بالمؤمن اذ الكافر لاقلب له. و دل هذا الكلام على فضيلة العلم للتميز الحاصل بين الادراك العقلى و الادراك الحسى.

فالاول امر ربانى لايتصور الانفكاك عنه لمن كان له ولا الاعراض عنه او النسيان له بالاختيار بخلاف الادراكات الحسية، فدل على ان العلم ليس من جنس الحس ولا العقل من عالم البدن.

وقال ارسطو: سلطان العقل على باطن العاقل اشد تحكماً من سلطان السيف على ظاهر الاحمق[١]، وقال: العقل لايألم فى طلب معرفة الاشياء بل الجسد يسأم ويألم، واخذ يوماً تفاحة فقال: ما الطف قبول هذه الهيولى لصورتها و انفعالها لما يؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ و الروائح والطعوم التى هى دلائل و اثار لروحانياتها حسب[٢] تمثيل النفس لها، كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل. وقيل: والطف منها قبول هذه النفس الانسانية العلامة لصورتها العقلية و انفعالها لمايؤثر العقل الكلى[٣] فيها من العلوم الروحانية حسب تمثيل العقل اياها، وكل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل.

قال الشيخ اليونانى وهومن قدماء الفلاسفة: كما ان البدن الخالى من النفس يفوح منه نتن الجيفة، كذلك النفس الخالية من العلم و الادب يختبر[٤] نقصها بالكلام و الافعال.

اقول: ويظهر خبثها و نجاستها و موتها على مشام اهل العقل ولهذا قال تعالى: انما المشركون نجس (التوبة ـ ٢٨)، وقال: انك لاتسمع الموتى (النمل ـ ٨٠).

و قال افلاطون: علة هبوط النفس الى هذا العالم سقوط ريشها، فاذا ارتاشت ارتفعت[٥] الى عالمها الاول.

١ـ هذه وما بعدها فى كتاب الملل والنحل من حكم الاسكندر الرومى.

٢ـ فيها من الاوضاع الروحانية: من تركيب بسيط وبسط مركب، حسب «الملل».

٣ـ النفس الكلية «الملل».

٤ـ يحس «الملل».

٥ـ ارتقت (اثولوجيا).

اراد بالريش العلم والمعرفة تشبيهاً للنفس بالطائر ولعلمها بالريش، اذ به يصعد الى عالم الملكوت ولجهلها و خطائها بسقوط ريشها، لانه الموجب لهبوطها.

و قال ارسطاطاليس : من قدر على خلع بدنه و تسكين حواسه و وسواسه و قدر فى فكره الرجوع الى ذاته والصعود بعقله على العالم الاعلى، فيرى حسنه و بهائه ونوره و بقائه.

و ذهب اسكندر الافروديسى وهو احد تلامذة ارسطو الى ان الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هى القوة العقلية و خالف استاذه.

والمتأخرون يثبتون بقائها على هيئات اخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فيستعد بها لقبول هيئات ملكية فى ذلك العالم.

ونحن قد حققنا الكلام فى هذا المرام بما لامزيد عليه فى سائر كتبنا.

و قال زينون الكبير فى رسالة له نقلا عن معلمه ارسطو حكاية عن معلمه افلاطن انه قال: ان شاهق المعرفة اشمخ من ان يطير اليه كل طائر و سرادق البصيرة احجب من ان يحوم حوله كل سائر.

وقال فيثاغورس فى رسالة المسماة بالذهبية: يانفس، اعلمى ان اربعة هى السبب فى هلاك النفس: الجهل والجور والفقر والخوف، فمن بحث عن العلم عدم الجهل، و من ترك المقتنيات[1] الخارجية عدم الجور، ومن ترك الشهوات وعف عنها عدم الفقر، ومن تشوق الى الموت الطبيعى عدم الخوف.

يانفس[2] هذه رتب جماعة ثلاث فكونى على اشرفها و اجملها.

فادناها رتبة عامل غير عالم كرجل ذى سلاح لاشجاعة لها، و ما عسى يصنع الجبان بالسلاح؟

والرتبة الثانية رجل عالم غير عامل، و هو كرجل شجاع لاسلاح معه وكيف

١ــ اى متخذات لنفسه. يقال قناه يقنوه و اقتناء: اى اتخذه لنفسه دون البيع.

٢ــ اى قال فى عبارة اخرى.

يلقى عدوه ولاسلاح معه؟ غير ان الشجاع على السلاح اقدر من الجبان على الشجاعة[١]، وكذلك عامل غير عالم.

الرتبة الثالثة هى رجل عالم عامل، وهو كرجل ذى شجاعة وسلاح، وهذه ينبغى ان يكون الرتبة الشريفة.

اقول: ههنا دقيقة غفل عنها الاكثرون، وهى ان العلم علمان: علم حر لاتعلق له بالعمل وعلم مقيد متعلق بالعمل.

وبعبارة اخرى: العلم علمان: هو علم وسيلة العمل و مبدأه وعلم هو نتيجة العمل و ثمرته.

و بعبارة اخرى: العلم علمان: علم السلوك و علم الوصول.

اذا تقرر هذا فنقول: ان الذى وقع عليه التقسيم بهذه الاقسام الثلاثة فى كلام هذا الحكيم، انما هو العلم المتعلق بالاعمال والعبادات لا العلم بالمعنى الاخر، و هو العلم الاعلى المطلق الحر الذى سائر العلوم خدمه و عبيده و صاحبه ارفع حالا من ان يؤثر فيه عداوة احد او كيد كائد او حسد حاسد، لان سره مشغول بالحق خارج من عالم الظلمات الى عالم النور، و نفسه اكبر من ان يخرجه زلة بشر او يغويه شيطان مريد.

وقال ايضا: يانفس، انى تأملت اللذات كلها فلم اجد الذمن ثلاثة هى الاصل: الامن و العلم و الغنى. ولكل من هذه الثلاثة اصل وينبوع يحركه، فمن طلب العلم فليذهب الى معنى التوحيد، فانه بالتوحيد يكون المعرفة والعلم وبالتخمين والاشراك يكون النكرة والجهل و الشك، ومن طلب الغنى فليذهب الى رتبة القنوع، فانه حيث لاقنوع لاغناء، و من طلب الامن فليعتقد التحرى بمفارقة عالم الطبيعة و هو الموت الطبيعى.

اقول: لقد صدق هذا الفيلسوف فى قوله بالتوحيد يكون المعرفة والعلم، و ذلك ان من امعن فى النظر وجد ان كل علم وعرفان انما يرجع الى ضرب من التوحيد، و

١ــ اى ويمكن للشجاع تحصيل السلاح بطريق سهلة ولايمكن للجبان.

انمدار العلم بحقائق الاشياء بالاطلاع على جهة وحدتها، و كل من كان علمه احكم و اقوى و ارفع و اعلى، كان اطلاعه على حقيقة الوحدة اكثر وهو على ارجاع الكثرات الى الوحدة اقدر.

و ايضا كل موجود، هو اشد وحدة و اتم بساطة فهو اكثر جمعية للفضائل و المعانى واوفر احاطة بالموجودات، حتى ان العقل لبساطته كل المعقولات و البسيط الحقيقى كل الموجودات، وهو مع ذلك متفرد عن جميع الاشياء غنى عما عداه.

وقال ايضاً: ان من اصعب الاشياء ان تعمل صناعة الصياغة بالة الفلاحة او صنعة النجارة بالة الخياطة. ولكل صنعة اداة لن يستوى عملها الابها، فمن اراد ان يعمل الخياطة فينبغى ان يرمى من يده الة الفلاحة و يأخذ للخياطة اداتها التى تصلح لها، فكذلك يا نفس ينبغى لمن اراد عمل الاخرة، ان يترك من يده اداة الجهل والشر، فخذى[1] للعلم والخير اداتهما، فانه متى عملتها باداتهما حصلا[2] بغير تعب ولانصب، و اعلمى ان الشهوة والعلم وحب الدنيا والخير لايجتمعان فى قلب ابداً.

فتصورى يا نفس حقيقة هذا، و ان بالعلم تدركين ببصر عقلك اتصالك ببارئك ومناسبتك اياه، فتلتذى بذلك لذة الحق، و انه بالجهل تعدمين ذلك فتنكرينه، و ذلك لعمائك وظلمتك.

وقال ايضا: يا نفس: ان الموت الطبيعى ليس هو شىء غير غنية النفس عن الجسد، فاذا تقررتها فى علمك فتعلمى ان الرجل الحكيم العالم عند حضوره، هو حكيم عالم فى مغيبه[3] لن ينتقل عن حكمته وعلمه اينما توجه واينما سلك. فتنبهى يا نفس لهذا المعنى وتيقنى ايضا بان غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشر يختلفان، لان شجرة الخير لن تثمر الاخيراً وشجرة الشر لاتثمر الا شراً، فقد اتضح ضرورة و عقلا وحساً ان الشىء لايثمر الانوعه وشكله ولايلد الامثله. فهل رأيت حماراً اولد انساناً؟ اوانساناً

١ــ اى النفس.

٢ــ حصل، النسخة البدل فى الاصل للشارح.

٣ــ عند غيبته. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

اولدفرسا؟

فان اتضحت لك يا نفس هذه المعانى: فاطلبى العلم بحقائق الاشياء و اغرسى شجرة العلم و الخير لينجلى بصرك، فتستثمرى من علمك علماً و من فعلك الخير خيراً ومن استبصارك بصيرة ونوراً وهدى، فتستكنى بذلك المحل الاعلى وتتم لك السعادة القصوى و الراحة الابدية.

اقول: قداشرنا فيماسبق ان المعرفة فى هذا العالم ينقلب مشاهدة وان العلم بحقائق الامور وعظائم الموجودات كالبارى جل اسمه بذر ملاقاتها. فان باطن الانسان و سره يصير فى القيامة ظاهره وعلنه، ويصير بصيرته بصره الذى به يبصر هناك ما علمه ههنا. و كل من كان جاهلا ناسياً ههنا، يحشر فى الاخرة اعمى و كل من الف الدنيا ومحسوساتها وشهواتها يحترق فى القيامة بنار الجحيم.

وقال يا نفس: تأملى جوهرك، واعتبرى و اعلمى ان جوهرك جوهر عال شريف، و ذلك لمناسبتها جميع العوالم، فتارة تنسب الى عالم الطبيعة فتكون انسانية حسية مشاهدة للمحسوسات، مشافهة للمآكل والمشارب والشهوات وجميع معانى الطبيعة، و تارة تنسب الى عالمها الاخص بها فتكون مدبرة، مستعملة محركة لقوى الوهم والخيال ذات استبحاث وتأمل و اختيار و ارادة.

فهذه المعانى: هى معانى النفس والحيوة المنبثة فى جميع مايحتوى عليه ملكوت النفس، وتارة تنسب الى عالم العقل فيكون منتزعة الصور من الهيولى مدركة للبسائط الاولى مميزة مصورة عاقلة لجميع المعانى الفاردة، و تارة تنسب الى العالم الالهى فيكون فاعلة للخير والجود امارة به خالية من الشر والجور، حكيمة الافعال متقنة الاعمال.

ومن اوضح الدلالة على انها تنتسب الى العلة الاولى، انها تسمو الى الاحاطة بجميع الاشياء التى تحوى عليه الملكوت الاعظم، و انها لن تلقى مستقرة راضية تامة الرضا دون ان يبلغ العالم العقلى بجميع مافيه، فحينئذ تلقى تامة مستقرة تامة الرضا.

وقال يانفس: ان القليل من العمل مع العلم به خير من كثير العمل مع قلة العلم به، انتهى ما استخرجنا من كلام هذا الحكيم.

و قال بعض الفضلاء: لاشك ان الانسان افضل الحيوانات وليست تلك الفضيلة لقوته و صورته، فان كثيراً من الحيوانات يساويه اويزيد عليه، فاذن ليست تلك الفضيلة الا اختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التى لاجلها صار مستعداً لادراك حقائق الاشياء والاطلاع عليها والاشتغال بعبادة الله على ماقال: و مـا خلقت الجن والانس الا ليعبدون (الذاريات ـ ٥٦).

و ايضا الجاهل كأنه فى ظلمة شديدة لايرى شيئا البتة، والعالم كأنه يطير فـى اقطار الملكوت و يسبح فى بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والـواجب والممكن والمحال . ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الـى البسيط والمركب، و يبالغ فى تقسيم كل منها الى انواعها و انواع انواعها و تحليلها الى اجزائها و اجزاء اجزائها والجزء الذى به يشارك غيره، والجزء الـذى به يمتاز عن غير حتى ينتهى فى الضرب الاول الى الاجناس البسيطة العالية، وفى الضرب الثانى الى الفصول البسيطة القاصية، و يعرف اثر كل شىء ومؤثره و مادته و صورته وجنسه و فصله، ولازمه و ملزومه وواحده وكثيره حتى يصير عقله كالنسخة المعقولة المأخوذة من جميع الموجودات اثبت فيها صور جميع المعلومات بتفاصيلها و اقسامها.

فاى سعادة فوق هذه الدرجة سيما وقد علمت ان علوم الانسان يصير فى القيامة اعياناً خارجية فيكون له فى ذاته عالم عظيم مفارق مصفى عن كل درن و ظلمة و افة و شر تحت حيطته وتصرفه يفعل فيه مايريد. وهذا هو الملك الدائم الذى لايزول والجاه الرفيع الذى لايرتفع.

ثم انه بعد صيرورته كذلك تصير مكملة للناقصين جاعلة للنفوس الجاهلة عالمة، فيصير كالشمس فـى عالم الارواح سبباً للحيوة الابدية لسائر النفوس. فيكون كبعض الملائكة واسطة بين الله و بين عباده فى نفخ روح الحيوة العقلية على قـوابل نفوسهم، و لذا قال تعالى: ينزل الملائكة بالروح من امره على مـن يشاء (النحل ـ ٢)، فالعلم حيوة النفس.

والمفسرون فسروا هذا الروح بالعلم والقران، فكما ان البدن بلاروح اى نفس،

ميت فاسد فكذا الروح بلاعلم ميت. و نظيره قوله تعالى: وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا (الشورى ـ ٥٢)، و قوله: اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نوراً (الانعام ـ ١٢٢)... الاية. فالعلم روح الروح و نور النور ولب اللب.

ومن خواص هذه السعادة انها تكون بالله امنة من الفساد والتغير، فان التصورات الكلية لايتطرق اليها الزوال والتغير. فاذاكانت هذه السعادة فى نهاية الجلالة فى ذاتها، ثم انها باقية ابد الاباد و دهر الداهرين كانت لامحالة اكمل السعادات.

و ايضا ان الانبياء صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق، قال تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة (النحل ـ ١٢٥)... الاية، و قال: قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى (يوسف ـ ١٠٨).

ثم خذ من اول الامر فانه سبحانه لماقال: انى جاعل فى الارض خليفة، فلماقالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء، قال سبحانه انى اعلم ما لاتعلمون (البقرة ـ ٣٠)، فاجابهم بكونه سبحانه عالماً فلم يجعل سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء جواباً لهم، و ذلك يدل على ان صفات الجلال والكمال و ان كانت فى نهاية الشرف الا ان صفة العلم اشرف.

ثم انه سبحانه لما اراد ان اقام الحجة عليهم فى استحقاق ادم منصب الخلافة، انما اظهر فضيلته عليهم بالعلم. و ذلك ايضا يدل على ان العلم اشرف من العمل سيما عمل الملائكة و هو التسبيح والتقديس، ثم انه تعالى لما اظهر علمه جعله مسجوداً للملائكة و خليفة العالم السفلى و هو يدل على ان تلك المرتبة انما استحقها ادم عليه السلام بالعلم.

ثم ان الملائكة افتخرت بالتسبيح والتقديس، والافتخار بهما انما يحصل لو كانا مقرونين بالعلم. و اما ان حصلا بدون العلم كان ذلك نفاقاً والنفاق اخس المراتب، و ان وقعا تقليدا، فالتقليد مذموم. فثبت ان تسبيحهم و تقديسهم انما صارا موجبا للافتخار ببركة العلم.

ثم ادم عليه السلام انما وقع عليه اسم المعصية لانه اخطأ فى مسألة واحدة

اجتهادية[1]، فلاجل هذه الخطاء وقع فيما وقع فيه، والشيء كلماكان الخطر فيه اكثركان اشرف فذلك يدل على غاية جلالة العلم، ثم انه ببركة العلم لماتاب و اناب و ترك الاصرار والاستكبار وجد خلعة الاجتباء، واما اللعين فلما اصر على جهله و استكباره طوقه الله المقت واللعن.

ثم انظر الى ابراهيم على نبينا و اله و عليه السلام كيف اشتغل فى اول امره بطلب العلم على ماقاله سبحانه: فلما جن عليه الليل رأى كوكبا (الانعام ـ ٧٦)، ثم انتقل من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس، ولم يزل ينتقل بفكره من شيء الى شيء الى ان وصل بالدليل الزاهر، والبرهان الباهر الى المقصود و اعرض عن الشرك، فقال: انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض (الانعام ـ ٧٩)، فلما وصل الى هذه الجهة، مدحه الله باشرف المدائح و عظمه على اتم الوجوه، فقال تارة: و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض (الانعام ـ ٧٥)، و تارة اخرى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء (الانعام ـ ٨٣).

ثم انه عليه السلام بعد الفراغ عن معرفة المبدأ، اشتغل بمعرفة المعاد فقال: و اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى (البقرة ـ ٢٦٠).

ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة تارة مع ابيه على ما قال: لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر (مريم ـ ٤٢)، و تارة مع قومه: ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون (الانبياء ـ ٥٢)، و اخرى مع ملك زمانه: الم تر الى الذى حاج ابراهيم (البقرة ـ ٢٥٨)... الاية.

و كذلك حال موسى على نبينا و اله و عليه السلام مع فرعون و وجود دلائله معه.

ثم انظر الى حال سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و اله كيف من الله عليه بالعلم مرة بعد اخرى فقال: و وجدك ضالا فهدى (الضحى ـ ٧)، و قال ايضاً: ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (الشورى ـ ٥٢)، و قال: ماكنت تعلمها

١ـ وهى ان النهى اما ان يكون للتحريم او غيره.

انت ولا قومك (هود ـ ٤٩)، ثم انه اوحى ما اوحى اليه قوله: اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق ـ ١)، ثم قال: و علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (النساء ـ ١١٣)، وقال فى معرض الامتنان على امته: هو الذى ارسل رسوله بالهدى (التوبة ـ ٣٣)، الذى انزل على عبده الكتاب (الكهف ـ ١)، هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة ـ ٢)، و اشار الى العلم والحكمة بقوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ٤).

و هو صلى الله عليه و اله كان يقول فى دعائه: رب ارنا الاشياء كماهى، و قال يوسف عليه السلام: رب قد اتيتنى من الملك و علمتنى من تأويل الاحاديث (يوسف ـ ١٠١)، و قال: اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (يوسف ـ ٥٥)، ولم يقل انى نسيب حسيب فصيح مليح.

و ايضا قد جاء فى الخبر: المرء مرء باصغريه: قلبه و لسانه، لان الاول محل الاعتقاد والرأى، والثانى محل الحكاية والقول فيعلم بجنانه و يتكلم بلسانه، قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وايضا فانه عزوجل قدم عذاب الجهل على عذاب النار فقال: كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم (المطففين ـ ١٥ و ١٦).

و عن على عليه السلام: عين العلم من العلو و لامه من اللطف و ميمه من المروة.

و قيل: العلم عشرة: علم التوحيد للاديان و علم الشر[1] لرد الشيطان و علم المعاشرة للاخوان و علم الشريعة للاركان و علم السياسة للسلطان و علم النجوم للازمان و علم المبارزة للفرسان وعلم الرؤيا للعيان و علم الطب للابدان وعلم الحقيقة للرحمن.

و قيل: ضرب الله المثل فى العلم بالماء قوله: انزل من السماء ماء... (الرعد ـ ١٧) الاية، لانه سبب للحيوة الباقية، والمياه اربعة و العلوم اربعة: ماء العين لعلم

١ ـ اى المغالطة. منه قدس سره.

التوحيد لايجوز تحريكه لئلا يتكدر، و لذا لاينبغى البحث عن كيفية ذات الله و قضائه لئلا يحصل الكفر، و ماء القناة لعلم الفقه يزداد بالاستنباط كماء القناة يزداد بالحفر، و ماء المطر لعلم الزهد ينزل صافياً و يتكدر بغبار الهواء و كذلك علم الزهد يتكدر بالهوى والطمع، و ماء السيل لعلم البدع والمقائيس كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق.

فهذه جملة من الاخبار و الاثار دلالة على فضيلة العلم وقد علمت الوجه العقلى فى ذلك، ولو ذهبنا الى ذكر الدلائل و الشواهد و الحكايات الدالة على هذا المطلب لما وفى بذلك المجلدات الكثيرة. والله اعلم.

الحديث السادس
وهو الثانى والستون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد» الظاهر ان يكون المراد به قاسم بن محمد الاصبهانى المعروف بكاسولا، لمشاركته مع سليمان فى البلد كما فى «صه» و يحتمل ان يكون قاسم بن محمد الخلفانى كوفى قريب الامر «صه» قال النجاشى: له كتاب روى عنه احمد بن ميثم.

«عن سليمان بن داود المنقرى» ابو ايوب الشاذكونى بصرى، قال النجاشى: ليس بالمتحقق بناغيرانه يروى عن جماعة اصحابنا من اصحاب جعفر بن محمد عليهما السلام وكان ثقة. انتهى. وفى «صه» مثله الا ان فيها الاصبهانى بدل بصرى و ابى جعفر بدل جعفر بن محمد، و قال ابن الغضائرى: انه ضعيف جداً لايلتفت اليه يوضع كثيراً على المهمات، وفى الفهرست و النجاشى له كتاب يروى عنه القاسم بن محمد.

«عن حفص بن غياث»، القاضى عامى المذهب له كتاب معتمد «صه» قال النجاشى: ابن غياث بن طلق بن معوية ابو عمرو القاضى الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام، روى عنه وعن ابى الحسن عليهما السلام ولى القضاء ببغداد الشرقية لهرون ثم ولاه قضاء الكوفة ومات بها سنة اربع وتسعين ومائة روى عنه ابن عمر. «قال قال لى ابو عبدالله

عليه‌السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم‌لله دعى فى ملكوت السموات عظيماً، فقيل: تعلم‌لله و اعمل به‌لله[١] وعلم‌لله.

الشرح

قوله عليه‌السلام: علم به بالتشديد للتعدية، وقوله: لله، اولا متعلق بكل واحد من الافعال الثلاثة: اعنى التعلم والعمل والتعليم بدليل ما فصل اخيراً.

و الملكوت اسم مبنى من الملك كالجبروت و الرهبوت من الجبر و الرهبة، و المراد بملكوت كل شيء باطنه المتصرف فيه المالك لامره باذن‌الله. فان لكل موجود فى هذا العالم الحسى الشهادى صورة باطنية فى عالم اخر روحانى غيبى نسبتها اليه نسبة الروح الى البدن، وكما يتفاوت الموجودات فى هذا العالم شرفاً و فضيلة كذلك يتفاضل الموجودات فى ذلك العالم، فملكوت الاشرف اشرف من ملكوت الاخس، اذلا شبهة فى ان باطن الحيوان اشرف من باطن الجماد مثلا لكن التفاضل فى الدرجات هناك اكثر و اعظم كما فى قوله‌تعالى: وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (الاسراء ٢١).

ولماكان اشرف الاجسام فى هذا العالم هو السموات بما فيها من الاجرام الكريمة النورانية فملكوت السموات وما فيها اشرف و اعلى من ملكوت الارض ومافيها. ثم من كان يدعى عظيما فى ملكوت السموات كان مقامه اشرف و اعلى من مقام اهل الملكوت الاعلى، فما اجل و اعظم فضيلة العلم حيث يجعل به الانسان السفلى الارضى اعظم من اهل الملكوت العلوى السماوى؟

ثم لايخفى ان العلم كمامر قسمان: علم معاملة وعلم مكاشفة، والثانى اشرف من الاول والمذكور فى هذا الحديث هو الاول لدلالة قوله عليه‌السلام: وعمل به، فاذا كان حال القسم الادون من العلم هذا فما ظنك بحال القسم الاعلى المطلق الالهى؟

١ــ و عمل لله (الكافى).

باب صفة العلماء

و هو الباب السادس من كتاب العقل وفيه سبعة احاديث:

الحديث الاول
وهو الثالث والستون

«محمدبن يحيى العطار عن احمدبن محمدبن عيسى عن الحسن بن محبوب عن معوية بن وهب» البجلى ابو الحسن كوفى عربى صميم ثقة صحيح حسن الطريقة، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام «صه» قاله النجاشى وفى الفهرست: له كتب منها فضائل الحج، روى عنه ابن ابى عمير و على بن الحكم «قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه وتواضعوا لمن طلبتم منهم[1] العلم، ولاتكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

الشرح

الحلم و الوقار متقاربان فى المعنى، و الحليم من اسماءالله و هوالذى لايستحقه شىء من عصيان العباد ولايستفزه[2] الغضب عليهم، وفى الحديث: اولوا الاحلام والنهى، اى ذووا الالباب والعقول، واحدها الحلم بالكسر و هوالاناة و التثبت فى الامور، و ذلك من شعار العقلاء.

وقدمر فى الحديث الرابع عشر: انه من جنود العقل وضده السفه، و هومن توابع الجهل ومن شعب الانحراف عن طريق العلم، و كذلك الوقار ضده الخفة و الطيش و العجلة من فعل الشيطان، و التواضع التذلل والانكسار.

امر عليه السلام بعدالامر باكتساب العلم بتزيين النفس اى تكميلها بالحلم و الوقار و التواضع للمعلم والمتعلم فضلا عن التواضع و التذلل لمن خلق العلم والتعلم والتعليم و اوجدالعالم و المعلم و المتعلم.

١ــ منه (الكافى).

٢ــ اى يستخفه ــ استفزه: ازعجه ــ اخرجه من داره.

اما التواضع للمعلم فلكونه كالاب فى كونه وسيلة لحيوة المتعلم فى دار الباقية، فكما اوجب الشرع طاعة الابوين و الانقياد و التواضع وليس ذلك الالجعلها وسيلة لهذه الحيوة للولد، فكذلك اوجب العقل والشرع التواضع وحسن الانقياد للمعلم.

و اما التواضع للمتعلم فذلك لماله من المدخلية فى حصول الاجر و الثواب للمعلم، ولكونه باعثاً لمزيد العلم للاستاذ و تمرنه بالمذاكرة والتكرار معه. ثم نهى عليه السلام عما هو ضد التواضع و هو التجبر و التكبر فقال: ولاتكونوا علماء جبارين.

ثم افاد بقوله عليه السلام: فيذهب باطلكم بحقكم، ان الجبارية و الكبر امر باطل فيما سوى الرب تعالى وانه ممحق للعلم مزيل له، لان كون العبد عالماً بالله ينافى كونه جباراً. فمتى كان الرجل متجبراً استحال كونه عالماً بالحقيقة، فمن ادعى العلم وتكبر على خلق الله فدل ذلك على ان علمه ليس بعلم حقيقى بل انما هو مجرد حفظ الاقوال من غير بصيرة ، والله قاصم ظهر المتكبرين و مهلك الجبابرة و الفراعنة قال: أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين (الزمر ـ ٦٠). وفى الحديث الالهى: الكبرياء ردائى و العظمة ازارى فمن نازعنى فيها قصمت ظهره.

ثم ان قوله: ولاتكونوا علماء جبارين، دال على ان دفع هذا المرض المهلك وعلاجه مما هو واقع تحت اختيار العبد و الا لكان التكليف به تكليفاً بمالايطاق، و علاجه مذكور فى كتب الاخلاق مستفاد من الشرع وهو المداومة على افعال المتواضعين و المواظبة على سنتهم وطريقهم.

بل نقول: دواء هذا المرض الباطنى معجون مركب من اجزاء علمية وعملية:

اما العلمية: فان يعلم بالله وتوحيده فى الذات والصفات والافعال. وان كل وجود وكمال وجود من حيوة وعلم ومعرفة فهو لايكون الابفيض جوده و رحمته، و ان يعلم بان جميع ماسواه ليس لها فى ذاتها متفردة عن اثار فيضه وكرمه الا الليس الصرف و العدم الساذج، و ان لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم.

ويعلم بان النفس الادمية فى اول نشأتها، كانت من اذل الاشياء و ادونها و اضعفها و اخسها فخلقها الله و اوجدها بعدالعدم و خلقها من النطفة القذرة و دم الطمث

وصورها اولا بصورة العلقة، ثم المضغة ثم العظام ثم الجنين المشتمل على اللحم و العظم والرباط والعصب وسائر الاعضاء طوراً بعد طور ونشأة بعد نشأة الى ان استعد لصورة الانسانية القابلة للامر الربانى والسر المودع الملكوتى، ويعلم انه لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ولاموتاً و لاحيوة ولانشوراً.

ويعلم ايضاً ان السبب فى استكمالات الاشياء و ترقياتها سواء كانت طبيعية او ارادية كما يظهر عندالتفتيش و التحقيق ليس الا انكسار وضعف و عجز لحقها اولا فصارت بهامتهيئة لقبول صورة اوصفة كمالية اخرى.

الاترى ان العناصر مالم ينكسر سورة كيفياتها الشديدة المتضادة لم يتصور بصورة اخرى كمالية؟ وهكذا البذر و النواة المدفونة فى الارض مالم يصر قريبة من التعفن والفساد فى صورته الجمادية لم يفض عليها صورة النباتية؟ و كذا القياس فى صيرورة النبات حيواناً والحيوان ناطقا، وهكذا حال الانسان فى التدرج على اطوارها الكونية ونشآتها، فمالم يمت عن نشأة اولى لم يحيى بحيوة اخرى.

فالعلم الذى به يكمل النفس الانسانية لايحصل الابعد رياضة شاقة وتذلل وتخضع لله ولرسوله صلى الله عليه واله والائمة من بعده عليهم السلام ولسائر المعلمين والمشايخ، الذين هم ايضا من الوسائط بين المبدأ الفياض للعلوم وبين النفس القابلة المستعدة لها، فاذا كان الامر كما بينا فمن اين للعبد سيما العالم، التجبر و التكبر؟ فهذا هو الدواء العلمى.

و اما الدواء العملى: فهو التواضع بالفعل لله تعالى و المواظبة على ما ذكرنا اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه واله وسيرة الائمة الطاهرين عليهم السلام وغيرهم من العلماء الكاملين و الاخيار الصالحين، فان من احوال الرسول صلى الله عليه واله كما هو المنقول انه يأكل على الارض ويقول: انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد، و كان صلى الله عليه واله يركب على الحمار مردوفاً مع اخر.

و روى ان علياً عليه السلام اشترى لحماً بدرهم فحمله فى ملحفته فقال له احد: انا احمل عنك ياامير المؤمنين فقال: لا، ابو العيال احق ان يحمل شيئاً الى عياله، وعوتب

عليه السلام في ازار مرفوع فقال: يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب، وحال امير المؤمنين عليه السلام وتواضعه مع الناس سيما مع عبيده وخدمه مشهور لايحتاج الى البيان.

وكذا روى ان الحسن عليه السلام اجتاز بالمدينة في طريق وهو راكب فرأى جماعة من المساكين وقد اخرجوا كسراً يابسته وهم يأكلونها فسلم عليهم فقالوا: هلم يابن رسول الله الى الغداء، فجلس معهم على الارض وشاركهم في الاكل حتى فرغوا ثم قام، و روى انه عليه السلام مر يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون و كان عليه السلام صائماً فقالوا: هلم الى الغداء فقال: انى صائم، وخشى ان يكون قد حصل لهم كسر قلب بذلك فقال: تأتونى الليلة جميعا لافطر معكم، فاتوه عند المساء و اكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم.

و ربما روى ذلك عن الامام زين العابدين عليه السلام و روى انه تكلم رجل في زين العابدين عليه السلام و افترى عليه فقال عليه السلام له: ان كنت كما قلت فاستغفر الله و ان لم اكن كما قلت فغفر الله لك، فقام اليه الرجل و قبل رأسه وقال: جعلت فداك لست كما قلت فاغفر لى قال: غفر الله لك فقال الرجل: الله اعلم حيث يجعل رسالته (الانعام ـ ١٢٤) ، و خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت اليه العبيد و الموالى فقال لهم عليه السلام مهلا عن الرجل، ثم اقبل عليه و قال: ماستر عنك من امرنا اكثر، الك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فالقى اليه خميصة[1] كانت عليه و امر بالف درهم؛ وقيل لسلمان رضى الله عنه لم لاتلبس ثوباً جديداً فقال: انما انا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست، اشار به الى العتق في الاخرة.

قال الغزالى في الاحياء: ولايتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل، ولذلك امر العرب الذين تكبروا على رسول الله[2] صلى الله عليه و اله بالايمان و الصلوة جميعا وقيل: الصلوة عماد الدين و في الصلوة اسرار لاجلها كانت عماداً، ومن جملة ذلك مافيها من التواضع بالمثول بين يدى الله قائماً وبالركوع و السجود، وقد كانت العرب قديما

١ـ ثوب خز او صوف ـ منه قدس سره.

٢ـ على الله و رسوله «الاحياء».

يأنفون من الانحناء فكان يسقط من الواحد سوط فلاينحنى لاجله[١]، و ينقطع شراك نعله فلاينكس رأسه لاصلاحه، فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة و الضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم و يزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم و به امر سائر الخلق.

فان الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذى يقتضيه التواضع، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل مايتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقاً، فان القلوب لاتتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا، و ذلك لعلاقة خفية ارتباطية بل اتحادية بين النفس و البدن، وسر الارتباط الذى بين عالمى الملك و الملكوت والغيب والشهادة لايعرفه الا الكاملون فى المعرفة.

واعلم ان الذى يعرض للمتكبرين له اسباب سبعة ليس شىء منها بكمال حقيقى، انما الكمال بالحقيقة هو العلم الحقيقى لانه باق لايزال والعمل الصالح وسيلة اليه، و اما ماعداه ممايفنى بالموت فهو كمال وهمى، فمن هذا تعسر على المتصف بالعلم الظاهرى ان لايتكبر، وطريق العلاج فى كل من تلك الاسباب السبعة بالعلم والعمل مذكور فى موضعه ولنذكر انموذجاً من ذلك.

السبب الاول النسب: فمن تكبر من جهته فليعالج قلبه بمعرفة امرين: احدهما: ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره، ولذلك قيل:

ان افتخرت باباء ذوى شرف قلنا: صدقت ولكن بئس ماولدوا

فالمتكبر بالنسب اذا كان خسيساً فى صفات نفسه فمن اين يجبر خسته بكمال غيره؟ بل لوكان الذى ينتسب اليه حياً لكان له ان يقول: الكمال والفضل لى ومن انت؟ وانما انت دودة خلقت من بولى.

و الثانى ان يعرف نسبه الحقيقى فيعرف اباه وجده، فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب، وقد عرف الله نسبه فقال: و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (السجدة ـ ٧ و٨)، فمن كان هذا اصله كيف يتكبر اذ يقال له:

١ ـ سوطه فلاينحنى لاخذه «الاحياء».

يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأ ويا اقذر من المضغة، فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول: افتخر بالقريب دون البعيد، فالنطقه و المضغة اقرب اليه من الاب فليفتخر[١] بها.

فهذا هو النسب الحقيقى للانسان الطبيعى ومن عرفه لم يتكبر بالنسب. و يكون مثاله بعد هذه المعرفة و انكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه انه هاشمى لما اخبره بذلك والده فكان ذانخوة للشرف، فبينما هو كذلك اذا اخبره عدول ثقاة لايشك فى قولهم، انه ابن هندى حجام يتعاطى القذر، وكشفوا له وجه التلبيس عليه بحيث لم يبق له شك فى صدقهم. أفترى يبقى من كبره و تشرفه بالنسب شىء؟ بل يصير عند نفسه احقر الناس و ارذلهم، فهكذا البصير اذا تفكر فى اصله.

السبب الثانى التكبر بالجمال وهو صفاء ورواء فى ظاهر البدن وتناسب فى الاشكال و الصور، فلو نظر المتكبر به نظر العقلاء الى باطنه ولا ينظر نظر البهائم الى الظاهر لرأى من الفضائح مايكدر عليه تعززه بجماله، فانه وكل به الاقذار فى جميع اعضائه والرجيع[٢] فى امعائه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان[٣] تحت ابطيه، يغسل الغائط كل يوم دفعتين ويتردد الى الخلاء مرتين يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه، الى غير ذلك من المستقذرات التى يصحبه مما يؤدى ذكره الى التطويل، مع ماكان عليه فى بداية امره من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة و دم الحيض و خروجه من مجرى القذر مرتين، و ما يؤدى اليه فى نهاية امره من الجيفة والقبح والصديد والرفات والتراب الذى تذروه الرياح.

فمن عرف حاله هكذا لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن.

١ــ فليحقر «الاحياء».

٢ــ الرجيع هو العذرة والروث، لانه رجع عن حالته الاولى بعد ان كان طعاماً او علفا.

٣ــ جمع الصنة وهى رائحة البول و ذفر الابط ــ النتن عموماً.

السبب الثالث القوة والايد و يمنعه من التفاخر بها انيعلم ما سلط عليه من العلل و الامراض، فانه لو توجع بعرق واحد على بدنه لصاراعجز من كل عاجز و اذل من كل ذليل ، و ان سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه[1]، و ان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته، فمن لايقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة ولايقاوم بقة و يعجزه شوكة دخلت فى رجله فلاينبغى ان يفتخر، ثم رأى الفيل والجمل والحمار والبقر اقوى منه.

السبب الرابع الغنى وكثرة المال.

والسبب الخامس كثرة الاتباع والانصار و ولاية السلاطين و قربهم والتمكن من جهتهم، والتكبر بهذين السببين اقبح انواع التكبر ، لانه بمعنى خارج عن ذات الانسان وصفاته كالجمال والقوة والعمل، فالمتكبر بفرسه و داره لومات فرسه و انهدم داره بقى ذليلا، والمتكبر بتمكين السلاطين وولايتهم بناء امره على قلب اشد غلياناً من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق.

و بالجملة فكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل فكيف المتكبر بالغنى والثروة والتجمل؟ فان هذه شرف يسبقه اليهود به وانه شرف يأخذه السارق فى لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلساً ذا وبال و نكال، فالتفاخر به غاية الجهل.

السبب السادس التفاخر بالعلم، و هذه الافة اعظم الافات و اشد الادواء ، لان قدر العلم عظيم عندالله و عندالخلائق و هو مع ذلك مشتبه به الجهل، و لهذا قيل: اذا زل العالم زل بزلته العالم ، فينبغى للعالم ان لايستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل، فان خطر العلم اكثر من خطر الجهل و حجةالله على اهل العلم اوكد، و انه تعالى يحتمل من الجاهل ما لايحتمل عشره من العالم، و انه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذا لم يقض حق نعمةالله فى العلم ولذلك قال عيسى على نبينا واله و عليه السلام[2]

١ــ لم يستنقذه منه «الاحياء».

٢ــ قال صلى الله عليه واله «الاحياء» حديث متفق عليه من حديث اسامة بن زيد بلفظ: يؤتى بالرجل.

يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه[١] فيدور به كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمراً بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه.

وقد مثل الله تعالى للعالم الذى لايعمل بعلمه او لايطابق ظاهره باطنه و لسانه قلبه تارة بالحمار: مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً (الجمعة ـ ٥)، اراد به علماء اليهود، و تارة بالكلب: و اتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان... الى قوله: فمثله كمثل الكلب (الاعراف ـ ١٧٦)، اراد به بلعم بن باعور.

فالعالم و ان كان قدره اعظم من قدر الجاهل لكن خطره اعظم من خطر غيره، والجاهل اقرب الى السلامة من العالم لكثرة افاته و عظم اخطاره، نعم لو خلص من افاته و نجى يوم القيامة من العذاب كان نعيمه اعظم من نعيم الجاهل لكن ذلك غير معلوم، فكم من عالم يشتهى فى الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله[٢]، فهذا الخطر يمنع عن التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر؟

فان قلت: فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق و للمبتدع، وكيف يرى نفسه دونهم و هو عالم عابد، وكيف يجهل فضل العلم والعبادة، ومعلوم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر و اعظم؟

قلت: هذا العالم ان كان عالماً حقيقيا ربانيا فهو مستغرق فى شهود الحق وغافل عن نفسه و عن علمه و عرفانه، والتكبر على الغير فرع على الالتفات بالنفس وبكمالها وعرفانها، والعارف بالحق المحب له لايعرف ولايحب غيره تعالى وان كان ذلك الغير نفسه او عرفانه.

ونعم ماقال صاحب الاشارات فى مقامات العارفين و احوالهم: من اثر العرفان

١ـ الاندلاق هو الخروج بسرعة. الاقتاب واحدة القتب و هى الامعاء، اى خرجت امعائه بسرعة.

٢ـ بالله منه «الاحياء».

للعرفان فقد قال بالثانی ومن وجد العرفان فكأنه ما وجده بل وجد[1] المعروف به فقد خاض لجة الوصول[2].

و ان لم يكن عالماً حقيقيا فليتفكر فی خطر العاقبة، بل لو نظر الی كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه، اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان وحسن العاقبة ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر و سوء العاقبة، ثم ان المتكبر ممقوت عندالله معذب فی الاخرة، قال: اليس فی جهنم مثوى للمتكبرين (الزمر ـ ٦٠).

و الكلب و الخنزير احسن حالا ممن هو عندالله من اهل النار وهو لايدری انه ناج من العذاب ام لا، فكم من مسلم نظر الی عظيم من عظماء الصحابة قبل اسلامه كابی ذر وحذيفة ونحوهما رضی الله عنهم فاستحقره و ازدرأه وقد رزقه الاسلام وعظم منزلته وفاق علی اكثر الصحابة، فاذاً حق العالم ان لايتكبر علی احد بل ان نظر الی جاهل قال: انه عصی الله بجهل و انا عصيته بعلم فهو اقرب الی العذر منی، و ان نظر الی عالم هو اعلم منه فيقول: انه يعلم مالم اعلم فكيف اكون مثله؟ و ان نظر الی كبير هو اكبر منه قال: انه اطاع الله قبلی فكيف اكون مثله ؟ و ان نظر الی صغير قال: انی عصيت الله قبله فكيف اكون مثله؟ و ان نظر الی مبتدع او كافر قال: ما يدرينی لعله يختم له بالاسلام و يختم لی بماهو عليه[3]؟ فبملاحظة الخاتمة يقدر علی ان يدفع عن نفسه الكبر.

وكل ذلك بان يعلم ان الكمال فی سعادة الاخرة والقرب من الله لافيما يظهر فی الدنيا مما لابقاء له، ولعمری هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه، وحق كل منهما

١ـ كأنه لايجده، بل يجد المعروف به «الاشارات».

٢ـ قال نصير الدين الطوسی قدس الله سره القدوسی فی شرح هذه الفقرة: العرفان حالة للعارف بالقياس الی المعروف، فهی لامحالة غير المعروف، فمن كان غرضه من العرفان نفس العرفان فهو ليس من الموحدين، لانه يريد مع الحق شيئا غيره، و هذه حال المتبجح بزينة ذاته، و ان كان بالحق، اما من عرف الحق و غاب عن ذاته فهو غائب لامحالة عن العرفان الذی هو حالة لذاته.

٣ـ عليه الان «الاحياء».

ان يكون مصروف الهم الى اصلاح نفسه و مشغول القلب بخوفه لعاقبته لاان يشتغل بخوف العاقبة لغيره.

السبب السابع التكبر بالورع و العبادة، و ذلك ايضاً فتنة عظيمة ومرض شديد قلما يقبل العلاج، لانه مع حسن العمل وجودة الظاهر وماورد فى الكتاب و السنة من مدائح اهل الورع والعبادة ربما يكون قسى القلب جامد القريحة خامد الفطنة و قد سمع ان المقصود من العلم هو العمل لاغير؛ سيما وقد رأى من بعض العلماء مايقبح عنده فيزدريهم وينظر اليهم بعين الحقاره، فهذا مما يمتنع علاجه و هو من الهالكين، ولكن اذا كان فى ذاته لطيف الجوهر زكى الطبع يمكن قبوله للعلاج بان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لاينبغى ان يتكبر عليه كيف ماكان لما عرفت من فضيلة العلم وقدقال تعالى: هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (الزمر ـ ٩).

وقال صلى الله عليه واله: فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى. الى غير ذلك مماورد فى فضل العلم، فان قال العابد: ذلك العالم عامل بعلمه و هذا عالم فاجر فيقال له: اما عرفت؟ ان الحسنات يذهبن السيئات (هود ـ ١١٤)، و كما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه، وكل واحد منهما ممكن، و قدوردت الاخبار بمايشهد لذلك، و اذا كان هذا امراً غائباً عنه فلم يجز له ان يحتقر عالماً بل وجب عليه ان يتواضع له ويخدمه.

فهذا حال العابد مع العالم، فاما مع غير العالم فهو اما مستور الحال و امامكشوف الفسق، وعلى اى القسمين لاينبغى له التكبر عليه.

اما الاول[1] فلعله اقل ذنباً و اكثر عبادة منه و اشد حباً لله تعالى.

و اما الثانى[2] فلاينبغى للعابد ان يتكبر عليه بظاهر حاله، اذ ذنوب القلوب من الكبر و الحسد و الرياء والغل و اعتقاد الباطل و الوسوسة فى صفات الله تعالى وتخيل الخطاء فيه كل ذلك شديد عند الله، فربماجرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ماصرت

١ـ اى مستور الحال.

٢ـ اى مكشوف الفسق.

به عند الله ممقوتاً مطروداً عن باب رحمته، وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاصه والخوف عنه والتعظيم له ولملائكته وانبيائه واوليائه عليهم السلام ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته، فاذا انكشف الغطاء يوم القيامة فتراه ارفع منك بدرجات، فهذا ممكن، فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر على غيرك، فبهذا و امثاله يمكن دواء هذا المرض المهلك.

الحديث الثانى
و هو الرابع و الستون

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد بن عثمان عن الحرث[1] بن المغيرة النصرى» بالنون والصاد غير المعجمة، روى الكشى عن محمد بن قولويه قال: حدثنا سعد بن عبدالله عن احمد بن محمد بن عيسى عن عبدالله بن محمد الحجال، عن يوسف بن يعقوب قال: كنا عند ابى عبدالله عليه السلام فقال: اما لكم من مفزع اما لكم مستراح تستريحون اليه مايمنعكم من الحرث بن المغيرة النصرى؟ وروى ايضاً حديثا فى طريقه سجادة[2]: انه من اهل الجنة.

وقال النجاشى: حارث بن المغيرة النصرى من بنى نصر بن معوية بصرى روى عن ابى جعفر الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام وعن زيد بن على عليه السلام ثقة ثقة. «عن ابى عبدالله عليه السلام فى قول الله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ـ ٢٨)، قال: يعنى بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم».

الشرح

قد علمت ان العلم علمان: علم حقيقى هو العلم بحقائق الاشياء على ماهى عليها كماهو مسئول النبى صلى الله عليه واله فى دعائه، وعلم غير حقيقى هو معرفة الجزئيات

١ـ الحارث «الكافى ـ كش ـ جش» الحرث «جامع الرواة ـ الفهرست».
٢ـ اسم مكان.

المتغيرة وما يتعلق بالاعمال و الافعال و العلم بالحكايات و الروايات، ولكل منهما خواص ولوازم يعرفها العارفون.

فمن لوازم الاول الخشية عن الله والحياء فى الباطن لما يخطر على القلب من جلال الله و خوف القرب والرجاء لاخوف المعصية، و المحبة له تعالى و الشوق اليه و الى ملكوته الاعلى و الانزجار عن الدنيا و الزهد فيها، وتمنى الموت لاجل لقاء الله و الصدق فى جميع الاقوال والاعمال والقناعة بالقليل والتواضع.

ومن خصائص الثانى الامن من مكر الله والخوف من عذاب المعصية لامن لاستحقاقية القرب، و الاستحياء من الخلق الظاهر لامن الذى يتجلى فى القلب و يطلع على الضمائر، و الذكر والنسك باللسان و الجوارح و الظواهر لاالذكر بالقلب و الضمائر فى السر، فالعالم الحقيقى يلزمه الخشية لله و التقوى والورع عن محارمه ظاهراً وباطناً، فلاجرم يصدق فعله قوله وظاهره باطنه وغيره فى الاغلب بخلاف ذلك.

الحديث الثالث
وهو الخامس والستون

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى عن اسمعيل بن مهران عن ابى سعيد القماط» هو خالد بن سعيد ابو سعيد كوفى ثقة روى عن الصادق عليه السلام، و فى كتاب الكشى قال حمدويه: اسم ابى خالد القماط يزيد، وقال الشيخ الطوسى رحمه الله: خالد بن يزيد يكنى ابا خالد القماط قيل: انه ناظر زيدياً فظهر عليه فاعجب الصادق عليه السلام ذلك. «عن الحلبى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لايقنط[1] الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره، الا لاخير فى علم ليس فيه تفهم، الا لاخير فى قرائة ليس فيها تدبر، الا لاخير فى عبادة ليس فيها تفكر، وفى رواية اخرى: الا لاخير فى علم ليس فيه تفهم، الالاخير فى قرائة

١- لم يقنط (الكافى).

ليس فيها تدبر، الا لا خير فى عبادة لافقه فيها، الا لا خير فى نسك لاورع فيه.

الشرح

قدمر سابقا ان اسم الفقه كان فى اصل اللغة بمعنى الفهم مطلقا سواء كان فى امور الدين او فى امور الدنيا، يقال: فقه الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم و علم، وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيهاً عالماً، وقد جعله العرف السابق خاصاً بعلم حقائق الدين ومعارف الايمان وعلم طريق الاخرة وكيفية سلوك سبيلها ثم خص بعلم الفروع الشرعية فى عرف اللاحق، فيقال لمن عرف المسائل الفرعية من العبادات و المعاملات والحدود وغيرها و ان لم يعرف اصول المعارف و احوال المبدأ و المعاد انه رجل فقيه.

و القنوط اشد اليأس من الشىء يقال: قنط يقنط وقنط يقنط[1] فهو قانط وقنوط و القنوط بالضم هو المصدر، وقوله عليه السلام: لايقنط الناس، من باب التفعيل للتعدية اى لايجعلهم قانطين من رحمة الله، وقوله: لايؤمنهم، اى لايجعلهم آمناً و «الا» حرف يفتتح به الكلام للتنبيه، تقول: الا ان زيداً ضارب.

ذكر سلام الله عليه للفقيه بالعرف المتقدم علامات اربع يعرف بها: الاولى ان لايقنط الناس من رحمة ربهم، و الثانية ان لايؤمنهم من عذابه، الثالثة ان لايرخص لهم فى شىء من معاصيه، و الرابعة ان لايترك القران من حيث تلاوته و التدبر فى اياته و سوره و استفادة العلوم كلها منه، رغبة عن القران الى غيره من الكتب سواء كانت سماوية اوغيرها. اذفيه علم الاولين و الاخرين لمن كان له فهم وفقه، فمن اعرض عن القران و حاول اكتساب العلم والعرفان من كتب الفلاسفة وغيرهم فهو ليس بفقيه ولاعالم.

ولعله عليه السلام انما اخبر الناس بالفقيه اوعن الفقيه بذكر هذه العلامات على الخصوص له دون غيرها، لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم فى كل زمان يكون موصوفا باضداد هذه الصفات، ويؤيدما ذكرنا ان هذه المذكورات الاربعة كلها من باب السلوب، فدل على ان الغرض التعريض بحال العلماء السوء المتظاهرين

١ــ اى بالفتح والكسر الثانى.

بالفقه، و التنبيه على ان الفقيه بالحقيقة من الذى صفاته على نقائض صفات هؤلاء المشهورين عندالخلق باسم الفقيه، وهذا من باب تعريف الشيء بضده.

تبصرة

قوله عليه السلام: ولايقنط الناس من رحمةالله، اشارة الى بطلان مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة فى النار، وقوله: ولم يؤمنهم من عذاب الله، اشارة الى حال المرجئة ومن يجرى مجراهم من المغترين بالشفاعة، وقوله: ولم يرخص لهم فى معاصى الله، اشارة الى حال الحنابلة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة، و قوله: ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره، اشارة الى حال الحنفية لانهم عملوا بالقياس و تركوا القران مهجوراً، ففى كلامه اشارة الى ان الفقيه غير هؤلاء و اشباههم، فتدبر وكن على بصيرة فى دينك.

ثم اخذ عليه السلام فى التنبيه على ان ظواهر هذه الصفات الحسنة المشهورة سواء كانت من باب العلم اومن العمل اذا كانت معراة عن الاحوال السنية الباطنية مما لاخيرية فيها ولاطائل تحتها بل ضررها فى الاخرة اكثر من نفعها و خسارتها اكبر من فائدتها كما نبه الله تعالى عليه بقوله: قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا (الكهف ـ ١٠٣)... الاية، وقوله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه واله: و من الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا (البقرة ـ ٢٠٤)... الاية وبقوله: ومن الناس من يقول امنا بالله و باليوم الاخر وماهم بمؤمنين (البقرة ـ ٨) الايات...

و المراد من العلم الذى ليس فيه تفهم هو احدامرين: احدهما العلم التقليدى او الظنى الذى ليس عليه برهان ولاحصل من دليل قاطع، و الثانى العلوم النقلية و الحكايات، فان حافظى القصص و الاخبار وناقلى الاحاديث و الروايات ربما ظنوا بانفسهم انهم من جملة العلماء وانهم كذلك عند اكثر الناس، والله يشهد انهم لكاذبون، وكذا القراء ومن يجرى مجراهم اذا لم يكونوا من المتدبرين، فالعالم بلاتفهم والقارىء بلاتدبر لاينفكان غالباً عن ضرب من النفاق العلمى وهواشد قسمى النفاق، واشار عليه ـ

السلام الى القسم الاخر وهو النفاق فى العمل بقوله: الا لاخير فى عبادة ليس فيها تفكر، و انما كانت تلك العبادة كذلك اى لاخير فيها، لان صاحبها لايخلوعن اعجاب بنفسه، و اعجاب المرء بنفسه من المهلكات كمامر.

وههنا نكتة لطيفة: وهى ان النفاق بالحقيقة عبارة عن ايثار الدنيا على الاخرة و اختيار الادنى الاخس على الارفع الاشرف، فكل من آثر العمل على العلم و اعمال الجوارح على الحركات الفكرية، واستعمال الحواس والمشاعر[1] الجزئية على استعمال العقل و المدارك الكلية العقلية و كذا العلوم و الصنائع الجزئية على العلوم الكلية و المعارف الحكمية فهو من اهل النفاق عندذوى البصائر. و اصل هذه النفاقات استيلاء القوة الوهيمة التى هى رئيس القوى الحيوانية و الشيطانية، و هى اعظم جنود الكفر و حزب الشيطان قبل ان اسلمت و اطاعت وخدمت للقوة العقلية التى هى رئيس القوى الملكية والقوى المسلمة المطيعة وهى اعظم جنود الحق وحزب الرحمن.

واما الرواية الاخيرة فلاتخالف ولاتزيد على هذه الرواية الابتبديل لفظة ليس فيها تفكر بلفظة لافقه فيها فى قوله: الا لاخير فى عبادة... الى اخره و بايراد القضية الاخيرة ههنا وهو قوله عليه السلام: الا لاخير فى نسك لاورع فيه، والنسك وان كان معناه معنى العبادة كما هو المذكور فى كتب اللغة ولكن يشبه ان يكون فيه زيادة تأكيد و كأنه عبادة مع زهد و هو الورع، فكان المراد انه لاخير فى عبادة لازهادة معها، فان الزهد الحقيقى منشاؤه العرفان فلايتحقق الامع العلم.

ولعل فائدة هذه الزيادة الواقعة فى الرواية الاخيرة التنبيه على ان العبادة لاتتم بدون الزهد فى الدنيا، و معلوم ان ذلك لايتحقق الا بالعلم بحقارة الدنيا و جلالة قدر الاخرة و ان ما عندالله خير و ابقى.

فثبت ان العلم هو الاصل فى كل عمل صالح فعلا كان كالعبادة او تركاً كالزهد.

١ــ المدارك ــ النسخة البدل فى الاصل للشارح.

الحديث الرابع
و هو السادس والستون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى ومحمدبن اسمعيل، عن الفضل بن شاذان النيشابورى جميعا عن صفوان بن يحيى»، هو ابومحمد البجلى بياع السابرى كوفى، قال الشيخ الطوسى رحمه‌الله: انه اوثق زمانه عند اصحاب الحديث و غيرهم وكان يصلى كل يوم خمسين ومائة ركعة و يصوم فى السنة ثلاثة اشهر و يخرج زكوة ماله كل سنة ثلاث مرات، و ذلك انه اشترك هو و عبدالله ابن جندب و على بن النعمان فى بيت‌الله الحرام فتعاقدوا جميعا ان مات واحد منهم يصلى من بقى[1] صلوته ويصوم عنه و يزكى عنه زكوته. فمات صاحباه و بقى صفوان بعدهما و كان يفى لهما فيصلى عنهما و يزكى عنهما ويصوم عنهما و يحج عنهما، وكل شيء من البر والصلاح يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه، وكان وكيل الرضا عليه‌السلام.

و قال ابوعمرو الكشى: اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى والاقرار له بالفقه، و روى عن محمدبن قولويه عن سعد عن احمدبن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمربن خلاد قال: قال ابوالحسن عليه‌السلام: ما ذئبان ضاريان فى غنم غاب عنها رعاؤها باضر فى دين المسلم من حب الرئاسة ثم قال: لكن صفوان لايحب الرئاسة. و كانت له عندالرضا عليه‌السلام منزلة شريفة، و توكل للرضا و ابى جعفر عليهما‌السلام وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة «صه».

و قال النجاشى: انه ثقة ثقة عين روى ابوه عن الصادق عليه‌السلام، ذكره الكشى فى رجال موسى عليه‌السلام وسلم مذهبه من الوقف، و جماعة من الواقفة بذلوا له مالا كثيراً وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وكان من الورع والعبادة على مالم يكن احد من طبقته.

و روى الكشى عن على بن محمد عن احمدبن محمد، عن على بن الحسين بن داود القمى قال: سمعت اباجعفر عليه‌السلام يذكر صفوان بن يحيى و محمدبن سنان

١ــ بقى بعده «ست».

بخير و قال: رضى الله عنهما فما خالفانى و ما خالفا ابى عليه السلام قط بعد ماجاء فيهما ماقد سمعه غير واحد. و روى عن محمدبن قولويه عن سعد عن احمدبن محمدبن عيسى مثل ما تقدم الا ان فيه رضى الله عنهما برضائى[1] عنهما فما خالفانى قط.

و عن ابى طالب عبدالله بن الصلت القمى قال: دخلت على ابى جعفر الثانى عليه السلام فى اخر عمره فسمعته يقول: جزى الله صفوان بن يحيى و محمدبن سنان و زكريابن ادم عنى خيرا فقد مما اوصى[2] الى صفوان بن يحيى فقال: رحم الله اسمعيل بن خطاب و رحم الله صفوان فانهما من حزب ابائى و من كان من حزبنا ادخله الله الجنة. مات صفوان بن يحيى فى سنة عشر و مائتين بالمدينة بعث اليه ابو جعفر عليه السلام بحنوطه وكفنه و امر اسمعيل بن موسى بالصلوة عليه. «عن ابى الحسن الرضا عليه السلام قال: ان من علامات الفقه الحلم والصمت».

الشرح

قوله عليه السلام: من علامات الفقه، يدل على ان كون الرجل فقيهاً امر مختف غامض لايمكن لاكثر الناس الاطلاع على تحققه بكنهه فاحتيج فى معرفة الفقه الى هذه العلامات واللوازم، ولو كان المراد من الفقه معرفة الفتاوى الغريبة فى الاحكام الفرعية والوقوف على الاقوال المختلفة فيها و حفظ المقالات المتعلقة بها لكان الموصوف به معروفا مشهوراً عندالناس ولم يحتج فى الاطلاع عليه الى مثل هذه العلامات العامة التى قد يوجد فى غيره، فعلم من هذا ان المراد به غير ماهو المشهور عند الجمهور.

و ذكر الغزالى فى كتاب الاحياء: انه سأل رجل عن الحسن البصرى عن شىء فاجابه فقال: ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن: ثكلتك امك وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرة البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه

١ــ برضاى «كش».

٢ــ فقد وفوا الى «كش».

الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم[١] ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى.

ولست اقول ان اسم الفقيه[٢] لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة و لكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستبتاع وكان اطلاقهم على علم الاخرة اكثر فثار[٣] من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة و احكام القلب و وجدوا على ذلك معيناً من الطبع. فان علم الباطن غامض والعمل به عسر[٤] والتوصل به الى طلب القضاء والولاية والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان لتحسين ذلك في القلوب مجالا بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود في الشرع[٥] به.

الحديث الخامس
وهو السابع والستون

«احمدبن عبدالله»، هو اما ابن عيسى بن مصقلة بن سعد القمى الاشعرى ثقة له نسخة عن ابى جعفر عليه السلام؛ و اما ابن احمدبن جلين[٦] بضم الجيم و تشديد اللام المكسورة ابوبكر الوراق، كان من اصحابنا ثقة في حديثه مسكونا الى روايته، روى عنه الغضائرى. «عن احمدبن محمد البرقى عن بعض اصحابه رفعه قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: لايكون السفه والغرة في قلب العالم».

١ــ الناصح لجماعتهم «الاحياء».
٢ــ الفقه «الاحياء».
٣ــ فبان «الاحياء».
٤ــ عسير «الاحياء».
٥ــ في الشرع «الاحياء».
٦ــ جلين الدورى «جش».

الشرح

السفه هـو الخفة والطيش، و سفه فلان رأيه اذا كان مضطرباً لا استقامة فيه، و لهذا وقع في مقابلة الحلم في حديث جنود العقل والجهل، والسفيه الجاهل، وفي الحديث: انما البغي من سفه الحق، اى من جهله وقد مر شرح معناه، والظاهر ان السفه لازم للجهل لانه نفس مفهومه، و تسمية احد المتلازمين بالاخر شائع؛ والغرة هي الغفلة عن لوازم الشيء، و قلة الفطنة للشر الذى تحته وترك البحث والتفتيش عنه.

اعلم انه يستفاد من هـذا الحديث ان اكثر الموصوفين بالعلم عند الناس ليسوا من العلماء و انما هم من الجهلة بالحقيقة، و ذلك لما شوهد من اكثرهـم ممن تعاطى افعال السفهاء والمغترين، و ذلك لركونهم الـى اهل الدنيا و سعيهم فـى طلب الجاه والشهرة و ميلهم الى الشهوات واللذات وتشوقهم الى تقرب السلاطين والتفوق على الاقران والامثال وتهالكهم على كثرة الاتباع والمريدين واظهار العداوة لمن لم يصدقهم او يرد عليهم او يناظرهـم ولو فى مسألة واحـدة، و ربما يتهجموا على من ينكرهـم بالضرب والشتم والايذاء ان كانت لهم قدرة، او بالتكفير والطعن والافتراء ان لم يكن، و سائر ما يصدر عنهم مما يجرى مجرى هـذه الامور و جميع ذلك سفه و غرور كما لايخفى على من له بصيرة قلبية.

فثبت ان العلم الممدوح عند الله و رسوله و اوليائه عليه و عليهم السلام نوع اخر من العلم يباين هذا الذى هو معروف عند الناس تبايناً بالحقيقه لالاجل الزيادة والنقصان او الشدة والضعف، فان هذا المشهـور كلما ازداد اكثر او وقع الامعان فيه اشد كـان صاحبه اكثر احتجابا عن المعبود و ازيد بعاداً عن الحق، و الى هذا اشار بقوله تعالى: و من الناس من يقول امنا بالله و باليوم الاخر و ماهم بمؤمنين (البقرة ـ ٨)، و قوله: و اذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا أنؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون (البقرة ـ ١٣)، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً (البقرة ـ ١٠).

الحديث السادس
و هو الثامن والستون

«و بهذا الاسناد عن محمدبن خالد عن محمدبن سنان رفعه قال: قال عيسى بن مريم عليه‌السلام: يامعشر الحواريين لى اليكم حاجة اقضوها لى؟ قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فقبل[1] اقدامهم فقالوا: كنا نحن احق بهذا يا روح‌الله، فقال: ان احق الناس بالخدمة العالم انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدى فى الناس كتواضعى لكم ثم قال عيسى عليه‌السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر و كذلك فى السهل ينبت الزرع لافى الجبل».

الشرح

المراد بالحواريين اصحاب عيسى عليه‌السلام اى خلصائه و انصاره، و اصله من التحوير التبييض، قيل: انهم كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها، ومنه الخبز الحوارى الذى نخل مرة بعد مرة، قال الازهرى: الحواريون خلصان الانبياء عليهم السلام وتأويله الذى اخلصوا ونقوا من كل عيب، قوله: قضيت بصيغة المجهول رعاية للادب وقعت بدل قضينا حاجتك، و فى بعض النسخ وقع فغسل اقدامهم بدل و قبل اقدامهم، السهل من الارض خلاف الحزن او الصعب.

الغرض من هذا الحديث، اثبات ان العالم يجب ان يكون متواضعاً لامتكبراً، و الاشارة الى لمية ذلك فذكر ان عيسى روح‌الله عليه‌السلام مع غاية رفعته وجلالته و علمه وشرافة ذاته تواضع لاصحابه غاية التواضع من وجوه: الاول حيث ارادتقبيل اقدامهم وهذا غاية مايصنع للتواضع، و الثانى انه عليه‌السلام استأذن فى ذلك عنهم اولا رعاية للادب، والثالث انه جعله مطلوباً له وسماه حاجة اليهم، و الرابع انه صنع ماصنع لمن هودونه وهم تابعوه وتلامذته و المستفيدون منه والمقتبسون عن مشكوة نوره.

١ــ فغسل. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

ثم قال فی جواب قولهم: نحن احق بمثل هذا الصنع: ان احق الناس بالخدمة هو العالم ای و ان کان بالقیاس الی من دونه، ثم اخذ فی بیان فائدة مافعله وغایة ماصنعه من التواضع و الخدمة وجعلها غایتین احدیهما متعدیة والاخری لازمة: اما التی یتعدی الی الغیر فهو تعلمهم ذلك منه و اقتداؤهم به علیه السلام و ذلك لکیلا ینتفعوا کما انتفع به ویستکملوا، و اما الثانیة وهی الغایة الذاتیة و السبب الاصلی فی فعل التواضع فما اشار الیه بقوله علیه السلام: بالتواضع تعمر الحکمة لا بالتکبر، و اکتفی فی بیان هذا الحکم بمثال کما هو عادة الانبیاء والرسل علیهم السلام حیث اتوا بالامثال و صوروا الحقائق الغامضة العقلیة بکسوة الامثلة الحسیة.

و ذلك لان اکثر الناس یغلب علیهم الجهة الحسیة فلایمکنهم ادراك البراهین العقلیة ولاتجرید المعانی عن ملابس الصور، واما الذین صفت اذهانهم و کملت عقولهم وهم الافلون، فلفرط ذکائهم و قوة حالهم یتفطنون بالحقائق بواسطة الامثال المضروبة للناس کما قال سبحانه: و تلك الامثال نضربها للناس وما یعقلها الا العالمون (العنکبوت -٤٣).

و اما الوجه العقلی و السبب اللمی فی ذلك[1]: ان العلم الحقیقی کمال عقلی لا یحصل للانسان الا بحدوث فطرة ثانیة ونشأة اخرة له غیر الفطرة الاولی المشترکة بین الناس کلهم، ونسبة الاولی الی الثانیة کنسبة الجنس الی النوع ونسبة الحیوانیة الی الانسانیة العامیة، ولایمکن الترقی من نشأة الی نشأة اخری الا باستحالات و تبدلات من شأن الی شأن موجبة لهدم الاولی و زوالها و احکام الثانیة وبقائها.

فالتواضع و الخضوع، ولین الجانب وخفض الحال ورقة القلب وسائر ماهو من هذا القبیل مماله مدخلیة فی لطافة النفس و صفاتها و صیرورتها بمنزلة زجاجة لالون لها وصحیفة لانقش لها، فلاجل ذلك یقبل الهیئات العقلیة و العلوم الالهیة، فاذا امعن المرید للحق فی الریاضة و رفض الانانیة ومحو الصفات و الاثار استحدث لنفسه فطرة ثانیة، وصار قلبه کمرآة مجلوة یتراءی بها الحقائق کماهی، واما اذا اتصفت نفس

١ــ ای فی ان التواضع سبب لتعمیر الحکمة.

الانسان باضداد تلك الصفات ، فازدادت قساوة و فظاظة فانجمدت و تراكمت عليها الظلمة و الجهالة فتسفلت وبعدت عن قبول اثر الرحمة وفيض النور، فهذا هوبيان لمية قوله عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر.

الحديث السابع
وهو التاسع والستون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن على بن معبد»، قال النجاشى: هو بغدادى من اصحاب الهادى عليه السلام له كتاب روى عنه ابراهيم بن هاشم، و فى الفهرست روى عنه موسى بن جعفر. «عمن ذكره عن معوية بن وهب عن ابى عبدالله عليه السلام قال: كان امير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم ان للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت، و للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصية و يظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة».

الشرح

لما كان كثيراً ما يقع للطلبة المريدين للعلم اشتباه بين العالم النحرير والمتكلف الجاهل النكير، فيتبعون لمن يضلهم عن الطريق و يغويهم عن سواء السبيل، فيبطل استعدادهم و يضطرب احوال معادهم. فاراد امير المؤمنين عليه السلام ترحماً عليهم و اشفاقاً بهم ان يعرفهم طريق معرفة الهداة المعلمين، والتميز بينهم و بين المدعين المضلين لئلا يضيع اوقاتهم فى طلب ما لايمكن الوصول لهم اليه ، ولا يتعطلوا عما خلقوا لاجله بسبب الانحراف عن منهج الهداية، والخوض فى مسلك الغواية، فضلوا ضلالا بعيداً و خسروا خسراناً مبيناً. فعين عليه السلام لهم علامات و اوصاف، يوصف بها العالم المحق المستبصر وعلامات و اوصاف يوصف بها الجاهل المتحير ليحصل لهم التميز بينهما ويرتفع عنهم الاشتباه بهما.

اما علامات العالم المذكورة هيهنا فثلاث: احديها وجود العلم، فان قلت: هذا

يرجع الى تعريف الشيء بنفسه وهو محال. قلنا: المطلوب معرفة العالم الحقيقى الذى يصلح الاقتداء به و[1]هتداء بهديه، وله علامات متعددة تحصل من مجموعها تلك المعرفة، ثم العلم الذى هو احدى العلامات ليس يجب ان يكون نفس العلم الذى هو بها عالم حقيقى، فان ذلك ملكة نفسانية ونور ربانى يقذفه الله فى قلب من يشاء و فضل الهى يختص به من يشاء من عباده، وهذا كرشحة صادرة من بحر ذلك النور، فيجوز ان يكون من جملة العلامات.

و ثانيتها الحلم وهو التمكين والوقار خلاف السفه والطيش.

و ثالثتها الصمت وهو السكوت الا عند الضرورة.

و اما علامات الجاهل المموه بصورة العلم والمنافق المتكلف بزى العلماء بحسب ماذكر ههنا فهى ايضاً ثلاث:

احديها ان من عادته و صنيعه انه ينازع من فوقه بالمعصية، و ذلك لان غرضه الاصلى من المباحثة والمناظرة اظهار الفضيلة والعلم عند العوام والجهال، فاذا ناظر من دونه لم يظهر له عندهم فضيلة، و اذا ناظر من فوقه فلايمكنه المعارضة معه بوجه الحق فلابد ان ينازعه بوجه الغدر او المراوغة[2] والافتراء او نحوها ليدلس على الناس انه الزم الفلانى الفاضل فى البحث، فيحصل مطلوبه وهو الجاه والقبول عند الخلق و ان كان عاصيا مردوداً عند الله.

والثانية انه يلزم من دونه بالغلبة، اى يفعل الزام من هو دونه فى القدر والاعتبار بسبب الغلبة بالمال والجاه او نحوهما لابسبب قوة العلم.

والثالثة انه يظاهر سلاطين الظلم و امراء الجور و يعاونهم على ظلمهم و يصدقهم فى كذبهم و جورهم، لانه بالتقرب اليهم يصل الى اغراضه الدنياوية من الجاه والمال والشهرة التى لاجلها اكتسب العلم ، ومعلوم ان التقرب اليهم والمنزلة عندهم لايمكن الا بمظاهرتهم و معاونتهم على ظلمهم و جورهم وكذبهم.

١ــ يصلح للاقتداء به وللاهتداء بهديه ــ نسخة البدل فى الاصل للشارح

٢ــ اى المخادعة والمماكرة.

و یحتمل ان یراد باللفظ[1] صیغة المصدر فقوله علیه‌السلام : یظاهر الظلمة، ای یعاون وینصر جانب الظلم والظلمة کما فی حدیث علی علیه‌السلام: انه بارز یوم بدر و ظاهر، ای نصر و اعان الحق والاسلام. واما فعل الجاهل المدعی للعلم فهو اعانة الظلم والجور، لانه عندظهور العدل واقامة الحق لم یبق له فضیلة ومنزلة عند احد بل ینکشف عواره و تدحض حجته ویزهق باطله و هکذا حال اعداءالله یوم الحساب، و لهذا قیل: یوم العدل اشد علی الظالم من یوم الجور علی المظلوم.

باب حق العالم

و هو الباب السابع من کتاب العقل و العلم وفیه حدیث واحد : هو الحدیث السبعون

«علی بن محمدبن عبدالله»، ابو الحسن القزوینی القاضی وجه من وجوه اصحابنا ثقة فی الحدیث، قدم بغداد سنة ست وخمسین وثلثمائة ومعه من کتب العیاشی قطعة و هو اول من اوردها بغداد، و رواها عن ابی جعفر احمدبن عیسی الزاهد عن العیاشی کذا فی «صه».

وفی کتاب النجاشی، وفیه اشکال وهو: ان هذا التاریخ بعد وفاة الکلینی رحمه الله، لان وفاته سنة ثمان وعشرین وثلثمائة، ویمکن التفصی عنه بانه یحتمل ان یکون ملاقاة الشیخ ایاه قبل قدومه بغداد بمدة هی ازید من اثنین وعشرین سنة «عن احمدبن محمدبن خالد[2] عن سلیمان بن جعفر الجعفری» بن ابراهیم بن محمدبن علی بن عبدالله بن جعفر الطیار ابو محمد الطالبی الجعفری، روی عن الرضا علیه‌السلام و روی ابوه عن ابی عبدالله وابی الحسن علیهما السلام وکانا ثقتین «صه» وفی الفهرست ابن جعفر الجعفری ثقة من اصحاب الرضا و الکاظم علیهما السلام.

و روی الکشی عن الحسن بن علی عن سلیمان بن جعفر الجعفری، قال: قال العبد

۱ــ ای لفظ الظلمة.

۲ــ عن احمد بن محمد، عن محمد بن خالد «الکافی».

الصالح لسليمان بن جعفر: يا سليمان ولدك رسول الله صلى الله عليه واله؟ قال نعم، و ولدك على [ع] مرتين؟ قال نعم، قال وانت لجعفر رحمه الله عليه؟ قال نعم، قال: و لولا التي انت عليها ما انتفعت[1]. قال النجاشي: له كتاب عبدالله بن محمد بن عيسى روى عنه. «عمن ذكره عن ابي عبدالله عليه السلام قال: كان امير المؤمنين عليه السلام يقول: ان من حق العالم ان لاتكثر عليه السؤال ولاتأخذ بثوبه، و اذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحية دونهم و اجلس بين يديه ولاتجلس خلفه، ولاتغمز بعينك ولاتستر بيدك ولاتكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولاتضجر بطول صحبته فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء، و العالم اعظم اجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله تعالى».

الشرح

قوله عليه السلام: لاتغمز، من غمزت الشيء بعيني او بالحاجب من باب ضرب اذا اشار اليه فحذف المفعول وهو الضمير العائد الى العالم، و كذا في قوله عليه السلام: ولاتشر بيدك، اى لاتغمزه بعينك ولاتشر اليه بيدك، ويحتمل ان يكون المراد ان النهي عن فعل الغمز بالعين و الاشارة باليد في حضوره و ان كان بالقياس الى غيره، لان ذلك ينافي التعظيم و الحرمة ولذلك حذف المفعول، لان الغرض ترك اصل الفعل مطلقاً و كذا الحال اذا كان المطلوب اتيان اصل الفعل كقولك: فلان يكتب و فلان يزرع، اذ المقصود اثبات اصل الكتابة او الزراعة، قوله عليه السلام: ولاتكثر من القول، اى لاتكثر من نقل قول الغير عنده مخالفاً لقوله، وقوله عليه السلام: لاتضجر، صيغة نهي من باب تفعل اى لاتتضجر فحذفت احدى التائين كما هو القياس، و باقي الفاظ الحديث واضحة لاسترة فيها.

١ــ و لولا الذي انت عليه ما انتفعت بهذا «كش» اى الخصلة التي انت عليها.

تذنيب

اعلم ان لكل من العالم فى تعليمه وللمتعلم فى تعلمه حقوقاً على الاخر و وظائف بالقياس اليه، اما حق المعلم على المتعلم فلايعرف قدره الاالله، لان حقه اعظم من حق الوالد لولده، و انما وقعت الاشارة فى هذا الحديث الى ماهو الجلى المكشوف منه فى رعاية الاداب الظاهرة بالنسبة اليه، واما وظيفته بالقياس الى المتعلمين فامور:

الاول الشفقة عليهم وان يجرى بهم مجرى بنيه كما روى عنه صلى الله عليه واله انه قال: انما انا لكم مثل الوالد لولده، فيكون قصده انقاذه من نار الاخرة التى تطلع على الافئدة ولذا كان حقه اعظم من حق الوالدين. فان الوالد سبب الوجود الدنيوى المنقطع والحيوة الدنية المنقطعة و انما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الشريفة الدائمة، اعنى معلم العلوم الاخروية، ولولا تعليمه لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم؛ و اما التعليم لعلوم الدنيا لاعلى قصد الاخرة، فذلك هلاك و اهلاك، نعوذ بالله منه.

الثانى ان يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه واله فلايطلب على افادة العلم اجراً ولايقصد جزاء منهم ولاشكورا، بل يعلم لوجه الله وطلبا للزلفى لديه ولايرى لنفسه منة عليهم و ان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم، اذ ثوابك فى التعليم اكثر من ثوابهم فى التعلم عندالله تعالى ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب[١]، ومثاله فى المحسوس: كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض، فالمتعلم ايضا هذب ارض قلبه لان يتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها، وانتفاعك منها ازيد من انتفاعه فلاتطلب الاجر الامن الله فان الله قال لنبيه صلى الله عليه واله: قل لااسئلكم عليه اجراً (الانعام ـ ٩٠).

الثالث ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلايلقى اليه مالايبلغ عقله اياه فينفره اويخبط عليه عقله، اقتداءً بسيد المعلمين عليه واله السلام حيث قال: نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم، ويقول المعلم الثانى امير المؤمنين عليه السلام

١ـ فالمتعلمون علة للمعلمين فى تحصيل الثواب.

واومى الى صدره الشريف: ان ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة، فان قلوب الاحرار قبور الاسرار فلاينبغى ان يفشى المعلم كل مايعلمه الى كل احد[1].

وعن النبى صلى الله عليه واله: لاتعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير، فان الحكمة خير من الجوهرة ومن كرهها فهو اشر من الخنزير، وسأل بعض العلماء رحمهم الله عن مسألة فلم يجب فقال السائل: اما سمعت النبى صلى الله عليه واله حيث يقول: من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار؟ فقال: اترك اللجام و اذهب، فان جائنى من ينفعه فكتمته فليلجمنى، وقول الله تعالى: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم (النساء ـ ٥)، تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى، وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق، و ما احسن ماقيل:

فمن منح الجهال علماً اضاعه و من منع المستوجبين فقد ظلم

الرابع ان يزجر المتعلم عن الاخلاق الرديئة بطريق التعريض ما امكن ولايصرح وبطريق المرحمة لابطريق التوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة و يورث الجرأة على الهجوم بالخلاف و يهيج الحرص على الاصرار، وعنه صلى الله عليه واله: لومنع الناس عن فت البعر لفتوه[2] وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شىء.

ومما ينبه على هذا قصة ادم وحوا عليهما السلام وقصدهما الى مانهيا عن تناوله و هو ادون شىء من ثمار الجنة، و لان التعريض بالشىء ايضا يميل النفوس الفاضلة و الاذهان الزكية الى استنباط معانيه، فيزيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العمل به ليعلم ان ذلك ممالم يعزب عن فطنته.

الخامس ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار و ارباب الابصار اكثر، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول سماً و قال للناس: لاتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به و اتهموه و

١ـ كذا فى الاصل. والظاهر: كل واحد.

٢ـ الفتة: بعرة اوروثة مفتوتة توضع تحت الزند عند القدح.

زاد حرصهم عليه ويقولون: لولا انه اطيب الاشياء والذها لماكان يستأثر به، قال تعالى: أتأمرون الناس بالبر و تنسون انفسكم (البقرة ـ ٤٤)، و لذلك كان وزر العالم فى المعاصى ازيد لانه يزل بزلته عالم فيقتدون به.

فهذه خمس وظائف من جملة وظائف المعلم وهى كثيرة لكن معظمها وواجبها ما ذكرناه.

واما وظائف المتعلم و ادابه فهى ايضاً كثيرة نذكر منها ستة:

الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق و ذمائم الصفات، اذ النفس القابلة لتجلى الصور العلمية بمنزلة المرآة القابلة لتجلى الصور الحسية، والمرآة اذا تكدرت بالرين والغشاوة والطبع لم يقبل شيئا، وكذا النفس اذا تلطخت بادناس الاخلاق الذميمة و ارجاس الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية لم تقبل شيئاً من العلوم الحقة، فلابد من تهذيبها وتطهيرها اولا ثم الى تنويرها وتصويرها بالعلم ثانياً، و ايضا العلم عبادة القلب وصلوة السر و قربة الباطن الى الله تعالى.

فكما لاتصح الصلوة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لايصح عبادة الباطن و عمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق و انجاس الصفات و قال تعالى: انما المشركون نجس (التوبة ـ ٢٨)، تنبيهاً للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قديكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، اى باطنه ملطخ بالخبائث، والنجاسة عبارة عن مايجتنب و يتنفر منه، و خبائث الباطن اهم بالاجتناب لانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل و لذلك قال صلى الله عليه و اله: لايدخل الملائكة بيتاً فيه كلب.

والقلب بيت هو منزل الملائكة و مهبط اثرهم، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة، والحقد والحسد والكبر والعجب و اخواتها كلاب نائحة و سباع ضارية، فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب والسباع؟ و نور العلم لايقذفه الله فى القلب الا بواسطة الملائكة لقوله تعالى: وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً اومن وراء حجاب

او يرسل رسولا (الشورى ـ ٥١).... الاية، و هكـذا ما يرسل من رحمة العلوم الـى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بالعلوم و هم اجل قدراً و اصفى جوهراً مـن الملائكة الموكلين بالاعمال، فهم المقدسون المطهرون المنزهون عن المذمومات رأساً فلا يلاحظون الا طيباً، ولايعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهراً.

فان قلت: نحن نرى من الطلاب من هو ردىء الاخلاق وقد حصل العلوم.

قلنا: هيهات! ما ابعدك عن معرفة العلم الحقيقى النافع فى الاخرة؟ والذى تظنه العلم ليس بعلم، و لهذا ورد: ان العلم نـور يقذفه الله فـى القلب، و ليس ذلك بكثرة الرواية و حفظ الاقوال ولا بقوة المباحثة والجدال. ولو كنت عـرفت مراتب العلم و عرفت علم الاخرة استبان لك ان اكثر مـن يعدون من العلماء الفحول والبارعين فـى الفروع والاصول الذى اشتغلوا به و سموه علم الدين، ليس بمغن عن الحق شيئا مـن حيث كـونه علماً، وانما الفائدة والغناء فيه مـن حيث العمل اذا كان القصد فيه التقرب الى الله والاخلاص له.

والحاصل ان هذه العلوم المشهورة عند الجمهور من باب الاعمال لانها متعلقة بها و ثوابها ثواب الاعمال و اجرهم فيها لايزيد على اجر الاعمال[1] لانها كالجزء منها. و امـا العلم المحض المطلق الذى يترتب عليه نيل رتبة العلماء مـن حيث كونهم علماء فذلك علم اخر غير متعلق بعمل ولا بكيفية عمل ولاحاجة فيه الى نية التقرب زائدة عليه لانه نفس التقرب اليه تعالى.

الوظيفة الثانية ان يقلل علائقه مـن شواغل الدنيا كالاهل و الولد و الـوطن و المال و الجاه وغيرها، بل يجب ان يكون المريد الطالب بسيط المطلب احدى الهمة حتى لايشغله شىء عن سلوكه، و ذلك لان الذى لايشغله شأن عن شأن ويمكنه الجمع بين الحق و الخلق ولايلهيه تجارة ولابيع عن ذكر الله انما يمكن ذلـك ان يتحقق له بعد تحصيل الكمال، وحصول الملكة الراسخة فى العلم لاقبله سيما فى بداية السلوك و اوائـل الحال، اللهم الا ان يكون جوهر نفسه جوهراً قدسياً فى غـاية الانارة والصفاء

١ـ العمل. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

يكادزيتها يضيء ولولم تمسسه نار (النور ـ ٣٥)، و هذا يقع على سبيل الشذوذ كنفس النبى صلى الله عليه واله و الولى الكامل عليه السلام.

و اما نفوس امثالنا فكما قال تعالى: ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (الاحزاب ـ ٤)، فمهما توزعت افكارنا فصرف عن ادراك الحقائق كماهى، ولذلك قيل: للعلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، والفكرة الموزعة على امور متفرقة كجدول يتفرق ماؤه فيجذب الارض بعضه ويخطف الهواء بعضه، فلايبلغ شيء منه الزرع.

الوظيفة الثالثة ان يلقى المتعلم المريد زمام امره بالكلية الى المعلم المرشد، و يذعن له فى كل مايعين له من العلم المناسب لرتبته وحاله حتى يجعل نفسه بين يديه كالمريض الجاهل بين يدى الطبيب الحاذق يداويه بمايشاء من الدواء، بل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء، فيذعن لماينقله من علم الى علم.

الوظيفة الرابعة ان يتواضع له فى الظاهر ويخدمه كما يعتقده وينقاد له فى الباطن فان الاعمال الظاهرة مؤكدات للاحوال القلبية، فيطلب الثواب بخدمته وطاعته ونيل الشرف الذى له بملازمته.

قال الشعبى: صلى زيدبن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضى الله عنه فاخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يابن عم رسول الله صلى عليه واله، فقال ابن عباس: وكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيدين ثابت يده وقال: هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه و آله.

روى عنه صلى الله عليه واله: ليس من اخلاق المؤمن الملق[1] الا فى طلب العلم، ومن تكبر على العلم بان يستنكف من الاستفادة الامن المشهورين فهو من عين الحماقة، فان العلم سبب النجاة من الهلاك الدائم، فحاله كحال من يطلب مهرباً من سبع ضاريفترسه فيرشده رجل الى المهرب فلايقبل منه الارشاد لانه خامل غيرمشهور، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفربها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائناً من كان.

الوظيفة الخامسة ان لايدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة، ونوعاً من

١ـ رجل ملق: يعطى بلسانه ماليس فى قلبه.

الانواع الا ونظرفيه نظراً يطلع على مقصده وغايته ويقف على مجامع مفصلاته، وجمل مسائله فان ساعده العمر طلب التبحر فيه، و الا اشتغل بالعلم الذى هو الاهم فاستوفاه و اكتفى من البقية بطرف، واياه و انكار شيء من العلوم المتعارفة فان ذلك منشاؤه الجهل به كما قيل: الناس اعداء لماجهلوا، قال تعالى: و اذلم يهتدوا به فسيقولون هـذا افك قديم (الاحقاف ـ ١١)، قال الشاعر:

و مـن يـك ذا فـم مرمريض يجد مـراً بـه الماء الـزلالا

فالعلوم على درجاتها انوار متفاوتة بعضها فوق بعض، فهى اما مقربة للعبد الى الله او معينة له على سلوك طريق القرب نـوعاً من الاعانة ولكل منها رتبة والعبد بحسبه اجر فى الاخرة اذا قصد به وجه الله، و ذلك برعاية الترتيب فى تحصيلها زمـاناً وكمية و شرفاً و اهتماماً حتى لايصير بعضها حجابا عن بعض سيما الادنى عن الاعلى.

الوظيفة السادسة ان يعرف المتعلم السبب الذى به ينال شرف العلم، و يعلم ان اى العلوم اشرف و اجل، و ذلك قدخفى على اكثر الطلبة وغيرهم.

و اعلم ان ذلك يرادبه ثلاثة امور: احدها شرف الثمرة و الثانى وثـاقة الدليل و الثالث نباهة الموضوع، فاذا قيس بين علم وعلم فانما يحكم بشرف احـدهما على الاخـر بواحد من الامور الثلاثه اوبـاكثر، و ربما كـان احمدهما اشرف من الاخـر بوجه و الاخر اشرف منه بوجـه اخر، و ذلك[1] كعلم الشريعة وعلم الطب، فـان ثمرة احدهما سلامة العاقبة و ثمرة الاخر سلامة الدنيا فيكون علم الشريعة اشرف، اذلاتفاضل بينهما فى وثاقة الدليل لكون الدليل فى كل منهما ظنياً ولافى فضيلة الموضوع لكون الموضوعين متقاربين، لان موضوع احدهما بدن الانسان وموضـوع الاخر فعله، ومثل علم الحساب و علم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته، و اذا نسب الحساب الى الطب كـان الطب اشرف باعتبار الثمرة والحساب باعتبار الادلة و مـلاحظة الثمرة اولى، ومثل علم الحيوان وعلم المعادن فان الاول اشرف باعتبار الموضوع، واذا قيس علم الحيوان الى الحساب كان الاول اشرف باعتبار الموضوع والثانى اشرف باعتبار

١ـ اى اشرافة العلوم بعضها على بعض باحد من الامور الثلاثة.

الادلة.

وبما ذكرنا يتبين ان اشرف العلوم، العلم بالله وملائكته وكتبه و رسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم وهوعلم النفس.

اما من جهة الموضوع، فلاموضوع اجل و ارفع من ذات الله تعالى وبعده من جواهر الملائكة والقلم الاعلى و اللوح المحفوظ و الكتب المكرمة عن الادناس والرسل المطهرة عن الاثام والوسواس.

و اما من جهة الدليل: فبراهين هذا العلم لميات ضرورية دائمة غير مقيدة بزمان او وصف اوشرط.

و اما الثمرة: فلاثمرة اشرف من السعادة الحقيقية الاخروية اعنى لقاءالله تعالى ومجاورة المقدسين ومصاحبة المقربين، فاياك و ان ترغب الافيه وتحرص الاعليه، فكن حريضاً على معرفة هذا السر المكنون و الكنز المخزون الخارج من بضاعة الفقهاء و المتكلمين ومن صناعة المتفلسفة والطبيعيين، و انما يستنبط من النظر فى كتاب الله المبين و احاديث رسوله الامين و كلمات اهل بيته الطاهرين سلام الله عليه وعليهم اجمعين، وهوبحر لايدرك منتهى غوره و اقصى درجة البشرفيه رتبة الانبياء ثم الاولياء الذين يلوونهم.

وحكى انه رؤيت صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد، وفى يد احدهما رقعة وفيها: ان احسنت كل شىء، فلاتظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء، وفى يدالاخر: كنت قبل ان عرفت الله اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلاشرب.

فهذه ست وظائف من وظائف الطالب المتعلم خصصناها بالذكر، فان لكل من المعلم و المتعلم وظائف و اداباً كثيرة، و انما اخترناواوردنا ماهواهم وادق واشرف، و اتركنا سائر الاداب الحسية والوظائف النقلية تعويلا على المذكور فى كتب الاخلاق وغيرها كرسالة اداب المتعلمين للمحقق الطوسى واخرى لزين الملة والدين رحمه الله.

و اعلم ان العلوم بالقياس الى سلوك الاخرة، وطلب المقصد الاعلى و الثمرة

العظمى على ثلاث درجات و اقسام:

قسم يجرى مجرى اعداد الزاد و الراحلة فى السفر، و ذلك كعلم الفقه و علم الطب ومايتعلق بمصالح البدن فى الدنيا، لان البدن مركب النفس فى سفر الاخرة.

وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات، وهوعلم تطهير الباطن عن كدورات الصفات وخبائث الملكات، وقطع تلك العقبات الشامخة و دفع مؤذياتها عن القلب هو سلوك طريق السعادة، ولابدفيه من علم متكفل لمعرفة جهات هذا الطريق ومنازله، وهوعلم تهذيب الاخلاق وعلم السياسات. و العلم بهذه الامور التى هى الاعمال القلبية غير نفس العمل و المباشرة، ولكن لايتم العمل بدون العلم.

والقسم الثالث يجرى مجرى حضور اركان المنزل واعيان الموطن ومشاهدتها، و هو العلم بالله وصفاته وملائكته و افعاله الاولية، وهذا العلم يقال له: علم المكاشفة، و القسمان الاولان يقال لهما: علم المعاملة.

و اعلم ان النجاة غير و الفوز بالسعادة غير، فالنجاة والسلامة حاصلة لكل سالك للطريق بنية صادقة، و اما الفوز بالسعادة: فلاينالله الا العارفون، اولئك المقربون المنعمون فلهم: روح و ريحان وجنة نعيم (الواقعة ـ ٨٩) و اما السالكون الناجون فهم اصحاب اليمين، فسلام لك من اصحاب اليمين (الواقعة ـ ٩١)، واما الواقفون عن السلوك نحو المقصد فهم من اصحاب الشمال، فنزل من حميم و تصلية جحيم. (الواقعه ـ ٩٣ و ٩٤)

باب فقد العلماء

و هو الباب الثامن من كتاب العقل و العلم و فيه ستة احاديث:

الحديث الاول

و هوالواحد والسبعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن عثمان بن عيسى عن ابى ايوب الخراز» بالخاء المعجمة والراء قبل الالف والزاء بعدها وقيل قبلها ايضاً، اسمه

ابراهیم‌بن عیسی وقیل: ابن عثمان، فی‌النجاشی من اصحاب الصادق علیه‌السلام، و فی «صه» ثقة کبیر المنزلة روی عن ابی‌عبدالله و ابی‌الحسن الکاظم علیهماالسلام. و فی کتاب ابن داود قال محمد بن مسعود عن علی‌بن الحسین ابوایوب الخراز: کوفی اسمه ابراهیم‌بن عیسی، وقیل ابن عثمان ثم فیه ابراهیم‌بن عثمان الخزازالمکنی بابی ایوب «لم» «ست»[1] ثقة.

وعن الشهید الثانی رحمه‌الله: ظاهرالحال ان ابن عثمان هذا هو زیاد الذی فیه قولان: ابن عثمان و ابن عیسی، و هوالذی یقتضیه طبقته و کلام غیره من علماء الفن. انتهی.

قال الفاضل الاسترابادی بعد ما نقل کلام الشهید: فلایخفی ان ما فیه من علامة «لم» سهو ایضا. «عن سلیمان ابن خالد» بن دهقان‌بن نافلة مولی‌عفیف ابوالربیع الاقطع خرج مع زید فقطعت اصبعه لم یخرج من[2] اصحاب ابی‌جعفر علیه‌السلام‌غیره، ثقة صاحب القران و قال البرقی: سلیمان‌بن خالد البجلی الاقطع کوفی کان خرج مع زیدبن‌علی‌فافلت. وفی کتاب سعد: انه خرج مع زید فافلت فمن‌الله علیه وتاب ورجع وکان فقیهاً وجهاً روی عن‌الصادق و الباقر علیهما السلام، وکان الذی قطع یده‌یوسف بن‌عمر بنفسه مات فی‌حیوة ابی‌عبدالله علیه‌السلام، و رویت فی‌معناه احادیث‌ذکرناها فی کتابنا الکبیر «صه».

و قال الشهید الثانی رحمه‌الله: سلیمان بن خالد لم یوثقه النجاشی ولا الشیخ الطوسی ولکن روی الکشی عن حمدویه انه سأل ایوب‌بن نوح عنه أثقة هو؟ فقال: کما یکون الثقة[3]، فالاصل فی توثیقه ایوب‌بن نوح و ناهیك به. انتهی.

و قال الکشی: محمدبن الحسن و عثمان بن خالد[4] قالا: حدثنا محمدبن داود[5]

۱ــ «لم» ای ولمن لم یرو عنهم علیه‌السلام و «ست» الفهرست للطوسی رحمه‌الله.

۲ــ لم یخرج معه من «جش».

۳ــ ای فهو متصف بصفات و حالات یکون الثقة علیها علی احسن وجه.

۴ــ حامد «کش ــ جامع‌الرواة».

۵ــ یزداد «کش ــ جامع‌الرواة».

عن محمدبن الحسين، عن الحسن بن علي بن فضال عن مروان بن مسلم، عن عمار الساباطي قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيدبن علي فقال له رجل: ونحن وقوف في ناحية و زيد في ناحية، ما تقول في زيد هو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت: والله ليوم من جعفر خير من ايام الدنيا من زيد[1]، قال: فحرك دابته و اتى زيداً و قص عليه القصة قال: فمضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهويقول: جعفر امامنا في الحلال والحرام «عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه».

الشرح

معنى الفاظه واضح و دليله معلوم، لانه اذا كانت زلة العالم زلة العالم كماسبق فكان موته موت العالم، فان حيوة المقلد بحيوة من قلده من القائدين.

الحديث الثاني
و هوالثاني و السبعون

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير، عن بعض اصحابنا[2] عن ابي عبدالله عليه السلام قال: اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء».

الشرح

الثلمة الخلل في الحيطان وغيره، وثلم من باب علم فهو ثلم بين الثلم وثلمته من باب ضرب ثلما فانثلم وتثلم فقديقال: ثلمته بالتشديد للتكثير، وفي السيف ثلم وفي الاناء ثلم اذا انكسر من شفته شيء، و في الحديث نهى عن الشرب من ثلمة القدح اي موضع الكسر، قيل انما نهى عنه لانه لايتماسك عليها فم الشارب، و ربما انصب الماء على ثوبه

١ــ من زيد ايام الدنيا «كش ــ جامع الرواة».
٢ــ اصحابه (الكافي).

وبدنه، وقيل. لان موضعها لايناله التنظيف التام اذا غسل الاناء. وقدجاء فى لفظ الحديث على بعض الرواية: انه مقعد الشيطان، ولعله ارادبه عدم النظافة.

واعلم انقوله عليه السلام: ثلم فى الاسلام، استعارة بالكناية تشبيها للاسلام بحائط اوبيت و العالم بمنزلة مايسدبه من الخلل به، و هـذا كما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله مثل النبوة بالحائط من اللبن وقـد كمل الاموضع لبنة واحدة وكان صلى الله عليه واله تلك اللبنة فختمت به النبوة.

و ههنا اشكال و هو انه اذامات فقيه يحتمل ان يوجد بدله فقيه واحـداو اكثر افضل منه يسدبه الخلل الواقع فى الاسلام، ويمكن دفعه بان المراد باللام فى المؤمن الفقيه الجنس، وقد ثبت ان ارتفاع الطبيعة برفع جميع افرادها فكذا حكـم الموت لانه عدم.

الحديث الثالث
وهوالثالث و السبعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد عن ابن محبوب، عن علىبن ابـى حمزة قال: سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهماالسلام يقول: اذا مـات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض التى كان يعبدالله عليها، و ابواب السماء التى كـان يصعد فيها باعماله، وثلم فى الاسلام ثلمة لايسدها شىء، لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن[1] سورالمدينة لها».

الشرح

اعلم ان العالم الحقيقى هوالذى يستحضر عنده صورالاشياء وحقائقها، والاشياء ضربان: ضرب منها ما صورة ذاته مخلوطة بالامور الغريبة والغواشى والعوارض التى اذا عرضت لشىء يجعلها جزئية قابلة للتجزى والانقسام والعدم والفساد، وضرب اخر

١ـ كحصون. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

ما ليس كذلك بل صورة ذاته له لالشيء اخر، حقيقة ذاته مجردة عن اللبوسات الحسية و الغواشي المادية، فالقسم الاول كعالم الدنيا و كل مافيها والقسم الثانى عالم الاخرة وعالم الملكوت.

اذا تقرر هذا فنقول: شأن العالم الحكيم ان ينظر اولا فى الموجودات التى فى هذا العالم، ويعرف حقيقة كل نوع من الجمادات والنباتات واقسام الحيوانات، ويفرق بين ذاتياتها وعرضياتها ويجرد صورة ذاتها ولب حقيقتها عن مايلابسها من القشورات و الغواشي الغريبة. ثم ينظر فى اسبابها وعللها وغاياتها ومنافعها فيعرف بها موجدها الحقيقى ومسبب اسبابها فيستكمل ذاته بتلك المعارف و الصور العقلية فيصير كأنها اجزاء ذاتها، ثم ينتقل منها ويترقى بذهنه الى عالم الربوبية مشاهداً هناك لتلك الحقائق الصافية عن الكدورات المطهرة عن الادناس و الظلمات، مسافراً من الخلق الى الحق.

فاذا كان الامر كذلك فلكل موجود مما فى عالم الارض وبقاعها رابطة معنوية وحنو ذاتى و انجذاب طبيعى الى ذات العالم لما علمت من كون بواطنها و ارواحها متصلة به، اذ كل ما فى هذا العالم له حقيقة روحانية بها يسبح لله تعالى ويحمده، فاذامات المؤمن العارف، اى صعد روحه الى العالم الاعلى بكت عليه الملائكة الارضية واهل البقاع الارضية، لان هوياتها الجزئية من جنس مايصحبه من الهويات الروحانية، و كذا ابواب السماء اى طبائعها ونفوسها التى يصعد اليها اعمال بنى آدم اى نتائج اعمالها و افعالها وغاية علومها و افكارها التى لايزيد على ذاتها وكمالات ذاتها.

و اما قوله عليه السلام: وثلم فى الاسلام «آه»[1] فوجهه كمامرت سابقاً الاشارة اليه: ان الاسلام عبارة عن مجموع اعتقادات عقلية و قوانين كلية معلومة بالبراهين. و اهل الاسلام، اما عارفون بهذه الاعتقادات عرفانا عقليا او كشفيا، اومتلقفون تقليداً و رسماً، و الاعتقاد التقليدى قابل للانحلال و الزوال بادنى شبهة، فلولم يكن فى هذا العالم ذوات كاملة نورية حاملة لهذه الاصول الاسلامية حافظة لها بالبراهين دافعة عنها شبه المنكرين و اوهام المضلين. لمابقيت قواعد الدين و عقائد المسلمين مستمرة

١ــ اى: الى اخره.

محفوظة مصونة الى يوم الدين، بل ينثلم شيئا فشيئا الى ان يندرس ويضمحل بـالكلية، نعوذ بالله من ذلك.

فقد شبه الاسلام بمدينة هي مدينة السلام المحفوظة اهلها من جور الطغاة وعفاريت الجن ومردة الشياطين، والعلماء والفقهاء بمنزلة حصونها وحيطانها، وكل مؤمن عارف بمنزلة حصة من حصن اوجزء من حائط، فاذامات ثلم ثلمة لايسدها شيء اخر الاخلف مثله في المعرفة و اليقين.

الحديث الرابع
و هو الرابع و السبعون

«و عنه عن احمد بن محمد عن ابن محبوب، عن سليمان بن خالد عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه».

الشرح

معنى الفاظه واضح، واما الـوجه في سرور ابليس بموت الفقيه و هـو العالم بالمعارف الايمانية وكيفية السلوك على الصراط بالاعمال الصالحة الاعتدالية فلان شأنه وصنعه ضد ماهو شأن ابليس و صنعه، لان شأن العالم افادة العلم و تعليم الحق والارشاد الى سبيل الهداية والحث على طاعة الله والتقرب اليه، وشأن ابليس القاء الشك والوسوسة في النفوس و ارائة الباطل في صورة الحق واضلال الخلق و ازاغتهم[1] عن سبيل الصواب والحث على المعاصي.

فاذاكان العالم الرباني واقعاً على طرف الضد و غاية الخلاف من ابليس و هو ايضاً كذلك على ضده، والمتضادان متغالبان متفاسدان في التغالب، فلاجـرم كل منهما يحب فقد صاحبه غاية المحبة، لانه بمنزلة حب الذات، و ليس مـوت سائر المؤمنين بهذه المنزلة، لان كلا منهم ان كان من شأنه استعداد هذه الدرجة فيكون كونه على طرف

١ـ زاغ زوغاً الشيء: اماله، و زاغ البصر: انحرف و اضطرب.

الضد من حال ابليس امراً له بالقوة لابالفعل، وما بالقوة انقص من ما بالفعل، فاحباب ابليس موته اضعف و انقص من احبابه موت ما هو ضد له بالفعل على نسبة حال القوة والاستعداد الى حال الفعلية والحصول وان لم يكن من شأنه ذلك الاستعداد ايضا، فالحال فى ضعف السرور بموته اظهر.

الحديث الخامس
وهو الخامس والسبعون

«على بن محمد عن سهل بن زياد عن على بن اسباط»، قال الشيخ فى الفهرست: له اصل و روايات روى عنه محمد بن الحسين بن ابى الخطاب و موسى بن جعفر البغدادى، قال النجاشى : روى عنه محمد بن ايوب الدهقان و احمد بن هلال، و احمد بن يوسف بن حمزة بن زياد الجعفى. «عن عمه يعقوب بن سالم»، الاحمر الكوفى اخو اسباط بن سالم ثقة من اصحاب ابى عبدالله عليه السلام «عن داود بن فرقد»، مولى ال بنى السمال الاسدى النصرى بالنون، و فرقد يكنى ابايزيد الكوفى ثقة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام و اخوته يزيد وعبدالرحمن و عبدالحميد، قال ابن فضال: داود ثقة ثقة «صه».

قال الشهيد رحمه الله فى الحاشية: كذا فى كتاب النجاشى بنى السمال، وفى كتاب الشيخ و ابن داود: ال ابى السمال[1]، و اكثر نسخ الكتاب و جميع النسخ لغيره من الكتب السمال باللام وفى بعض نسخ الكتاب بالكاف.

و فى كتاب الكشى محمد بن مسعود قال: حدثنى عبدالله بن محمد قال: حدثنى

١ــ و فى كتاب نضد الايضاح للعلم الهدى رحمه الله: اقول: هذا موافق لاكثر كتب الرجال الا ان فى كتاب النجاشى والخلاصة هكذا: مولى ال بنى السمال، اثبته الاكثرون باللام و ضبطوه بتخفيف الميم ، و منهم من شددها و بعضهم اثبته بالكاف مكان اللام، ثم اشتبه على بعض الاصحاب اسم ابيه فقال ابن مرقد بالميم وهو سهو، والصواب بالفاء كما اثبته العلامة.

الوشاء عن علي بن عقبة عن داود ابن فرقد، قال: قلت لابـي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك كنت اصلي عندالقبر و اذاً رجل خلفي وهو يقول: أتريدون ان تهدوا من اضل الله والله اركسهم بما كسبوا (النساء ـ ٨٨ ، وفي الاية تقديم و تأخير) قال: فالتفت اليه و قد تأول علي[١] هذه الاية و ما ادري من هو و انا اقول: وان الشياطين ليوحـون الـى اوليائهم ليجادلـوكم و ان اطعتموهـم انكم لمشركـون (الانعام ـ ١٢١)، فاذاً هـو هرون بن سعيد[٢]، قال: فضحك ابوعبدالله عليه السلام ثم قال: اصبت الجواب قبل الكلام باذن الله ثم قال: جعلت فداك لاجرم والله ما تكلم بكلمة، فقال ابوعبدالله عليه السلام: ما احد اجهل منهم ان في المرجئة فتيا و علما[٣] وفي الخوارج فتيا و علما وما احدا جهل منهم. «قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: ان ابـي كان يقول: ان الله تعالى لايقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون، ولا خير في شيء ليس له اصل».

الشرح

الجفاة جمع الجافي من الجفاء و هو الغلظ في العشرة والخرق[٤] فـي المعاملات وغيرها وترك الرفق و اللين، و المراد من الجفاة ههنا اهل النفوس الغليظة و القلوب القاسية الـذين ليس لهم استعداد اكتساب العلوم و المعارف. و المعنى: ان ذهـاب العلم من الـدنيا ليس كذهاب صفات الاجسام من الاجسام كـالطعوم و الروائح، لان العلم اذا حصل في نفس العالـم يصير صورة ذاته و نحو وجـود نفسه و بهيصير ذاته ذاتاً عقلية غيرقابلة للموت والزوال، وهذا معنى قوله: ان الله لايقبض العلم بعد مايهبطه،

١ـ اي تكرر و رجع الى.

٢ـ وفي الخلاصة: هرون بن سعد زيدي، و في الكشي ابن سعيد في موضع وهو عند ذكر محمد بن سالم بياع القصب، وابن سعد ايضاً في هذا الموضع. منه قدس سره في الحاشية.

٣ـ الفتيا بالضم: الفتوى و في بعض النسخ: فتيا وعلماء.

٤ـ خرق خرقاً اذا علم شيئا فلم يرفق فيه.

بل ذهاب العلم عن الدنيا انما يتحقق بموت العلماء و انقراضهم و ان يخلفهم و ينوبهم نفوس جافية غليظة يلوا امور الناس، فهم لقصور جوهرهم و سوء طريقهم يضلون عن طريق الحق ثم بادعائهم الفضل و استدعائهم استتباعهم للناس يضلونهم، و اذلايكون للمتبوع علم فكيف يحصل للتابع علم؟ فينعدم العلم و العدل عن العالم وينتشر الجور والظلم، وهذا معنى قوله عليه السلام: ولاخير فى شيء ليس له اصل، كالولاية بدون العلم والعدل.

ويحتمل ان يكون المراد منه ان الخيرات كلها فى هذا العالم تابعة للعلم، اذالعلم اصل العبادات و الاعمال الحسنة و هو الخير الكثير كما فى قوله تعالى: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً (البقرة ـ ٢٦٩) فاذا انفقد العلم انفقد الخير مطلقاً، ولا خير فى عبادة ليس معها علم كماورد فى الحديث.

الحديث السادس
و هوالسادس و السبعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد عن محمدبن على عمن ذكره عن جابر بن يزيد» الجعفى ابوعبدالله تابعى اسند عنه[1] روى عنها عليهما السلام، و قيل: ابومحمد الجعفى عربى قديم لقى ابا جعفر و ابا عبدالله عليهما السلام ومات فى ايامه سنة ثمان وعشرين ومائة، وقال يحيى بن معين: مات سنة اثنين و ثلاثين ومائة، قال العلامة فى

١ـ قيل معناه سمع عنه الحديث، و لعل المراد على سبيل الاستناد والاعتماد و الا فكثير ممن سمع عنه ليس ممن اسند عنه. وقيل المراد روى عنه الشيوخ و اعتمدوا عليه هو كالتوثيق ولا شك ان هذا المدح احسن من لا بأس به، ولم اعثر على هذه الكلمة الا فى كلام الشيخ و انما ذكره فى رجاله دون الفهرست و فى اصحاب الصادق عليه السلام دون غيره الا فى اصحاب الباقر عليه السلام ندرة غاية الندرة، و ربما يقال: ان الكلمة اسند بالمعلوم والضمير للراوى، الا ان فاعل اسند ابن عقدة، لان الشيخ رحمه الله ذكر فى اول رجاله ان ابن عقدة ذكر اصحاب الصادق عليه السلام و بلغ فى ذلك الغاية، فيكون المراد اخبر عنه ابن عقدة. و قرء المحقق بالمعلوم ورد الضمير الى الامام الذى هو من اصحابه.

«صه» روی فیه الکشی مدحا عظیما و روی بعض الذم والطریقان ضعیفان ذکرناهما فی الکتاب الکبیر.

وقال السید علی بن احمد العقیقی العلوی: روی ابی عن عمار بن ابان عن الحسین بن ابی العلاء ان الصادق علیه السلام کان ترحم علیه[1] وقال: انه کان یصدق علینا، و قال ابن عقدة: روی محمد بن احمد البرا الصائغ عن احمد بن الفضل، عن حنان بن سدیر عن زیاد بن ابی الحلال عن الصادق علیه السلام ترحم علی جابر، وقال: انه کان یصدق علینا ولعن المغیرة وقال: انه کان یکذب علینا و قال ابن الغضائری: جابر بن یزید الجعفی الکوفی ثقة ولکن جل من روی عنه ضعیف، فممن اکثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفی و مفضل بن صالح السکونی ومنخل بن جمیل الاسدی، واری الترک لما روی هؤلاء عنه والتوقف فی الباقی الا ما خرج شاهداً.

وقال النجاشی: جابر بن یزید الجعفی لقی ابا جعفر و اباعبدالله علیهما السلام ومات فی ایامه سنة ثمان وعشرین و مائة و روی عنه جماعة غمز فیهم وضعفوا، منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جمیل ویوسف بن یعقوب و کان فی نفسه مختلطا، وکان شیخنا ابوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان ینشدنا اشعاراً کثیرة فی معناه تدل علی الاختلاف لیس هذا موضع ذکره.

قال العلامة: و الاقوی عندی التوقف فیما یرویه هؤلاء عنه کما قاله الشیخ ابن الغضائری رحمه الله «اه».

وقال المحشی: لاوجه للتوقف فیما یرویه هؤلاء عنه لشدة ضعفهم فی انفسهم الموجب لرد روایتهم، و انما کان ینبغی التوقف فیما یرویه الجابر نفسه لاختلاف الناس فی مدحه و ذمه و ان لم یرجح الجارح علی کل حال فلاوجه لادراجه[2] فی هذا القسم. انتهی. واقول: وایضا لامماثلة[3] بین ما قاله الشیخ ابن الغضائری و بین مارآه

۱ــ ای قال فی حقه: رحمة الله علیه.

۲ــ ای مایرویه الجابر.

۳ــ لاموافقة. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

وقواه العلامة رحمه‌الله، فان الذى قاله ابن الغضائرى فى حق الجابر و رآه الترك لما روى هؤلاء عنه والتوقف فى الباقى لا التوقف فيما رواه هؤلاء، فايراد لفظه كما فى كلامه[1] ليس كما ينبغى. «عن ابى جعفر عليه السلام قال: كان على بن الحسين عليهما السلام يقول: انه يسخى نفسى فى سرعة الموت والقتل فينا قول الله عزوجل: الم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها (الرعد ـ ٤١)، وهو ذهاب العلماء».

الشرح

السخاء و السخاوة الجود، والطرف الناحية من النواحى و الطائفة من الشىء، وفلان كريم الطرفين يرادبه نسب ابويه، و اطراف الشخص ابواه و اخوته و اعمامه و كل قريب له محرم و لايدرى اى طرفيه‌اى ذكره ولسانه، و لايملك طرفيه‌اى فمه واسته اذا سكر، و الاطراف الاشراف.

وقوله عليه‌السلام: يسخى نفسى، من باب التفعيل ونفسى مفعوله وفاعله قول الله، اى مفاد هذه الاية، يجعل نفسى سخية فى باب سرعة الموت اوالقتل فينا اهل البيت، يعنى تجود نفسى بهذه الحيوة اشتياقا الى لقاء الله تعالى ويرغب فى سرعة وقوع الموت او الشهادة الواقعة فينا، لان المراد من نقصان الارض من اطرافها وهى نهاياتها ذهاب العلماء.

واعلم ان الذى ذكره المفسرون فى هذه الاية وجهان: فعن ابن عباس فى تفسير هذه الاية: ان المراد من قوله: انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها موت اشرافها و كبرائها وعلمائها و ذهاب الصلحاء و الاخيار.

وقال الواحدى: وهذا القول و ان احتمله اللفظ الا ان اللائق بهذا الموضع هو المراد انا نأتى الارض الكفرة وننقصها من اطرافها، لان المسلمين يستولون على اطراف مكة فيأخذونها من الكفرة قهراً وجبراً، و ذلك لانه تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه

١ـ حيث قال: والاقوى عندى التوقف فيما يرويه هؤلاء عنه كما قاله الشيخ بن الغضائرى.

واله بان يريه بعض ما وعده اويتوفيه قبل ذلك بين فى هذه الاية ان اثار تلك المواعيد قد ظهرت وعلاماتها قويت و هو قوله: انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه و هو سريع الحساب (الرعد ـ ٤١)، فانتقاص احوال الكفرة و ازدياد قوة المسلمين من اقوى العلامات والامارات على ان الله منجز ما وعده، و نظيره قوله تعالى: أفلايرون انانأتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون (الانبياء ـ ٤٤).

وقال الفخر الرازى فى الكبير: ويمكن ان ذلك الوجه ايضاً لائق بهذا الموضع وتقريره ان يقال: اولم يروا ما يحدث فى الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حيوة و ذل بعد عز و نقص بعد كمال، و اذا كانت التغيرات محسوسة مشاهدة فما الذى يؤمنهم ان يقلب الله الحال على هؤلاء الكفرة بان يجعلهم ذليلين بعد ان كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين، وعلى هذا الوجه فانه يجوز اتصال هذا الكلام بما قبله، وقيل: ننقصها من اطرافها بموت اهلها وتخريب ديارهم وبلادهم، فهؤلاء الكفرة كيف امنوا من ان يحدث امثال هذه الوقائع؟ هذا غاية ماينتهى اليه افكارهم وآراؤهم.

فان قلت: فما تأويل هذه الاية ومعنى اتيانه تعالى الارض وما الوجه فى كونها سبباً لان يصير العالم الربانى سخيا يجود بنفسه فى طلب سرعة الموت او القتل؟

قلت: للاية تأويلان: احدهما بحسب الافاق و الثانى بحسب الانفس، فالاول ان الكفرة لما كانوا منكرى المعاد ومعتقدين ان الدنيا باقية فاشار تعالى الى انهم لو نظروا وتأملوا فى احوال الارض وتقلباتها واستحالاتها لرأوا انها يتلطف ويتصفى فيصير نباتا ثم حيوانا ثم انساناً فيتبدل صورة فصورة، فكانت صورة كثيفة ارضية فتدرجت فى اللطافة فصارت طبيعة حافظة للتركيب و الكيفية الاعتدالية ثم نفساً فاعلة للجذب و التغذية والنمو و التوليد ثم نفساً ذات حس وارادة ثم صارت ذاتاً روحانية ذات توهم وفكر و روية، فاشتدت لطافة و روحانية الى ان خرجت من هذه النشأة الى نشأة اخر فنقصت ارضيتها من جهة اطرافها و انضافت الى عالم الروحانية.

و المراد من اطرافها هو اواخر مراتبها اللطيفة التى بعدت عن غاية الكثافة و الارضية وقربت فى التصفى و التزيد الى عالم الاخرة، و ذلك كله باتيان القوى الفعالة

باذن‌الله المتصرفة فی‌المواد الارضية المحركة لها الى غاياتها الكمالية، و تلك‌القوى الملكوتية الجاذبة و السائقة متفاوتة المراتب حسب مراتب الانواع الارضية، فان فی النبات قوة تجذب‌المواد العنصرية وتلطفها و تصفيها عن بعض‌الكدورات و يجعلها صاعدة الى درجة الصورة النباتية.

و فی‌عامة الحيوان قوة اخرى اعلى منها درجة شأنها تصفية الصور الطبيعية الواقعة فی‌الاوضاع و الامكنة و الجهات وتجريدها عن هذه الاغشية و اللبوسات الى ان يجعلها صورة محسوسة حيوانية مجردة عن المادة والجهة و المكان، لكن بشرط حضور المادة الخارجية.

و فی خواص الحيوان قوة اخرى اعلى و ارفع من‌الاوليين. تجرد الصورة الحسية تجريداً اتم وتصفيها تصفية اكثر من المادة، ومن‌النسبة اليها ايضا نسبة وضعية فيسوقها من درجة الحس الى درجة التمثل و الصور المثالية.

ولخواص البشر قوة الهية تجرد صورة الادراكية من‌التعينات الجزئية‌الخيالية ويجعلها كلية عقلية وينقلها من حد التخيل الى حدالتعقل باشراق نورالعقل عليها، و يجعل ذاته النفسانية بنورالعلم ذاتاً علقية من‌الله مبداها و الى‌الله منتهاها، و هذا اعلى ضروب الحيوة بعدالموت عن‌النشأة السابقة و هومعنى قوله تعالى: او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نوراً (الانعام- ١٢٢).

و اذا علمت هذا فنقول: النفوس ثلاثة اقسام: النباتية و الحيوانية والانسانية و لكل منها جاذب الى‌جهة الفوق باعمال يناسبه ومدرك محيط لماتحته بادراكات‌يناسبه، قال تعالى: وجاءت كل نفس‌معها سائق وشهيد (ق-٢١)، اشارة الى قوتيه الادراكية و التحريكية او العلمية و العملية.

فكما ان هذه النفوس متفاوتة المراتب فكذا الملائكة الموكلة عليها المباشرة لافعالها باذن‌الله السائقة اياها و الشاهدة عليها متخالفة الدرجات، وهوالقاهر فوق‌عباده (الانعام - ١٨)، فقوله: انانأتی الارض ننقصها من اطرافها، اى نأتی بملائكتنا عالم الارض ونأخذ كمالاتها وانوارها وصورها الشريفة على‌التدريج الى ان نستوفيها فيبقى

ناقصة مظلمة لاخير فيها فيقوم الساعة، و اليه الاشارة فى قوله صلى الله عليه واله: لايقوم الساعة وفى وجه الارض من يقول: الله الله.

والتأويل الثانى بحسب الانفس الانسانية، و هو ان الانسان بكماله العقلى نشأة جامعة مشتملة على جملة ما فى الكون مفصلا، فله فى ذاته درجات كمالية يرتحل من بعضها الى بعض طبعا وارادة، فكان اولا فى الرحم كجوهر نباتى يجذب الغذاء وينمو فى المقدار نماء ثم صار حيواناً ذاحس وحركة وشهوة وغضب، ثم انتقل الى اخر درجة الحيوانية و اول درجة الانسانية وهو استعداد العقل و العلم بسبب النطق والفكر و الروية و فيه يشترك جميع افراد البشر، فان ساعدته العناية الالهية و الجذبة الربانية التى توازى عمل الثقلين و استكمل بنور العلم و العرفان تصير ذاته ذاتاً اخرى عقلية بعد ماكانت حيوانية.

وهذه المرتبة انما يحصل له بمحض افاضة الله اياه و اشراقه عليه بنور الهدى فيحييه حيوة طيبة عقلية بلاواسطة امر متوسط بينه تعالى وبين عبده من ملك او معلم بشرى، فقوله تعالى: انا نأتى الارض، اى ارض نفسه القابلة لما ينزل اليها من سماء العقل من الصور و الهيئات المشرقة بنور ربها، ننقصها من اطرافها اى نزيل عنها جهة النفسية والتغير و الانفعال فيجعلها عقلا صرفاً و جوهراً قدسياً محضاً و اصلا الى جوار رحمة الله ناجياً من عذاب القطيعة ونار الفرقة.

فاذا تقررت لك هذه المعانى فنقول لما دلت الاية على ان الله تعالى هو المتولى المباشر لتوفى نفوس العلماء الكاملين وقبض ارواحهم اليه تعالى، ولاشك ان الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين بحسب ذواتهم الشريفة المقدسة النورانية من اعاظم العلماء الراسخين و ساداتهم و اشرافهم، فهى يرغبه عليه السلام فى لقاء الله و يشوقه الى حلول الاجل و ورود الموت او القتل سريعاً، و زهوق روحه الشريف من الدنيا وخلعه لباس البدن وغطاء النفس ايضاً، فيجود ويسخو نفسه بنفسه وروحه بروحه حتى لحق الى لقاء الله وشهود جماله وجلاله و ذلك هو الفوز الكبير.

باب مجالسة العلماء وصحبتهم

و هو الباب التاسع من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة احاديث

الحديث الاول

و هو السابع و السبعون

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس رفعه قال: قال لقمان لابنه: يا بني اختر المجالس على عينك، فان رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فان تكن عالماً نفعك علمك و ان تكن جاهلا علموك، و لعل الله ان يظلهم برحمته فيعمك معهم، و اذا رأيت قوماً لايذكرون الله فلاتجلس معهم، فان تكن عالماً لم ينفعك علمك و ان كنت جاهلا يزيدوك جهلا، ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم».

الشرح

قوله عليه السلام اختر المجالس، اى اطلب مختارها و اجتنب عما لايكون كذلك، قوله عليه السلام: على عينك، اى بعينك او في عينك كما يقال: كان ذلك على عهد فلان اى في عهده، وقوله عليه السلام: يظلهم برحمته، اى يلقى عليهم ظل رحمته وستر ذنوبهم بغفرانه، يقال: اظلك كذا اى سترك والقى ظله عليك، ويقال ايضا: اظل عليه، قوله عليه السلام: فان رأيت قوماً يذكرون الله، اى قوما يكونون من اهل الذكر يعنى من اهل العلم كما في قوله تعالى: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل- ٤٣)، او قوماً يتذاكرون بالفعل ويذكرون محامد الله و المعارف الالهية.

قوله عليه السلام: فان تكن عالما نفعك علمك، و ذلك باحد وجهين: اما بان يتذاكر معهم فيحصل له التمرن في علمه و القوة في حفظه و الرسوخ في ملكته، و اما بان يعلمهم ويفيدهم مما عند نفسه، وباقي الفاظ الحديث ومعانيها واضحة.

الحديث الثاني

و هو الثامن والسبعون

«علي بن ابراهيم عن ابيه و محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى،

جمیعا عن ابن محبوب عن درست بن ابی منصور، عن ابراهیم بن عبدالحمید»، قال العلامة طاب‌الله ثراه فی «صه» وثقه الشیخ فی‌الفهرست و قال ـ ای الشیخ فی کتاب الرجال ـ : انه واقفی من‌اصحاب الصادق‌علیه‌السلام، قال سعدبن عبدالله: ادرك‌الرضا علیه‌السلام ولم یسمع منه فترکت روایته لذلك، و قال الفضل‌بن شاذان: انه صالح. انتهی کلام العلامة.

قال المحشی الشهید رحمه‌الله: لامنافاة بین حکم الشیخ بانه واقفی و کونه ثقة وکذلك قول الفضل انه صالح فلایعارض للقول بکونه واقفیا کما لایخفی[1].

وفی‌رجال الفاضل الاسترابادی: ابراهیم‌بن عبدالحمید فی‌الفهرست‌من‌اصحاب الرضا علیه‌السلام ثقة له اصل روی عنه ابن ابی‌عمیر وصفوان، و فی‌النجاشی: البزاز الکوفی من اصحاب الصادق علیه‌السلام کوفی انماطی وهواخو محمد بن عبدالله‌بن زرارة لامه روی عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام و اخواه الصباح و اسمعیل ابنا عبدالحمید له‌کتاب نوادر یرویه جماعة‌کما فی‌النجاشی: من‌اصحاب ابی‌عبدالله علیه‌السلام ادرك الرضا علیه‌السلام ولم یسمع منه علی‌قول سعدبن عبدالله واقفی له کتاب.

وهذا یبطل ما فی کتاب ابن داود عندی ان الثقة من رجال الصادق علیه‌السلام وهوالذی فی‌الفهرست و الواقفی من‌رجال الکاظم علیه‌السلام ولیس بثقة وفی «ظم»[2] ابراهیم‌بن‌عبدالحمیدله‌کتاب‌ثم فیه‌ایضاً ابراهیم‌بن‌عبدالحمید واقفی. انتهی. فکأنه‌کرر لنسبة الوقف اولتأمله فی‌کونه ایاه لماقاله ابن‌داود وفی «میم»[3] ابن عبدالحمید ثقة من اصحاب الکاظم علیه‌السلام الا انه واقفی له اصل وکتاب نوادر و هو ایضا صریح

۱ـ حکم المحقق فی‌المعتبر بصحة الروایة التی فی‌طریقها محمدبن‌عیسی عن‌درست عن ابراهیم‌بن عبدالحمید، عن ابی‌الحسن علیه‌السلام فی‌الماء المسخن بالشمس، واعترضه فی المدارك بان درست و ابراهیم‌بن عبدالحمید واقفیان، و فی محمدبن عیسی العبدی کلام و منه یظهر انه بنی علی اتحاد ابراهیم و وقفه لکاتبه. و لعل مراد المحقق بالصحة غیر معناها المتداول بین المتأخرین «نقل من حاشیة جامع‌الرواة».

۲ـ ای فی‌کتاب رجال الشیخ من اصحاب‌الکاظم علیه‌السلام.

۳ـ ای فی‌کتاب علامة محمدبن شهرآشوب.

فی خلافه. «عن ابی الحسن موسی بن جعفر علیهما السلام قال: محادثة العالم علی المزابل خیر من محادثة الجاهل علی الزرابی».

الشرح

الزبل السرجین و موضعه مزبلة، و الزرابی النمارق والنمرقة وسادة صغیرة، و ربما سموا الطنفسة التی فوق الرحل نمرقة ومعنی الحدیث واضح.

الحدیث الثالث
وهو التاسع و السبعون

«عدة من علمائنا[1] عن احمد بن محمد البرقی عن شریف بن سابق» بالباء المنقطة تحتها نقطة قبل القاف، التفلیسی ابو محمد روی عن الفضل بن ابی قرة السهندی[2] عن ابی عبدالله، وهو ضعیف مضطرب الامر «صه» وفی الفهرست: روی عنه البرقی احمد وعن ابیه ایضاً، والنجاشی: اصله کوفی انتقل الی تفلیس صاحب الفضل بن ابی قرة «عن الفضل بن ابی قرة» التفلیسی من اصحاب الصادق علیه السلام التمیمی السهندی بلد من بلاد آذربایجان[3] انتقل الی ارمنیة، ضعیف لم یکن بذاك «صه»[4] وقال النجاشی: له کتاب روی عنه شریف بن سابق. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله: قالت الحواریون لعیسی: یا روح الله من نجالس؟ قال: من یذکرکم الله رؤیته ویزید فی علمکم منطقه ویرغبکم فی الاخرة عمله».

الشرح

الحواریون اصحاب عیسی علیه السلام قیل: لانهم کانوا قصارین، و التحویر

١ــ اصحابنا (الکافی).
٢ــ السمندی «جامع الرواة ــ النسخة البدل فی الاصل للشارح».
٣ــ بلد من اذربیجان «جش».
٤ــ ای لم یکن بذلك الضعف، فیشعر علی نوع مدح.

التبييض واحور، اى ابيض ويقال: الحوارى الناصر، وقيل للنساء الحواريات لبياضهن، و الاحور كوكب و هو المشترى، والحورشدة بياض العين فى شدة سوادها و امرأة حوراء، بينة الحور.

وقال ابوعمرو: الحوران تسود العين كلها مثل اعين الظباء و البقر وقال: ليس فى بنى ادم حور و انما قيل للنساء حورالعين لانهن شبهن بالظباء و البقر.

و الغرض من هذا الحديث الحث و الترغيب فى مجالسة العلماء ومصاحبتهم وقددل عليه، لان الصفات الثلاث المذكورة لايوجد الافى العالم، اما كون رؤيته مذكراً لله تعالى لان سيماه وخضوعه وخشوعه يدل على خوفه من الله وخشيته له تعالى، واما كون منطقه موجباً لزيادة العلم للجالس عنده لانه لاينطق ولايتكلم حشواً من الكلام وقلما ينطق الا بذكر الله و احوال صفاته و افعاله و ذكر الاخرة و احوالها، و اما كون عمله مرغباً للاخرة فان عمله دائماً القناعة والزهد فى الدنيا و الانقطاع عن شهواتها. و ايضا فان غير العالم لايعلم شرف الاخرة و دوامها وخسة الدنيا و دثورها وانصرامها.

الحديث الرابع
و هو الثمانون

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابى عمير عن منصوربن حازم» بالحاء المهملة والزاء بعد الالف ابو ايوب البجلى كوفى ثقة عين صدوق من جلة اصحابنا وفقهائهم روى عن الصادق و الكاظم عليهما السلام «صه».

وفى الكشى عن جعفربن محمدبن ايوب عن صفوان عن منصوربن حازم ما يشهد بحسن عقيدته و استقامة طريقه[١]، و انه عرض ذلك[٢] على الصادق عليه السلام و انه عليه السلام قال له مراراً: رحمك الله وضحك وقال له: سلنى عما شئت فلا انكرك بعد اليوم. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: مجالسة

١ــ طريقته «جامع الرواة».
٢ــ اى اعتقاده و طريقته.

اهل الدين شرف الدنيا والاخرة».

الشرح

الدين فى اللغة العادة و الشأن، و دانه‌اى اذله و استعبده يقال: دنته فدان و دانه دينا بالكسراى جازاه يقال: كماتدين تدان، اى كما تجازى تجازى بفعلك وبحسب ما عملت وقوله: انا لمدينون اى مجزيون، ومنه الديان فى صفات الله تعالى، و يوم الدين يوم الجزاء، والدين فى العرف هومذهب الاسلام وطريق الحق والمراد باهل الدين هم العلماء العارفون باركانه و اصوله وقواعده وفروعه.

الحديث الخامس
و هوالواحد و الثمانون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد الاصبهانى، عن سليمان بن داود المنقرى عن سفيان بن عيينة»، بالعين المهلة المضمومة والياء المنقطة تحتها نقطتين ثم الياء المنقطة تحتها نقطتين و النون، بعدهماليس من اصحابنا و لامن عدادنا «صه» النجاشى: ابن عيينة بن ابى عمران الهلالى مولاهم ابو محمد الكوفى اقام بمكة، كان جده ابوعمران عاملا من عمال الخالد القسرى له نسخة عن جعفر بن محمد عليهما السلام روى عنه محمدبن ابى عبدالرحمن الكشى حمدويه، عن نصير عن محمدبن عيسى، عن على بن اسباط قال: قال سفيان بن عيينة لابى عبدالله عليه السلام: انه يروى ان على بن ابى طالب عليه السلام كان يلبس الخشن من الثياب وانت تلبس القوهى المروى[1]، قال: ويحك ان علياً عليه السلام كان فى زمان ضيق فاذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولى به. «عن مسعر بن كدام» غير مذكور فى كتب الرجال التى رأيناه[2]. «قال سمعت اباجعفر

١ــ القوهى: ثياب بيض.

٢ــ مسعر بن كدام بكسر اوله وتخفيف ثانيه بن ظهير الهلالى ابوسلمة الكوفى ثقة ثبت فاضل من السابقة، مات ستة او خمس و خمسين اى بعد المائة. كذا فى تقريب. منه عفى عنه.

علیه‌السلام یقول: لمجلس اجلسه الی‌من اثق به‌اوثق من[1] نفسی من‌عمل سنة».

الشرح

یعنی ای مجلس من‌المجالس اجلس فیه عند من اعتمد علیه فی علمه و حاله اوثق من نفسی فی‌اکتساب الخیر و الثواب وحسن‌العاقبة من عبادة سنة منها فی‌ذلك.

باب سؤال العالم و تذاکره

و هو الباب العاشر من‌کتاب العقل والعلم فی‌الحث علی السؤال عن‌الاشیاء المجهولة و التعلم من‌العالم بها و المذاکرة معه وفیه عشرة احادیث:

الحدیث الاول

و هوالثانی و الثمانون

«علی‌بن ابراهیم عن ابیه عن ابن ابی‌عمیر عن‌بعض اصحابه[2] عن ابی عبدالله علیه‌السلام قال: سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه فمات قال: قتلوه، الاسألوا؟ فان دواء العی‌السؤال».

الشرح

الجدری بفتحتین و بضم الجیم داء معروف و قد جدر فهو مجدر، والمجدور ما به الجدری، والجدر بفتح الجیم نبت واجدر المکان و ارض مجدرة ذات جدری، و الا مشدة کهلا حرف تحضیض، فمعناها اذا دخلت علی الماضی التوبیخ واللوم‌علی ترك الفعل کما فی هذه العبارة، و اذا دخلت علی المضارع الحض علی الفعل والطلب له فهی فی‌المضارع بمعنی الامر، ولایکون التحضیض فی الماضی الذی قدفات الاانه یستعمل فی‌لوم‌المخاطب علی انه ترك فی‌الماضی شیئا یمکن انیتدارکه فی‌المستقبل،

۱ــ فی (الکافی).

۲ــ اصحابنا (الکافی).

فكأنها من حيت المعنى للتحضيض على فعل مثل مافات؛ والعى خلاف البيان، وقدعى فى منطقه وعيى ايضاً فهو عيى على فعيل، وعى على فعل وعى بامره وعيى اذا لم يهتد لوجهه، والمراد ههنا الجهل وهو مرض يحتاج فيه الى الدواء والعلاج.

قوله: سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه، الغرض من هذا السؤال استعلام حكم المسألة فى هذا المقام و حكم مـن غسل المجدور عند مـا اصابته جنابة و ادى غسله الى الموت، فافاد عليه السلام ان الذين غسلوه قتلوه قتل الخطاء، لان حكم المريض اذا اجنب ولم يقدر على الغسل او انـه يتضرر به هو التيمم، فمن غسله او افتى بغسله فهو ضامن.

ثم و بخهم على ترك السؤال، اذ لو سألوا اولا عن كيفية الامر فى هذا المقام و بين لهم الحكم فى الجواب فما وقعوا فيما وقعوا من هلاك انفسهم فى الاخرة باهلاك غيرهم فى الدنيا، اللهم الا ان يتوبوا، ولم يكن منشأ ذلك الا الجهل، فاشار عليه السلام بقوله: فان دواء العى السؤال، الى ان الجهل داء عظيم ومرض فى القلب الانسانى الذى من شأنه ان يبقى بعد البدن فى النشأة الاخرة لكونه لطيفة روحانية، و اذا لـم يتداوى هذا المرض القلبى يهلك هلاكاً اخروياً دائماً كماقال تعالى: الا من اتى الله بقلب سليم (الشعراء ـ ٨٩)، و دواء هذا الداء العظيم والمرض المهلك السؤال.

فان كثيراً من المجهولات يعلم بالسؤال والتعلم من الخلق، وما لايستعلم من جهة الخلق من العلوم الالهية والاسرار فيحتاج فيها الى التضرع والابتهال الى الله والسؤال منه بلسان المقال على طبق لسان الحال.

الحديث الثانى
وهو الثالث والثمانون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن حمادبن عيسى عن حريز»، بالراء قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين والزاء اخيراً ابن عبدالله السجستانى ابومحمد ـ

الازدی من اهل الکوفة، کثیر[۱] السفر والتجارة الی سجستان فعرف بها، وکانت تجارته فی السمن والزیت. قیل روی عن ابی عبدالله علیه السلام، و قال یونس: لم یسمع من ابی عبدالله علیه السلام الاحدیثین، و قیل روی عن ابی الحسن موسی علیه السلام. قال النجاشی: ولم یثبت ذلك، قال الشیخ الطوسی رحمه الله: ثقة.

و قال النجاشی: کان حریز ممن شهر السیف[۲] و حجبه فی قتال الخوارج بسجستان فی حیوة ابی عبدالله علیه السلام، و روی انه جفاه عنه، وهذا القول من النجاشی لایوجب الطعن لعدم العلم بتعدیل الراوی للجفاء، وروی ان اباعبدالله علیه السلام حجبه[۳] عنه، وفی طریقه رحمه الله محمدبن عیسی و فیه قول مع ان الحجب لایستلزم الجرح لعدم العلم بالسر فیه «صه» وقیل: یحتمل ان یکون المراد بالجفاء فی الروایة السابقة مجرد الحجب، ویکون عطف حجبه علی جفاه عطف تفسیر.

قال الکشی حمدویه ومحمد، عن محمدبن عیسی عن صفوان، عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سأل فضل البقباق لحریز الاذن علی ابی عبدالله علیه السلام فلم یأذن فعاوده[۴] فلم یأذن، فقال: ای شیء للرجل ان یبلغ فی عقوبة غلامه قال علی قدر جریرته[۵]، فقال: قد عاقبت والله حریزاً باعظم مما صنع، قال: و یحك انی فعلت ذلك ان حریزاً جرد السیف، ثم قال: اما لو کان حذیفة بن منصور ما عاودنی فیه بعد انقلت لا. انتهی.

وقیل بعد ما ذکر ماقاله العلامة رحمه الله: انه و ان کان فی محمدبن عیسی قول لکنه قوی قبول روایته مع ان الروایة صریحة فی الجرح فیه[۶].

«عن زرارة»، بن اعین بن سنس بضم السین المهملة واسکان النون و بعدها سین مهملة شیخ من اصحابه فی زمانه و متقدمهم، وکان قارئاً فقیها متکلما شاعراً ادیباً قد

۱ــ اکثر «جش».
۲ــ ای: سل سیفه.
۳ــ ای: منعه.
۴ــ ای: تکرر الاستیذان.
۵ــ ذنوبه «کش».
۶ــ ای بقول العلامة: مع ان الحجب لایستلزم الجرح فیه.

اجتمعت فيه خلال[١] الفضل والدين ثقة صادقا فيما يرويه. و قد ذكر الكشى احاديث تدل على عدالته و عارضت تلك الاحاديث اخبار اخر تدل على القدح فيه قد ذكرنا فى كتابنا الكبير وذكرنا وجه الخلاص عنها، والرجل عندى مقبول الرواية، مات رحمه الله سنة خمسين ومائة «صه».

قال الشهيد الثانى فى الحاشية: حاصل ما ذكره الكشى فى حق زرارة احاديث يزيد على العشرين يقتضى ذمه وكلها ضعيفة السند جداً وفى اكثرها محمدبن عيسى العبيدى، الاحديثا واحداً طريقه صحيح الا انه مرسل لان راويه محمدبن قولويه عن محمدبن ابى القاسم بن ماجيلويه، عن زيادبن ابى الجلال عن الصادق عليه السلام، وظاهر ان زيادالذى هو من رجال الباقر والصادق عليهما السلام لم يبق الى زمن ابن ماجيلويه المعاصر لابن بابويه ومن فى طبقته، ونقلت الاخبار الواردة بمدحه خالية عن المعارض المعتبر، وفيها خبر صحيح السند يدل على ثقته وجلالته وقدتقدم متنه وسنده فى باب الباء، هذا مايتعلق بكتاب الكشى الذى اشار اليه المصنف.

ووقفت فى الكافى للكلينى على اربعة اخبار اخر يقتضى القدح فيه: اثنان منها فى كتاب الايمان وفى طريقهما محمدبن عيسى عن يونس، و الاخران فى كتاب الميراث وطريقهما كذلك ايضا، ولكن احديهما بطريق اخر حسن ولكنه مرجوح عند معارضة الصحيح الذى وردفى مدحه. وبالجملة فقد ظهر اشتراك جميع الاقوال القادحة فى اسنادها الى محمدبن عيسى و هو قرينة عظيمة على الميل والجزاف منه على زرارة مضافا الى ضعفه فى نفسه.

و قال السيد جمال الدين طاوس ونعم ماقال: ولقد اكثر محمدبن عيسى من القول فى زرارة حتى لوكان بمقام عدالة[٢] كادت الظنون تسرع اليه بالتهمة، فكيف و

١ــ والخلة مثل الخصلة وزناً و معنى والجمع خلال.

٢ــ عدالته «جامع الرواة».

هومقدوح. انتهی کلام المحشی رحمه‌الله[۱].

وقال الکشی: اجمعت العصابة علی تصدیقه و الانقیاد بالفقه فی ستةهم افقه الاولین من اصحاب ابی‌جعفر و ابی‌عبدالله علیهما السلام، قالوا وافقه الستة زرارة و ذکر احادیث کثیرة تدل‌علی‌علورتبته وعظم منزلته وجلالة قدره یضیق المقام‌عن ایرادها و قد تقدم منها فی‌بریدة[۲].

وعارض‌ذلك باخبار تدل علی‌القدح فیه وکفی جواباً عنها وعذراً فیها ما روی فی‌الصحیح ان اباعبدالله علیه‌السلام ارسل الیه انما اعیبك دفاعاً منی‌عنك، فان الناس والعدو یسارعـون الی کل من قربناه، وحمدنا مکانه لادخال الاذی فیمن نحبه ونقربه، ویذمونه[۳] لمحبتناله وقربه و دنوه منا، ویرون ادخال الاذی علیه وقتله ویحمدون کـل من رغبناه[۴]. فانما اعیبك‌لانك رجل اشتهرت بنا وبمیلك[۵] الینا، وانت فی ذلك‌مذموم عندالناس فیکون ذلك دافع شرهم عنك.

یقول‌الله عزوجل: و اما السفینة فکانت لمساکین یعملون فـی‌البحر فاردت ان اعیبها وکان ورائهم‌ملك یأخذکل سفینة غصباً (الکهف ـ ۷۹)، هذا التنزیل‌من عندالله

۱ـ قال ابنه الشیخ محمد العاملی رحمه‌الله: فـی هذا الکلام نظر واضح، والوالد رحمه‌الله تبع فیه السید جمال بن طاووس و وجه‌النظر ان محمدبن ابی‌القاسم ماجیلویه لم یکن معاصراً لابی‌جعفربن بابویه و انما المعاصر له محمدبن علی‌بن ماجیلویه، والذی یظهر من‌کلام ابی‌جعفربن بابویه ان الاول عم‌الثانی، ذکر ذلك فی اسانید من لایحضره‌الفقیه ، و فـی النجاشی ما یعطی انه جـده لا عمه، و علی‌کـل حال فاستبعاد لقائه لاصحاب الصادق علیه‌السلام مرفوع حینئذ، والاولی فی‌الجواب عن‌اخبار الطعن حملها علی التقیة، وقدظهر ذلك فی حدیث رواه الکشی وطریقه و ان لم‌یکن صحیحا لکنه منبه علی وجه اکمل‌مساعداً للاعتبار. «منه قدس سره فی‌الحاشیة».

۲ـ برید «جامع‌الرواة».

۳ـ یرمونه «کش».

۴ـ عیبناه «جامع‌الرواة» عبناه «کش».

۵ـ ولمیلك «کش».

صالحة هؤلاء[١] ما عابها الالكى تسلم من الملك، فافهم المثل يرحمك الله فانك احب الناس الى واحب اصحاب الى[٢] حياً وميتا، فانك افضل[٣] ذلك البحر القمقام و ان من ورائك ملكاً[٤] ظلوماً غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها واهلها، فرحمة الله عليك حياً ورحمته و رضوانه عليك ميتاً، هذا مع ان اسنادها مقدوحة وبلوائح الكذب اكثرها مشحونة.

«ومحمدبن مسلم»، ابن رباح ابوجعفر الاوقص الطحان مولى ثقيف الاعور، وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع صاحب ابا جعفر وابا عبدالله عليهما السلام و روى عنهما وكان من اوثق الناس وقد مضى شرح حاله.

«وبريد العجلى»، بضم الباء وفتح الراء ابن معوية ابو القاسم عربى، روى انه من حوارى[٥] الباقر والصادق عليهما السلام و روى عنهما و مات فى حيوة ابى عبدالله عليه السلام، و هو وجه من وجوه اصحابنا ثقة فقيه له محل عند الائمة عليهم السلام.

قال الكشى: انه ممن اتقفت العصابة على تصديقه و ممن انقادوا له بالفقه، و روى فى حديث صحيح عن جميل بن دراج قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلى، و ذكر اخرين ومات فى سنة مائة وخمسين «صه» الحديث هكذا: بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلى و ابوبصير ليث بن البخترى المرادى، ومحمدبن مسلم و زرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه، لولاهؤلاء انقطعت اثار النبوة واندرست. «قالوا: قال ابوعبدالله عليه السلام لحمران بن اعين فى شىء سأله: انما يهلك الناس لانهم لايسألون».

١ــ لا والله «كش ــ جامع الرواة».
٢ــ ابى «كش» ابى الى «جامع الرواة».
٣ــ افضل سفن «كش» فانك سفن «جامع الرواة».
٤ــ لملكا «كش».
٥ــ اى من انصاره.

الشرح

قدمر فى الحديث السابق ان الجهل داء مهلك و دوائه السؤال، ولكن الجاهل اذا لم يشعر بجهله وظن بنفسه انه عالم يستنكف عن السؤال فبقى على جهله ابداً فيهلك هلاكاً سرمداً، و لهذا قالت الحكماء: ان صاحب الجهل المركب المشفوع بالعناد عذابه ابدى.

و وجه ذلك بان حيوة النشأة الاخرة انما يكون بالعلم و المعرفة، فصاحب الجهل المركب وهومن يعلم شيئا اواشياء على غيرماهى عليه، فعلمه مركب مع الجهل فحيوته الاخروية ممتزج بالموت كما قال تعالى: لايموت فيها ولايحيى (الاعلى ـ١٣)، فله غاية الاذى و الالم، اذكل الم وعذاب انماهو بادراك فقد مايلائمه او ضد ماله من الحالة الملائمة كتفرق الاتصال لعضو او حصول حرارة محرقة فيه اوبرودة شديدة فيه ونحوها، وهذه الاعدام و الاضداد الموجبة للالام الشديدة ههنا انما وقعت فى امور خارجة عن ذات المدرك كالاعضاء ونحوها، ولكن يصل اثرها الى النفس للعلاقة التى اليها للنفس.

فما ظنك بادراك العدم الحاصل فى نفس المدرك و ذاته؟ و اما اشد واعظم من الم وعذاب يكون بادراك هلاك النفس وفقدالذات وموت الهوية، و ذلك هو الخسران المبين نعوذ بالله من ذلك.

الحديث الثالث
و هوالرابع و الثمانون

«على بن محمد عن سهل بن زياد، عن جعفر ابن محمد الاشعرى، عن عبدالله بن ميمون القداح عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال: ان هذا العلم عليه قفل و مفتاحه السؤال[1]».

١ـ المسألة (الكافى).

الشرح

اشار عليه السلام بقوله: هذا العلم، تنبيهاً على ان العلم الذى هو مقفل مغلق هو مايوجدعندهم عليه السلام وعندمن ينهج على منهاجهم ويسلك سبيلهم ومفتاحه السؤال منهم اوممن اخذ منهم، لاالعلم الذى اكب عليه الاكثرون من علماء العامة ومن يجرى مجراهم من الصحفيين واهل الكتاب، فافه يمكن اخذه من الكتب والصحائف، فالعلوم الحقيقية انما ينزل من عندالله او من عند من ينزل عليه من عنده تعالى، ومفتاحه السؤال اما بلسان الحال اوبلسان المقال، مع ضرب من الاستئهال.

الحديث الرابع
و هوالخامس والثمانون

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن النوفلى عن السكونى عن ابى عبدالله عليه السلام مثله».

الحديث الخامس
وهوالسادس والثمانون

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن ابى جعفر الاحول» محمدبن على بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق مولى بجيلة من اصحاب الكاظم عليه السلام ثقة وكان يلقب بالاحول، و المخالفون يلقبونه شيطان الطاق. وكان دكانه فى طاق المحامل بالكوفة يرجع اليه فى النقد فيخرج كماينقد فيقال: شيطان الطاق، وكان كثير العلم حسن الخاطر «صه».

وفى الكشى، حمدويه بن نصير قال: حدثنا محمدبن الحسين بن ابى الخطاب، عن النضر بن شعيب عن ابان بن عثمان، عن عمر بن يزيد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: زرارة وبريدبن معوية، و محمدبن مسلم و الاحول احب الناس الى احياء و اموا تاً، ولكنهم يجيئونى فيقولون لى، فلا اجد بداً من ان اقول.

علی بن محمد بن الحسن قال: حدثنی محمد بن احمد عن یعقوب بن یزید، عن ابن ابی عمیر عن ابی العباس البقباق عن ابی عبدالله علیه السلام قال: اربعة احب الناس الی احیاء و امواتاً: برید العجلی و زرارة، ومحمد بن مسلم و الاحول.

حمدویه قال: حدثنا محمد بن عیسی عن ابی محمد القاسم بن عروة، عن ابی العباس قال ابوعبدالله علیه السلام: زرارة بن اعین و محمد بن مسلم، و برید بن معویة والاحول احب الناس الی احیاء و امواتاً ولکن الناس یکثرون[1] فیهم فلا اجد بداً من متابعتهم، قال: فلما کان من قابل قال: انت الذی تروی علی ما تروی فی زرارة و برید، ومحمد بن مسلم و الاحول؟ قال: قلت: نعم فکذبت علیك، قال: انما ذلك اذا کانوا صالحین، قلت: هم صالحون.

حدثنی حمدویه عن یعقوب بن یزید، عن القاسم بن عروة، عن ابی العباس الفضل بن عبدالملك قال: سمعت ابا عبدالله علیه السلام یقول: احب الناس الی احیاء و امواتاً اربعة: برید بن معویة العجلی وزرارة ومحمد بن مسلم والاحول: وهم احب الناس الی احیاء و امواتاً. و روایات اخر تدل علی حسن خاطره وجودة ذهنه وقوة مناظرته.

و روی فی ذمه عن محمد بن مسعود، عن علی بن محمد القمی قال: حدثنی احمد بن محمد بن عیسی عن علی بن الحکم عن فضل[2] بن عثمان عن ابی عبدالله علیه السلام انه اشار بعد ان جری حدیث کون صاحب الطاق جدلاً[3] الی انه ان قال له احد: اخبرنی عن کلامك، هذا من کلام امامك؟ فان قال: نعم، کذب علینا و ان قال لا قال له: کیف تتکلم بکلام لا یتکلم به امامك، ثم قال: انهم یتکلمون بکلام ان انا اقررت به ورضیت اقمت علی الضلالة و ان برءت منهم شق علی، نحن قلیل وعدونا کثیر.

قلت: جعلت فداك، فابلغه عنك ذلك قال: اما انهم قد دخلوا فی امر مایمنعهم عن الرجوع عنه الا الحمیة، قال: فابلغت ذلك ابا جعفر الاحول فقال: صدق بابی وامی

۱ــ یکثرون علی فیه «کش ــ جامع الرواة».
۲ــ فضیل «کش ــ جامع الرواة».
۳ــ جدل «کش».

مايمنعنى من الرجوع الاالحمية على.

قال: حدثنا محمدبن احمد عن محمدبن عيسى، عن مردك[1] بن عبيد عن احمدبن النضر، عن المفضل بن عمر قال: قال لى ابوعبدالله عليه السلام: ائت الاحول فمره لايتكلم، فاتيته فى منزله فاشرف على فقلت له: يقول لك ابوعبدالله عليه السلام: لاتتكلم، قال: اخاف ان لااصبر.

و اجيب ان فى سند الاول على بن محمد القمى و يحتمل كونه ابن محمدبن يزيد كما فى روايات اخروهو غير معلوم الحال و لامذكور فى كتب الرجال.

قال احمدبن طاوس: ظاهر كلام الصادق عليه السلام راجع الى ايثار التقية فى ايثار ترك اصحابه للخوض فى الكلام، واما قوله: مايمنعهم من الرجوع عنه الاالحمية، فهواشارة الى ان الكلام المشارا ليه لم يقارنه نية الاخلاص. وفى سند الثانى محمدبن عيسى والمفضل وفيها قول و بعد فمن الذى يأمن ان يخطىء هذا مع ما فى روايات المدح مايصير عذراً عن مثل ذلك فتنبه «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: لايسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم، ويسعهم ان يأخذوا بما يقول و ان كانت تقية».

الشرح

اى لايسع الناس ولايجوز لهم ان يقفوا على الجهل بالمعارف الدينية والمسائل العملية الفرعية، بل يجب عليهم الطلب والسؤال والتفقه فى الدين ومعرفة امام المسلمين حتى يسألوا منه لقوله تعالى: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل ـ ٤٣)، و اذا عرفوا امامهم حق معرفته الواجبة عليهم من كونه معصوماً عن الخطاء يسعهم ان يأخذوا بقوله و يعملوا بمؤداه، و ان كانت الحالة تقية او و ان كانت فيما قاله تقية؛ فقوله: تقية اما منصوبة بالخبرية لكانت وهى ناقصة او مرفوعة بالفاعلية لها وهى تامة.

---

١ ـ مروك «كش ـ جامع الرواة».

الحديث السادس
و هوالسابع و الثمانون

«علی عن محمدبن عيسى عن يونس، عمن ذكره عن ابـی عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلی‌الله عليه واله: اف لرجل لايفرغ نفسه فی كل جمعة لامـر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه، وفی رواية اخرى: لكل مسلم».

الشرح

اف بالتشديد كلمة تضجر يقال: افاًله و افقله ای قذراًله، و التنوين للتنكير، و افة وتفة وقدافف تـأفيفاً اذا قال: اف، وفيه‌ست لغات حركات الفاء منونـاً وغيرمنون والهمزة مضمومة، قوله عليه‌السلام: فی كل جمعة، ای كل يوم جمعة اوفی كل‌اسبوع، والمراد الاول، لانه مجمع‌الناس.

يعنی يجب على كل رجل مسلم ان يفرغ نفسه فی كل يوم جمعة عـن شواغل الدنيا ومكاسب المعيشة لاستعلام ماهومن امـور دينه وحلاله وحرامه، فعليه ان يتعاهد يوم الجمعة ويتحفظه حتى لايفوت عنه حضور الجمعة ويسأل عن مسائل دينه ومايحل له ويحرم عليه.

الحديث السابع
و هوالثامن و الثمانون

علی‌بن‌ابراهيم‌عن‌ابيه عن‌ابن ابی‌عمير، عن عبدالله‌بن سنان عن‌ابی‌عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلی‌الله عليه واله: ان‌الله عزوجل يقول: تذاكر العالم[1] بين عبادی مماتحيی عليه القلوب الميتة اذاهم انتهوا فيه الی امری.

۱ــ العلم (الكافی).

الشرح

لما كان هذا الباب متضمنا لمقصدين: احدهما الحث على السؤال عماهو ضرورى فى امرالدين لكل مسلم، وثانيهما مذاكرة العالم، فالاحاديث الستة الماضية كانت فى المقصد الاول وهذا الحديث و الثلاثة البواقى فى تذاكر العلوم المتعلقة بامر المبدأ و المعاد و اصول الاعتقاد، فالمعنى: ان تذاكر العالم علومه ومعارفه بين جماعة من عبادالله المستمعين لكلامه المستفيدين منه مماتحيى قلوبهم الميتة حيوة اخرى.

وقد سبقت الاشارة مراراً الى ان العلوم الحقيقية والمعارف الالهية مما يتنور بها باطن الانسان و قلبه المعنوى و يحيى بها حيوة عقلية يصعد بها الى عالم القدس و يصير ذاته من جوهر الملائكة المقربين والعقول المقدسين، و قوله: اذاهم انتهوا فيه الى امرى، يعنى ان مذاكرة العلوم انما توجب حيوةالقلوب الميتة اذاكانت مؤدية الى المعارف الالهية والعلوم الربانية من احوال المبدأ وصفاته و افعاله و احوال النبوة والمعاد.

و يحتمل ان يكون هده التتمة من كلام النبى صلى الله عليه و اله، اى بشرط ان العلوم التى تتذاكر بها مقتبسة من مشكوة خاتم الانبياء صلوات الله و سلامه عليه و اله، فان العقول البشرية بمجرد حركاتهم الفكرية قاصرة عن البلوغ الى درك ماينكشف فى طور النبوة والولاية كعجز الحس والوهم عن البلوغ الى درك ما ينكشف فى طور العقل، فان كثيراً من المعارف الايمانية التى شهدت بصحتها اعاظم الاولياء و اماثل الكبراء مما احالته جمهور العقلاء.

منها هذه المسألة التى نحن فيها من صيرورة الانسان جوهراً قدسيا و حيواناً عقلياً بعد ماكان جوهراً نفسانيا و حيواناً بشرياً حسياً، فان اكثر الفلاسفة كابن سينا ومن فى طبقته ينكرون هذه الحركة الجوهرية الواقعة فى حدود الانسانية ومنازلها ومقاماتها، و نحن بفضل الله الذى يؤتيه من يشاء اوضحنا بيانه و اقمنا برهانه مستمداً من بحار القران و ايات الرحمن مستضيئا بانوار التنزيل و اسرار التأويل.

الحديث الثامن
وهو التاسع والثمانون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد بن عيسى، عن محمدبن سنان عن ابى‌الجارود»، زيادبن منذر الهمدانى بالدال المهملة الخارقى بالخاء المعجمة وبعدالالف راء مهملة و قاف، و قيل الحرقى بالحاء المضمومة والراء والقاف، و اختار ابن داود قولا ثالثا و هو انه الحوفى بالحاء المهملة و الفاء و حكى القولين المذكورين ههنا، الكوفى الاعمى تابعى زيدى المذهب و اليه ينسب الجارودية من الزيدية، وكان من اصحاب ابى جعفر عليه السلام و يروى عن الصادق عليه السلام و تغير لما خرج زيد رضى الله عنه و روى عن زيد.

و قال ابن الغضائرى: حديثه فى حديث اصحابنا اكثر منه فى الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه محمدبن سنان عنه و يعتمدون ما رواه محمدبن بكر الارحبى، و قال الكشى: زيادبن المنذر ابو الجارود الاعمى السرحوب، بالسين المهملة المضمومة والراء والحاء المهملة والباء المنقطة تحتها نقطة واحدة بعد الواو مذموم، لاشبهة فى ذمه و سمى سرحوبا باسم شيطان اعمى يسكن البحر. «قال سمعت اباجعفر عليه السلام يقول: رحم الله عبداً احيا العلم قال: قلت: وما احياؤه؟ قال: ان يذاكر به اهل الدين و اهل الورع».

الشرح

انما قيد اهل تذاكر العلم بان يكونوا من اهل الدين والورع حتى يكون فى تذاكرهم احياء للعلم لوجهين: احدهما مامر من كون العلم الحقيقى مايكون نوره مقتبساً من مشكوة النبوة، والثانى ان طهارة القلب بالورع والتقوى شرط حصول العلم كما قال تعالى: و اتقوا الله و يعلمكم (البقرة ـ ٢٨٢)، فان جلاء المرآة وصفاؤها عن الكدوراة شرط حلول الصور فيها، والتخلية قبل التحلية.

الحديث التاسع
و هو التسعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن عبدالله بن محمد الحجال»، بالحاء المهملة والجيم الاسدى مولاهم كوفى المزخرف ابومحمد، وقيل: انه مولى بنى تيم ثقة ثقة ثبت «صه» و فى النجاشى: قيل: انه من موالى بنى تميم[1]، قال الشيخ: مولى بنى تيم الله ثقة من اصحاب الرضا عليه السلام، وفى الفهرست روى على بن حسن بن على بن عبدالله بن المغيرة عن ابيه عنه بكتابه. «عن بعض اصحابه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: تذاكروا و تلاقوا و تحدثوا فان الحديث جلاء للقلوب، ان القلوب لترين كما يرين السيف وجلائها... الحديث».

الشرح

الرين الطبع والدنس، و ران على قلبه ذنبه، يرين رِيناً و ريونا اى غلب عليه، وقيل: هو الذنب على الذنب حتى يسواد القلب، وقال ابوعبيد: كل ما غلبك فقد رانك و ران بك وران عليك، وقال ابوزيد: رين بالرجل اذا وقع فيما لايستطيع الخروج عنه ولاقبل له به، و ران النعاس فى العين و رانت الخمر عليه غلبته هكذا فى الصحاح وغيره، ولعل اصل معنى الرين هو الطبع والدنس كما ذكر اولا وهو مما يتفاوت شدة وضعفا، و اذا اشتد غلب على محله وسلب.

وقدمر ان القلوب كالمرائى والمعاصى والشهوات كالادناس والطبائع، فاذا تكررت وترادفت المعاصى تراكمت الادناس والظلمات عليها ففسدت ذاتها و بطلت فلم ينجع فيها نصيحة ولاتعليم، فقوله صلى الله عليه واله: ان القلوب لترين كمايرين السيف جلائها...الحديث، اشارة الى رين القلوب قبل ان يشتد ويستحكم وحينئذ ينفع الحديث و التذاكر، فاما اذا اشتد و استحكم فلاينفع الذكرى كما فى قوله: بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون (المطففين-١٤)، وقوله: فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون

١- بنى نهم «جش».

(المنافقون ـ٣).

الحديث العاشر
و هوالواحد والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد عن ابيه، عن فضالةبن ايوب»، الازدى من اصحاب ابى ابـراهيم موسى الكاظـم عليه‌السلام سكن الاهواز ، روى عن الكاظم عليه‌السلام وكان ثقة فى حديثه مستقيماً فى دينه «صه» الكشى قال بعض اصحابنا: انه ممن اجمع اصحابنا على تصحيح عنهم وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم. قيل: ابن ايوب روى عنه الحسين بن سعيد وهوممن لم يرو، فتأمل فيه.

«عن عمربن ابان»، الكلبى ابوحفص مولى كـوفى ثقة روى عن ابـى عبدالله عليه‌السلام «صه» وفى النجاشى: له كتاب روى عنه جماعة منهم عباس بن عامر القصبانى، و فى الفهرست عنه الحسن بن محمدبن سماعة. «عن منصور الصيقل»، بن الـوليد من اصحاب الباقر عليه‌السلام يكنى ابا محمد روى عنهما: «قال سمعت ابا جعفرعليه‌السلام يقول: تذاكر العلم دراسة و الدراسة صلوة حسنة».

الشرح

درست الكتاب درساً و دراسة و دراسته و تدارسته قرأته. وقال ابن الاثير: فى الحديث: تدارسوا القران، اى اقرأوه وتعهدوه لئلاتنسوه، و اصل الدراسة الـرياضة و التعهد للشىء، و منه حديث اليهودى الزانى: فوضع مدارسه[1] كفه على اية الرجم، المدراس صاحب دراسة كتبهم ومفعل ومفعال من ابنية المبالغة.

يعنى ان مذاكرة العلم بمنزلة دراسة القران فى الفضيلة والثواب ودراسة القران بمنزلة صلوة حسنة، لان فضل الصلوة على غيرها من العبادات لاجل اشتمالها على الذكر كما فى قـوله: اقم الصلوة لذكرى (طه ـ ١٤) وحقيقة الذكـرهى ما يتذكر به القلب

١ـ وفى اللسان: مدارسها.

لامايتحرك به اللسان، والمصلى متى كان فى صلوته حاضر القلب بذكر الله وخضوعه و خشوعه كانت صلوته احسن، وبقدر غفلته ينقص ثوابه ويقل حسن صلوته، فمذاكرة العلم افضل و احسن من صلوة لاتذكر فيها.

قال ابن عبدالحكيم: كنت عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلى فقال: يا هذا ما الذى اليه بافضل من الذى كنت فيه اذا صحت النية. و ليس غرضنا من هذا النقل الاعتضاد بكلام مالك فيما نحن فيه بل الاشعار بان هذا الامر ممالم يخف على مثله مع كونه من اهل الظاهر فكيف على من له قسط فى كشف المعانى و الاسرار؟

باب بذل العلم

و هو الباب الحادى عشر من كتاب العقل و العلم و فيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هو الثانى و التسعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن اسمعيل بن بزيع، عن منصوربن حازم عن طلحةبن زيد»، ابو الخزرج بالخاء المعجمة و الزاى ثم الراء ثم الجيم كما فى الايضاح، النهدى الشامى ويقال له: الحرزى[1] بالحاء المهملة والراى ثم الزاء روى عن جعفر الصادق عليه السلام عامى المذهب، قال الشيخ الطوسى رحمه الله فى موضع: انه بترى وفى اخر: انه عامى المذهب الا ان كتابه يعتمد[2] «صه» النجاشى الحرزى[3] القرشى من اصحاب الصادق عليه السلام النهدى الشامى، وفى كتاب البرقى:

١ــ و فى الايضاح و جامع الرواة و رجال الطوسى: الجزرى، و فى كتاب نضد الايضاح للعلم الهدى: و يقال: الحزرى بالحاء المهملة والزاء بعدها ثم الراء، عامى، و ربما يقال مكان الحزرى بالحاء المهملة الجرزى بالجيم والزاء ثم الراء.

٢ــ معتمد «ست ــ جامع الرواة».

٣ــ الخزرى «جش».

ابوالخزرج النهدى الشامى ابن الجرزى «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قرأت فى كتاب على عليه السلام: ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال، لان العلم كان قبل الجهل».

الشرح

العهد فى اللغة لمعان كثيرة: منها الامان، و منه لايقتل مسلم بكافر و لاذو عهد فى عهده، و منها الذمة و الحفاظ و الوصية، ويقال: عهدت اليه اوصيته، ومنه العهد الذى يكتب للولاة، و المعهود الذى عهد وعرف وعهدته بمكان كذا لقيته وعهدى به قريب و متى عهدك بفلان اى متى عهدته، ومنه متى عهدك بالخف ونحوه اى متى لبسته، و التعهد التحفظ بالشىء.

و العهد المطريكون بعدالمطر والجمع العهاد و العهود، و المعاهد الذمى، و قرية عهيدة اى قديمة اتى عليها عهد طويل، ومنها اليمين و هوالعقد الموثق قوله تعالى: الذين ينقضون عهدالله (البقرة ـ ٢٧)، و النقض فسخ التركيب و اصله فى طاقات الحبل، و استعماله فى ابطال العهد من حيث ان العهد يستعارله الحبل لما فيه من ربط احدالمتعاهدين[١] بالاخر، فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز و ان ذكر مع العهد فقط كان تخييلا و رمزاً الى ماهومن روادفه[٢]، و هو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك: شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس، فان فيه تنبيهاً على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته، و وضع العهد مطلقاً لما من شأنه ان يراعى ويتعهد كالوصية و الذمة و اليمين، ويقال للدار و القرية و نحوهما من حيث انها تراعى بالرجوع اليها و التاريخ لانه يحفظ.

و اما عهدالله فهوالذى جعل الله يوم الميثاق فى قوله: و اذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم (الاعراف ـ ١٧٢)... الاية، وهو فى الحقيقة ماركز فى العقول وفطرذوات

١ـ المتعاقدين. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

٢ـ كما يقال: فلان نقض حبل عهدى. كذا فى الحاشية فى نسخة الاصل للشارح.

النفوس الادمية عليه من الحجة و الايات الدالة على توحيده و وجوب وجوده واتصافه بالصفات الكبرى و الاسماء الحسنى وبرائته عن النقائص و الشرور و رجوع الخلائق اليه فـى العقبى، وعليه اول قوله تعالى: و اشهدهم علـى انفسهم (الاعراف ـ ١٧٢)، فهذا هو العهد المأخوذ به العباد و كذلك المأخوذ به على امم الرسل والانبياء عليهم السلام، و هو انهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالبينات و المعجزات صد قـوه و امنوا به و اتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله: و اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب (ال عمران ـ ١٨٧)، ونظائره.

و اما المأخوذ به الرسل فهو التبليغ والتعليم و الهداية و التأديب كما فـى مثل قوله: يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك، (المائدة ـ ٦٧) ونظائره.

و اذا انكشف لك حال عهد الله على الامم بالاتباع وعلى الرسل بالتبليغ فقس عليه حال عهده على الجاهل بطلب العلم و على العالم ببذله، ولهذا قيل عهود الله ثلاثة: عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته، وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولايتفرقوا فيه، وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولايكتمونه، وعن النبى صلى الله عليه واله: من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار.

واما قوله: لان العلم كان قبل الجهل، فيحتمل ان يكون من تتمة كلام امير المؤمنين عليه السلام كما هو الظاهر او من كلام الصادق عليه السلام، وعلى اى الوجهين فلايخلو معناه عن خفاء وغموض اذفيه اشكال، و هو ان كل واحد من افراد الناس يكون فى اول خلقه جاهـلا ثم يكتسب العلم و يصير عالماً او يبقى على جهله، فما معنى كـون العلم قبل الجهل؟

و الجواب من وجـوه: احـدها ان العلم كمال وخير والجهل نقصان و شر، و الكمال والخير هو غاية كل شيء فللعلم تقدم على الجهل تقدما بالغاية.

و الثانى ان النفوس الانسانية لها كينونة سابقة على البدن عند اخـذ المثياق و كونهم فـى ظهور ابائهم العقلية، وتلك الكونية ضرب من الوجود العقلى و الوجـود العقلى لاينفك عن العلم بالذات و بمبدع الذات، فكان الانسان هناك عالماً فاذا نزل الى

الدنيا صار جاهلا ناسياً، و اليه الاشارة بقوله: ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى (طه ـ ١١٥)، ثم ان ساعده التوفيق يصير عالما راجعاً الى عالمه الذى نزل منه و الافيهوى فى الجحيم شقياً فى غصة وعذاب اليم.

والثالث ان العلم اشرف من الجهل فله قبلية بالشرف عليه.

و الرابع ان طبيعة العلم قبل طبيعة الجهل، لان وجود الحق سبحانه و وجود الجواهر العقلية والنفسية قبل الاجسام والاغشية الظلمانية التى يلزمها الاعدام والجهالات و الشرور.

و الخامس ان الجهل عدم ملكة العلم، و الاعدام انما يعرف بملكاتها، فالجهل لايعرف الا بالعلم. و العلم يعرف بذاته لا بالجهل فالعلم يتقدم على الجهل بالماهية و الحقيقة وبالكمال والغاية وبالشرف وبالرتبة وبالذات و بالزمان ايضاً اذا اعتبر حال النوع، وايضاً لو لاوجود العلماء لم يكن للجهال وجود لانها انما خلقت لاجلهم لقوله تعالى: وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون (الذاريات ـ ٥٦)، اى ليعرفون.

الحديث الثانى
وهو الثالث والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى، عن ابيه عن عبدالله بن المغيرة»، بضم الميم وكسر الغين المعجمة قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين ابو محمد البجلى مولى جندب بن عبدالله بن سفيان العلقى، كوفى ثقة ثقة لايعدل به احد من جلالته و دينه و ورعه روى عن ابى الحسن موسى عليه السلام.

قال الكشى: روى انه كان واقفيا ثم رجع ثم قال: انه ممن اجمعت العصابة على تصحيح مايصح عنه و الاقرار له بالفقه «صه» و قال النجاشى: قيل: انه صنف ثلاثين كتابا روى عنه ايوب بن نوح والحسن بن على بن عبدالله ابن ابيه[1] «ومحمد بن سنان عن

١ ـ عبدالله ابن ابنه «جامع الرواة» قال حدثنا الحسن بن على بن عبدالله بن مغيرة عن جده «جش».

طلحة بن زيد عن ابى عبدالله عليه السلام فى هذه الاية: ولاتصعر خدك للناس (لقمان ـ ١٨)، قال: ليكن الناس عندك فى العلم سواء».

الشرح

الصعر ميل فى العنق و انقلاب فى الوجه الى احد الشقين، عن الليث، و يقال: داء اصاب البعير يلوى منه عنقه، وقد صعر خده وصاعر اى اماله تكبراً، ومنه الحديث: كل صعار ملعون، والصعار المتكبر لانه يميل بخده ويعرض عن الناس بخده[1]، ويروى بالقاف بدل العين وبالضاد المعجمة والفاء والراى، وقوله تعالى: ولاتصعر خدك للناس (لقمان ـ ١٨)، اى لاتعرض عنهم تكبراً.

وهذا التأويل الذى ذكره عليه السلام تأويل حسن، لان المعلم ينبغى ان يكون التفاته وتعليمه بالقياس الى جميع الناس على درجة واحدة، فان كان التفاته الى البعض دون البعض او استنكف عن تعليم البعض اونصحه فكأنه مال بوجهه عنه اوتكبر، و الدليل على صحة هذا التأويل، ان هذا الخطاب وقع من مثل لقمان الحكيم الى ابنه الجالس مجلسه و اصحابه لايكونون الاطلاب العلوم، فكانت النصيحة منه لابنه التسوية بين الطلاب فى افادة العلم والهداية و الارشاد، والله اعلم بالصواب.

الحديث الثالث
و هوالرابع والتسعون

«وبهذا الاسناد عن ابيه عن احمد بن النضر»، بالنون والضاد المعجمة ابو الحسن الجعفى مولى كوفى ثقة «صه» وفى الفهرست: له كتاب يروى عنه محمد بن خالد البرقى ومحمد بن سالم: «عن عمرو بن شمر» بن يزيد ابو عبدالله الجعفى الكوفى روى عن ابى عبدالله وعن جابر ضعيف جداً، زيد احاديث فى كتب جابر الجعفى ينسب

١ـ بوجهه «النهاية».

بعضها اليه و الامر ملتبس فلا اعتقد[1] على شيء مما يرويه «صه» «عن جابر عن ابی عبدالله[2] عليه السلام قال: زكوة العلم ان تعلمه عباد الله».

الشرح

كما ان للمال زكوة وزكوته الانفاق للمستحقين فكذلك للعلم زكوة و زكوته التعليم لمن هو اهله ومستحقه من عباد الله تعالى، وكما ان المال يزداد بالانفاق فكذا العلم يزداد ويشتد بالتعليم وفيه الاجر و الثواب للاخرة، وقد روى عن النبی صلى الله عليه واله انه قال: لاحسد الافی اثنين: رجل اتاه الله الحكمة فهو يقضی بها و يعلمها الناس و رجل اتاه الله مالا فسلطه على انفاقه فی الحق فهو ينفق سراً وجهراً.

الحديث الرابع
و هو الخامس و التسعون

«علی بن ابراهيم عن محمد بن عيسى[3]، عن عبيد عن يونس بن عبدالرحمن عمن ذكره عن ابی عبدالله عليه السلام قال: قام عيسى[4] خطيباً فی بنی اسرائيل فقال: يا بنی اسرائيل لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم».

الشرح

اراد عليه السلام بماحكاه عن كلام عيسى عليه السلام و اهتمامه فی ذلك حيث ذكره حين قام خطيباً فی محتشد من بنی اسرائيل، التنبيه على ما ينبغی ان يفعله المعلم من ملاحظة احوال المتعلمين و النظر فی مراتب افهامهم وقابلياتهم بالقياس الی درجات

۱ــ فلا اعتمد «جامع الرواة».
۲ــ عن ابی جعفر (الكافی).
۳ــ عيسى بن عبيد (الكافی).
۴ــ عيسى بن مريم عليه السلام (الكافی).

العلوم، فرب متعلم يفهم مرتبة من العلم دون اخرى فوقها فضلا عمن لم يفهم شيئا.

و رب علم يفهمه بعض المتعلمين دون غيرهم فضلا عما لايدركه احد منهم، فلا ينبغي للمعلم ان يفشي ما يعلمه الى كل احد، هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولكن لم يكن من اهل الانتفاع به، فكيف فيمن لايفهمه او كيف فيما لايفهمه؟ بل ينبغي ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه وعلى قدر ماينتفع به اذا فهمه، فلا يلقى اليه ما لايبلغه عقلة فينفره اويخبط عليه اقتداء بسيد الانبياء والمعلمين عليه واله الصلوة والسلام حيث قال: نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم، فنكلم الناس على قدر عقولهم، وليبث اليه الحكمة والحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمه.

وقد روى عنه صلى الله عليه واله انه قال: ما احد يحدث قوماً بحديث لايبلغه عقولهم الاكان فتنة على بعضهم، وقال على عليه السلام و اومى بيده الى صدره الشريف: ان ههنا لعلوماً جمة[1] لو وجدت لها حملة، و صدق سلام الله عليه فان قلوب الابرار قبور الاسرار.

وعن رسول الله صلى الله عليه واله: لاتعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير، فان الحكمة خير من الجوهر الثمين و من كرهها فهو شر من الخنزير فيكون اعطاؤها اياه ظلماً في حقها لانه وضع لها في غير موضعها.

وسأل بعض العلماء رحمهم الله عن مسألة فلم يجب فقال السائل: اما سمعت النبي صلى الله عليه واله حيث يقول: من كتم علما نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار؟ فقال: اترك اللجام و اذهب، فان جائني من ينفعه فكتمته فيلجمني، و قول الله: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم (النساء ـ ٥)، تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى.

ومما يؤيد مانحن فيه انه ذكر في كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن باسناده عن عبدالله بن سلمان قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى و هو يقول: ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم

---

١ ـ لعلما جما «نهج».

يؤذى ريح بطونهم اهل النار، فقال ابوجعفر عليه السلام: فهلك[١] مؤمن ال فرعون، و مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحا عليه السلام، فليذهب الحسن يميناً و شمالا، فو الله لايوجد العلم الاههنا.

ثم انه ليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق، بل الظلم فى الثانى اقل منه فى الاول، لانه مما يتدارك دون الاول، و ذلك لان الاول تفويت و الثانى تأخير و التأخير يتدارك دون التفويت، ونعم ماقيل نظماً:

فمن منح الجهال علماً اضاعه و من منع المستوجبين فقد ظلم

باب النهى عن القول بغير علم

و هو الباب الثانى من كتاب العقل و العلم و فيه تسعة احاديث

الحديث الاول

و هو السادس و التسعون

«محمدبن يحيى عن احمد وعبدالله ابنى محمدبن عيسى» و هو يلقب بنان[٢]، صرح به الكشى «عن على بن الحكم عن سيف بن عميره، عن مفضل بن مزيد[٣]» كوفى من اصحاب الصادق عليه السلام و ليس اسمه فى الخلاصة[٤] «قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: انهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال: انهاك ان تدين الله بالباطل، وتفتى الناس بمالاتعلم».

الشرح

النهى خلاف الامر و نهيته عن كذا فانتهى عنه، وتناهى اى كف وتناهوا عن المنكر

١ــ فهلك اذن «بصائر الدرجات».

٢ــ عبدالله بن محمدبن عيسى الاسدى الملقب ببنان «كش».

٣ــ وفى رجال الشيخ: مفضل بن يزيد، وهو كوفى و لكن مفضل بن مزيد اخو شعيب الكاتب من اصحاب الباقر عليه السلام.

٤ــ لانه من اصحاب الباقر عليه السلام ، و قال العلامة فى الخلاصة: روى الكشى حديثا يعطى انه كان شيعيا.

نهى بعضهم بعضا و انه لامور بالمعروف ونهو عن المنكر، فعول للمبالغة ويتعدى الى مفعوله الثانى بحرف عن.

فقوله عليه السلام: انهاك ان تدين الله، اى انهاك عن ان تدين الله بالباطل و عن ان تفتى الناس بمالاتعلم، فارادبالاول جميع الاعتقادات الفاسدة فى اصول الدين وبالثانى الاحكام الفرعية الاجتهادية، فالنهى فى الاول عن نفس التدين بهاى الاعتقاد وفى الثانى عن الفتيا[1] والحكومة بها، كأن فى الثانى لواعتقد على حسب ظنه الفاسد ولم يفت به الناس لم يكن فيه كثير محذور، لانه من الفروع العملية، فاذا عمل به على ظنه و ان كان فاسداً ولم يتعد منه الى غيره فلايبعد ان لامؤاخذة به عليه فى الاخرة.

الحديث الثانى
و هو السابع والتسعون

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن عبدالرحمن بن الحجاج»، البجلى مولاهم ابوعبدالله الكوفى بياع السابرى سكن بغداد ورمى بالكيسانية، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام وبقى بعد ابى الحسن عليه السلام و رجع الى الحق و لقى الرضا عليه السلام وكان ثقة ثقة ثبتاً وجهاً وكان وكيلا لابى عبدالله عليه السلام ومات فى عصر الرضا عليه السلام على ولاية[2] «صه» وفى النجاشى: له كتب روى عنه جماعة منهم ابن ابى عمير.

وفى الكشى حمدويه عن محمدبن الحسين، عن عثمان بن عيسى عن حسن بن ناجية قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام و ذكر عبدالرحمن بن الحجاج فقال: انه لثقيل على الفؤاد، ابو القاسم نصر بن صباح قال: عبدالرحمن ابن الحجاج شهد له ابو الحسن عليه السلام بالجنة وكان ابوعبدالله يقول لعبدالرحمن: يا عبدالرحمن كلم

١ــ الفتوى «النسخة البدل فى الاصل للشارح» استفتى استفتاء العالم فى مسألة فافتانى، والاسم: الفتياء والفتوى.

٢ــ وعلى ولايته «جامع الرواة».

اهل المدينة، فانى احب ان يرى فى رجال الشيعة مثلك. انتهى.

و فى هذا الكتاب اعنى الكافى مايأتى فى يحيى بن حبيب من كونه[1] من اهل الجنة، وقيل: لايبعد ان يكون المراد من الحديث الاول ان هذا الاسم ثقيل على الفؤاد من حيث عبدالرحمن والحجاج مع احتمال المدح معنى. فليتدبر[2]. «قال: قال لى ابو عبدالله عليه السلام: اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك: اياك ان تفتى الناس برأيك او تدين بمالاتعلم».

الشرح

فيه نهى عن الفتوى بمجرد القياس الفقهى، و هو اجراء الحكم الشرعى الوارد فى مادة على مادة اخرى لاشتراكها مع تلك المادة فى معنى يوجد فيهما، وله اقسام ليس ههنا موضع بيانها وقد ذكر بيان احواله و اقسامه فى كتب الاصول الفقهية.

الحديث الثالث
وهو الثامن و التسعون

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب عن على بن رياب»، الكوفى له اصل كبير وهو ثقة جليل القدر «صه» فى النجاشى: الطحان السعدى مولاهم كوفى من اصحاب الصادق عليه السلام، ابو الحسن مولى جرم بطن من قضاعة

١ــ اى: عبدالرحمن.

٢ــ و فى الكافى: عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن عمر الزيات عن ابى عبدالله عليه السلام قال: من مات فى المدينة بعثه الله فى الامنين يوم القيامة، منهم يحيى بن حبيب و ابو عبيدة الحذاء و عبدالرحمن بن الحجاج، وفى رجال ابو على: قوله عليه السلام: لثقيل على الفؤاد، يمكن ان يكون اراد به ثقل هاتين الكلمتين فان الحجاج عرف به من هو عدو اهل البيت، و عبدالرحمن اسم ابن الملجم، و ربما قيل: يمكن ان يراد به ان له موقف فى النفس والخاطر و انه ثقيل على فؤاد المخالفين، و قال جدى: اى موقر ومعظم فى القلوب اوفى قلبى، والظاهر انه مدح لا ذم كما توهم.

وقيل: مولى بنى سعدبن بكر طحان روى عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام، ذكره ابوالعباس وغيره و روى عن ابى‌الحسن عليه‌السلام له‌كتب.

و ذكر المسعودى فى‌مروج الذهب: ان على‌بن رياب‌كان من علية علماء الشيعة وكان اخوه اليمان‌بن رياب من علماء[1] الخوارج، وكانا يحتجان فى كل سنة ثلاثة ايام يتناظران فيها ثم يفترقان ولايسلم احدهما على‌الاخر ولايخاطبه. «عن ابى‌عبيدة‌الحذاء عن ابى‌جعفرعليه‌السلام قال: من افتى‌الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل‌بفتياه».

الشرح

ان من افتى بغيرعلم مستنبط من‌الكتاب والسنة استنباطاً صحيحاً وبغيرهدى والهام من‌الله‌كان غرضه حب‌الدنيا والثروة و الجاه والشهرة و الرياء وسائر الاغراض الفاسدة فهو من اسوء الناس عذاباً يوم القيامة وابعدهم عن‌الله، فطردته ملائكة‌الرحمة المتعلقة بطبقات الجنان والمدبرة لنفوس الاخيارللارتقاء الى‌مقاماتهم فى‌دارالحيوان، وملائكة العذاب المتعلقة بعالم الاكوان السائقة لنفوس الاشرار الى‌منازلهم فى‌دركات الجحيم والنيران.

وبالجملة لعنته ملائكة الاخرة و ملائكة الدنيا، لان فيماهو بصدده فساد الاخرة والدنيا جميعا، اما الاول فلاجل اعتقاداته الفاسدة واغراضه الباطلة، واما الثانى‌فلاجل احكامه وفتاويه التى قد يحلل‌ما حرم‌الله وقديحرم ما حلل‌الله فيؤدى الى‌فساد النظام فى الفروج و الدماء و اموال الناس وحقوق الايتام و ذوى‌الارحام و غير ذلك، فلاجرم اليه يعود وزر من عمل باحكامه وفتاويه الى‌يوم‌القيامة.

الحديث الرابع
و هوالتاسع والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن الحسن‌بن على»بن زياد،

١ــ من علية علماء «مروج».

«الوشاء»، بجلى كوفى يكنى بابى محمدالوشاء و هو ابن بنت الصيرفى خيزان[1] من اصحاب الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذه الطائفة «صه» و قد سبق ذكر احواله، قيل: لفظ خيزان خزاز الا ان فى عامة نسخ الكشى هكذا وهو تصحيف.

«عن ابان الاحمر»، و هو ابان بن عثمان الاحمر قال الكشى: قال محمدبن مسعود: حدثنى على بن الحسن قال: كان ابان بن عثمان من الناووسية وكان مولى لبجيلة وكان يسكن الكوفة ثم قال: ان العصابة اجمعت على تصحيح ما يصح عن ابان بن عثمان والاقرار له بالفقه، قال العلامة طاب ثراه: والاقرب عندى قبول روايته و ان كان فاسد المذهب للاجماع المذكور[2]. انتهى.

وقال فخرالمحققين قال: سألت والدى عنه فقال: الاقرب عدم قبول روايته لقوله تعالى: ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (الحجرات ـ ع)، ولا فسق اعظم من عدم الايمان، و قد يقال: فذلك يقتضى عدم الحكم بكونه ناووسياً سيما مع الاجماع الثابت بنقل الكشى العدل. «عن زيادبن ابى رجاء»، بالجيم بعد الراء و اسم ابى رجاء منذر كوفى ثقة صحيح «صه» وهو من اصحاب الباقر عليه السلام قال الكشى: قال محمدبن مسعود: سألت ابن فضال عن زيادبن ابى رجاء فقال: ثقة. «عن ابى جعفر عليه السلام قال: ماعلمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا: الله اعلم، ان الرجل لينتزع الاية من القران يخر فيها ابعد ما بين السماء والارض».

الشرح

نزعت الشيء من مكانه نزعاً و انتزعته ايضا فانتزع اى قلعته فاقتلع، وقدجمع بين اللغتين فى قوله: نزع سن رجل فانتزع، المنزوعة سنه سن النازع ويجوز المنزوع سنه، و خر يخر بالضم والكسر اذا سقط من علو، و خر الماء يخر بالكسر صوت و عين خرارة، وعن ابن عباس: من ادخل اصبعيه فى اذنيه سمع خرير الكوثر، و خرير

١ـ وهو ابن بنت الياس الصيرفى خزاز «جش ـ جامع الرواة».
٢ـ اى قبول روايته للاجماع المذكور بقوله: اجمعت العصابة....

الماء صوته، اراد انه مثل صوت خرير الكوثر، وخر لله ساجداً خروراً ای سقط، وفی الحديث للوضوء: الاخرت خطاياه ای سقطت و ذهبت[١].

يعنی اذا سألكم سائل عن شیء فما علمتموه يقيناً فقولوا و اجيبوا عن مسألته و مالم تعلموه علماً يقينياً ان كانت المسألة اصولية ولاظناً راجحاً مستفاداً من الادلة الشرعية ان كانت فقهية فلاتفتوا بها ولا تجيبوا عنها بل قولوا: الله اعلم، ای اعلم العلماء من الملائكة والانبياء ومن والاهم فی العلم، و الا فلم يجز للجاهل ان يقول: الله اعلم منی، لان مقتضی صيغة التفضيل ان يكون للمفضل عليه شركة فی طبيعة مافيه الفضل و هو مبدأ الاشتقاق، وليست للجاهل العامی حصة من العلم اليقينی والمعرفة الحقيقة فلايجوز له ان يقول: الله اعلم، كما سيجیء فی الحديث التالی لهذا الحديث.

ولايخفی انقوله: فقولوا، فی الاول ليس امر ايجاب بل امر اباحة او استحسان الا ان لايكون فی البلد من يعلم الجواب وكان الحكم ممايحتاج اليه، وكذا فی الثانی لجواز السكوت.

و قوله عليه السلام: ان الرجل لينتزع الاية ... الی اخره، ای يستخرج الرجل من القران اية للاستدلال بها علی مقصوده من الحكم الذی يقضی به، والحال انه يسقط فی هذا الانتزاع للاية والاستدلال بها ويهوی الی مكان سحيق ابعد من التحقيق من ما بين السماء والارض، فضمير فيها راجع الی الاية علی حذف مضاف ای فی انتزاعها، وفی بعض النسخ: يحرفها بدل يخر فيها وكأنه تصحيف.

الحديث الخامس
و هو المائة

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن حمادبن عيسی عن ربعی ابن عبدالله، عن محمدبن مسلم عن ابی عبدالله عليه السلام قال: للعالم اذا سأل عن شیء و هو لايعلمه ان يقول: الله اعلم، وليس لغير العالم ان يقول ذلك».

١ــ و يروی جرت بالجيم، ای جرت مع ماء الوضوء «النهاية».

الشرح

قد مضى وجه ذلك و انى بحمدالله تفطنت به و كتبته فى شرح الحديث السابق قبل ان انظر الى هذا الحديث، و الان الحقت بذلك قولى كما سيجىء فى الحديث التالى.

فان قلت: حكم العالم فيما سأل عما لايعلمه كحكم الجاهل فكيف يصح له ان يقول: الله اعلم؟

قلت: يصح نظرا الى جنس العلم الموجود شىء منه فى العالم دون الجاهل. نعم، ينبغى ان يكون العالم عالماً ربانيا علومه من باب العقليات واليقينيات الدائمة التى لايتبدل ولا يتغير، لامن باب الظنيات والعمليات والتقليديات و سائر العلوم والادراكات المسلوبة عن البارى، جل مما يوجب تجسماً او تكثراً او تغيراً تعالى عنه علواً كبيراً، فاذن ليس لغير العالم الربانى ان يقول: الله اعلم، موهماً انه اعلم منه، وانما يصح للعالم الربانى و ان كان علمه بالقياس الى علم الله كنسبة القطرة، بل الرشحة الى بحر لانهاية لعمقه.

الحديث السادس
و هو الواحد والمائة

«على بن ابراهيم عن احمد بن محمد بن خالد، عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبدالله، عن محمد بن مسلم عن ابى عبدالله عليه السلام قال: اذا سأل الرجل منكم عمالا يعلم فليقل: لاادرى، ولايقل: الله اعلم، فيوقع فى قلب صاحبه شكاً، و اذاقال المسئول: لا ادرى، فلايتهمه السائل.

الشرح

اتهمه فهو متهم و ذاك متهم والتهمة فعلة من الوهم والتاء بدل من الواو وقديفتح الهاء كذا فى النهاية، وقال الجوهرى: الاسم التهمة بالتحريك.

نهى عليه‌السلام عن ان‌يقول المسئول عن شيء لايعلمه: الله‌اعلم، بدل: لاادرى، وعلل ذلك بانه يوقع غالبا فى قلب‌السائل شكاً فيتهمه، اى بالعلم، و اذا قال: لاادرى، فلايتطرق اليه تهمة من جانب‌السائل ولاغيره.

قال ابوحامد الغزالى فى‌الاحياء فى باب افات العلم: ومنها ان لايكون متسرعاً الى الفتوى بل يكون متوقفا محترزاً ما وجد الـى الخلاص سبيلا، فان سأل عمايعلمه بتحقيق افتى و ان سأل عما شك[1] فيه قال: لاادرى، و انسأل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط و دفع عن نفسه و احال الى غيره ان‌كان فى غيره غنية، هذا هوالحزم، لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم.

وفـى الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق و سنة قائمة ولا ادرى، و قال الشعبى: لا ادرى نصف‌العلم، ومن‌سكت حيث لايدرى‌لله فليس اقل اجراً ممن‌نطق، لان‌الاعتراف بالنقص اشد على‌النفس وهكذا كانت عادة الصحابة.

قال ابن‌مسعود: ان الذى يفتى‌الناس لمجنون، وكان يقول: تريدون ان‌تجعلونا جسراً تعبرون علينا الى جهنم، و قال: جنة العالم لا ادرى، قال ابراهيم‌بن ادهم: ليس شيء اشد على‌الشيطان من‌عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول: انظروا الى‌هذا سكوته اشد على من كلامه، و وصف بعضهم الابدال فقال: اكلهم فاقة و كلامهم ضرورة، اى لايتكلمون حتى يسألوا و اذا سألوا ووجد من يكفهم[2] سكتوا و ان اضطروا اجابـوا، وكانوا يعدون الابتداء قبل‌السؤال من‌الشهوة الخفية من‌الكلام.

ومر على عليه‌السلام و عبدالله‌بن مسعود برجل يتكلم على‌الناس فقالا: هذايقول اعرفونى، وكان ابراهيم التيمى اذا سأل عن مسألة بكى[3] ويقول: لم‌تجدوا غيرى‌حتى احتجتم الى، وكان من‌الفقهاء من يقول: لاادرى اكثر من ان يقول: ادرى، منهم‌سفيان

١ــ يشك«الاحياء».

٢ــ و وجدوا من يكفيهم «الاحياء».

٣ــ يبكى «الاحياء».

الثوری ومالک بن انس والفضیل بن عیاض و بشر بن الحارث[۱].

و قال عبدالرحمن بن ابی لیلی: ادرکت فی هذا المسجد مائة و عشرین من اصحاب رسول الله صلی الله علیه واله ما منهم من احد یسأل عن حدیث اوفتوی الا ودان اخاه کفاه ذلک، وفی لفظ اخر کانت المسألة تعرض علی احدهم فیردها الی الاخر ویردها الاخر الی اخر حتی تعود الی الاول، وهکذا کانت عادة اصحاب الصفة فیما اهدی الی واحد منهم فاهداه الی الاخر فدار بینهم حتی رجع الی الاول. فانظر الان کیف انعکس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا و المطلوب مهروبا[۲]؟

الحدیث السابع
وهو الثانی و المائة

«الحسین بن محمد عن معلی بن محمد، عن علی بن اسباط عن جعفر»، بن محمد، «بن سماعة»، ثقة فی الحدیث واقفی «صه» فی النجاشی: ابوعبدالله اخو ابی محمد الحسن، و ابراهیم ابی محمد و جعفر اکبر اخوته[۳]. «عن غیر واحد عن ابان» یحتمل رجلین کلاهما ثقتان جلیلا القدر، احدهما مامر ذکره و هو ابن عثمان الاحمر، والثانی ابان بن تغلب بالتاء المنقوطة فوقها نقطتین المفتوحة والغین المعجمة الساکنة[۴]، ابن رباح بن سعید[۵] البکری الجریری بالجیم المضمومة والراء قبل الیاء المنقطة تحتها نقطتین وبعدها، مولی بنی جریر ثقة جلیل القدر عظیم المنزلة فی اصحابنا، لقی ابامحمد علی بن الحسین و اباجعفر و اباعبدالله علیهم السلام وقدم[۶] و روی عنهم، و قال له الباقر

۱ــ الحرث «الاحیاء».

۲ــ مهروبا عنه «الاحیاء».

۳ــ وکان جعفر اکثر من اخوته ثقة فی حدیثه «جش».

۴ــ تغلب کتضرب ابوقبیلة، قال الجوهری والنسبة الیها تغلبی بفتح اللام استیحاشاً لتوالی الکسرتین مع یاء النسبة، و ربما قالوا بالکسر، لان فیه حرفین غیر مکسورتین. منه قدس سره فی الحاشیة.

۵ــ ابوسعید «جش».

۶ــ ای الی المدینة ــ منه قدس سره فی الحاشیة.

عليه‌السلام: اجلس فی مسجد المدينة وافت الناس فانی احب ان يرى فی شيعتی مثلك، و مات فی حيوة ابی عبدالله عليه‌السلام فقال الصادق عليه‌السلام لما اتاه نعيه: اما والله لقد اوجع قلبی موت ابان، ومات فی سنة احدى واربعين ومائة، وروى ان الصادق عليه‌السلام قال له: يا ابان ناظر اهل المدينة، فانی احب ان يكون مثلك من رواتی و رجالی «صه».

و فی الفهرست والنجاشی: وكان قارئاً فقيهاً لغوياً و فی النجاشی ايضا: انه من وجوه القراء لغوى سمع من العرب وحكى عنهم وكان مقدماً فی كل فن من القران و الفقه والحديث والادب واللغة والنحو، وله كتب وله قرائة مفردة مشهورة عند القراء، و روى انه دخل على ابی عبدالله فلما بصر به امر بوسادة فالقيت له وصافحه و اعتنقه وسأله[1] و رحب به، و انه كان اذا قدم المدينة تقوضت[2] اليه الحلق واخليت له سارية[3] النبی صلى‌الله عليه واله. «عن زرارة بن اعين قال: سألت ابا جعفر عليه‌السلام ماحق الله على العباد؟ قال: ان يقولوا مايعلمون ويقفوا عند مالايعلمون».

الشرح

فان قلت: حق الله على العباد كثير فما وجه اختصاص هذا بالذكر؟

قلنا: ليس المراد الانحصار و لعل المراد من العباد ههنا العلماء من اهل الكتب والفتاوى بقرينة حالية اومقالية تحققت عند السؤال، وقد وقع فی القران كثيراً ميثاق اهل الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق ولايفتروا على الله كذبا، و كل من افتى بغير علم فهو ممن افترى على الله كذبا وقال بغير حق.

وظهران من حق الله الواجب عليهم ان لايقولوا الاماعلموه علماً حقيقياً ولايفتوا فی المسائل الاما فيه نص صريح من كتاب اوخبر ثابت صحيح من سنة او انعقد عليه

١ــ اى سأل احواله و صحته.

٢ــ تقوضت الحلق او الصفوف: انتقضت و تفرقت.

٣ــ السارية الاسطوانة. كناية عن جلوسه مجلس النبی صلى‌الله عليه و اله فی بيان المسائل والاحكام.

اجماع قطعي، و ان يسكتوا عند عدم العلم و ورود الشبهات، هكذا كان دأب العلماء الزاهدين و الفقهاء المتورعين، و في الخبر: اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا و زهداً فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة.

الحديث الثامن
و هو الثالث و المائة

«علي بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابي عمير عن يونس، عن ابي يعقوب و اسحق بن عبدالله»، بن سعد بن مالك الاشعري قمي ثقة روى عن ابي عبدالله و ابي الحسن عليهما السلام و ابنه احمد بن اسحق مشهور. «عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ان الله خص عباده بايتين من كتابه: ان لايقولوا حتى يعلموا ولايردوا ما لم يعلموا وقال تعالى: الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق (الاعراف ـ ١٦٩)، و قال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (يونس ـ ٣٩).

الشرح

يعني ان الله خص عباده الذين من اهل الكتاب و الكلام، كأن من سواهم ليس مضافا اليه تعالى بالعبودية له بآيتين من كتابه: لان لايقولوا على الله اى على كتابه او شريعته الاما علموا انه الحق الثابت باليقين و البرهان، و ان لايردوا ايضا مالم يعلموا انه المردود، و الايتان هما اللتان ذكرهما، وفيه ان الايات المخصوص بها هؤلاء العباد كثيرة فوق اثنتين كقوله تعالى: ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لايفلح الظالمون (الانعام ـ ٢١)، وقوله: ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون (المائدة ـ ٤٤)، و قوله: فاولئك هم الظالمون (المائده ـ ٤٥)، و قوله: فاولئك هم الفاسقون (المائده ـ ٤٧) الى غير ذلك من الايات.

ويحتمل ان يكون المراد بايتين هما بحسب الجنس اوجنسان من الايات و فيه بعد، ولايبعد ان يكون لفظة بايتين تصحيفاً للفظة باثنين ، اى خصهم الله بامرين من

امـور كتابه، اى حكمين من احكام الكتاب: احـدهما ان لايقولوا على الله الاالحق و الثانـى ان لايردوا مالم يعلموا حتى لايقعوا فى تحليل حرام او تحريم حلال كما فى قوله تعالى: ولاتقولوا لماتصف السنتكم الكذب هذا حـلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب (النحل ـ ١١٦).

ثم ذكرايتين من جملة الايات الـدالة على النهى عن القول بغير علم والافتراء على الله، ومن هذا الباب قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثـم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا (البقرة ـ ٧٩).

الحديث التاسع
و هوالرابع والمائة

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى، عن يونس عن داودبن فرقد، عمن حدثه عن ابن شبرمة»، اسمه عبدالله، وشبرمة بالشين المعجمة و بعدها باء منقطة تحتها نقطة والراء قبل الميم من اصحاب على بن الحسين عليهما السلام كان قاضياً لابى جعفر[1] على سواد الكوفة ومات سنة اربع واربعين ومائة «صه» ابن شبرمة الضبى الكوفى، ابوشبرمة و كان شاعراً. «قال ما ذكرت حديثا سمعته عـن جعفربن محمد عليهما السلام الاكـادان يتصدع قلبى، قال: حدثنى ابى عن جـدى عن رسول الله صلى الله عليه والـه، قال ابن شبرمة: و اقسم بالله ماكذب ابوه على جده ولاجده على رسول الله صلى الله عليه و اله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: من عمل بالمقائيس فقد هلك و اهلك، و من افتى الناس بغير علم و هـو لايعلم الناسخ من المنسوخ و المحكم مـن المتشابه فقد هلك و اهلك».

الشرح

اعلم ان هذا القياس ليس المراد به ما اصطلحت عليه علماء الميزان وهو القول

١ـ اى: ابوجعفر المنصور ـ الدوانيقى ـ .

المؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنه لذاته قول اخر، و هومنقسم الى اقسام خمسة: افضلها واشرفها البرهان المؤلف من اليقينيات، لانه المعطى لليقين الدائم الذى لايزول ابداً ولايزلزله الشكوك و الاوهام، وبعده الخطابة المؤلفة من المظنونات، و هى مما يفعل فعل البرهان ولكن فى الاذهان الصافية و القلوب اللطيفة، ثم الجدل المؤلف من المشهورات و المسلمات و هومماينفع النفوس العامية ويقع به كسر قوة الجاحدين للحق و قمع صولة انكارهم حتى يستعدوا لسماع الحق بالبرهان، ولايستنكفوا عما يخالف ماتلقفوه تقليداً من الاباء و الاسلاف، وليكن هذا هوالغرض من استعمالها عند المجادلة لامجرد الغلبة لتكون بالتى هى احسن.

والى هذه الثلاثة التى هى العمدة اشير فى الكتاب الالهى تعليماً من الله لنبيه صلى الله عليه واله لدعوة الخلق فى قوله تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن (النحل ـ ١٢٥).

و اما القسمان الاخران فهما الشعر المؤلف من التخييلات والمغالطة المؤلفة من المشبهة باليقينيات او الجدليات وليست اياهما، ويقال للاول: القياس السفسطى و للثانى: المشاغبى، فاحدهما وهوالشعر لاينبغى للنبى صلى الله عليه واله لارتفاع منصب النبوة عما يشبه الهزل، انه لقول فصل وماهو بالهزل (الطارق ـ ١٤)، وكذا الثانى وهوالمغالطة، لان فائدتها اما الحذر عن الغلط اوتغليط الخصم المجادل، ومرتبة النبى صلى الله عليه واله وكذا من ينوبه من اهل العصمة تنافى ان يغلط ويتعالى عن ان يغلط.

و الشعر و ان كان مفيداً سيما للعوام فان التخييل ربما يؤثر فى بعض الناس اقداماً و احجاما اكثر من التصديق، الا ان مداره على الاكاذيب فلايليق بالصادق المصدوق كماشهد بقوله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغى له (يس ـ ٦٩).

بل المراد[1] به ماسماه الميزانيون التمثيل، وهو كما سبقت الاشارة اليه اثبات الحكم فى جزئى لثبوته فى جزئى اخر لمعنى مشترك بينهما كقول القائل: العالم مؤلف فيكون حادثا، قياساً على البيت وهواضعف الحجج غير مفيد ليقين، بل ولاظناً قوياً و

١ـ اى: بالقياس.

يسمى القياس الفقهى، لان الفقهاء يسمونه قياساً، و كثير منهم كـابى حنيفة و اصحابه يعولون عليها.

و الغزالى جعله باطلا وعد صورة هذا القياس من موازين الشيطان حيث قال: اما ميزان الـرأى و القياس فحاش لله ان نعتصم به، ومـن زعم من اصحابـى ان ذلك ميزان المعرفة فاسأل الله ان يكفينى شره عن الدين فانه صديق جـاهل و هو شر من عدو عاقل. انتهى كلامه. ويفوح منه رائحة التشيع.

ثم ان حدود هذا القياس اربعة: الاصل والفرع والعلة والحكم. فالاصل، هو الصورة التى الحكم فيها ثابت بالاتفاق كالبيت فى مثالنا هذا، والفرع، هو الصورة الاخـرى التى يـراد اثبات الحكم فيها كالعالم، والعلة، وهى المعنى المشترك بينهما الجامـع كالتأليف، و الحكم وهو القول المترتب عليه و هو كقولنا: العالم حادث.

و انما قرر اصحاب الرأى والجدل هذا النمط بطريقين: احدهما و يسمى الطرد و العكس عند قدماء الجدليين و الدوران عند متأخريهم، هو ان المعنى الشامل حيث عهد كما فـى البيت والسرير ونحوهما كان مقترناً بهذا الحكم و كـذا بالعكس، اى وحيث انتفى المعنى الشامل، انتفى الحكم كالحدوث، فهما متلازمان وجوداً و عـدماً، فيقترنان فى محل النزاع، وهم فى حيز الانقطاع و العجز عند مطالبة لمية عـدم جواز انفكاكهما فى موضع لم يعهدوه، فاذاً جاز انفكاكهما فى مـوضع لايلزم تلازمها وجوداً وعدما.

والثانى و يسمى السبر[1] والتقسيم، و هو انهم يعدون صفات ما وجد فيه الحكم بالاتفاق الذى سموه الاصل او الشاهـد، كقولهم: علة حدوث البيت امـا التأليف او الامكان او الموجـودية او الجوهرية او الجسمية ، و هو ايضاً ليس بشىء لانا لانسلم انحصار العلة فيما ذكروا الجواز وصف اخر وهو العلة و المناط، لان الترديد غير دائر بين النفى و الاثبات ليكون حصراً عقلياً ، فـاذن لاينقطع عنهم احتمال وجـود وصف غفلوا عنه هو مناط الحكم و العلة، فرب حكم متعلق بشىء لايطلع عليه الابعدحين.

١ــ سبر الامر: جربه و اختبره، والسبر: الاصل.

فهذا خلاصة البيان في تقرير هذا القياس ومايرد عليه، فظهر انه ممالاتعويل عليه في المقاصد العلمية و الدينية، ولهذا وقع الحكم في هذا الحديث على هلاك من عمل به سيما في اصول الاعتقاديات او في مقابلة النص، وهلاك من اتبعه في العمل بمثل عمله اوفي العمل بمايستخرجه بهذا العمل فهو هالك و مهلك لكونه ضالا مضلا.

و اول من عمل بهذا القياس في مقابلة النص هو الشيطان حيث امره الله بسجدة ادم فابى و عارض الامر بالقياس و هو قوله كما حكى الله عنه: خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ ١٢)، يعنى ان النار اشرف من الطين، فانا لتكونى منها اشرف و افضل من ادم لتكونه من الطين، و الشريف كيف يسجد للخسيس و الفاضل كيف يخدم المفضول؟ فخبط اللعين وغلط وخلط اذقاس شرف الروح على شرف البدن وفضيلة السر على فضيلة العلن، فالغلط ههنا انما نشاء من باب اخذما ليس بعلة علة، او اخذما بالقوة مكان ما بالفعل.

وقوله: و من افتى الناس... الى اخره اعلم: ان في آيات القران اقساماً كثيرة متقابلة فيكون ناسخا ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً ومجملا ومبيناً ومنطوقا ومفهوما و ظاهراً ومأولا وعاماً وخاصاً ومطلقا ومقيداً وغير ذلك من الاقسام، وكذلك في الحديث كما بين وفصل معانيها في كتب الاصول الفقهية، والمفتى للناس لابدان يعلم هذه الاقسام و يتميز عنده بعضها عن بعض، و الافهلك ذاته و اهلك غيره ممن يتبعه في الفتوى او العمل.

باب من عمل بغير علم

و هو الباب الثالث عشر من كتاب العقل و العلم وفيه ثلاثة احاديث

الحديث الاول

و هو الخامس و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن ابيه عن محمد بن سنان عن طلحة بن زيد قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: العامل على غير بصيرة كالسائر على

غير الطريق لايزيده سرعة[١] السير الابعداً».

الشرح

توضيح هذا المرام وتحقيق هذا المقام، بان تعلم اولا: ان الانسان يكون فى هذه النشأة الدنياوية مركباً من بدن طبيعى مظلم سفلى ومن روح ملكوتى علوى، و لكل منهما خاصية اخرى غير خاصية صاحبه، فخاصية الروح اذا كملت العلم والمعرفة وخاصية البدن اذا قوى الحركة والاستحالة، وايضاً خاصية الروح البقاء و الدوام و خاصية البدن الدثور والانصرام، ومع ذلك كل منهما يحتاج الى الاخر فى هذه النشأة التعلقية.

وعلة تعلق النفس بهذا البدن الكثيف الظلمانى وهبوطها عن عالم النور ومعدن السرور، نقصها وقصورها، فيحتاج فى استكمالها وبلوغها من حدود النقص الى درجة الكمال الى سعى وعمل وحركات علمية وعملية، و اعمال وطاعات بدنية و قلبية و كل ذلك لايمكن الا بالبدن. فهى محتاجة فى تحصيل الكمال الى البدن، و البدن ايضاً مادام بقاؤه وحيوته محتاج فى التغذية و التكميل و توليد المثل الى نفس مدبرة له، فكل منهما يفتقر الى الاخر وينتفع به.

و مثالهما معاً مثال المقعد[٢] والاعمى، فالنفس كبصير لاقدرة له على المشى والبدن كماش لايبصر شيئا، فاذا اعان كل منهما صاحبه امكنهما سلوك طريق يؤدى الى المطلوب و الظفر بالمقصود، بان يركب البصير المقعد على الاعمى الراجل، فيسيرا معاً فى بساتين العشرة ومناهل الشهوة ومراحل النعمة و اللذة فيتنعمان بالمشارب و المآكل والمناكح، فعلى هذا لو اراد الاعمى ان يمشى منفرداً من غير ان يقوده البصير فيوشك ان يقع فى بئر اوهاوية او يفترسه سبع فيهلك، و فى الغالب يكون على غير سمت المطلوب فيزداد بعداً كلما يزداد سيراً وسرعة.

١ــ كثرة. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

٢ــ الزمن. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

فهذا مثال ضرب للنفس والبدن في سلوك سبيل الله والمشي الى دار المغفرة والرحمة والرضوان و بساتين الجنان. فاذن حال العامل بلا علم والناسك بلا بصيرة كحال السائر الاعمى بلاقائد بصير حذو القذة بالقذة، وهذا امر محقق بالبرهان مكشوف عند ذوي العيان لا انه اكتفى فيه بمجرد المثال، اذقد مر ان التمثيل مما لاتعويل عليه سيما في مثل هذه المقاصد الاصولية، و لولا مخافة التطويل لا وردنا بياناً برهانياً على ان عبادة الجاهل لايزيده الا حجابا عن الحق و بعداً عن المعبود.

الحديث الثاني
وهو السادس والمائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن سنان عن ابن مسكان»
هو عبدالله بن مسكان بالميم المضمومة والسين الساكنة المهملة ابو محمد مولى عنزة ثقة عين روى عن ابى الحسن موسى عليه السلام، قيل: انه روى عن ابى عبدالله عليه السلام و ليس يثبت، و روى انه لم يسمع من الصادق عليه السلام الا حديث: من ادرك المشعر فقد ادرك الحج. و كان من اروى اصحاب ابى عبدالله عليه السلام، و كان لايدخل على ابى عبدالله عليه السلام شفقة[1] ان لايوفيه حق اجلاله، وكان يسمع من اصحابه ويأبى ان يدخل عليه اجلالا و اعظاماً[2] «صه».

اقول: و لعله انما دخل على الكاظم عليه السلام مع امتناعه عن الدخول على ابيه عليه السلام لترقيه في العلم والعمل حتى صار في زمن الكاظم عليه السلام اهلا للدخول.

قال الكشي: وهو ممن اجتمعت العصابة على تصحيح مايصح عنهم و اقروا لهم بالفقه، قال النجاشي: مات في ايام ابى الحسن عليه السلام قبل الحادثة. له كتب روى عنه محمدبن سنان والحسين بن هاشم «عن حسين الصيقل قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: لايقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل

١ــ اى: خوفا.

٢ــ اعظاماً له عليه السلام «كش».

ومن لم يعمل فلا معرفة له، الا ان الايمان بعضه من بعض».

الشرح

قدمر ان الايمان وكل مقام من مقاماته كالصبر والشكر والتوكل وغيرها، ينتظم من المعارف والاحوال والاعمال، فكل معرفة تثمر حالا وكل حال تثمر عملا وبالعكس من هذا الترتيب بعينه، فان كل عمل يتأدى الى اثر او حال فى النفس، وكل حال و صفاء فى النفس، يتأدى الى معرفة اخرى فيها، فكل من هذه الامور الثلاثة يكون اولا و اخراً فيتقدم على نفسه، لكن لاعلى سبيل الدور المستحيل، لان الذى فى الاول غير الذى فى الاخر بالعدد، وكيفية التقدم والتأخر والعلية والمعلولية فى احد الترتيبين غير التى فى عكسه. فان تقدم المعرفة على الحال و بتوسطها على العمل، تقدم بالذات والطبع[1] كتقدم الفاعل على فعله، وتقدم العمل على الحال و بتوسطها على المعرفة تقدم بالزمان لا بالذات كتقدم القابل و استعداده على المقبول الحادث بعده.

فظهر ان كلا من العلم والعمل له مدخلية فى حصول الاخر بوجه دون وجه، لكن العلم كالروح و هو الاصل والعمل كالبدن والفرع والالة، فقوام العمل بالعلم كقوام البدن بالروح، و لكن شرط دوام العلم وكماله و ازدياده مواظبة الاعمال، و مثالهما: كمن يمشى بالليل المظلم و بيده مصباح، فكل خطوة منه لايحصل الا بوقوع الضوء على موضع قدم، فاذا قطع ذلك الموضع بالحركة وقع الضوء على موضع اخر، فلايزال كل حركة يتوقف على ضوء يستضىء به موضع، وكل ضوء يحصل عقيب حركة يقطع بها موضع اخر، وهكذا يترادف الاضواء و يتعاقب الحركات الى ان يتأدى الماشى الى الغاية و معه المصباح و انتهت الحركة، فهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والطاعة حتى بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة و معه نور اليقين والمعرفة يتنعم به فى الاخرة و يلتذ بمشاهدة الحضرة الالهية التى صورتها الجنة التى عرضها كعرض السماء والارض.

١ــ والعلية. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

اذا اتضحت هـذه المقدمات فلنرجع الـى شرح الحديث، فقوله عليه‌السلام: لايقبل‌الله عملا الا بمعرفة، لان قوام العمل يعنى العبادة كالصلوة والصوم بمعرفةالله و نية التقرب اليه، وقصد الطاعة والخضوع له والتشوق الى جنابه والوصول الى جنانه ورضوانه. فمن لامعرفة له بالله واليوم‌الاخر، فكيف‌يشتاقه وكيف ينوى ويقصدالتقرب اليه وهو لم‌يعرفه بعد؟ ولكن اذا عرفه يعلم انه مما يجب طاعته والتوسل اليه بطاعة و عبودية وهو معنى قوله عليه‌السلام: فمن عرف دلته المعرفة على‌العمل.

فظهر ان المعرفـة والنية روح العمل و انكـان العمل ايضا وسيلة اليه‌كالبدن للروح والبذر للثمرة كما نظمه بعض‌العرفاء:

الـروح للجسم والنيات للعمـل ... يحيى بها كحيوةالارض بالمطر

فتصير الزهـر[1] للاشجار بارزة ... وكل ما تخرج الاشجار من ثمر

كذلك تخرج من اعمالنا صور ... لها روائح من نتن و مـن عطر

ثم لما كـان كمال المعرفة و ازديـاد نور القلب لايحصل الابتكرر الاعمال و ترادف الاحـوال، فمن لم يعمل عملا صالحا فـلايتم ولا تبقى له معرفة، و هـوقوله عليه‌السلام: ومن لم يعمل فلامعرفة له، فان العمل و العبادة والرياضة ممايصفى‌النفس ويرقق القلب ويطهره فيستعد بذلك لفيضان الصور العلمية عليه.

و اما قـوله عليه‌السلام: الا ان الايمان بعضه مـن بعض ، فيحتمل معنيين: لان الايمان اما ان يراد به‌نفس المعرفة والعلم بالله وكتبه و رسله واليوم الاخر اومجموع العلم و العمل والمعرفة والطاعة، فمعناه على‌الاول: ان‌كل مـرتبة من مـراتب الايمان فى‌القوة و الكمال، يحصل من مرتبة اخرى منه سابقة لاجل العمل بها وهى دونها فى القوة و الكمال، ثم يؤدى هذه المرتبة ايضا بوسيلة العمل الى مرتبة اخرى لاحقة هى اشرف و اكمل من الاوليين وهكذا الى‌الغاية التى‌ليست بعدها غاية، وعلى‌الثانى كان المعنى: ان الايمان كل من جزئيه العلمى والعملى يحصل من‌الاخر، فعلمه يحصل‌من عمله وعمله يحصل من علمه على‌الوجه الذى مربيانه وبالله التوفيق.

١ــ الاثمار. النسخة البدل فى‌الاصل للشارح.

الحديث الثالث
و هوالسابع والمائة

«عنه عن احمدبن محمد، عن ابن فضال عمن رواه، عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: من عمل على غير علم كان مايفسد اكثر مما يصلح».

الشرح

قد علمت ان نفس‌العمل واصلاحه ليس من‌الخيرات الحقيقية، انما الفائدة فيه اصلاح القلب و تطهيره و تصفيته و تهذيبه عن الغواشي و الكدورات و شوائب الدنيا وشواغل‌الخلق، و هذه الفائدة ايضاً ليست مقصودة بالذات لان هذه الاحوال من التطهير والتصفية ونحوهما كالاعدام للملكات والعدم، لايكون مطلوباً الابالعرض. انما المطلوب، ان ينكشف‌له المعارف الحقيقية من جلال‌الله فى‌ذاته وصفاته وافعاله.

فمن اقتصر فى‌سلوكه على‌مجرد العمل و الرياضة و المجاهدة من غير بصيرة ولامعرفة، فالتصفية تصير وبالا عليه، اذ يحرك النفس تحريكاً بالخواطر الوهمية و يستولى عليه الوساوس النفسانية، فيشوش القلب حيث لم يتقدم رياضة النفس‌بحقائق العلوم والافكار الصحيحة فيتشبث‌بالقلب خيالات فاسدة، اذشأنه عدم الثبات والسكون على‌حالة واحدة و الاطمئنان عليها كما روى عنه صلى‌الله عليه واله، انه قال:

قلب المؤمن، اشد تقلباً من‌القدر فى‌غليانه، وقال: قلب‌المؤمن بين اصبعين... الحديث، فحيث لم يكن قلب العابد مهذباً بالعلوم الحقة، يخترع بفكره الفاسد تصورات باطلة و اوهاماً كاذبة، و ربما يتخيل فى‌ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفرو الزندقة، وفى زعمه انها صحيحة حقة، نعوذبالله! ثم مع ذلك قل مايخلو عن اعجاب بنفسه وافتخاربعمله و اغترار بعبادته ونظر الى سائرالناس بعين الحقارة و النقص والعيب.

و ربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وعلل قلبية وهوغافل عنها غيرملتفت الى

معالجة النفس و ازالتها عن القلب لجهله بذمائم الاخلاق عن محامدها فيزعم الرذائل فضائل. ويزعم مثلا، الخمود عفة وعدم الغيرة حلماً و التهور شجاعة ونحو ذلك، و يبقى طول عمره في العمل والنسك الى ان يحل الاجل وهو على هذه الحالة زاعماً بنفسه انه على شيء، وهو كما قال تعالى: قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف ـ ١٠٣ و ١٠٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه واله: قصم ظهري رجلان: عالم متهتك و جاهل متنسك، فهذا معنى قوله عليه السلام عن جده: من عمل على غير علم... الى اخره.

باب استعمال العلم

و هو الباب الرابع عشر من كتاب العقل و العلم و فيه سبعة احاديث:

الحديث الاول

و هو الثامن و المائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن» محمد بن عبدالرحمن بن «اذينة»، بضم الهمزة و فتح الذال المعجمة وسكون الياء المنقطة تحتها نقطتين و فتح النون، شيخ من اصحابنا البصريين و وجهم روى عن ابي عبدالله عليه السلام بمكاتبة، له كتاب الفرائض وكان ثقة صحيحا «صه».

قال الكشي: قال حمدويه: سمعت اشياخي منهم العبيدي و غيره ان ابن اذينة كوفي، و كان هرب من المهدي، ومات باليمن فلذلك لم يروعنه كثير، و يقال: اسمه محمد بن عمر بن اذينة غلب عليه اسم ابيه و هو كوفي مولى لعبد القيس، و قال الشيخ في الفهرست له كتاب روى عنه ابن ابي عمير، وصفوان و الحسن بن محمد بن سماعة و احمد بن هيثم[1].

١ـ احمد بن ميثم «ست» وفي الحاشية للشارح قدس سره: جعل ابن داود عمر بن اذينة غير عمر بن محمد بن اذينة هذا، والحق انهما واحد كما ذكره العلامة، والموجب لتوهم ابن داود، ان الشيخ في كتابيه ذكر عمر بن اذينة لاغير وكذلك الكشي والنجاشي ذكر عمرو بن محمد بن عبدالرحمن بن اذينة فظنهما اثنين.

«عن ابان‌بن ابی عیاش»، بالعین غیر المعجمة والشین المعجمة و اسمه فیروز بالفاء المفتوحة والیاء المنقطة تحتها نقطتین الساکنة وبعدها راء وبعدالواو زاء، تابعی ضعیف روی عن انس‌بن مالك و روی عن علی‌بن الحسین علیهماالسلام، لایلتفت الیه وینسب اصحابنا وضع کتاب سلیم‌بن قیس الیه، هکذا قاله ابن‌الغضائری.

وقال السید علی‌بن احمد العقیقی فی کتاب الرجال: ابان‌بن ابی‌عیاش کان‌سبب تعریفه[1] هذا الامرسلیم‌بن قیس الهلالی حیث طلبه الحجاج لیقتله، حیث هومن‌اصحاب امیرالمؤمنین صلوات‌الله علیه. فهرب الی ناحیة من ارض فارس و لجأ الی ابان بن ابی عیاش. فلما حضرته الوفاة قال‌لابن ابی‌عیاش: ان لك‌علی‌حقاً، وقدحضرنی‌الموت یا ابن اخی انه‌کان من‌الامر بعد رسول‌الله‌صلی‌الله علیه واله‌کیت وکیت و اعطاه‌کتابا. فلم یروعن سلیم‌بن قیس احد من‌الناس سوی ابان، و ذکر ابان فی‌حدیثه قال: کان شیخا متعبداً له نور یعلوه.

قال العلامة: والاقوی عندی التوقف فیما یرویه لشهادة ابن الغضائری علیه بالضعف، وکذا قال شیخنا الطوسی فی‌کتاب‌الرجال.

«عن سلیم بن قیس الهلالی» بضم السین روی الکشی احادیث تشهد بشکره[2] وصحة کتابه وفی‌الطریق قول «صه».

القول ما ذکره الشهید الثانی رحمه‌الله ان فی‌الطریق ابراهیم‌بن‌عمرالصنعانی وابان‌بن ابی‌عیاش، وقدطعن‌فیهما ابن‌الغضائری، وفی‌الفهرست: سلیم‌بن قیس‌الهلالی یکنی ابا صادق له‌کتاب اخبرنا به ابن‌ابی‌جنید[3] قال: حدثنا محمدبن‌الحسن‌بن الولید قال: حدثنا محمدبن ابی‌القاسم[4] ماجیلویه، عن محمدبن علی‌الصیرفی، عن حمادبن

١ــ تعرفه «جامع‌الرواة».

٢ــ شکرت شکراً وشکوراً وشکراناً الرجل وله (باللام افصح): اثنی علیه لمااولاه من‌المعروف، الثناء الجمیل.

٣ــ ابی‌جید «ست».

٤ــ محمدبن‌القاسم «ست».

عيسى وعثمان‌بن عيسى عن ابان‌بن ابى عياش، عن سليم‌بن قيس قال حمادبن عيسى: وحدثناه ابراهيم‌بن عمر اليمانى عن سليم بن قيس.

وقال السيد على‌بن احمد العقيقى: كان سليم‌بن قيس من اصحاب امير المؤمنين عليه‌السلام، طلبه الحجاج ليقتله الى اخر الحكاية و هوقوله: له نوريعلوه، و قال ابن‌ـ الغضائرى: سليم‌بن قيس الهلالى العامرى روى عن ابى‌عبدالله[1] و الحسن و الحسين و على‌بـن الحسين عليهم‌السلام وينسب اليه هذا الكتاب المشهور، و كـان اصحابنا يقولون: ان سليماً لايعرف ولا ذكر فى‌خبر[2]، وقد وجدت ذكره فـى‌مواضع من غير جهة كتابه ولامن رواية ابان‌بن ابى‌عياش عنه.

وقد ذكرله ابن‌عقدة فى‌رجال امير المؤمنين عليه‌السلام احاديث عنه: والكتاب موضوع لامرية فيه، و على ذلك عـلامات فيه تدل على ما ذكرناه، منها: ما ذكـر ان محمدبن ابـى‌بكر وعظ اباه عندالموت، ومنها: ان الائمة ثلاثة عشر وغير ذلـك، و اسانيد هذا الكتاب يختلف تارة برواية عمربن اذينة عن ابراهيم ابن عمر الصنعانى، عن ابان‌بن ابى‌عياش عن سليم، وتارة يروى عن عمرعن‌ابان بلاواسطة. فالوجه‌عندى الحكم بتعديل المشاراليه و التوقف فى‌الفاسد[3] «صه».

قال الشهيد الثانى رحمه‌الله: و انما كان الذى ذكر اولا من علامات وضعه لان محمدبن ابى‌بكر ولد فى حجة الوداع وكانت خلافة ابيه سنتين و اشهراً، فوعظه‌اباه غير معقول.

وذكر بعض‌الفضلاء: ان ما وصل الينا من‌نسخة المذكور فيها انما هوعبدالله‌بن عمر وعظ اباه عندالموت، و ان‌الائمة ثلاثة عشر مع النبى صلى‌الله عليه و اله، و شىء من ذلك لايقتضى كون الكتاب موضوعاً. انتهى.

اقول: و مما يدل على حسن حاله و عدالته و صحة كتابه و عقيدته وجلالة شأنه

۱ـ والمراد امير المؤمنين عليه‌السلام لانه من‌جملة كناه «للشارح قدس سره».

۲ـ فى حديث «جامع‌الرواة».

۳ـ فى‌الفاسد من كتابه «جامع‌الرواة».

وصحبته لامير المؤمنين عليه السلام ما روى عنه محمد بن على بن بابويه فى كتاب الاعتقادات من حديث طويل فى باب الاعتقاد فى الحديثين المختلفين، انه قال: قلت لامير المؤمنين عليه السلام: انى سمعت من سلمان ومقداد و ابى ذر شيئاً من تفسير القران ومن الاحاديث عن نبى الله[1] صلى الله عليه واله غير مافى ايدى الناس، وسمعت منك تصديق ماسمعت منهم، و رأيت فى ايدى الناس اشياء كثيرة من تفسير القران ومن الاحاديث عن نبى الله[1] صلى الله عليه واله انتم تخالفونهم[2] فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل، افترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه واله متعمدين ويفسرون القران بارائهم؟

فقال على عليه السلام: قد سألت فافهم الجواب، ان فى ايدى الناس... الى اخره فى حديث طويل مشتمل على لب الاعتقاد الذى عليه اهل الحق، والنص على واحد واحد من الائمة عليهم السلام الى ان تم بمهدى هذه الامة عليه السلام، ثم قال: والله انى لاعرفه يا سليم حيث يبايع بين الركن و المقام و اعرف انصاره وقبائلهم[3].

قال سليم بن قيس: ثم لقيت الحسن والحسين عليهما السلام بالمدينة بعدما ملك معوية فحدثتها الحديث عن ابيهما قالا: صدقت قد حدثك امير المؤمنين بهذا الحديث، ونحن جلوس وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله كما حدثك فلم يزد فيه حرفا ولم ينقص منه حرفاً، قال سليم: ثم لقيت على بن الحسين عليهما السلام وعنده ابنه محمد الباقر عليه السلام فحدثته بماسمعت من ابيه ومن امير المؤمنين عليهما السلام فقال عليه السلام: قد اقرأنى امير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه واله و هو مريض واناصبى، ثم قال ابوجعفر عليه السلام: واقرأنى عليه السلام من رسول الله[4] صلى الله عليه واله و اناصبى.

١ــ عن النبى صلى الله عليه و اله «الاعتقادات».

٢ــ فخالفونا «الاعتقادات»

٣ــ و اعرف اسماء انصاره و اعرف قبائلهم «الاعتقادات».

٤ــ بما سمعته عن ابيه وما سمعت عن امير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه واله وهو مريض و انا صبى، ثم قال ابوجعفر عليه السلام: و اقرأنى جدى عن رسول الله «الاعتقادات».

قال ابان‌بن ابی‌عیاش: فحدثت علی‌بن الحسین کله[1] عن سلیم‌بن قیس الهلالی فقال: صدق وقدجاء جابربن‌عبدالله الانصاری الی ابنی‌محمد وهو یختلف الی الکتاب، فقبله و اقرأه السلام من رسول‌الله صلی‌الله‌علیه واله، فقال ابان‌بن ابی‌عیاش: فحججت بعدموت علی‌بن الحسین علیهماالسلام ولقیت اباجعفر علیه‌السلام فحدثته بهذاالحدیث کله عن سلیم فاغرورقت عیناه و قال: صدق سلیم رحمةالله علیه و قد اتی بابی[2] بعد قتل جدی الحسین علیه‌السلام وانا عنده، فحدثه بهذا الحدیث بعینه وقال‌له علیه‌السلام صدقت والله یا سلیم قدحدثنی بهذا الحدیث ابی‌عن امیرالمؤمنین علیه‌السلام.

وهذا الحدیث قدرواه ایضا محمدبن یعقوب الکلینی رحمه‌الله فی‌هذا الکتاب بسنده المتصل هکذا عن علی‌بن ابراهیم، عن ابیه عن حمادبن عیسی، عن ابراهیم بن عمر الیمانی عن ابان بن ابی‌عیاش، عن سلیم‌بن قیس الا انه اقتصر علی بعض الحدیث اکتفاء بموضع الحاجة، و القول بان‌الذی دل فیه علی‌فضله وحسن حاله من باب الشهادة علی‌نفسه، خروج عن‌الانصاف. «قال: سمعت امیرالمؤمنین علیه‌السلام یحدث عن‌النبی صلی‌الله علیه واله انه قال فی کلام‌له: العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وان اهل النار یتأذون عن ریح‌العالم التارك لعلمه، و ان اشد الناس ندامة وحسرة، رجل دعاعبداً الی‌الله، فاستجاب‌له وقبل منه، فاطاع‌الله فادخله‌الله الجنة، و ادخل الداعی الی النار بترکه علمه و اتباعه الهوی وطول الامل، اما اتباع‌الهوی فیصد عن‌الحق وطول‌الامل ینسی الاخرة».

الشرح

قوله‌علیه‌السلام: العلماء رجلان، ای قسمان من‌الرجال، و المراد من‌العلم‌الذی هوداخل فی‌المقسم هومطلق‌العلم، وما یسمی‌علماً اعم من ان یکون علماً حقیقیاً اوعلماً عرفیاً غیر حقیقی. فان اکثر مایسمون فی‌عرف‌الناس علماء لیسوا بالحقیقة علماء، و

١ــ بهذا الحدیث کله «الاعتقادات».

٢ــ الی ابی «الاعتقادات».

كان حاصل علومهم مجرد حفظ الاقوال المشهورة وضبط الاحاديث و الروايات، او القدرة على مجادلة الخصومات بايراد المقدمات الجدلية و الابحاث الكلامية. وكل ذلك ليس بعلم حقيقى، انما العلم بالحقيقة نور يقذفه الله فى قلب المؤمن كماورد فى الخبر، و ذكر فى مواضع من القران باسامى مختلفة من الحكمة و الهدى و الفضل و النور وغير ذلك.

فالمقسم الصادق على القسمين هو المعنى الاعم من الحقيقى و الرسمى، اوالمراد منه العلم المتعلق بالاعمال و كيفيتها و احوالها و هو المشهور بين الناس، و العالم به، ان عمل بعلمه فهو ناج و ان لم يعمل به، فهوهالك.

فالعلماء قسمان: علماء الاخرة وعلماء الدنيا، فالاول ناج والاخر هالك، واما العالم الحقيقى والعارف الربانى فهوخارج عن القسمين ولايكون هالكاً ابداً ولايكون الاناجياً، و انه بحيث اذا وقع منه زلة او ذنب يكون سريع التذكر و الاستغفار لربه كثير التضرع اليه شديدالتشوق الى عالم الاخرة و الرجوع الى الحق تعالى.

و اما العالم الرسمى فهو ايضا ناج ان كان قصده من علمه منحصراً فى طلب الاخرة و النشأة الباقية و الزلفى عندالله ومجاورة الملائكة، و اما ان كان قصده من العلم الدنيا ولذاتها و الجاه و الشهرة فهولايكون الاهالكاً، وسنشير الى السبب العقلى و الوجه اللمى فى ذلك.

قوله عليه السلام: و ان اهل النار يتأذون عن ريح العالم التارك لعلمه، اعلم انه قدوردت فى العلماء السوء اعنى علماء الدنيا تشديدات عظيمة دلت على انهم اشدالناس عذاباً يوم القيامة. فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الاخرة، اما التى وردت من الاخبار، فمنها ما فى طريق اصحابنا كهذا الحديث و التى يتلوه فى هذا الباب والتى فى مواضع اخرى من هذا الكتاب، ومنها ما ذكر فى الكتب المشهورة فقد روى فيها عن النبى صلى الله عليه واله انه قال: اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه و قال ايضاً: العلم علمان: علم على اللسان، فذلك حجة

الله على ابن آدم[١] وعلم في القلب، فذلك العلم النافع.

وقال ايضا: يكون في اخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق، وقال: من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعداً. وعن اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: يؤتى بالعالم فيلقى في النار فيندلق اقتابه[٢] فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيطوف[٣] به اهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه و انهى عن الشر و آتيه.

و اما الوجه العلمي اللمي في كون عذاب العالم كثوابه مضاعفا، هو انه عصى عن علم، وان مزاولة العلوم الفكرية والرياضات الادبية، يحرك النفوس تحريكاً شديداً ويخرج ماكمن في ذواتها من الصفات والافعال من حد القوة الى حد الفعل، سواء كانت من باب الخيرات اومن الشرور، والنفس اذا قويت و اشتدت وخرجت من القوة الى الفعل كان تألمها وتحسرها من فوات المألوفات اقوى، وتأذيها من ادراك المؤذيات ونيل المكروهات اشد، بخلاف النفوس الناقصة التي هي بعد بالقوة في باب الشر و الخير كالبله والصبيان وغيرهما من ضعفاء النفوس وسائر العوام الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا.

فهؤلاء لقصور جواهرهم ونقصان غرائزهم اذا عذبوا ليس عذابهم شديداً و كذلك اذا اثيبوا ليس ثوابهم عظيما.

فهذه الاخبار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا، اخس حالا و اشد عذاباً من الجاهل، و ان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة.

وللعالم الاخروي الرباني[٤] علامات: فمنها ان لايطلب الدنيا بعلمه.

ومنها ان لايكون متسرعاً الى الفتوى بل يكون محترزاً ما وجد الى الخلاص

١ـ على خلقه «المغني».

٢ـ اي: خرجت امعائه.

٣ـ بالرحى فيطيف «المغني».

٤ـ هم علماء الاخرة ولهم علامات. النسخة البدل في الاصل للشارح.

سبيلا، فان سأل عماشك فيه قال: لاادرى، وان سأل عما يظنه باجتهاد وتخمين، احتاط و دفع عن نفسه و احال على غيره ان كان فى غيره غنية. هذا هو الحزم والورع، فان خطر الاجتهاد عظيم كمامر.

ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسبيل الحق وجهة القدس.

ومنها انيكون مؤثراً للخلوة والانقطاع عن الناس والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكر، فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم و متوفر على عمل الباطن ومراقبة القلب فتح الله عليه من لطائف العلوم و المعارف ما يحارفيه عقول ذوى الالباب، وهذا معنى ما قاله رسول الله صلى الله عليه واله: من عمل بمايعلم[1] ورثه الله علم مالم يعلم.

وفى بعض الكتب: يا بنى اسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به[2]، ولا فى تخوم الارض من يصعدبه، ولامن وراء البحار من يعبرفيأتى به[3]، العلم محصول[4] فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بادب[5] الروحانيين و تخلقوا[6] باخلاق الصديقين اظهروا العلم من قلوبكم حتى يغطيكم.

ومنها ان يكون اكثر بحثه فى علم الاعمال عمايفسدها ويشوش القلب و يهيج الوسواس ويثير الشر، فان اصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل: عرفت الشرلا للشرلكن لتوقيه.

ومنها ان يكون اكثربحثه فى العلوم النظرية عمايغيب عن المحسوسات و

١ــ بما علم «المغنى».
٢ــ به الى الارض «المغنى».
٣ــ يعبر به «المغنى».
٤ــ مجبول «المغنى».
٥ــ باداب «المغنى».
٦ــ تخلقوا الى «المغنى».

الجسمانيات، ويكون اكثر فكره في احوال الروحانيات وعالم الملكوت و احوال الاخرة و مقاماتها.

واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات والاقضية والحكومات و دقائق المجادلات، ويتعبون انفسهم في وضع مسألة فقيهة غريبة لايتفق مثلها في انقضاء الدهور، و ما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثاراً لقبول الخلق و التقرب اليهم على قبول الحق والقرب من الله، وفرحاً وسروراً في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا علامة بالدقائق؟

فجزاء من كانت حاله هذه، ان لاينتفع في الدنيا بقبول الخلق ثم يرد القيامة مفلساً خاسراً متحسراً على مايشاهد من ربح العلماء وفوز المقربين، و ذلك هو الخسران المبين.

ثم ان هذا العالم الطالب للدنيا المعرض عن الاخرة، ممن يزيد حسرته وندامته في ان يرى من تلامذته ومستمعي كلامه و وعظه من عمل بما تعلم منه، و اتعظ بما سمعه منه و استجاب له فيما دعاه اليه، فحسن حاله يوم الاخرة و دخل الجنة بروح و ريحان و سرور ونعيم لاجل قبوله دعوة الحق وطاعته، وهو في النار بغصة وعذاب اليم ونزل من زقوم وحميم وتصلية جحيم بتركه العمل بما علمه و اتباعه الهوى وطول الامل، و ذلك لان اتباع الهوى و الشهوات يصد النفس عن طريق الحق و يحجب القلب عن فهم المعارف، اذ الشهوة والعلم كانهما متضادان ، و كل من غلبت شهوته نقص عقله ومن غلب عقله انكسرت شهوته.

فاعتبر بحال الملائكة و البهائم، فالمتجرد للعقل كالملك و المتجرد للشهوة كالبهيمة، و ان طول الامل في الدنيا يوجب نسيان الاخرة، اذ الدنيا و الاخره كأنهما ضرتان متى ارضيت احداهما اسخطت الاخرى: على انا قد اشرنا سابقاً ان نشأة الاخرة نشأة الذكر و دار المعرفة، والمنسي معدوم من الناسي، فكل من نسي الاخرة يكون من الهالكين، وكل من جحدها اوشيئا من مواقفها ومقاماتها الواردة في الشريعة يكون من المعذبين.

الحديث الثانى
و هوالتاسع و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن محمدبن سنان، عن اسمعيل بن جابر عن ابى عبدالله عليه السلام قال: العلم مقرون الى العمل، فمن علم عمل و من عمل علم، و العلم يهتف بالعمل فان اجابه و الا ارتحل عنه».

الشرح

الهتف، الصوت من باب ضرب وهتف به هتافاً، صاح به ودعاه ويقال: سمعت هاتفاً يهتف اذا كنت تسمع الصوت ولاتبصر احداً.

قد علمت ان العلم و العمل كالروح والجسد، يتصاحبان ويتكاملان معاً، و ان كل مرتبة من العلم يقتضى عملا بحسبه وكل عمل يتهيأ به لضرب من الحال و العلم، كل ذلك اذا كانت النية صحيحة والعمل خالصاً، فقوله عليه السلام: والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه، يعنى ان العلم اذا عمل بما يستدعيه ويقتضيه يتقوى به ويتكامل و اذا لم يعمل بمقتضاه ومؤداه، ينمحى وينسى ويزول بالكلية.

الحديث الثالث
و هوالعاشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن على بن محمد القاسانى» اصبهانى من ولد زياد مولى عبيدالله بن عباس من ولد خالدبن الازهر، ضعيف.

قال الشيخ: انه من اصحاب ابى جعفر الثانى الجواد عليه السلام، ثم قال: على بن شيرة بالشين المعجمة المكسورة والياء الساكنة المنقطة تحتها نقطتين و الراء، ثقة من اصحاب الجواد عليه السلام، والذى يظهر لنا انهما واحد لان النجاشى قال: على بن محمدبن شيرة القاسانى ابو الحسن كان فقيهاً مكثرا من الحديث فاضلا غمز عليه احمدبن محمدبن عيسى ذكر انه سمع منه مذاهب منكرة وليس فى كتبه مايدل على ذلك «صه».

وقال الفاضل الاسترابادى رحمه‌الله: انى لم اجد قول الشيخ الا فى رجال الهادى عليه السلام هكذا: على بن شيرة ثقة، على بن محمد القاسانى ضعيف اصبهانى من ولد زياد مولى عبيدالله بن عباس من آل خالد بن الازهر. «عمن ذكره عن عبدالله بن القاسم الجعفرى» غير معروف[1] «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان العالم اذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا».

الشرح

الزلل هو انتقال الجسم من مكان الى مكان، وزل اى زلق، وفى صفة الصراط: مدحضة، مزلة وهى مفعلة من زل يزل اذا زلق، اريد انه يزلق عليه الاقدام ولاتثبت، استعير ههنا اعنى فى قوله عليه السلام: زلت موعظته، لعدم اثر الموعظة و ثباتها فى قلوب المستمعين.

والصفا صخرة ملساء و الجمع صفى واصفاء، و الصفواء و الصفوان الحجارة و الواحدة صفوانة، و قوله عليه السلام: كما يزل المطر عن الصفا، كأنه شبه العلم و الموعظة بماء المطر وعدم تأثيره و ثباته فى القلوب بعدم استقرار المطر فى الحجر الاملس.

و السر فى عدم تأثير الموعظة اذا صدر عمن لايوصف بمقتضاها ولا يعمل بمؤداها، ان الكلام من حيث يبتدى مصدره من القائل، يمكن ان ينتهى مورده الى مثل ذلك من السامع، فان كان ابتدائه نزوله من قلب المتكلم، كان انتهائه صعوده الى قلب السامع فيتأثر منه القلب، و ان كان الابتداء من اللسان دون مشاركة القلب، كان الانتهاء الى ظاهر السمع فيتأثر منه الصماخ بمقارعة الهواء دون القلب، فلاوقع لمثل هذا الكلام، فتأثير الروحانى للروحانى و الجسمانى للجسمانى.

١ــ وفى جامع الرواة: الظاهر ان من فى عمن ذكره هو على بن اسباط بقرينة رواية على بن محمد القاسانى عنه.

الحديث الرابع
و هو الحادى عشر و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم بن محمد عن المنقرى» و هو سليمان بن داود. ـ كما مر ذكره ـ . «عن على بن هاشم بن البريد ابو الحسن الزبيدى الخزاز مولاهم الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام. «عن ابيه» غير مذكور فى كتب الرجال «قال: جاء رجل الى على بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل فاجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال على بن الحسين عليهما السلام: مكتوب فى الانجيل: لاتطلبوا علم مالاتعلمون ولما تعملوا بما علمتم، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفراً ولم يزدد من الله الا بعداً».

الشرح

قوله: عن مثلها، اى عن مسائل اخرى هى مثلها فى نوع العلم وقوله عليه السلام: لاتطلبوا علم مالاتعلمون ولما تعملوا بما علمتم، الواو للحالية، اى لاتسألوا عن اشياء لاتعلمونها، و انتم لم تعملوا بشىء مما علمتم اوعلمتم الى الان.

واعلم، ان العلوم كما مر على قسمين: فمنها مايتعلق بالعمل ويقال له علم المعاملة وثمرتها وغايتها نفس العمل، و منها لايتعلق بعمل ولا المقصود منه شىء من الاعمال و المعاملات، و هو العلم المحض و المعرفة الخالصة ولا غاية له الا الجلايا القدسية كالعلم بذات الله و صفاته و افعاله، فهذا العلم كلما يزداد، يزداد صاحبه بصيرة و فى قلبه نوراً و بالحق استيناساً والى عالم الاخرة و دار الملكوت اشتياقاً وعن دار الدنيا استيحاشاً.

و اما العلم المتعلق بالاعمال و المعاملات فليس فى ازدياده و اشتداده فائدة الا بقدر مايحتاج اليه لاجل العمل، ففائدته اذن انما هى نفس العمل بحسبه، فاذا لم يعمل به كان وجوده فى النفس لكونه علماً جزئيا متعلقا بامور جزئية جسمانية متغيرة، حجاباً عن الحق و زيادته و الاستغراق فيه نسياناً للاخرة وسداً من الرجوع الى جانب القدس و

اشتغالا بماسواه طول العمر، ثم يتشعب منه اثار رديئة و ينبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب، فهذا هو المراد من قوله عليه السلام: فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الاكفراً، و المراد به انه اذا وقع الاهتمام به لاعلى قصد العمل و الاستغراق فيه.

الحديث الخامس
و هو الثانى عشر و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن سنان، عن المفضل بن عمر عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت له: بم يعرف الناجى؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً فاثبت له الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فانما ذلك مستودع».

الشرح

قوله: فاثبت، يحتمل ان يكون بصيغة الماضى المجهول او بصيغة الامر المخاطب، وفى بعض النسخ فانماله الشهادة، والمعنى انه انما يعرف الناجى يوم القيامة من الهالك بان يكون قوله لفعله موافقاً اولايكون، فمن كان فعله لقوله موافقا وعمله لعلمه مطابقا فيكون ايمانه و شهادته ثابتاً مستقراً، ومن لم يكن كذلك كان ايمانه مستودعاً مستعاراً وعليه يحتمل قوله تعالى: فمستقر ومستودع (الانعام - ٩٨).

فالذى ايمانه بعلم ويقين وبصيرة فذلك اثبت فى قلبه من الجبال الرواسى فهو من اهل النجاة و الفوز بالدرجات بلاشك وريب و علامته ان يعمل بمقتضاه، و الذى ايمانه ليس عن بصيرة و يقين بل حصل له من افواه الرجال او من جهة التقليد او الاستحسان، فذلك لااعتماد عليه ويزول بادنى شبهة، فهو فى مشيئة الله ان شاء سلبه عنه و اهلكه و ان شاء تممه و انجاه من النار.

الحديث السادس
و هو الثالث عشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن خالد، عن ابيه رفعه قال: قال امير المؤمنين عليه السلام فى كلام له خطب به على المنبر: ايها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، ان العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذى لايستفيق عن جهله، بل قد رأيت ان الحجة عليه اعظم والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ عن[1] علمه منها على هذا الجاهل المتحير فى جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكوا ولاتشكوا فتكفروا ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا ولا تدهنوا فى الحق فتخسروا، و ان من الحق ان تفقهوا و من الفقه ان لاتغتروا وان انصحكم لنفسه اطوعكم لربه و اغشكم لنفسه اعصاكم لربه، ومن يطع الله يأمن و يستبشر ومن يعص الله يخب و يندم».

الشرح

المنبر مفعل من النبر وهو الرفع، استفاق من مرضه و سكره و يستفيق اى خلص وكذا افاق يفيق افاقة بمعناه.

فقوله عليه السلام: لايستفيق عن جهله، اشعار بان الجهل كالسكر والجاهل كالسكران المعنى.

اما قوله عليه السلام: اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، فالمراد ـ كما اشرنا اليه ـ ان العلم هو المبدأ والغاية، فالانسان اذا عمل بمقتضى علمه يؤدى عمله الى صفاء فى قلبه و استعد لعلم اخر فوق ما علمه اولا عدة وشدة، ثم اذا عمل بمقتضى العلم الحاصل بعد ذلك العلم الاول، يحصل له استعداد اخر و بحسبه علم و انكشاف اخر، وهكذا يتزائد العلم قوة و ضياء حسب تتابع الاعمال حتى ينتهى الى الاهتداء بهدى الله وهو نور اليقين والايمان الحقيقى، و ذلك النور غاية كل علم و عمل وحركة وسعى يفعله الانسان الموفق.

١ـ من (الكافى).

قوله عليه‌السلام: ان العالم العامل بغيره، اى بغير علمه او بغير ما يقتضيه علمه كالجاهل الذى لايتنبه بشىء من العلوم اصلا ولا يخرج من جهله الساذج البسيط وهذه المساواة، لان العلم الذى هو الكمال والفضل هو العلم الحقيقى الثابت والنور العقلى المسمى فى القران بالهدى والحكمة والفضل، لا العلوم الجزئية المتعلقة بالاعمال والافعال، فهذه[1] اذا لم يعمل بها كان وجودها كعدمها، ولان مثل هذه العلوم لتغيرها وتجددها لاتدوم يوم القيامة فتمحو و تزول، فيكون حال مثل هذا العالم الذى لم يعمل بعلمه فى عدم العلم و انسلاخه عنه كحال الجاهل المتحير الذى لم يتعلم اصلا ولم يفق عن جهله ابداً.

قوله عليه‌السلام: بل قد رأيت ان الحجة عليه اعظم والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه منها على هذا الجاهل المتحير فى جهله، اما ان الحجة عليه اعظم فظاهر اذ لم يبق له مجال عذر فى تركه العمل والطاعة و اتيانه المعصية، واما ان الحسرة عليه ادوم فلوجهين:

احدهما انه يرى منازل العلماء الذين لم ينسلخوا عن العلم فى الجنة ودرجاتهم فى القرب منه تعالى فتشتد حسرته و ندامته بادراك انه لو لم ينسلخ عن علمه بترك العمل لكان مثلهم فى النعيم والقرب، و هذا بخلاف حال الجاهل المحض الذى لم يذق رتبة العلم قط.

والثانى ان النفس كلما كانت اقوى كان ادراكها للامور المؤلمة اشد، فان الحركات الفكرية سواء كانت فى جانب الخير بمقتضى العقل الصحيح او فى جانب الشر بمقتضى الوهم الغالط تخرج بها النفس من القوة الى الفعل.

واما النفوس العامية فكأنها لم تخرج بعد من القوة الى الفعل فى شىء من طرفى الخير والشر، فلاجل ذلك يكون الحسرة والنكال على اهل الغواية والضلال اشد و ادوم منها على اهل الغباوة والجهال.

قوله عليه‌السلام: وكلاهما حائر بائر، اى كلاهما مشترك فى الحيرة والجهل، لان احدهما لم يكن عالماً قط والثانى انسلخ عن علمه و نسيه فصار مثله فى البوار

١ــ اى العلوم الجزئية.

والهلاك يعنى موت الجهالة والنسيان، لان عالم الاخرة عالم الذكر والعرفان، و فيها حيوة العلم والايمان، فالجاهل الناسى لايموت فيها ولايحيى لانه يدرك الالام الواصلة اليه التى هى من باب الشرور و اعدام الملكات الوجودية، ولايدرك الخيرات والملائمات الروحانية.

قوله عليه السلام: لا ترتابوا فتشكوا.... الى اخره، كلام مستأنف فيه خطابات علمية ومواعظ برهانية فى باب اكتساب العلم والعمل والاجتناب عن الارتياب والمداهنة والكسل، اى لا ترتابوا ولا تمكنوا الريب والشك فى قلوبهم، بل ادفعوا عنكم لئلا يستقر فى قلوبكم و اعتادوا به فتصيروا من اهل الشك والوسواس فتكونوا كفاراً، فان من غلب عليه الشكوك والوساوس يصير من اهل الكفر، هذا فى باب العلم.

واما فى باب العمل فقوله عليه السلام: ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا، اى اعزموا على الطاعات و ترك المعاصى والمحرمات، ولا تساهلوا بان ترخصوا لانفسكم فى ارتكاب الشهوات والمنكرات فتقعوا فى المداهنة فى امر الدين والمساهلة فى باب الحق فتخسروا خسراناً مبيناً.

و ان من الحق اللازم عليكم اولا ان تفقهوا فى الدين، وتعلموا الحلال والحرام والخير والشر، ثم اعملوا بمافقهتم و افعلوا الخير و اجتنبوا عن الشر حسب ماعلمتم، ولاتغتروا بعلمكم ولابعملكم، فان الغرور من المهلكات والمغرور بالعلم والطاعة ادون حالا من الجاهل والعاصى.

و ان انصحكم لنفسه بتخليتها عن المعاصى و الرذائل و تحليتها بالعلوم والفضائل اطوعكم لربه، و ان اغشكم لنفسه باهمالها عن الطهارة والعلم، و ارسالها فى مرعى الشهوات و مهوى الجهالات، لان الرب تعالى غنى عما سواه، وانما الغاية فى الامر بالطاعة والعبودية، اصلاح النفوس واكمالها وتخليصها عن النقائص والشرور والظلمات.

قوله عليه السلام: ومن يطع الله يأمن... الى اخره، لما اشار عليه السلام الى ان مدار الطاعة والعصيان على نصح النفس والغش لها، عقب ذلك بان من يطع الله بنصح

نفسه و تجریدها عن التعلقات و تطهیرها عن الرذائل و تنویرها بالفضائل، یأمن من العذاب و یستبشر بالمثوبات والمشاهدات، و من یعص الله بغش نفسه و تلطیخها بالشهوات و ارسالها فی مهوی الجهالات، یخب بخسران نفسه و یندم علی تفویت الفرصة و تضییع العمر فی اکتساب السیئات و اقتراف الخطیئات.

الحدیث السابع
وهوالرابع عشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن ابیه، عمن ذکره عن محمدبن عبدالرحمن بن ابی لیلی» الانصاری القاضی الکوفی، مات سنة ثمان و اربعین و مائة من اصحاب الصادق علیه السلام، روی ابن عقدة عن عبدالله بن ابراهیم بن قتیبة، عن ابن نمیر وسأل عن ابی لیلی فقال: کان صدوقا مأموناً ولکنه سیيء الحفظ جداً، وهذه الروایة[1] لاتوجب تعدیلا «صه».

«عن ابیه» عبدالرحمن بن ابی لیلی الانصاری من اصحاب امیرالمؤمنین علی علیه السلام، شهد مع امیرالمؤمنین علیه السلام کوفی، ضربه الحجاج حتی اسود کتفاه علی سب امیرالمؤمنین علی علیه السلام «صه».

و فی الکشی: یعقوب بن شیبة قال: حدثنا خالدبن ابی زید العرنی قال: حدثنا ابن شهاب عن الاعمش، قال: رأیت عبدالرحمن بن ابی لیلی وقد ضربه الحجاج حتی اسود کتفاه، ثم اقامه للناس علی سبب علی (ع) والجلاوزة[2] معه یقولون: سب الکذابین! فجعل یقول: العن الکذابین علی علیه السلام وابن الزبیر والمختار. قال ابن شهاب: اصحاب العربیة یقولون سمعك[3] یعلم مایقول لقوله: علی، ای ابتداء الکلام. «قال: سمعت ابا

۱ــ هذه الروایة من المرجحات لاتوجب تعدیلا «جامع الرواة».

۲ــ جمع الجلواز بالکسر بمعنی الشرطی.

۳ــ بالنصب، ای اجعل سمعك میزاناً حتی تفهم بلحن الخطاب مراد المتکلم، او بالرفع فیکون مبتداء، ای اذا سمعت الکلمة بخصوصیات الاعراب و غیره تفهم المراد، ←

جعفر عليه‌السلام يقول: اذا سمعتم العلم استعملوه ليتسع قلوبكم، فان العلم اذا كثر فى قلب رجل لايحتمله قدر الشيطان عليه، فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون فان كيدالشيطان كان ضعيفا، قلت : وما الذى نعرفه؟ قال: خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله[1]».

الشرح

قوله عليه‌السلام: اذاسمعتم العلم استعلموه اى اعملوا بماتعلمتم وليكن اهتمامكم بالعمل لابكثرة السماع و الحفظ، و قوله عليه‌السلام: وليتسع قلوبكم، اى ينبغى ان لاتكثروا من العلم على حد تضيق قلوبكم عن احتماله و تضعف عن الاحاطة، و هذا كما قاله اهل التصوف و اصحاب الاحوال لمريديهم: ولتكن انت متحكما على الحال لا الحال متحكما عليك، ونحن نرى كثيراً من مزاولى العلم يفوت منهم كثيراً من الفضائل والخيرات، ويضيق قلوبهم عن التخلق بسائر محاسن الاخلاق لعدة مسائل تلقفوها و بحثوا عنها، فيجب ان يكون قلب الرجل العلمى متسع المجال، لايشغله كثرة العلم عن فعل الخير وطاعة المعبود.

فان القلب اذا ضاق عن قبول الحق وضعف، يستولى عليه الشيطان بالوسواس والاغواء، واليه اشار بقوله عليه‌السلام: فان العلم اذا كثر فى قلب رجل، لايحتمله قدر الشيطان عليه.

ثم اذا كان لقائل ان يقول؟ فبماذا تخاصم الشيطان اذا كانت كثرة العلم سبب اقتدار الشيطان و استيلائه علينا؟ اشار الى الجواب بقوله عليه‌السلام: فاذا خاصمكم الشيطان فاقلبوا عليه بماتعرفون، يعنى ادنى المعرفة يكفى لدفع كيدالشيطان لان كيده ضعيف، ثم اشار الى ادنى المعرفة التى يكفى لمخاصمة الشيطان، و دفع شره وكيده

← كما اذا سمعت علياً فى هذه الجملة مرفوعاً لامنصوباً تعلم انه ابتداء كلام. العن بصيغة المتكلم وعلى بالرفع لا بالنصب حتى يكون عطف بيان لكذابين.

١ــ قدرة الله عزوجل (الكافى).

و هى معرفة ماظهر من قدرة الله على كل الاشياء، فيقدر على انشاء النشأة الاخرى فيثبت المطيع ويعاقب العاصى.

فهذا القدر من المعرفة كاف اولا لان ينبعث به العبد على فعل الطاعات وترك السيئات، ثم كلما ازداد عملاً وسعياً فى طلب الاخرة، ازداد يقيناً و انكشافاً و بصيرة.

فظهر ان العلم الممدوح فى الكتاب والسنة الذى هوغاية كل علم وعمل، ليس عبارة عن كثرة المسائل و الادراكات التصورية و التصديقية، و انماهو نوروضياء فى القلب يحصل عقيب الرياضات العملية و الفكرية مع اخلاص النية و صدق العمل و قوة التقوى.

باب المستأكل بعلمه و المباهى به

و هو الباب الخامس عشر من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة احاديث:

الحديث الاول

و هو الخامس عشر و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، وعلى بن ابراهيم عن ابيه، جميعا عن حمادبن عيسى، عن عمربن اذينة عن ابان بن ابى عياش، عن سليم بن قيس قال: سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه واله: منهومان لايشبعان: طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم، ومن تناولها من غيرحلها هلك الا ان يتوب اويراجع، ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا، ومن ارادبه الدنيا فهى حظه».

الشرح

النهمة بالفتح الشهوة و الحاجة، وقيل: النهمة بلوغ الهمة فى الامر، و قدنهم بكذا فهو منهوم به اى مولع به، ونهم نهيماً من باب ضرب زجر، ونهم من باب لبس

نهماًهو افراط الشهوة فی الطعام.

اعلم ان اهل الطلب من الناس صنفان: طالب الدنیا المزاولون لاعمالها کالتجار و الصناع و ارباب الحرف، وطالب العلم المزاولون لتحصیله المباشرون للبحث و التکرار و التعلیم والتعلم، وکل منهما اما حریص فی شأنه کالمنهوم فی شهوة الطعام الذی لایشبع، و اما مقتصد فی امره قانع بما رزقه الله غیر حریص، فاشار علیه السلام الی ان الحریص من کل منهما هالك و المقتصد ناج، فخرج من الجمیع اقسام اربعة، اثنان سالمان و اثنان هالکان، و الفاظ الحدیث واضحة غنیة عن الشرح، وقد سبق ان العلم الذی الاکتثار منه مذموم غیر العلم الذی کلما ازداد کان افضل وانور.

الحدیث الثانی
و هو السادس عشر والمائة

«الحسین بن محمد بن عامر» بن عمران، الظاهر انهذا بعینه الحسین بن محمد بن عمران بن ابی بکر الذی مر ذکره فی سند الحدیث العشرین کمانبه علیه بعض علماء الرجال، وهوشیخ محمد بن یعقوب مصنف هذا الکتاب کما یفهم من کتاب النجاشی.

«عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی الوشاء عن احمد بن عائذ، عن ابی خدیجة»، اسمه سالم بن مکرم ومکرم یکنی ابا سلمة، قال الشیخ الطوسی رحمه الله: انه ضعیف وقال فی موضع اخر: انه ثقة.

و روی الکشی عن محمد بن مسعود قال: سألت اباالحسن علی بن الحسن عن اسم ابی خدیجة فقال: سالم بن مکرم، فقلت له: ثقة؟ فقال: صالح، وکان من اهل الکوفة وکان جمالا، ذکر انه حمل ابا عبدالله من مکة الی المدینة، قال: اخبرنا عبدالرحمن بن ابی هاشم عن ابی خدیجة قال: قال ابوعبدالله: لاتکتن بابی خدیجة، قلت: بم اکتنی؟ قال: بابی سلمة.

قال الکشی: وکان سالم من اصحاب ابی الخطاب، و قال النجاشی: انه ثقة ثقة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام، و الوجه عندی التوقف فیما یرویه

لتعارض الاقوال فيه «صه».

وقال الكشى بعد قوله: وكان سالم من اصحاب ابى الخطاب: وكان فى المسجد يوم بعث عيسى بن موسى بن على وكان عامل المنصور على الكوفة الى ابى الخطاب، لما بلغه انهم قد اظهروا الاباحات و دعوا الناس الى نبوة ابى الخطاب. و انهم يجتمعون فى المسجد ولزموا الاساطين يرون[1] الناس انهم قد لزموها للعبادة وبعث اليهم، فقتلهم جميعا لم يفلت منهم الا رجل واحد، فسقط بين القتلى يعد فيهم. فلما جنه الليل خرج من بينهم فتخلص، و هو ابو سلمة بن سالم بن مكرم الجمال الملقب بابى خديجة، فذكر بعد ذلك: انه تاب وكان ممن يروى الحديث. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب، و من اراد به خير الاخرة اعطاه الله خير الدنيا و الاخرة.

الشرح

اما وجه الاول فانه جعل الدين طريقا الى الدنيا و الدنيا غاية له ومقصوداً وطلب الدنيا بعمل الدين و استخدم عقله للشهوات، ومن كانت غاية سعيه وعمله ومنتهى قصده ونيته الدنيا و الشهوات و هى امور فانية باطلة، فلم يكن له فى الاخرة الا النار.

و اعلم ان هذا اسوء حالا من سائر طلبة الدنيا، لانهم طلبوا الدنيا بالدنيا و طلبوا الجسمانيات والمحسوسات بالاعضاء والحواس، وهذا الرجل الذى تعلم الحديث لمنفعة الدنيا، طلب هذه القشور الكثيفة الحسية بلب ذاته و لطيف جوهره و عقله، فهو ممن يجعل مادة عقله مصورة بصورة الشهوات الفانية والامانى الباطلة، فيتعذب فى الاخرة عذاباً اليما بخلاف عامة اهل الدنيا، حيث لم يجمعوا بين المتضادين ولم يقعوا بين المتجاذبين المتفاسدين.

و اما وجه الثانى: فانه لما قصد الاخرة وسعى لها سعيها حصلت لنفسه ملكة فاضلة، و تصورت ذاته بصورة الاخرة و صورة العلم والعرفان، كان فى الاخرة سعيداً

١ــ وفى الكشى: يورون: اى من التورية.

مقرباً وفى الدنيا عزيزاً مكرماً[١].

الحديث الثالث
وهو السابع عشر والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم عن المنقرى، عن حفص بن غياث عن ابى عبدالله عليه السلام قال: اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محب لشىء يحوط ما احب، وقال عليه السلام: اوحى الله الى داود عليه السلام: لاتجعل بينى و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتى، فان اولئك قطاع طريق عبادى المريدين، ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتى من قلوبهم».

الشرح

اتهمت فلانا بكذا، اى توهمته كذا والاسم التهمة بالتحريك، والمراد بقوله عليه السلام: فاتهموه على دينكم، اى اعتقدوه متهماً على هذا الدين ليس على حقيقة فيه، و ذلك لان حب الدين و حب الدنيا لايجتمعان فى قلب واحد؛ و حاطه يحوطه حوطاً و حياطة اذا حفظه وصانه وتوفر على مصالحه، وفى حديث العباس: قلت يا رسول الله: ما اغنيت عن عمك، يعنى ابا طالب عليه السلام، فانه كان يحوطك و يغضب لك؛ والنجو السر بين اثنين، يقال: نجوته نجواً و ناجيته، اى سررته و انتجيته اى خصصته بمناجاتك.

و حاصل الكلام: ان العالم المحب للدنيا، ليس بعالم بالحقيقة ولامتدين، بل جاهل غاو ضال و مغو مضل صاد عن طريق محبة الله و شوق الاخرة، و قد انتقم الله منه فى الدنيا و هو ادنى انتقامه حيث نزع عن قلبه لذيذ مكالماته العقلية، وهى عبارة عن

١ــ على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم بن محمد الاصبهانى عن المنقرى، عن حفص بن غياث عن ابى عبدالله عليه السلام قال: من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن فى الاخرة نصيب (سقط هذا الحديث عن قلمه الشريف، والمعنى كما قال فى الحديث السابق).

الاعلامات الحكمية و الالهامات العلمية التى كانت قابلة لها فى اوائل فطرتـه ومبادى حاله قبل ان تفسد قـريحته وطبع على قلبه كما فى قوله تعالـى: و طبع على قلـوبهم (التوبة -٨٧).

الحديث الرابع
و هو الثامن عشر والمائة

«على عن ابيه، عن النوفلى، عـن السكونى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: الفقهاء امناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا، قيل: يا رسول الله وما دخولهم فى الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

الشرح

قيل: العلماء ثلاثة: اما مسعد نفسه و غيره واما مهلك نفسه وغيره و امـا مهلك نفسه مسعد غيره.

اما الاول فهم الداعون الى الله المعرضون عن الدنيا ظاهراً وباطناً.

و اما الثانى فهم المصرحـون لطلب الدنيا والمقبلون عليها صريحاً وهـم اتباع السلاطين، لان الوصول الى الثروة و المال و الجاه و الترفع على الامثال لايحصل الا باتباعهم والخلطة بهم.

و اما الثالث فهو الذى يدعو الناس الى الاخرة ونصب نفسه فى مقام الـوعظ و التذكير و الامامة، وقد رفض الدنيا فى الظاهر وقصده فى الباطن قبول الخلق و اقـامة الجاه، و ربما مكن فى باطنه باعث الهوى فيما هو بصدده من دعوة الخلق وارشادهم، و هو بحيث لايدرى ذلك وزعم ان باعثه الدين وداعيه ثواب الاخرة فى الارشاد والتعليم، ومثله سخرة الشيطان فى تمام عمره وغاية امره ان يحرق نفسه ويضيىء غيره.

الحديث الخامس
وهو التاسع عشر والمائة

«محمدبن اسمعيل، عن الفضل بن شاذان عن حمادبن عيسى، عن ربعي بن عبدالله، عمن حدثه عن ابى جعفر عليه السلام قال: من طلب العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء، او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار، ان الرئاسة لا تصلح الا لاهلها».

الشرح

المباهاة، التفاخر وتباهوا تفاخروا، والمراء بالكسر الجدال والتمارى والمماراة المجادلة، وفى الحديث: لاتماروا فى القران فان المراء فيه كفر، باء يبوء بوء اذا رجع، والبائة والمبائة و هى الموضع الذى تبوء اليه الابل ، هذا اصلها ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقا، و يتبوء من كذا اى يتخذه منزلا، و يقال: بوئه الله منزلا اى اسكنه اياه.

فقوله [ص]: فليتبوء مقعده من النار، اى لينزل منزله من النار، و مقعده منصوب بكونه مفعولا له لابكونه مفعولا به لان فعله لازم.

والمعنى: ان من طلب العلم لغرض من اغراض النفس و لمنفعة الدنيا فهو من اهل النار، و انما ذكر منها هذه الثلاثة لان علماء الدنيا، الذين يطلبون العلم لاللعمل به، ولا للكشف عن وجوه الحقائق تقربا اليه تعالى ، انما تدور اغراضهم حول احد الامور: اما المباهاة والافتخار بالعلم على العلماء والامثال، و اما المماراة والمجادلة مع السفهاء لاظهار القدرة والغلبة عليهم فى البحث عند العامة، ليقولوا فلان رجل منطيق فائق فى البحث و فى ذلك لذة نفسانية، و اما لطلب الرئاسة و صرف وجوه الناس اليه لما فى ذلك من نيل كل لذة دنيوية من الجاه والعزة والمال والثروة.

و لذلك نبه عليه السلام على خطر امر الرئاسة و عظم افتها بانها لاتصلح الا لاهلها، وهم الكاملون فى قوتى العلم والعمل، الجالسون فى حد المشترك بين العالمين، الجامعون بين الحق والخلق من النفوس القدسية التى لا يشغلهم شأن عن شأن كما فى

قوله تعالى: رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله (النور ـ ٣٦).

باب لزوم الحجة على العالم و تشديدالامر عليه

و هوالباب السادس عشر من كتاب العقل و العلم وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هوالعشرون والمائة

«علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه، عن القاسم بن محمدالمنقرى، عن حفص بن غياث عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد».

الشرح

قد سبق منشأ هذا الحكم، وليس الوجه كما زعمه اكثر الناس بقياسهم فعل الله فى المغفرة والعقوبة على فعل الناس القادرين على العقوبة لواحد والعفو عنه، فرأوا انهم لايؤاخذون للطفل و الغافل و الساهى على ذنوبهم وجرائمهم ويؤاخذون العقلاء على معاصيهم ، طلبا للتشفى و الانتقام و دفعاً لما يعتريهم من اشتغال الغضب بثوران دم القلب، وليس غضب الله من هذا الباب، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، و انماهى نتائج افعال و اقوال وتبعات قصود ونيات.

بل الوجه ـ كمامر ـ ان اللذات والالام من باب الادراكات، فكلما قوى الادراك لقوة النفس، كان الالم ومقابله بحسبه ومن نوعه، ومن النفوس ماهى بعد بالقوة كنفوس ضرب من العوام، ومنها ما حصلت له ملكة الشوق الى كمال ما نفسانى اخروى، فاذا زاع[1] عنه او اشتغل بماهوضده من الدواعى الحيوانية الباطلة كان له فى الاخرة عذاب اليم.

١ـ زاع زوعا فلانا : دفعه الى قدام، و زاع الشيء: عطفه، و زاع اللحم: زال عن العصب.

الحديث الثانى
وهو الحادى والعشرون والمائة

«وبهذا الاسناد قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: قال عيسى بن مريم: ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار».

الشرح

اصله تتلظى حذفت احدى التأئين للتخفيف، اى تتلهب وتضطرم، و هو من لظى اسم من اسماء النار لاينصرف للعلمية و التأنيث.

الحديث الثالث
وهو الثانى والعشرون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، ومحمد بن سمعيل عن الفضل بن شاذان، جميعا عن ابن ابى عمير، عن جميل بن دراج قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: اذا بلغت النفس الى[1] ههنا، واشار بيده الى حلقه، لم يكن للعالم توبة، ثم قرأ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» (النساء ـ ١٧).

الشرح

النفس بالتحريك واحد الانفاس وهو مايخرج من الحى حال التنفس، و كل ذى ريـة متنفس، و دواب الماء لانفس لها، وتنفس الصبح تبلج، واما قوله صلى الله عليه واله: انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن، فقيل: عنى به الانصار، لان الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين وهم يمانون[2] لانهم من الازد، وهو مستعار من نفس الهواء الذى يرده النفس الى الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها، اومن نفس الريح الذى ينسمه

١ـ النفس ههنا (الكافى).

٢ـ و قوم يمانية و يمانون، مثل ثمانية و ثمانون.

فيستروح اليه، يقال: انت في نفس من امرك اومن عمرك اى في سعة.

و وقت بلوغ النفس الى الحلقوم هو عند مايغرغر النفس و هو اول وقت الاحتضار ومعاينة الغيب، وقبل حد المعاينة و ان كان متصلا بها يكون التوبة مقبولة لقوله صلى الله عليه واله: ان الله يقبل التوبة مالم يغرغر، و اما عند المعاينة وبعدها فلا تأثير للتوبة والندم.

فقوله عليه السلام: اذا بلغت النفس الى ههنا، المراد به الوقت القريب منه المتصل به.

والوجه في صحة توبة الجاهل دون العالم: ان ذنوب العالم ذنوب باطنية و صفات قبيلة وملكات رديئة نفسانية لايمكن محوها عن النفس دفعة او في اقل زمان، بل لابد من مرور زمان يتبدل سيئاته الى الحسنات بخلاف معاصي الجهال الناقصين، فانها من الاعمال البدنية و الاحوال النفسانية الخارجة عن صميم القلب وباطن الروح فيمكن محوها في لحظة.

و قوله تعالى: انما التوبة على الله، اى قبول التوبة كالامر المحتوم على الله بمقتضى وعده، وهو من تاب عليه اذا قبل توبته، و هو مبتداء وخبر، وقوله: للذين يعملون السوء بجهالة، حال عن الضمير في الظرف او الخبر للذين يعملون، وعلى الله حال من محذوف تقديره: انما التوبة اذا كانت على الله و العامل في اذا للذين يعملون وكانت تامة وصاحب الحال ضمير الفاعل، وهذا نحو قولك: هذا بسراً اطيب منه رطبا.

وقوله: بجهالة، اما في موضع الحال اى يعملون السوء جاهلين، او منصوب المحل على التميز اى متلبس بها سفهاً وجهالة، فان ارتكاب المعصية[1] سفه وتجاهل، و لذا قيل: من عصى الله فهو جاهل حتى نزع من جهالته، وقوله تعالى: و ليست التوبة للذين يعملون السيئات (النساء ـ ١٨)... الاية، المراد من هؤلاء هم البالغون في المعصية المتعمدون فيه، ولهذا سوى الله تعالى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة وبين من مات على الكفر في نفي التوبة، ولهذا قيل: المراد بالذين يعملون

١ـ الذنب. النسخة البدل في الاصل للشارح.

السوء عصاة المسلمين، وبالذين يعملون السيئات المنافقون.

الحديث الرابع
و هوالثالث و العشرون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن الحسين بن سعيد» بن حمادبن مهران الاهوازى[1] مولى على بن الحسين عليهما السلام ثقة جليل[2] القدر، روى عن الرضا وعن ابى جعفر الثانى و ابى الحسن الثالث عليهم السلام، اصله كوفى وانتقل مع اخيه الحسن الى الاهواز، ثم تحول الى قم فنزل على الحسن بن ابان و توفى بقم «صه»،

«عن النضر بن سويد» الصيرفى من اصحاب الكاظم عليه السلام كوفى ثقة صحيح الحديث، انتقل الى بغداد له كتاب «صه» فى النجاشى: روى عنه عيسى بن عبيد[3]، وفى الفهرست عنه ابوعبدالله البرقى والحسين بن سعيد.

«عن يحيى الحلبى عن ابى سعيد المكارى» اسمه هاشم بن حيان، واقفى روى عن ابى عبدالله عليه السلام له كتاب، عنه جماعة منهم القاسم بن اسمعيل. «عن ابى بصير عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل: فكبكبوا فيها هم والغاوون (الشعراء ـ ٩٤)، قال: هم قوم وصفوا عدلا بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره».

الشرح

كبه على وجهه صرعه فاكب هوعلى وجهه وهذا هومن النوادر ان يقال: افعلت اناوفعلت غيرى، وكب الله عدو المسلمين ولايقال اكب، وكب الاناء قلبه من باب طلب، و كبكبه اى كبه والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى.

١ـ الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الاهوازى «ست».

٢ـ ثقة «ست» عين جليل القدر «صه».

٣ـ عن محمد بن عيسى بن سعيد «جش».

والغى الضلال و الخيبة ايضا، وقدغوى من باب ضرب غيا و غواية فهوغاو والغاون جمعه، وقوله تعالى فكبكوا فيهاهم و الغاون، قال اهل التفسير: اى الالهة و الكفار ويأباه ضمير جمع العقلاء بخلاف قوله تعالى: انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم (الانبياء ـ ۹۸)، فيجوز كون ماتعبدون اصناماً الهة.

والذى ذكره عليه‌السلام اولى وانسب من كون المراد بضمير الجمع، العلماء السوء الذين لم يعملوا بعلمهم و وصفوا عدلا، اى عادلا اوصفة عدالة بالسنتهم، ثم لم يعملوا بموجب الوصف وخالفوه معرضاً عنه الى غيره، فضلت وغوت اتباعهم ومقلديهم بمارأوامنهم وصنيعهم هذا الصنيع، ويؤكد ذلك قوله تعالى: اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله (التوبة ـ ۳۱).

واعلم انه قدوردت فى العلماء السوء، اى علماء الدنيا الراغبين فى مالها وجاهها تشديدات عظيمة وشكايات كثيرة يتبين منها انهم اقبح حالا واشد عذابا يوم القيامة ـ و قد اشرنا الى لمية ذلك ـ وهؤلاء فى الحقيقه ليسوا بعلماء، انماهم ظاهريون متشبهون بالعلماء فى حفظهم المنقولات ونقلهم الروايات و الاحاديث و الحكايات ممايعده الجمهور علماً وحالا، و الافلا ينفك العلم عن مقتضاه.

قال عيسى عليه‌السلام: كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه؟ وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبربه لاليعمل به؟ قال صالح بن حميان[1] البصرى: ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة.

ومماورد فى هذا الباب من غيرطريقة اصحابنا الاماميين، هوماروى ابو الدرداء انه صلى الله عليه واله قال: اوحى الله الى بعض الانبياء عليهم السلام: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مشوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امرمن الصبر، اياى

۱ـ صالح بن كيسان «احياء».

يخادعون وبي يستهزؤن؟ لامتحن لهم فتنة تذر الحكيم[١] حيرانا.

و روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله: قال: علماء هذه الامة رجلان: فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمنا، فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء و دواب الارض و الكرام الكاتبون، يقدم على الله تعالى سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، و رجل اتاه الله علماً في الدنيا فضن به على عباد الله و اخذ عليه طمعاً و اشترى به ثمناً، فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار وينادي مناد على رؤس الخلائق: هذا فلان بن فلان اتاه الله علماً في الدنيا فضن به عن عباد الله و اخذ عليه طمعاً و اشترى به ثمنا. يعذب[٢] حتى يفرغ الله من حساب الخلق.

و اشد من هذا ما روى ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى عليه السلام[٣] حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى و كثر ماله، ففقده موسى عليه السلام، فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير و في عنقه حبل اسود، فقال له موسى عليه السلام: اتعرف فلاناً؟ قال: نعم هو هذا الخنزير، فقال موسى عليه السلام: يارب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيم[٤] اصابه هذا، فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعانا به ادم ومن دونه، ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا، لانه كان يطلب الدنيا بالدين.

و اغلظ من هذا ماورد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه واله قال: من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع.

وفي الكلام تنميق و زيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطاء، و في الصمت سلامة وعلم.

١ــ الحليم «المغني».

٢ــ فيعذب «المغني».

٣ــ موسى صفي الله «المغني».

٤ــ بم «المغني».

ومن العلماء من يخزن علمه فلايحب ان يوجد في غيره، فذلك في الدرك الاول من النار، ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة سلطان، فان ردعليه شيء من علمه اويهون بشيء من علمه[1] غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه و غرائب حديثه لاهل الشرف و اليسار ولايرى اهل الحاجة اهلا له، فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ويفتي بالخطاء، والله يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم كلام[2] اليهود والنصارى ليعزز به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، و من العلماء من يتخذ علمه مروة و نبلا و ذكراً في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار، و من العلماء من يستفزه الزهو والعجب، فان وعظ عنف و ان وعظ انف، فذلك في الدرك السابع من النار.

وفي الخبر: ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب ومايزن عند الله جناح بعوضة، وعنه صلى الله عليه واله: العلماء امناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان[3]، فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم، وقال صلى الله عليه واله: شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء، وعنه صلى الله عليه واله: سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن انكر فقد برىء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي و تابع ابعده الله، فقيل: أفلا نقتلهم[4]؟ قال: لاماصلوا.

وقال حديفة: اياكم ومواقف الفتن، قيل: وماهو؟ قال: ابواب الامراء، يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه، وقال سفيان: في جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوار للملوك.

١ـ حقه «الاحياء».

٢ـ بكلام «الاحياء»

٣ـ السلاطين «المغني»

٤ـ افلا نقاتلهم «المغني».

باب النوادر

و هو الباب السابع عشر من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة عشر حديثا:

الحديث الاول
و هو الرابع و العشرون و المائة

«علی بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابی عمير عن حفص بن البختری» بالخاء المعجمة بعد الباء المنطقة تحتها نقطة، مولی بغدادی اصله كوفی، ثقة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن عليهما السلام ذكره ابو العباس، و انما كان بينه وبين ال اعين نبوة[1] فغمزوا[2] عليه بلعب الشطرنج. «رفعه قال: كان امير المؤمنين عليه السلام يقول: روحوا انفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما تكل الابدان».

الشرح

الروح والراحة من الاستراحة، و اراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء، و راحت يده هكذا اذا خفت له، والكلال الضعف و الثقل.

اعلم ان البدن فی عالم الطبيعة مثال للنفس فی عالمها، وكما ان البدن يحتاج الی اغذية و ادوية يناسبها، فكذا النفس يحتاج الی اغذية وادوية يناسبها من العلوم، وكما ان البدن قد يعتريه كلال وثقل، ثم يرجع الی قوته و راحته بتناول شیء من المقويات و المفرحات، فكذا النفس قد يعرض لها كسالة وقبض، ثم تتروح وتنتعش بسماع خبر اوحكاية لما فيه نفع اولذة.

اما النفوس العامية، فهی تستريح بامور فيها اغراض دنيوية و لذات حيوانية، ولكن النفوس الفاضلة التی من شأنها ادراك المقاصد العالية والمطالب العقلية، لايفرحون الابذكر الله ولا يتلذذون الا بالمعارف الالهية، فهذا الخطاب منه سلام الله عليه كأنه انما وقع لخواص اصحابه وتلامذته مثل كميل بن زياد النخعی و ابن عباس ونحوهما، و

١ــ ای: عداوة.

٢ــ المغموز: المتهم.

الافكثير من الناس من مزاولى الكتب و الكلام تراهم تشمأز قلوبهم وتكل نفوسهم من استماع بدائع الحكم وطرائف العرفان.

الحديث الثانى
و هوالخامس و العشرون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد، عن نوح بن شعيب النيسابورى» الذى ذكرفى كتب الرجال نوح بن شعيب البغدادى من اصحاب ابى جعفر الثانى عليه السلام. ذكر الفضل بن شاذان: انه كان فقيهاً «صه» و فى رجال الشيخ عالماً صالحاً مرضيا، و قيل: انه نوح بن صالح. «عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان» الواسطى. «عن درست بن ابى منصور، عن عروة بن اخى شعيب العقرقوفى عن شعيب» العرقوفى ابويعقوب بن اخت ابى بصير يحيى بن القاسم روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام عين ثقة، «عن ابى بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: كان امير المومنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم، ان العلم ذوفضائل كثيرة، فرأسه التواضع وعينه البرائة من الحسد، و اذنه الفهم ولسانه الصدق، وحفظه الفحص وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الاشياء و الامور، ويده الرحمة و رجله زيارة العلماء، و همته السلامة وحكمته الورع، ومستقره النجاة و قائده العافية، و مركبه الوفاء و سلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضاء و قوسه المداراة، وجيشه مجاورة[1] العلماء و ماله الادب، و ذخيرته اجتناب الذنوب و زاده المعروف و مأواه[2] الموادعة و دليله الهدى و رفيقه محبة الاخيار».

الشرح

كأنه عليه السلام حاول التنبيه لطلاب العلم على ان العلم، لايحصل الا لمن له هذه الفضائل والحسنات، فشبه العلم بشخص كامل روحانى له اعضاء وقوى كلهاروحانية

۱ـ محاورة (الكافى).

۲ـ ماؤه (الكافى)

بعضها ظاهرة وبعضها باطنة، فالظاهرة كالرأس والعين والاذن واللسان واليد والرجل، والباطنة كالحفظ والقلب والعقل والهمة والحكمة، وله مستقر روحانى وقائد روحانى، و له مركب روحانى و سلاح و سيف و قوس و جيش و مال و ذخيرة و زاد و مأوى و دليل و رفيق كلها روحانية معنوية.

فاستعار بهذه الالفاظ الموضوعة فى اللغة لهذه المحسوسات، لاجل تلك الفضائل ترشيحاً او تمثيلا كلا لما يشابهه او لما يناسبه من جهة او لما هو غاية له، فجعل الرأس الذى موضع الكبر والنخوة للتواضع، لان الاصل والمبدأ فى تحصيل العلم التواضع والمذلة و ترك العلو والافتخار، والعين التى هى الة التجسس وطلب المشتهيات للبرائة والتعفف، و جعل الاذن للفهم لانه غايتها، واللسان للصدق لانه غايته وكذلك القياس فى اكثر المذكورات.

فمن اجتمعت فى ذاته هذه الفضائل، فهو عالم ربانى بالحقيقة، و من اتصف باضدادها او باضداد اكثرها، فهو جاهل مردود الى دار الجحيم، و مابين المنزلتين منازل ومراتب لاتحصى، ومآل كل احد من المترددين الى ماهو الغالب عليه من المحاسن والمساوى والعلم عندالله. وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى ارض تموت (لقمان ـ ٣٤).

الحديث الثالث
و هوالسادس و العشرون والمائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن احمدبن محمدبن ابى نصر»، زيد مولى السكونى ابوجعفر و قيل: ابوعلى المعروف بالبزنطى كوفى لقى الرضا عليه السلام وكان عظيم المنزلة عنده ثقة جليل القدر «صه» و فيها ايضا و فى الكشى: و كان له اختصاص بابى الحسن الرضا و ابى جعفر عليهما السلام، اجمع اصحابنا على تصحيح مايصح عنه و اقروا له بالفقه.

وفى النجاشى: لقى الرضا والجواد عليهما السلام وكان عظيم المنزلة عندهما،

و فی الفهرست: روی عنه احمدبن محمدبن عیسی ومحمدبن الحسین بن ابی الخطاب و محمدبن عبدالحمید، و فی الخلاصة والنجاشی: انه مات رحمه‌الله سنة احدی و عشرین و مائتین بعد وفات حسن بن علی بن فضال، قیل و فیهما: ان حسن بن فضال مات سنة اربع و عشرین و مائتین[1]، و علی هذا فقبل وفات الحسن بثلاث سنین، والظاهر ان هذا نسبة وفات ابن محبوب الی وفات ابن فضال او بالعکس. «عن حمادبن عثمان عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه و اله: نعم وزیر الایمان العلم ونعم وزیر العلم الحلم ونعم وزیر الحلم الرفق و نعم وزیر الرفق العبرة، وفی نسخة: الصبر».

الشرح

نعم وبئس فعلان ماضیان لایتصرفان تصرف الافعال لانهما استعملا للحال بمعنی الماضی، فنعم مدح وبئس ذم و فیهما اربع لغات فتح العین و سکونها و کل منهما مع فتح الفاء وکسرها.

فاذا قلت: نعم الرجل زید، فالرجل فاعل نعم و زید اما مبتداء قدم علیه خبره او خبر مبتداء محذوف، تقدیره: هو زید.

و اذا قلت: نعم رجلا زید، فاضمرت فی نعم الرجل بالالف واللام و یراد تعریف الجنس لاتعریف العهد او نکرة منصوبة، ولایلیهما علم ولا غیره ولایتصل بهما الضمیر، فلا تقول نعم زید ولا الزیدون نعموا و تقول: مثل نعم المرأة هند و نعمت المرأة هند، وقد یحذف المخصوص بالمدح کما فی قوله تعالی: نعم العبد (ص ـ ۳۰) وفبئس المصیر (المجادلة ـ ۸).

والوزیر الموازر کالاکیل لانه یحمل عنه و زره ای ثقله، و قد استوزر فلان و هو یوازر الامیر، و اطلق الوزیر ههنا للمعین تسمیة اللازم الاعم باسم الملزوم الاخص،

۱ـ و مات احمدبن محمد سنة احدی وعشرین و مائتین بعد وفات الحسن بن علی بن فضال بثمانیة اشهر، ذکر محمدبن عیسی بن عبید انه سمع منه سنة عشرة ومائتین «جش».

او استعير من باب التشبيه استعارة مصرحة تشبيهاً للايمان بالسلطان و العلم بوزيره و كذلك فى البواقى.

واعلم ان المراد بالايمان ههنا، هو النور القلبى والعقل الاجمالى الذى به يدرك الحقائق ويفعل الخيرات، وبالعلم، الصور الادراكية التفصيلية التى بتكررها يشتد قوة الايمان، وباقى الحديث غنى عن الشرح.

الحديث الرابع
و هو السابع و العشرون و المائة

«على بن محمد، عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعرى» هو جعفر بن محمد بن عبيدالله يروى عن ابن القداح كثيرا ـ كمامر ذكره ـ. «عن عبدالله بن ميمون القداح عن ابى عبدالله عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال: يا رسول ما العلم؟ فقال: الانصات، قال: ثم مه[1]؟ قال: الاستماع، قال: ثم مه؟ قال: الحفظ، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره.

الشرح

عرف صلى الله عليه واله العلم بهذه الامور الخمسة من باب تعريف الشىء بعلامته اللازمة وباسبابه وغاياته، فعلامة حصول العلم فى احد كونه منصتاً، وسبب حدوثه الاستماع من المعلم، خارجيا كان او داخلياً بالاذن الحسى اوالاذن العقلى كما للانبياء و الاولياء عليهم السلام، وسبب بقائه حفظه والعمل بموجبه و غايته المتفرعة عليه فى الدنيا نشره، و اما غايته الذاتية فالتقرب الى الله وملكوته.

١ـ اى فماذا، للاستفهام، فابدل الالف هاء.

الحديث الخامس
و هو الثامن و العشرون و المائة

«على بن ابراهيم رفعه الى ابى عبدالله عليه السلام قال: طلبة العلم ثلاثة: فاعرفوهم[1] باعيانهم وصفاتهم، صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل و صنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل و المراء، مؤذ ممار متعرض للمقال فى اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قدتسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل، ذوخب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم، فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره، وصاحب الفقه والعقل، ذوكآبة وحزن وسهر، قد تحنك فى برنسه وقام الليل فى حندسه، يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقاً مقبلا على شأنه، عارفاً بـاهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه، فشدالله من هذا اركانـه و اعطاه يوم القيامة امانه».

الشرح

انقسام طلاب العلم الى هذه الاقسام الثلاثة انما يعلم بالاستقراء، ولايبعد ان يقال الداعى لهم اما طلب الدنيا او طلب الاخرة، وطلب الدنيا امـا لغرض التفوق و الجاه اولغرض المال و الثروة، فبحسب كل واحد مـن الغايات يحصل قسم واحد، فيحصل اقسام ثلاثة بحسب الغاية.

اويقال: مبدأ الفعل و التحصيل اما مبدأ عقلى اومبدأ نفسانى حيوانى، و المبدأ النفسانى ينقسم الى ما الغالب عليه اما قوة غضبية سبعية اوقوة شهوية بهيمية، فتحصل اقسام ثلاثة بحسب المبدأ، لكن قد يتركب بعض هذه الدواعى و الاغـراض ببعض، بحيث يعسر التميز بينها فى الافراد الالمن كان له مكاشفة القلوب و البواطن، فيعلم فى كل واحد من الطلبة، منشأ ما يصدر منه الافعال و الاقوال وغرضه و داعيه.

١ـ فاعرفهم (الكافى).

اذا تقرر هذا، فلنرجع الى معانى الالفاظ، قوله عليه السلام: فاعرفوهم باعيانهم وصفاتهم، اى بذواتهم الشخصية ونعوتهم الكلية، اذيمكن معرفة الاشخاص التى تحت كل صنف من حيث هى كذلك من جهة الاوصاف و العلامات التى لذلك الصنف.

قوله عليه السلام: صنف يطلبه للجهل، المراد به ليس عدم العلم مطلقا ليلزم تحصيل الحاصل، بل المراد مثل الانفة والغضب والشتم ونحوها الذى يصدر من اهل الجاهلية. وفى الحديث: ولكن استجهله الحمية، اى حملته على الجهل، وفيه[1]: ان من العلم لجهلا، قيل: هو ان يتكلف العالم القول فيما لايعلمه فيجهله ذلك، وفيه[1]: انك امرىء فيك جاهلية، قيل: وهى الحال التى كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله و رسوله وباليوم الاخر، و المفاخرة بالانساب و الكبر و التجبر.

قوله عليه السلام: للاستطالة والختل ، طال عليه و استطال وتطاول اذا علاه و ترفع عليه، وختله اذا خدعه، ومنه قولهم: اختل من ذئب، و التخاتل التخادع، و قوله عليه السلام: للفقه و العقل، لعله اراد بالاول معرفة الاشياء كماهى، وبالثانى التخلق بالاخلاق الحسنة او العقل العملى اوملكة العلوم المتعلقة بالاعمال، او اراد بالاول العلوم الكلية التصورية و التصديقية، وبالثانى الملكة التامة العلمية التى يحصل عقيب التعقلات و الافكار الكثيرة التى يقال لها العقل الاجمالى والعقل البسيط عند طائفة.

قوله عليه السلام فصاحب الجهل مؤذممار، لخبث باطنه وسبعيته مع قدرته على التكلم فيؤذى الخلق بلسانه، كمايؤذى السباع و الحيات بالاظفار و الانياب، ويمارى مع امثاله من السفهاء.

قوله عليه السلام: متعرض للمقال فى اندية الرجال، لان غرضه اظهار التفوق و الغلبة فى البحث و الجدال و انما يحصل ذلك فى المجامع و الاندية، وهى جمع النادى وهو مجلس القوم ومتحدثهم، ويقال له الندى على فعيل، والندوة و المنتدى ايضا ماداموا يندون اليه، اى مجتمعون فاذا تفرقوا فليس بندى، ومنه سميت دار الندوة بمكة التى بناها قصى، لان قريشا كان يجتمعون فيها للمشاورة، ثم صار مثلا لكل دار يرجع

١ــ اى فى الحديث.

اليها ويجتمع فيها و قوله تعالى: فليدع ناديه (العلق ـ ۱۷)، يريد عشيرته و انماهم اهل النادى، كما يقال تقوض[1] المجلس.

قوله عليه‌السلام: بتذاكر العلم وصفة الحلم، الجارمتعلق بقوله للمقال، وقوله: قدتسربل بالخشوع وتخلامن الورع، تفعل من السربال وهو القميص، اى اظهر الخشوع بالتشبه بالخاشعين والتزيى بزيهم مع خلوه عنه لخلوه عن الورع اللازم له.

قوله عليه‌السلام: فدق الله من هذا خيشومه: دعاء عليه، والخيشوم اقصى الانف و كذا قوله: وقطع منه حيزومه، و الحيزوم و الحزيم وسط الصدر و مايضم عليه الحزام.

قوله عليه‌السلام: وصاحب الاستطالة والختل ذوخب وملق، الخب بكسر الخاء الخدعة والجربزة، و قد خببت خبا من باب علم، و خببه خدعه، والخب بفتح الخاء الخداع الجربز، وقد يكسر خاؤه واما المصدر فبالكسر لاغير، و الملق الود واللطف الشديد، و رجل ملق، يعطى بلسانه ماليس فى قلبه.

قوله: فهو لحلوائهم هاضم و لدينه حاطم، اى يأكل من مطعوماتهم اللذيذة و يعطيهم من دينه فوق ما يأخذ من مالهم فلاجرم يحطم دينه ويهدم ايمانه.

قوله عليه‌السلام: فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار العلماء اثره، دعاء عليه بالاستئصال بحيث لم يبق عنه خبر ولااثر، عمى عليه الخبراى خفى مجاز من عمى البصر و هو ذهاب البصر، و عمى عليه الامر: التبس، و انما دعى عليه‌السلام على هذين الصنفين من طلبة العلم بالفناء والاستئصال، لان لافائدة فى وجودهم لهم ولالغيرهم، وضررهم على العلماء المحققين اكثر من ضر الكفار المتمردين.

قوله عليه‌السلام: وصاحب الفقه ذوكآبة، اى سوء حال وانكسار قلب من الحزن فهو كئيب حزين لكثرة خوفه من امر الاخرة وشدة خشيته لله، ولما يلحقه من المشقة و التعب و طول الفكر و السهر، ولمايرى من مقاساة الزمان وشدائد الدوران وجفاء الاقران ونفاق الاخوان الى غير ذلك من ترفع الجهلة و الارذال و رثاثة حال الافاضل

۱ـ تقوضت الحلق والصفوف: انتفقت و تفرقت.

و الامثال و سائر اسباب الحزن لمثله ممالايخلو الزمان عنها قط.

قوله عليه‌السلام: قدتحنك فی برنسه، التحنك التلحی وهوادارة العمامة ونحوها من تحت الحنك، وتحنيك الميت ادارة الخرقة تحت الحنك، والبرنس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها فی صدر الاسلام وقدتبرنس اذا لبسه.

قوله عليه‌السلام: وقام الليل فی حندسه، الليل منصوب بنزع الخافض والحندس الليل الشديد الظلمة و الاضافة الى الضمير الراجع الى الليل، اما بيانية اوبتقدير من.

قوله عليه‌السلام: يعمل ويخشى، اى ربه على ضدحال المغترين بالعلم من احدالصنفين حيث لايعملون ويرجون الفلاح امنين من مكرالله.

قوله عليه‌السلام وجلا داعياً مشفقاً، اى خائفا من عذاب القيامة متضرعاً اليه تعالى لطلب المغفرة حذراً عن سوء العاقبة، وكل من الثلاثة[1] منصوب على الحالية من ضمير الفاعل و الاول يحتمل المصدرية.

قوله عليه‌السلام: مقبلاعلى شأنه، لاصلاح نفسه وتهذيب باطنه لاكغيره من الذين يقبلون على الناس بالوعظ والنصيحة، و قد اهملوا امر انفسهم و اصلاح بواطنهم وقد تلطحت بالرذائل و الاثام و اعتلت بالامراض المهلكة و الاسقام.

قوله عليه‌السلام: عارفاً باهل زمانه، اى باحوال نفوسهم و اغراض بواطنهم لماشاهد من افعالهم و اعمالهم الدالة على اخلاقهم و اغراضهم.

قوله عليه‌السلام: مستوحشاً من اوثق اخوانه، لاجل ما ذكر من عرفانه باحوال نفوسهم فيعلم ان استيحاشه منهم خير من الخلطة معهم و الاستيناس بهم.

وقوله عليه‌السلام: فشدالله من هذا اركانه و اعطاه يوم القيامة امانه، دعاء له بالتثبت له على العلم و اليقين و احكام اركان الايمان والدين و اعطاء الامن له والامان يوم يقوم الناس لرب العالمين (المطففين ـ ٦).

ولهذا الحديث طريق اخر للمصنف رحمه‌الله و هوقوله: «حدثنى به محمدبن

١ـ اى: و جلا و داعياً و مشفقا.

محمود ابوعبدالله القزوینی عن عدة من اصحابنا منهم جعفربن احمد[1] الصیقل بقزوین، عن احمدبن عیسی العلوی» العمری ثقة من اصحاب العیاشی «صه» قال ابن داود: العیاشی بالیاء المنقطة تحتها نقطتین و الشین المعجمة «عن عبادبن صهیب البصری» قال الکشی: انه بتری، وقال النجاشی: انه یکنی ابابکر التمیمی الکلیبی الیربوعی بصری، ثقة روی عن ابی عبدالله علیه السلام «صه».

وفی الایضاح جزم بانه ثقة وضبط الکلیبی بالیاء المثناة تحتها و الباء الموحدة، وفی اکثر نسخ «صه» الکلبی و فی الکشی ایضاً حیث قال: ابن صهیب المازنی الکلبی بصری من اصحاب الصادق علیه السلام عامی بتری والاصح الکلیبی کما صرح به فی الایضاح. «عن ابی عبدالله علیه السلام...».

الحدیث السادس
وهو التاسع و العشرون و المائة

علی بن ابراهیم عن ابیه، عن محمدبن یحیی عن طلحة بن زید قال سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول: ان رواة الکتاب کثیر و ان رعاته قلیل، و کم من مستنصح للحدیث مستغش للکتاب، فالعلماء یحزنهم ترک الرعایة و الجهلاء یحزنهم حفظ الروایة، فراع یرعی حیوته وراع یرعی هلکته، فعند ذلک اختلف الراعیان وتغایر الفریقان».

الشرح

الرعاة جمع الراعی و الرعی فی الاصل مصدر رعت الماشیة، ویقال: الراعی الوالی والرعیة العامة، و فی الحدیث: کلکم راع وکلکم مسئول عن رعیته، و راعیت الامر: نظرت الی م یصیر، و راعیته لاحظته، وراعیته من مراعاة الحقوق، استنصحه عده نصیحاً وکل شیء خلص فقد نصح، و المستنصح للحدیث المهذب له عن الغلط

۱ــ فی بعض النسخ: جعفربن محمد.

و التصحيف و اللحن وغيرها من عيوب اللفظ، وغشه غشاء فهو مغشوش اى مخلوط، ولبن مغشوش اى مخلوط بالماء، ودرهم مغشوش، واستغشه خلاف استنصحه، والحزن خلاف السرور و احزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه وكذا يحزنه و يحزنه بضم الياء وكسر الزاى اوبفتح الياء وضم الزاى بمعنى واحد.

يعنى ان رواة الكتاب وحملة الاسفار كثيرة، و ان رعاته ـ و هم المتأملون فى معناه ـ العاملون بمؤداه قليلة، والى مثله اشار تعالى فى قوله: مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً (الجمعة ـ ٥)، اى حملوا صورة الفاظها ومايتعلق بالالفاظ من نكات الفصاحة ودقائق البلاغة وصنائع فن الكلام ولم يحملوا حقائق معانيها ومالاجله غرض الانـزال و التنزيل، فـرب مستنصح للحديث، اى معتن بتصحيحه و تلخيصه عن السقم والغلط و هو مستغش لمعناه مخلط له بالباطل من عقائده وجهالاته، و وضع ههنا[1] المظهر موضع المضمر للاشعار بانه هذا شأنه بالنسبة الى الكتاب مطلقا، سواء كان من كتب الحديث اوغيره.

ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران، فان كثيراً من اهل الحديث رواية و حفظاً وتصحيحاً يهجرون القران ولايرعونه حق رعايته، بل يتركونه مغشوشا وقديفهمون من ظاهر الفاظ الحديث معانى و احكامـاً خلاف ما فى القران لجهلهم بمعنى الايـات القرانية وبالتوفيق بينهما.

قوله عليه السلام: فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية، لان همومهم وقصودهم فى تعلم الحديث مقصورة على التفهم متعلقة بالتفقه فى الدين وسلوك منهج اليقين و الوصـول الى اقصى منازل القرب و التخلص من ورطة الهلاك وعذاب البعد و الجحيم، فلاجرم يحزنهم ترك الرعاية و يغمهم عدم الفهم وفقد العمل، ولايحزنهم ترك الرواية ولاترك ضبط الالفاظ وحفظ صورها، اذلايهمهم ذلك الاتبعاً.

وقوله عليه السلام: والجهلاء يحزنهم حفظ الرواية، هكذا فى اكثر النسخ وفى بعضها: الرعاية بدل الرواية، ولعل المراد منه انه يهمهم حفظ الرواية ويحزنهم مايتعلق

١ـ و هو الكتاب.

بها من ترك الحفظ ونحوه، اويكون على حذف المضاف او يكون المعنى ان حفظ الرواية يؤدى الى حزنه فى العاقبة.

ويحتمل ان يكون يخزيهم بالخاء المعجمة والياء المنقوطة تحتها نقطتين، اى الجهال اذا حفظوا الرواية دون الرعاية فذلك مما يوجب خزيهم و وبالهم يوم القيامة.

قوله عليه السلام: فراع يرعى حيوته، يعنى ان الراعى على ضربين: احدهما راع يرعى حيوته الاخروية فانه فى علومه و احواله و اقواله و افعاله يقصد الاخرة و يسلك سبيل الهدى ويحافظ على التقوى، و الاخر راع يرعى هلكته اى ما يوجب هلاكه و بعذابه فى الاخرة، لانه يقصد فيما يدركه اويقوله اويفعله غرض الدنيا وهوى النفس و استجلاب الخلق ومراعاة العزة عند الناس وطلب الرئاسة والتقرب الى السلاطين والتشبه بهم فى الملابس و المراكب وغير ذلك من المهلكات.

وقوله عليه السلام: فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان، يعنى فى الاخرة التى يظهر المكامن وتبرز البواطن وتكشف الاغطية ويرفع الحجب الحسية يتخالف الذاتان و يتغاير النوعان لا فى الدنيا ، فانها داريتشابه فيها المتضادان و يتلابس فيها الخصمان.

و توضيح هذا المرام: ان الاختلاف بين الانواع المتخالفة الذوات قد يكون بامور حسية كالاختلاف بين انواع الحيوان و النبات وغيرها من انواع الجواهر و الاعراض الجسمانية، وقد يكون بامور معنوية كالاختلاف بين انواع النفوس والعقول، و الانسان لما كانت ماهيته و ذاته مركبة من ظاهر محسوس وباطن مستور فهو بحسب ظاهره ومحسوسه نوع واحد متماثل الافراد، واما بحسب باطنه الذى يكون فى اول الامر شيئا هيولانيا بالقوة ثم يخرج من القوة الى الفعل فى الاحوال والملكات النفسانية فى جانبى الخيرات و الشرور فيصير انواعاً متخالفة الذوات متضادة الصفات، لان تلك الاحوال اذا اشتدت وتأكدت وتجوهرت، تصير فصولا ذاتياً وصوراً اخروية.

فاذا قامت القيامة وبعث من فى القبور وحصل ما فى الصدور يحشر الانسان انواعاً كثيرة متخالفة، منه ملك عقلى ومنه شيطان اوسبع اوبهيمة، فالانسان من حيث

ظاهره و وجوده الطبيعي نوع واحد ومن حيث باطنه انواع كثيرة.

اذا تقرر ما ذكرناه تبين ما رامه عليه‌السلام بقوله: و عند ذلك اختلف الراعيان و تغاير الفريقان، وفي القران ايات كثيرة مشيرة الى هذا المعنى كقوله تعالى: يومئذ يتفرقون (الروم ـ ١٤)، و قوله: فهم يوزعون (النمل ـ ٨٣)، و قوله: حتى يميز الخبيث من الطيب (ال عمران ـ ١٧٩)، و قوله: هذا يوم الفصل (الصافات ـ ٢١)، و غير ذلك.

الحديث السابع
و هو الثلاثون و المائة

«الحسين بن محمد الاشعري عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور» العمي عربي بصري، غال ضعيف في الحديث فاسد المذهب، وقيل فيه اشياء، الله اعلم بها، روى عن الرضا عليه‌السلام له كتب عنه ابنه الحسن كذا في النجاشي، و قال في «صه» ضعيف في المذهب فاسد في الرواية لايلتفت الى حديثه ولايعتمد على ما يرويه. «عن عبدالرحمن بن ابي نجران، عمن ذكره عن ابي عبدالله عليه‌السلام قال: من حفظ من احاديثنا اربعين حديثاً بعثه‌الله يوم القيامة عالماً فقيهاً».

الشرح

هذا الحديث مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة، بل قال بعضهم بتواتره، و قد رواه اصحابنا بطرق كثيرة مع اختلاف في اللفظ.

فمنها ما رواه محمد بن علي بن بابويه القمي اعلى‌الله درجته عن احمد بن محمد، عن ابيه عن علي بن اسمعيل، عن عبيدالله بن عبدالله عن موسى بن ابراهيم المروزي عن الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله: من حفظ على امتي اربعين حديثا مما يحتاجون اليه في امر دينهم بعثه‌الله عزوجل يوم القيامة فقيهاً عالماً.

و منها ما رواه هو ايضاً مرفوعاً عن ابى الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من حفظ من امتى اربعين حديثا فيما يحتاجون فى امر دينهم بعثه الله عزوجل فقيهاً.

و منها ما رواه فى كتاب الخصال ايضا مرفوعا عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و اله انه قال: من حفظ من امتى اربعين حديثا من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة.

و منها ما رواه ابوجعفر محمدبن على بن بابويه ايضاً رفعه عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: من حفظ عنى من امتى اربعين حديثا فى امر دينه يريد به وجه الله عزوجل والدار الاخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً.

و منها ما روى ايضاً رحمه الله عن حنان بن سدير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من حفظ عنا اربعين حديثاً من احاديثنا بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعذبه.

و منها ما رواه ايضا محمدبن على بن بابويه قال: حدثنا على بن احمدبن موسى الدقاق والحسين بن ابراهيم بن احمدبن هشام المكتب ومحمدبن احمد السنانى رضى الله عنهم قالوا: حدثنا موسى بن عمران النخعى عن عمه الحسين بن يزيد، عن اسمعيل بن فضل الهاشمى و اسمعيل بن ابى زياد، جميعا عن جعفر بن محمد عن ابيه محمدبن على، عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عليهم السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه و اله اوصى امير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام فيما كان اوصى به ان قال: ياعلى! من حفظ من امتى اربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عزوجل والدار الاخرة حشره يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقا.

ولنرجع الى الشرح، قوله: من حفظ، قيل: الظاهر ان المراد منه الحفظ عن ظهر القلب، فانه هو المتعارف المعهود فى الصدر السالف، فان مدارهم كان على النقش فى الخواطر لاعلى الرسم فى الدفاتر، حتى منع بعضهم من الاحتجاج بما لم يحفظه الراوى عن ظهر القلب.

وقدقيل: ان تدوين الحديث من المستحدثات فى المائة الثانية من الهجرة، ولا يبعد ان يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس ممايعم الحفظ عن ظهر القلب و الكتابه و النقل من الناس ولومن كتاب و امثال ذلك، و قديقال المراد بحفظ الحديث تحمله على احد الوجوه الستة المقررة فى الاصول: اعنى السماع من الشيخ والقرائة عليه و السماع حال قرائة الغير و الاجازة والمناولة[1] و الكتابة وبعده ظاهر.

اقول: ان للحفظ مراتب كثيرة و ان مجامعها ثلاثة: احدها حفظ صور الالفاظ على اقسامها المذكورة، سواء كانت فى الخيال او فى الكتابة، و ثانيها حفظ معانيها الاولية ومدلولاتها التى يصل اليها اكثر افهام الناس، و ثالثها حفظ معانيها العقلية و حقائقها العرفانية، ولكل من الحفظة استحقاق اجر وثواب على حسب مقامه فى الحفظ.

اذا ثبت هذا فنقول: الظاهر عندمن له بصيرة قلبية ينظر الى الاشياء بنورتلك البصيرة ان المراد بحفظ الاحاديث ههنا الذى يستحق بها الانسان ان يبعثه الله تعالى يوم القيامة عالماً فقيهاً هو الحفظ بالمعنى الثالث، و اما غير ذلك من اقسام الحفظ فلايبعد ان يترتب عليه اجر وثواب ولكن ثوابه من قبيل ثواب الاعمال البدنية ونحوها انكان مع قصدالتقرب، سنزيدك ايضاحاً لهذا المطلب ان شاءالله.

وفى رواية: من حفظ على امتى، الظاهر ان على بمعنى اللام، اى حفظ لاجلهم كماقالوه فى قوله تعالى: ولتكبروا الله على ماهديكم (البقرة ـ١٨٥)، اى لاجل هدايته اياكم، ويحتمل ان يكون بمعنى من كماقيل فى قوله تعالى: اذاكتالوا على الناس يستوفون (المطففين ـ٢)، ويؤيده ما فى الروايات من حفظ من امتى.

قوله عليه السلام: من احاديثنا، اى الاحاديث التى اخذت منا اهل البيت، وفيه اشارة الى ان تلك الاحاديث مافيه زيادة اختصاص وفضيلة ليس فى غيرها ماروته العامة.

ويؤيد هذا مارواه الصدوق عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال: حديثنا صعب

١ـ اى مناولته اياه كتابا يروى عنه مافيه، كما قال الشارح قدس سره فى الحديث السادس فى باب رواية الكتب، الذى بعد هذا الباب.

مستصعب لايحتمله الاملك مقرب اونبي مرسل اوعبدامتحن الله قلبه للايمان، والحديث في اللغة يرادف الكلام، سمي به لانه يحدث شيئا فشيئا، وفي اصطلاح عامة المحدثين كلام خاص عن النبي اوالامام او الصحابي او التابعي ومن يحذوحذوه يحكي قولهم اوفعلهم اوتقريرهم، وعند بعض المحدثين لايطلق اسم الحديث الاعلى ماكان عن المعصوم عليه السلام.

قوله عليه السلام: اربعين حديثا، ربما تردد الذهن في ان هذه الاحاديث من اي باب من الامور؟ فيحتمل عنده ان يكون مطلقا، سواء كانت في الامور الدينية كالاعتقادات و العبادات وفي الدنيوية كالتي وردت في توسعة الرزق و في الاطعمة و الاشربة، لان الجميع مشتركة في انتسابها الى صاحب الشرع ولامكان التوسل بها الى تحصيل الاخرة، و الحق ان المراد ماتدعوا اليه الحاجة الدينية لاالدنيوية لماوردفي بعض الروايات: ممايحتاجون اليه من امر دينهم ولمااشرنا اليه[1].

ولعل الوجه في تعيين عددالاربعين من جهة نورالاستبصار على وجه التقريب لاعلى التعيين، لان ذلك غيرممكن الاباقتباس نورمن مشكوة النبوة والعصمة، هو ان الانسان متى تعلم و اكتسب من المسائل الدينية التي بعضها علمية كالعلم بالله وتوحيده و اياته وملائكته وكتبه و رسله وبالنبوة و الامامة و الشريعة وبالقيامة و القبر والبعث و الكتاب و الصراط و الميزان و الجنة ونعيمها، و النار وجحيمها و بعضها عملية خلقية كالعلم بمحاسن الاخلاق ومنجياتها من العلم و الحلم و التوكل والصبر والشكر والعفة و الرضا بقضاءالله والشوق الى الاخرة وغير ذلك، وبمساوىء الملكات كالجهل و التكبر والغضب و التجبر و الرعونه و العجب و الرياء، و حب الدنيا و اليأس عن الاخرة والامن من مكرالله و اشباه ذلك، وكمسائل الصلوة والزكوة و الصيام والحج والجهاد و واجباتها ومندوباتها و اداب المعاشرة و المناكحة و المؤاخاة و المسافرة و المتاجرة و امثال هذه الامور نحوهذا العدد او مايقربه، و احتفظ بها في ذهنه وعمل بموجبها، فعند ذلك تحصل لنفسه لامحالة ملكة علمية نورانية ولقلبه قوة بصيرة كشفية

١ــ من ان المراد بالحفظ هوالحفظ بالمعنى الثالث.

باطنية يقتدر بها على استحضار غيرها من المعلومات، فيبعث يوم القيامة فى زمرة العلماء الربانيين و الفقهاء العارفين.

ومما يؤيد ما ذكرناه ما فى تتمة الحديث المنقول انفاً بطريق اهل العصمة عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه واله فيما اوصى به امير المؤمنين عليه السلام وهى بعد قوله صلى الله عليه واله: وحسن اولئك رفيقا، بهذه العبارة: فقال على عليه السلام: يارسول الله ما هذه الاحاديث؟ فقال: ان تؤمن بالله وحده لاشريك له وتعبده ولاتعبد غيره، و تقم الصلوة بوضوء سابغ[1] فى مواقيتها ولاتؤخرها فان فى تأخيرها من غير علة غضب الرب عزوجل، وتؤدى الزكوة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت اذا كان لك مال و كنت مستطيعا، و ان لانعق والديك ولاتأكل مال اليتيم ظلما ولاتأكل الربوا ولاتشرب الخمر ولاشيئاً من الاشربة المسكرة، وان لاتزنى ولاتلوط ولاتمشى بالنميمة ولانحلف بالله كاذبا ولاتسرق ولاتشهد شهادة الزور لاحد قريبا كان اوبعيداً.

و ان تقبل الحق ممن جاء به صغيراً كان اوكبيراً و ان لاتركن الى الظالم و ان كان حميما قريباً، وان لاتعمل بالهوى ولاتقذف المحصنة ولاتراءى فان ايسر الرياء شرك بالله عزوجل، وان لاتقول لقصير يا قصير ولالطويل يا طويل تريد بذلك عيبه و ان لاتسخر من خلق الله.

و ان تصبر على البلاء والمصيبة و ان تشكر نعم الله التى انعم بها عليك، و ان لاتأمن عقاب الله على ذنب تصيبه و ان لاتقنط من رحمته وان تتوب الى الله عزوجل من ذنوبك فان التائب من ذنوبه كمن لاذنب له، وان لاتصر على الذنوب مع الاستغفار فيكون كالمستهزىء بالله و اياته و رسله، و ان تعلم ان ما اصابك لم يكن لتخطيك و ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك، و ان لاتطلب سخط الخالق برضاء المخلوق، و ان لاتؤثر الدنيا على الاخرة و ان لاتؤثر الاخرة على الدنيا لان الدنيا فانية و الاخرة باقية.

و ان لاتبخل على اخوانك مما تقدر عليه و ان تكون سريرتك كعلانيتك ، و

١ــ اسباغ الوضوء، اتمامه و اكماله، و منه اسبغوا الوضوء: اى ابلغوه مواضعه و اوفوا كل عضو حقه.

ان لاتكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة فان فعلت ذلك كنت من المنافقين، و ان لاتكذب ولاتخالط الكذابين و ان لاتغضب اذا سمعت حقاً وان تؤدب نفسك واهلك و ولدك وجيرانك على حسب الطاقة.

و ان تعمل بما علمت ولاتعاملن احداً من خلق الله عزوجل الابالحق و ان تكون سهلا للقريب و البعيد و ان لاتكـون جباراً عنيداً، و ان تكثر من التسبيح و التهليل و الدعاء و ذكر الموت و ما بعده من القيامة و الجنة و النار و ان تكثر من قرائة القران و تعمل بما فيه، و ان تستغنم البر و الكرامة بالمؤمنين و المؤمنات ولاتمل مـن فعل الخير وان تنظر الى مالاترضى فعله لنفسك فلاتفعله باحدمن المؤمنين، ولاتثقل على احدو ان لا تمن على احد اذا انعمت عليه وان تكون الـدنيا عندك سجنا حتى يجعل الله لك جنته.

فهذه اربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عنى من امتى دخل الجنة برحمة الله وكان من افضل الناس و احبهم الى الله عزوجل بعد النبيين والصديقين و حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن اولئك رفيقا.

قوله عليه السلام: بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً، قد علمت فيما سبق ان المراد بالفقيه عند الاوائل وفى الصدر الاول هـو ماذا؟ و ان الذى يتعارف عند الناس الان من العلم بالاحكام الشرعية العملية عن ادلتها التفصيلية اصطلاح مستحدث، وان الفقه اكثر مايأتى فـى الحديث بمعنى البصيرة فى امر الدين و ان الفقيه صـاحب هذه البصيرة، سواء كانت موهبية كما فى الانبياء عليهم السلام و ضرب من الاولياء، او كسبية كما فى غيرهم من ذوى البصائر و اليه الاشارة فى قوله صلى الله عليه واله: لايفقه العبد[1] كـل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله و حتى يرى للقران وجـوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتاً.

فعلى هذا يظهر كل الظهور ان المراد بالحفظ المذكور فى هذا الحديث ليس

١ـ الرجر. النسخة ، لبدل فى الاصل للشارح.

مجرد حفظ اللفظ كما توهمه بعض الاعلام[١] حيث قال: الظاهر من قوله صلى الله عليه واله: من حفظ، ترتب الاجر[٢] على مجرد حفظ لفظ الحديث، وان معرفة معناه غير شرط فى حصول الثواب اعنى البعث يوم القيامة فقيهاً عالماً و هو غير بعيد، فان حفظ الفاظ الحديث طاعة كحفظ الفاظ القران، وقددعا (ص) لناقل الحديث و ان لم يكن عالماً بمعناه، كما يظهر من قوله صلى الله عليه واله: رحم الله امرىء سمع مقالتى فوعاها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه و رب حامل فقه الى من هو افقه منه، ولايبعد ان يندرج يوم القيامة بمجرد حفظ اللفظ فى زمرة العلماء، فان من تشبه بقوم فهو منهم[٣]. انتهى كلامه.

لانانقول: ليس فيما نقله من الحديث دلالة الاعلى كون الحافظ للحديث مرحوماً لاعلى انه فى القيامة درجة العلماء، والثانى[٤] هو المبحوث عنه دون الاول، و اما قوله: حفظ الفاظ الحديث طاعة، فعلى تقدير تسليمه و ذلك عند سلامته عن الاغراض الدنيوية و الافات النفسانية كان اجره كاجر سائر الطاعات البدنية كمامر.

١ــ وهو استاذ الشارح الشيخ بهاء الدين محمد عاملى قدس سرهما فى اربعينه.

٢ــ الجزاء «اربعين».

٣ــ و قد اعترض عليه شارح المازندرانى فى شرحه على اصول الكافى بان كون حفظ الفاظ الحديث، طاعة يقتضى ان يكون للحافظ اجر كاجر سائر الطاعات البدنية لا كاجر الفقاهة التى هى من الصفات القلبية والطاعات العقلية، و قد اجاب عنه استاذى المرحوم علامة الشعرانى فى تعليقه على شرح الاصول بهذه العبارة: كفى بالرجل فخراً ان يليق بالاستفادة من ذلك العلم اليعلم والبحر الخضم الذى حار دون ادراك فضله عقول اولى الهمم، و مع ذلك فلا ارى كثير فرق بين كلام الشيخ بهاء الدين و تلميذه الصدر قدس سرهما، اذ لايدل كلام الشيخ على تساوى المحدث والعالم من كل وجه، بل مراده التشابه بينهما فى الجملة لانه استشهد بقول رسول الله صلى الله عليه و اله: رحم الله امرىء سمع مقالتى.... الى اخره، و عد المحدث من المتشبهين بالعلماء، فهو بمنزلة العطار و تاجر العقاقير يجمعها للطبيب حتى يستعملها فيما يفيد، و على العطار ان يميز بين الدواء الجيد والردىء.

٤ــ و هو كونه فى عداد العلماء وله درجة العلماء.

و اما قوله: من تشبه بقوم فهومنهم، فعلى تقدير اجرائه فى كل نوع من التشبه فلانسلم ان التشبه ههنا متحقق، فان العلم ونحوه من الامور العقلية الباطنية، و انى تحصل التشبه بالعالم بمجرد حفظ الفاظ مسموعة؟

ثم انه تعالى قد ذم فى كتابه حملة الالفاظ دون المعانى وشبههم بالحمار الذى يحمل الاسفار فى قوله تعالى: مثل الذين حملوا التورية (الجمعة ـ ٥)... الاية، وايضاً قال تعالى: من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا (الاسراء ـ ٧٢)، و هوعمى القلب لاعمى العين، و ذلك العمى هوالجهل بالمعارف الدينية وهولايزول بمجرد حفظ صور الالفاظ و الاقوال دون ادراك المعانى و الاحوال، وبالله التوفيق.

الحديث الثامن
و هوالحادى و الثلاثون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد عن ابيه، عمن ذكره عن زيد الشحام عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله تعالى: فلينظر الانسان الى طعامه (عبس ـ ٢٤)، قال: قلت ما طعامه؟ قال: علمه الذى يأخذه عمن يأخذه».

الشرح

لما علمت ان الانسان مركب من جوهرين: احدهما ظاهر محسوس هوبدنه الذى به يشارك سائر الحيوانات فيأكل ويشرب و يناكح ويحيى ويموت كسائر انواع الحيوان، و الاخر باطن مستور عن الحواس ثابت بالعقل و القياس، و هونفسه الناطقة التى هى لطيفة نورانية به يمتاز عن غيره من انواع جنسه فيعقل ويفكر ويروى فى العاقبة، من شأنه ان يبقى بعدالبدن ولايموت بموته اما سعيداً اوشقياً.

فاعلم انه كما ان للبدن صحة ومرضاً وغذاء يتقوت به ويتقوى ويزيد جثته فكذلك للنفس الناطقة المسماة بالقلب بلسان الشريعة صحة ومرض كما قال تعالى: الامن اتى الله بقلب سليم (الشعراء ـ ٨٩)، و قال: فى قلوبهم مرض (البقرة ـ ١٠)، وموت هوموت

الجهل وحيوة هي حيوة العلم ونور المعرفة كما اشار اليه بقوله تعالى: او من كان ميتا فاحييناه (الانعام ـ ١٢٢)... الاية، وقوله تعالى: فانك لاتسمع الموتى (الروم ـ ٥٢)، وغير ذلك من الايات.

ولها ايضا غذاء يتغذى به فيقوى به ذاتها وتكمل وتخرج من القوة الى الفعل و من الضعف و النقص الى القوة و الكمال، و غذاء كل شيء مايكون من جنسه وكل غذاء يشبه المغتذى به، فغذاء الجسم بالجسم وغذاء العقل بالعقل وهو المعقول بذاته.

ولما كانت انسانية الانسان وما به حقيقة ذاته هو جوهره العقلي الذي هو في اول الامر عقل بالقوة ويقال له العقل الهيولاني، لانه جوهر ناقص في باب العقل و المعقول كما ان الجنين جوهر حيواني ناقص في باب الحيوانية، و انما يصير حيواناً بالفعل تام الخلقة في الحيوانية بورود الاغذية الصالحة حتى يزيد في قدره اللائق و يكمل في ذاته، كذلك العقل بالقوة يخرج من حد النقص الى حد الكمال العقلي بورود اغذية عقلية و اطعمة صالحة مناسبة له شبيهة به، و انما هي العلوم الحقيقية و التصورات العقلية.

فاذا تقرر هذا فيكون معنى قوله: فلينظر الانسان الى طعامه، ما ذكره[1] عليه السلام، اذ الانسان من حيث هو انسان شيء غير الحيوان بما هو حيوان و غير الانسان من حيث هو حيوان، فاذا اطلق وقيل: الانسان نظر الى كذا وفعل كذا، فالاصل والظاهر ان يكون المراد به ذاته المخصوصة على وجه المخصوص لاعلى الوجه الاعم الا لمانع من جهة ماينسب اليه من الفعل او الصفة اوغيرهما.

كما يقال: الانسان ماش او اسود، وههنا ليس كذلك، لان الطعام مايتغذى به وهو اعم من الجسماني و الروحاني كما في قوله صلى الله عليه واله: ابيت عند ربي يطعمني و يسقيني، ومعلوم ان طعامه صلى الله عليه واله عند الرب الذي يطعمه الرب ليس من جنس طعام الحيوانات اللحمية ولاشرابه من هذه الاشربة، وانما المراد بها طعام العلم وشراب المحبة.

---

١ ـ وهو العلم.

فاذن الانسان بماهو جوهر عاقل ليس غذاؤه وطعامه الا العلم و المعرفة، و اذا كان كذلك فصح ان يكون معنى الاية فلينظر الانسان الى طعامه فليلاحظ علمه الذى يأخذه عمن يأخذه، اى ينبغى انيأخذ علمه من النبى والامام عليهما السلام، لانه بمنزلة الصبى فى اوان اكتسابه للعلم الذى هوغذاء روحه وهما بمنزلة الابوين، فكما لايجوز للولدان يأخذ رزقه من غير ابويه بالتكدى و نحوه ، فكذلك لايجوز للمسلم الشيعة ان يأخذ علمه من غير كتاب الله و العترة كما فى قوله صلى الله عليه واله: انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى.

الحديث التاسع
و هوالثانى و الثلاثون والمائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى ، عن على بن النعمان» الاعلم النخعى ابوالحسن مولاهم كوفى، روى عن الرضا عليه السلام، و اخوه داود اعلى منه وابنه الحسن بن على وابنه احمد رويا الحديث وكان على ثقة وجهاً ثبتاً صحيحاً واضح الطريقة «صه» قال النجاشى: له كتاب عنه ابن ابى الخطاب. «عن عبدالله بن مسكان، عن داود بن فرقد عن ابى سعيد الزهرى» مجهول. «عن ابى جعفر عليه السلام قال: الوقوف عندالشبهة خيرمن الاقتحام فى الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خيرمن روايتك حديثاً لم تحصه».

الشرح

اقتحم الانسان الامر العظيم وتقحمه اذارمى نفسه فيه من غير روية وتثبت، و فى الحديث: انى اخذ بحجزكم[1] عن النار و انتم تقتحمون فيها، اى تقعون فيها ، لم تحصه من الاحصاء و هو العد و الحفظ، ومن اسماء الله تعالى المحصى، وهو الذى احصى كل شىء بعلمه و احاط به فلايفوته دقيق منها ولاجليل، ومنه: انالله تسعة وتسعين

١ــ الحجزة. ج. حجز وحجزات: موضع التكة من السراويل ــ مقعد الازار.

اسماً من احصاها دخل الجنة، اى من احصاها علماً بها و ايماناً، وقيل احصاها اى حفظها على قلبه.

و فى الحديث: اكل القران احصيت؟ اى حفظت، و قوله للمرأة: احصيها حتى نرجع، اى احفظيها، ومعنى الحديث ظاهر غنى عن الشرح.

وفى وصايا امير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: ودع القول فيما لاتعرف و الخطاب فيما لاتكلف، وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال.

وقال ايضاً عليه السلام فيها: وترك كل شائبة اولجتك فى شبهة او اسلمتك الى ضلال[1]، فاذا ايقنت ان قد صفى قلبك فخشع وتم رأيك واجتمع[2] وكان همك فى ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك، وان انت لم يجتمع لك ماتجب[3] من نفسك وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط و لامن خلط[4] و الامساك عن ذلك امثل، فتفهم يا بنى.

الحديث العاشر
و هو الثالث و الثلاثون و المائة

«محمد عن احمد عن ابن فضال، عن ابن بكير» مجهول. «عن حمزة بن الطيار» روى الكشى عن حمدويه و ابراهيم عن محمد بن عيسى عن ابن ابى عمير، عن هشام بن الحكم عن ابى عبدالله عليه السلام الترحم[5] عليه بعد موته و الدعاء له بالنضرة و السرور و انه كان شديد الخصومة عن اهل البيت عليهم السلام.

١ــ ضلالة «نهج».
٢ــ فاجتمع «نهج».
٣ــ تحب «نهج».
٤ــ او خلط «نهج».
٥ــ اى: قال عليه السلام: رحمة الله عليه.

ومحمدبن عيسى و ان كان فيه قول ولكن الارجح عندى قبول روايته «صه» ثم الذى قاله الكشى، حمدويه و ابراهيم عن محمدبن عيسى، عن يونس عن ابى جعفر[1] عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ما فعل ابن الطيار؟ فقلت: توفى، فقال: رحمه الله ادخل الله عليه الرحمة ونضرة فانه يخاصم عنا اهل البيت.

فضالة بن جعفر عن ابان، عن حمزة بن الطيار: ان ابا عبدالله عليه السلام اخذ بيدى ثم عد الائمة اماماً اماماً حتى انتهى الى ابى جعفر فكف فقلت: جعلت فداك[2] لو فلقت رمانة فاحللت بعضها وحرمت بعضها لشهدت انما حرمت حرام وما احللت حلال، فقال: حسبك ان تقول بقوله، و ما انا الامثلهم، لى مالهم وعلى ما عليهم، فان اردت ان تحيى[3] يوم القيامة مع الذين قال الله تعالى: يوم ندعوا كل اناس بامامهم (الاسراء ـ ۷۱) فقل بقوله «انه عرض على ابى عبدالله عليه السلام بعض خطب ابيه حتى اذا بلغ موضعاً منها قال له: كف و اسكت، ثم قال ابوعبدالله عليه السلام: لايسعكم فيما ينزل بكم مما لاتعلمون الا الكف عنه و التثبت و الرد الى ائمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق ، قال الله تعالى: فأسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل ـ ۴۳)».

الشرح

القصد من الامور المعتدل الذى لايميل الى احد طرفى التفريط و الافراط و فيه[4] القصد، القصد تبلغوا اى عليكم بالقصد من الامور فى القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين، وهو منصوب على المصدر المؤكد وتكراره للتأكيد.

وجلى لى الشىء وتجلى، اى وضح وانكشف وجلوته انا كشفته، والجلاء بالفتح

۱ـ اى ابى جعفر الاحول.

۲ـ جعلنى الله فداك «كش».

۳ـ تجىء «كش».

۴ـ اى فى الحديث.

و القصر الاثمد لانه يجلو البصر، وقيل بالكسر و المداوبالفتح ضرب من الكحل، و الجلاء الامرالجلى وجلوت السيف جلاء صقلته.

اعلم انه كما انالقران منه ماهومحكم ومنه ماهومتشابه مأول لايعلم تأويله الاالله والراسخون فى العلم، كذلك فى احاديث النبى و الائمةعليه وعليهم السلام و خطبهم و رسائلهم قدتوجدالفاظ متشابهةمأولة ليس لجمهور الناس انيتكلموا فيهاولالهم رخصة ان يحكموا فيهاوعليهابحكم من عندانفسهم الامن خصه اللهبعلم من لدنه وهوعلى بينة من ربه، وانما شأنهم الكف عن الخوض فيها والسكوت عن الكلام على غير بصيرة و الرد فى علمها على ائمةالهدى المعصومين عن الزيغ و الخطاء حتى يحملوهم من بعض وجوهها مايطيقون حملها ويسع اذهانهم فهمها على وجه الاقتصاد فى الاعتقاد ويلجموهم عن الوقوع فى الشبهات و التورط فى الهلكات و التخبط خبط عشوات ويجلوا عن عيون قلوبهم عمى الجهالة وكمه الضلالة ويعرفوهم فيما وجه الحق الذى يحتملونه وجهة الصدق التى يطيقونها.

و المراد باهل الذكر الذين وقع الامر فى هذه الاية بسؤالهم فى المجهولات المعضلات هم اصحاب المكاشفات الذين يمكنهم استفاضة العلم من عالم الذكر الحكيم، اعنى اللوح المحفوظ اما بالاستقلال كالنبى صلى الله عليه واله او بمتابعته كاهل بيته عليهم السلام.

الحديث الحادى عشر
و هوالرابع و الثلاثون و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم بن محمد عن المنقرى» و هو سليمان بن داود المنقرى وقدمر ذكره. «عن سفيان بن عيينة قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: وجدت علم الناس كله فى اربع: اولها ان تعرف ربك والثانى ان تعرف ماصنع ربك والثالث ان تعرف ما ارادبك و الرابع ان تعرف مايخرجك عن دينك».

الشرح

الوجه فى هذا الانحصار: ان العلوم الحقيقية التى لايتغير بتغير الازمنة واتفقت الاديان عليها و لاخلاف لاحد من اهل الحق فيها، اما الغاية فيها مجرد العلم او العمل بموجبه، والاول اما متعلق باحوال المبدأ اوباحوال المعاد، و الثانى اما المطلوب فيه اقتناء فضيلة او اجتناب رذيلة، فهذه اربعة اقسام.

فقوله عليه‌السلام: اولها ان تعرف ربك، اشارة الى اول[1] قسمى الحكمة النظرية من العلوم العقلية ويندرج فيه البحث عن معرفة ذات الله و وحدانيته ومعرفة صفاته العلياء و اسمائه الحسنى ومعرفة اثاره و افعاله وقضائه وقدره.

وقوله عليه‌السلام: و الثانى ان تعرف ماصنع بك، اشارة الى ثانى[2] قسمى الحكمة النظرية منها ويندرج فيه معرفة النفس و احوالها ومقاماتها ومعرفة ماتعوداليه وتنشأ منها، وكيفية نشوالاخرة من الدنيا ومعرفة القبر والبعث و الصراط و الحساب و الميزان و الثواب والعقاب والجنة والنار. فان جميع هذه الامور مما صنعه الله تعالى بالنفس الانسانية وفيها ومنها، وليس شىء منها خارج عن ذات النفس.

وقوله عليه‌السلام: والثالث ان تعرف ما ارادبك، اشارة الى اول قسمى الحكمة العملية منها ويندرج فيها معرفة جميع الفضائل النفسانية ليمكن اكتسابها، و هى المنجيات من الاخلاق والملكات كالعلم والكرم و الجود والشجاعة و العفة و التوبة والصبر و الشكر و التوكل و الرضاء ومايجرى مجراه.

وقوله عليه‌السلام : و الرابع ان تعرف مايخرجك عن دينك، اشارة الى ثانى قسمى الحكمة العملية ويندرج فيه معرفة الرذائل النفسانية ليمكن التبرى عنها، وهى اما اعدام تلك الفضائل او اضدادها، فالاولى كالجهل البسيط والخمول و البلاهة و الجبن ونحوها، و الثانية كالجهل المركب و الفجور و المكر والتهور و الحرص و العصبية و العناد والكبر والعجب والحسد وغير ذلك، ومن اجتمعت فيه هذه الفضائل

١ــ اى علم المبدأ.

٢ــ اى علم المعاد.

وطهرت نفسه عن تلك الرذائل صار ملكاً في صورة بشر، بل كادان يصير انسانا الهيا تحل طاعته بعد طاعة الله.

الحديث الثاني عشر
و هو الخامس والثلاثون و المائة

«علي بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابي عمير، عن هشام بن سالم قال قلت لابي عبدالله عليه السلام: ما حق الله على خلقه؟ فقال: ان يقولوا مايعلمون ويكفوا عما لايعلمون، فان فعلوا ذلك فقد ادوا الى الله حقه».

الشرح

لعل المراد من حق الله ميثاقه تعالى على اهل العلم والكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق.

الحديث الثالث عشر
وهو السادس والثلاثون والمائة

«محمد بن حسن عن سهل بن زياد، عن ابن سنان عن محمد بن مروان العجلي، عن علي بن حنظلة» العجلي الكوفي من اصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام اخو عمر من اصحاب الصادق عليه السلام. «قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم[1] عنا».

الحديث الرابع عشر
و هو السابع و الثلاثون و المائة

«الحسين بن الحسن» الظاهر انه الحسني الاسود فاضل يكنى اباعبدالله. رازي[2] «عن

١ـ روایاتهم. النسخة البدل في الاصل للشارح.

٢ـ ابوعبدالله الرازي «جامع الرواة».

محمدبن زكرياء الغلابی» مولی بنی غلاب بالغين المعجمة واللام المخففة والباء المنقطة تحتها نقطة، ابوعبدالله بن زكرياء بن دينار، وبنو غلاب قبيلة بالبصرة من بنی نضر بن معوية، قيل: ليس فی غير البصرة[1] منهم احد، وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه اصحابنا بالبصرة وكان اخبارياً واسع العلم وصنف كتباً كثيرة ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

«عن ابی عايشة البصری رفعه ان امير المؤمنين عليه السلام قال فی بعض خطبه: ايها الناس اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا بحكيم من رضی بثناء الجاهل عليه، الناس ابناء مايحسنون وقدر كل امرىء مايحسن، فتكلموا فی العلم تبين اقدار كم».

الشرح

ازعجه، ای اقلعه وقلعه من مكانه وانزعج بنفسه ولم يستقر، وفی رواية انس رأيت عمر يزعج ابابكر ازعاجا يوم السقيفة، ای يقيمه ولايدعه يستقر حتی بائعه، و الزور الكذب و الباطل و التهمة وكل شیء يتخذ رباً من دون الله، وشهادة الزور هی من الكبائر، وفی الحديث: عدلت شهادة الزور الشرك بالله، و انما عادلته لقوله تعالی: والذين لايدعون مع الله الها اخر (الفرقان ـ ۶۸)، ثم قال بعده: والذين لايشهدون الزور (الفرقان ـ ۷۲).

والمعنی: ان العاقل من لايزعجه قول الزور ولايحزنه افتراء المفترين فی حقه، و ان الحكيم من لايرضی نفسه بثناء الجاهل عليه، اذ العاقل الحكيم يعلم ان الاول لاينقص من كماله ان كان شيئا، ولايقدح فی فضله بشیء، و الثانی لايزيد عليه كمالا لم يكن ولايفيده شرفاً وكرامة لم يحصل، بل الكريم من اكرمه الله و الذليل من اذله الله.

و قوله عليه السلام: الناس ابناء مايحسنون، يعنی ان الانسان لايصير سعيداً و لاشقياً الا بما يكسبه او يكتسبه نفسه لنفسه، فالناس كأنهم اولاد انفسهم بحسب مايصنعون ويعدونه حسناً، وقدر كل امرىء مايحسن، ای قدره مايجعله حسنا وليس ذلك الا فضيلة

۱ـ وقيل: انه ليس بغير البصرة منهم احد «جش».

العلم، وقيمته فى الواقع بحسب همته وحاله مايعده كمالا وفضيلة.

وقوله عليه السلام: فتكلموا فى العلم تبين اقداركم، اى لما ظهر ان ذم الذامين لاينقص من قدر احدكم ولامدح المادحين يزيد فى قدره، وظهر ايضاً ان لاشرف الا بالعلم، فان اردتم ان يتبين اقداركم فتكلموا فى العلم ان كنتم من اهله، اذلامنقبة ولا فضيلة فوقه وليس يمكن لاحد انكارفضله وشرفه، و ان لم تكونوا من اهله فالسكوت اولى بالجاهل، اذ لا منقصة فوق الجهل وكل عيب وآفة يرجع اليه.

الحديث الخامس عشر
و هوالثامن و الثلاثون و المائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الوشاء عن ابان بن عثمان، عن عبدالله بن سليمان» الصيرفى مولى كوفى، روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام له اصل عنه جعفر بن على كما فى النجاشى وقيل لعله عبدالله بن سليمان العبسى الكوفى يعرف بالصيرفى. «قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول و عنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى وهو يقول: ان الحسن البصرى يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذى ريح بطونهم اهل النار، فقال ابوجعفر عليه السلام: فهلك اذن مؤمن الفرعون، مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً، فليذهب الحسن يمينا و شمالا، فوالله مايوجد العلم الاههنا».

الشرح

اعلم ان من ليس له قدم راسخ فى فقه الانوار و اخذ العلوم من منابعها الالهية ويريد ان يأخذ علمه من ظواهر الاحاديث او اخبار الرجال فالغالب عليه فى اكثر الامر الخبط و الخطاء والزلل و العمى ويقع عليه امور متناقضة لايمكنه التفصى عنها.

فكل من سلك سبيل الظاهريين و الفقهاء المترسمين اذا نظر الى ظاهر الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه واله مثل مابلغ الى الحسن، وكما روى عنه صلى الله

علیه واله: من علم علما فکتمه الجمه یوم القیامة بلجام من النار، ونحو ذلك ذهب الی ظاهره و اعتقده کذلك، و ربما اغتربان لاعلم الامابلغه من المنقولات وما قرع سمعه و وصل الیه فهمه وعقله، ولم یدرانه لیس المراد بالنهی عن الکتمان فی کل علم وفی کل زمان وبالقیاس الی کل متعلم.

کیف ولوحمل الحدیث علی ظاهر عمومه وحکم علی طبقه لناقض احادیث اخری وردت فی خلافه فتناقضت احادیث من لاینطق عن الهوی ان هو الاوحی یوحی.

وقدروی عنه صلی الله واله: لاتؤتوا الحکمة غیر اهلها فتظلموها، وروی ایضاً عنه صلی الله علیه واله: لاتعلقوا الجواهر فی اعناق الخنازیر، وعنه صلی الله علیه واله: نحن معاشر الانبیاء امرنا ان ننزل الناس منازلهم فنکلم الناس علی قدرعقولهم، وعنه صلی الله علیه واله: ما احد یحدث قوماً بحدیث لایبلغه عقولهم الاکان فتنة علی بعضهم وعن امیرالمؤمنین علیه السلام: ان هاهنا لعلوماً جمة لووجدت حملة[1]، وعن علی بن الحسین علیهما السلام ابیات مشهورة فی کتمان علمه اولها:

انی لاکتم من علمی جواهره کیلایری الحق ذوجهل فیفتتنا

و امثال ذلك فی طریق الخاصة والعامة کثیرة و قدمر الکلام فی هذا الباب مستقصی.

و ایضاً قد لزم هذا الرجل من اهل الظاهر ـ وهم الحشویة و الحنابلة و کل من یجری مجراهم من اصحاب الحدیث و ارباب الروایة دون الدرایة ـ ان یکون مؤمن ال فرعون ومثله من یکتم ایمانه من الهالکین الذین یؤذی ریح بطونهم اهل النار و من الذین یلجمهم الله بلجام من النار، لان حقیقة الایمان لیست الاباباً من العلم، بل عمدة ابواب العلم هی الایمان بالله و ملائکته و کتبه و رسله، و اللازم باطل بالاتفاق فکذا الملزوم.

و اما قوله علیه السلام: فلیذهب الحسن یمیناً وشمالا... الی اخره، فالمرادان الحسن و امثاله من الوعاظ و الحکویین و اصحاب النقول و الروایات ممن سماهم

۱ـ لعلماً جما لو اصبت له حملة «نهج».

اشباه الناس علماء لكثرة محفوظاتهم و وفور رواياتهم، سيما اذا انضم اليها ما فی مقدرتهم من تحسين الكلام و ترويج المعنی[1] وتبليغ العبارات و الاستعارات، كثيراً مايغترون بعلمهم وحالهم ويزعمون ان لاعلم الاما وصل اليهم بالنقل عن الصحابة و التابعين وليس سوى ذلك علم من علوم الدين، بل لايكون ماسواه الامن بدع المبتدعين وضلالات المتفلسفين، وهذا سفه وغرور اغتر به اكثر علماء الرسوم ووقعوا بهذا الحبل فی مهوى المعطلين ومهبط الجاحدين ومثوى المتكبرين.

فنبه عليه السلام امثاله بان الذهاب يميناً و شمالا و الخروج الی البلدان و الاطراف لطلب الحديث وتحرى الاسانيد العالية و جمع الروايات الكثيرة و رؤية الشيوخ ممالافائدة فيها الامجرد تحمل الفاظ الاخبار كحملة الاسفار، وليس فی ذلك من النفع ازيد من وجدان نسخة صحيحة، فيكون غاية هذا السعی يميناً وشمالا وثمرة هذا التطواف فی الاطراف و التدوار فی الاقطار حصول كتاب لاحصول علم الكتاب.

و اما الكتاب فلايحصل الامن عندالله العزيز الوهاب اوعند من اخذ من لدنه علماً من اوليائه الذين عندهم علم الكتاب، فان الذين اوتوا الكتاب ليسوا كالذين اوتوا العلم، يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ۱۱)، ومن يؤت الحكمة فقد اوتی خيرا كثيراً (البقرة ـ ۲۶۹).

باب رواية الكتب[2] وفضل الكتابة و التمسك بالكتب

وهو الباب الثامن عشر من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة عشر حديثا:

الحديث الاول

وهو التاسع والثلاثون والمائة

«علی بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابی عمير عن منصور بن يونس» بزرج بضم الباء المنقطة تحتها نقطة وضم الزای واسكان الراء والجيم اخيراً ابو يحيى و قيل

۱ـ القول. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

۲ـ الكتب والحديث (الكافی).

ابوسعيد[1] من اصحاب الكاظم عليه السلام، قال الشيخ: انه واقفي وقال النجاشي: انه ثقة روى عن ابي عبدالله عليه السلام[2]، و الوجه عندي التوقف فيما يرويه و الرد لقوله لوصف الشيخ له بالوقف.

وقال الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى، عن محمدبن الاصبغ عن ابراهيم، عن عثمان بن القاسم بن منصور بن يونس بزرج جحد النص على الرضا عليه السلام لاموال كانت في يده. «عن ابي بصير قال قلت لابي عبدالله عليه السلام قول الله جل ثناؤه: الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (الزمر ـ ۱۸)، قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لايزيد فيه ولاينقص.

الشرح

هذه الذي ذكره عليه السلام احد وجوه معاني هذه الاية وليس اذا اخذ معنى من اية يكون شرطه ان لايكون لها معنى سواه، نعم! يجب ان لايكون لها معنى يضاده اويناقضه، والاقرب اية يكون لهامعان كثيرة غير محصورة كلها صحيحة حسب درجات الافهام.

قال بعض العلماء: لكل اية ستون الف فهم ومابقي من فهمها اكثر، وقال اخر: القران نحو من سبعة وسبعين الف الف علم ومأتي علم و قال ابن مسعود: من اراد علم الاولين فليثور[3] القران.

الحديث الثاني
و هوالاربعون و المائة

«محمدبن يحيى عن محمدبن الحسين، عن ابن ابي عمير، عن ابن اذينة عن

۱ـ كوفي «جش».

۲ـ روى عن ابي عبدالله و ابي الحسن عليهما السلام «جش».

۳ـ اي يبحث عن علمه و يفكر في معانيه و تفسيره و قرائته.

محمدبن مسلم قال قلت لابی‌عبدالله علیه‌السلام اسمع الحدیث منك فازید و انقص قال ان کنت ترید معانیه فلابأس».

الشرح

انما وقع التقیید بهذا الشرط فی‌عدم البأس، اذ ربما کان لخصوصیة اللفظ مدخل فی‌المقصود من روایة الحدیث، فعند تبدیله بلفظ اخر ربما فات‌المقصود او حصل الالتباس.

و اعلم انه قد وقع الاختلاف فی‌جواز نقل‌الحدیث بالمعنی، و النزاع فیمن هوعارف بمواقع الفاظ، و اما غیره فلایجوز منه اتفاقاً، و المختار جوازه‌کما یستفاد من هذا الحدیث و الذی یتلوه، مع ان الاولی نقله بصورته مهاامکن.

وقیل: انما یجوز بلفظ مرادف ای بتبدیل لفظه بما یرادفها.

و روی عن ابن سیرین و ابی‌بکر الرازی منعه و وجوب نقله بصورته.

وروی عن بعض‌ائمة العامة انه‌کان یشدد فی‌الباء والتاء مثل بالله تالله فلایجوز احدهما مکان الاخر مع ترادفهما وتوازنهما، ولك ان تستدل علی‌الجواز بوجوه:

الاول: بانا نقطع انهم نقلوا عنه صلی‌الله علیه واله احادیث فی وقائع متحدة بالفاظ مختلفة، و الذی قاله صلی‌الله علیه واله واحد قطعاً والبواقی‌نقل بالمعنی وتکرر ذلك وشاع و ذاع ولم ینکره احد، فذلك یدل علی‌جوازه قطعا.

والثانی‌انه روی عن‌ابن‌عباس وغیره انهم قالوا قال‌رسول‌الله صلی‌الله علیه واله کذا او نحوه، و ذلك تصریح بعدم تذکر اللفظ بعینه و ان المروی هوالمعنی فکان جائزاً، و الالوقع الانکار علی ذلك لکثرة وقوعه عنهم شائعاً ذائعاً.

والثالث انه اجمع علی‌جوازتفسیره بالعجمیة، فتفسیره بالعربیة اولی‌بالجواز، لانه اقرب نظماً و اوفی بمقصود تلك اللغة من لغة اخری.

و الرابع انانعلم ان المقصود فی‌الحدیث و التخاطب انما هوالمعنی ولاعبرة باللفظ.

فان قلت: تجويز ذلك يؤدى الى الاخلال بمقصود الحديث، قانا نجزم باختلاف العلماء فى معانى الالفاظ و تفاوت افهامهم فى التنبه على المعانى، فربما يتنبه بعضهم على مالايتنبه الاخر، فاذا قدر النقل بالمعنى مرتين وثلثا و وقع فى كل مرة ادنى تغير، حصل بالتكرار تغير كثير و انهدام المقصود بالكلية.

فالجواب: ان فرض تغير ما فى كل مرة مما لايتصور فى محل النزاع، فان الكلام فيمن نقل بالمعنى سواء من غير تغير فيه اصلا، والا لم يجز بالاتفاق.

واستدل ايضاً النافى لنقل الحديث بالمعنى بانه قال صلى الله عليه واله: نضر الله امرىء سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها.

الجواب : ان ذلك لايدل على مطلوبكم، فانه دعا لمن نقلها بصورته لانه اولى ولم يمنع فيه النقل بالمعنى، بل يمكن ان يقال ايضا بالموجب، فان من نقل المعنى اداه كماسمعه ولذلك يقول المترجم: اديته كما سمعته.

الحديث الثالث
وهو الواحد والاربعون والمائة

«وعنه عن محمد بن الحسين عن ابن سنان، عن داود بن فرقد قال قلت لابى عبدالله عليه السلام: انى اسمع الكلام منك فاريد ان ارويه كما سمعته منك فلايجىء، قال: فتتعمد ذلك؟ قال: لا، فقال: تريد المعانى؟ قلت: نعم، قال: لابأس».

الحديث الرابع
و هو الثانى و الاربعون و المائة

«وعنه عن احمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد، عن على بن ابى حمزة، عن ابى بصير قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: الحديث اسمعه منك ارويه عن ابيك او اسمعه من ابيك ارويه عنك، قال: سواء الا انك تروى[1] عن

١ـ ترويه (الكافى).

ابی احب الی، وقال ابوعبدالله علیه السلام لجمیل: ماسمعت منی فاروه عن ابی».

الشرح

اما قوله علیه السلام: سواء، فالوجه فیه ان علومهم کلها من معدن واحد وعین واحدة کما ان ذواتهم علیهم السلام من نور واحدة.

واما قوله علیه السلام: تروی عن ابی احب الی، فلعل الوجه فیه ان علو السند وقرب الاسناد من الرسول صلی الله علیه واله مماله رجحان عندالناس فی قبول الروایة وخصوصاً فیما یختلف فیه من الامة من الاحکام.

وفیه وجه اخروهو: ان من الواقفیة من توقف علی الاب فلایکون قول الابن حجة علیه فیما یناقض رأیه بخلاف العکس، اذالقائل بامامة الابن قائل بامامة الاب دون العکس کلیا.

الحدیث الخامس
وهوالثالث والاربعون والمائة

«وعنه عن احمدبن محمد، ومحمدبن الحسین عن ابی محبوب، عن عبدالله بن سنان قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: یجیئنی القوم فیسمعون[1] منی حدیثکم فاضجر ولااقوی؟ قال: فاقرأ من اوله حدیثا ومن وسطه حدیثاً و من اخره حدیثا».

الشرح

الضجر القلق من الغم وضیق نفس مع کلام، وقد ضجر من کذا وتضجر منه فهو ضجر وضجور و اضجرنی فهو مضجر.

غرضه الاستعلام عن الحکم فیما یعرضه شیئا من العجز و الضعف عند قرائة الحدیث علی قومه و اهل مذهبه، فاجازه علیه السلام و رخصه ان یقرأ بعض الحدیث

١ـ فیستمعون (الکافی).

اذا كان طويلا على هذه الكيفية، وهى ان يقرأ عليهم من اوله حديثا اى كلاما مفيداً بالاستقلال، وكذا من وسطه و اخره، و هذا اذ اشتمل الحديث الواحد على احكام و جمل متعددة فلاشبهة فى صحته، اى صحة الاقتصار على البعض فى القرائة و الرواية اذا لم يكن متعلقا بالباقى.

ونقل العلامة الحلى طاب ثراه الاتفاق[1] على ذلك كقول النبى صلى الله عليه واله: من فرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته، ومن ستر على اخيه، ستر الله عليه فى الدنيا والاخرة والله تعالى فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه.

فهذا حديث واحد مشتمل على جمل اربع كل منها بانفراده كلام مستقل فى الحكم الذى فيه يجوز الاقتصار على نقله وعده حديثا ولاينافى ذلك كونه جزء حديث اخر مشتمل عليه وعلى غيره.

واما امره عليه السلام بقرائته حديثا من اوله وحديثا من وسطه وحديثا من اخره فهو امر استحسان لا امر حتم، ولعل وجه حسنه: ان الجمل المتقاربة تكون فى اكثر الامر من نوع واحد فليست الفائدة فيها كما التى يكون فى الجمل المتباعدة، اذ الكلام فيها انتقل من نوع الى نوع يباينه فالفائدة فيها لامحالة اكثر لاحتوائها على فنون مختلفة من الاحكام كل منها نوع اخر برأسه، و اما اجزاء الحديث الواحد التى يرتبط بعضها ببعض فلايجوز الاقتصار على نقل البعض كالاقتصار على قوله صلى الله عليه واله: من نزل على قوم فلا يصوم من تطوعاً ، من دون ان يضيف اليه الا باذنهم، و كالاقتصار على قوله صلى الله عليه واله : لاسبق الافى نصل، من دون ان يضاف اليه اوخف اوحافر.

الحديث السادس
و هو الرابع والاربعون والمائة

«عنه باسناده عن احمد بن عمر الحلال» بالحاء غير المعجمة و اللام المشددة

١ــ الاجماع. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

كان يبيع الحل وهو الشيرج[١]، ثقة، قاله الشيخ رحمه الله وقال: انه كان ردىء الاصل فعندى فى قبول روايته لقوله هذا، وكان كوفيا انماطيا من اصحاب الرضا عليه السلام «صه» و يرد عليه ان ردائة الاصل لايدفع صحة روايته وقبولها مع ثبوت ثقته.

قال زين المجتهدين رحمه الله فى الحاشية: ما ذكره وجهاً للتوقف غير جيد بعد شهادة الشيخ له بالتوثيق، لان ردائة الاصل لاتنا فى الثقة، وابن داود ضبطه بالخاء المعجمة و ذكر ان الحلال بالحاء المهلة، رجل اخر لم يروعن الائمة، نقل ذلك عن الشيخ الطوسى رحمه الله فى رجاله، انتهى كلام المحشى.

وقال النجاشى: روى عن الرضا عليه السلام وله عنه مسائل، عنه عبدالله بن محمد، وفى الفهرست: روى عنه محمد بن على الكوفى. «قال قلت لابى الحسن الرضا عليه السلام: الرجل من اصحابنا يعطينى الكتاب ولايقول: اروه عنى، يجوز لى ان ارويه عنه؟ قال: فقال: اذا علمت ان الكتاب له فاروه عنه».

الشرح

معناه واضح وهذا الذى اجازه عليه السلام يقال له المناولة فى عرف المحدثين، وهى احد وجوه تحمل الحديث و روايته من الوجوه الستة المقررة فى الاصول: اعنى السماع من الشيخ و القرائة عليه و السماع حال قرائة الغير عليه و اجازة الشيخ له ان يروى عنه، ومناولته اياه كتاباً يروى عنه ما فيه او كتابته اليه بما يرويه عنه.

و هذه الستة متفاوتة المراتب: فالاول هو قرائة الشيخ عليه اعلى المراتب على الاصح دون قرائته على الشيخ و تصديقه، واما قرائته على الشيخ من غير ان ينكر الشيخ عليه ولاوجود امر يوجب السكوت عنه من اكراه او تقية اوذهول اوغيرها من الامور المفروضة المانعة عن الانكار، فقد اختلف فى انه هل يعمل به ام لا؟ فمنعه بعض الظاهرية و الصحيح انه معمول، لانه يفهم عرفاً تقريره و انه تصديق و لان فى سكوته ايهام الصحة و ذلك بعيد من العدل عند عدم الصحة، و اما قرائة غيره على الشيخ بحضوره

١ــ وهو دهن السمسم.

بالشروط المذكورة فهو كقرائته عليه.

و اما الاجازة وهو ان يقول اجزت لك ان تروى عنى كذا او ماصح عندك انه من مسموعـاتى اولك ولغيرك فلان وفلان الموجودين، فالاكثر على جوازها وقدمنع بعض الروايه بالاجازة كابى حنيفة و ابى يوسف.

واما الاجازة لجميع الامة الموجودين لالقوم معينين: فالظاهر الحاقها بالاجازة للموجودين المعينين، اذ العام بمثابة تعداد الافراد ولافرق بينهما الا بالاختصار والتطويل، ولامدخل لاختلاف العبارة فى مثل هذا المقام.

واما الاجازة فى نسل فلان، اومن يوجد فى بنى فلان: ففى صحتها خلاف واضح وهو اولى بالمنع مماقبله، فان اجازة غير الموجود ابعد من الموجود غير المعين والمختار صحتها، فان العدالة شرط فى الرواية، و الظاهـر ان العدل لايروى الا بعد العلم او الظن بروايته و عدالته، وقد اذن له فوجب ان يصح كغيره.

و ايضاً فان النبى صلى الله عليه واله كان يـرسل كتبه مع الاحاد، ولم يعلموا ما فيها ليعمل مـن رآها بموجبها و مـا ذلك الا الاجازة ، و اما المناولة و الكتابة فمثل الاجازة دليلا.

الحديث السابع
و هو الخامس و الاربعون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، وعن احمد بن محمد بن خالد عن النوفلى، عن السكونى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: اذا حدثتم بحديث فاسندوه الى الذى حدثكم، فان كان حقاً فلكم و ان كان كذبا فعليه».

الحديث الثامن
و هو السادس و الاربعون و المائة

«على بن محمد بن عبدالله، عن احمد بن محمد عن ابى ايوب المدنى» هذا الاسم مشترك

بين رجلين: احدهما الانبارى المدنى تحول الى بغداد له كتاب روى عنه احمد بن ابى عبدالله كما فى الفهرست و النجاشى. و الثانى المدنى روى عنه على بن ماجيلويه[1] بكتابه قاله النجاشى. «عن ابن ابى عمير عن حسين الاحمسى» هو ابن عثمان الثقة روى عنه ابن ابى عمير. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: القلب يتكل على الكتابة».

الشرح

الاتكال الاعتماد وتتكل عليه اى تعتمد عليه، و فيه دليل صحة العمل بالكتابة سواء كتبها هو اوغيره ممن يعتمد عليه ويثق بعدالته، ولايشترط فى الاول كونه عدلا اذ كل احد عالم بحال نفسه فى صدقه و كذبه، فاذا علم من نفسه انه الذى كتب هذه الكتابة و اعتقد مدلولها فله ان يعمل بها.

وهل يشترط فى العمل بمكتوبه كونه ضابطاً اى لايكون سهوه اكثر من ذكره ولا مساوياً له؟ فالظاهر اشتراطه، اذ ربما يسهو عن كون مكتوبه غير صحيح فيزعمه صحيحاً، وكذلك الحال عند كونه عدلا، الا ان يعلم من نفسه انه لم يكتب الاصحيحاً اذكان وقت الكتابة ايضاً عدلا.

الحديث التاسع
و هو السابع و الاربعون والمائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن عاصم بن حميد» بضم الحاء الحناط بالنون، الحنفى، ابو الفضل كوفى ثقة عين صدوق، روى عن ابى عبدالله عليه السلام «صه» وفى الكشى: الكوفى الحنفى مولاهم من اصحاب الصادق عليه السلام مولى بنى حنيفة مات بالكوفة، فى النجاشى: له كتاب روى عنه محمد بن عبدالحميد، وفى الفهرست: والسندى بن محمد بن عبدالرحمن ابى نجران. «عن ابى بصير قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: اكتبوا فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا».

١ــ عنه على بن محمد ماجيلويه بكتابه، وكأنه الانبارى «جامع الرواة».

الشرح

معناه واضح، ای اکتبوا ماسمعتم من الاحادیث، فانکم لستم ممن لاتنسی ولا تسهو فلم یبق ماسمعتم محفوظا لکم حتی تکتبوا، فاذا کتبتموه یبقی محفوظاً والا فیمکن زواله.

الحدیث العاشر
وهو الثامن و الاربعون والمائة

«محمدبن یحیی عن احمدبن محمدبن عیسی، عن الحسن بن علی الفضال عن ابن بکیر، عن عبیدبن زرارة» ابن اعین الشیبانی، روی عن ابی عبدالله علیه السلام ثقة ثقة عین، لالبس فیه ولاشك وکان احول «صه» فی النجاشی: له کتاب یرویه جماعة منهم حمادبن عثمان. «قال: قال ابوعبدالله علیه السلام: احفظوا بکتبکم فانکم سوف تحتاجون الیها».

الحدیث الحادی عشر
و هو التاسع و الاربعون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد البرقی، عن بعض اصحابه عن ابی سعید الخیبری» مجهول «عن المفضل بن عمر قال: قال لی ابوعبدالله علیه السلام: اکتب وبث علمك فی اخوانك، فان مت فاورث کتبك بنیك، فانه یأتی علی الناس زمان هرج لایأنسون فیه الابکتبهم».

الشرح

بث الخبر وابثه ای نشره، و الهرج الفتنة و الاختلاط، وقدهرج الناس یهرجون اذا اختلطوا و قد تکرر فی الحدیث، و اصل الهرج الکثرة فی الشیء و الاتساع.

امر علیه السلام بکتابة العلم وبنشره فی الاخوان، ویحتمل ان یکون المراد:

كتب علمك ليكون مبثوثا فـي اخوانك بواسطة الكتاب، فيكون الثانى فـائدة الاول لامطلوبا برأسه.

وقوله: فانمت فاورث كتبك بنيك، اى اوص عند مشارفة الموت ابنائك بكتبك لتبقى الكتب عليهم محفوظة.

وقوله عليه السلام: يأتى على الناس... الى اخره، تعليل للامر بصيانة الكتب و ابقائها على الاولاد بمجيء زمان هرج على الناس لايأنسون الا بكتبهم لفقدهم اهل العلم ومن يؤنس به لتسلط امراء الجور وتشبه الجهلة و الارذال بصورة العلماء و الاكياس فى الزى و اللباس، وهذا هو معنى الهرج ههنا.

وقد يتحقق مع كون الزمان معموراً و الناس مع سعة وخصب وعيش و دعة، لكن من جهة كونهم حيوانا ذا حس وحركة وشهوة و ارادة لامن جهة كـونهم انساناً ذا فكر وعقل و ايمان وحكمة، فـالهرج والفتنة مـن جهة لاينافى الامن و السلامة من جهة اخرى.

الحديث الثانى عشر
و هو الخمسون و المائة

«وبهذا الاسناد عن محمد بن على رفعه قال: قال ابـو عبدالله عليه السلام: اياكم والكذب المفترع، قيل: وما الكذب المفترع؟ قال: ان يحدثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذى حدثك عنه.

الشرح

هذا ضرب من الكذب، و هو ان يسند الراوى حديثه الـذى سمعه من رجل لا الـى ذلك الرجل، بل الى من روى عنه ليوهـم علو السند، كما اذا حدثه ابن عباس بحديث عن رسول الله صلى الله عليه واله فاذا اراد ان يروى الحديث يقول: قال رسول الله صلى الله عليه واله كذا، فيتوهم انه سمع الحديث منه صلى الله عليه واله، ولم يسمع منه،

فيكون مدلساً كاذبا فى هذا الايهام.

و اما اذا قال عند الرواية: حدثنى رسول الله صلى الله عليه واله او اخبرنى او سمعت منه فذلك كذب صريح، و كذا اذا اجازه الشيخ وقال: اجزت لك ان تروى عنى كذا اوماصح عندك انه من مسموعاتى او مقرواتى، فينبغى ان لايقول عند الرواية حدثنى فلان و اخبرنى مطلقا، بل ولامقيدا ايضاً بان يقول حدثنى اجازة، اذلم يحدثه، ولكن يقول اجازنى، ويجوز ايضاً ان يقول انبأنى بالاتفاق لانه يقال فى مثله عرفاً انبائه و ان كان هو الاخبار لغة، ويقال للاعلام و الايذان: انباء، كما قال الشاعر:

زعم الغراب منبىء الانباء و بذاك نبأنى الغراب الاسود[1]

ويقال: هذا الفعل ينبىء عن العداوة او المحبة، وقيل: ينبئك العينان بماهو كاتمه، و اما تسمية ذلك بالكذب المفترع، فلعله مأخوذ من الفرع بمعنى العلو.

قال ابن اثير فى النهاية: وفرع كل شىء اعلاه، ومنه حديث قيام رمضان: فما كنا ننصرف الا مع[2] فروع الفجر.

وفى حديث على عليه السلام ان لهم فراعها[3]، الفراع ما علا من الارض وارتفع، فكأن هذا المحدث يريد ان يجعل حديثه مفترعا، اى مرتفعاً بهذه الحيلة.

الحديث الثالث عشر
و هو الواحد والخمسون والمائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن عيسى، عن احمد بن محمد بن ابى نصر، عن جميل بن دراج قال قال ابو عبدالله عليه السلام: اعربوا حديثنا فانا قوم فصحاء».

١ــ وكل واحد من هذا المصراعين يكون جزء من بيت على حده ولايكون احدهما منتقلا بالاخر، والمقصود ان لفظ الانباء فى كل من المصراعين يستعمل بمعنى الايذان والاعلام، فلاتغفل.

٢ــ فى «النهاية».

٣ــ ومنه حديث ابن ذى المشعار: على ان لهم فراعها «النهاية».

الشرح

الاعراب فی اللغة الایضاح یقال اعربه ای اوضحه، وفی عرف النحاة الحرکة او الحرف التی یختلف اخر المعرب اسماً کان اوفعلابها، و انما سمیت تلك الحرکة او الحرف اعراباً اذبها یوضح المعانی المتواردة علی کلمة واحدة و یتمیز بعضها عن بعض فلایشتبه، کالفاعلیة والمفعولیة وغیرهما، ویحتمل احتمالا بعیداً ان یکون مأخوذاً من عربت معدته بالکسر عرباً، ای فسدت علی ان یکون الهمزة للسلب، فیکون بمعنی ازالة الفساد سمی به اخر المعرب لانه یزیل فساد التباس المعانی بعضها ببعض، و الفصیح فی اللغة المنطلق اللسان فی القول الذی یعرف جید الکلام من ردیئه، یقال: رجل فصیح ولسان فصیح وقدفصح فصاحة وافصح عن الشیء افصاحاً اذا بینه وکشفه، وکل ناطق فصیح ولاینطق فهو اعجم، وفلان تفصح فی کلامه و تفاصح تکلف الفصاحة.

فقوله: اعربوا حدیثنا، ای لاتلحنوا فی اعراب الکلمات، واعطوا الکلمة اعرابها فانا قوم فصحاء وکلامنا فصیح، فاذا الحنتم فیه او اهملتم فی اعرابه، اختلت فصاحته وفات المقصود من رعایته فیکون ظلماً فیه وتفویتا لحقه.

الحدیث الرابع عشر
و هوالثانی و الخمسون و المائة

«علی بن محمد عن سهل بن زیاد، عن احمد بن محمد عن عمر بن عبدالعزیز» ابوحفض بن بشار[1] المعروف بالزحل بالزای و الحاء المهملة، و قال الکشی: و قال محمد بن مسعود: حدثنی عبدالله بن حمدویه البیهقی، قال: سمعت الفضل بن شاذان یقول: زحل ابوحفض یروی المناکیر ولیس بغال، وقال النجاشی: انه عربی بصری مخلط له کتاب روی عنه محمد بن عیسی[2]. «عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان و غیره قالوا: سمعنا ابا عبدالله علیه السلام یقول: حدیثی حدیث ابی و حدیث ابی

١ــ عمر بن عبدالعزیز بن ابی بشار «کش»

٢ــ عنه احمد بن محمد بن عیسی «جش».

حديث جدى وحديث جدى حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث امير المؤمنين وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه واله و حديث رسول الله صلى الله عليه واله قول الله عزوجل».

الشرح

ليس المراد بهذا الاتحاد، ان حديث كل من الائمة عليهم السلام حديث من سبقه من حيث جوهر اللفظ وخصوصيته مثلا اونوعاً، بل من جهة العلم المندرج فيه، فان علومهم كلهم لدنية مأخوذ من عندالله ـ وسيأتى تحقيق هذا المقام فى مستأنف الكلام عند بيان: كونهم عليهم السلام مكلمين محدثين ـ والله ولى الفضل والانعام.

الحديث الخامس عشر
و هوالثالث و الخمسون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن محمد بن الحسن بن ابى خالد شينولة» مجهول «قال: قلت لابى جعفر الثانى عليه السلام: جعلت فداك، ان مشايخنا رووا عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام وكانت التقية شديدة، فكتموا كتبهم فلم تروعنهم فلما ماتوا صارت الكتب الينا، فقال: حدثوا بها فانها حق».

الشرح

معناه واضح وفيه ايضا دليل على صحة الاعتماد على الكتب و العمل بما فيها من الاحكام ان كانت صحيحة[1].

١ـ قال استاذنا الشعرانى تغمده الله برحمته الربانى فى حواشيه على كتاب الوافى بهذه العبارة: ربما يظن من هذه الاحاديث انه يجوز العمل بالاخبار المدونة فى كتب الاحاديث و نقلها مطلقا و هو خلاف الاجماع، و مجمل البيان هنا ان الكتاب اما متواتر نظير الكافى والتهذيب، لان النسخ الموجودة فى كل زمان من عهد مؤلفهما الى الان كانت←

باب التقليد

و هو الباب التاسع عشر من كتاب العقل و العلم وفيه ثلاثة احاديث :

الحديث الاول
و هو الرابع و الخمسون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن عبدالله‌بن يحيى» يحتمل ان يكون الكاهلى ابومحمد اخو اسحق رويا عن ابى‌عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام، وكان عبدالله وجيهاً عند ابى‌الحسن عليه‌السلام و وصى به‌على‌بن يقطين‌فقال‌له: اضمن لى الكاهلى و عياله اضمن لك الجنة ، فلم يزل على‌بن يقطين يجرى لهم الطعام والدراهم والنفقات حتى مات الكاهلى، ولم اجد ماينافى مدحه «صه» و فى النجاشى والفهرست: له‌كتاب روى عنه احمدبن محمدبن ابى‌نصر و ابن ابى‌عمير. «عن ابن مسكان عن ابى‌بصير عن‌ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قلت‌له: اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون‌الله (التوبة ـ ٣١) ، فقال : اما والله مادعوهم الى عبادة انفسهم، ولو

←فى‌الكثرة بحيث لايتجرء على دس فيها او نقص وتصحيف، وكانت بحيث لوغير شىء منها لعلم بمقابلة سائر النسخ، و كانت العناية شديدة بنقلها و ضبطها، فمثل هذه الكتب متواترة الا فى كلمات قليلة يختلف النسخ فيها ولايحتاج فيها الى‌اتصال الاسناد بيننا وبين‌مؤلفيهما الا تيمناً وتبركا، واما غير المتواتر نظير بعض‌النسخ القديمة التى قد يوجد فى المكتبات مثل‌كتاب سليم‌بن قيس و اصل زيد الزراد وكتاب تحف العقول والاشعثيات، فان علم بالقرائن انها بخط‌المصنف او قرأت عليه بالوسائط، جازالعمل بماكان منها جامعا لشرائط العمل، ولايجوز الرواية عنه بلفظ اخبرنى و حدثنى، و يجوز بلفظ وجدت بخطه او فى كتابه، و يسمى هذا فى عرف المحدثين بالوجادة، وان لم يعلم يقيناً انه بخط مصنفه ولا قرأ عليه بل‌وجد نسخة مخطوطة منسوبة الى‌بعض‌الاصحاب فلايعتمد عليه قطعا ولا فى‌العمل ولا فى‌الرواية.

و قال قدس سره فى حواشيه على شرح اصول‌الكافى: و على هذا فاذا وجدنا حديثاً فى‌كتاب الكافى مثلا منقولا من‌كتاب سليم‌بن‌قيس ثم وجدنا ذلك الحديث بعينه فى اصل كتاب سليم بتغيير ما، فالاعتماد على‌الكافى لا على النسخة من‌كتاب سليم، لان الكافى متواتر محفوظ من‌التصحيف من عهد مؤلفه الى الان دون نسخة‌كتاب سليم. انتهى كلامه.

دعوهم ما اجابوهم، ولكن احلوالهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لايشعرون».

الشرح

يعنى ان ابابصير سأله(ع) عن معنى قوله تعالى: اتخذوا احبارهم... الاية فقال عليه السلام: معنى اتخاذهم احبارهم ورهبانهم: ان القوم اطاعوا علمائهم فى احكام تكليفية عليهم اخترعوها خلاف احكام الله تعالى عليهم، و من اطاع احداً فيما يأمره به خلاف ما امر الله تعالى له فقد اتخذه رباً وعبده من حيث لايشعر، فهم فى اتباعهم احبارهم و رهبانهم فيما احلوا من حرام و حرموا من حلال افتراء على الله، قد اتخذوهم اربابا وعبدوهم من حيث لايشعرون.

وكذلك حال المقلدين و الاتباع لغير من اخذ علمه من الله بنور الالهام من الاولياء الكاملين الذين كلامهم قول الله وحكمهم حكم الله.

الحديث الثانى
و هو الخامس و الخمسون و المائة

«على بن محمد عن سهل بن زياد، عن ابراهيم بن محمد الهمدانى» وكيل الناحية[1] كان حج اربعين حجة، و روى الكشى فى سند عن ابى محمد الرازى قال: كنت انا و احمد بن ابى عبدالله البرقى بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل فقال لنا العامل[2] ثقة، و ايوب بن نوح و ابراهيم بن محمد الهمدانى ابن حمزة و احمد بن اسحق ثقات

١ـ الناحية واحدة النواحى و هى الجانب، و منه ناحية المسجد و ناحية السلطان، وقد يعبر عن القائم عليه السلام، ومنه قول بعضهم: كان على للناحية خمس مائة دينار.

٢ـ فقال لنا الغائب العليل ثقة... الى اخره «كش» والمراد من الرجل ابومحمد الحسن العسكرى عليه السلام. و قال الشارح قدس سره فى الحاشية: و فى بعض النسخ: العامل، بدل العليل، وفى تعليقات الشهيد الثانى: بخط السيد جمال الدين طاووس: العليل، صريحا، وقال بعض الافاضل: المراد بالعليل على بن جعفر الهمانى كأنه كان عليلا.

جميعا «صه». «عن محمدبن ابى عبيد[١] قال: قال لى ابوالحسن عليه السلام: يامحمد انتم اشد تقليداً ام المرجئةقال: قلت: قلدنا وقلدوا، فقال(ع): لم اسألك عن هذا، فلم يكن عندى جواب اكثر من الجواب الاول فقال ابوالحسن عليه السلام: ان المرجئة نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه و انتم نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه، فهم اشد منكم تقليداً».

الشرح

الارجاء على معنيين: احدهما التأخير، قالوا ارجه و اخاه (الاعراف ـ ١١١) اى امهله[٢]، و الثانى اعطاء الرجاء، و المرجئة هم فرقة من فرق الاسلام يعتقدون ان لايضر مع الايمان معصية كمالا ينفع مع الكفر طاعة، و اما تسيمتهم باسم المرجئة باعتبار المعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية و الاعتقاد[٣]، و اما باعتبار المعنى الثانى فظاهر، فانهم كانوا يقولون: لايضر مع الايمان معصية كمالاينفع مع ضده ضده[٤].

وقيل: الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلايقضى عليهم[٥] بحكم ما فى الدنيا من كونه من اهل الجنة اومن اهل النار، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان.

وقيل: الارجاء تأخير على عليه السلام عن الدرجة الاولى الى الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان.

قال محمدبن عبدالكريم الشهرستانى فى كتاب الملل و النحل: المرجئة على

١ـ محمد بن عبيدة (الكافى).
٢ـ امهله و اخره «الملل والنحل».
٣ـ القصد «الملل والنحل»
٤ـ لاينفع مع الكفر طاعة «الملل».
٥ـ عليه «الملل».

اصناف اربعة: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة، ثم شرع في عد المرجئة الخالصة وعد اصنافها.

قال: ومن ذلك اليونسية اصحاب يونس النميري[١] زعموا ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك الاستكبار عليه و المحبة بالقلب، فمن اجتمعت له[٢] هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولايضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك.

قال: ومن ذلك العبيدية، حكى عنهم انهم قالوا: مادون الشرك مغفور لامحالة، و ان العبد اذا مات على توحيده لم يضره ما اقترف من المعاصي و الاثام و اجترح من السيئات. وقالوا ان علم الله لم يزل شيء غيره، و ان كلامه لم يزل شيء غيره، و كذلك[٣] دين الله لم يزل غيره[٤]، وزعموا ان الله على صورة انسان وحملوا عليه قوله صلى الله عليه واله: ان الله خلق ادم على صورة الرحمن.

ومنها الغسانية اصحاب غسان الكوفي ، زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى و رسوله والاقرار بما انزل الله[٥] مماجاء به الرسول صلى الله عليه واله في الجملة دون التفسير[٦].

فلو قال قائل: اعلم ان الله قد حرم اكل الخنزير ولا ادري هل الخنزير المحرم هذه[٧] الشاة ام غيرها كان مؤمنا، ولو قال اعلم: ان الله تعالى فرض الحج الى الكعبة غير اني لاادري اين الكعبة ولعلها كانت بالهند كان مؤمنا، ومقصوده ان هذه[٨] الاعتقادات

١ــ يونس بن السمرى «الملل»

٢ــ فيه «الملل».

٣ــ كذلك «الملل».

٤ــ شيء غيره «الملل»

٥ــ انزل الله به «الملل».

٦ــ التفصيل «الملل».

٧ــ هل الخنزير الذى حرمه هذه «الملل».

٨ــ ان امثال هذه «الملل»

امور وراء الايمان لانه كان شاكاً فى هذه الامور، ومن العجب ان غسان كان يحكى عن ابى حنيفة مثل مذهبه ويعده من المرجئة. انتهى كلام الشهرستانى.

و انما نقلنا كيفية مذهبهم و ارائهم الباطلة ليظهر اتم ظهور صدق كلامه عليه ـ السلام: ان المرجئة اشد تقليداً لائمتهم من الشيعة لائمتهم عليهم السلام، لانهم قلدوا من لم يفرض عليهم تقليده وقلدوه فى اعتقادات فاسدة، وانهم قلدوه على الجد من غير اهمال، بخلاف قوم لهم امام مفترض الطاعة يأمرهم باحكام يوافق احكام الله يجب تقليده فيها ثم لم يقلدوا احياناً، فاولئك اشد تقليداً من هؤلاء.

لكن السبب فى ذلك ان ائمة المرجئة يدعون الناس بالدعة و الراحة و ائمة الحق يدعونهم بالتكليف والمشقة، فتقليدهم اهون على طباع الناس، فلهذا كان مقلدوا ائمة الضلال اشد تقليداً من مقلدى ائمة الحق عليهم السلام.

الحديث الثالث
و هو السادس و الخمسون و المائة

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن[1] ربعى بن عبدالله، عن ابى بصير عن ابى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله، فقال: والله ماصاموا لهم ولاصلوا لهم ولكن احلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم».

الشرح

معناه كما مر و قوله عليه السلام: ماصاموا لهم ولاصلوا لهم، اى ماصاموا ولا صلوا قصداً لعبادتهم و عبوديتهم وطاعتهم، لكن اتبعوهم فى خلاف امر الله تعالى به واطاعوهم فى مالم يحكم به الله عزوجل، فهم قد عبدوا دون الله من حيث لايشعرون.

١ـ عن حماد بن عيسى عن ربعى... (الكافى).

باب البدع و الرأی و المقائيس

و هو الباب العشرون من كتاب العقل والعلم وفيه اثنا وعشرون حديثا:

الحديث الاول
و هو السابع و الخمسون و المائة

«الحسين بن محمد الاشعری عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی بن الوشاء وعدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد عن ابن فضال جميعا عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم عن ابی جعفر عليه السلام قال: خطب امير المؤمنين عليه السلام فقال: ايها الناس انما بدأ وقوع الفتن اهواء تتبع و احكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله، يتولى[1] فيها رجال رجالا، فلو ان الباطل خلص[2] لم يخف على ذی حجی، ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجی الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

الشرح

الفتن جمع الفتنة وهی فی الاصل الامتحان و الاختبار، ويستعمل بمعنى البلاء و المصيبة و بمعنى الضلال ايضا، وقد كثرت الاستعاذة من فتنة الدجال و فتنة القبر و فتنة المحيا والممات، والفاتن المضل وفتان بالفتح هو الشيطان، لانه يفتن الناس عن الدين وهو من ابنية المبالغة فی الفتنة وقوله تعالى: ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات (البروج - ۱۰)، قال الحسن: فتنوهم بالنار، ای امتحنوهم وعذبوهم.

و الاهواء جمع الهوى و هو مصدر هوى بالكسر يهوى اذا احب و اشتهاه، ثم سمی به المهوى المشتهى محموداً كان او مذموماً ثم غلب على غير المحمود فقيل:

---

۱ - و يتولى «نهج».

۲ - خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجوا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. «نهج»

فلان اتبع هواه اذا اريد بهذمه، وفى التنزيل: ولاتتبع ، الهوى (ص ـ٢٦)، ولاتتبعوا اهواء قوم(المائدة ـ ٧٧)، ومنه فلان من اهل الاهواء، وهومن زاغ عن الطريقة المثلى من اهل القبلة كالحشوية و الجبرية و النواصب و الغلاة و غيرها ، و المراد ههنا من الاهواء الاراء الزائغة.

و البدعة الحدث فى الدين بعد الاكمال، هى اسم من ابتدع الامر اذا ابتدأه و احدثه كالرفعة من الارتفاع ثم غلبت على ماهو زيادة فى الدين او نقصان منه، و اكثر مايستعمل المبتدع فى العرف فى الذم، ومنه كل محدثة بدعة اى ماخالف اصول الشريعة ولايوافق السنة.

و التولى من الولى و هو القرب والدنو، وتولى عنه اى اعرض عنه وتولاه اى تبعه واحبه، والحجى العقل وفلان ذى حجى وحجى بذلك، والضغث قبضة من الحشيش والشماريخ[1] وفى التنزيل: خذبيدك ضغثا (ص ـ٤٤)، قيل انه كان حزمة[2] من الاسل و هو[3] نبات له اغصان دقاق و لاورق لها؛ والحوذ السوق السريع وقدحذت الابل احوذها حوذاً و استحوذ عليه الشيطان غلب.

ذكر عليه السلام اولا ان مبدأ كل فتنة وقعت فى الاسلام اوفى سائر الاديان هوى متبع و بدعة يخالف فيها كتاب الله وسنة نبيه يتبع فيها جماعة من الجهال رجلا او رجالا، وذلك لان المقصود من بعثة الرسل و وضع الشرائع انماهو نظام احوال الخلق فى امر معاشهم ومعادهم، فكان كل رأى ابتدع اوهوى اتبع خارجاً عن كتاب الله وسنة رسوله سبباً لوقوع الفتنة وتفرق النظام فى هذا العالم، وذلك كاهواء البغاة و الخوارج ونحوها.

ثم بين ان كل باطل وكذب مالم يكن فيه شبه حق وصدق لم يقبله ذوعقل، كما

١ـ الشمروخ: ج ـ شماريخ: العذق عليه بسر اوعنب ـ غصن دقيق رخص ينبت فى اعلى الغصن الغليظ.

٢ـ الحزمة من الحطب و غيره.

٣ـ اى: الاسل.

ان كل مزيف كاسد مالم يكن مغشوشاً بنقد رائج لم يصر رائجا فى سوق ذوى الابصار، لان الباطل الصرف لاحظ له فى الوجود ولايقع فى توهم ذى حجى الا اذا اقترن بشبه الحق، ولاالكذب المحض مما يصدق به ذوعقل الا اذا امتزج بالصدق، فلوخلص الباطل عن لبس الحق لم يشتبه على عاقل، ولو تجرد الحق عن مخالطة الباطل اذعنه الكل ولم يوجد فيه اختلاف بين الناس ولم يكن للشيطان سبيل.

لكن الدنيا دار اشتباك بين النور و الظلمة و امتزاج بين الحق و الباطل، وكذا فى الاقوال والاراء من الاولياء والبعداء، فاذا اخذ من اقوال الانبياء و الاولياء الناهجين للهدى عليهم السلام ضغثاً، ومن اقوال البعداء المضلين المتبعين للهوى ضغثاً، فيتمزجان و يتشابكان فيجيئان معاً فعند ذلك يقع للشيطان بهواجسه و وساوسه فرصة ومجال، و يستحوذ على اوليائه بالاغواء و الاضلال فيقع فى شبكته ممن حق عليهم القول بانهم لايؤمنون وهم فى النار خالدون، ونجا الذين سبقت لهم العناية بالحسنى وهم عنها مبعدون.

الحديث الثانى
و هوالثامن والخمسون و المائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور العمى يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: اذا ظهرت البدع فى امتى فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

الشرح

هذا حديث متفق عليه ومعناه واضح.

الحديث الثالث
و هوالتاسع و الخمسون و المائة

«وبهذا الاسناد عن محمد بن جمهور رفعه قال: من اتى ذا بدعة فعظمه فانما

يسعى فى هدم الاسلام».

الشرح

لان الاسلام انما يقوم بالعقائد الحقة الثابتة فى نفوس المؤمنين العارفين بالله و اياته و احكامه، و الذى يقوله المبتدع من عند نفسه وهواه من العقائد الباطلة و الاراء الفاسدة التى يناقض عقائد الاسلام، و المناقض للشىء هادم له، فهذا المبتدع ببدعه و اهوائه يريدهدم قواعد الاسلام ونقض ابنية الدين المتين، فمن اتاه وعظمه و وقره فقد سعى فى خراب الدين وهدم الاسلام و ان لم يشعر بذلك لجهله بحقيقةالامر.

الحديث الرابع
و هوالستون و المائة

«وبهذا الاسناد عن محمدبن جمهور رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: ابى الله لصاحب البدعة بالتوبة، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: قد اشرب قلبه حبها».

الشرح

اشرب فى قلبه حب كذا بصيغة المجهول اى خالطه ومنه قوله تعالى: و اشربوا فى قلوبهم العجل (البقرة ـ ٩٣)، يعنى ان الله تعالى لايوفق صاحب البدعة للتوبة، ولماسأل صلى الله عليه واله عن كيفية ذلك ومنشأه قال: لان قلب المبتدع مما خالطه حب البدعة وزين الشيطان الاستبداد بالرأى فى نظره، سيما اذا اتبعه جمع و صدقوة ببدعته فلايمكنه الرجوع عنها و الانخراط فى سلك سائر الناس من احاد المسلمين، اذ لايبقى عند ذلك رئاسة و تميز عن الاشباه و الامثال ولاتفوق عليهم، وقد اعتاد بذلك فقد صعب عليه ترك البدعة، اذ العادة الراسخة طبيعة ثانية.

الحديث الخامس
و هو الواحد والستون والمائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد[1] عن الحسن بن محبوب، عن معوية بن وهب قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه واله: ان عند كل بدعة تكون من بعدى يكادبها الايمان ولياً من اهل بيتى موكلا به يذب عنه، ينطق بالهام من الله ويعلن به الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء، فاعتبروا يا اولى الابصار وتوكلوا على الله».

الشرح

قوله صلى الله عليه واله: يكادبها الايمان، على صيغة المجهول من الكيد وهو المكر والجملة صفة بعد صفة لبدعة اى بدعة يمكربها الايمان، ويحتمل ان يكون حالا للمستكن فى تكون، و وليا اسم ان قدم عليه خبره للظرفية، وقوله صلى الله عليه واله: من اهل بيتى، صفة لولياً وكذا موكلا به صفة اخرى و كذا الجمل الفعلية الخبرية صفات متعاقبة له.

اعلم انه كان من دأب الرحمة الالهية والعناية الربانية ان لايهمل امراً ضروريا فى باب الدين، و ان لايعطل حكماً من احكام سياسة الخلق اجمعين، كيف وقد كونهم اولا فى دار الدنيا وهى دار الظلمة والدثور و الشرور و الفناء لانسياقهم الى دار الرحمة و السناء و النور و الخير و البقاء، فلابد من هدايتهم الى سبيل الهدى وردعهم عن طريق الضلالة و الردى، ولاجل ذلك بعث الانبياء المؤيدين بالوحى و المعجزات صلواته عليهم لتمهيد قواعد الدين وتشييد اركان عقائد المسلمين و المجاهدة والمحاربة مع الجحدة الكافرين المجاهرين بالكفر و الجحود و العصيان وقطع دبر الظالمين المعلنين بالظلم والعدوان، فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمدلله رب العالمين (الانعام ـ ٤٥).

١ـ محمد بن عيسى (الكافى).

و كذلك نصب الاولياء المؤيدين بالالهام و الكرامات لدفع حيل المنافقين وردكيد الكائدين، و الذب عن الايمان بحل عقدهم الفاسدة و ازالة شبههم المضلة، و قمع اهوائهم المغوية وتنوير قلوب المؤمنين باعلان الحق و اعلام الصدق، وكشف حقائق الدين واسرار اليقين وكشف الغطاء عن منهج المتقين.

ولذلك كان قتال المشركين الى النبى صلى الله عليه واله وقتال المنافقين الى على عليه السلام، وعن هذا شبهه بعيسى عليه السلام وقال: لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا، وقال صلى الله عليه واله: فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين و مكالمة الجن ظهر منه عليه السلام دون الرسول صلى الله عليه واله، اذ حكمة الرسالة اقتضت ذلك.

وقوله صلى الله عليه واله: يعبر عن الضعفاء، كلام مستأنف للتنبيه على ان ذلك الولى لقوة علمه و برهانه يدحض حجج المبتدعين المضلين نيابة عن الضعفاء، لانه فى الحقيقة لسانهم المعبر عنهم بما يحتاجون اليه من الكلام فى دفع البدعة عنهم، والا وهم لايقدرون على ذلك لقصور حالهم وضعف حجتهم ومقالهم.

و اما قوله عليه السلام: فاعتبروا يا اولى الابصار وتوكلوا على الله، ففيه امر لاهل البصيرة بالاعتبار وهو العبور من الظاهر الى الباطن، و الاستدلال بالشهادة على الغيب لينكشف عليهم الحال، ويدفع بذلك عنهم بدع اهل الضلال، ولايمكن ذلك الا بافاضة نور من الله على قلوبهم فلذلك وقع الامر بالتوكل عليه تعالى بعد الامر بالاعتبار، فان مجرد الفكر و النظر لايجدى نفعا الا بهدى من الله وهو نور من انوار الله به يرى الاشياء كماهى.

و يحتمل ان يكون هذه العبارة من كلام الصادق عليه السلام فوقع الامر منه عليه السلام لشيعته و اصحابه بالاعتبار و التوكل ليعلموا حقيقة ما قاله النبى صلى الله عليه واله فى حال ولى كل زمان ليعرفوا ولى زمانهم ويتكلوا عليه فيما هداهم به وامرهم ومانهاهم عنه و زجرهم، اذ التوكل على ولى الله توكل على الله.

الحديث السادس

وهو الثاني والستون والمائة

«محمدبن يحيى عن بعض اصحابه، وعلى بن ابراهيم [عن ابيه] عن هارون بن مسلم» كوفي ثقة، له كتاب روى عنه على بن يعقوب الهاشمي كما في النجاشي، وحسن بن على بن فضال كما في الفهرست[1]. «عن مسعدة بن صدقة» قال الشيخ رحمه الله: انه عامي وقال بترى، وفي الفهرست: له كتاب روى عنه هرون بن مسلم، وفي النجاشي: ابن صدقة العبدي ابو محمد قاله ابن فضال، وقيل ابو بشر روى عن ابي عبدالله وابي الحسن عليهما السلام له كتب روى عنه هرون بن مسلم. «عن ابي عبدالله عليه السلام وعلى بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن محبوب رفعه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: ان ابغض الخلق الى الله عزوجل لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قدلهج بالصوم والصلوة، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته، و رجل قمش جهلا في جهال الناس عان باغباش الفتنة قدسماه اشباه الناس عالماً[2]، ولم

١ــ هذا بيان حال مروان بن مسلم كما في الفهرست والنجاشي، واما بيان حال هارون بن مسلم في النجاشي: هو هارون بن مسلم بن سعدان الكاتب السرمن رائي، كان نزلها واصله الانبار يكنى ابا القاسم ثقة وجه وكان له مذهب في الجبر والتشبيه لقي ابا محمد وابا الحسن عليهما السلام، له كتب ومسائل لابي الحسن الثالث عليه السلام، اخبرنا الحسين بن عبيدالله قال حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا اسعد عن هارون بها. و قال الشيخ في الفهرست: هارون بن مسلم، له روايات عن رجال الصادق عليه السلام، ذكر ذلك ابن بطة عن ابي عبدالله محمد بن ابي القاسم عنه واخبرنا ابن ابي جيد عن ابن الوليد، عن عبدالله بن جعفر الحميري عنه. وعده الشيخ في رجاله من اصحاب العسكري عليه السلام، ثم قال الاصل كوفي تحول الى البصرة ثم الى بغداد ومات بها.

٢ــ مشعوف (الكافي).

٣ــ والفرق بين الرجلين قيل: اما الرجل الاول فهو الضال في اصول العقائد كالمشبهة و المجبرة ونحوهما، و اما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشرعيات وليس باهل لذلك كفقهاء السوء.

يغن فيه يوما سالمابكرفاستكثرماقل منه خير مماكثر، حتى اذا ارتوى من اجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ماضياً[١] ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، و ان خالف قاضياً سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله، و ان نزلت احدى المبهات المعضلات هيألها حشواً من رأيه ثم قطع[٢] فهو من لبس الشبهاب فى مثل غزل العنكبوت لايدرى اصاب ام اخطأ، لايحسب العلم فى شيء مما انكر ولايرى ان وراء مابلغ فيه مذهباً، ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امراكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكى لايقال له لايعلم ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات، لايعتذر ممالايعلم فيسلم ولايعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لاملىء باصدارما عليه وردولاهو اهل لمامنه فرط من ادعائه علم الحق»[٣].

الشرح

قوله عليه السلام: ان من ابغض الخلق الى الله عزوجل لرجلين، من للتبعيض اى من جملة من ابغضهم الله تعالى رجلان، و المراد بهماصنفان من الناس لاشخصان بعينهما، احدهما المفتى فى دين الله بغير حق والثانى القاضى بين الناس على غيرهدى وكلاهما من اهل النار، و انما صارا من ابغض الخلائق عنده تعالى لان شرهما متعد لكونهما من اصناف العلماء، شرهما من باب العقائد الباطلة والبدع و الاهواء.

ولايوجد من افراد البشر من يكون ابغض الخلق اليه تعالى الامن كان شره من باب البدع و الاراء و الاهواء، لانه فساد فى العلم والدين فهو اكثر و اقوى شراً من غيره من الكفار والفجار، لان شر كل ظالم شر فى الدنيا وشرهذا شر فى الدين.

١ـ قاضيا ضامنا (الكافى)

٢ـ قطع به (الكافى).

٣ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦ مع اختلاف.

و ايضاً شر كل ظالم و ان تعدى الى غيره لم يتعد الاالى الموجودين فى زمانه، وشرورامثال هؤلاء من اهل البدع و الاهواء قدتسرى الى يوم القيامة كرؤساء النواصب و الخوارج و المجبرة و غيرهم من المبتدعة، فقد انتشرت ظلمات اهوائهم وشرور بدعهم و كفرهم فى نفوس طائفة وبقيت على وجه الارض الى الان.

قوله عليه السلام: رجل وكله الله الى نفسه، اى جعل توكله عليها دونه لكونه ممن اتخذ الهه هواه واضله الله على علم، وقال فى امثاله: اعملوا ماشئتم (فصلت ـ ٤٠)، و ذلك لسبق افعالهم القبيحة و نياتهم السيئة وجزاء بماكانوا يكسبون من الاستبداد بالرأى والعمل بالمقائيس الفقهية وترك اتباع اهل الحق.

قوله عليه السلام: فهو جائر عن قصد السبيل، اى مائل عن صراط الحق وطريق العدل المتوسط بين الافراط والتفريط، لكونه فى جانب الافراط بالجربزة والمكر مع الله.

مشغوف، بالغين المعجمة، بكلام بدعة، اى شغفه حب كلام البدعة اى بلغ شغافه وهو غلاف القلب وهو جلده كالحجاب، ومنه قوله تعالى: قدشغفها حبا (يوسف ـ ٣٠) قال ابن عباس: دخل حبه تحت الشغاف، و بغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهو عند معلق النياط[1].

قدلهج بالصوم والصلوة، ليقال انه من اهل الدين و الجملة يحتمل ان يكون صفة لكلام بدعة باضمار عائد اليه، واللهج بالشيء الولوع به من باب لبس، و هو ان يغرى به فيثابر[2] عليه.

فهو فتنة لمن افتتن به، اى مضل لمن اقتدى به بذهاب عقله و دينه، ضال عن هدى من كان قبله، لانه لاغتراره بنفسه لايقنع بتقليد من سبقه من المشايخ والمعلمين و يريد ان يستقل بفكره ويستبد برأيه مع غاية قصوره وجهله و قلة عقله وسفاهته، كما حكى الله من امثاله بقوله تعالى: و اذا قيل لهم امنوا كما امن الناس (البقرة ـ ١٣)... الاية.

١ـ النياط عرق علق به القلب من الوتين، فاذا قطع مات صاحبه.

٢ـ المثابرة على الامر: المواظبة عليه.

مضل لمن اقتدى به فی حیوته وبعدموته، وهذا ما ذکرناه من قبل ان شر مثله مما یتعدی الی الذی بعده، و لاجل ذلك یحمل وزر من کان بعده ایضاً و الیه اشار بقوله علیه السلام: حمال خطایا غیره، ای وبالها وعقابها فی القیامة، رهن بخطیئته، ای مرهون مقید بتبعات خطیئته وجهله من حجب الملکات الردیئة واغشیة الهیئات النفسانیة.

تکملة استبصاریة

اعلم انه علیه السلام قد ذکر لکل من هذین الرجلین اوصافا عدیدة ناشئة عن باطنه، فذکر من خصائل هذا الرجل ثمانیة امور.

الاول انه وکله الله الی نفسه، والتوکل مأخوذ من الوکالة، یقال: فلان وکل امره الی فلان اذا فوضه الیه و اعتمد علیه، فالتوکل عبارة عن اعتماد القلب علی الوکیل وحده.

اذا عرفت ذلك فنقول : کل من اعتقد بان نفسه اواحداً دون الله ممن له تأثیر و قدرة و تمکن من الفعل و انه تام القدرة فی تحصیل مراده، فان ذلك من اقوی الاسباب المعدة لان یفیض من الله علی قلبه صورة الاعتماد علی المتوکل علیه و المعتقد له وذلك معنی قوله علیه السلام: وکله الله الی نفسه، وکذلك معنی الوکول الی الدنیا و ذلك بحسب اعتقاد الانسان الی المال والقنیات الدنیویة وافیة بمطالبه مغنیة له عما ورائها، فبحسب قوة ذلك التوکل وضعفه یکون شدة حجابه عن الله و بغضه تعالی ایاه ورقة حجابه ومحبته تعالی له.

وعن رسول الله صلی الله علیه واله: من انقطع الی الله کفاه کل مؤنة ورزقه من حیث لایحتسب، ومن انقطع الی الدنیا وکله الله تعالی الیها.

وصورة التوکل علیه تعالی: ان یثبت فی نفسك بکشف اوبرهان ان استناد جمیع الاسباب و المسببات الیه سبحانه و انه الفاعل المطلق والغنی الحق تام القوة والقدرة و الرحمة والعطوفة والعنایة و الرأفة بخلقه، ولم یقع فی نفسك التفات الی غیره بوجه حتی نفسك وحولك وقوتك، فان لم تجد من نفسك هذه الحال فلضعف ایمانك ویقینك او

غلبة الوهم على النفس فى معارضة ذلك اليقين، وبحسب ضعف ذلك الاعتقاد وقوته يكون تفاوت درجات التوكل عليه وبحسبها منازل القرب و البعد منه.

الثانى كونه جائراً عن قصد السبيل، و هولازم من الاول، لان من وثق على نفسه ومن شأن النفس الخطاء و الوقوع فى الهوى، فيضل عن الطريق.

الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة، اى معجبا بما يخطر له و يبتدعه من الكلام الذى لااصل له فى الدين ويدعو الناس الى الضلالة والجور عن القصد، وهذا لازم عما قبله، فان من ضل عن الطريق وجار فهو يعتقدانه على سواء السبيل فيكون مشغوفا بما يبتدعه ويخترعه فهو كما قال الله تعالى : قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف ـ ١٠٤ـ١٠٣).

الرابع كونه فتنة لمن افتتن به، وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث، لان محبة القول الباطل و الدعوة اليه سبب لكونه فتنة لمن اتبعه.

الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله، وهذا الوصف كالثانى، فان الضال عن الهدى جائرعن قصد السبيل، الا ان ههنا زيادة خصوصية، اذ الجائر عن القصد يتصور ان لايكون له هدى يتبعه، والموصوف ههنا جائر وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه، و هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله و اعلام الهداة الحاملون لدينه الناطقون عن مشكوة النبوة.

السادس كونه مضلا لمن اقتدى به فى حيوته وبعد وفاته، وهذا الوصف مسبب عما قبله. اذ ضلال الانسان سبب لاضلاله غيره، ويفهم منه مايفهم من الرابع مع زيادة، فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اقتدى به، و اما الزيادة فكون ذلك الاضلال فى حيوته وبعد موته لبقاء الاعتقادات الباطلة المكتسبة عنه فهى سبب ضلال الضالين بعده.

السابع كونه حمال خطايا غيره، وهو لازم عن السادس، فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله اياهم.

الثامن كونه رهنا بخطيئته، اى موثوق بها عن الصعود الى عالم الملكوت و الجنان وحضرة جلال الله الرحمن، والى هذين الوصفين اشار القران الكريم بقوله:

ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم، الاساء مايزرون (النحل ـ ٢٥)، ـ و قد مر فى الحديث الستين ما فى هذا المقام من التحقيق و التبيين ـ .

واما الرجل الثانى فعدمن خصاله السيئة وعاداته القبيحة نحواً من ستة وعشرين وصفاً وميزه بها:

اولها قوله عليه السلام: و رجل قمش جهلا، و القمش و التقميش جمع الشيء المتفرق من ههنا وههنا ويقال للمجموع قماش، وقماش البيت متاعه، اشارة الى ان ما تلقفه من الجهالات اخذه من افواه الناس من هذا شيئا ومن هذا شيئا.

وثانيها كونه فى جهال الناس وعبارة نهج البلاغة موضعها فى جهال الامة، اى مطرح من جملة الارذال ليس من اشراف الناس.

وثالثها انه عان باغباش الفتنة، اى اسير بظلمات الفتنة، فان الاغباش جمع غبش بالتحريك البقية من الليل ويقال ظلمة اخر الليل، وفى رواية نهج البلاغة غارای غافل فى ظلمات الخصومات، وفى اخرى عاداى ساع فى الظلمات.

و رابعها انه قدسماه اشباه الناس عالماً، انما اراد باشباه الناس العوام والجهال لما حققناه فى كتبنا العقلية من ان نفوس اكثر الناس ليست ناطقة مجردة عقلية، بل نفوسهم نفوس خيالية من شأنها ان تصير عقلا ومعقولا باكتساب العلوم النظرية العقلية، و الانسان الحقيقى من له جوهر عاقل بالفعل، ونفوس سائر الناس كالهيولى بالنسبة الى ذلك الجوهر العقلى الصورى، وهو نوريفيض من الله عليها اعنى الروح الاضافى الذى هومن امرالله، لكن تلك النفوس الخيالية ايضاً مع ذلك غير قائمة بالبدن بل مجردة عن عالم الطبيعة، و لهذا تصير محشورة فى المعاد، والتحقيق فى ذلك مما يؤدى الى الاطناب وليس ههنا موضع بيانه

فان قلت: اى ذنب له فى ان يسميه العوام عالما؟

قلنا: كل الذنب والشقاء قد انبعث له من هذا، فانه شبه نفسه بالعلماء فى اللباس و الهيئة و الزى و التكلم بكلامهم ليقال انه عالم مع افلاسه عن حقيقة العلم، فصار

فتنة لنفسه ولغيره.

و خامسها انه ولم يغن فيه يوما سالما، هو بالغين المعجمة، قال ابن الاثير فی النهاية: وفی حديث علی عليه السلام: سماه[1] الناس عالماً ولم يغن فی العلم يوماً سالماً، ای لم يلبث فی العلم[2] يوماً تاماً من قولك: غنيت بالمكان اغنی، اذا اقمت به.

وسادسها انه بكر فاستكثر من جمع ماقل منه خير مما كثر، معناه انه و ان لم يصرف يوماً فی طلب العلم ولكن خرج من اول الصباح فی كسب الدنيا، يقال بكر بالصلوة ای صلاها فی اول وقتها، ويحتمل[3] ان يكون قوله بكر وقع صفة موضحة لقوله سالماً مرتبطا بما قبله، و المراد انه لم يصرف فی طلب العلم يوماً بتمامه بان يبكر فی طلبه لاشتغاله بسائر امور الدنيا وشهواتها فاستكثر ماقل منه خير مما كثر، ای جمع و استكثر من اسباب الدنيا و متاعها ماقليل منه خير من كثيره، و الكلام يحتاج فيه الی اضمار، ای استكثر الذی ماقل منه خير مما كثر، وذلك علی فرض ان لو جمعه من وجه الحل، فكيف اذا استكثر من الحرام كالرشوة ومال اليتيم وغيرهما؟ و يحتمل ان يكون المراد منه علمه الذی جمعه و استكثر منه و هو الانسب بمابعده.

و سابعها كونه ممن ارتوی من اجن، كما فی قوله: حتی اذا ارتوی من اجن يقال: رويت من الماء وارتويت وترويت كلها بمعنی واحد، و الاجن من اجن الماء اذا تغير طعمه ولونه، وقيل: تغيرت رائحته من العدم، و قيل: غشيه الطحلب[4] والورق فهو اجن، شبه عليه السلام علمه الباطل بالماء المتعفن كما يشبه العلم الحق بالماء الطهور استعارة بالكناية و الاستكثار منه بالارتواء من ذلك الماء العفن ترشيحاً، ولايخفی ما فی هذه الاستعارة من الحسن عند اهل البصيرة.

۱ــ رجلا سماه الناس «النهاية».

۲ــ فی اخذ العلم «النهاية».

۳ــ احتمالا بعيدا. كذا فی الاصل فی الحاشية.

۴ــ الطحلب خضرة تعلو الماء المزمن، و قيل هو الذی يكون علی الماء كأنه نسج العنكبوت.

وثامنها انه اكثر من غير طائل، النسخ ههنا مختلفة: ففي بعضها اكتنز على وزن افتعل من الكنز، يقال: كنز المال اى جمعه و اكتنز الشيء اجتمع، و في بعضها اكثر من الكثرة و هو المطابق لما في رواية نهج البلاغة، وفي بعضها اكنز من الكنز و هذا لايوافق اللغة، و الاول يقدر فيه الفاعل والعائد اى اكتنزله مال من غير غنى ومزية، يقال هذا الامر لاطائل فيه اذا لم يكن فيه غنى ومزية، ويحتمل ان يكون كلامه عليه السلام واقعاً على طريقة لف ونشربان يكون قوله: قمش جهلا الى قوله سالماً، اشارة الى علم هذا الرجل، وقوله: بكر فاستكثر ماقل منه خير مماكثر، اشارة الى ماله، و يكون قوله: حتى اذا ارتوى من اجن، ناظراً الى الاول، وقوله: و اكثر من غير طائل، ناظراً الى الثانى.

و تاسعها: جلس بين الناس، جواب لاذا، قاضياً ماضياً، اى حاكما نافذاً حكمه ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، لما الزم على نفسه من عدم السكوت فى جواب مسألة ولا الاعتراف بالقصور والجهل لمضادته لماتوهمه من المنصب الجليل والجاه الرفيع.

وعاشرها كونه: ان نزلت به احدى المبهمات، من المسائل والوقائع المعضلات اى المشكلات كقسمة المواريث و المناسخات و غيرها، هيألها، اى اعدلبيانها و التفصى عن اعضالها، حشواً من رأيه، وفى رواية حشواً رثاً من رأيه يقال: عنده متاع رث، اى خلق بال، ثم قطع، اى جزم فيما قاله من حشورأيه ولايبالى.

وحادى عشرها انه: من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت، اى انه من وقوعه فى الشبهات الملتبسة الواردة عليه كوقوع الذباب و نحوه فى مثل نسج العنكبوت لايمكنه التخلص عنها.

وثانى عشرها انه: لايدرى اصاب ام اخطأ فيما حكم وقضى.

وثالث عشرها انه: لايحسب العلم فى شيء مما انكر، ولم يعرفه لزعمه ان المجهول عنده مجهول لغيره ايضاً، ولايرى ان وراء مابلغ فيه بفهمه الناقص و ذهنه القاصر مذهباً صحيحا.

و رابع عشرها كونه: ان قاس شيئا بشيء، بقياسه الفاسد، لم يكذب نظره، بل اصر عليه ولا يرجع عنه و ان نبهه احد على خطائه خوفاً عن ظهور جهله على الناس، و لذلك عقب بقوله عليه السلام.

وخامس عشرها انه: ان اظلم عليه امر اكتتم به، اى اخفاه عن غيره ولم يسأل احد حتى يستفيد منه وجه الصواب فى ذلك الامر لما يعلم من جهل نفسه وقصور طبعه عن فهم المرام حين افاده غيره له لكى لا يقال له لا يعلم شيئا و ان كان واضحا فى نفسه او مستوضحا.

و سادس عشرها كونه جاسراً فى الدين اوحاسراً و هو قوله: ثم جسر، اى تجاسر مع ذلك فى امر القضاء فقضى، وفى بعض النسخ حسر بالحاء المهملة اى كل بصره و انقطع نظره عن الاصابة فى الحكم ثم يقضى مع ذلك.

وسابع عشرها ماقال: فهو مفتاح عشوات، اى باعثها ومنشأها، و العشوات الظلمات تشبيهاً للشبهة بالظلمة، وفى بعض الروايات: خباط عشوات، و هو باضمار فى، اى يخبط فى ظلام الشبهات و الالتباسات كالذى يمشى فى الليل بلامصباح فيتحير و يضل و ربما يردى فى بئر اوسقط على سبع، قال ابن الاثير فيه[1]: احمدوا الله الذى رفع عنكم العشوة ، يريد ظلمة الكفر وهى بالضم و الكسر و الفتح الامر الملتبس، و ان يركب امرىء الجهل[2] لا يعرف وجهه مأخوذ من عشوة الليل وهو ظلمته و يجمع على عشوات.

وثامن عشرها انه: ركاب شبهات، من قولهم: فلان يركب الجهل، اذا ركب امراً بجهالة.

وتاسع عشرها انه: خباط جهالات، الخبط الضرب على غير استواء و قد خبط البعير الارض بيده خبطاً ضربها و خبطت الشجر خبطاً ضربتها بالعصا ليسقط ورقها و منه خبط عشواء، و فى الدعاء: و اعوذبك ان يتخبطنى الشيطان، اى يصرعنى ويلعب

١ــ اى فى الحديث.

٢ــ كلما ركب الانسان امراً بجهل لا يبصر وجهه «النهاية».

بى ومنه لاتخبطوا خبط الجمل، و هو كقولهم: يخبط فلان فى عمياء.

عشرينها انه: لايعتذر ممالايعلم فليسلم، فان الاعتراف بـالجهل سلامة الدنيا و الاخرة وهواحدالعلمين ولهذا قيل: لاادرى نصف العلم، وفى الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة قائمة ولاادرى.

و الواحد و العشرون : لايعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم ، كناية عن قصور حظه فى باب العلم تشبيهاً للعلم بالطعام لانه غذاء الروح ولكلال القوة النظرية للرجل وقصورها عن درك المعقولات بضرس[1] غير قاطع للغذاء، والحاصـل من الفقرتين انه لايعترف بالجهل ليسلم عن الافة ولاله بضاعة فى العلم ليكون على بصيرة فيماهو بصدده.

و الثانى والعشرون انه يذرى الروايات، ذرو الريح الهشيم، ذرته الريح واذرته تذروه و تذريه اذا طارت به، ومنه ان رجلا قال لاولاده: اذا مت فاحرقونى ثم ذرونى فى الريح، والهشيم من النبات اليابس المنكسر قال تعالى: هشيما تذروه الرياح (الكهف ـ ٤٥)، اى يسرد الروايات كما تنسف الريح هشيم النبت، اى ينقلها من غير اتساق ونظام وعلى غير مواقعها.

و الثالث و العشرون انه تبكى منه المواريث، اى اهل المواريث للجور الذى وقع منه فـى قسمتها، ويحتمل المجاز العقلى فى نسبة البكاء الـى الميراث مبالغة على سبيل التمثيل والتخييل كما وقع فى جانب النفى قوله تعالى: فما بكت عليهم السماء و الارض (الدخان ـ ٢٩)، وكذلك مايروى عن ابن عباس : اذامات المؤمن بكى عليه مصلاه و اثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء، وعلى هذا القياس قوله عليه السلام: ويصرح منه الدماء، فى الاحتمالين المذكورين.

و الرابع والعشرون انه: يستحل بقضائـه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، اما لخطائه فى الفتوى وجهله اولسهوه فى موضع الحكم لعدم تيقظه واحتياطه اولوقوع ذلك منه عمداً لرشوة اومراعاة سلطان اوغير ذلك.

والخامس والعشرون ما اشار اليه بقوله: لاملىء باصدار ما عليه ورد، ملاء الاناء

١ـ اى تشبيها .

مايملاءه ويسعه، وفى الدعاء: الحمدلله ملاءالسموات والارض، هذا تمثيل لان الكلام لايسع الاماكن و المراد كثرة عدده، يعنى لوقدران يكون كلمات الحمداجساما لبلغت من كثرتها ان تملاء، و الملىء بالهمزة الثقة الغنى، اى ليس له من العلم و الثقة قدر ما يمكنه ان يصدر عنه انحلال ماورد عليه من الاشكالات و الشبهات.

و السادس والعشرون ما اشار بقوله عليه السلام: و لاهو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق، اى ليس هومن اهل العلم بالحقيقة كما يدعيه لمافرط منه.

واعلم ان المروى منه عليه السلام فى كتاب نهج البلاغة انه بعدان خص الرجلين المذكورين باوصافهما اردف ذلك بالتنفر عنهما على الاجمال بمايعمها وغيرهما من سائر الجهال و الضلال من التشكى الى الله و البرائة عنهم و ذلك قوله: الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا و يموتون ضلالا، ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذاتلى حق تلاوته[1]، ولاانفق سلعة واغلى ثمناً من الكتاب اذاحرف عن مواضعه، ولاعندهم انكر من المعروف ولااعرف من المنكر. انتهى كلامه عليه السلام.

اى: اذافسر الكتاب و حمل على المعنى الذى هوحقيقة معناه وعلى الوجه الذى اعتقدوه فاسداً واطرحوه بجهلهم عن درجة الاعتبار، و اذا صرف عن مواضعه ومقاصده الاصلية على وفق اغراضهم وحسب مقاصدهم شروه باغلى ثمن واعلى قيمة وكان من انفق السلع بينهم، و وجه المشابهة فى استعارة لفظ السلعة و غيرها ظاهر، ومنشأ كل ذلك و اصله هو الجهل ، و كذلك ليس عندهم انكر من المعروف لمخالفة اغراضهم ودواعيهم ولااعرف من المنكر لموافقته اياها، وكل ميسر لما خلق له، و من الله العصمة والتوفيق.

الحديث السابع
و هوالثالث والستون والمائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن ابان بن

١ــ ولا سلعة انفق بيعاً ولا اغلى ثمناً «نهج».

عثمان عن ابى شيبة الخراسانى»، مجهول. «قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: ان اصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم يزدهم المقائيس من الحق الا بعداً، و ان دين الله لايصاب بالمقائيس».

الشرح

العلم عبارة عن معرفة الحقائق الكلية اما بطريق المشاهدة العقلية كماهو مسلك الانبياء و الاولياء صلوات الله عليهم، اوبطريق الحدود والبراهين كماهو منهج الحكماء و النظار، و هذا القياس كماسبق عبارة عن معرفة جزئى من الجزئيات بمعرفة جزئى لجامع مشترك بينهما، فهوليس بعلم فى عرف الاولياء والحكماء، وانما يسمى علماً باصطلاح اخر اعنى مطلق الصورة الذهنية، وانما يوجب الاشتغال بهذه المقائيس بعداً عن الحق، لان صاحبه محتجب بها عن درك الحق مشغول القلب فيها بمايخالف منهج الدين معدول به عن مسلك اليقين، ولذا قال: دين الله لايصاب بالمقائيس.

هذا مع مايلزمه من العيوب الباطنية و الافات النفسانية التى قل من ينفك عنه من الخائضين فى استعمال الاقيسة الفقهية، و استنباط الفروع الدقيقة و الفتاوى الغريبة بهامن محبة الجاه والمباهاة والمفاخرة، والعجب و الكبر وطلب التفوق على الاقران بالمجادلة والمناظرة والميل الى الشهرة والجاه وتقرب السلاطين، وليست هذه الافات فى العلوم الحقيقية الباطنية لعدم اطلاع الناس عليها، ولافى العلوم النقلية الصرفة من حفظ الاحاديث و الروايات، اذ لايحصل بمجرده قوة المناظرة و ملكة المجادلات الكلامية و المراوغات البحثية ليظهر بها التفوق بالعلم عندالعامة.

و بالجملة الافة كل الافة و الشر كل الشر فى رجل جاهل القلب عليم اللسان لاستعماله المقائيس الفقهية و المجادلات الكلامية، و لهذا وقع المنع الشديد من استعمالها فى هذه الاحاديث المتوالية المروية عن اهل بيت العصمة سلام الله عليهم اجمعين.

الحديث الثامن
و هوالرابع والستون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، ومحمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان رفعه عن ابى جعفر وابى عبدالله عليهما السلام قال كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار».

الشرح

معناه واضح كماسبق.

الحديث التاسع
و هوالخامس و الستون و المائة

«على بن ابراهيم عن[1] ابن ابى عمير، عن محمدبن حكيم قال: قلت لابى الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك، فقهنا فى الدين و اغنانا الله بكم عن الناس، حتى ان الجماعة منا لتكون فى المجلس مايسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله علينا بكم، فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولاعن ابائك شيء، فنظرنا الى احسن ما يحضرنا و اوفق الاشياء لماجاءنا عنكم فنأخذ به، فقال: هيهات هيهات فى ذلك، والله هلك من هلك يابن حكيم، قال: ثم قال: لعن الله ابا حنيفة كان يقول: قال على وقلت، قال محمدبن حكيم لهشام بن الحكم: والله ما اردت الا ان يرخص لى فى القياس».

الشرح

قوله، فقهنا فى الدين، اى صرنا فقهاء فى الدين وهو اما بصيغة الماضى المعلوم من الثلاثى اوبصيغة المجهول من باب التفعيل وفى دعاء رسول الله صلى الله عليه واله فى حق على عليه السلام: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل، اى فهمه، والفقه فى الاصل

١ــ عن ابيه (الكافى).

الفهم يقال: فقه الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم و علم وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيها عالماً، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة ثم خصصها بعلم الفروع منها.

وقوله: حتى ان الجماعة منا لتكون فى المجلس مايسأل رجل صاحبه، يحتمل ان يكون قوله لتكون فى المجلس خبر «ان» وقوله: يسأل رجل صاحبه صفة للمجلس باضمار عائد اليه مثل كلمة فيه، اويكون جملة حالية عن المستكن فى تكون ومازائدة اوموصولة.

وقوله: تحضره المسألة و جوابها خبر مبتدأ محذوف اى واحد من الجماعة[1]، وحاصل المعنى: انه اذا اتفق ان يكون احدنا واقعاً فى مجلس يسأل احد صاحبه مسألة فانه يحضر عنده اصل تلك المسألة وجوابها لقوة فقاهته و استحضاره لكل مسألة يتداول بين الناس.

وقوله: فربما ورد علينا الشيء، هذا ابتداء كلامه فى غرضه الذى هو الرخصة فى القياس.

و قوله: فنظرنا الى احسن مايحضرنا واوفق الاشياء لماجاءنا فنأخذبه، هذا اشارة الى استعمال القياس، اى قديورد علينا شيء ليس فيه نص من كتاب ولاسنة مما جاء ناعنكم حتى نأخذبه، ولكن نجد ما هو موافق لماجاء ناعنكم اشد موافقه و احسنه فنأخذ به، و هذا عين القياس الفقهى.

و قوله: احسن ما يحضرنا و اوفق، اشارة الى ان جهة الاشتراك وهى الجامع بين الاصل وما يتفرع عليه، امر مناسب لهما متقرر، لاكاشتراك فى اللفظ اوفى معنى عام يعمها وسائر الاشياء اوفى عرض عام لنوعهما وغير نوعهما او فى جنس بعيد لهما.

ولما استشعر عليه انه يريد الرخصة فى القياس قال: هيهات هيهات، تأكيداً للمنع عنه بايراد كلمة التبعيد مكرراً، و هيهات مبنية على الفتح ، وناس يكسرونها، وقد تبدل الهاء الاولى همزة فيقال: ايهات، ومن فتح وقف بالتاء ومن كسر وقف بالهاء.

قوله: فى ذلك، اى فى استعمال القياس والله هلك من هلك يابن حكيم، جعل النهى عنه مؤكداً بهذا الخبر، وما اكتفى فى صدقه مع كونه صادراً عن الذى لايحتمل

١ــ اى واحد من الجماعة تحضره المسألة و يحضره جوابها .

فى حقه الكذب لعصمته عن الخطاء، حتى جعله مقرونا بالقسم زيادة فى التأكيد.

ومنه يستفاد ان اهل العذاب الدائم منحصر فى هذا الصنف من المنتسبين الى العلم، لان ابليس الذى هو رئيس الضالين المضلين ماصنع شيئا الا القياس والاستكبار، و هؤلاء اتبعوه فى الامرين، فان صاحب البدعة يلزمه الافتخار و الاستكبار كما لايخفى على من له بصيرة.

وقد ظهر ايضاً مماسبق من الكلام. وقول ابى حنيفة لعنه الله قال على (ع) وقلت، معناه انه جعل قول امير المؤمنين عليه السلام فى حكم من الاحكام اصلا وقاس عليه حكماً اخر يوافقه اويناسبه وبذلك استحق البعد عن الله وعن دار رحمته وكرامته.

الحديث العاشر
و هو السادس و الستون والمائة

«محمد بن ابى عبدالله رفعه عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لابى الحسن الاول عليه السلام بما اوحد الله[1]؟ فقال: يا يونس لاتكونن مبتدعاً من نظر برأيه هلك، ومن ترك اهل بيت نبيه صلى الله عليه واله ضل ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر».

الشرح

قوله: بما اوحد؟ اى بما استدل على توحيد الله و مايستحقه من النعوت الالهية، لعل يونس اراد ان يترخص فى القياس فنهاه عليه السلام عن ذلك على الخصوص، ثم ذكر الحكم الكلى العام فقال: من نظر برأيه فقد هلك... الى اخره، اى من استعمل القياس فى معرفة الله ونظر فى احكام الله برأيه فهو من الهالكين، ومن ترك اهل النبوة عليهم السلام بالاخذ منهم و الاستفادة من اقوالهم و اثارهم فهو من الضالين، ومن ترك كتاب الله فهو من الكافرين.

والفرق بين الهالك و الكافر ههنا ان المراد بالاول ماهو بحسب الباطن و بالثانى

١ـ الله عزوجل. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

ماهو فی ظاهر الامر، فان من ترك كتاب الله مهجوراً كما فی قوله تعالى حكاية عن نبيه صلى الله عليه واله: يارب ان قومی اتخذوا هـذا القران مهجوراً (الفرقان ـ ٣٠)، فهو معدود من الكفار.

الحديث الحادی عشر
وهو السابع و الستون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن الوشاء عن مثنى الحناط، عن ابی بصير قال: قلت لابـی عبدالله عليه السلام تـرد علينا اشياء ليس[1] نعرفها فی كتاب الله ولاسنة فننظر فيها؟ قال: لا، اما انك ان اصبت لم توجر وان اخطأت كذبت على الله[2]».

الشرح

قوله فننظر فيها، الضمير فی فيها راجع الى الاشياء الواردة التی ليست مذكورة فـی كتاب الله ولاسنة، و الفاء للتفريع، اى لمالم نعرف لها دليل من الكتاب و السنة فهل يجوز لنا ان ننظر فی تلك الاشياء بان نقيسها على حكم اخر مذكور فی احدهما؟

وقوله عليه السلام: ان اصبت لم توجر، لايخلو عن اشكال بحسب الظاهر، فان المعلوم من كلامهم عليهم السلام غـاية التشديد فی امر القياس و الزجـر عنه و المذمة لصاحبه وتوجيه اللعن عليه، لكن الوجه فيه انه لوفرض انساناً استعمل دليلا غير تام و اصاب به مطلوبا دينياً يمكن ان يوجر عليه و ان اختل بعض مقدمات دليله او كلها.

واما عند استعمال القياس واصابة المطلوب الشرعی ،فلااثم لازم لنفس الاستعمال والاجر غير ثابت فـی تلك الاصابة ولومن جهة نفس الاصابة لحصولها بسبب القياس، ففی الصورة الاولى الاجـر ثابت لاصابـة المطلوب من حيث نفس الاصـابة بخلاف الصورة الثانية التی ليست فيها جهة من الثواب اصلا، لان صاحب هذه الاصابة لايعلم

١ـ لانعرفها. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

٢ـ على الله عزوجل (الكافی).

من جهة القياس انه مصيب ام لا؟ وليس له ان يعمل بموجبه.

اذ القياس ليس بدليل حتى يصح العمل بمؤداه، فلايوجر صاحبه اصلا بوجه من الوجوه وعليه وزر استعمال القياس سواء اصاب او اخطأ، فاذا أخطأ كان له وزران: وزر الكذب على الله و وزر استعمال القياس.

الحديث الثانى عشر
و هو الثامن والستون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى، عن على بن الحكم عن عمر بن ابان الكلبى، عن عبدالرحيم القصير» كأنه ابن روح من اصحاب الباقر عليه السلام، و ربما يأتى فى طريق الاحاديث عبدالرحيم بن عتيك القصير يروى عن الصادق عليه السلام. فتدبر. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار».

الشرح

قدمر مثله ولكن المذكور هناك: وكل ضلالة سبيلها الى النار، و المذكور ههنا: وكل ضلالة فى النار، ولعل النكتة ههنا الاشارة الى ان النار التى ستبرز يوم القيامة وتطلع على الافئدة موجودة الان لكنها كامنة خابية، فكل ضلالة وانحراف عن الصراط المستقيم الذى قيل انه على متن جهنم يوجب الوقوع فى الحميم كما فى قوله تعالى: ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون (المؤمنون ـ ٧٤)، يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون (غافر ـ ٧١ و ٧٢).

الحديث الثالث عشر
و هو التاسع والستون والمائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن

سماعة بن مهران» عبدالرحمن الحضرمي مولى عبدبن وابل[١] بن حجر الحضرمي يكنى ابا ناشرة وقيل ابامحمد، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام مات بالمدينة ثقة ثقة، وكان واقفيا «صه».

وقال النجاشي: ذكر محمد[٢] بن الحسين رحمه‌الله: انه وجد فى بعض الكتب انه مات سنة خمس و اربعين ومائة فى حيوة ابى عبدالله عليه السلام، و ذلك ان ابا عبدالله عليه السلام قال له: ان رجعت لم ترجع الينا، فاقام عنده فمات فى تلك السنة وكان عمره نحو ابن[٣] ستين سنة، ولست اعلم كيف هذه الحكاية؟ لان سماعة روى عن ابى الحسن وهذه الحكاية تتضمن انه مات فى حيوة ابى عبدالله عليه السلام، له كتاب روى عنه عثمان بن عيسى. «عن ابى الحسن موسى عليه السلام قال: قلت اصلحك الله انا نجتمع فنتذاكر ماعندنا فلا يرد علينا شيء الا وعندنا فيه شيء مسطر، و ذلك مما انعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فننظر[٤] بعضنا الى بعض وعندنا مايشبهه فنقيس على احسنه، فقال: وما لكم والقياس[٥]، انما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ثم قال: اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به و ان جاءكم ما لاتعلمون فها ـ و اهوى بيده الى فيه ـ ثم قال: لعن الله ابا حنيفة كان يقول: قال على وقلت انا و قالت الصحابة وقلت، ثم قال: اكنت تجلس اليه؟ فقلت: لا، ولكن هذا كلامه، فقلت: اصلحك الله اتى رسول الله[٦] بما يكتفون به فى عهده؟ قال: نعم وما يحتاجون اليه الى يوم القيامة، فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا هو عند اهله».

١ـ وائل «جش ـ جامع الرواة».
٢ـ احمد بن حسين «جش ـ جامع الرواة».
٣ـ نحواً من «جش ـ جامع الرواة».
٤ـ فينظر (الكافى).
٥ـ وللقياس (الكافى).
٦ـ رسول الله صلى الله عليه واله الناس (الكافى).

الشرح

قوله: اصلحك الله ، دعاء له عليه السلام فى صلاح حاله فى امر دنياه و امامته و ارشاده للخلق، و قوله: فلا يرد علينا شيء اى من الامور العظيمة والاحكام الجليلة التى هى العمدة بدليل قوله: ثم يرد علينا الشيء الصغير.

وقوله: الا و عندنا شيء مسطر، اى مكتوب فى الصحف عندنا، اى كلما سمعنا منكم كتبناه و ضبطناه، ويحتمل ان يكون المراد منه استثباته فى لوح الضمير وصحيفة الخاطر.

و قوله: ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء ، اى ليس عندنا فيه نص من القران والحديث.

وقوله: وعندنا ما يشبهه، اى ما يشبهه هذا الامر الذى عندنا فيه شيء من الكتاب والسنة، يعنى ان الامر الجامع بين الاصل الموجود الثابت بالنص وبين الذى ليس بثابت بنص هو الشباهة.

و قوله: فنقيس على احسنه، اى على احسن ما عندنا من الامور و اشبهها بهذا الفرع، اى المقاس عليه اشبه الامور بهذا الامر المقيس الذى قسناه عليه .

وقوله عليه السلام: و ما لكم والقياس، استفهام على سبيل الانكار، اى وما الذى جمعكم والقياس و حملكم على فعل القياس؟

وقوله عليه السلام: انما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، يحتمل ان يكون اشارة الى ابليس فانه اول من قاس و انما هلك بسببه.

وقوله اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به... الى اخره ، اى اذا ورد عليكم شيء مما تسئلون عنه وتستفتون فيه فان علمتموه فقولوا به وافتوا كما علمتموه وان لم تعلموه فاسئلوا عنى لقوله تعالى: فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل ـ ٤٣)، و الى هذا المعنى اشار بقوله: فها، مهوياً بيده الى فيه، و «ها» حرف تنبيه و اشارة، والمنبه بها المشار اليه قد يكون امراً ملفوظاً كما تقول: هاانتم هؤلاء، وقد يكون امراً موجوداً يشار اليه بنحو حركة او فعل عند التلفظ بحرف التنبيه كما فعله عليه السلام ههنا حيث

حرك يده الى فيه، يقال: اهوى بيده الى الشيء ليأخذه، اى مدها نحوه و امالها اليه ، و باقى الفاظ الحديث واضحة لاخفاء فيها.

الحديث الرابع عشر
و هو السبعون والمائة

«عنه عن محمد عن يونس عن ابان عن ابى شيبة» الفزارى من اصحاب الصادق عليه السلام[1] «قال : سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة املاء رسول الله صلى الله عليه واله وخط على عليه السلام بيده، ان الجامعة لم تدع لاحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام ، ان اصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق الا بعداً[2] و ان دين الله لايصاب بالقياس».

الشرح

قوله: ضل علم ابن شبرمة، اى ضاع وهلك، يقال: قد تضل البراة[3] عنه، اى يضل المكتوب، وابن شبرمة الضبى الكوفى كان قاضياً على سواد الكوفة لابى جعفر[4] ولعله يعمل بالقياس، اى هلك و بطل علمه و اضمحل فى جنب كتاب الجامعة.

ثم وصف ذلك الكتاب باوصاف ثلاثة: الاول انه املاء رسول الله صلى الله عليه واله، والثانى انه كتابة على عليه السلام وخطه، الثالث انه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الفرعية و فيها علم الحلال والحرام الذى وقع او سيقع الى يوم القيامة فلم يدع لاحد كلاماً الا ويكون مثبتاً فيه، و سيجيء فى الاحاديث الاتية ذكر كتابى الجفر والجامعة.

١ــ ابوشبة الفزارى من اصحاب الباقر عليه السلام «رجال الشيخ».
٢ــ ان دين الله (الكافى)
٣ــ البراءة تحرير ذمة شخص قبلك فى دعوى اوعين.
٤ــ اى: المنصور الدوانيقى.

وماروى ابو بصير عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال: عندنا الجامعة[١] قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه واله و املائه من فلق[٢] فيه و خط على بيمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شيء يحتاج اليه[٣] حتى الارش فى الخدش، وباقى الفاظ الحديث قد مر بيانه.

الحديث الخامس عشر
و هوالواحد والسبعون والمائة

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن ابان بن تغلب عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان السنة لاتقاس، الا ترى ان المرأة تقضى صومها ولا تقضى صلوتها؟ يا ابان ان السنة اذا قيست محق الدين».

الشرح

محقه محقاً ابطله و محاه، والمحق النقصان و ذهاب البركة، و قيل: ان يذهب الشيء كله حتى لايرى منه اثر، و منه قوله تعالى: يمحق الله الربا (البقرة ـ ٢٧٦)، اى يستأصله، افاد عليه السلام ان السنة لاتقاس، اى الاحكام الشرعية لاتعلم بالقياس، و نبه عليه السلام بان القياس لوكان صحيحاً فى باب السنة والشريعة لاقتضى ان تقضى المرأة صلوتها كما تقضى صومها، فان العقول البشرية لاتجد الفرق بينهما فى وجوب القضاء و عدمه.

ثم افاد ان السنة اذا قيست اى استعمل فيها القياس لادى ذلك الى انمحاق نورالدين و استئصال بناء الشريعة، لان كل احد يرى بعقله او بهواه مناسبة و شبهاً بين الشيء و ما يقيس عليه فيحكم عليه بحكمه، وهكذا يحكم على كل شيء باحكام شيء

١ـ وما يدريهم ما الجامعة؟ (الكافى).
٢ـ هو بالكسر والفتح، اى: من شق فيه.
٣ـ يحتاج الناس اليه (الكافى).

اخرفيبطل الدين بالكلية، اذ ما من شيء من الممكنات الا وبينه وبين شيء اخرمجانسة او مشاركة فى كم او كيف او نسبة، فاذا قيس بعض منها الى بعض فى الاحكام الشرعية صار الحلال حراما والحرام حلالا لم يبق شيء من الدين .

الحديث السادس عشر
و هوالثانى و السبعون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد عن عثمان بن عيسى قال: سألت اباالحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال: ما لكم والقياس ان الله لايسأل كيف احل وكيف حرم».

الشرح

يعنى ان الله تعالى قد احل لعباده اشياء وحرم عليهم اشياء حسب مايراها بمقتضى علمه وعنايته مصلحة لهم، والعقول البشرية قبل ان تكتحل بنور الولاية والمعرفة عاجزة عن البلوغ الى درك اللمية و معرفة الكيفية فيما احل او حرم ، فليس لهم الا السمع والطاعة والانقياد والتسليم دون السؤال عن كيفية احلال ما احل الله او تحريم ما حرم ، كما ليس لاحد ان يسأله تعالى عما يفعل لقوله تعالى: لايسأل عما يفعل وهم يسألون (الانبياء ـ ٢٣).

فظهر ان القياس فى احكام الله تعالى باطل كما فى افعاله، وليس يلزم من ذلك ان لاداعى ولا مرجح فى الاحكام والافعال كما زعمه الاشاعرة و من يحذوحذوهم من المتكلمين، بل ما من ممكن فعلا كان او قولا اوحكماً الاوله غاية وحكمة، نعم! الفعل المطلق اوالذى لاواسطة بينه و بين الفاعل الاول الحق لا غاية له غير ذاته تعالى لانه لاغاية له اصلا، فذاته تعالى كما انه مبدأ كل شيء مجعول فكذلك غاية كل شيء مصنوع.

الحديث السابع عشر
و هو الثالث والسبعون و المائة

«علي بن ابراهيم عن هرون بن مسلم» بن سعدان الاصل كوفي تحول الى البصرة ثم تحول الى بغداد ومات بها، من اصحاب العسكري عليه السلام والكاتب السر من رأى كان ينزلها، واصله الانبار و يكنى ابا القاسم، ثقة وجه وكان له مذهب في الجبر والتشبيه لقي ابا محمد وابا الحسن عليهما السلام. «عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر عن ابيه ان عليا عليه السلام قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، و من دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس، قال: وقال ابو جعفر عليه السلام: من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم».

الشرح

نصب الشيء اقامته و رفعه، والدهر هو الزمان كله او الزمان الطويل والمراد ههنا مدة عمر الانسان، والارتماس في الماء ونحوه كالانغماس، و منه انه كره للصائم ان يرتمس، و قيل: الارتماس ان لا يطيل اللبث في الماء والاغتماس ان يطيل اللبث فيه، و منه ما روى عن الشعبي: يكتحل الصائم و يرتمس ولا يغتمس.

يعني ان من اقام نفسه لان يحكم بالقياس كان جميع عمره في التباس، لما علمت ان القياس لا يفيد علماً فمن افتى بالقياس كان يلتبس عليه كل حكم استخرجه بالقياس بما هو يخالفه او يضاده، ثم من دان الله بالرأي، اي عمل بما ادى اليه الرأي والقياس كان تمام عمره في ارتماس في الهوى و انغماس في الشهوات، فالاول و هو الالتباس بين الحق والباطل، حاله بحسب العلم، والثاني وهو الارتماس في بحر الظلمات والانغماس في مهوى الشهوات والتباعد عن الحق ودار الحيوة، حاله بحسب العمل به.

و اما قول ابي جعفر عليه السلام فهو قياس مركب من موجبتين كليتين على هيئة الضرب الاول من الشكل [الاول] ينتج موجبة كلية هي مفاد قولنا: كل من افتى الناس

برأيه فقد ضادالله، فاذا جعل هذا القول صغرى وضم اليه قولنا: وكل من ضادالله كافر ملعون، ينتج: كل من افتى الناس برأيه فهو كافر ملعون.

اما بيان صغرى القياس الاول و هى قوله عليه السلام: من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لايعلم، لما علمت مراراً ان القياس ليس مما يفيد علماً ولاظناً قوياً فمن دان به دان الله بما لايعلم.

واما بيان كبراه و هى قوله عليه السلام: ومن دان الله بما لايعلم فقد ضادالله، فهو ما اشار عليه السلام بقوله: حيث احل وحرم فيما لايعلم، يعنى ان من دان بما لايعلم لم يدن بدين الله بل دان بهوى نفسه، لانه احل اشياء وحرم اشياء ولا يعلم ان حلاله حلال احله الله ولا ان حرامه حرام حرمه الله، فاذا دان به فلاشك انه اتبع هوى نفسه ولم يتبع امر الله و رسوله، وكل من لم يتبع الله ولا رسوله واتبع هواه فقد ضادالله.

الحديث الثامن عشر
و هو الرابع و السبعون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن الحسن بن على بن يقطين، عن الحسين بن مياح» المدائنى روى عن ابيه قال ابن الغضائرى: انه ضعيف غال «صه» «عن ابيه عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان ابليس قاس نفسه بادم فقال: خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ ١٢)، ولوقاس الجوهر الذى خلق الله منه ادم بالنار كان ذلك اكثر نوراً وضياء من النار».

الشرح

اعلم ان الانسان مركب من جوهرين: احدهما ظاهره وعلنه والاخر باطنه وسره، اماظاهره فهو هذا البدن المحلول المركب من عناصر متضادة الصفات والاحوال متخالفة الطبائع والاحياز متداعية الذوات الى الانفكاك، لكن الغالب منها فيه هى الارض والماء اعنى الطين و هو جوهر مظلم اخس الجواهر المظلمة، و اما باطنه فهو جوهر نورانى

علوى من عالم الامر فائض على هذا البدن بامر الله وقوله: كن فيكون (البقرة ـ ١١٧)، و هو مستور عن الحواس غير متدنس بالارجاس والادناس و انكره اكثر الناس وهم النازلون فى مهوى الحيوانات و منزل الدواب ولم يحصل لهم هذا الجوهر العقلى ولم يجعل الله لهم هذا النور، فهم بعد فى ظلمة الوهم مترددون لما بينا فى كتبنا البرهانية: ان جمهور الناس نفوسهم حيوانية خيالية ، و هذا الجوهر الربانى والنور العقلى انما يوجد فى اهل الكمال العلمى من الذين خرجت نفوسهم بالعلم والعمل من حد القوة الى الفعل و من حدود النفوس الى حد العقل و من الظلمات الى النور.

فاذا علمت هذه المقدمات فاعلم: انه عليه السلام اراد ان يشير الى ان ابليس لكونه لم يتجاوز درجة نفسه من حد الوهم المشوب بالحس الى حد العقل الخالص ، ولم يرمن حقيقة ادم الا البدن المظلم المخلوق من الطين، فقاس نفسه النارية المخلوقة من النار فقال اللعين: انا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ ١٢) ، والنار خير من الطين، فانا خير من ادم، هذا نتيجة قياسه المغالطى الفاسد، ومنشأ غلطه وجوه :

احدها انه عليه اللعنة اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل، فان الانسان انسان بما به موجود بالفعل لا بما به موجود بالقوة، فالبدن المخلوق من الطين هو انسان بالقوة لانه حامل القوة الاستعدادية لحدوث ما به يصير انسانا بالفعل.

و ثانيها انه اخذ مادة الشىء مكان صورته، فالانسان انسان بصورته لا بمادته وكذا كل موجود مركب من مادة وصورة، فالسرير سرير بصورته السريرية لا بمادته الخشبية، والسيف سيف بحدته الموجبة للقطع لا بحديده، وعلى هذا القياس.

و ثالثها انه اخذ ما ليس بعلة علة، فان علة كرامة ادم و استحقاقه لمسجودية الملائكة ليست لاجل جسده المخلوق من الطين بل انما هما لاجل روحه الذى هو سر من اسرار الله ونور من انواره، او لاجل جامعيته لجميع ما هو متفرق فى عالمى الملك والملكوت ومظهريته لجميع الاسماء الالهية و هى المشار اليها بقوله تعالى: وعلم ادم الاسماء كلها (البقرة ـ ٣١).

فقوله عليه‌السلام: فلوقاس الجوهر الذى خلق... الى اخره، اشارة الى ان ابليس مع كونه خالف امر الله المنصوص عليه بالقياس وذلك غير جائز بوجه من الوجوه كما علمت غير مرة، فقد غلط وخبط فيما صنعه من قياسه حيث لم يستعمله فى موقعه، لانه قاس نفسه بجسد ادم وجسد ادم ليس بادم فقاس نفسه بغير ما هو مأمور بسجدته، فليس قياسه واقعا فى مقابلة مادل عليه النص فلا يصلح للمعارضة به، فلو قاس الجوهر القدسى الذى خلق الله منه ادم ـ لان صورته التمامية وغايته الكمالية بالجوهر النارى الذى هو نفسه الخسيسة الشريرة ـ ظهر عليه ان ذلك الجوهر اكثر نوراً اواتم ضياء من كل نار، بل لانسبة بين النور العقلى المعنوى وغيره من انوار الحسية كنور الشمس والقمر و غيرهما من الكواكب فضلا من نور النار الذى يضمحل فى ضوء النهار.

الحديث التاسع عشر
و هو الخامس و السبعون و المائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس عن حريز، عن زرارة قال: سألت اباعبدالله عليه‌السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال ابداً الى يوم القيامة و حرامه حرام ابداً الى يوم القيامة، لايكون غيره ولا يجىء غيره، و قال: قال على عليه‌السلام: ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنة».

الشرح

هذا بحسب الظاهر يدل على ان لانسخ فى الحديث.

والجواب: ان المراد ان الذى بقى عنه صلى‌الله عليه واله من غير نسخ منه مستمر الى يوم القيامة لايعارضه شىء ولا يبطله قياس.

وقوله عليه‌السلام: لايجىء غيره، معناه ان كل مايحتاج اليه الناس الى يوم القيامة فهو ثابت فى الكتاب والسنة فلا يحدث شىء من الاحكام لم يكن فى احدهما.

فظهر مما ذكره ان القياس باطل لانه ان كان مطابقا لما فى السنة فوجوده لغو اذ

هو كعدمه، وان كان مخالفا للسنة فهو باطل بالضرورة فالقياس باطل، وبهذا يعلم حقيقة ما قاله امير المؤمنين عليه السلام: ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنة، اذ لو لم تكن مخالفة للسنة لم تكن بدعة، و حيث كانت مخالفة مناقضة لها كان يلزم من اتيانها ترك سنة هى فى مقابلها.

الحديث العشرون
و هو السادس والسبعون و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن احمد بن عبدالله العقيلى، عن عيسى بن عبدالله القرشى قال: دخل ابو حنيفة على ابى عبدالله عليه السلام فقال له : يا اباحنيفة بلغنى انك تقيس؟ قال: نعم، قال: لاتقس فان اول من قاس ابليس حين قال: خلقتنى من نار وخلقته من طين (الاعراف ـ ١٢)، فقاس مابين النار والطين، ولو قاس نورية ادم بنورية النار عرف فضل مابين النورين وصفاء احدهما على الاخر».

الشرح

معناه كما مر، واعلم ان ابليس انما لم يقس نورية ادم عليه السلام بنورية ناره، اى نفسه التى [هى] شرر من نار قهر الله و غضبه التى تسعر بها الجحيم، لانه لم يعرف حقيقته التى هى امر من امر الله وكلمة من كلماته التامات التى كتبها بيده وانشأها بقوله وروح اضافها الى نفسه حيث قال: وكلمته القاها الى مريم وروح منه (النساء ـ ١٧١).

وانى لابليس بقوته الوهمية ان يعرف حقيقة النفس الادمية و روحه التى من عرفها فقد عرف الرب؟ ولو كان الشيطان عارفا بالله لم يكن مطروداً عن بابه بعيداً عن رحمته، وانما شأنه المغالطة والوسوسة وتلقى الشبهات الغارة وابداء الوهميات الكاذبة والمقدمات السفسطية التى توقع شكاً وغروراً ووعداً بالشر وتخويفاً وابعاداً من الخير كما فى قوله تعالى: يعدهم و يمنيهم و ما يعدهم الشيطان الا غروراً (النساء ـ ١٢٠).

الحديث الواحد والعشرون
وهو السابع و السبعون والمائة

«على عن محمد بن عيسى، عن يونس عن قتيبة قال: سأل رجل اباعبدالله عليه السلام عن مسألة فاجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه، ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه واله، لسنا من «ارأيت» فى شيء».

الشرح

مه اسم مبنى على السكون سمى به الفعل معناه اكفف لانه زجر، يعنى الذى اجبتك به فيما سألت عنه من المسألة ليس صادراً عن الرأى والقياس حتى تقول: ارأيت ان كان كذا فما القول فيها؟ بل انما اجبت فيما اجبت لما بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه واله اخذاً عن ابائى عليهم السلام منتهياً الى رسول الله صلى الله عليه واله الى جبرئيل الى الله سبحانه فلسنا من ارأيت فى شيء، اى لسنا بحيث يسع لاحد اويصح له ان يقول لنا ارأيت، لان ارأيت سؤال واستفهام عن الرأى ومايتأدى اليه ونحن لانقول بالرأى فى شيء اصلا.

تبصرة

اعلم انه ليس معنى ماذكره عليه السلام: مااجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه واله، ما يفهمه الظاهريون من الناس من ان شأنهم حفظ الاقوال خلفاً عن خلف حتى يكون فضلهم على سائر الناس فى قوة الحفظ للمسموعات او بكثرة المحفوظات، بل المراد ان نفوسهم القدسية استكملت بنور العلم و قوة العرفان بسبب اتباع الرسول عليه وعليهم الصلوة والسلام بالمجاهدة والرياضة مع زيادة استعداد اصلى وصفاء وطهارة فى الغريزة فصارت كمرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق بواسطة مرآة اخرى او بغير وساطة.

الاترى ان المرآة المتعددة المتحاذية والمحاذية لمرآة اخرى هي بحذاء الشمس تنعكس ضوء الشمس الى الجميع؟ فهكذا حال من اتبع الرسول صلى الله عليه واله حق المتابعة يصير محبوب الحق تعالى كما في قوله تعالى: ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (آل عمران ـ ٣١)، ومن يحبه الله افاض عليه من الانوار الالهية كما افاض على حبيبه صلى الله عليه واله، لكن الفرق ثابت بين المتبوع والتابع.

وبالجملة يجب ان يعلم: ان علوم الائمة عليهم السلام ليست اجتهادية ولا سمعية من طرق الحواس، بل علومهم كشفية لدنية يفيض على قلوبهم انوار العلم والعرفان عن الله سبحانه لا بواسطة امر مباين من سماع او كتابة محسوسة او رواية او شيء من هذا القبيل.

ومما يدل على ما بيناه واوضحناه قول امير المؤمنين عليه السلام: علمني رسول الله صلى الله عليه واله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب، و قول الرسول صلى الله عليه واله: اعطيت جوامع الكلم واعطى على جوامع العلم.

و معنى تعليم الرسول صلى الله عليه واله له عليه السلام هو اعداد نفسه الشريفة القابلة لانوار الهداية على طول الصحبة و دوام الملازمة بتعليمه و ارشاده له الى كيفية السلوك الى الله بتطويع النفس الحيوانية وقواها لما امرها و استخدمها الروح العقلي الالهي واشارته صلى الله عليه واله الى اسباب التطويع والرياضة حتى استعد عليه السلام للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عن المغيبات، وليس التعليم البشري سواء كان المعلم رسولا ام غيره هو ايجاد العلم، و ان كان امراً يلزمه الايجاد والافاضة من الله.

وفي قوله صلى الله عليه واله اعطى بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطى لعلي جوامع العلم ليس هو النبي صلى الله عليه واله بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه واله جوامع الكلم و هو الحق سبحانه، فافهم هذا المقام فانه من مزال الاقدام.

الحديث الثانى والعشرون
و هو الثامن والسبعون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالدمرسلا قال: قال ابوجعفر عليه السلام: لاتتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين، وان كل سبب و نسب وقرابة ووليجة و بدعة و شبهة منقطع الا ما اثبته القران».

الشرح

ولج يلج اى دخل، والولوج الدخول، و قال ابن الاثير: و فى حديث على عليه السلام: اقر بالبيعة و ادعى الوليجة، وليجة الرجل بطانته و دخلاؤه و خاصته، و فى القاموس: الوليجة الدخيلة وخاصتك من الرجال او من تتخذه معتمداً عليه من غير اهله و هو وليجتهم اى لصيق بهم.

والمعنى: لاتتخذوا من دون الله معتمداً تعتمدون عليه فلم يكونوا حينئذ مؤمنين بالله واياته، اذالمؤمن الحقيقى من لااعتماد ولا توكل له الاعلى الله ولا استعانة له الا به، و من استعان بغير الله ذل.

وقوله عليه السلام: فان كل سبب... الى اخره، ان جميع هذه الامور المذكورة لما كانت من الامور العرضية الاضافية فهى منقطعة الا ما اثبته القران لانه البرهان، و كل ما اثبته البرهان العقلى فهو لازم غير منقطع، وكل ما هو لازم ضرورى من العلوم والاعتقادات المتعلقة بالامور الدائمة كالعلم بالله و صفاته و ملائكته و افعاله وكتبه و رسله، فذلك من قبل الله وافاضته وجوده ولذلك لاينقطع، وكل ماليس كذلك: كالسبب والنسب الحسيين و كالقرابة البدنية والوليجة وكذا كل بدعة و شبهة، فان كلها منقطع لانها من الدنيا و اسبابها الاتفاقية، وكل ماهومن الدنيا و مايتعلق بها من النفوس و ادراكها الوهمية والخيالية فهى امور داثرة زائلة منقطعة، فمن اتخذها واعتمد عليها فليس هو بمؤمن بالله وكلماته التامات و قدخالف قوله تعالى: ولم يتخذوا من دون الله و لارسوله و لاالمؤمنين وليجة (التوبة ـ ١٦).

وتحقيق هذا المقام يحتاج الى تمهيد مقدمات : احديها ان العلل و الاسباب للاشياء و ذوات العلل على ضربين :

الضرب الاول هى العلل الذاتية وهى التى لاتنفك عن المعلول و لايمكن وجوده الامتقوما بها موجوداً بوجودها ، وهى كالفاعل و الغاية وكالمادة و الصورة ان كان مركبا منهما.

الضرب الثانى العلل العرضية و هى كالمعدات والحركات و سائر الامور الاتفاقية العرضية قد لايوجد عند وجود المعلول، فبعضها ممالايوجد وجود المعلول الابعد عدمها، و بعضها مما لايشترط وجودها و لاعدمها عند حصول المعلول لكونه شرط حدوثها لاشرط[1]، فالاول كالنطفة للانسان والثانى كالابوين له.

والثانية ان الانسان وان كان وجوده فى هذا العالم مشروطاً بمادة بدنية لكن من شأنه ان يتجرد روحه من هذا البدن الظمانى المركب من الاضداد المعرض للمحن و الافات والفساد الى عالم الاخرة ، بل سعادته ان يستكمل بذاته و يتجرد عن الدنيا و مافيها غيرمتعلق بشىء من هذا العالم، و انمايمكن له ذلك بطهارة النفس عن الرذائل و تحليتها بالعلوم و الفضائل.

الثالثة ان عالم الاخرة ليس كعالم الدنيا ، دار الاتفاقات والاستعدادات العرضية و الاسباب الخارجة ، و ليس هناك من الاسباب الا ماهو من الجهات الفاعلية دون الانفعالات المادية ، لان ذلك العالم عالم صورى و دارحيوانية ليس فيه امر مادى ، سواءكانت الصورة من العقليات الصرفة وهو دارالمقربين اومن التعليميات المقدارية و هو داراصحاب اليمين.

و بالجملة: الموجودات التى تكون فى دارالاخرة كالجنة و اصحابها و جميع احوالها و افعالها و جناتها وانهارها و حورها و غلمانها و قصورها وغرفاتها، وكذا النيران و من فيها من الامور التى تفيض من الله تعالى على الارواح و النفوس المنتقلة

١ــ كذا فى الاصل، وفى المطبوع : لكونه شرط حدوثه لاشرط حصوله، ويمكن سقط من قلمه الشريف لفظة حصولها. والله اعلم.

من هذه الدار الى الاخرة، و جميع هذه الصور الملذة الجنانية ومقابلاتها هى من نتائج الاعمال الصالحة او السيئة لتلك الارواح و النفوس بمنزلة الاضواء و الظلال اللازمة اياها من غير مشاركة سبب خارجي اومدخلية امر اتفاقي ، وقداوضحنا ذلك فى مباحث المعاد من كتبنا، وهذامعنى قوله تعالى: الملك يومئذ لله (الحج ـ ٥٦)، و قوله: لاظلم اليوم (غافر ـ ١٧)، وغيرذلك من الايات الكثيرة المشيرة الى هذا المعنى.

فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول : ان معنى المؤمن كما يستفاد من اطلاقات لسان الشريعة هو العارف بالله و رسله و كلماته واياته ويكون مرجعه الى الله و ملكوته، و هذاالمعنى لايتحقق الاباستكمال ذاته بالعلوم الحقيقية الدائمة التى لايتغير ولاينقطع، والعلوم الدائمة لايمكـن ان يحصل الا بالاسباب الدائمة، اذسبب الشيء لايمكن ان يكون انقص وجوداً من ذلك الشيء، و كل سبب لايدوم بدوامه الشيء فهو سبب عرضى غير حقيقى.

فالسبب للعلوم الدائمة لابدان يكون من الامور الالهية والبراهين الدائمة و ذلك لايمكن الابافاضة الله امابذاته اوبتوسط ماهو من ذاته دائما بدوام ذاته، فكل ماليس كذلك، فلاتعويل للمؤمن عليه و يكون حكمه حكم وليجة دون الله من رواية اوسماع اوقياس او بدعـة او تقليد او اجازة او كتابة او مناولة كتاب، ولكن الذى اثبته القران او افاده الرسول صلى الله عليه واله ليس بمنقطع لانها امور برهانية جاءت من قبل الله و كلماته، قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفدالبحر قبل ان تنفد كلمات ربى و لوجئنا بمثله مدداً (الكهف ـ ١٠٩) .

باب الرد الى الكتاب و السنة و انه ليس شيء من الحلال و الحرام، و جميع مايحتاج الناس اليه الا و قد جاء فيه كتاب او سنة

و هو الباب العشرون من كتاب العقل والعلم وفيه عشرة احاديث

الحديث الاول

وهو التاسع والسبعون و المائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن على بن حديد عن مرازم» بضم الميم و الراء قبل الالف و الزاى بعده، ابن حكيم الازدى المدائنى مولى ثقة، واخواه محمد بن حكيم وحديد بن حكيم يكنى ابا محمد روى عن ابى عبدالله وابى الحسن عليهما السلام و مات فى ايام الرضا عليه السلام «صه» قال النجاشى: و هو احد من بلى باستدعاء الرشيد[1] واخوه، احضرهما الرشيد مع عبدالحميد بن عواض فقتله و سلما، ولهم حديث ليس هذا موضعه، له كتاب روى عنه جماعة منهم على بن حديد. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان الله تبارك و تعالى انزل فى القران تبيان كل شيء، حتى و الله ماترك الله شيئاً يحتاج اليه العباد حتى لايستطيع عبد يقول: لوكان هذا انزل فى القران الا وقد انزله الله فيه».

الشرح

يعنى ان القران مجتمع علوم الاولين و الاخرين، و قد انزل فيه تبيان كل شيء وبرهان كل علم ونور كل هدى و سبيل كل غاية و شاهد كل غائب ومهيمن كل كتاب و جامع كل خطاب، مامن علم الا وفيه اصله و دليله و مامن حكم الا و منه بيانه وسبيله، حتى و الله مافات القران الامور الجزئية و ماترك الله منه شيئاً يحتاج اليه العباد من الوقائع النادرة الواقعة فى شيء من الازمنة و الاوقات فضلا عن معظمات الامور و الكليات من القواعد والاعتقادات، حتى انه لايسع لاحد ولايستطيع عبدان يقول متمنياً: لوكان هذا الحكم الجزئى والمسألة الفرعية فى القران، اذلايعزب عن علم القران شيء

١- الرشيد له «جش».

فی الارض ولا فی السماء الا و قدانزله الله فیه.

و قوله علیه السلام : الا و قد انزله الله فیه، یحتمل ان یکـون استثناء منقطعا او استینافاً لتأکید ماسبق، وعلی الاول یکـون «الا» حرف الاستثناء مشدده اللام مکسورة الهمزة بمعنی لکن و علی الثانی یکون حرف التنبیه مفتوحة الهمزة مخففة اللام.

نقل کلام لتوضیح مرام

قال بعض المفسرین[1]: اعلم انه مرعلی لسانی فی بعض الاوقات: ان هذه السورة یعنی فاتحة الکتاب یمکن ان یستنبط مـن فوائدها ونفائسها عشرة الاف مسألة، فاستبعد هذا بعض من الحساد وقوم من اهل الجهل والعناد وجعلوا ذلك علی ما الفوه من الکلمات[2] الفارغة عن المعانی و الاقوال الخالیة عن تحقیق المعاقد و المبانی، فلما شرعت فـی تصنیف هذا الکتاب قدمت بهذه[3] المقدمة لیصیر کالتنبیه علـی ان ماذکرناه امر ممکن الحصول قریب الوصول.

فنقول: قولنا: اعوذبالله من الشیطان الرجیم، لاشك ان المراد منه الاستعاذة بالله عن جمیع الشرور و المنهیات و المحظورات ، و لاشك انها اما ان تکـون من باب الاعتقادات او من[4] اعمال الجوارح، اما الاعتقادات فقد جاء فـی الخبر المشهور قوله صلی الله علیه واله: ستفرق امتی علی نیف و سبعین فرقة[5] کلهم فی النار الافرقة واحدة، وهذا یدل علی ان الاثنین والسبعین موصوفون بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة.

ثم[6] ضلال کل فرقة من اولئك الفرق غیر مختص بمسألة واحدة هوبل حاصل فی مسائل کثیرة من المباحثات المتعلقة بـذات الله تعالی و صفاته و احکامه و بافعاله و اسمائه و

١ـ هو الخطیب الرازی فی تفسیر المعروف بـ «التفسیر الکبیر».

٢ـ من التعلقات «التفسیر الکبیر».

٣ـ هذه «التفسیر الکبیر».

٤ـ من باب «التفسیر الکبیر»

٥ـ ستفترق امتی علی ثلاث و سبعین فرقة «التفسیر الکبیر».

٦ـ ثم ان «التفسیر الکبیر».

بمسائل الجبر والقدر والتعديل والتجويز والثواب والعقاب و المعاد و الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والامامة، و اذا وزعنا عدد الفرق الضالة و هو الاثنان و السبعون الى هذه المسائل الكثيرة بلغ العدد الحاصل مبلغاً عظيماً ، وكذلك انواع الضلالات الموجودة في فرق الامة في جميع المسائل العقلية المتعلقة بالالهية و التوحيد[1] والمتعلقة باحكام الذات و الصفات يبلغ المجموع مبلغا عظيماً في العدد.

و لاشك ان قولنا : اعوذ بالله، يتناول الاستعاذة به عن جميع تلك الانواع، و الاستعاذة عن الشيء لايكون الابعد معرفة المستعاذ منه ومعرفة كونه قبيحاً باطلا[2]، فظهر بهذا الطريق قولنا[3]: اعوذ بالله، مشتمل على الالوف من المسائل الحقيقية اليقينية.

واما الاعمال الباطلة فهي عبارة عن كل ماورد النهي عنه اما في القران او الاخبار المتواترة او في اخبار الاحاد او في اجماع الامة او في القياسات، و لاشك ان تلك المنهيات تزيد على الالوف و قولنا : اعوذ بالله، متناول لجميعها و جملتها، فثبت بهذا الطريق ان قولنا: اعوذ بالله، مشتمل على عشرة الاف مسألة او ازيد او اقل من المسائل المعتبرة المهمة. انتهى كلامه.

اقول: ان جميع ماشار اليه هذا الرجل الفاضل المشهور بالامامة و العلم عند الجمهور ليس من علم القران في شيء ولا هو بمعرفتها قد صار من اهل القران وخاصة الله كما ورد: اهل القران اهل الله و خاصته ، بل كل ماذكره و اشار اليه من المسائل الجمة الكثيرة التي شحن بها كتب الكلامية و الفقهية.

اما مأخوذة من السماع من افواه الرجال.

و اما تقليدات صرفة كاكثر مسائل المعاد و بعض مسائل المبدأ.

و اما اراء كلامية و قواعد متزلزلة لاتعويل عليها في تحصيل اليقين، و انما يتدرع بها طالب المباهاة و انما يحسن استعمالها عند الخصومات والمجادلات و لهذا

١ــ المتعلقة بالالهيات «التفسير الكبير».

٢ــ المستعاذ منه، و الابعد معرفة كون ذلك الشيء باطلا وقبيحا «التفسير الكبير».

٣ــ ان قولنا «التفسير الكبير».

وضعت اول وضعها فى الاسلام.

او مسائل اجتهادية اخذها كما ذكر بعضها من الاخبار وبعضها من القياسات التى نحن الان فى ذمها و ابطالها.

وبالجملة ليس شىء من هذه المسائل الكثيرة التى تبجح[1] بها من علوم اهل القران و اهل الله فى شىء، وانما ذلك شىء الهمه الله و نور عقلى اجمالى افاضه الله على قلب من يشاء من عباده به يرى الاشياء كماهى، و تلك الملكة النورانية المعبر عنها عند جماعة بالعقل البسيط او الاجمالى او العقل بالفعل و على لسان القران بالهدى و النور والحكمة والفضل و غيرذلك وانما تحصل بالمواظبة على تدبر الايات و طول الرياضة والمجاهدة مع النفس والهوى والعمل بما علم، فان من عمل بما يعلم افاده الله علم مالم يعلم، و هكذا الى ان ينكشف له العلم بحقائق الاشياء وكلياتها من العلم بذات الاول تعالى وصفاته العليا و اسمائه الحسنى و افعاله الكبرى، ثم يعرف من الكليات الجزئيات و من الحقائق دقائقها و من الاسماء مظاهرها و مجاليها، وهكذا يعرف من الاوائل الثوانى و من البديات النهايات و من العلل المعلولات و من الاسباب المسببات كما هو طريقة الصديقين على عكس طريقة النظار المستدلين بالاثار على المؤثرات، و عند ذلك يظهر ان مامن شىء من العلوم الكلية و الجزئية والاصول والفروع الاويوجد فى القران اصله و فرعه و مأخذه و غايته.

ثم ان الذى ذكره ان قولنا: نعوذ بالله، متوقف على العلم بجميع المذاهب و الاراء الفاسدة والاعمال القبيحة، ليس كذلك، فان من عرف طريق الحق يعلم بالاجمال ان غيره طريق الباطل و من علم بالخير يعلم ان ماسواه شر، فله ان يستعيذ بالله من كل شر وآفة و ضر وان لم يعلم جميع الشرور والافات على التفصيل.

و هل هذا الذى ذكره الا مثل ان يقول احد: لايمكن لى طلب الصحة من الله كما فى الادعية المأثورة الابعد ان اعرف جيمع الامراض و العلل و اسبابها، فجعل يشتغل طول عمره بمطالعة كتب الطب و يتصفح كل مرض مرض وآفة آفة حتى يجوز له

١ــ اى: تفاخر و فرح بها.

طلب الصحة منها في الدعاء من الله؟ فربمامات في اثناء المطالعة وتتبع الامراض و لم يدع ربه.

وايضا ان الذى ذكره من تلك المسائل لم يستفده من قول اعوذ بالله بل استفادها من الخارج، وكان الكلام منه اولا في استنباط العلوم الكثيرة كعشرة الاف و نحوها من فاتحة الكتاب و مثل الذى ذكره لو كان هو بمعنى الاستنباط لامكن ذلك النحو منه في غير كلام الله بل من كلام اكثر الناس، و بالجملة ليس معنى كون القران تبيان كل شيء ماتصوره وفصله، بل شيء اجل و ارفع من ذلك ـ كمامرت الاشارة اليه ـ.

الحديث الثاني
و هو الثمانون و المائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس عن حسين بن المنذر»، بن ابى طريفة البجلى كوفى من اصحاب الصادق عليه السلام، ثم ابن المنذر اخو ابى حسان و ذكر: ان الحسن والحسين ابنا منذر من اصحاب الباقر عليه السلام، و ذكر في اسم منذر بن ابى طريفة: ابنه الحسين روى عنهما، وقال النجاشي: انه روى عن على بن الحسين و ابى جعفر و ابى عبدالله عليهم السلام، و لايبعد ان يكون الحسن معروفا بابى حسان فيحتمل اتحاد[1].

و في الكشي: حمدويه عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن الحسين بن المنذر قال: كنت عند ابى عبدالله عليه السلام جالساً فقال لى معتب: خفف عن ابى عبدالله عليه السلام فقال ابو عبدالله عليه السلام: دعه فانه من فراخ الشيعة. «عن عمر بن قيس»، الماصر ويقال عمرو بالواو بعد الراء وهو من اصحاب الباقر عليه السلام، بترى. «عن ابى جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الله تبارك و تعالى لم يدع شيئا يحتاج اليه الامة الا انزله في كتابه و بينه لرسوله صلى الله عليه واله، جعل لكل شيء حداً و جعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً».

١ـ اتحاد الجميع «جامع الرواة».

الشرح

افاد عليه السلام فى هذا الحديث خمسة احكام :

الاول ان الله تعالى انزل فى كتابه يعنى القران المجيد جميع مايحتاج اليه هذه الامة المرحومة، فلم يدع و لم يترك شيئا من ذلك حتى الامور الجزئية و الوقائع النادرة.

والثانى انه بين و اوضح الجميع لرسوله محمد صلى الله عليه واله بحيث لايخفى عليه شيء من ذلك.

والثالث انه جعل لكل شيء من الحقائق العلمية و الاحكام حداً، اى معرفاً تاماً يوجب تصوره بكنهه او بوجه يمتاز به عما سواه.

والرابع انه جعل عليه دليلا وهو البرهان و نحوه يوجب التصديق بوجوده فى نفسه، فالحد ومايجرى مجراه فى التصورات والدليل ومايجرى مجراه فى التصديقات.

والخامس انه تعالى جعل على من تعدى ذلك الحد الى غيره حداً من العقوبة او جعل على المتعدى عن حدود الله حداً اخر غير الانسانية، اذيخرج الانسان بسبب مخالفة امر الله من حدود الانسانية الى حدود البهيمية والسبعية و غيرهما.

الحديث الثالث

وهو الواحد و الثمانون والمائة

«على عن محمد عن يونس، عن ابان عن سليمان بن هرون»، هذا الاسم مشترك بين ثلاثة رجال كلهم من اصحاب الصادق عليه السلام: احدهم الازدى الكوفى، و الثانى العجلى من اصحاب الباقر عليه السلام ايضاً ، و الثالث النخعى ابو داود و قال العلامة فى «صه» يقال له: كذاب النخع، روى عن ابى عبدالله عليه السلام ضعيف جداً قاله ابن الغضائرى.

وقال فى كتابه الاخر: سليمان بن عمر ابوداود النخعى يروى عن ابى عبد الله عليه السلام، حدثنى احمد بن محمد بن موسى قال: حدثنا احمد بن محمد بن سعيد قال: كان ابو داود النخعى يلقبه المحدثون كذاب النخع ثم قال فى هذا الكتاب: حدثنى

محمد بن الحسين بن الفضل قال: حدثنی عبدالله بن جعفر بن درستويه قال: قال يعقوب بن سفيان: كان سليمان بن يعقوب النخعی يكـذب علی الوقف. انتهی. «قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: ماخلق الله حلالا و لاحراماً الا وله حد كحد الدار، فماكان من الطريق فهو من الطريق و ماكان من الدار فهو من الدار، حتی ارش الخدش فما سواه والجلدة و نصف الجلدة».

الشرح

يعنی ان كل ماجعله الله حلالا اوجعله حراماً فانما له حداً خاصا كحد الدار وجعل لـه طريقا خاصاً كطريق الدار ليس لاحد التعدی عنه، لاعن حده فی باب التحديـد و التصوير ولاعن طريقه فی باب السبيل والدليل.

و بالجملة ليس لاحد ان يتصرف بعقله فی شیء منها من جهة قياس او ترجيح او استحسان او غيرذلك، فمااشتهربين علماء العامة ان حكم الله تابع لرأی المجتهد و ظنه، باطل، و كذاماذكروامن ان المتناقضات التی ادت اليها اراء المجتهدين كلهاحكم الله يجب العمل بكل منها لمن اجتهد فيه و لمقلديه وان ليس لله ان ينصب عـلی كل حكم دليلا، كل ذلك اوهام باطلة و اراء فاسدة، بل الحلال حلال دائماً و الحرام حرام ابداً ولكل منهما حد معين و دليل معين ابداً، وماكان من الطريق لشیء فهومن طريقه ابداً و ماكان من حده فهومن حده ابداً، فليس لاحد تغيير الحد ولاالدخول اليه الامن طريقه كمافی قوله تعالی: فأتوا البيوت من ابوابها (البقرة ـ ۱۸۹)... الاية.

و فی ايراد لفظ خلق فی قوله عليه السلام: ماخلق الله حلالا، دون جعل و نحـوه اشعار بان حسن الافعال وقبحها امر ذاتی لهاليس بجعل جاعل، فالحلال حلال بالذات و له حد ذاتی والحرام حرام بالذات وله حد ذاتی، وانما صنع البارئ سبحانه ايجاد الاشياء و افاضتها دون صيرورتها اياهـا، اذالذاتی للشیء لايعلل.

ثم ذكر عليه السلام من احكام الله تعالی امثلة جزئية حقيرة استظهاراً و تأكيداً لما

هو بصدده من كون كل حكم له حد واليه طريق فقال: حتى ارش[١] الخدش، و هوقشر الجلد بعود ونحوه يقال: خدشه يخدشه خدشاً، و ارش: مايأخذه المشترى من البائع اذا اطلع على عيب فى المبيع، و اروش الجنايات الجراحات من ذلك لانها جائزة[٢] عما حصل فيها من النقص.

وقولة: فماسواه، عطف على الخدش، اى اروش ماسواه مماهومثله او دونه فى الحقارة كمايدل عليه الفاء.

وقوله: والجلدة ونصف الجلدة، عطف على ارش الخدش وهى الضربة بالسوط ونصفها، وهو يتحقق اما بكون السوط الذى يضرب به الجانى نصف السياط المتعارفة اويضرب على وجه يكون ايلامه نصف ايلام الجلدة الواحدة. والامام يعلم بنور القران والالهام درجة كل جناية ومايوجبه من الحدود.

الحديث الرابع

و هوالثانى والثمانون و المائة

«على عن محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شيء الا وفيه كتاب اوسنة».

الحديث الخامس

و هوالثالث والثمانون والمائة

«على بن ابراهيم عن[٣] محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد، عن عبدالله بن سنان عن ابى الجارود قال: قال ابوجعفر عليه السلام: اذاحدثتكم بشيء فاسألونى من كتاب الله ثم قال فى بعض حديثه: ان رسول الله صلى الله عليه واله نهى عن القيل والقال وفساد المال

١ــ ارش الجناية ديتها، والجمع: اروش، مثل فلس وفلوس، واصله الفساد.
٢ــ وفى المجمع البحرين: لانها جابرة النقص. وفى لسان العرب كما فى المتن.
٣ــ عن ابيه عن محمد بن عيسى (الكافى).

وكثرة السؤال، فقيل له: يابن رسول الله اين هذا من كتاب الله؟ قال: ان الله عزوجل يقول: لاخير في كثير من نجويهم الامن امر بصدقة اومعروف او اصلاح بين الناس (النساء ـ ١١٤)، وقال: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما (النساء ـ ٥)، وقال: ولاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم (المائدة ـ ١٠١)».

الشرح

النجوى من ناجاه يناجيه فهو مناج و قد تناجيا مناجاة، والمناجي المخاطب الانسان والمحدث له ومنه حديث علي عليه السلام دعاه رسول الله صلى الله عليه واله يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه فقال صلى الله عليه واله: ما انتجيته ولكن الله انتجاه.

يعني اذا حدثتكم بشيء فاردتم مني دليله فاسألوني عن الدليل عليه من كتاب الله حتى اشير لكم الى دليله من الكتاب، اى لاتعولوا على شيء اخر من اجماع او قياس اواستحسان و اياكم القيل والقال، فان رسول الله صلى الله عليه واله نهى عن ثلاثة اشياء: احدها القيل و القال وهو المناظرة في العلم و المماراة والجدال في البحث، والثاني فعل مايوجب فساد المال، والثالث كثرة السؤال.

ثم لناظهر من كلامه عليه السلام حيث قال: اذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ان جميع الاحكام مأخوذة من القران فاسألوا منه عن مدارك هذه الامور الثلاثة التي نقلها وحدثهم بها عن رسول الله صلى الله عليه واله و مواضعها من القران فتلي الايات المذكورة، فالاية الاولى وهي قوله: لاخير في كثير من نجويهم، دالة على النهي عن القيل والقال و آفات المناظرة والجدال.

واعلم ان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الاخلاق و مرديات الذنوب والسيئات كثيرة، فان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة واظهار الفضل وقصد المباهاة منبت النفاق ومنبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله.

وقال بعض المحققين: ان نسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والحسد والعجب

والافتخار وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزناء والقتل والسرقة وغيرها، وكما ان الذى خير بين شرب الخمر وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة.

و اما الاية الثانية وهى قوله: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم... الاية، فصريحة فى النهى عن فساد المال وفساده معلوم انه قبيح منهى عنه عقلا وشرعاً، اذ المال انما خلقه الله و اعطاه لاجل ان يصرف فى منافع الخلق و سد حاجاتهم و يبذل فى وجوه الخير وابواب البر فمن اضاعه وافسده كان كمن ضاد الحق و عاداه.

واما الاية الثالثة وهى قوله تعالى: ولاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم، فهى للنهى عن كثرة السؤال خصوصاً من العوام والجهال، ومن لم يبلغ فهمه الى درك الحقيقة فهى افسد شىء لدينهم وعقلهم.

ومن الافات العظيمة سؤال العوام ومن يحذو حذوهم عن صفات الله وعن كلامه وعن كيفية رؤيته وعن الحروف، انها حادثة اوقديمة وعن سر القدر وعن الجبر والقدر، الا ان الامساك عن السؤال ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب. والعامى يفرح بان يخوض فى العلم، اذ الشيطان يخيل له انك من العلماء واهل الفضل، فلايزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر ولايدرى، وكل كبيرة يرتكبها العامى فهو اسلم من ان يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله و صفاته.

وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادة، والايمان بماورد به القران والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث، وسؤالهم عن غير مايتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يتعرضون به لحظر الكفر و سخط الرب تعالى، و هو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة، وكل من سأل عن علم غامض لم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى.

ولذلك روى انه قال رسول الله صلى الله عليه واله: ذرونى ماتركتكم فانما هلك

من قبلكم بسؤالهم و اختلافهم على انبيائهم، مانهيتكم عنه فاجتنبوه ومـا امرتكم به‌ـ فأتوا منه ما استطعتم.

وعـن انس :انه سأل رسول‌الله صلى‌الله عليه واله حتى اكثروا عليه و اغضبوه فصعدالمنبر فقال: سلونى ، فلاتسألونـى عن شيء الا انبأتكم به، فقام اليه رجل فقال: يارسول‌الله أفى الجنة انا او فى النار؟ قال : بل فى النار، وقام اليه شابان اخـوان فقالا: يارسول‌الله من ابونا؟ فقال : ابوكماالذى تدعيان اليه ، و قام اليه رجل فقال: من ابى؟ فقال: ابـوك حذافة وكان يدعى لغيره، فلما رأى الناس غضب رسول‌الله صلى‌الله عليه واله امسكوافنزلت الاية: لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم.

و روى عن رسول‌الله صلى‌الله عليه واله قال: يوشك الناس يسألون نبيهم حتى يقولوا: هذاخلق‌الله الخلق فمن خلق‌الله؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا: الله احد حتى تختموا السورة، ثم ليتفل[1] احدكم عن يساره ثلثاً وليستعذ بالله من الشيطان، وقال جابر: مانزلت اية التلاعن الالكثرة السؤال.

وفى قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذقال: فان اتبعتنى فلاتسألنى عن شيء حتى احـدث لك منه ذكراً (الكهف ـ ٧٠)، فلما سأل عن السفينة انكرعليه حتى اعتذر و قال : لاتـؤاخذنى بمانسيت و لاترهقنى من امرى عسراً (الكهف ـ ٧٣)، فلم يصبر حتى سأل ثلثاً، قال: هذا فراق بينى و بينك (الكهف ـ ٧٨) ، و فارقه.

فسؤال العوام عن غوامض الـدين من اعظم الافات و هـو من المثيرات للفتن العظيمة، فيجب ذمهم ومنعهم من ذلك، وخوضهم فى حروف القران يضاهى اشتغال من كتب اليه الملك كتاباً ورسم فيه اموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه فى ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك للعقوبة لامحالة، فكذلك تضييع العامى حدود القران و اوامره ونواهيه واشتغاله بحروفه أقديمة ام حادثة وكذا اشتغاله بسائر صفات الله، وكذلك حكم اكثر المتكلمين الذين يخوضون فى البحث عن صفات الله وافعالـه

١ـ اى: بصق وطرح التفل.

واياته و كلماته من غير بصيرة و كشف قلب.

فمن اراد ان يعرف غوامض اسرار المبدأ و المعاد بهذه الصنعة المشهورة المسماة بعلم الكلام فقد استسمن ذا ورم و هو فى خطر عظيم، فان طريق معرفة الله و السبيل الى فهم عجائب ملكوته و اسرار كتبه و رسله شىء اخر ليست صنعة الكلام ولا المتكلم بهذه الصنعة منه فى شىء، بل انما هو بها فى حجاب كثيف منه و حظر[1] شديد.

الحديث السادس

وهو الرابع والثمانون و المائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون»، مولى بنى اسد ثم مولى بنى سلامة[2]، كان وجهاً فى اصحابنا قارئاً فقيهاً نحوياً لغوياً راوية، وكان حسن العمل كثيرة العبادة و الزهد روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام و كان فاضلا متقدما معدوداً فى العلماء والفقهاء الاجلة فى هذه العصابة، سمعه هرون الرشيد يدعو فى الوتر فاعجبه «صه» قال الكشى: ذكر حمدويه عن محمد بن عيسى ان ثعلبة بن ميمون مولى محمد بن قيس الانصارى. و هو ثقة خير فاضل مقدم معلوم فى العلماء و الفقهاء الاجلة فى هذه العصابة ويقال له: ابو اسحق الفقيه، وفى رجال الشيخ: روى عنهما عليهما السلام «عن[3] المعلى بن خنيس قال: قال ابو عبدالله عليه السلام: مامن امر يختلف فيه الاثنان الا وله اصل فى كتاب الله[4] ولكن لاتبلغه عقول الرجال».

الشرح

تحقيق هذا الكلام و تبيين هذا المرام: ان اشياء الكلية والجزئية كلها مسببة عن العلل

١ـ يكمن فى الاصل للشارح ان يكون «خطر»

٢ـ بنى سلمة «جش» بنى سلام «جامع الرواة».

٣ـ عمن حدثه (الكافى).

٤ـ عزوجل (الكافى).

والاوائل، وهي كلها مسببة عن السبب الاول جل اسمه الذي يتسبب منه كل موجود ممكن و يتشعب منه كل عين واثر وينتشيء منه كل علم وخبر، وكل ماعرف سببه من حيث مايقتضيه و يوجبه فلابد وان يعرف ذلك الشيء علماً ضروريا دائما ، و مامن شيء الا وينتهي في سلسلة الحاجات اليه تعالى والى الاوائل الصادرة عنه، و اذا رتبت الاسباب والمسببات انتهت اوائلها الى مسبب الاسباب وانتهت اواخرها الى الجزئيات الشخصية، فكل كلي وجزئي ظاهر عن ظاهريته الاولى.

وقد تحقق في العلوم الحقيقية بالبرهان اليقيني: ان العلم بسبب الشيء يوجب العلم به، فمن عرف ذاته تعالى باوصافه الكمالية، ونعوته الجلالية وعرف الاوائل والغايات من العقول القادسة ومنها الثواني والمدبرات النفسانية والمحركات السماوية للاشواق الالهية و الاغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب واعياء في الدؤوب، الموجبة لان يترشح عنها صور الكائنات، فيحيط علمه بكل الامور واحوالها ولواحقها علماً بريئا عن التغير والشك والغلط، فيعلم من الاوائل الثواني ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها ، و هذه طريقة الصديقين في معرفة الاشياء المشار اليها في قوله تعالى: اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد (فصلت ـ ٥٣)، فانهم عرفوا الله اولا و عرفوا صفاته ومن صفاته اوائل افعاله و من الاوائل الثواني وهكذا حتى علموا الكليات ومن الكليات الجزئيات ومن البسائط المركبات، فعلموا حقيقة الانسان واحوال النفس الانسانية و مايزكيها ويكملها و يسعدها و يصعدها الى عالم القدس والربوبية و منزل الابرار و المقربين ومايدسها و يرديها و يشقيها و يهويها الى اسفل السافلين و منزل الفجار و الشياطين علماً ثابتاً غير قابل للتغير ولامحتملا لتطرق الريب.

فهذه حال علوم الانبياء والاولياء و من يسلك منهاجهم كما في قوله تعالى : قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعني (يوسف ـ ١٠٨)، وكل علم لم يحصل على هذه السبيل بل حصل من تقليد اوسماع اوظن او قياس فليس من الحق في شيء، ان الظن لايغني من الحق شيئا (يونس ـ ٣٦).

فاذا تقرر ماذكرناه فنقول: ان القران كتاب نازل من عند الله على رسوله صلى الله

عليه واله وهـو مشتمل على اصـول المعارف وعلوم الحقائق كلها، فما من حكم كلى و لاجزئى الاوفيه اصله ومبدئه و غايته ومنتهاه، ففيه جميع علوم الاولين والاخريـن، الا ان اكثر العقول البشرية عاجـزة عن البلوغ الى دركها من الكتاب، فالقصور من جانب العقول الضعيفة لقلة نـورها لامن جانب القران لان اياتها ظاهرة و انـوارها ساطعة و دلائلها واضحة و حججها قاطعة.

الاترى مايلحق الخفافيش اذا نظرت الى عين الشمس من الافة والكلال ؟ فعلى هذا المثال مايلحق عقول الجماهير من النظر فى ايات القران و اشعة انوارها فعمدوا الى التأويلات البعيدة و حملوها على المعانى المناسبة لانظارهم القشرية و ارائهم الوهمية الظلمانية، وانتفاع اكثر النفوس من القران كانتفاع الخفافيش من بقايا عكوس انـوار الشمس وظلالها.

فلذلك درج ابناء الحكمة والمعرفة الى هذا المطلوب وراضوا انفسهم بالرياضات وعالجوها بالعلاجات حتى زالت عن عيون عقولهم وبصائرهم العمش والغشاوة والافة حتى امكنهم ان يلحظوا الايات القرانية ويستضيئوا بانوارها، فيروا بنور القران جميع المقامات الدينية والاحوال الاخروية والاحكام الايمانية والعلوم الالهية والاداب الخلقية والسياسات والحدود الشرعية، و هى الحكمة الممنون بها على اهلها المضنون بها على غير اهلها ، و هـى الخير الكثير والفوز الكبير و الفضل العظيم والمن الجسيم و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ٤).

الحديث الرابع
و هو الخامس والثمانون و المائة

محمد بن يحيى عن بعض اصحابه، عن هرون بن مسلم ، عـن مسعدة بن صدقة عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: ايها الناس ان الله تبارك و تعالى ارسل اليكم الرسول صلى الله عليه واله وانزل اليه الكتاب بالحق، و انتم اميون عن الكتاب و من انزله وعن الرسول و من ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة

من الامم وانبساط من الجهل و اعتراض من الفتنة و انتقاض من المبرم وعمى عن الحق و اعتساف من الجور وامتحاق من الدين و تلظى من الحروب على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتثار من ورقها و يأس من ثمرها و اغورار من مائها، قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى، فالدنيا متهجمة فى وجوه اهلها مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف و دثارها السيف مزقتم كل ممزق، و قداعمت عيون اهلها و اظلمت عليها ايامها، قد قطعوا ارحامهم و سفكوا دمائهم و دفنوا فى التراب الموؤدة بينهم من اولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهية خفوض الدنيا لايرجون من الله ثوابا و لايخافون والله منه عقابا، حيهم اعمى نجس وميتهم فى النار مبلس، فجاء هم بنسخة مافى الصحف الاولى وتصديق الذى بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القران فاستنطقوه ولن ينطق لكم، اخبركم عنه ان فيه علم مامضى وعلم مايأتى الى يوم القيامة و حكم مابينكم وبيان مااصبحتم فيه تختلفون، فلوسألتمونى عنه لعلمتكم.

الشرح

الامى فى اللغة منسوب الى امة العرب و هى لم تكن تكتب ولاتقرأ. فاستعير لكل من لايعرف الكتابة ولاالقرائة و منه قوله تعالى : بعث فى الاميين رسولا منهم (الجمعة ـ٢)، و قيل: منسوب الى الام وفى الحديث: انا امة امية لانكتب ولانحسب، اراد انهم على اصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتاب والحساب فهم على جبلتهم الاولى.

والفترة الزمان بين الرسولين من رسل الله عليهم السلام الذى انقطعت فيه الرسالة، ومنه فترة مابين عيسى و محمد عليهما واله السلام.

و الهجعة والهجوع النوم ليلا، و الانتقاض الانهدام و الانفصام من نقض البناء والحبل والعهد نقضا، والمبرم من ابرمت الشيء اذا احكمته، والاعتساف افتعال من العسف وهو الظلم والعسوف الظلوم، والامتحاق من المحق وهو المحو والابطال.

وتلظى من الحروب اى تلهب من التهاب نارها وهو تفعل من اللظى وهى اسم

من اسماء النار، مكفهرة من اكفهر الرجل فهو مكفهر الوجه اذا عبس ، و مكفهر اللون اذا ضرب لونه الى الغبرة مع الغلظ.

والممزق مصدر مثل التمزيق بمعنى الخرق ومنه قوله تعالى: ومزقناهم كل ممزق (سباء ـ ١٩) ، والمزق القطع من الثوب الممزوق والقطعة منها مزقة ، و الموؤدة المدفونة فى التراب حية من البنات والمبلس اسم فأعل من ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه ابليس.

و غرضه عليه السلام من هذه الخطبة الشريفة بيان حاجة الناس فى امور دينهم و دنياهم وعقائدهم واحكامهم ومنهاج عبوديتهم وسبيل طاعتهم الى كتاب الله، وان لاحجة الا به ولاطريق الا طريقه و لاميزان قسط الا ميزانه، فذكر اولا انه من عند الله بلاشك، لان الله ارسل رسوله و انزل اليه الكتاب متلبساً بالحق و بعثه فى الاميين الذين لم يقرؤا ولم يكتبوا ولم يعلموا ما الكتاب لئلا يتوهم متوهم انه درس الكتاب او تعلم من الاحبار.

ثم اردفه بذكر الاحوال المذمومة التى كان الناس عليهما زمان البعثة من جهة الدين والدنيا ليتحقق ويظهر انه فى مثل ذلك الوقت الذى كان فيه الناس احوج ماكانوا الى ما[1] يهديهم الى الصراط المستقيم، و من يدعوهم الى الدين القويم لابدان يرحم الله على عباده بماينقذهم من ورطة الردى و الهلكات وربقة العمى والجهلات وينجيهم من اسر الهوى والشهوات، و ماهو رحمة للعالمين والكتاب الذى انزل اليه هدى للناس اجمعين، واما تلك الاحوال المذمومة بعضها بحسب الدنيا و بعضها بحسب العقبى فهى هذه الامور:

الاول: الفترة، وظاهران خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الفتن والهرج والمرج ، فيلحق ذلك الزمان من الذم بمقدار مايلحق زمانا فيه رسول من المدح.

الثانى: طول هجعة من الامم، و كنى عليه السلام بالهجعة عن غفلتهم فى امر الاخرة ورقودهم فى مراقد الطبيعة ومضاجع الابدان فى مدة طويلة هى زمان الفترة.

---

١ ـ من. النسخة البدل فى اصل الشارح.

الثالث: انبساط الجهل، وكنى بانبساط بشموله للجميع فى جميع الامور الدينية التى ينبغى ان يعلم.

الرابع: الاعتراض من الفتنة، و هو من اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضاً من غير قصد، وهو اشارة الى ان الفتن لما كان وقوعها لاجل كون الاوضاع و الاحوال غير واقعة على قانون شرعى ولانظام حكمى مصلحى، لاجرم الخلق اعترضوا الطريق كالبهائم و انحرفوا عن قصد السبيل بسبب الفتنة، ففى الكلام اما تجوز فى نسبة الاعتراض الى الفتنة لعلاقة السببية و اما تشبيه للفتنة لاجل وقوعها فى نفسها على غير قانون بالمعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامة، فاستعير لها لفظ الاعتراض.

والخامس: الانتقاض من المبرم، اشارة الى زوال ما كان الخلق عليه من نظام احوالهم بسبب الشرائع السابقة والأديان الماضية وانبرام امورهم بوجودها وفساد ذلك النظام بتغير تلك الشرائع وانقطاعها عنهم.

السادس: العمى عن الحق، عبارة عن بطلان بصيرتهم الباطنية بزوال استعدادها لادراك الحق بالطبع والرين الحاصل فى قلوبهم بارتكاب الشهوات و اقتراف الخطيئات فعموا عن رؤية الحق.

السابع: الاعتساف من الجور، لاستيلاء الظلمة والفظاظة على النفوس وكثرة حجب الجهالة والضلالة على القلوب.

الثامن: امتحاق الدين، حيث كان الناس غير مقيدين بدين و لاملتزمين بشريعة، فالعرب على عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران و وطىء الامهات، و الهند على عبادة البقر و سجود الحجر و الشجر واليهود على كون عزير بن الله و على مالها من التعسف والجحود، والنصارى عبدة عيسى اذليس بوالد ولامولود، والترك على تخريب البلاد و تعذيب العباد و هكذا سائر الفرق فى او دية الضلال و مهاوى النكال.

التاسع: التلظى من الحروب وهو اشتعال نيران الخصومة والعداوة بين الناس اذ منشأ الحرب الغضب ومنشأه استيلاء كيفية نفسانية توجب وتثير نار أفى القلب هى نار الغضب،

واذاثارت ثوراناً يغلى بهدم القلب وينتشر فى العروق الى ظواهر البدن ويرتفع الى اعاليه كما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فينصب الدم الى الوجه فيحمر الوجه والعين و البشرة طلباً للحرب والانتقام.

فلايزال فى الالتهاب والاشتعال ويقوم بها الحرب والقتال الى ان ينطفىء اما بالظفر والانتقام واما بضده كالخوف والانهزام ونحوهما مما توجب انقباض الدم من ظاهر الجسد الى باطنه بخمود الحرارة و لهذا يصفر اللون، و اما بغير ذلك من الاسباب كالوعظ والنصيحة والتفطن لمافيه مصلحة و حكمة و مايجرى هذه الامور. والحاصل ان منشأ الحروب اشتعال نار الغضب، فحسن استناد التلظى اليها.

العاشر كونه مرسلا على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتثار من ورقها و يأس من ثمرها واغورار من مائها، شبه عليه السلام الدنيا و بلدانها العامرة ونعيمها برياض الجنات، لانها بشهواتها الحيوانية و تمتعاتها البهيمية جنات الانعام ورياض النفوس البهيمية، واستعار لفظ الاغصان والورق والثمر والماء لمتاعها و زينتها و اسباب حصول لذاتها و مواد تمتعاتها، ولفظ الاصفرار واليبس والانتثار و اليأس لتغير صور تلك اللذات والتمتعات و زوال اسبابها و بطلان موادها لتغير اوضاع الزمان فى ذلك الوقت و تبدل الاحوال سيما على العرب وعدم انتظام امورهم و سوء معيشتهم و خشونة ملابسهم وجشوبة[1] مطاعمهم، كما يذهب حسن الشجرة و رونقها و بهائها باصفرار ورقها ويبس اغصانها و ذهاب مائها.

وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها، ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من قلة المكاسب والتجارات و عدم الانتفاع من الاملاك و الاراضى، كل ذلك لعدم النظام العدلى والقانون الملى بين الامم و ارتفاع الدين والصلاح من العالم وانقطاع الوحى والنبوة عن وجه الارض.

١ــ وفى الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه واله يأكل الجشب، اى الغليظ الخشن، ويقال: طعام جشب، الذى ليس معه ادام، وكل بشيع الطعم جشب، وهو بفتح الجيم وسكون الن شيء.

فهذه كلها استعارات بالكناية او ترشيحات، و وجه استعارة الاغصان والاوراق انه كما ان قوة الشجرة وقوامها بالاغصان وزينتها وحسنها بالاوراق كذلك قوة الحيوة الدنيا وقوام لذات النفوس و رعوناتها بمتاع الدنيا و طيباتها، و وجه استعارة الثمرة ان الثمر كما انه مقصود الشجر غالبا كذلك التمتع والتلذذ من مشتهيات الدنيا من المطعم الشهى والمشرب الهنى والمنكح البهى والمسكن السنى مقصود النفس الحيوانية، واما وجه استعارة الماء فهو ان الماء كما انه مادة الشجر و بها اصل حيوتها و مادة بقائها كذلك مواد تلك اللذات و هى المكاسب والتجارات و الاقتدار على اقتناء الاموال و العروض بالصناعات، و وجوه باقى الترشيحات والتخييلات ظاهرة يطول بذكرها.

الحادى عشر دروس اعلام الهدى، وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتب الله المنزلة فى معارف الحق واليقين التى بها يهتدى الناس لسلوك سبيل الله و بدروسها عن موت اولئك الحجج الماضين و زوال كتبهم الالهية من بين الخلق سيما العرب.

الثانى عشر ظهور اعلام الردى، وهم ائمة الضلال الداعين الى النار.

الثالث عشر كون الدنيا متهجمة فى وجوه اهلها مكفهرة، و فى رواية متهجمة لاهلها عابسة فى وجوه طلابها، وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان طيب العيش فى الدنيا انما يكون مع الامنية بوجود نظام العدل والنصفة بين اهلها وعدم التظالم والتعاند، و ذلك فى زمان الفترة كان مفقوداً بين العرب، وهو استعارة بالكناية و وجه المشابهة ما يستلزم المستعار عنه والمستعار له من عدم تحصيل المطلوب وفقد الانجاح معهما.

الرابع عشر كون الدنيا مدبرة غير مقبلة، و وجه ذلك مامر من عدم اثار الدين و اندراس الكتب والشرائع والقوانين و وقوع الهرج والمرج فى ذلك الحين.

الخامس عشر كون ثمرها الفتنة، اى غاية سعيهم فيها على خبط فى ظلمات الجهل والهوى، انما يكون الفتنة اى الضلال عن سبيل الحق والوقوع فى مهوى الحيرة والنكال والظلمة والوبال وغاية كل شىء هى المقصود منه، فتشبه الثمرة التى هى مقصود الشجرة، فلذلك [عين] لها لفظ الثمرة

السادس عشر كون طعامها الجيفة، يحتمل ان يكون الجيفة استعير ههنا لطعام

الدنيا و لذاتها، و وجه المشابهة انه لماكانت الجيفة عبارة عما انتن و تغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث مأكله ونفر الطبع عنه، كذلك طعام الدنيا و لذاتها فى زمان الفترة اكثر مايكون من النهب والغارة والسرقة و امثالها ممايخبث تناوله شرعاً ويتنفر العقل عنه ويأباه كرائم الاخلاق، فاشبه مايحصل من متاعها الجيفة فى خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبثين عقليا والاخر حسياً فاستعير لفظها له.

ويحتمل ان يكنى بالجيفة عماكانوا يأكلونه فى الجاهلية من الحيوان غير مزكى و هوما حرمه القران الكريم من ذلك فى قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير و ماأهل لغير الله به والمخنقة والموقوذة (المائدة ـ ٣)، اى المضروبة بالخشبة حتى تموت و يبقى الدم فيها فيكون الذ واطيب عند المجوس، والمتردية (المائدة ـ ٣)، اى التى تردت من علو فماتت، فان كل ذلك اذامات فكثيراً مايتعفن و يؤكل، فصدق ان طعامهم كان الجيف.

السابع عشر كون شعارها الخوف.

الثامن عشر دثارها السيف ، وهما على حذف المضاف اى شعار اهلها و دثار اهلها، استعار عليه السلام لفظى الشعار والدثار للخوف والسيف ، و وجه الاستعارة الاولى: ان الخوف و ان كان من العوارض الا انه كثيراً مايستتبع اضطراب البدن و اصفرار لونه و انفعاله بالرعدة لاعضائه فيكون شاملا له شمول مايتخذه الانسان شعاراً، و وجه الثانية: ان الدثار و السيف يشتركان فى مباشرة المدثر والمضروب و الالتصاق بهما.

و التاسع عشر كونهم ممزقا كل ممزق، يحتمل ان يكون المراد تمزق ابدانهم بالسيوف والقتال وتقطع ارحامهم بالفسوق والفجور ، او الخصومة بينهم والجدال و تباعد اقربائهم فى الاطراف النائية والبلدان القاصية ، او تفرق ارائهم و تشتت اهوائهم كمافى قوله تعالى: فتقطعوا امرهم بينهم زبراً (المؤمنون ـ ٥٣).

العشرون كونها قداعمت عيون اهلها، لغلبة الظلمة والجهالة على قلوبهم و استيلاء غشاوة الطبيعة و درن المعصية على بصائرهم.

الواحد والعشرون كونها قداظلمت عليها ايامها لكثرة الفتن و الجور و الظلم فيها .

الثانى والعشرون قطع ارحامهم بعضهم عن بعض.

الثالث والعشرون سفك دمائهم بعضهم لبعض، فان الزمان اذاخلى عن قانون عدل وسلطان عادل قاهر على الناس بتأييد من عندالله يخضعه الخلائق كلهم، يرى كل احد حظ نفسه و ان يكون الامر له لاعليه، فيغلب على من يقوى عليه فيأخذ مافى يده وان ابى يسفك دمه، وكذا من يغلب على هذا فيقع الفساد والهرج فى العالم.

الرابع والعشرون دفنهم فى التراب الموؤدة بينهم من اولادهم ، كان اذا ولد لاحدهم فى الجاهلية بنت دفنها فى التراب وهى حية.

الخامس والعشرون كونهم على حالة يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهية خفوض الدنيا، اى يزول عنهم طيب العيش و الرفاهية، و الخفوض جمع الخفض و هو الدعة والراحة والسكون، و فى نسخة يختار بالخاء المعجمة اى يراد و فى اخرى طلب العيش بدل طيب العيش و فى بعضها حفوظ من الحفظ.

السادس و العشرون كونهم لا يرجون من الله ثوابا و لايخافون والله منه عقابا، لكون رجاء الثواب و خوف العقاب منه تعالى فرع الايمان به و باليوم اخر و حيث لم يكن لهم فيه احدهما فلارجاء لثواب و لاخوف لعقاب، و قوله عليه السلام: والله ، قسم وقع اعتراضا لزيادة التأكيد.

السابع و العشرون كون حيهم اعمى نجس و ميتهم فى النار مبلس، وهذا كالفذلكة و النتيجة للاوصاف المذكورة والاحوال المعدودة للدنيا و ابنائها فى ذلك الزمان ، فان الزمان اذا خلا عن اعلام الهدى و ظهرت اعلام الردى و ارتفع منه انوار العلم و الايمان و انتشرت فيه ظلمات الجهل و الظلم و الطغيان و سائر ماسبق من المذكورات كانت حال ابناء هكذا، من كون الاحياء عماة عن درك المعارف اشقياء نجسين والاموات فى النار معذبين مبليسن من رحمة رب العالمين.

و لفظ نجس اختلف النسخ فيه ففى بعضها بالجيم و هو من النجاسة فيكون

كناية عن الكفر لقوله تعالى: انما المشركون نجس (التوبة ـ ٢٨)، وفى بعضها بالحاء غير المعجمة وهو من النحوسة اى الشقاوة وفى بعضها بكسر النون وسكون الجيم بمعنى الناقص و الاول اولى.

ثم لما فرغ عليه السلام من عد ذمائم الاحوال التى كان الناس عليها فى اوان البعثة و بين غاية حاجتهم الى النبى المبعوث والكتاب فرع عليه قوله عليه السلام: فجائهم بنسخة مافى الصحف الاولى ، ارادبها التورية والانجيل وصحف ابراهيم عليه السلام وغيرها من الصحف النازلة على الانبياء عليهم السلام وهى كثيرة بل مائة صحيفة.

كمارواه الصدوق فى كتاب الخصال عن ابى ذر رحمه الله انه قال: قلت: يا رسول الله كم انزل الله من كتاب؟ قال مائة كتاب واربعة كتب، انزل الله على شيث خمسين صحيفة و على ادريس ثلاثين صحيفة و على ابراهيم عشرين صحيفة و انزل التورية والانجيل والزبور والفرقان.

ويحتمل ان يكون المراد منها الصحف الالهية المكتوبة بالقلم الالهى فى الالواح القضائية، فان القران نسخة من اللوح المحفوظ جعل للقران اوصافا ثلاثة : اولها انها نسخة لمافى الصحف الاولى ، وثانيها انه تصدين الذى بين يديه يعنى به التورية والانجيل كماقال تعالى: ومصدقا لما بين يديه من التورية (المائدة ـ ٤٦) ، وكل امر تقدم امرا منتظراً قريباً منه يقال انه جاء بين يديه، و ثالثها انه تفصيل الحلال من ريب الحرام، اى يتبين فيه الاحكام وينفصل به الحلال الطلق من شبهة الحرام فضلا عن صريحه.

فالوصفان الاولان للدلالة على انه كتاب مبين تنزيل من رب العالمين والوصف الاخير لكونه فيه تفصيل كل شىء، فدلت الاوصاف الثلاثة بعد ماثبت من المذكورات قبلها حاجة الناس الى الشريعة والكتاب على ان هذا القران ممايحتاج اليه فى جميع الاحكام وفيه علوم الاولين والاخرين كما سينبه عليه، وليس فى شىء مماسواه غنى عنه من كتاب اوسماع اوقياس او غيرذلك ، اذكل ماهو غير القران اوماينتمى اليه من السنة فهو بدعة وسفه وهذيان.

ولاجل هذا قال: ذلك القران ـ مشيراً اليه ثم امر باستنطاقه بقوله ـ فاستنطقوه،

وعنى به استعلام الاخبار والاحكام عنه، ثم اشار الى ان ليس كل احد ممن ينطق له القران، اذ الايفهم لسانه الا اهل الله خاصة ولذلك قال: ولن ينطق لكم، لعدم السمع الباطنى والاذن القلبى فيكم.

ثم بين انه عليه السلام لسان الله الناطق عنه كتبه للخلق المخبر عن اسرار القران ومكنوناته فقال: اخبركم، وفى رواية نهج البلاغة: ولكن اخبركم عنه، ونبه على ان فى نفسه القدسية علم الاولين واخبار القرون الماضين وعلم مايأتى من الفتن والملاحم واشراط الساعة واحوال يوم القيامة، وحكم مابين الناس من الحلال والحرام والدعاوى والخصام والمناكحات والمواريث والحدود و سائر الاحكام ، و بيان ما اصبح الناس مختلفين فيه من مسائل الاعتقاديات و سائر ما اشتمل عليه القران الكريم، ثم قال : فلو سألتمونى عنه لعلمتكم، واشار بايراد كلمة «لو» دون «اذا» ونحوها الى عدم من يسأله عن غوامض مقاصد القران و اسرار علومه كما دل عليه قوله عليه السلام : ان هنا لعلوماً جمة[1] لو وجدت لها حملة.

الحديث الثامن

و هو السادس والثمانون والمائة

«محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الجبار» قمى ثقة من اصحاب الهادى عليه السلام، ابن ابى الصهبان روى عنه سعد وغيره و هو ممن لم يرو، كذا فى فهرست الشيخ[2]، و قال الكشى روى عن ابى بكير. «عن ابن فضال عن حماد بن عثمان عن عبد الاعلى بن اعين»، العجلى مولاهم الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام. «قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: قد ولدنى رسول الله صلى الله عليه واله وانا اعلم كتاب الله و فيه بدأ الخلق

١ــ لعلماً جما «نهج».

٢ــ و فى الفهرست: محمد بن ابى الصهبان واسم ابى الصهبان عبد الجبار، له روايات، اخبرنا بها ابن ابى جيد عن ابن الوليد عن سعد والحميرى و محمد بن يحيى و احمد بن ادريس عنه.

وماهو كائن الى يوم القيامة، وفيه خبر السماء و خبر الارض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ماكان و ماهو كائن، اعلم ذلك كما انظر الى كفى، ان الله يقول فيه: تبيان كل شيء».

الشرح

قوله عليه السلام: قد ولدنى رسول الله صلى الله عليه و اله، يعنى بذلك انه وارث علم الرسول صلى الله عليه واله وان الولد سرابيه و ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً انما ميراثهم العلم.

ثم ان الولادة على ضربين : صورية و معنوية، اما الولادة الصورية فظاهرة، و اما المعنوية فهى ولادة العلم والعالم بماهو عالم، فانما يصير العالم عالماً حقيقيا بحصول نشأة اخروية فى ذاته تغاير هذه النشأة الدنيوية، ونسبة المعلم والشيخ الى المتعلم والمريد نسبة الاب الى الولد فى هـذه الولادة الروحانية، وربما اجتمع الضربان من الولادة اى الصورية والمعنوية لاحد بالنسبة الى شخص واحد بان يكون والده معلمه.

اذا تحقق هـذا فنقول: نسبة الائمة الطاهرين عليهم السلام الـى النبى صلى الله عليه والـه جامعة لكلتا الولادتين، فهم اولاده الروحانية والجسمانية و اجتمع فى كل واحد منهم النسبتان فيكون نوراً على نور.

فاذا ثبت انه عليه السلام ولد الرسول صلى الله عليه واله بكلتا الودتين فيكون له ميراث علم الـرسول وكل من كان وارث علم النبى صلى الله عليه واله كان عـالماً بكتاب الله ، لان علم النبى فيه ، اذنزل اليه مـن عند الله ، فاذن صح قـوله: وانا اعلم كتاب الله.

ثم اراد ان يتبين انه عالم بكل الامور عارف بجميع الاحكام لانها كلها فى الكتاب فقال: وفيه بدأ الخلق الى قوله: و ماهو كائن، اشار الى مجامع اقسام العلوم كلها، لانها اما علم باحوال المبدأ و مايتعلق به واما باحوال الكـون والحدوث و مايتعلق به و اما باحوال المعاد و مايتعلق به، والى هـذه الثلاثة اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله: رحم الله امرىء اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من اين وفى اين والى اين.

يعنى ان المعتبر من كمال القوة العملية فعل مابه نظام المعاش و نجاة المعاد ، و من كمال القوة النظرية العلم بالمبدأ والمعاد و مابينهما [من] جهة النظر والاعتبار.

فقوله: وفيه بدأ الخلق، اشارة الى العلم بالله وصفاته العليا و اسمائه الحسنى و افعاله العظمى و ملائكته الكبرى.

وقوله: وماهو كائن الى يوم القيامة اشارة الى العلم بالامور الكائنة الفاسدة التى وقع الانسان فيها فى اوسط احواله الثلاثة بين ماكان اولا وهو كينونته السابقة فى مراتب البدو وفى مكامن علم الله و عالم قضائه و قدره وبين ماسيصير اخيراً فى منازل العود فى القبر والبرزخ والمحشر والجنة او النار.

ولماكانت هذه الكائنات الى يوم القيامة متكونة من اصول ثابتة الى يوم القيامة هى اسبابها الفاعلة والمنفعلة كالابوين اشار اليها بقوله: وفيه خبر السماء والارض، وقوله: وفيه خبر الجنة وخبر النار، ثم اجمل فى البيان بعد التفصيل ايضاحاً وتأكيداً فقال: وخبر ماكان وماهو كائن، ثم اشار بقوله: اعلم ذلك كما انظر الى كفى، الى ان علمه بالجميع اقوى مراتب العلم و اوضحها وهو العلم الشهودى الكشفى ثم اضاح البيان وانار البرهان على ان جميع العلوم فى القران بقوله: فيه تبيان كل شىء.

الحديث التاسع

و هو السابع والثمانون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى، عن على بن النعمان، عن اسمعيل بن جابر عن ابى عبدالله عليه السلام قال: كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم و فصل مابينكم و نحن نعلمه».

الشرح

لماعلمت ان العلوم التى يجب ان يستكمل بها النفس الانسانية قسمان: احمدهما مايتعلق بامور لنا ان نعلمها و ليس لنا ان نتصرف فيها، والثانى مايتعلق بامور لنا ان

نعلمها لنعملها و نتصرف فيها، فالغاية فى الاول حصول نفس العلم و المعرفة وفى الثانى حصول العمل، والاول قسمان هما ثمرتا سائر ابوابه و فصوله: احدهما معرفة احوال المبدأ والثانى معرفة المعاد، والقران مشتمل على هذه الاقسام الثلاثة الحكمية على اكمل وجه.

فلايبعد ان يكون مراده عليه السلام من قوله: فيه نبأ ماقبلكم، الى القسم الاول من الحكمة النظرية وقوله: خبر مابعدكم، الى ثانى قسميها، و قوله: وفصل مابينكم، اشارة الى الحكمة العملية، وحمل القبلية والبعدية على الذاتيتين اومايعمهما والزمانيتين اولى من حملها على الزمانيتين فقط ليكون الدلالة مقصورة على حكايات القرون الماضية و اللاحقة ، و الضمير فى قوله: ونحن نعلمه، راجع الى كتاب الله اوالى المذكورات الثلاثة بتأويل الجميع ونحوه.

الحديث العاشر
وهو الثامن و الثمانون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن اسمعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن ابى المغرا» اسمه حميد بن زياد من اهل نينوى، قرية الى جانب الحائر على ساكنه السلام ثقة عالم جليل واسع العلم كثير التصانيف قاله الطوسى رحمه الله ، و قال النجاشى: حميد بن زياد بن حماد بن زياد الدهقان ابو القاسم كوفى، سكن سوراً و انتقل الى نينوى قرية على العلقمى الى جانب الحائر على صاحبه السلام كان ثقة واقفاوجهاً فيهم، مات سنة عشر وثلاث مائة، فالوجه عندى ان روايته مقبولة اذاخلت عن المعارض «صه». «عن سماعة عن ابى الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: اكل شىء فى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه واله او تقولون فيه؟ قال: بل كل شىء فى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه واله».

الشرح

لما كان اشتمال القران والسنة على كل شيء امرا غامضاً دقيقاً لايتيسر لكل احد ان يعلم ذلك و يصدق به، لهذا كرر سماعة الاستفهام شبه الانكار فاكد عليه السلام فى الجواب تحقيقا لما استفهم عنه.

وانت ياحبيبى انا اردت ان تعرف حقيقة هذا الامر وانكشف لك سره على وجه الاجمال فاعلم: ان العلم بالاشياء الجزئية على وجهين: احدهما ان تعلم الاشياء من الاشياء بحس او تجربة او سماع خبر او شهادة او اجتهاد، و مثل هذا العلم لايكون الامتغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، فانه يلزم ان يعلم فى زمان وجودها علماً وقبل وجودها علما اخر ثم بعده علما اخر.

فاذا سأل العالم بهذا العلم عن حادث ما كالكسوف مثلا حين وجوده يجيب بجواب فيقول مثلا : انكسف الشمس، و اذا سأل عنه قبل حدوثه يجيب بجواب اخر فيقول : سيكون الكسوف، ثم اذا سأل بعده فيقول: قد كان الكسوف، فعلمه بشيء واحد تارة كان و تارة كائن و تارة سيكون فيتغير علمه، ومثل هذا العلم الانفعالى متغير فاسد ليس بيقين، اذ العلم اليقينى مالايتغير اصلا.

وثانيهما: ان لايعلم الاشياء من الاشياء بل بمباديها واسبابها، فيعلم اوائل الوجود وثوانيها وهكذا الى ان ينتهى الى الجزئيات علما واحداً وعقلا بسيطاً محيطاً بكليات الاشياء وجزئياتها على وجه عقلى غير متغير.

فمن عرف المبدأ الاول بصفاته اللازمة وعرف انه مبدأ كل وجود و فاعل كل فيض وجود ، عرف اوائل الموجودات عنه ومايتولد عنها على الترتيب السببى و المسببى كما يتولد مراتب العدد من الواحد على الترتيب، ومامن شيء من الاشياء يوجد الا و قد صار من جهة مايكون واجبا بسببه وسبب سببه الى ان ينتهى اليه تعالى، فيكون هذه الاسباب بمصادماتها تتأدى الى ان يوجد عنها الامور الجزئية.

و هذا النحو من العلم انما يحصل لانسان فارقت نفسه الاوطان و المواد و التعلقات و هاجر الى الله تعالى كما قال عيسى عليه السلام : انى مهاجر الى ربى

سيهدينى[١]، فاذا ارتقى الى عالم الربوبية وافاض عليه من نوره صار عقله للاشياء عقلا بسيطاً يعقل الاشياء بعلم الله الفائض عليه، فيكون مدركاً للامور الجزئية من حيث هى دائمة كلية و من حيث لاكثرة و لاتغير فيه، ونسبة علمه بالاشياء الى سائر العلوم كنسبة القوة الباصرة الى ادراك اجزاء المبصرات بابصار واحد، فما وقع عليه سهم الشعاع البصرى يكون اولا وبالذات وهو اصدق رؤية ثم مايليه ومايلى يليه وهكذا الى الاطراف.

فهكذا حال علم الانبياء و الاولياء عليهم السلام باشياء، فان العالم كله كشخص متصل اجزائه بعضها ببعض وعلمهم بها كشعور النفوس بجميع اجزاء بدنها علما[٢] واحداً متفاوتا على ترتيب الاقرب فالاقرب والالطف فالالطف، فانها شاعرة بذاتها اولا، و بواسطة شعورها بذاتها تشعر مايقرب ذاتها من القوى و الارواح الكامنة فى القلب الذى هو مثال العرش والدماغ الذى هو مثال الكرسى ثم بوساطتها الاعضاء اللطيفة والبسيطة ثم المركبة على ترتيب الالطف فالالطف حتى ينتهى الى الجلد والشعر و الاظفار كل ذلك بعلم واحد بسيط، ولو اردنا بيان تفصيل ذلك الشعور و العلم الذى لها باجزاء بدنها وقواها و مشاعرها لمايسع له المجلدات بل لادى ذلك الى غير متناه من العلوم.

وبالجملة من عرف كيفية علم الله تعالى وعلم مقربيه من الملائكة بالاشياء الجزئية الكائنة الفاسدة المتعاقبة فى الكون علماً كليا ثابتاً دائماً من غير تغير و زوال ولا استحالة وانتقال، وان كانت المعلومات جزئية كائنة مستحيلة زمانية متجددة فى انفسها و بقياس بعضها الى بعض، امكنه ان يعلم حينئذ كيفية علم الانبياء والاولياء الكاملين عليهم السلام باحوال الموجودات الماضية والمستقبلة و علم ماسيكون الى يوم القيامة علما كليا ثابتاً غير متجدد بتجدد المعلومات و لامتكثر بتكثرها، وعند ذلك يعرف معنى قوله تعالى وفيه تبيان كل شىء ويصدق بان جميع العلوم والمعانى فى القران الكريم عرفانا حقيقياً و تصديقاً يقينياً على بصيرة لاعلى وجه تقليد اوسماع او مايجرى مجراهما.

اذما من امر من الامور الا وهو مذكور فى كتاب اما بنفسه او بمقوماته و اسبابه

١ــ نقل الشارح كلامه عليه السلام بمعناه.

٢ــ شعورا. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

و مباديه و غاياته، وقد علمت ان العلم بسبب الشيء يوجب العلم به، بل العلم الحقيقى بالمعلول ذى السبب لايحصل الا من جهة العلم بسببه، ولهذا ليس الاحساس بالشيء ولا التجربة او يجرى مجراهما علما حقيقيا بذلك الشيء ، و اكثر الناس لما لم يعرفوا المبدأ الاول تعالى حق معرفته ولا اوائل الموجودات والمبادى الكلية والغايات ولا عرفوا العقول ولا النفوس ولا الطبائع الكلية واغراضها و اشواقها فى دؤبها وحركاتها الدورية تقربا الى الله و طاعته ومايترشح عنها من الخيرات ونعم الله على الكائنات حتى انهم لايعرفوا نفوسهم التى هى اقرب شيء اليهم، فلاجرم لايمكنهم فهم ايات القران وعجائبه و اسراره و مايلزمها من الاحكام والعلوم التى لايتناهى ولايعد ولايحصى، و لو كان البحر مداداً والاشجار اقلاماً و الافلاك بصفائحها صحائفا وكتباً و اوراقاً.

ولاجل ذلك صار الانسان يتعجب من كون القران مع صغر حجمه و وجازة نظمه فيه جميع العلوم والاخبار، ولايؤمن بالقران واياته الا القليل من الناس وهم الذين خصهم الله بنوره ونور قلوبهم باياته و اتاهم الحكمة و فصل الخطاب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ٤).

باب اختلاف الحديث

وهو الباب الواحد والعشرون من كتاب العقل والعلم وفيه عشرة احاديث:

الحديث الاول
و هو التاسع والثمانون و المائة

«على بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه ، عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليمانى» الصنعانى قال النجاشى: شيخ من اصحابنا ثقة روى عن ابى جعفر وابى عبدالله عليه السلام، ذكر ذلك ابو العباس وغيره، وقال ابن الغضائرى: انه ضعيف جدا روى عن ابى جعفر وابى عبدالله عليه السلام وله كتاب ويكنى اباا سحق ، وقال العلامة: و الارجح عندى قبول روايته وان حصل بعض الشك بالطعن فيه.

واعترض عليه المحشى رحمه‌الله فى هذا الترجيح بوجهين: احدهما ان الجرح والتعديل متعارضان فيه فيكون الترجيح مع الجرح كما تقرر عندهم، والثانى ان النجاشى نقل توثيقه عن ابى العباس وغيره كما يظهر من كلامه والمراد بابى العباس هذا اما احمد بن عقدة وهو زيدى المذهب لايعتمد على توثيقه او ابن نوح، ومع الاشتباه لايفيد و غيره مبهم لايفيد فائدة يعتمد عليها. «عن ابان بن ابى عياش، عن سليم بن قيس الهلالى قال: قلت لامير المؤمنين عليه السلام: انى سمعت من سلمان والمقداد و ابى ذر شيئاً من تفسير القران و احاديث عن نبى الله صلى الله عليه واله غير مافى ايدى الناس، ثم سمعت منك تصديق ماسمعت منهم، و رأيت فى ايدى الناس اشياء كثيرة من تفسير القران ومن الاحاديث عن نبى الله صلى الله عليه و اله انتم تخالفونهم فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل، افترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه واله متعمدين و يفسرون القران بارائهم؟ قال: فاقبل على فقال: قد سألت فافهم الجواب، ان فى ايدى الناس حقاً و باطلا و صدقاً و كذباً ناسخاً و منسوخاً و عاماً وخاصاً و محكماً و متشابهاً و حفظاً و وهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه واله على عهده حتى قام خطيباً فقال: ايها الناس قد كثرت على الكذابة، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده و انما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لايتأ ثم ولايتحرج ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه واله متعمداً، فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه واله و رآه و سمع منه فاخذوا عنه و هم لايعرفون حاله، وقد اخبره الله عن المنافقين بما اخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزوجل: اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم (المنافقون ـ ٣)، ثم بقوا بعده فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والكذب و البهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس و اكلوا بهم الدنيا و انما الناس مع الملوك و الدنيا الامن عصم الله، فهذا احد الاربعة، و رجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله[1] على وجهه و

١ـ لم يحفظه . النسخة البدل فى الاصل للشارح.

وهم فيه و لـم يتعمد كذبا و هـو فی يده يقول به ويعمل ويرويه فيقول: انا سمعته من رسول‌الله صلی‌الله عليه واله، فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ولوعلم هو انه وهم لرفضه، و رجل ثالث سمع من رسول‌الله صلی‌الله عليه و اله شيئاً امر به ثم نهی عنه و هولايعلم اوسمعه ينهی عن‌شیء ثم‌امر به وهولايعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ. فلو[1] علم انه‌منسوخ لرفضه ولوعلم المسلمون اذسمعوه منه انه منسوخ لرفضوه، واخر رابع لم يكذب علی رسول‌الله صلی‌الله عليه واله مبغض للكذب خوفاً من‌الله و تعظيماً لرسوله[2] لم ينسه بل حفظ ماسمع علی وجهه فجاء به‌كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم‌الناسخ من‌المنسوخ فعمل[3] بالناسخ ورفض‌المنسوخ، فان امرالنبی صلی‌الله عليه واله مثل القران ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محكم و متشابه، قدكان يكون من رسول‌الله صلی‌الله عليه واله الكلام له وجهان: وكلام عام وكلام خاص مثل‌القران وقال‌الله عزوجل فی كتابه: ماآتيكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا(الحشر-۷)، فيشتبه علی من لم يعرف ولم يـدر ما عنی‌الله به ورسوله صلی‌الله عليه واله و ليس كل اصحاب رسول‌الله (ص) كان يسأله عن‌الشیء فيفهم، وكان منهم من لايسأله ولايستفهمه حتی انكانوا ليحبون ان يجیء الاعرابی والطارئ فيسأل رسول‌الله صلی‌الله عليه واله حتی يسمعوا، وقدكنت ادخل علی رسول‌الله صلی‌الله عليه و اله‌كل يوم وكل‌ليلة دخلة فيخلينی فيها ادور معه حيث دار، قد علم اصحاب رسول‌الله صلی‌الله عليه واله انـه لم يصنع ذلك باحد من‌الناس غيری، فربماكان فـی بيتی يأتينی رسول‌الله صلی‌الله عليه واله اكثر[4] ذلك فی بيتی ، وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلا بی[5] و اقـام عنی نسائه فلايبقی عنده غيری، فاذا اتانی للخلوة معی فی منزل لم تقم عنی فاطمة ولااحد

۱- ولو (الكافی).

۲- لرسول‌الله صلی‌الله عليه واله (الكافی).

۳- وعمل. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

۴- اكثرمن. النسخة البدل فی‌الاصل الشارح.

۵- اخلانی (الكافی).

من بنى، وكنت اذا سألته اجابنى و اذاسكت عنه وفنيت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول‌الله صلى‌الله عليه واله اية من‌القران الا اقرأنيها واملاءها على فكتبتها بخطى وعلمنى تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها و محكمها ومتشابها و خاصها وعامها و دعاالله ان يعطينى فهمها وحفظها، فما نسيت اية من كتاب‌الله ولاعلما املاءه علىّ وكتبته منذدعاالله لى بمادعا، وماترك شيئاعلمه‌الله من‌حلال اوحرام ولاامر ولانهى كان اويكون ولاكتاب منزل على‌احد قبله من‌طاعة اومعصية الاعلمنيه وحفظته ولاانس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدرى و دعاالله لى ان‌يملاء قلبى علما وفهماً و حكماً ونوراً فقلت: يا نبى‌الله بابى انت وامى منذ دعوت‌الله لى بما دعـوت لم انس شيئاً ولم يفتنى شىء لم‌اكتبه، افتتخوف على‌النسيان فيمابعد؟ فقال لالست اتخوف عليك‌النسيان والجهل».

الشرح

تبوء مقعده نزله و استقر فيه، و وهم بالكسر غلط و بالفتح ذهب و همه الـى شىء وهو يريـد غيره، و املاء الكتاب املاء انشأ الفاظه و معانيه، و امللته واستمليته الكتاب سألته ان يمليه علىّ.

واعلم ان‌الغرض من ايراد هذا الحديث، بيان السبب فـى اختلاف الناس بعد رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه واله واختلافهم فى‌تفسير الكتاب و مايترتب على‌ذلك من‌اختلاف المذاهب والاراء و تشتت الاقوال و حـدوث البدع والا هواء، فانه لماسأل سليم بن قيس‌امير المؤمنين عليه‌السلام عن‌ذلك بقوله: انى‌سمعت من‌سلمان الى‌قوله: ويفسرون القران بارائهم، فاقبل على‌عليه‌السلام عليه و اجابـه عماسأله و فك عقدة قلبه وحل له شبهة ضميره بما اجاب.

فقوله عليه‌السلام: ان فى ايـدى الناس الى قوله: و حفظاً و وهماً، شروع فى تمهيد الجواب وبيان السبب فى‌الاختلاف و هوتعديد انواع الكلام الواقع فى ايدى الانام من فرق الاسلام نقلا عن رسول‌الله صلى‌الله عليه والـه، والصدق والكذب من خواص الخبر، والحق والباطل اعم منهما لصدقهما علـى الافعال ايضا، و يقال للخبر

باعتبار مطابقته لمافي الواقع صدقا وباعتبار مطابقة مافي الواقع له حقاً، وكذا القياس في اتصافه بالكاذب و الباطل باعتبارين، والنسخ عبارة عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً، فيقال للاحق ناسخاً وللمتقدم منسوخاً.

والعام: قيل: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له بوضع واحد.

وقال الغزالي: العام اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً و يقابله الخاص، و المحكم هو الخطاب الدال على معنى لايحتمل غيره و المتشابه بخلافه.

واما الحفظ، فالمراد به ههنا ماحفظ عن الرسول صلى الله عليه واله كما هو، و الوهم ماغلط فيه فتوهم مثلا انه عام وهو خاص او بالعكس او توهم انه ثابت و هو منسوخ او بالعكس الى غيرذلك من وجوه الاشتباه بين المتقابلات.

وقوله: قد كذب على رسول الله في عهده الى قوله: النار، تأكيد لما ذكره من كون مافي ايدي الناس ليس كله حديثاً صحيحاً حقاً عن رسول الله (ص) بل بعضه كاذب كذب عليه صلى الله عليه واله بوقوع الكذب عليه في عهده و زمانه و بانه اخبر نفسه صلى الله عليه واله عن ذلك فقام خطيباً على المنبر ايذانابه على الناس ليعلموا ذلك و يحتاطوا في قبول الحديث فلايقبلوا الا عن عدل حفوظ غير واهم.

فذلك الكذب مثل ماروى ان رجلا سرق رداء النبى صلى الله عليه واله و خرج الى قوم وقال: هذا رداء محمد اعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة، فاستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلى الله عليه واله عن ذلك، فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات، وكان النبى صلى الله عليه و اله حين سمع بتلك الحال قال لعلى عليه السلام: خذالسيف وانطلق فانوجدته وقدكفيت فاحرقه بالنار، فجاء باحراقه وكان ذلك سبب الخبر المذكور.

واعلم ان العلماء ذكروافي بيان انه لابد ان يكذب عليه دليلا فقالوا: قد نقل عنه صلى الله عليه واله انه قال: سيكذب على، فان كان ذلك الخبر صدقاً فلابد ان يكذب عليه

وان كان كذبا فقد كذب عليه.

ثم شرع عليه‌السلام فـي قسمة رجال الحديث و قسمهم اربعة اقسام، و وجـه الحصر في الاقسام الاربعة ان الناقلين للحديث عنه صلى‌الله عليه‌واله المتسمين بالاسلام امامنافق اولا، والثانى اما ان يكون قد وهم فيه اولا، والثانى اما ان لايكون قد عرف مايتعلق بهمن شرائط الرواية اويكـون، فالاول وهـو المنافق ينقل كما اراد، سواء كان اصل الحديث كـذبا اوان له اصلا حرفه او زاد فيه او نقص بحسب هـواه فهو ضال مضل تعمداً وقصداً، والثانى يرويه كمافهم و وهم فهوضال مضل سهواً، والثالث يروى ماسمع فضلاله و اضلاله عرضى، و الرابع يؤديه كما سمعه و كما هو عليه فهو هادى و مهدى.

فاشار عليه‌السلام الى القسم الاول بقوله: رجل منافق الـى قوله : فهذا احـد الاربعة، و ذكـر مـن صفات المنافق: انـه مظهر للايمان ، اى مظهر لكلمة التوحيد والنبوة بلسانه وليس كما يظهره، اويقول : انى مـؤمن كماقالت الاعراب امنا و قلبه مشحون بالكفر.

و انه متصنع بالاسلام، اى متكلف بشعار المسلمين متزى بزيهم.

و انه لايتأثم ، اى لايعتقد الاثم اثماً و لايـرى لزوم العقاب عليه فـي الـدار الاخرة.

ولا يتحرج، اى لايحذر منه وانه يكذب على رسول‌الله صلى‌الله عليه واله متعمداً على حسب ماهواه في امر دنياه لعدم ايمانه باليوم الاخر، و وجه دخول الشبهة في قبول حديثه و الاخذ بقوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلى‌الله عليه واله و سماع الحديث منه، فلو علم الناس نفاقه وكذبه لم يقبلوا منه الحديث والرواية.

ثم اشار عليه‌السلام الى ما اخبر الله رسوله عن المنافقين بما اخبره و وصفهم له بما وصفهم ليعلموا ان استقامة الظاهر في الاقوال والافعال و حسن الشمائل لاينافي فساد الباطن وتلطخه بالكفر ولاالكذب على‌الله و رسوله صلى‌الله عليه‌واله فتلى قوله تعالى: و اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم (المنافقون ـ ٤).

فقوله تعالى: تعجبك اجسامهم، اشارة الى مايكون عليه اكثر المنافقين من صباحة الوجه والتزى بزى العدول والصلحاء، وقوله: وان يقولوا تسمع لقولهم، الى فصاحة لسانهم و طلاقة بيانهم وما حفظوا من الاحاديث والحكايات.

كماروى انه كان عبدالله بن ابى وهورأس المنافقين فى زمانه صلى الله عليه واله رجلا جسيماً صبيحاً فصيحا ذلق اللسان و قوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه واله فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر و فصاحة الالسن، فكان النبى صلى الله عليه واله حضر عنده يعجبون بهياكلهم ويسمعون كلامهم وماهم الااجرام خالية عن العلم و الايمان و ابدان فارغة عن الخير و الاحسان ، و لذلك شبههم الله تعالى بماشبههم فى قوله : كأنهم خشب مسندة (المنافقون ـ ٤).

قال الزمخشرى: لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع و مادام متروكاً فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط، فشبهوا به فى عدم الانتفاع.

وقوله عليه السلام: ثم بقوابعده، اى بقى المنافقون بعدالرسول صلى الله عليه واله متقربين الى ائمة الضلال والدعاة الى النار وهم بنوامية، و دعاؤهم الى النار دعوة اتباعهم واصحابهم بمايؤدى لهم الى النار من مخالفة امرالله ورسوله، والزور والكذب والبهتان اشارة الى ماكانوا يتقربون به الى بنى امية من وضع الاخبار عن الرسول صلى الله عليه واله فى فضلهم او فيما يوافق اهوائهم واخذهم على ذلك الاجر من اولئك الائمة و توليتهم الاعمال والامرة على الناس.

و يحتمل ان يكون المراد من قوله: فولوهم الاعمال و حملوهم على رقاب الناس: ان هؤلاء المنافقين بوضعهم الاحاديث جعلوا ائمة الضلال متولين للاعمال و حملوهم على رقاب الناس، وكذلك قوله: و اكلوا بهم الدنيا يحتمل الوجهين.

وقوله: انما الناس مع الملوك، اشارة الى علة فعل المنافقين لمايفعلون، وظاهر ان حب الدنيا و لذاتها هوالغالب على الناس من المنافق و غيره لقرب طباعهم من

المحسوس و جهلم بالاخرة ونعيمها و لذاتها، فانجذبوا الى الاستغراق فى بحرالدنيا الامن عصمه‌الله و هداه بالجذب فى‌طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة ، و فيه ايماء الى قلة المؤمنين و ابناء الاخرة كماقال تعالى: و مايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون (يوسف ـ ١٠٦)، و قوله : الا الذين امنوا و عملوا الصالحات و قليل ماهم (ص ـ ٢٤).

و انما قال: ثم بقوا بعده صلى‌الله عليه واله، ثم حكى حالهم مع ائمة الضلال وان‌كانت الائمة المشارالهم لم يوجدوابعد، اما تنزيلا لما لابد منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع او اشارة الى من بقى منهم بعدالرسول صلى‌الله عليه واله الى معوية، لانه اذ ذاك امام ضلالة و داع الى‌النار.

ثم اشار الى القسم الثانى بقوله: و رجل سمع من رسول‌الله صلى‌الله عليه واله شيئاً ، اى سمع منه‌كلاماً فيتصور منه معنى غير مايريده الرسول ثم يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته الدالة على ماتصوره من‌المعنى بوهمه فلايكون قدحفظه و تصوره على وجهه المقصود للرسول صلى‌الله عليه واله، فوهم فيه‌ولم يتعمدكذبا لوهمه، فهوفى‌يده يرويه ويعمل به على وفق ماتصوره ويسنده الى‌الرسول‌صلى‌الله عليه واله، وعلة دخول الشبهة على‌المسلمين فيه هى عدم علمهم بوهمه، و علة دخولها عليه فى‌الرواية و العمل هو وهمه حين‌السماع حتى لوعلم ذلك لترك روايته والعمل به.

واشار الى‌القسم‌الثالث بقوله: رجل سمع الى قوله: لرفضه، وعلة دخول‌الشبهة على‌الراوى وعلى‌المسلمين فى‌هذا القسم من‌الخبر عدم علمهم انه منسوخ.

و اشار الى‌القسم الرابع بقوله: و اخر رابع الى قوله: و رفض المنسوخ، و ذكراوصافه ونعوته من‌كونه: مبغضاللكذب خائفا من‌الله معظما لرسوله صلى‌الله عليه واله حافظاً غيرساه ولاناس جائياً بماسمعه‌كماسمعه من غير ان يزيد فيه او ينقص عنه عالماً بالناسخ من‌المنسوخ عاملا بالناسخ رافضاً بالمنسوخ.

ثم اشار بقوله: فان امر النبى صلى‌الله عليه واله الى قوله: مثل‌القران، الى المشاركة والمماثلة بين امر النبى صلى‌الله عليه واله و امرالله فى‌القران فى الاشتمال

علی الاقسام من ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محکم و متشابه.

و قوله: قدکان یکون من رسول الله صلی الله علیه واله، تنبیه علی صحة القسم الثالث و دخول الشبهة فیه، فانمنهم من کان یسمع الکلام ذی الوجهین منه خاص ومنه عام فلایعرف ان احدهما مخصص للاخر، او یسمع العام دون الخاص فینقل العام و یوجهه علی غیرمعرفة بمعناه، او انه خرج علی سبب خاص فهو مقصور علیه ولاینقل سببه فیعتقده عاماً، او انه عام فیعتقده مقصوراً علی السبب فلایعمل به فیما عدا صورة السبب فیتبعه الناس فی ذلك کله سیما من یعتقد وجوب العمل بمذهب الراوی.

ثم اشار بقوله و قال الله عزوجل فی کتابه: ماآتیکم الرسول فخذوه و مانهیکم عنه فانتهوا (الحشر ـ۷)، الی وجوب الاخذ بقول الرسول صلی الله علیه واله ووجوب طاعته بعد طاعة الله فیما امر به ونهی عنه فیؤخذ بما امر به وینتهی عما نهی عنه، فرتب علی ذلك اشتباه الناس فیما یعتقدونه ویعملون به لاشتباههم و عدم معرفتهم بما عنی الله والرسول الله صلی الله علیه واله بما ورد فی الکتاب والسنة.

وقوله: ولیس کل اصحاب رسول الله صلی الله علیه واله الی قوله: حتی یسمعوا، جواب سؤال مقدر کأن یقال: فکیف یقع الاشتباه علی اصحاب الرسول صلی الله علیه واله فی قوله: مع کثرتهم والتفاته بهم و تواضعه لهم؟، و لماذا لایسألونه فیمایشتبه علیهم؟ فاجاب علیه السلام: انهم لیسوا باسرهم کانوا یسألونه لاحترامهم له و اجلالهم ایاه لغایة عظمته فی قلوبهم، و انما کان یسأله احادهم حتی کانوا یحبون ان یجیء الاعرابی فیسأله حتی یسمعوا و ینفتح لهم باب السؤال.

ثم نبه علی غایة قربه من الرسول صلی الله علیه و اله ونهایة اختصاصه وملازمته الدائمة له و دورانه معه حیث ما دار، وانه کان یستقصی فی سؤاله صلی الله علیه واله عن کل مایشتبه علیه ویحفظ جوابه و نبه علی غایة محبة الرسول له واشفاقه علیه حتی انه علیه السلام کان اذا سکت عن السؤال وفنیت مسائله ابتدأ صلی الله علیه واله فی الکلام، فما نزلت علیه صلی الله علیه واله من الله ایة من القران الااقرأها علی امیر المؤمنین علیه السلام واملاءها علیه فکتبها بخطه و علمه رسول الله صلی الله علیه واله تأویلها وتفسیرها

وبين له اقسام الايات من ناسخها ومنسوخها ومحكمها و متشابهها و غيرها كلها و دعا الله ان يعطيه فهمها و حفظها.

و ذكر عليه السلام سائر ماكان لـه وثبت فى حقه من خصائص ما فعل الرسول صلى الله عليه واله بـه عليه السلام ممايتعلق بالعلم والحفظ والـدراية والاحاطة بجميع مافى الكتب الالهية النازلة على سائر الانبياء وغير ذلك من الفضائل العلمية والحكمية وماينوط بها الى اخر كلامه ليرجع الناس الى امور دينهم اليه عليه السلام ويقتبسوا من مشكوة علمه ويستضيئوا بانوار كلامه و يهتدوا بهداه، ومن الله العصمة والهداية وبه التوفيق.

الحديث الثانى
و هو التسعون و المائة

«عـدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى عن ابـى ايـوب الخزاز، عن محمد بن مسلم عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت له: مابال اقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه واله لايتهمون بالكذب فيجيء منكم خلافه؟ قال: ان الحديث ينسخ كماينسخ القران».

الشرح

معناه واضح بمامر و دخـول الشبهة فيما يروون اولئك الاقـوام من جهة كون الراوى من القسم الثالث من الاقسام الاربعة المذكورة فى كلام امير المؤمنين عليه السلام.

الحديث الثالث
وهو الواحد والتسعون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابى نجران عن عاصم بن حميد ، عن منصور بن حازم قـال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: مابالـى اسألك عن المسألة فتجبنى فيها بالجواب ثم يجيئك غيرى فتجيبه فيها بجواب اخر؟ فقال: انا نجيب الناس على الزيادة

والنقصان، قال: قلت: فاخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله صدقوا على محمد ام كذبوا ؟ قال: بل صدقوا ، قال: قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: اما تعلم ان الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه واله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيئه بعد ذلك ماينسخ ذلك الجواب؟ ، فنسخت الاحاديث بعضها بعضا».

الشرح

كان لمنصور سؤالان سأله عليه السلام عنهما وطلب وجه التفصي عن ماشكل عليه ، احدهما اختلاف جوابه عن مسألة واحدة لرجلين و ثانيهما اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله فيما نقلوا عنه، فاجاب عن الاول بانهم عليهم السلام يجيبون الناس على الزيادة والنقصان في القول حسب تفاوت حالهم في الفهم والاحتمال للقول، وعن الناس[1] بان اختلافهم ليس لكذبهم على رسول الله صلى الله عليه واله بل لدخول الشبهة عليهم لاجل عدم تميز بعضهم بين ناسخ الحديث و منسوخه ، و باقي الفاظ الكلام واضح.

الحديث الرابع
و هو الثاني والتسعون و المائة

«على بن محمد عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب عن علي بن رئاب، عن ابي عبيدة عن ابي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا زياد ماتقول لو افتينا رجلا ممن يتولانا بشيء من التقية؟ قال: قلت: انت اعلم جعلت فداك، قال: ان اخذ به فهو خير له واعظم اجراً، وفي رواية اخرى: ان اخذ به او جر وان تركه والله اثم».

الشرح

لما كان العمل بالتقية كبيراً على اكثر الناس لجمود قرائحهم الا من خصه الله بنور

١ــ كذا في الاصل، والظاهر: وعن الثاني.

من المعرفة وهداه الى طريق الفلاح، استكشف عليه السلام عن باطن الرجل واستفهم عن قوله: لو افتى رجلا من الشيعة بشيء من التقية، ثم لما اظهر الرجل الطاعة والانقياد فى كل ما افتى و امر قال حق القول فيها وهو وجوب العمل بالتقية وحصول الخير وعظم الاجر فى الاخذ بها و لزوم الاثم بتركها».

الحديث الخامس
و هو الثالث والتسعون والمائة

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار، عن الحسن بن على عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة بن اعين عن ابى جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فاجابنى ثم جاءه رجل فسأله عنها فاجابه بخلاف ما اجابنى ثم جاء اخر[1] فاجابه بخلاف ما اجابنى و اجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فاجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان افل لبقائنا وبقائكم، قال: ثم قلت لابى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الاسنة او على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ فاجابنى بمثل جواب ابيه».

الشرح

علل عليهما السلام اختلاف الاجوبة عن مسألة واحدة لشيعتهم بانهم عليهم السلام كانوا مريدين للخمول معرضين عن الدنيا و شواغلها، فلم يريدوا اتفاق الشيعة على امر واحد لئلا يصدقهم الناس ويذعنونهم على متابعة الائمة عليهم السلام خوفاً من الشهرة الموجبة للفتنة والهلاك.

ولابدلك ان تعلم تلك الاجوبة مع اختلافها وكونها فى مسألة واحدة كلها حق و صواب لعصمتهم عن الخطاء، و ذلك لان الامر الواحد قديكون له جهات وحيثيات

١ــ رجل اخر (الكافى)

و له بكل جهة وحيثية حكم اخر مخالف للحكم الذى له بجهة وحيثية اخرى.

مثال ذلك: الانسان الواحد كزيد مثلا يصدق عليه المقولات العشر التى هى اجناس عالية متباينة اجتمعت كلها فيه وصدقت عليه باعتبارات و جهات مختلفة، فهو من حيث كونه حيوانا جوهر و من حيث كونه طويلا كم و من حيث كونه ذالون كيف و من كونه ابا مضاف ومن حيث كونه كاتبا فاعل ومن حيث كونه متحركا منفعل، وهكذا فى سائر المقولات العرضية، فهو من حيث كونه جوهراً ليس بكم ولاكيف و غيرهما ومن حيث كونه كماً ليس بجوهر ولاكيف ولاغيرهما، بل الانسان ليس من حيث هو انسان الانسان دون غيره من العوارض اللازمة او المفارقة.

فاذا سأل هل زيد كاتب اوليس بكاتب او واحد اوكثير يمكن الجواب بطرفى النقيض، فعلى هذا السبيل يجب ان يعلم هذا المقام.

الحديث السادس
و هوالرابع والتسعون و المائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن النصر[1] الخثعمى قال: سمت اباعبدالله عليه السلام يقول: من عرف انا لانقول الا حقاً فليكتف بما يعلم منا، فان سمع منا خلاف مايعلم فليعلم ان ذلك دفاع منا عنه»،

الشرح

يعنى ان الطائفة الفائزة العارفين بانهم عليهم السلام على الحق ولايقولون الاحقاً و صواباً، يجب عليهم ان يكتفوا فى الاصول و الفروع بما علموا منهم اخذاً باليقين، فان سمعوا منهم عليهم السلام خلاف ما اعتقدوه و علموه فيجب عليهم ان يحملوا ذلك على التقية صيانة لشيعتهم و دفاعاً منهم عليهم السلام للفتنة والضرر عنها.

١ــ عن نصر (الكافى).

الحديث السابع
و هو الخامس و التسعون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن عثمان بن عيسى والحسن بن محبوب ، جميعا عن سماعة عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه فى امر كلاهما يرويه، احدهما يأمر باخذه والاخر ينهاه عنه كيف يصنع؟ قال: يرجئه حتى يلقى من يخبره، فهو فى سعة حتى يلقاه، و فى رواية اخرى: بايهما اخذت من باب التسليم وسعك».

الشرح

يرجئه اى يؤخره من ارجأت الامر اخرته، و منه المرجئة مثال المرجعة وهم الذين لايقطعون على اهل الكبائر بشىء من عفو و لاعقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة، منهم مقاتل بن سليمان.

وقد تفرد مقاتل من هؤلاء بان الله سبحانه لايدخل احداً النار بارتكاب الكبائر وانه يغفر مادون الكفر لامحالة، و ان المؤمن العاصى ربه يعذب يوم القيامة على متن الصراط على جهنم يصيبه نفخ النار و لهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة، ويقال رجل مرجئى كمرجع والنسبة اليه مرجئى كمرجعى، هذا اذا اهمزت فاذا لم تهمز قلت رجل مرج كمعط و مرجى بياء مشددة فقط وهم المرجية، لان بعض العرب يقول: ارجيت و اخطيت و توضيت فلايهمز.

والضمير المنصوب راجع الى الصنع المضمر فى يصنع اى يؤخر العمل فلايعمل باحدهما حتى يلقى من يخبره بما يعين له احدهما، لكن هذا يشكل بما اذا كان الخبران متناقضين كالامر والنهى فى شىء واحد، ولهذ وردت الرواية الاخيرة، فالرواية الاولى لمايمكن الارجاء والتأخير فيه والثانية لما لايمكن، و فى المقام كلام ليس ههنا موضع تحقيقه سنشير اليه فيما سيأتى.

الحديث الثامن
و هو السادس و التسعون و المائة

«علی بن ابراهيم عن ابيه ، عن عثمان بن عيسى عن الحسين بن المختار» القلانسی من اصحاب ابی الحسن موسی عليه السلام واقفی، و قال ابن عقدة عن علی بن الحسن: انه كوفی ثقة، والاعتماد عندی علی الاول «صه» و قال النجاشی: ابوعبدالله كوفی مولی احمس من بجيلة و اخوه الحسن يكنی ابا محمد ذكرا فيمن روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن عليهما السلام له كتاب يرويه عنه حماد بن عيسی. انتهی.

و فی ارشاد المفيد رحمه الله فی باب النص علی الرضا عليه السلام: انه من خاصة الكاظم عليه السلام و ثقاته و اهل الورع و العلم والفقه من شيعته.

وقال الفاضل الاسترابادی: انه فی الكافی ـ وهو هذا الكتاب ـ قال الحسين بن مختار: قال لی الصادق عليه السلام: رحمك الله، و قد روی جماعة من الثقات عنه نصاً علی الرضا عليه السلام، و فی سند الفقيه الحسين بن المختار بياع الاكفان روی عن ميمون بن مهران من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام فربما كان غيره، فتدبر. «عن بعض اصحابنا عن ابی عبدالله عليه السلام قال: ارأيتك لو حدثتك بحديث العام ثم جئتنی من قابل فحدثتك بخلافه بايهما كنت تأخذ؟ قال: كنت اخذ بالاخير، فقال[1] رحمك الله».

الحديث التاسع
و هو السابع والتسعون والمائة

«و عنه عن ابيه، عن اسمعيل بن مرار» روی عن يونس بن عبدالرحمن روی عنه ابراهيم بن هاشم لم يرو، كذا فی رجال الفاضل الاسترابادی. «عن يونس عن داود بن فرقد، عن معلی بن خنيس» بضم الخاء المعجمة وفتح النون والسين المهملة بعد الياء المنقوطة تحتها نقطتين، ابوعبدالله مولی الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، و من قبله كان مولی بنی اسد، كوفی. قال النجاشی: انه بزاز بالزای قبل الالف وبعدها و

۱ـ فقال لی (الكافی).

هوضعيف جدا، وقال ابن الغضائرى: انه كان اول امر مغيرياثم دعا الى محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية، وفى هذه الظنة اخذه داود بن على فقتله، والغلاة يضيفون اليه كثيراً، قال ولاارى الاعتماد على شيء من حديثه، و روى فيه احاديث تقتضى الذم واخرى تقتضى المدح.

و قال الشيخ ابوجعفر الطوسى رحمه الله تعالى فى كتاب الغيبة بغير اسناد: انه كان من قوام ابى عبدالله عليه السلام وكان محموداً عنده ومضى على منهاجه، وهذا يقتضى وصفه بالعدالة «صه» و قال الكشى: حمدويه بن نصير قال: حدثنى العبيدى عن ابن ابى عمير عن عبدالرحمن بن حجاج، عن اسماعيل بن جابر: ان اباعبدالله عليه السلام لما اخبر بقتل المعلى بن خنيس قال: اما والله لقد دخل الجنة. عن ابن ابى نجران عن حماد الناب عن المسمعى قال: لما اخذ داود بن على المعلى بن خنيس حبسه فاراد قتله ، فقال له المعلى، اخرجنى الى الناس فان لى دينا كثيرا ومالا حتى اشهد بذلك، فاخرجه الى السوق، فلما اجتمع الناس قال: ايها الناس انا معلى بن خنيس، فمن عرفنى فقد عرفنى، اشهدوا ان ماتركت من مالى عين او دين او امة او عبيد او دار او قليل او كثير فهو لجعفر بن محمد عليهما السلام، قال: فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله، فلما بلغ ذلك ابا عبدالله عليه السلام خرج يجرذيله حتى دخل على داود بن على و اسمعيل ابنه خلفه، فقال: يا داود قتلت مولاى واخذت مالى؟ فقال: ما انا قتلته ولا اخذت مالك، فقال: والله لادعون الله على من قتل مولاى و اخذ مالى، قال ماقتلته ولكن قتله صاحب شرطتى، فقال، باذنك او بغير اذنك؟ فقال: بغير اذنى، فقال: يا اسماعيل شأنك به، فخرج اسماعيل و السيف معه حتى قتله فى مجلسه، قال حماد: فاخبرنى المسمعى عن معتب قال: فلم يزل ابوعبدالله عليه السلام ليلته ساجداً و قائماً، قال: فسمعته فى اخر الليل و هوساجد يقول: اللهم انى اسألك بقوتك القوية و محالك الشديد و بعزتك التى جل خلقك لها ذليل ان تصلى على محمد و ال محمد و ان تأخذه الساعة، قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتى سمعنا الصائحة فقالوا: مات داود بن على ، فقال

ابوعبدالله علیه‌السلام: انی دعوت الله بدعوة فبعث[1] الله الیه ملکا فضرب رأسه بمرزبة انشقت مثانته.

احمد بن‌منصور عن احمد بن‌الفضل، عن محمد بن‌زیاد عن عبدالرحمن بن الحجاج عن اسمعیل بن‌جابر: قال: دخلت علی ابی‌عبدالله علیه‌السلام فقال لی: یا اسمعیل قتل المعلی؟ قلت: نعم، قال: اما والله لقد دخل‌الجنة، وجدت بخط جبرئیل بن‌احمد قال: حدثنی محمد بن‌عبدالله بن‌مهران قال: حدثنی محمد بن‌علی الصیرفی عن‌الحسن عن‌الحسین بن ابی‌العلاء[2] وابی‌المغرا عن ابی‌بصیر قال: سمعت اباعبدالله علیه‌السلام وجری ذکر معلی بن‌خنیس: یا ابامحمد: اکتم علی ماقول لك فی‌المعلی، قلت: افعل، فقال: اما انه ماکان ینال درجتنا الا بماینال منه داود بن‌علی، قلت: وما الذی یصیبه من داود، قال: یدعوبه فیأمر به‌فیضرب عنقه ویصلبه، قلت: انالله وانا الیه راجعون، قال: ذلك قابل، فلماکان قابل ولی المدنیة فتصد قصدالمعلی فدعاه و سأله شیعة ابی‌عبدالله علیه‌السلام وان یکتبهم له فقال: مااعرف من‌اصحاب ابی‌عبدالله علیه‌السلام احداً وانما انا رجل اختلف فی‌حوائجه ولااعرف له‌صاحبا، قال: تکتمنی؟ اما انك ان‌کتمتنی قتلتك، فقال له‌المعلی: بالقتل تهددنی؟ والله لوکانوا تحت قدمی ما رفعت قدمی عنهم، وان انت قتلتنی لتسعدنی واشقیك، فکان‌کما قال ابوعبدالله علیه‌السلام لم یغادرمنه قلیلا ولاکثیرا.

ابوعلی احمد بن‌علی‌السلولی‌المعروف بشقران قال: حدثنا‌الحسن بن‌عبدالله القمی[3] عن‌محمدبن‌اورمة عن یعقوب بن‌یزید، عن‌سیف بن‌عمیرة عن المفضل بن‌عمر الجعفی قال: دخلت علی ابی‌عبدالله علیه‌السلام یوم صلب فیه‌المعلی فقلت له: یابن رسول‌الله الاتری هذاالخطب الجلیل الذی نزل بالشیعة فی‌هذا الیوم؟ قال: وماهو؟

۱ــ بعث «جامع الرواة».

۲ــ عن ابی‌العلاء. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

۳ــ الحسین بن‌عبدالله «جامع الرواة» الحسن بن‌عبدالله [د] بن‌عبیدالله [صه] القمی یرمی بالغلو [صه ــ د] وفی [دی] الحسین.

قال: قلت: قتل المعلى بن خنيس، قال: رحم الله المعلى قد كنت اتوقع ذلك، لانه اذاع سرنا وليس الناصب لنا حربا باعظم مؤنة علينا من المذيع علينا سرنا، فمن اذاع سرنا الى غير اهله لم يفارق الدنيا حتى يعضه السلاح او يموت بخبل.

ابراهيم بن محمد بن العباس الختلى قال: حدثنى احمد بن ادريس القمى المعلم قال: حدثنى محمد بن احمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن القاسم عن حفص الابيض التمار قال: دخلت على ابى عبدالله عليه السلام ايام طلب المعلى بن خنيس فقال لى: يا حفص انى امرت المعلى فخالفنى فابتلى بالحديد، انى نظرت اليه يوما وهو كئيب حزين، فقلت له: يامعلى كأنك ذكرت اهلك و عيالك؟ قال: اجل، قلت: ادن منى، فدنامنى فمسحت وجهه فقلت: اين تراك؟ فقال: ارانى فى اهل بيتى وهو ذى زوجتى وهذا ولدى، قال: فتركته حتى تملاء منهم، حتى نال ماينال الرجل من اهله، ثم قلت: ادن منى، فدنا فمسحت وجهه فقلت: اين تراك؟ فقال: ارانى معك فى المدينة، قال: قلت: يا معلى: ان لنا حديثا من حفظه علينا حفظه الله على دينه و دنياه، يامعلى لاتكونوا اسراء فى ايدى الناس بحديثنا ان شاؤا امنوا عليكم وان شاؤا قتلوكم، يامعلى: انه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه و زوده القوة فى الناس و من اذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح او يموت بخبل. يا معلى انت مقتول فاستعد هذا.

هذه ونحوها هى الاحاديث التى ذكر العلامة انها مذكورة فى كتابه الكبير. قيل: ولايخفى ان فى هذين الحديثين من الذنب[1] ليس الامن جهة تقصيره فى التقية، وترحم الصادق عليه السلام فى الاول منهما يدل على ان ذلك التقصير وان لم يكن مرضيا لهم مستحسنا، لكن لم يكن ايضا موجبا لعدم رضاهم عليهم السلام عنه ومخرجاله من اهل[2] الجنة واستحقاقه لها، بل الظاهر ان ذكر ذلك منه عليه السلام عن شفقة و تأسف لترتب القتل وانه على درجته وعظم قدره بقتله وكان كفارة لذلك ايضا، اما اعتقاد خلاف الحق

١ــ الذم «جامع الرواة».

٢ــ اهلية «جامع الرواة».

فشیء ینفیه سیاق هذه الروایات جمیعا.

و بالجملة: الذی یظهر لی انـه من اهل الجنة کماقال السید احمد بن طاووس، اما ما رواه الکشی فی ترجمة عبدالله بن ابی یعفور عن محمد بن الحسن[1] عـن الحجال عن ابی مالك الحضرمی عن ابی العباس البقباق قال: تذاکرا ابن ابی یعفور و معلی بن خنیس فقال ابن ابی یعفور: الاوصیاء علماء ابرار اتقیاء، و قـال ابن خنیس: الاوصیاء انبیاء، قال: فدخلا علی ابی عبدالله علیه السلام، قال: فلما استقر مجلسهما قال: فبدأهما[2] ابوعبدالله علیه السلام فقال: یا عبدالله انی ابرأ ممن قال انا انبیاء.

فمحمد بن زیاد فی طریقه معلوم الحال ولامذکور فی الرجال و مـع ذلك مناف لما تقدم من الروایات، فان کان ولابد فلیکن محمولا علی اول امره کما تقدم عن علی بن الغضائری. والله اعلم. انتهی.

اقول: الذی دل علیه روایات المدح انه کان حسن العاقبة من اهات (کـذا) ولم یدل علی کـونه ثقة یعتمد علیه فیما یرویه «قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: اذا جاء حدیث عن اولکم وحدیث عن اخرکم بایهما نأخذ؟ فقال: خـذوا به حتی یبلغکم عن الحی، فان بلغکم عن الحی فخذوا بقوله، قال: ثـم قال ابوعبدالله علیه السلام: انا والله لاندخلکم الافیما یسعکم و فی حدیث اخر: خذوا بالاحدث».

الشرح

دل قوله علیه السلام: اناوالله لاندخلکم الا فیما یسعکم، بقرینة قوله فی الحدیث السابق: بایهما اخذت من باب التسلیم وسعك، انه جاز الاخذ والعمل بکل واحد من حدیثی السابق منهم و اللاحق، فعلی هذایکون قوله: خـذوا بالاحدث، امر استحباب لاامر ایجاب.

ثم لابدان یعلم ان هـذه الاختلافات الواقعة فی الاحادیث المرویة عن اصحاب

١ــ الحسین «کش».

٢ــ فتبتدأهما «جامع الرواة».

العصمة عليهم السلام اكثرها فى الامور العملية الفرعية لافى الاصول الاعتقادية ومايجرى مجراها من الامور العظيمة المهمة ، و الاختلاف فى القسم الاول ليس اختلافا لايسع الانسان ان يأخذ بايهما كان، بعد ان يكون كلاهما ثابتاً عن اهل بيت النبوة عليهم السلام او مستنداً اليهم.

والناس لجمود قرائحهم وعدم فرقهم فى المسائل العلمية والاصولية والعملية الفروعية صعب عليهم الامر فى مثل هذا الحديث و استشكلوه، حتى جزموا بالقدح فى احدى الروايتين اما من جهة الراوى وجرحه واما من جهة المتن وحمله على التقية.

الحديث العاشر
و هو الثامن والتسعون والمائة

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى، عن داود بن الحصين» الاسدى مولاهم كوفى ، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام، قال الشيخ الطوسى رحمه الله: انه واقفى، وكذا قال ابن عقدة وقال النجاشى: انه ثقة، و الاولى عندى التوقف فى روايته «صه» وفى النجاشى ايضا: انه كان يصحب ابا العباس البقباق، له كتاب روى عنه العباس بن عامر، و فى الفهرست: والقاسم بن اسمعيل «عن عمر بن حنظلة» العجلى البكرى الكوفى ويكنى اباصخر من اصحاب الباقر عليه السلام، و قد وثقه الشهيد الثانى و فى التهذيب فى اوقات الصلوة محمد بن يعقوب عن على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن يزيد بن خليفة قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام ان عمر بن حنظلة اتانا عنك بوقت فقال ابو عبدالله عليه السلام: اذاً لايكذب علينا الحديث. «قال : سألت اباعبدالله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة فى دين او ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة ايحل ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم فى حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت ومايحكم له فانما يأخذ سحتا وان كان حقا ثابتاً له، لانه اخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله ان يكفر به قال الله[1]

١ـ قال الله تعالى (الكافى).

يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به (النساء ـ ٦٠)، قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف احكامنا فليرضوا به حكماً، فاني قد جعلته عليكم حاكماً، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله، قلت: فان كان كل رجل اختار رجلا من اصحابنا فرضيا ان يكونا الناظرين في حقهما واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم، قال: الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما واصدقهما في الحديث و اورعهما ولا يلتفت الى ما يحكم به الاخر، قال: قلت: فانهما عدلان مرضيان عند اصحابنا لا يفضل واحد منهما على الاخر، قال: فقال: ينظر الى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من اصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند اصحابك، فان المجمع عليه لا ريب فيه و انما الامور ثلاثة: امر بين رشده فيتبع، و امر بين غيه فيجتنب، و امر مشكل يرد علمه الى الله والى رسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن اخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم، قلت: فان كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم، قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة و خالف العامة فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة و وافق العامة، قلت: جعلت فداك ارأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب و السنة و وجدنا احد الخبرين موافقا للعامة و الاخرى مخالفا لهم باي الخبرين يؤخذ؟ قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقلت: جعلت فداك فان وافقها الخبران جميعا؟ قال: ينظر الى ما هم اليه اميل حكامهم وقضاتهم فيترك و يؤخذ بالاخر، قلت: فان وافق حكامهم الخبرين جميعا؟ قال: اذا كان ذلك فارجه حتى تلقى امامك، فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات».

الشرح

قوله: فی دین، بفتح الدال وقد مر معنی الطاغوت، والسحت الحرام، وقوله: الخبران عنکما، لعل المراد الصادق و الکاظم او الباقر علیهم السلام او کانت التثنیة فی الخطاب باعتبار تثنیة الخبر، و فی نسخة اخری عنهما: وقوله: فارجه، ای فاخره، ابدلت همزته یاء و حذفت بالجزم و الهاء ضمیر راجع الی العمل او الاخذ بقرینة المقام، والاقتحام من قحم فی الامر رمی بنفسه فیه من غیر روية، و معنی باقی الفاظه ظاهر لاسترة فیه.

باب الاخذ بالسنة و شواهد الکتاب

وهو الباب الثانی والعشرون من ابواب کتاب العقل والعلم وفیه اثنی عشر حدیثا:

الحدیث الاول

و هو التاسع والتسعون و المائة

«علی بن ابراهیم عن ابیه عن النوفلی، عن السکونی عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله: إن علی کل حق حقیقة وعلی کل صواب نوراً فما وافق کتاب الله فخذوه وما خالف کتاب الله فدعوه».

الشرح

تحقیق هذا الحدیث علی وجهه یستدعی تمهید مقدمات:

الاولی ان حقیقة کل حق هو وجوده الثابت له فی نفس[1]، والوجود للشیء اما لذاته اولغیره، والاول هو الاول تعالی والثانی هو ماسواه، فهو الحق بحقیقة هی عین ذاته وکل واحد مماسواه حق بحقیقة حاصلة من غیره، فهو فی حد نفسه بنفسه باطل و بغیره حق، فجمیع الاشیاء الممکنة هالکات الذوات بالقیاس الی انفسها وهی حقائق

١ــ کذا فی اصل، والظاهر: فی نفس الامر.

ثابتة من جهة غيرها الـذى هـو سبب وجـودها و حقيقتها ، و لابدان ينتهى اسباب وجودها ومبادى حقيقتها الى سبب لاسبب له ومبدأ لامبدأ قبله دفعاً للتسلسل والدور.

الثانية ان العلم والخبر الصادق هوالوجود الادركى المطابق للامر الخارجى، فمافى الخارج ان كان معلولا متعلقابغيره، فالعلم بهاو الخبر عنه لايحصل الا من طريق العلم بسببه ومقوم وجوده والالم يكن العلم علماً بهولاالخبر خبراً عنه على الوجه الذى هو عليه، ولذلك قالت الحكماء: ان العلم اليقينى بذى السبب لايحصل الامن جهة العلم بسببه، وان مالاسبب له لايمكن العلم الحقيقى بشىء بهالابصريح مشاهدة ذاته، فالعلم بسبب الشىء هـو البرهان عليه و مالاسبب لـه لابرهان عليه، والموجـود الـذى لاسبب له هوالاول جل و علا، فهو البرهان على كل شىء اما بذاته بلاواسطة او بواسطة ماهـو ايضاً من ذاته.

المقدمة الثالثة ان كتاب الله هـو النازل من عندالله على قلب محمد صلى الله عليه واله من طرين الوحى فى الباطن، فبرز من الغيب الـى الشهادة ومن السر الى العلانية، وكل كتاب نزل هكذا فهو كتاب الله والمنزل عليه كان نبياً من انبيائه عليهم السلام، واما سائر الكتب فليس حصولها كـذلك من عندالله بل بواسطة اسباب خارجة من سماع او قرائـة او درس و بحث ومـا يشبهها، فيتطرق عليها الخطاء و السهو و الخـلل و القصور.

فاذا تمهدت هذه المقدمات نقول: معنى قوله صلى الله عليه والـه: على كل حق حقيقة، ان كل موجود فى الخارج وجوده زائد على ذاته فله اصل ينشأمنه وجـوده و هوحقيقته الاصلية، اذهو بهموجود وهو بذاته اذا قطع النظر عن ذلك الاصل الى ذاته من حيث ذاته بذاته يكـون باطلا، فهو بـذلك الاصل ذاحقيقة فـذلك الاصل حقيقته، وانما اتـى بكلمة « علـى » لـدلالتها على الاحاطـة و الاستعلاء التى للعلة بالقياس الى معلولها.

وقوله: و على كل صواب نـوراً، اشارة الى ان لكل علم حقيقى بشىء وكل خبر صادق عن ثبوته اوعن حال من احوال وجوده برهاناً، وسمى البرهان نوراً اذبه يظهر

وجود مايبرهن به‌احواله.

وقوله: فما وافق كتاب‌الله خذوه، اشارة الى ان كتاب‌الله ميزان قسط لايحيف عن‌الحق‌لسانه ونور هدى لايطفىء برهانه، فينبغى ان يوزن به‌العلوم والاخبار ويستضاء به‌الافكار والانظار ، وهو نسخة منتخبة من‌اللوح المحفوظ الذى فيه صور حقائق الاشياء كلها و اصول دقائق الامور و جلائلها، فما وافق كتاب‌الله فهو حق وصواب و هدى ونوريجب اخذه والعمل بموجبه و مؤداه، وماخالف كتاب‌الله فهو باطل و خطاء وزيغ وزوريجب تركه والاجتناب عنه، والله ولى الهداية والتوفيق و بيده ازمة العلم والتحقيق.

الحديث الثانى
و هو المائتان

«محمد بن‌يحيى عن عبدالله بن‌محمد ، عن على بن‌الحكم عن ابان بن‌عثمان عن عبدالله بن ابى‌يعفور» بالياء المنقطة تحتها نقطتين والعين المهملة الساكنة والفاء والراء بعدالواو، واسم ابى‌يعفور واقد بالقاف وقيل : وقدان، يكنى ابا محمد ثقة ثقة جليل فى‌اصحابنا كريم على ابى‌عبدالله عليه‌السلام، ومات فى‌ايامه وكان قارئاً يقرأ فى‌مسجد الكوفة، وقدسبق ذكر طرف من‌احواله. «قال: وحدثنى حسين بن‌ابى‌العلاء» الخفاف قال النجاشى : من اصحاب الباقر عليه‌السلام، ابوعلى الكوفى العامرى مولاهم اعور ، من اصحاب الصادق عليه‌السلام، ابوعلى الاعور مولى بنى اسد، ذكر ذلك ابن عقدة، و قال احمد بن‌الحسين: هومولى بنى‌عامر و اخواه على وعبدالحميد روى الجميع عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام وكان الحسين اوجههم، و فى‌الفهرست: له كتاب يعدفى‌الاصول روى عنه ابن ابى‌عمير، وقال الكشى: قال حمدويه: هو ازدى و هوالحسين بن‌خالد بن‌طهمان‌الخفاف وكنية‌خالدابو‌العلاء. اخوه عبدالله بن‌ابى‌العلاء. «انه حضر ابن‌ابى‌يعفور فى‌هذا المجلس قال: سألت اباعبدالله عليه‌السلام عن‌اختلاف

الحديث يرويه من نثق به و منهم من لانثق[١]، قال: اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه و اله والا فالذى جاءكم به اولى به».

الشرح

جزاء الشرط اول محذوف لظهوره، تقديره: فخذوه اونحو ذلك، و جزاء الشرط الثانى المدلول عليه بكلمة الاهو، قوله: فالذى جاءكم به اولى به، اوهوا ولى باخذه والعمل به دونكم، والغرض التأكيد فى ترك العمل بماخالف كتاب الله و قول الرسول صلى الله عليه واله.

الحديث الثالث

و هوالواحد و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن ابيه عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبى عن ايوب بن الحر» مجهول. «قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: كل شيء مردود الى الكتاب والسنة و كل حديث لايوافق كتاب الله فهو زخرف».

الحديث الرابع

و هوالواحد والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال عن على بن عقبة» بضم العين المهملة ابن خالد الاسدى ابوالحسن مولى كوفى ثقة ثقة روى عن ابى عبدالله عليه السلام. «عن ايوب بن راشد» البزاز الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: مالم يوافق من الحديث القران فهو زخرف».

١ـ لانثق به (الكافى).

الشرح

معنى هذين الحديثين واضح بعد ماعلمت بالبرهان العقلى كون القران العظيم اصل جميع العلوم الاصولية والفروعية، والزخرف كل مموه مزور وهواستعارة حسنة تشبيه للمعقول بالمحسوس، و وجه الشبه فيهما ترويج الامر الفاسد الكاسد بايهام الامر الرائج الحق، وهو ههنا نسبة الحديث الى السنة.

الحديث الخامس
و هوالثالث و المائتان

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابى عمير، عن هشام بن الحكم وغيره عن ابى عبدالله عليه السلام قال: خطب النبى صلى الله عليه واله بمنى فقال: ايها الناس ماجاءكم عنى يوافق كتاب الله فانا قلته و ماجاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله».

الشرح

قد علمت ان القران اصل جميع العلوم الثابتة والاقوال الحقة، فكل قول ثابت حق فهو قول الله وقول الله قول رسوله صلى الله عليه واله، حتى انه لو ادعى احد ان الحكم بان النفى والاثبات لايجتمعان والقول بان الواحد نصف الاثنين وكذا العالم حادث ونحوه من العلوم الثابتة و الاقوال الحقة كلها قول الله وقول رسوله صلى الله عليه واله لصدق فى دعواه ـ ان جرد النظر من خصوصية القائل والمحل وخصوصية اللفظ ـ.

الحديث السادس
وهوالرابع والمائتان

«وبهذا الاسناد عن ابن ابى عمير عن بعض اصحابه قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه واله فقد كفر».

الشرح

يعنى به اذا كانت المخالفة عمداً او فى اصول العقائد الدينية.

الحديث السابع
و هو الخامس والمائتان

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس رفعه قال: قال على بن الحسين عليهما السلام: ان افضل الاعمال عندالله ماعمل بالسنة وان قل».

الشرح

معنى الالفاظ ظاهر والسبب فيه ان الاعمال البدنية ليس لها كثير فضل الا بالنيات القلبية والاعتقادات اليقينية، والعمل بالسنة منطو فيه قصد طاعة الشرع وامتثال الامر وانقياد الرسول صلى الله عليه واله، فهو لاشتماله على معنى الطاعة و هيئة التسليم والخضوع يكون لامحالة ثوابه اكثر وان قل عدده واجره اعظم وان صغر مقداره من العمل المجرد عن هذه الهيئات وان كثر وعظم.

و الى هذا المعنى اشار بقوله تعالى: لن ينال الله لحومها و لادماؤها ولكن يناله التقوى منكم (الحج ـ ٣٧)، نبه تعالى على ان الاعمال الجسمانية و موضوعاتها لايوجب نيل القرب والمنزلة عنده تعالى ولكن التقوى لكونه عملا قلبياً وقصداً عقليا يوجب ذلك، و فى هذا المقام تحقيقات علمية يضيق المجال عن بيانها.

الحديث الثامن
و هو السادس و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن اسمعيل بن مهران، عن ابى سعيد القماط و صالح بن سعيد» ابو سعيد القماط كوفى، قال النجاشى: مولى بنى الاسد كوفى روى عن ابى عبدالله عليه السلام ذكره ابو العباس، له كتاب روى عنه

جماعة منهم عبيس بن هشام. «عن ابان بن تغلب عن ابى جعفر عليه السلام انه سأل عن مسألة فاجاب فيها، قال: فقال الرجل: ان الفقهاء لايقولون هـذا، فقال: ياويحك فهل[1] رأيت فقيها قط؟ ان الفقيه حق الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرة المتمسك بسنة النبى صلى الله عليه واله».

الشرح

الذى ذكره عليه السلام فى صفة الفقيه الحقيقى من كونه زاهـداً فى الدنيا راغباً فى الاخرة كأنه اشارة الـى ثمرة الفقه، فان اصله هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر علما يقينياً، ولذلك قد ورد عنه صلى الله عليه واله: لايفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقران وجوهاً كثيرة.

وعن بعضى التابعين فـى وصف الفقيه: البصير بدينه المداوم على عبادة ربـه، الورع الكاف[2] عن اعراض الناس، العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم، ولم يذكر احـد ممن يوثق بكلامه من السابقين فى جملة اوصاف الفقيه: الحافظ لفروع الفتاوى والمستحضر لاحـكام الـدعاوى والمعاملات، ولسنا نقول ان اسم الفقه ليس متناولا للفتاوى فى الاحكام العملية الظاهرة، بلى! ولكن على سبيل الاستتباع وبطريق العموم والشمول، وكان اكثر اطلاقهم على علم الاخرة والمكاشفات القلبية.

فان مثل هـذا التخصيص الـذى شاع بين الناس بعد القرون السابقة ضرب من التلبيس الذى بعث الناس علـى التجرد له والاعراض عن علم الاخرة و احكام القلب واحوال النفس سيما وقد وجدوا على ذلك معيناً من الطبع.

فان علم الباطن غامض دقيق والعمل به عسير ولخفائه و بطونه لايمكن التوصل به الى الجاه والمال واستجلاب القلوب وتحصيل الولاية والقضاء فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع

١ــ وهل (الكافى).

٢ــ الكاف نفسه «الاحياء».

بهذا القسم كتخصيص اسم الحكمة بالطب الذى هو من فروع ادنى اقسامها اعنى الطبيعى، فيقال للطبيب الطرقى[1] انه حكيم، فهكذا نسبة الفقه الذى هو حفظ الفتاوى الى اصل الفقه الذى كان معروفا عند الائمة الهادين عليهم السلام ومن على سيرتهم من الذين سبقونا بالايمان والتابعين لهم باحسان.

واعلم انه ذكر ابو حامد الغزالى فى كتابه الاحياء فى مبدأ نشو علم الفتاوى والاحكام وسبب تدوينه وتدوين علم الكلام: ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه واله تولاها الخلفاء وكانوا عالمين بالاحكام الدينية مشتغلين بالفتاوى فى الاقضية، وكانوا لايستعينون بالفقهاء الا نادراً فى وقائع لايستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء بعلم الاخرة و تجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى ومايتعلق باحكام الخلق من امر الدنيا و اقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم، فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوا بغير استحقاق و استيهال و استقلال بعلم الفتاوى و الاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم فى جميع احوالهم لاستفتائهم فى جميع مجارى احكامهم.

وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطرز[2] الاول ومواظب على سمت علماء السلف ، فكانوا اذا طلبوهم هربوا و اعرضوا، واضطروا الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتولية القضاء و الحكومات، فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء و اقبال الولاة و الحكام عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز و درك الجاه من قبل الولاة، فاكبوا على علم الفتاوى و عرضوا انفسهم على الولاة و تعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من انجح، و المنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال.

فاصبح الفقهاء ـ بعد ان كانوا مطلوبين ـ طالبين، وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض

١ـ اى: الذى جلس على شوارع الطرق و يتداوى الناس، او الذى يدحرج القرعة على اكف السودية فى شوارع الطرق.

٢ـ الطراز «الاحياء».

عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله فى كل عصر من علماء دينه.

ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها، فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام، فانكب[1] الناس على علم الكلام و اكثروا فيها التصانيف و رتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات و زعموا ان غرضنا[2] الذب عن دين الله و النضال[3] عن السنة وقمع البدعة[4].

ثم ظهر بعدذلك من الصدور من لم يستغرب[5] الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما تولد من فتح بابه التبغضات[6] والخصومات الناشئة من اللداد المفضية الى تخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب المجتهدين، فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية و زعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع و تقرير علل المذاهب و تمهيد اصول الفتاوى، و اكثروا فيها التصانيف والاستنباطات و رتبوا فيها انواع المجادلات وهم مستمرون عليه الى الان، وليس يدرى ماالذى قدرالله فيما بعدنا من الاعصار؟

فهذا هو الباعث على الاكباب على هذا العلم والمناظرة، ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى علم اخر من العلوم لمالوا ايضا اليه[7] ولم يسكنوا عن التعلل و اعتذار بان ما اشتغلوا به[8] علم الدين وان لامطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين!

١ــ فاكب «الاحياء».

٢ــ غرضهم «الاحياء».

٣ــ النضال: الدفاع.

٤ــ المبتدعة «الاحياء»

٥ــ لم يستصوب «الاحياء».

٦ــ التعصبات «الاحياء»

٧ــ معهم «الاحياء».

٨ــ به هو «الاحياء»

الحديث التاسع
و هو السابع و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه، عن ابى اسمعيل ابراهيم بن اسحق الازدى، عن ابى عثمان العبدى عن جعفر عن ابائه عليهم السلام عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: لاقول الابعمل ولاقول ولاعمل الابنية ولاقول ولاعمل ولانية الاباصابة السنة».

الشرح

اى لايتم قول الايمان الابعمل الاركان، ولم يقم عمل الاركان الابنية الجنان لقوله صلى الله عليه واله: انما الاعمال بالنيات، وقوله: لكل امرأ مانوى، ولم يصح نية و لااعتقاد الاباصابة نور الهدى و البرهان و معرفة الحكمة الالهية والكتاب والفرقان، فان السنة عبارة عن طريق الحق و اصابتها هى بادراك اصول المعارف الحقيقية و شعب الايمان والعمل بموجبها.

الحديث العاشر
و هو الثامن و المائتان

«على بن ابراهيم عن ابيه عن احمد بن النضر، عن عمرو بن شمر عن جابر عن ابى-جعفر عليه السلام قال: قال: مامن احد الا وله شره[1] و فترة، فمن كانت فترته الى سنة فقداهتدى ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى».

الشرح

الشره غلبة الحرص على الشيء والفتور كضده وهو الضعف والانكسار والمعنى: ان كل واحد من افراد الناس له قوة و سورة فى وقت كوقت الصحة والسلامة واليقظة

١ـ شرة (الكافى).

والحركة، وله فترة وضعف فى وقت كوقت المرض والنوم والدعة والسكون ، فمن كان فتوره الى سنة، اى أستعداداً للنهوض اليها والعمل بمقتضاها فقد اهتدى ومن كان فتوره وكلاله لطلب البدعة والسعى فى تحصيلها فقد ضل وغوى.

ويحتمل ان يكون المراد من قوله: فمن كانت فترته الى سنة، ان يكون منشأ فترته راجعاً الى السنة، اى تحمل المشاق الدينية والطاعات الشرعية صار سبب فتوره وضعفه، والمراد من قوله: ومن كانت فترته الى بدعة، ان يكون منشأ فترته مستنداً الى بدعة كنسك الجاهلين و رهبانية المتصوفين المبتدعين.

الحديث الحادى عشر
و هو التاسع والمائتان

«على بن محمد عن احمد بن محمد البرقى عن على بن حسان» هو اثنان: احدهما الواسطى ابو الحسين القصير المعروف بالمنمس بالنون والسين المهلة، عمره اكثر من مائة سنة وكان لا بأس به، روى عن ابى عبدالله عليه السلام؛ وثانيهما الهاشمى مولى هم ابن حسان بن كثير مولى ابى جعفر عليه السلام ابو الحسن يروى عن عمه عبدالرحمن. غال ضعيف.

قال الكشى: قال محمد بن مسعود: سألت على بن الحسن بن فضال عن على بن حسان قال: عن ايهما سألت؟ اما الواسطى فهو ثقة، واما الذى عندنا نشير[1] الى على بن حسان الهاشمى يروى عن عمه عبدالرحمن بن كثير فهو كذاب، وهو واقفى ايضا لم يدرك اباالحسن [موسى] عليه السلام.

وقال ابن الغضائرى بعد تضعيف على بن حسان بن كثير: و من اصحابنا على بن حسان الواسطى ثقة ثقة.

و ذكر ابن بابويه رحمه الله فى اسناده الى عبدالرحمن بن كثير الهاشمى روايته عن محمد بن الحسن عن على بن حسان الواسطى عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمى

١ـ يشير «كش ـ جامع الرواة».

وهو يعطى ان الواسطى هو ابن اخى عبدالرحمن واظنه سهواً من قلم الشيخ ابن بابويه او الناسخ «صه».

وقال ابن الغضائرى: رأيت له كتابا سماه تفسير الباطن لايتعلق من الاسلام بسبب ولايروى الاعن عمه.

و فى النجاشى: مولى عباس بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ضعيف جداً، ذكره بعض اصحابنا فى الغلاة فاسد الاعتقاد. «ومحمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب»، ابو الفضل البراوستانى و براوستان قرية من قرى قم، الازدورقانى قرية من سواد الرى، كان ضعيفا فى حديثه كذا قال النجاشى، وقال ابن الغضائرى: انه يكنى ابامحمد وضعفه. «عن على بن حسان عن موسى بن بكر» الواسطى اصله كوفى واقفى له كتاب روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام.

قال الكشى حدثنى حمدويه بن نصير قال: حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمد بن سنان عن موسى بن بكر الواسطى قال: ارسل الى ابو الحسن عليه السلام فاتيته فقال لى: ماراك مصفرا؟ وقال: الم آمرك باكل اللحم؟ فقلت: ما اكلت غيره منذامرتنى، فقال: كيف تأكله؟ قلت: طبيخا، قال: كله كباباً، فاكلت الى بعد جمعة فاذاً الدم قدعاد فى وجهى فقال لى: نعم، ثم قال لى: يخف عليك ان نبعثك فى بعض حوائجنا؟ فقلت: اناعبدك فمرنى بم شئت، فوجهنى فى بعض حوائجه الى الشام. «عن زرارة بن اعين عن ابى جعفر عليه السلام قال: كل من تعدى السنة رد الى السنة».

الشرح

معناه واضح.

الحديث الثانى عشر
و هو العاشر و المائتان

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن النوفلى عن السكونى عن ابى عبدالله عليه السلام

عن ابائه عليهم السلام عن امير المؤمنين عليه السلام: السنة سنتان: سنة فى فريضة الاخذ بها هدى وتركه ضلالة، و سنة فى غير فريضة الاخذ بها فضيلة و تركها الى غير خطيئة».

الشرح

السنة فى الاصل الطريقة، و فى حديث المجوس: سنوا بهم سنة اهل الكتاب، اى خذوهم على طريقهم واجروهم فى قبول الجزية مجراهم، ثم خص استعمالها بطريقة الحق التى وضعها الله للناس وجاء بها الرسول صلى الله عليه واله، ثم يقال لكل مايعطى سلوك هذه الطريقة التى هى الصراط المستقيم من العبد الى الرب من الفرائض والنوافل، فكل عمل شرعى واعتقاد حق هو من السنة، اذ به يتقرب العبد الى الله تعالى.

وفى الحديث القدسى: ماتقرب العبد الى بشىء مثل ماافترضته عليه، ولايزال يتقرب الى بالنوافل حتى احببته... الحديث. فالسنة اسم عام ومعنى مشترك بين السنتين:

احديهما الفريضة وهى ماالاخذ بها هدى يوجب الثواب وتركها ضلالة توجب العقاب، اذ الاخذ بها هو ملازمة الصراط والمرور عليه فيوجب القرب منه تعالى، و كل من قرب منه فهو فى جنة ونعيم وثواب وتركها هو السقوط عن الصراط والانحراف عنه فيوجب البعد عنه تعالى، وكلما بعد عن الله و عن دار رحمته فهو فى نار جحيم و عذاب اليم.

وثانيهما النفل وهو ماالاخذ به فضيلة زائدة، اذ بدونها يمكن سلوك طريق الهدى و الوصول الى منزل النجاة فى العقبى، وتركه ليس الى خطيئة توجب العذاب فى الدار الاخرى.

واعلم ان اطلاق السنة على النفل من باب تسمية الشىء باسم جنسه الاعم كتسمية مقابل التصديق باسم التصور لاان هناك وضعا اخر، لكن المتأخرين اذا اطلقوا

السنة ارادو به مايقابل الفرض و هوعرف طار[1] منشاؤه كثرة استعمال لفظها فى المعنى الاخص، فالواجب مقابل السنة فى العرف الجديد و هـو سنة فى ذلك العرف، ولهذا ورد فى حديث غسل الجمعة: انه سنة واجبة.

تم كتاب العقل والعلم والحمدلله رب العالمين.

اقول: وله الحمد والشكر على توفيقه لاتمام شرح هذا الكتاب والهامه المعانى والرموز التى هى انوار الخطاب، والصلوة والسلام على محمد واله خزنة انوار الوحى والتنزيل وحفظة اسرار العلم و التأويل، حمداً لاحدله ولامنتهى صلوة لاتعدولاتحصى.

وكتب المؤلف الشارح بيده الجانية و الته الفانية فى شهور اربـع و اربعين سنة بعدالالف حامـداً لله مصلياً مستغفراً: محمد بن ابراهيم المشتهر بصدر الشيرازى، اوتى كتابهما بيمينهما بحق محمد واله الطاهرين.

١ـ اى: الغريب ـ خلاف الاصلى.

كتاب الحجة

بسم الله الرحمن الرحيم

«مقدمة الشارح»

و هو الكتاب الثالث من الكتب الكافي للشيخ الجليل قدوة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله

الحمدلله الـذى اجتبى من صفوة عباده اصابـة اهل الحق و اليقين المقتبسين انوار الكحمة والدين من مشكوة النبوة و الولاية، وخصهم من بين سائر الفرق بمزايا اللطف و المنة، و افاض عليهم من نـور هدايته ماكشف لهم بهحقائق الملة و الشريعة و اسرار الكتاب و السنة ، و اتبعوابـه سبيل حجج الله الناطقة و بـراهينه الساطعة من الذوات المقدسة و النفوس المطهرة الذين طهرهم الله به عن نزغات الشياطين تطهيراً، و نور بواطنهم بانوار الولاية والقرب تنويراً، فهم[1] باقتفاء هذه الحجج و البراهين و اهل بيت النبوة التى اتى بهاسيد الاولين و الاخرين وخاتم الانبياء والمرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه والـه اهتدوا الى اسرار العلم واليقين، وادركوا ببصائـرهم انوار الكتاب المستبين والاخبار الاولياء المعصومين، واطلعو بضمائـرهم على طرق التلفيق بين مقتضى الشرائع وموجباب العقول، وتحققوا انلامعاندة بين الشرع المنقول

---

١ – لهم - م

والحق المعقول، وعرفوا ان من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد و اتباع الظواهر ماتوا الامن ضعف العقول وقلة البصائر، وان من تغلغل من المتفلسفة و غلاة المعتزلة فى تصرف العقل حتى صادموا بقواطع الشرع ماتوا الاخبث الضمائر، فميل اولئك الى التفريط و ميل هؤلاء الى الافراط وكلاهما بعيدان عن الحزم و الاحتياط، بل الواجب المحتوم فى قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد و الاستبداد[1] على صراط المستقيم وكلا طرفى قصد الامور ذميم، وانى يصيب الرشاد من يقنع بتقليد الاثر والخبر وينكر مناهج البحث والنظر، اولا يعلم انه لامستند للشرع الاقول سيد البشر، والبرهان العقلى هو الذى عرف صدقه فيما اخبر، وكيف يهتدى الى الصواب من اقتفى محض العقل واقتصر ماستضاء بنور الشرع ولااستبصر.

فليت شعرى كيف يفزع الى العقل حين يعتريه العى والحصر، او لايعلم ان حظى[2] العقل قبل ان يهتدى بنور الشريعة قاصرة وان مجاله ضيق مختصر، هيهات هيهات! خاب على القطع والبتات[3]، و تعلق باديان[4] الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات، فمثال البصر[5] السليم عن الافات والادواء و مثال القران الشمس المنتشرة الضياء، فاخلق بان يكون طالب الاهتداء المستغنى باحدهما عن الاخرفى غمار الاغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القران و الخبر مثاله المعترض لنور الشمس والقمر مغمضا للاجفان فلافرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور والملاحظة بالعين العوراء لاحدهما على الخصوص متبدل بجهل الغرور، و قداتضح لك ايها المتشوق الى الاطلاع على اسرار قواعد الملة والدين المقترح تحقيق قوانين الشرع المبين واركان عقائد المؤمنين بقواطع الحجج والبراهين ممالوحنا

١ــ والاستقامة والاستبداد ــ م.

٢ــ رجل حظى، اذا كان ذاحظوة ومنزلة. خطوة ــ م.

٣ــ البتة: اسم المرة من بت و بتة وبتاتاً: قطعا و بدون رجعة ولاعود.

٤ــ باذيال ــ م.

٥ــ البصر خبر قواه: فمثال.

اليه ونبهناك عليه مماذكرناه فى شرحنا لاحاديث الكتابين السابقين انه لم يتيسر بالتوفيق للجمع بين الشرع والتحقيق فريق سوى هـذا الفريق لاقتباسهم انوار العلم والحكمة من مشكوة النبوة والـولاية و اتباعهم مناهـج الائمة واصحاب العصمة، فـاشكرالله سبحانه على اقتفائك لاثارهم و اهتدائك بانوارهم و انخراطك فى مسلكهم و غمارهم و اختلاطك بفرقتهم فعساك تحشر فى زمرتهم.

واعلم انالله حجتين: حجة ظاهرة مكشوفة وحجة باطنة مستورة، فالظاهرة على ابدان الناس و اهل الحواس والباطنة للخواص و اهل العقول الزكية، فـان المعجزة المحسوسة يؤثر فى نفوس العوام مالايؤثر فيها الف من الحجج والبراهين، و البرهان العقل الواحد يفعل فى الخواص ويفيدلهم فى باب الاعتقاد بالله والايمان مالايفعل الف معجزة مثل قلب العصاء الثعبان، والايمان المنعقدة بالمعجزة دين العوام واللئام، واكثر من امن بموسى عليه السلام بسبب المعجزة انحلت عقيدته بماصنعه السامرى من الشعبذة، وقدمر فى الحديث العشرين من كتاب العقل ممايفيد ما ادعيناه.

فاذن الانبياء و الاولياء بمعجزاتهم وكراماتهم حجج الله علـى خلقه و شهدائه عليهم، ولكن البراهين العقلية والانوار الالهية حجج الله على ذواتهم و بواطنهم كماقال تعالى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء. ان ربك حكيم عليم (الانعام ـ ٨٣)، وتلك الحجة النورية هى المسماة بالهدى فى قوله تعالى: اولئك الذين هـدى الله فبهديهم اقتدة (الانعام ـ ٩٠)، واليه الاشارة بقولـه : قل هذه سبيلى ادعـوا الى الله علـى بصيرة انا و من اتبعنى (يـوسف ـ ١٠٨)، و اتباع الانبياء و مصدقـوهم قسمان: منهم من تبعهم وصدقهم من طريق الحكمة و البرهان و منهم من تبعهم وصدقهم من طريق المجادلة بالسيف والسنان، قال تعالـى: ادع الـى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هـى احسن (النحل ـ ١٢٥) ، فالحكمة والموعظة لقوم والمجادلة لقوم اخرين، ومن ينتفع ويذعن بالمجادلة لاينتفع ولايذعن بالحكمة وبالعكس.

فهذا كتاب الحجة والمقصود فيه اثبات ان الناس مضطرون الـى الحجة و ان

الارض لاتخلو من حجة و ان الانبياء الذين هم حجج الله على طبقات و ان الفرق بين الرسول و المحدث بماذا؟ و ان الائمة عليهم السلام خلفاء الله في ارضه و ابوابه التي يؤتى منه، وهم انوار الله و ولاة الامر و اركان الارض و اهل الذكر و الراسخون في العلم والمصطفون و في سائر نعوتهم و مناقبهم المشتركة بينهم، ثم في اثبات حجية واحد واحد منهم وذكر خصائصه و كراماته وسائر احواله. فهانا اذاً نشرع فيما نحن بصدده من شرح احاديث هذا الكتاب مستعين بميفض العلم و ملهم الحق و معطي الحجة في جميع الابواب.

باب الاضطرار الى الحجة

و فيه خمسة احاديث :

الحديث الاول

وهو السابع والعشرون واربعمائة

«قال ابوجعفر محمد بن يعقوب الكليني مصنف هذا الكتاب رحمة الله عليه: حدثنا علي بن ابراهيم عن ابيه عن العباس بن عمر الفقيمي، عن هشام بن الحكم عن ابي-عبدالله عليه السلام انه قال للزنديق الذي سأله من اين اثبت الانبياء و الرسل، قال: انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا و عن جميع ماخلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز ان يشاهده خلقه ولايلا مسوه فيباشرهم ويباشرونه[1] و يحاجهم و يحاجونه، ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ومابه بقائهم وفي تركه فنائهم، فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل و عز، وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين[2] بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق و

١- يباشروه (الكافي).
٢- مؤدين من (الكافي).

التركيب فـى شىء من احـوالهم مؤيدين عندالحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك فى كل دهر و زمان مما اتت بـه الرسل و الانبياء من الـدلائل والبراهين لكيلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته».

الشرح

هذاالحديث مشتمل على برهان عقلى قاطـع علـى اثبات الانبياء والرسل مبنى على عدة مقدمات عقلية:

احدها ان لنا خالقاً صانعاً قادراً على كل شىء.

والثانية ان الصانـع الخالـق جل اسمه متعال عن التجسيم والتعلق بالمواد و الاجسام وعن ان يكـون مبصراً او محسوساً باحـدى الحواس خلافاً للكرامية و من يحذو حذوهم.

والثالثة انه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير و المنفعة فى النظام وسبيل المصلحة للخلائق فى المعيشة والقوام و البقاء والدوام.

والـرابعة ان له تعالـى وسائط فـى الايجاد والتأثير والخلق و التدبير لامتناع مباشرة الافعال بمزاولة المواد و الكثرات على الواحـد الحق المقدس المتبرىء كل تقدس والبرائة عن صفات الخلائق و الاجسام، خلافاً للاشاعرة النافين للعلة والمعلول المثبتين للارادة الجزافية المنكرين لترتيب الوجود القائلين بخلـق الاعمال وسائـر الامور الجزئية منه تعالى بلاوسط و ترتيب، فينسد على طريقتهم اثبات النبوة وافتقار الخلق الى النبى سيما على تجويزهم رؤية الخلق له تعالى.

والخامسة ان الناس محتاجـون فى معاشهم و معادهم الى من يدبر امورهم و يعلمهم طريق المعيشة فى الدنيا و النجاة من العذاب بالعقبى.

و ذلك لانه من المعلوم ان الانسان لايتمشى معيشة لوانفرد وحده شخصا واحداً كغيره من انواع الحيوان يتولـى امره من غيرشريك يعاونه على ضرورات حاجاته، وانه لابد من ان يكون مستعينا باخر من نوعه يكون ذلك الاخر ايضا مستعينا مكفيا به

وبنظيره، فيكون هذا يزرع لهذا وهذا يطحن لذلك وذاك يخبز للاخر واخير يخيط لغيره و هذا يبنى و هـذا يتخذ الحديد وهذا يتجر، و على هذا القياس حتى اذا اجتمعوا كان امرهم مكفيا، و لهذا اضطروا الـى عقد المدن والاجتماعات للمعاملات والمناكحات وسائر المعاونات والمشاركات.

و بالجمله لابـد فى وجود الانسان و بقائه من المشاركـة ولايتم المشاركة الا بالمعاملة و لابد بالمعاملة[1] من سنة و قانون عدل ولابد للسنة والعدل من سان و معدل، ولايجوز ان يترك الناس و ارائهم و اهوائهم فى ذلك فيختلفون فيرى كل واحد منهم ماله عـدلا و ما عليه ظلماً وجـوراً ، ولابـد ان يكـون هـذا المعدل والسان بشراً لاملكا، لان الملك لايراه الناس مالـم يتجسم لانه روحانـى الذات لايتمثل بشرا سويا الامن طريق الباطن لاهل النبوة والكشوف ، فان القوة البشريـة لاتقوى علـى رؤيـة الملك فى صورة الملكية و انما رآهم الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية، ثـم لوفرض ان يتجسم بحيث يراه سائر الخلق كجبرئيل فى صورة دحية لهم كان ملتبساً عليهم كالبشر كماقال تعالى: ولـوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا و للبسنا عليهم مايلبسون (الانعام ـ ٩)، فلابد ان يكـون السان له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه امراً لايوجد لهم فيتميز به منهم فيكون له المعجزات التى اخبرنا بها.

والحاجة الى هـذا الانسان فى ان يبقى نوع البشر ويتحصل وجـوده اشد من كثير من المنافـع التى لاضرورة فيها للبقاء، بل اكثر مالها ان يقع الانتفاع لفضيلة من الوجـود و البقاء كانبات الشعر على الحاجبين و تقعير الاخمص للقدمين و مايجرى مجريهما من منافع الاعضاء التى بعضها للزينة وبعضها للسهولة فى الافعال والحركات كمايظهر من علم التشريح.

و وجود هذا الانسان الصالح لان يسن ويشرع ممكن وتأييده بالايات والمعجزات الموجبة لاذعان الخلق له ممكن، فلايجوز ان يكون العناية الاول يقتضى تلك المنافع ولاهذه التى هى اصلها وعمدتها، ولا ان يكون المبدأ الصانع تعالى و الملائكة بعده

١ـ فى المعاملة ـ م.

يعلم تلك ولايعلم هذه، ولا ان الذى يعلمه فى نظام الخير، الممكن وجوده، الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لايوجد، لان علمه تعالى فعلى كلما يعلمه خيرا يوجده و كيف لايوجد؟ وماهو متعلق وجوده عليه من المبادى والعلل موجودة.

فاذا تمهدت هذه المقدمات فثبت و تبين انه واجب ان يوجد نبى و واجب ان يكون انساناً و واجب ان يكون له خصوصية ليست لسائر الناس و هى امور الخارقة للعادات اعنى المعجزات، ويجب ان يسن للناس سنناً باذن الله و امره و وحيه وانزاله الروح القدس عليه، ويكون الاصل الاول فيما يسنه تعريفه اياهم ان لهم صانعاً قادراً واحداً لاشريك له و ان النبى عبده و رسوله و انه عالم بالسروالعلانية و انه من حقه ان يطاع امره و انه قداعدلمن اطاعه المعاد المسعد ولمن عصاه المعاد المشقى حتى يتلقى الجمهور احكامه المنزلة على لسانه من الله و الملائكة بالسمع والطاعة، فهذا هو الكلام المجمل فى اثبات النبوة وكيفية دعوته للخلق المستفاد مقدماته من هذا الحديث تصريحا و تلويحاً.

فقوله عليه السلام: ان لنا خالقاً صانعاً متعاليا عنا وعن جميع ماخلق اشارة الى المقدمة الاولى، وقوله: وكان الصانع حكيما الى الثالثة، و قوله: متعاليالم يجزان يشاهده خلقه ولايلامسوه فيباشرهم و يباشرونه ويحاجهم و يحاجونه اشارة الى الثانية، لان كل جسم و جسمانى من شأنه ان يشاهده الخلق ويلامسوه حتى النفوس من حيث تركيبها مع الابدان و صيرورة المجموع واحدا طبيعيا موصوفة بصفاتها من لونها مشهودة ملموسة.

و قوله: فثبت ان له سفراء فى خلقه يعبرون عنه الى خلقه و عباده اشارة الى الرابعة و هى اثبات الوسائط بينه تعالى و بين خلقه الافعال مطلقا سواء كانت ملائكة او عبادا غيرهم.

وقوله: ويدلونهم على مصالحهم و منافعهم وما به بقائهم و فى تركه فنائهم اشارة مجملة الى ماذكرناه فى المقدمة الخامسة.

وقوله: فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه اشارة الى اثبات

جزء من اجزاء المطلوب الذی هو وجود الانبیاء علیهم السلام و هو علی ثلاثة اجزاء :

احدها هو وجود الامر والناهی واسطة بین الله الحکیم العلیم فی خلقه و بین عباده.

و ثانیها کونه بشراً وهوالمشارالیه بقوله: والمعبرون عنه جل وعز وهم الانبیاء وصفوته من خلقه حکماء مؤدبین بالحکمة مبعوثین بها.

و ثالثها کونه مع البشریة متمیزا عن سائرالناس بامور قدسیة وکرامات الهیة فیکون ذا وجهین وجه الی التقدس والالوهیة و وجه الی التجسم و البشریة، فیکون انسانا ربانیاً او رباً انسانیاً تکادتحل عبادته بعد طاعةالله وهوخلیفةالله فی العالم الارضی والیه الاشارة بقوله: غیرمشارکین للناس علی مشارکتهم لهم فی الخلق والترکیب فی شیء من احوالهم مؤیدین عندالحکیم العلیم بالحکمة.

و قوله: فی شیء من احوالهم متعلق بغیر مشارکین للناس فی الخلقة البشریة و الترکیب من الاجزاء المادیة و الصوریة و من الاعضاء والقوی والالات الحیوانیة غیرمشارکین لهم فی کثیر من الاحوال و الاخلاق النفسانیة لصفاء نفوسهم و طهارة قلوبهم عن رذائل الصفات ونقائص الملکات وکونهم مؤیدین بالقرب من الله الحکیم العلیم بنورالحکمة والعرفان، فالاول اشارة الی کمال القوة العملیة و الثانی الی کمال القوة النظریة وکمال الانسان بهما جمیعاً.

و قوله : ثم ثبت ذلك فی کل دهر و زمان مما اتت بهالرسل والانبیاء من الدلائل و البراهین، یعنی انه ثبت وجود النبی فی کل وقت من جهة ما اتوابه من المعجزات و خوارق العادات.

کأن قائلا یقول: ان الذی ذکرته من البرهان قد دل علی حاجة الناس فی کل زمان بوجود النبی و انه یجب من الله بعثة الرسل والانبیاء و ارسالهم، ولکن من ای سبیل یعلم الناس النبی ویصدق بنبوته و رسالته؟

فاجیب: بانه ثبت ذلك علیهم بمشاهدة ما اتت بهالرسل و النبیون من الدلائل

والبراهين يعنى المعجزات الظاهرة منهم، وهى المراد هيهنا بالدلائل والبراهين، اذ الناس لايذعنون الا بمايشاهدونه.

وقوله: لكيلا يخلوارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته تعليل متعلق بقوله: ثم ثبت ذلك فى كل دهر، و وجه التعليل: انمادامت الارض باقية والناس موجودون فيها فلابدلهم من حجة لله عليهم يقوم بامرهم ويهديهم الى سبيل الرشاد و حسن المعاد و هو الحجة الظاهرة، ولابدان يكون معه علم بالله واياته تدل على صدق مقالته و دعوته للناس وعلى جريان حكمه عليهم و جواز عدالته فيهم وهوالحجة الباطنة، والله يقول الحق و هويهدى السبيل.

الحديث الثانى
و هوالثامن والعشرون و اربعمائة

«محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: ان الله اجل واكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله، قال: صدقت، قلت من عرف ان له ربا فقد ينبغى له ان يعرف ان لذلك الرب رضا وسخطا وانه لايعرف رضاه وسخطه الابوحى او رسول فمن لم يأته الوحى فقد ينبغى له ان يطلب الرسل فاذالقيهم عرف انهم الحجة و ان لهم الطاعة المفترضة وقلت للناس تعلمون انرسول الله صلى الله عليه واله كانهوالحجة من الله على خلقه، قالوا بلى قلت فحين مضى رسول الله صلى الله عليه واله من كان الحجة على خلقه، فقالوا القران فنظرت بالقران فاذا هو يخاصم به المرجىء والقدرى والزنديق الذى لايؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته فعرفت ان القران لايكون حجة الابقيم فماقال فيه من شىء كان حقا فقلت لهم من قيم القران، فقالوا ابن مسعود قدكان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت كله قالوا لافلم اجداحداً يقال انه تعرف ذلك كله الاعلياصلوات الله عليه و اذا كان الشىء بين القوم فقال هذالاادرى وقال هذالاادرى وقال هذالاادرى وقال هذا انا ادرى

فاشهدان علياً عليه السلام كان قيم القران و كانت طاعته مفروضة[1] و كان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه واله وان ماقال في القران فهو حق فقال: رحمك الله».

الشرح

قوله: الابقيم، المراد بقيم القران العالم بتفسير محكماته و تأويل متشابهاته و الحافظ لاسرار اياته وانوار بيناته، وقوله: قلت كله اى قلت لهم يعلم هؤلاء كل القران وقوله: قالوا: لا، اى قال الناس في الجواب: لا، اى لايعلم احد من هؤلاء كل القران.

و اعلم ان المقصود من هذا الحديث اثبات ان علياً كان هو الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه واله على الخلق و كانت طاعته مفترضة عليهم، و اثبات ذلك مؤسس على اصول:

احدها ان الله تعالى لعظمة ذاته و ارتفاع مكانه و تقدس وجوده وبساطته اجل من ان يعرف ذاته من جهة خلقه، وقد ثبت في الحكمة ان مالا سبب له فلاحد لذاته و لابرهان عليه من غيره بل هو البرهان على كل شيء من خلقه، لان العلم بذى السبب لايحصل الامن جهة العلم بسببه، و هو سبب كل شيء ومسبب الاسباب من غير سبب فلايعرف ذاته الا بذاته ولايعرف غيره على الحقيقة الابه كماقال امير المؤمنين عليه السلام: ماعرفت شيئاً الا وقد عرفت الله قبله، وقال بعض العرفاء: عرفت ربى بربى و لولا ربى ما عرفت ربى، فاذن قد ثبت انه تعالى اجل و اكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يعرفوق بالله.

وثانيها ان من عرف ربه فلابدان يعرف صفاته وان يعرف ان لربه رضاً وسخطا على مايليق بذاته و ان رضوانه يوجب القرب والسعادة والجنان وان سخطه يوجب البعد والشقاوة والنيران.

و ثالثها ان هذه المعارف الالهية لايمكن ان يحصل الابطريق الوحى والالهام، فالعارفون باحوال المبدأ والمعاد اولا هم الانبياء و الاولياء عليهم السلام، وحياً او

١ــ مفترضة (الكافي).

الهاماً، وستعلم من ذى قبل ان شاءالله الفرق بينهما، وثانياً غيرهم بالاخذ منهم، فمن لم يأته الوحى و الالهام فيجب عليه ان يطلب الرسل عليهم السلام، لانهم المعلمون للناس باذن الله والمبلغون لهم من الله، فاذالقيهم عرف انهم الحجة من الله وان لهم الطاعة المفترضة لظهور ايات و معجزات عليه منهم.

وقد ثبت فى الحديث السابق وجوب بعثة الانبياء و ارسال الرسل منه تعالى، و ذلك لان اهم الامور لكافة الخلق نيل سعادة الابدية والاجتناب عن الشقاوة الدائمة، وقد وردت الانبياء عليهم السلام و اخبروا الخلق بان لله سبحانه على عباده حقوقاً و وظائف فى افعالهم و اقوالهم واعتقاداتهم، وان من لم ينطق بالصدق لسانه و لم ينطق على الحق ضميره ولم يتزين بالعدل جوارحه فمصيره الى النار وعاقبته البوار.

ثم لم يقتصروا على مجرد الاخبار بل استشهدوا على صدقهم بامور غريبة و افعال عجيبة خارقة للعادات، فمن شاهدها او سمع احوالها بالاخبار المتواترة سبق الى عقله امكان صدقهم بل غلب على ظنه ذلك باول السماع، و هذاالظن البديهى او التجويز الضرورى يسلب الطمأنينة عن القلب ويحشوه بالاستشعار والخوف ويهيجه للبحث والافتكار وينزع عنه الدعة والقرار والتساهل والاهمال وتقرر عنده ان الموت ضرورى آت لامحالة وان مابعد الموت مطوى عن ابصار الخلق وان ما اخبر به هؤلاء غيرخارج عن حد الامكان فانجزم بترك التوانى فى الكشف عن حقيقة هذاالامر.

فما هؤلاء مع العجائب التى اظهروها من امكان صدقهم باقل من شخص يخبرنا عند خروجنا من دارنا ان سبعاً اوحية دخل دارك فخذ حذرك واحترز منه، فانا بمجرد السماع اذا رأينا امكان صدقه لانتقدم على الدخول بل نحترز كل الاحتراز، والموت هوالدخول الى المستقر والوطن قطعا فكيف لايكون الاحتراز لما بعده مهماً؟ فاذن اهم المطالب ان يبحث عن مايقوله النبى صلى الله عليه واله اهو حق لاشك فيه ام باطل؟ و ان قوله: و ان لكم رباً كلفكم و ان لكم حقوقا تركها يوجب سخطه و عقابه و فعلها يوجب رضاه و ثوابه فيلزمنالامحالة ان نطيع له فيما يأمر وينهى

طاعة مفترضة.

و رابعها انيعلم ان محمداًصلى الله عليه واله رسول الله وانه الحجة على خلقه وفى اثبات معجزاته طريقان: الاول التمسك بالقران، فانانقول: لامعنى للمعجزة الامايقترن بتحدى النبى صلى الله عليه واله عنداستشهاده على صدقه على وجه يعجز الخلق عن معارضته وتحديه على العرب مع شعفهم بالفصاحة واغراقهم فيها متواتر وعدم معارضتهم معلوم ، اذ لو كان لظهر ، فان ارذال الشعراء لماتحدوا بشعرهم و عورضواظهرت المعارضات والمناقضات الجارية بينهم.

فاذن لايمكن انكار تحدى الرسول صلى الله عليه واله بالقران ولايمكن انكار اقتدارالعرب على طرق الفصاحة و لايمكن انكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم و دمائهم و اموالهم و تخلصاً من سطوة المسلمين وقهرهم، ولايمكن انكار عجزهم لانهم لوقدروا لفعلواولوفعلواظهر ذلك ونقل، فهذه مقدمات علم بعضها بالتواتر و بعضها بمجارى العادات وكل ذلك مما يورث اليقين فلاحاجة الى التطويل.

فان قيل: ماوجه اعجاز القران؟ قلنا: الجزالة[1] والفصاحة مع النظم العجيب و المنهاج الخارج عن منهاج كلام العرب فى خطبهم و اشعارهم و سائر صنوف كلامهم، والجمع بين هذاالنظم وهذه الجزالة معجزة خارجة عن مقدورالبشر، نعم ربمايرى للعرب اشعار وخطب يحكم فيها بالجزالة و ربماينقل عن بعض من قصدالمعارضة مراعات هذاالنظم بعدتعلمه من القران ولكن من غير جزالة بل مع ركاكة كمايحكى من ترهات مسيلمة الكذاب انه قال: الفيل وماالفيل وما ادراك ماالفيل له ذنب وثيل[2] وخرطوم طويل، فهذا وامثاله ربما يقدرعليه مع ركاكة يستبشعها[3] الفصحاء ويستهزؤن بها.

و اما جزالة القران فقد قضى كافة العرب منهاالعجب و لم ينقل عن واحد منهم

١ــ الجزالة ضدالركيك من الكلام.

٢ــ الحبل من الليف.

٣ــ بشع، اى: عكس حسن وطيب.

تشبيب بطعن فی فصاحته، فهواذن معجز خارج عن مقدور البشر من هذين الوجهين، اعنی من اجتماع هذين الوصفين.

فان قيل: لعل العرب اشتغلت بالمحاربة و القتال فلم تعرج على معارضة القران ولو قصدت لقدرت عليه ولكن منعها العوائق عن الاشتغال به.

فالجواب: ان ما ذكروه هوس، فان دفع تحدی المتحدی بنظم الكلام اهون من الدفع بالسيف مع ماجری على العرب من المسلمين بالامر من النهب والقتل والسبی، ثم ماذكروه غير رافع[1] غرضنا، فان انصرافهم عن المعارضة لم يكن الا بصرف من الله، والصرف عن المقدور والمعتاد من اعظم انواع اظهار المعجزات، فلو قال النبی: ان اية صدقی انی احرك اصبعی هذا اليوم فلايقدر احد من البشر على معارضتی، فلم يعارضه احد فی ذلك اليوم ثبت صدقه، اذ كان فقد قدرتهم على الحركة مع سلامة الاعضاء من اعظم المعجزات ـ فان فرض وجر[2] القدرة ـ ففقد داعيتهم عن المعارضة من اعظم المعجزات مهما كانت حاجتهم ماسة على الدفع باستيلاء النبی صلى الله عليه واله على رقابهم و اموالهم و ذلك كله معلوم على الضرورة، فهذا طريق تقرير نبوته بالقران.

الطريق الثانی ان يثبت نبوته بجملة من الافعال الخارق للعادات التی ظهرت عليه، كانشقاق القمر ونطق العجماء و تفجر الماء من بين اصابعه و تسبيح الحصاة فی كفه و تكثير الطعام القليل و غير ذلك من خوارق العوائد وكل ذلك دليل على صدق نبوته.

فان قيل: احاد هذه الوقائع لم يبلغ نقلها مبلغ التواتر.

قلنا: ذلك وان سلم ايضاً فلايقدح فی الغرض مهما كان القدر المشترك بالغاً مبلغ التواتر، وهذا كما ان شجاعة علی عليه السلام معلوم على القطع وان كان او فرض احاد تلك الوقائع لم يثبت بالتواتر، فكذلك هذه الاحوال العجيبة جملتها بالغة مبلغ التواتر

١ـ دافع ـ م.

٢ـ وجر يجر وجراً: وجر فلاناً ـ جعله فی فيه، و وجره الرمح: طعنه به فی فيه.

لايستريب فيها مسلم.

و خامسها انه لايخلو الارض بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه واله من حجة لله على خلقه، اذالحاجة من الخلق ماسة دائماً الى وجود من يقربهم الى الله ويهديهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظةالحسنة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب‌الذى جاء به الرسول والحكمة التى اوتيها واتى بها من قبل‌الله، فلابدان يكون لله حججاً على خلقه بعد الرسول عندهم علم‌الكتاب والحكمة.

فان قال قائل: ان القران هوالحجة فليكتف به الخلق.

قلنا: ليس القران كتاباً يقوم بعلمه عامة اهل النظر من‌الفضلاء فضلا عن غيرهم، كيف و اكثر ارباب النظر و اصحاب الفكر يعجزون عن مطالعة كتب الاوائل كارسطووافلاطن‌بل‌يقصر اذهانهم‌عن‌فهم كلام‌مثل‌ابى‌على و ابى‌نصر فكيف امكنهم ان يعلموا القران؟

وهو كتاب الهى وكلام ربانى جاء من عندالله و نزل على قلب رسوله، ونسبته الى سائرالكتب كنسبة الرب الى مصنفى تلك الكتب، وفيه رموز و بطون ومحكمات و متشابهات و مؤلات ظواهره متناقضات و بواطنه اسرار و انوار غامضات، فكيف يهتدى بنوره وهداه، الامن له البصيرة المنورة بنورالله وسمع عقلى يسمع من عندالله وملائكته وان لم يرصورة الملك ولم يسمع صوت الكلام منه بهاتين الحاستين كما رأى وسمع النبى صلى‌الله عليه واله، لان ذلك من خواص الرسول و به‌الفرق بين الرسول والمحدث كماسيجيىء.

فاذاكان‌الامر كذلك فهل يسع لاحد بعدالرسول ان يدعى انه قيم‌القران الاعلى بن ابى طالب عليه‌السلام كابن مسعود او زيد بن‌ثابت او حذيفة او عمر بن‌الخطاب؟ فان ادعوا ذلك‌كان وقاحة منهم، على انهم لم‌يدع احد من هؤلاء انه يعرف القران‌كله.

ونقل عن ابن عباس وهوا علم هؤلاء بالتفسير انه‌كان ليلة من الليالى عند امير المؤمنين عليه‌السلام و هو يفسر فاتحة الكتاب، فرأى نفسه عند على عليه‌السلام كجرة عند بحر عظيم، و هو عليه‌السلام قد ادعى ذلك‌كماهو منقول منه فى كثير من‌الروايات

بلغت جملتها حد التواتر قال: لوشئت لاوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ايضاً: لوثبت[1] لى و سادة لحكمت بين اهل التورية بتوراتهم... الخبر وقال مشيراً الى صدره المنور: ان هيهنا لعلوما جمة، لووجدت حملة[2] دل كلمة «لو» على ان عنده من العلوم الالهية والاسرار الربانية مالم يحتمله ولم يطق حمله احد فى زمانه.

و قال فى كلام طويل: فمانزلت اية من القران على رسول الله صلى الله عليه واله الا اقرأنيها و املاءها على فكتبتها بخطى و علمنى تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعى الله ان يعطينى فهمها وحفظها، فما نسيت اية من كتاب الله ولاعلما املاءه على منذ دعاالله لى، قال: ثم وضع يده على صدرى و دعالى ان يملاء قلبى علماً و فهماً وحكماً و نوراً... الحديث بطوله.

فاذا تمت هذه المقدمات الخمس ثبت و تبين ان علياً عليه السلام كان حجة على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه واله، لكونه قيم القران و امام هدى للناس و كانت طاعته مفترضة، و ان ماقال فى القران فهو الحق الذى لاريب فيه. فهذا شرح ماذكره منصور بن حازم و عرضه على الصادق عليه السلام فصدقه و دعاله برحمة الله عليه.

الحديث الثالث

و هو التاسع و العشرون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن ابراهيم، عن يونس بن يعقوب» بن قيس ابوعلى الجلاب الجبلى الدهنى، اختلف اصحابنا فيه فقال الشيخ الطوسى: ثقة مولى شهد له عدله فى وعدة مواضع وقال النجاشى: انه اختص بابى عبدالله وابى الحسن عليهما

١ــ ثنيت: «سفينة» ثنى الوسادة كناية عن التمكن فى الامر، لان الناس يثنون الوسائد للامراء والسلاطين ليجلسوا عليها.

٢ــ لعلماً جماً لو اصبت له حملة «نهج».

السلام و كان يتوكل لابی الحسن عليه السلام ومات بالمدينة قريباً[1] من الرضا عليه السلام فتولى امره و كان خطيباً عندهم موثقاً و كان قدقال بعبدالله ثم رجع، وقال ابوجعفربن-بابويه: انه فطحی هوواخوه يوسف.

و قال الكشی: حدثنی حمدويه عن بعض اصحابه ان يونس بن يعقوب فطحی كوفی، مات بالمدينة و كفنه الرضا عليه السلام، و روى الكشی احاديث حسنة تدل على صحة عقيدة هذاالرجل والذی اعتمد عليه قبول روايته «صه».

وقال الكشی ايضاً: قال محمد بن مسعود: جماعة من الفطحية هم فقهاء اصحابنا، وعد عدة من اجلة الفقهاء والعلماء منهم يونس بن يعقوب، وقال الشهيدالثانی رحمه الله فی الحاشية «صه»: اورد الكشی فی ذمه نحو عشرة احاديث، و حاصل الجواب عنها يرجع الى ضعف سندها وجهالة بعض رواتها والله اعلم، انتهى. قيل: ولقد اورد فی مدحه نحواً من عشرين حديثا بعضها صحيح السند. «قال: كان عند ابی عبدالله عليه-السلام جماعة من اصحابه منهم حمران بن اعين و محمد بن النعمان وهشام بن سالم و الطيار و جماعة فيهم هشام بن الحكم و هوشاب فقال ابوعبدالله يا هشام الاتخبرنی كيف صنعت بعمرو بن عبيد و كيف سألته قال هشام يابن رسول الله انی اجلك واستحييك ولايعمل لسانی بين يديك.

فقال ابوعبدالله عليه السلام: اذا امرتكم بشیء فافعلوا، قال هشام: بلغنی ماكان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فی مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرجت اليه و دخلت البصرة يوم الجمعة فاتيت مسجدالبصرة فاذا انا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزربها من صوف و شملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فافرجوالی، ثم قعدت فی آخرالقوم على ركبتی، ثم قلت: ايهاالعالم انی رجل غريب، تأذن لی فی مسألة؟ فقال لی، نعم!».

«فقلت له: الك عين؟ فقال لی يابنی ای شیء هذا من السؤال و شیء تراه كيف تسأل عنه. فقلت: هكذامسألتی. فقال، يابنی سل وان كانت مسألتك حمقاء، قلت: اجبنی

۱- فی ايام الرضا «جش - جامع الرواة».

فيها قال لى سل، قلت. الك عين؟ قال نعم! قلت: فما تصنع بها؟ قال، ارى بها الالوان والاشخاص، قلت: فلك انف؟ قال نعم. قلت: فما تضع به؟ قال: اشم به الرائحة. قلت: الك فم؟ قال نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال اذوق به الطعم. قلت: فلك اذن؟ قال نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال اسمع بها الصوت.

«قلت: الك قلب؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال اميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس. قلت: اوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال لا. قلت: وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة؟ قال، يابنى ان الجوارح اذا شكت فى شىء شمته اورأته او ذاقته او سمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك. قال هشام: فقلت له، فانما اقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال نعم. قلت: لابد من القلب والا لم تستيقن الجوارح؟ قال نعم. فقلت له: يا ابا مروان، فالله تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصح لك الصحيح ويتيقن به ماشككت[1] فيه ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم لايقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوار حك ترد اليه حيرتك و شكك؟ قال: فسكت و لم يقل لى شيئا، ثم التفت الى فقال لى: انت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا. فقال: امن جلسائه؟ قلت: لا. قال: فمن اين انت؟ قال قلت: من اهل الكوفة. قال: فانت اذا هو، ثم ضمنى اليه واقعدنى فى مجلسه و زال عن مجلسه ومانطق حتى قمت، قال فضحك ابوعبدالله عليه السلام فقال ياهشام، من علمك هذا قلت: شىء اخذته منك والفته، فقال، هذا والله مكتوب فى صحف ابراهيم و موسى».

الشرح

الشملة كساء يشتمل به، وقد اشتريت شملة تشملنى وثوب شماليل اى شماطيط وهو اذا تشقق، قوله: متزربها و فى نسخة مؤتزر من الازار و موضعه من الحقوين، و مرتد من الرداء وهو الذى يلبس و تثنيته رداءان و ان شئت ردايان، لان اصله ردای

١ــ شك (الكافى).

الا ان العرب يهمز الواو و الياء اذا جائتا بعد الالف؛ وشكت بتشديد الكاف مقابلة اليقين.

ومعنى شك الحواس او غلطها، ان العقل اوالوهم المشوب بالحس ليشك او يغلط بسبب من الاسباب ثم يعلم النفس بقوة العقل ماهوالحق لتيقن، كمايرى البصر العظيم صغيراً لبعده والصغير كبيراً لقربه، والواحد اثنين لحول فى العين، والشجرة التى فى طرف الحوض منكوسة لانعكاس شعاع البصر من الماء اليها، والسمع يسمع الصوت الواحد عندالجبل ونحوه مما فيه صلابة او صقالة صوتين لمثل العلة المذكورة من انعكاس الهواء المتموج المسموع الى الصماخ تارة اخرى، و يقال للصوت الثانى الصداء.

وكما تجد الذائقة الحلو مراً لغلبة المرة الصفراء على جرم اللسان، وكذا تشمئز الشامة من الروائح الطيبة بالزكام، فهذا وامثالها اغلاط حسية تعرف القلب حقيقة الامر فيها، والمراد منه كما علمت هواللطيفة النورانية المتعلقة اول تعلقها بهذا القلب الصنوبرى و نسبته الى اعضاء الحس و الحركة كنسبة النفس الى قوى الحس والحركة فى انه ينبعث منه الدم والروح البخارى الى سائر الاعضاء، فالنفس رئيس القوى وامامها والقلب و هو مستقرها و عرش استواها باذن الله رئيس سائر الاعضاء و امامها.

والغرض من هذا الحديث اثبات ان الله كما جعل لسائر الاعضاء الا دراكية اماماً قائما وحكما عدلا يرجع اليه و يميز حقها من باطلها فى ادراكات جزئية، فبان جعل فى هذا العالم الكبير اماماً قائماً بالقسط حاكماً بالعدل بين الناس يرجعون اليه فى شكوكهم و جهالاتهم و وقائعهم و اعتقاداتهم الكلية خلافة من الله لكان اولى و اوجب.

و قد علمت سابقاً ان كلما يعلمه سبحانه من خير وصلاح فى نظام العالم يجب منه تعالى صدوره، لان علمه بوجوه الخير و النظام سبب للايجاب والايجاد.

فاذن يجب من الله نصب الامام فى كل زمان، و هذا من الاحكام العقلية التى

لايختلف باختلاف الشرائع والاديان فهو مكتوب فى الكتب الالهية و الزبر السماوية والصحف الاولى صحف ابراهيم و موسى.

و اعلم ان هيهنا مقامين: احدهما انه هل يجب من الله ان لايخلو الارض من حجة و امام ام لايجب؟ وثانيهما انه هل يجب فى اثباته ان يقع نص من الله او رسوله فى تعيين الامام ام لايجب؟ بل يثبت ذلك ببيعة او اجماع؟ و قد وقع الاختلاف من الامة فى كل منهما.

فالذى ذكر فى هذا الحديث انما يثبت ماهو المطلب الحق فى المقام الاول دون الثانى، لكن مما ينفع ويعين معونة شديدة فيما هو المطلب فى الثانى، فان النبى صلى الله عليه واله لم يقصر فى التبليغ من الله والاخبار منه فى جزئيات الاحكام التى ليس فيها من الحاجة مالم يجزاهماله من الاداب و المستحبات فكيف اهمل التبليغ فى هذا الامر العظيم و الخطر الجسيم؟

و ممايدل[1] على ذلك ويؤيد ما ذكره الهشام ان الله خلق النخاع خليفة للدماغ فى كونه ينبت منه اعصاب الحس والحركة، فينبت من النخاع وهو الجرم اللين الشبيه بالدماغ النافذ فى جوف عظام العنق و فقرات الظهر تتمة الاعصاب، فاذا قضى الله بحسن عنايته وتقديره للدماغ خليفة ينوب عنه فى حاجة قوى البدن واعضائه فكيف لم يقض لحاجة الامة بعد الرسول صلى الله عليه واله بوجود خليفة يقوم بامرهم بعده؟

الحديث الرابع
و هو الثلاثون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه عمن ذكره، عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند ابى عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من اهل الشام فقال: انى رجل صاحب كلام و فقه و فرائض و قد جئت لمناظرة اصحابك فقال له ابو عبدالله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه واله او من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه

---

١ – يبينه – م.

واله و من عندى، فقال ابـوعبدالله عليه السلام: فانت اذن شريك رسول الله؟ قال: لا. قال: فسمعت الوحى عن الله عزوجل يخبرك؟ قـال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه واله؟ قال: لا. فالتفت ابـوعبدالله عليه السلام الى فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم».

الشرح

ادعى هذا الرجل انه صاحب ثلاثة علـوم: الكلام والفقه و علم الفرائض، وانما جعل علم الفرائض قسيماً للفقه لان المراد بالفقه هـو علم الخلافيات، وكان الاوائـل افردوه عن الفرائض والاجماعيات وسموه علم الخلاف.

واما علم الكلام: وهو البحث عن ذات الله وصفاته و افعاله و عن احوال المعاد بادلة ممزوجة من العقل والشرع بمقدمات مقبولـة عند الجمهور او مسلمة عند الخصم، وكان المقصود منه حـراسة المعتقدات التى نقلها اهل الشرع عـن اراء المبتدعين و اوهام المضلين ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع او مخاصمة مفسد مضل و دفـع افساده و قمع اضلاله باى وجه حصل ولو بالخدع كما فى الحرب، لان بناء الكلام على الجدل، والخوض فيه زيادة على ما به يدفع الخصوم فرضا على الكفاية مذموم غاية الذم.

اذليس الكلام ممايكتسب به العلم بحقائق الاشياء كالحكمة الالهية، بل الفائدة فى وضعه دفـع المفسدين وازاحة صولـة المنكرين مـع مايلزم من الخوض فيه من عادات رديئة و امراض قلبية مزمنة لايمكن ازالتها بل يزيـد المرض يوماً فيوماً حتى يهلك صاحبه كما فـى قـوله تعالـى : فى قلوبهم مرض فزادهم الله مـرضاً و لهـم عذاب اليم (البقرة ـ ١٠) .

ولما رأى عليه السلام من الرجل الشامى ان غرضه الجدال و الغلبة فى المناظرة والبحث تكلم معه بمايعجزه و يفضحه وان كان بمقدمـات جـدلية ، فان الذى الزمه عليه السلام على قوله: من كلام رسوله صلى الله عليه واله و من عندى من ادعاء الشركة فى الرسالة كان لـه ان يقول: لانسلم ذلك ، فان مـرادى مماقلته ان اصول اعتقاداتـى

مأخوذة من كلام رسول الله صلى الله عليه واله ولكنى استنبطت منها علوما اخرى بقوة الفكر والنظر، هذا هو المقصود من قوله و من عندى.

وهذا لايستلزم الشركة فى النبوة و لاسماع الوحى ولااستيجاب الطاعة، لكن اسكته الله تعالى وبهته تأييداً له عليه السلام كما بهت نمرود من محاجة الخليل بالحجة الثانية دون الاولى مع كون الاولى اقوى من الثانية، اذ كان ممكناً له ان يقول: لايلزمنى اتيان الشمس من المغرب بقولك لما فى ذلك من اختلال النظام و المفاسد التى انا عالم بها و لايلزمنى ان ابين لك كيفيتها، لكن افحمه الله تأييداً للخليل عليه السلام.

«ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس: فيالها من حسرة، قلت: جعلت فداك، انى سمعتك تنهى عن الكلام وتقول ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد، و هذا لاينقاد، و هذا ينساق و هذا لاينساق و هذا نعقله و هذا لانعقله، فقال ابو عبدالله عليه السلام: انما قلت فويل لهم ان تركوا ما اقول و ذهبوا الى مايريدون».

الشرح

قد علمت ان الخوض فى علم الكلام مذموم، لان بنائه على الجدل ولكن القدر الضرورى منه من فروض الكفاية، و لاجل ذلك قال عليه السلام ويل لاصحاب الكلام، وهم الخائضون فيه الذين بناء اعتقاداتهم عليه، ولهذا علل كونهم من اهل النار بانهم يقولون: هذا ينقاد و هذا لاينقاد.

و المراد انهم يوزنون ماورد فى الكتاب و السنة بميزان عقولهم و قواعدهم الكلامية فيؤمنون بالبعض ويكفرون بما ورائه و هو الحق، فانهم كثيراً مايتركون ظواهر الكتاب والسنة لمناقضة ارائهم اياها، وهذا معنى ماحكى من قولهم: هذا ينقاد لموافقة ارائهم و هذا لاينقاد لمناقضته اياها، وهذا ينساق، اى ينجر الى امر كذا من محال او تناقض او دور او تسلسل، وهذا لاينساق، اى لاينجر اليه، فالاول غير صحيح

والثانى صحيح، وكذاقولهم: هذا نعقله و هذا لانعقله، لانهم يولـون على عقولهم فى- اكثر الاحكام الالهية التى عجزت عقولهم عـن ادراكهـا و لايقنعون بتقليد الشارع فيقعون فى بدع واهواء يضلون بها ويضلون.

ثم اشار عليه‌السلام بقوله: انما قلت ويل... الى اخره، الى ان علم‌الكلام قـد يجوز استعماله و ذلك اذالم يؤد الى اهمال سنة او ترك قـول معصوم، بل ربما يجب كما سبق وجهه.

«ثم قال لـى : اخرج الى الباب فانظر من تـرى من‌المتكلين فادخله . قال: قادخلت حمران بن‌اعين و كان يحسن‌الكلام وادخلت الاحول وكان يحسن‌الكلام، و ادخلت هشام بن‌سالم وكان يحسن الكلام، و ادخلت قيس بن‌الماصـر و كان عندى احسنهم كلاما وكان قد تعلم الكلام من‌على بن‌الحسين صلوات‌الله عليهما، فلمااستقر بنا المجلس وكان ابوعبدالله عليه‌السلام قبل‌الحج يستقر اياماً فى‌جبل فى‌طرف الحرم فى فازة له مضروبة، قال: فاخرج ابوعبدالله عليه‌السلام رأسه من فازته فاذا هوببعيريخب، فقال: هشام ورب الكعبة، قال: فظننا ان هشاماً رجل من ولدعقيل كان شديد المحبة له، قال فورد هشام بن‌الحكم وهو اول ما اختطت لحيته وليس فينا الامن هواكبر سنأمنه، قال فوسع له ابوعبدالله عليه‌السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده».

الشرح

قـوله: فى فازة له مضروبة، الفازة مظلة بعمودين، وقوله: فاذا هو ببعير يخب، الخب ضرب من‌العدو يقال: خب‌الفرس يخب بالضم‌خباوخببأوخببا اذا راوح‌بين يديه و رجليه و اخبه صاحبه يقال: جاؤامخببين.

كأنه عليه‌السلام حين مالاقاه الرجل الشامى وامـر يونس باحضار جماعة من متكلمى اصحابه‌كان فى منزل اخر بعيد عن منزل الفازة، فدخل الى تلك الفازة لشغله من عبادة او صحبته مـع اهله حتى اذا حضرت الجماعة و استقر بهم المجلس خرج عليه‌السلام من الفازة راكباً بعيره جائياً اليهم مخبا، فقال هشام: و رب‌الكعبة، اى‌اقسم

بالله ان الذى يجيىء هوهو.

وقوله: فظننا ان هشاماً رجل من ولد عقيل اى لشدة محبته عليه‌السلام اياه، فعلل ذلك الظن بقوله: كان شديد المحبة له اى كما يحب قرابته من اولاد عقيل بن ابى طالب، و المراد منه هشام بن سالم دون بن الحكم، لان وروده بعد ذلك وكلا الهشامين كانا محبوبين له وجيهين عنده عليه‌السلام بل الثانى احب اليه و اوجه عنده لماظهر من صنيعه عليه‌السلام لاجله من التوسيع له فى المجلس والقول بانه ناصرنا بقلبه و لسانه ويده، لانه كان مع صغر سنه متكلماً ذكيا بحاثاً محجاجا قوى البحث نشيط الذهن شديدالذب عن ائمة الهداة عليهم السلام.

«ثم قال: ياحمران كلم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران، ثم قال: يا طاقى كلمه، فكلمه فظهر عليه الاحول، ثم قال: يا هشام بن سالم كلمه فتعارقا: ثم قال ابوعبدالله عليه السلام لقيس الماصر كلمه، فكلمه فاقبل ابوعبدالله يضحك من كلامهما مما قد اصاب الشامى، فقال للشامى: كلم هذا الغلام، يعنى هشام بن الحكم. فقال: نعم! فقال لهشام: ياغلام سلنى فى امامة هذا، فغضب هشام حتى ارتعه ثم قال للشامى: ياهذا أربك انظر لخلقه ام خلقه لانفسهم؟ فقال لشامى: بل ربى انظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: اقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا و يختلفوا و يتألفهم ويقيم اودهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال: فمن هو؟ قال رسول الله صلى الله عليه واله. قال: فبعد رسول الله صلى الله عليه واله من؟ قال الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فى رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامى: نعم! قال: فلم اختلفت انا وانت وصرت الينا من الشام فى مخالفتنا اياك؟ قال: فسكت الشامى، فقال ابوعبدالله عليه‌السلام للشامى: مالك لاتتكلم؟ قال الشامى ان قلت له لم نختلف كذبت وان قلت ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت لانهما يحتملان الوجوه، وان قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعى الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة الا ان لى عليه هذه الحجة، فقال ابوعبدالله عليه‌السلام: سله تجده ملياً، فقال الشامى: يا هذا من انظر للخلق اربهم او انفسهم؟ قال هشام: ربهم انظر لهم منهم لانفسهم، قال الشامى: فهل اقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم او دهم و يخبرهم بحقهم من

باطلهم؟ قال[1] هشام: فی وقت رسول الله صلی الله علیه واله او الساعة؟ قال الشامی: فی وقت رسول الله صلی الله علیه واله والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذی تشد الیه الرحال و یخبرنا باخبار السماء و الارض وراثة عن اب عن جد، قال الشامی: فکیف لی ان اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدالك، قال الشامی: قطعت عذری فعلی السؤال، فقال ابوعبدالله علیه السلام: یا شامی اخبرك کیف کان سفرك و کیف کان طریقك، کان کذا و کان کذا[2]، فاقبل الشامی ویقول: صدقت اسلمت لله الساعة، فقال ابوعبدالله علیه السلام: بل آمنت بالله الساعة، ان الاسلام قبل الایمان وعلیه یتوارثون ویتناکحون والایمان علیه یثابون، فقال الشامی: صدقت فانا الساعة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلی الله علیه واله وانك وصی الاوصیاء».

الشرح

قوله: انظر لخلقه ای ارحم واشفق علیهم، قوله: یقیم اودهم، الاود الاعوجاج من باب علم والتأود التعوج، و اود الشیء یأود اوداً ای اعوج کی لایتشتتوا ای لایتفرقوا، وارتعد من الرعدة وهی الاضطراب.

لما استقر المجلس بالجماعة للمناظرة والمباحثة امر علیه السلام اولا لحمر ان بن اعین یناظر الشامی ففعل وغلب علیه ثم امر المؤمن الطاق فغلب هو ایضاً علیه، امر ثالثا لهشام بن سالم فتعارقا ای سال العرق من کل منهما لطول البحث وکثرة الکلام بینهما، و نسخة: فتفارقا ای انقطعا من البحث عن غیر ظهور لاحدهما علی الاخر.

ثم امر علیه السلام رابعاً لقیس بن الماصر فتکلما، فاقبل، ای توجه الیهما ضاحکا من کلام کل منهما لما فیه من الغلط واشتباه و مماقد اصاب الشامی ای اصاب منه لا انه اصاب فی القول فکأنه غلب علی قیس، ثم امر علیه السلام الشامی ان یکلم

١ــ فقال (الکافی).

٢ــ کان کذا وکذا (الکافی).

هشام بن الحكم فجرى بينهما ماجرى من هذه الابحاث حتى انتهى الى ما انتهى من ايمان الرجل المتكلم الشامى، و الفاظ الحديث غنية عن الشرح.

وقد ظهر من كلامه عليه السلام الفرق بين الاسلام والايمان وان الاسلام قبل الايمان فى الحدوث، فان الانسان مالم يسلم لم يؤمن وان الاسلام مايبنى عليه ثبوت المواريث و صحة المناكحات والمعاملات و به يحقن الدماء والاموال والذرارى عن السفك والنهب والاسرو انه يجامع النفاق.

وبالجملة كل من قال: لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله فيجرى عليه احكام المسلمين الاان يترك ضروريا من ضروريات الدين بلاعذر او يعلن بعداوة الائمة المعصومين صلوات الله عليهم.

فما نقل عن سيد المرتضى انه حكم بكفر ماسوى الشيعة الاثنا عشرية ليس بذاك الا ان يأول كلامه بانه اراد بالكفر كفر الباطن او منشأ الخلود فى النار ، و اما الايمان فهو نور من انوار الله المعنوية كما ذكرناه مراراً و هوقابل للشدة والضعف و بحسب قوته وضعفه يكون نيل الدرجات والمثوبات فى الاخرة.

«ثم التفت ابوعبدالله عليه السلام الى حمران فقال: تجرى الكلام على الاثر فتصيب والتفت الى هشام بن سالم، فقال: تريد الاثر و لاتعرفه ثم التفت الى الاحول فقال: قياس رواغ تكسر باطلا بباطل الا ان باطلك اظهر، ثم التفت الى قيس الماصر فقال: تتكلم و اقرب ماتكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه واله ابعد ماتكون منه، تمزج الحق مع الباطل و قليل الحق يكفى عن كثير الباطل، انت والاحول قفازان حاذقان، قال يونس: فظننت والله انه يقول لهشام الحكم قريبا مما قال لهما، ثم قال: يا هشام لاتكاد تقع تلوى رجليك اذا همت بالارض طرت مثلك فليكلم الناس فاتق الزلة والشفاعة من ورائها انشاء الله تعالى».

الشرح

لما فرغوا من المناظرة والمكالمة التفت عليه السلام الى واحد منهم و نبه على

كيفية حاله واسلوب مقاله و بيان خصاله فى البحث والكلام، فالذى خاطب بهحمران انه كان يتكلم على وفق الحديث فيقع له الاصابة، والذى خاطب بههشام بن سالم انه كان يريد الاستدلال بالخبر فلايجده ، والذى ذكره فى حق الاحوال مخاطباً اياه انه قياس ، اى كثير العمل بالقياس الفقهى او سريع الوضع و التأليف للقياس المنطقى.

وقوله: قياس خبرمبتداء محذوف، اى انت قياس وكذا قوله، رواغ اى خداع فى البحث بالغين المعجمة من الروغ والروغان و هوفى الاصل مايفعله الثعلب و هوان يذهب هكذا و هكذا مكراً و خديعة، وقوله: تكسر باطلا بباطل الا ان باطلك اظهر ، اى كنت تدفع باطل الخصم بباطلك لكن باطلك اقوى و اقهر للخصم، وليس المراد ان باطله كان اظهر فساداً و اوضح بطلانا من باطل خصمه لمنافاة قوله يكسر باطلا بباطل، والذى خاطب به قيس الماصر انه كان يتكلم واقرب مايكون فى كلامه على ظنه من السنة ابعد مايكون منها فى الحقيقة ، و انه كان يمزج ويخلط الحق بالباطل وكأنه كان يدعى امراً حقاً ولكن كان يستدل عليه بدلائل واهية باطلة، فنبهه عليه السلام ان الاكتفاء بقليل من كلام الحق خير من الاكثار فى الكلام من الباطل.

و الظاهر انه كان الغالب على الاولين اعنى حمران و هشاماً الاستدلال بالسمعيات، والغالب على الاخيرين اعنى قيس والمؤمن صنعة الكلام و استعمال القياسات الجدلية، ولهذا خاطبهما بقوله: انت والاحول قفازان حاذقان، و القفاز من القفيز و هو المكيال و كأنه اراد علم الميزان و انهما كانا حاذقين فى فن الميزان .

ولما سمع يونس ماقاله عليه السلام لهؤلاء الاربعة ومابين من احوال الاخيرين و اطوارهما من قدح و قصور ظن انه سيقول لهشام بن الحكم شبه ماقال للاخيرين، اذ الغالب عليه صنعة الكلام كما الغالب عليهما، الا انه قال له من التحسين والتصويب وانه لايميل بتدمه عن طريق الصواب وانه فى الذكاء وسرعة الفكر كالطير وانه اذاهم بفكره نحو مقصد يصل اليه فى اقل زمان، ثم اذن له فى اباحة المناظرة والتكلم مع الناس

بقوله: و مثلك فليكلم الناس، ثم امره باتقاء الزلة لما علم من آفات الكلام والمباحثة، فان التجاوز فيه عن حد الضرورة يؤدى الى مفاسد شتى كما اشير اليه ثم وعد بالشفاعة منهم عليهم السلام لشيعتهم ومتابعيهم.

الحديث الخامس
وهو الحادى والثلاثون واربعمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى، عن على بن الحكم عن ابان، قال: اخبرنى الاحول ان زيد بن على بن الحسين عليهما السلام بعث اليه وهو مستخف، قال: فاتيته، فقال لى: يا ابا جعفر ماتقول ان طرقك طارق منا اتخرج معه؟ قال، فقلت له: ان كان اباك او اخاك خرجت معه، قال، فقال لى: فانا اريدان اخرج اجاهد هؤلاء القوم، فاخرج معى؟ قال، قلت: لا، ما افعل جعلت فداك. قال، فقال لى: اترغب بنفسك عنى؟ قال، فقلت[1] له: انما هى نفس واحدة فان كان لله فى الارض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك وان لايكن لله حجة فى الارض و المتخلف عنك والخارج معك سواء. قال، فقال لى يا ابا جعفر كنت اجلس مع ابى على الخوان فيلقمنى البضعة السمينة ويبردلى اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة على ولم يشفق على من حر النار اذاً اخبرك[2] بالدين ولم يخبرنى به. فقلت له: جعلت فداك، من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك خاف عليك ان لاتقبله، فتدخل النار و اخبرنى انا فان قبلت نجوت وان لم اقبل لم يبال ان ادخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك، انتم افضل أم الانبياء؟ قال: بل الانبياء. قال، قلت: يقول يعقوب ليوسف يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيد والك كيداً (يوسف ـ ٥)، لم لم يخبرهم حتى كانوا لايكيدونه ولكن كتمهم ذلك، فكذا ابوك كتمك لانه خاف عليك. قال، فقال: اما والله لئن قلت ذلك لقد حدثنى صاحبك بالمدينة انى اقتل و اصلب بالكناسة وان عنده لصحيفة فيها قتلى و

١ـ قلت (الكافى).
٢ـ اذاً اخبرك (الكافى).

صلبي. فحججت، فحدثت اباعبدالله عليه السلام بمقالة زيد و ماقلت له، فقال لي: اخذته من بين يديه و من خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه و من تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه».

الشرح

ان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام حين اراد الخروج وكان مستخفيا، بعث الى ابي جعفر الاحول مؤمن الطاق ليتبعه في الخروج، فلما احضره استفسر منه اولا على وجه الاجمال انه ان قرعه قارع من اهل البيت للخروج معه ايجيب دعوته ام لا؟ فاجاب الاحول بالتفصيل، فلما سمع منه زيد ذلك و انه بحيث يطيع امر ابيه و اخيه يعني السجاد والباقر عليهما السلام صرح بالدعوة له بالخروج معه، فاجابه بالانكار الصريح، ولما اعترض زيد عليه بانه كان يرغب بنفسه عنه اى الى غيره و اراد جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فاجا به بان نفسه واحدة اذ هلكت لم تنج ابداً يعني بحسب الاخرة، فان زيداً مما كان يليق ان يجود له احد بنفسه في الدنيا ولكن بشرط ان لايهلك في الاخره.

ثم اعتذر عن الخروج معه محتجاً بان الذى شك زيد في حجيته وامامته لايخلو اما ان يكون حجة مفترض الطاعة ام لا، فان كان لله حجة في الارض فوجبت طاعته و هو قد نهى عن الخروج، فالمتخلف عن الخارج ناج والتابع له في الخروج هالك، و ان لم يكن لله حجة فيها فالخارج مع غير الامام و المتخلف عنه سيان، وفي هذا القول نظر كما لايخفى.

وقوله: يا اباجعفر كنت اجلس مع ابى الى قوله: ولم يخبرني به، استدلال منه بصحة الخروج، اى ان ابى مع هذه المحبة المفرطة والشفقة على الى غاية يجنبني عن حر لقمة الم يجنبني عن حر نار الجحيم ولم يخبرني بترك الخروج مع مافيه بزعمك من الهلاك عند ما اخبرك؟

فاجاب صاحب الطاق بان اباك من غاية شفقته وخوفه عليك من حر النار لم

يخبرك بالنهى عن الخروج حيث خاف عليك العقوق و مخالفة امر الاب و خصوصاً الامام المفروض الطاعة، واما انا فاخبرنى بذاك غيرمعين[1] بشأنى ولا مبال بامرى مبالاته بامرك، فان قبلت فنجوت والا فهلكت.

ثم ذكر له وجهاً اخر من الكلام فيه ضرب من الملاطفة و المرافقة مع ماتضمنه من التخويف له عن الخروج، و هوان اباه عليه السلام فعل فيه مافعله يعقوب فى امرابنه يوسف على نبينا واله وعليهما السلام من كتمان مرتبته وقدره واستحقاقه لمنصب النبوة كيلايكيدونه كيداً ويقتلونه حسداً.

فكذلك لما رأى ابوه عليه السلام فيه من الجاه والشوكة والداعية للامامة و الخروج بالسيف كتم امره حتى عن نفسه ولم ينص فيه بشيء خوفا على نفسه من القتل، ولما سمع زيد منه هذا لكلام فقال: اما والله لئن قلت ذلك لقد حدثنى صاحبك بالمدينة اراد به الباقر والصادق عليهما السلام انى اقتل واصلب بالكناسة وان عنده صحيفة فيها قتلى و صلبى، والكناسة موضع قريب من كوفة قتل فيه زيد بن على و والصحيفة هى الجفر او الجامعة.

وقوله: فحججت يحتمل ان يكون من تتمة كلام زيد، ولعله و ان مع من سمع من اخيه او ابن اخيه عليهما السلام ان الصحيفة دلت على قتله وصلبه و علم انهما صادقان فيما يقولانه، الا انه لغاية ميله بالخروج وما رأى من ظلم الاعداء وجورهم كان يرجو من الله ان يمحوذلك من الكتاب بالبداء والنسخ لقوله: يمحوالله مايشاء و يثبت وعنده ام الكتاب (الرعد ـ ٣٩).

و هذاكما روى المتوكل بن هرون عن ابيه يحيى بن زيد حيث قال: انى لقيت يحيى بن زيد بن على بعد قتل ابيه وهو متوجه الى خراسان، فسألنى عن اهله وبنى عمه بالمدينة واخفى[2] السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام فاخبرته بخبره وخبرهم و وحزنهم على ابيه زيد بن على.

١ـ معتن ـ م.

٢ـ احفى «الصحيفة».

فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي اشار الى ابي بترك الخروج وعرفه ان هو خـرج بالمدينة وفارق المدينة مايكون اليه مصير امـره ، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام؟ قلت: نعم، قال: بم ذكرني؟ خبرى، قلت: جعلت فـداك ما احب ان استقبلك بما سمعته منه؟

فقال: ابالموت تخوفني؟ هات ماسمعته، قلت: سمعته يقول: انك تقتل وتصلب كماقتل ابـوك وصلب، فتغير وجهه وقـال: يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب (الرعد ـ ٣٩)، يـا متوكل ان الله عزوجل ايد هذا الامر بنا، وجعل لنا العلم والسيف فجمعالنا وخص بنوعمنا بالعلم وحده.

فقلت: جعلت فـداك، انى رأيت الناس الى ابن عمك جعفراميل منهم اليك و الـى ابيك، فقال: ان عمي محمد بن علي وابنه جعفراً عليهماالسلام دعوا الناس الـى الحيوة و نحن دعـونا هم الى الموت، فقلت : يابن رسول اهم اعلم ام انتم؟ فـاطرق الى الارض ملياً ثم رفع رأسه فقال: كلنا له علم غيرانهم يعلمون كل مانعلم ولانعلم كل مايعلمون. انتهى.

و الغرض من نقل هذه الحكاية ان اقدام زيد بالخروج مع ما سمع من اخيه و ابن اخيه عليهماالسلام من دلالة الصحيفة على قتله وصلبه ممالا وجه لهظاهراً الاماذكرناه كما دلت عليه حكاية يحيى ابنه.

ثم لماحدث ابوجعفر الاحول اباعبدالله عليه السلام بمقالة زيد ومقالته كماجرى بينهما فقال له: اخـذته من بين يديه... الى اخره، اشارة الى حسن مكالمته لزيـد و احتجاجه عليه بجميع وجوه مايمكن من الاحتجاج وسد مسالك دعوى الامامة و ارادة الخروج عليه.

باب طبقات الانبياء و الرسل و الائمة عليهم السلام

و هو الباب الثانى من كتاب الحجة وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هو الثانى و الثلاثون واربع مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن ابى يحيى الواسطى» اسمه سهيل بن زياد لقى ابا محمد العسكرى عليه السلام، قال النجاشى: انه شيخنا المتكلم رحمه الله، قال: وقال بعض اصحابنا: لم يكن سهيل بكل الثبت فى الحديث، وقال الغضائرى: امه بنت محمد بن النعمان مؤمن الطاق، حديثه يعرفه تارة وينكره[1] اخرى ويجوز ان يخرج شاهداً» عن هشام بن سالم و درست بن ابى منصور عنه قال، قال ابو عبدالله عليه السلام الانبياء والمرسلون على اربع طبقات، فنبى منبىء فى نفسه لايعد وغيرها، ونبى يرى فى النوم ويسمع الصوت ولايعاينه فى اليقظة ولم يبعث الى احد و عليه امام مثل ماكان ابراهيم على لوط، ونبى يرى فى منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد ارسل الى طائفة قلوا او كثروا كيونس عليه السلام قال الله ليونس عليه السلام: و ارسلناه الى مائة الف او يزيدون (الصافات ـ ١٤٧)، قال يزيدون ثلاثين الفا و عليه امام، والذى يرى فى نومه ويسمع الصوت ويعاين فى اليقظة وهو امام مثل اولى العزم، وقد كان ابراهيم عليه السلام نبيا وليس بامام حتى قال الله تعالى: انى جاعلك للناس اماماً، قال: ومن ذريتى «فقال الله» لاينال عهدى الظالمين (البقرة ـ ١٢٤)، من عبد صنما او وثنا لايكون اماما».

الشرح

النبى فعيل بمعنى فاعل وهو مشتق من النبأ وهو الخبر، ونبأ ونبأ وانبأ كلها بمعنى اخبر، والنبى مخبر عن الله، و تركوا فيه الهمزة كما فى الذرية و البرية و الخائبة،

١ـ نعرفه تارة وننكره «جامع الرواة».

و اهـل مكة يهمزون هـذه الاحرف على الاصل ، هـذا تفسير معنى اللغـوى للفظ النبى.

واما بيان حقيقة النبى و النبوة و نبوته و اقسام الانبياء فـذلك لايمكن الابيان كيفية القاء العلوم من الله على القلب وانحاء الالقاء فنقول:

اولا يجب ان يعلم ان قلب الانسان بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات، ولكن العلوم التى يتجلى فيه من حجب الغيب ينقسم الى عقلية وشرعية.

اما الشرعية فهى المأخوذة بطريق التقليد عـن الانبياء. واما العقلية فالمراد بها ما تقتضيه غريزة العقل من غير ان يؤخذ بالتقليد والسماع، وهى منقسمة الى ضرورية لاتدرى من اين حصلت وكيف حصلت ، كعلم الانسان بـان الكل اعظم من جزئه و ان الشخص لايكون فى مكانين فى آن واحد وان النفى والاثبات لايصدقان على شيء ولايكذبان عليه.

فان هـذه علـوم يجـد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورة عليها و لايـدرى متى حصلت لـه ومن أين حصلت، اعنى انـه لايدرى فيه سبباً قريباً، والا فلايخفى ان الله هـو المبدأ الاول لافاضة كل خير وعلم والاغير ضروريـة، ويقال لها المكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاكتساب، وكلاالقسمين قديسمى بالعقل كما فى قول امير المؤمنين عليه السلام:

رأيت العقل عقلين: فمطبوع ومكسوب و لاينفع مكسوب، اذالـم يك مطبوع
كما لاينفع الشمس وضوء العين ممنوع[1]

و الاول هو المراد من قول النبى صلى الله عليه واله لعلى عليه السلام كما روى عنه: ماخلق الله تعالى خلقاً هو اكرم عليه من العقل، والثانى هـو المراد بقوله لعلى عليه السلام: اذا تقرب الناس الى الله عزوجل بانـواع البر تقرب انت بعقلك، اذ لايمكن للانسان التقرب اليه تعالـى بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل ولا بالمكتسبة،

١ـ العلم علمان: مطبوع و مسموع، ولاينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع «نهج ـ باب المختار من حكم ٣٣٨».

ولكن مثل على عليه‌السلام بين الصحابة هو الذى يقدر ان يتقرب اليه تعالى باستعمال العقل فى‌اقتناص العلوم التى ينال بها‌القرب من رب‌العالمين.

و نقول ايضاً: القلب جـار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قـوة البصر فى‌العين، وقوة الابصار لطيفة يفقد بالعمى يوجد فى‌البصير وان‌كان قـد غمض العين اوكان فى‌ظلمة الليل والعلم الحاصل فيه جارمجرى قـوة البصر و رؤيته لاعيان الاشياء ، و تأخر العلوم عن عين العقل فى مـدة الصبا الـى التميز او البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على‌المبصرات.

والملك المسمى بالقلم الذى يكتب‌الله به على صحائف القلوب يجرى مجرى قرص، و انما لـم يحصل فى قلب الصبى قبل التميز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم و صورته، والقلم عبارة عن جوهر قدسى نورانى هو سبب متوسط بين‌الله وبين‌الخلق فى حصول العلم فى‌قلوبهم، كمان القلم واسطة بين فاعـل الكتابة و قابله كاللوح او القرطاس فى‌حصول النقوش الكتابية فيه.

و بالجملة نسبة نور العقل الذى هو غريزة القلب الى المعلومات الكلية‌كنسبة نورالبصر و هوغريزة فى العين الى المبصرات او الموازنة متحققة بين بصيرة الباطن وبصرالظاهر وقد سماه الله تعالى باسما الرؤية فى قوله: وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض (الانعام ـ ٧٥)، ولم يرد به الرؤية الظاهرة، وكـذلك قال فى حق النبى الخاتم صلى‌الله عليه واله: ماكـذب الفؤاد ما رأى (النجم ـ ١١)، سمى ادراك الفؤاد رؤية، ولذلك سمى ضد الادراك عمى فقال: انها لاتعمى الابصار ولكـن تعمى القلوب التى فى‌الصدور (الحج ـ ٤٦).

ثم نقول: ان‌العلوم‌التى ليست ضرورية انما تحصل فى‌القلب فى‌بعض الاحوال ويختلف الحال فى حصولها، فتارة يهجم على القلب‌كأنما القى فيه من حيث لايدرى و تارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالـذى يحصل لابطريق الاكتساب و حيلة الاستدلال يسمى الهاماً والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً.

ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتمحل[1] واجتهاد من العبد ينقسم الى مالايدرى العبد انه كيف حصل و من أين حصل و الى مايطلع معه على السبب الذى منه استفيد ذلك العلم، و مراتب الاطلاع متفاوتة كشفاً وظهوراً، وغاية الظهور مشاهدة الملك الملقى في اليقظة مشاهدة مثل رؤية العين و سماع الكلام العقلى منه فى كسوة الالفاظ المسموعة، و دونه فى الظهور سماع الكلام دون مشاهدة الملك بعين الباطن، و دون هذا وقوع المشاهدة والسماع فى المنام.

فالاول من اقسام الواقع فى القلب بغير حيلة الاكتساب وهو الذى لايدرى العبد سببه الملقى تسمى الهاماً و نفثاً فى الروع، والثانى باقسامه تسمى وحياً، و هذا يختص به الانبياء صلوات الله عليهم والاول يختص به الاولياء والاوصياء[2] عليهم السلام والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به الحكماء وعلماء النظار.

و حقيقة القول فيه: ان القلب من شأنه ان يتجلى فيه الحضرة الربوبية و حقيقة الحق فى الاشياء كلها، و انما حيل بينه و بينها بالاسباب الخمسة التى ذكرناها و مثلنا فيها بحجب المرايا فى شرح الكتاب الاول، فهى كالحجاب الحائل بين مراة القلب و بين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ماقضى الله تعالى به الى يوم القيامة، و تجلى حقائق العلوم من مراة اللوح المحفوظ فى مراة القلب يضاهى انطباع صورة من مراة فى مراة تقابلها، والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب ريح يحركه.

فكذلك قد يهب رياح الالطاف الالهية فيكشف الحجب عن عين القلب فتجلى[3] فيها بعض ماهو مسطور فى اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ماسيكون فى المستقبل، وتمام ارتفاع الحجاب بالموت و به ينكشف الغطاء، و فى اليقظة ايضاً قد ينقشع الحجاب بلطف خفى من الله عزوجل فيلمع فى القلب من وراء

١ــ تعلم «الاحياء».

٢ــ و الاصفياء «الاحياء».

٣ــ فينجلى «الاحياء»

ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف و اخرى على التوالى الى حدما، و دوامه فى غاية الندرة، فلم يفارق الالهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله ولا فى سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد.

وكذا لم يفارق الوحى الالهام فى شيء من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم، فان العلوم انما يحصل فى قلوبنا من الله بواسطة الملائكة واليه اشار بقوله: و ماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه على حكيم (الشورى - ٥١).

و اعلم ان اهل التصوف مالوا الى العلوم الالهامية دون الاستدلالية و التعليمية، فلذلك لم يحرسوا على دراسة العلم و تحصيل ما صنفه المصنفون، لانهم قالوا الطريق تقديم المجاهدة كماقال تعالى: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (العنكبوت - ٦٩)، و ذلك برفع العوائق ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها و الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى.

ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل لتنويره بانوار العلم، و اذا تولى الله امر القلب فاضت[1] الرحمة و اشرق النور فى القلب و انشرح الصدر و انكشف له سر الملكوت وتلاءلأت فيه حقائق الامور الالهية، فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة و احضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام و الترصد والتعرض لنفحات الله و الانتظار لمايفتحه الله تعالى من الرحمة.

اذ الانبياء وكذا الاولياء عليهم السلام انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لامن جهة التعلم والدراسة للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبرىء عن علائقها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة، من كان لله كان الله له، و زعموا ان الطريق فى ذلك ان يقطع اولا العلائق كلها فيفرغ القلب عنها بالكلية من الاهل والمال والوطن وعن العلم و الولاية والجاه.

---

١ - فاضت عليه «الاحياء».

ثم لايخلو[1] بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض و الرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب، ولاينزع[2] فكره بقرائة القران و درسه ولا بالتأمل في تفسيره ولابكتب حديث و حفظه بل يجتهدان لايخطر بباله شيء سوى ذكر الله قائلا بلسانه: الله الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهى الى حالة يترك فيها تحريك اللسان و يرى كأن الكلمة جارية على اللسان، ثم يصير الى ان ينمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مداوماً على الذكر، ثم يواظب الى ان ينمحى عن القلب صورة اللفظ و حروفه و تبقى معنى الكلمة جارياً مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لايفارقه، وله اختيار الى ان ينتهى الى هذه الحالة[3] واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلايبقى له الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة فتحها[4] على اوليائه و انبيائه عليهم السلام.

و عند ذلك اذا صدقت ارادته و ذكيت فطرته وقويت همته ولم يجاذبه شهواته فيلمع لوامع الحق في قلبه، فتكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لايثبت ثم يعود و قد يتأخر وان عاد فقد ثبت وقديكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لايطول و قد يتظاهر امثاله على التلاحق و قد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه لاتحصى، وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانب العبد وتصفية وجلاء ثم استعداد و انتظار فقط.

و اما النظار و ذووالاعتبار فلم ينكروا وجود هذه الطريقة وامكانه و افضائها الى المقصد على الندور، فانه اكثر احوال الانبياء و الاولياء عليهم السلام، لكن استوعروها واستبطاؤا ثمرتها واستبعدوا اجتماع شروطها وزعموا ان محو العلائق الى

۱ــ يخلو «الاحياء».

۲ــ فارغ القلب مجموع الهم ولايفرق «الاحياء».

۳ــ الحد «الاحياء».

۴ــ من الرحمة كما فتحها «الاحياء».

ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حالة فثباته ابعد منه اذادنى وسواس وخاطريشوش القلب، و قال صلى‌الله عليه واله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن.

و فى اثناء هـذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل و يمرض البدن، و اذالم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليهامدة طويلة الـى ان تزول والعمر ينقضى دون النجاح فيه، فكم من صوفى بقى فى خيال واحد ثلاثين سنة و نحوه؟ ولوكان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الالتباس فى اسرع زمان.

فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض فقالوا: لابد اولا من تحصيل ماحصله العلماء رحمهم الله و فهم ماقالـوه ثم بعد ذلك بالانتظار لمالـم ينكشف لهم فعساه بالمجاهدة بعد ذلك.

هذا ماذكره الشيخ الغزالى فى كتاب الاحياء بادنـى تلخيص و تغير، والاليق ان يمزج السالك الى الله بين الطريقين فلم يكـن تصفيته خالية عن التفكر و لاتفكره خالياً عن التصفية بل يكـون طريقه برزخا جامعاً بين الطريقين كما هو منهج الحكماء الاشراقيين اذلا منافاة بينهما.

فاذا تقررت هـذه المقدمات فلنرجع الـى الشرح فنقول: ان الانبياء والرسل عليهم الصلـوة والسلام على تفاوت درجاتهم التى لاتحصى وكثرة طبقاتهم فى منازل القرب من‌الله تعالى والبعد من‌الدنيا على اربع طبقات و درجات:

الاولى درجة نبى منبىء فى نفسه ، اى جائته النبوة اى الاعلام والالهام من‌الله عزوجل لايعدوغيرها، اى لايتجاوز غير درجـة النبوة كالرسالة ونحوها او لايتجاوز نبوته غيرنفسه فلايكون مرسلا الى غيره.

و هذه درجة الاولياء عليهم السلام فى تقسيم الذى ذكرناه اولا من‌كون العلوم النظرية حاصلة فى‌القلب بغيراكتساب ولااطلاع على‌السبب الموقع لها فى‌القلب اعنى الملك، الا ان اسم الولى لـم يكن مطلقا على احـد من الاولياء عليهم‌السلام قبل بعثة نبينا محمد صلى‌الله عليه واله بل‌كانوا يسمون بالانبياء ، اذ لافـرق بين النبوة التى لا

رسالة و لاتشريع معهاو بين الولاية الا فی اطلاق الاسم دون المعنی فكان قبل البعثة كل ولی نبياً فی الاسم.

و هذا مما ذكره الشيخ الفاضل سعدالدين الحموی رحمه الله فی كتاب له بلغة الفرس وهكذا ينبغی ان يكون الامر، فان الاستعدادات كانت من زمن ادم عليه السلام الی اخر الزمان فی الترقی، فيجب ان يكون امة نبينا صلی الله عليه واله خيراً من الامم الماضية كمادل عليه قوله تعالی: كنتم خير امة اخرجت للناس (العمران ـ ۱۱۰)... الاية و قوله: لتكونوا شهداء علی الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (البقرة ـ ۱۴۳)، و لذلك بهم قامت القيامة و تمت الدائرة.

فلاجرم ينبغی ان يكون فيهم الذين درجتهم درجة النبيين. وفيما روی عن النبی صلی الله عليه واله: ان لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون، ای ليسوا بانبياء تشريع، وكذا معنی كونه صلی الله عليه واله خاتم الانبياء لانبی بعده، ای انقطعت الرسالة اليه وانتهت به نبوة التشريع وانما بقيت الالهامات والمنامات الصادقة والا نذارات.

الدرجة الثانية درجة نبی يری مع الالهام و الاعلام السبب الملقی اليه العلوم ويسمع كلامه، ولكن ذلك فی المنام لافی اليقظة، كماهو حال نبينا صلی الله عليه واله قبل البعثة بستة اشهر فلم يكن يعاين الملك الموحی اليه ولم يبعث الی احد فكان نبيا ولم يكن رسولا، وكان عليه امام مثل ماكان ابراهيم علی لوط عليهما السلام فكانت الشريعة والامامة لابراهيم عليه السلام وكان لوط من اتباعه.

والدرجة الثالثة درجة نبی يجمع هذه المراتب اعنی الالهام بالحقائق و رؤية السبب الملقی لها عليه فی المنام وسماع صوته و معاينة الملك فی اليقظة وكونه مرسلا الی طائفة قلوا او كثروا كيونس النبی صلی الله عليه واله قال الله تعالی فی حقه: و ارسلنا الی مائة الف او يزيدون (الصافات ـ ۱۴۷)، و قال ای الصادق عليه السلام: يزيدون ثلاثين الفا، ای المرسل اليهم.

وهيهنا اشكال: وهو ان ظاهر قوله تعالی: او يزيدون، يوجب الشك و ذلك علی الله محال، و نظيره قوله: عذراً او نذراً (المرسلات ـ ۶)، و قوله: لعله يتذكر او

يخشى (طه ـ ٤٤)، و قوله: لعلهم يتقون اويحدث لهم ذكرا (طـه ـ ١١٣)، و قوله: وما امـر الساعة الا كلمح البصر او هـو اقرب (النحل ـ ٧٧)، فكان قاب قوسين او ادنى (النجم ـ ٩).

واجابوا عن ذلك بوجوه كثيرة: اجودها و اصحها ان المعنى او يزيـدون في تقدير «كم» بمعنى انهم اذا رآهم الرائى منكم قال هؤلاء مائة الف اويزيدون الى المائة الف، هذا هو الجواب عن كل مايشبه هذا.

ثـم ان يـونس عليه السلام مع كونه مرسلا الى تلك الكثرة من الامة كان عليه امام، لانه كان تابعاً لشريعة موسى عليه السلام كانبياء بنى اسرائيل.

الدرجة الرابعة وهى الذى كان له مع تلك المراتب السابقة امامة الخلق و كونه صاحب شريعة و دين مستقل غير تابع لدين نبى اخر كاولى العزم من الرسل و كانوا خمسة: نـوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه واله خاتمهم و افضلهم عليه واله وعليهم الصلوة والسلام وعلى جميع الانبياء المرسلين، وهـذه المراتب السنية ربما كانت تحصل على التراخى والتدريج.

وقد كان ابراهيم عليه السلام اولا نبيا فى نفسه ولم يكن اماما حتى استعد لذلك بفضل قوة فى قلبه ورسوخ فى امره فقال الله عزوجل: انى جاعلك للناس اماما قال: ومن ذريتى قال: لاينال عهدى الظالمين (البقرة ـ ١٢٤)، و هـذه الايـة دلت على عصمة الانبياء و الائمة عليهم السلام عن الظلم و الفسق سيما عن الشرك الذى هو اعظم مراتب الظلم كما قال الله تعالى: ان الشرك لظلم عظيم (لقمان ـ ١٣).

وقوله عليه السلام: من عبد صنما او وثنا لايكـون اماماً، اشارة الى ما احتجت به الشيعة فى هـذه الايـة على نفى امامة احد من الصحابة غير على عليه السلام، و ذلك بوجوه ثلاثة ذكره الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الاية:

احدها ان ابابكر وعمر كانا كافرين، فيقال[1]: كانا حال كفرهما ظالمين، فوجب ان يصدق عليهما فى تلك الحالة انهما لاينالان الامامـة البتة و لافى شىء من الاوقات،

١ـ فقد كانا «التفسير الكبير».

قثبت انهما لايصلحان للامامة.

الثانى ان من كان مذنبا فى الباطن كان من الظالمين، فاذن مالم يعرف انهما كانا من الظالمين المذنبين ظاهراً و باطناً وجب ان لايحكم بامامتهما ، و ذلك انما يثبت فى من[1] يثبت عصمته، ولما لم يكونا معصومين بالاتفاق وجب ان لايتحقق امامتهما البتة.

الثالث انهم كانوا[2] مشركين و كل مشرك ظالم و الظالم لاينال عهد الامامة، فوجب ان لاينالوا[3] عهد الامامة ، اما الاول فبالاتفاق واما الثانى فلقوله تعالى : ان الشرك لظلم عظيم واما الثالث فبهذه الاية.

لايقال انهما كانا ظالمين حال كفرهما فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم ، لانانقول: الظالم من وجد منه الظلم[4] اعم من ان وجد منه الظلم فى الماضى او فى الحال، بدليل ان هذا المفهوم يمكن تقسيمه الى هذين القسمين ومورد القسمة شامل للاقسام، والذى يدل عليه نظرا الى الدلائل الشرعية ان النائم يسمى مؤمنا والايمان هو التصديق والتصديق غير حاصل حال كونه نائماً، فدل على انه يسمى مؤمنا لايمان كان حاصلا من قبل، وايضاً لو كان دوام حصول المشتق منه شرطا فى صدق المشتق لوجب ان لايكون المتكلم[5] و الماشى وامثالهما حقيقة فى شىء اصلا ، لان اجزاء التكلم و المشى لاتوجد معالكن اللازم باطل بالاتفاق وكذا الملزوم.

ثم اجاب عنهما بان كل ماذكرتموه معارض بما انه لوحلف احد ان لايسلم على كافر فسلم على مؤمن فى الحال وكان[6] كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لايحنث، فدل على ماقلناه ولان التائب من الكفر لايسمى كافرا و التائب من المعصية لايسمى عاصيا و

١ــ حق من «التفسير الكبير».

٢ــ قالوا كانا «التفسير الكبير».

٣ــ ينالهما «التفسير الكبير».

٤ــ وقولنا وجد منه الظلم اعم «التفسير الكبير».

٥ــ شرطاً فى الاسم المشتق حقيقة، وجب ان لايكون اسم المتكلم «التفسير الكبير».

٦ــ الا انه «التفسير الكبير».

كذاالقول فی نظائره، ثم قال: علی انا بینا انالمراد من الامامة فی هذه الایة النبوة، فمن کفر بالله طرفة عین فانه لایصلح للنبوة.

اقول: قد علمت ان الارض لایخلو عن حجة من الله عنده الحجج و البینات و العلوم اللدنیة، وان المراد بالنبوة مایعم الرسالة و قد یکون بدونها، و ان الامامة قد یکون مع الرسالة و قدلایکون، فعلیهذا ینفسخ کلاالجوابین منه.

اما الاول فبان نقول: هب ان الذی تاب من الکفر لم یطلق علیه اسم الکافر فی عرف الشریعة فهل یمکن ان ینال بمجرد ذلك منصب الامامة؟

واما الثانی فنقول: کماان الکفر بالله طرفة عین ینافی درجة النبوة کما اعترفتم، فالامامة التی عندناقد تجامع النبوة و الرسالة و قد تجامع الرسالة التی لاولی العزم هی تالیة رتبة الرسالة التی اتی بها سیدالرسل صلی الله علیه واله ، کیف لاینافیه الکفر وان کان فی سابق الزمان؟

نعم! الخلاف بین الفریقین فی معنی الامامة و قدر رتبة[1] الامام، هل هی عبارة عما ذکرناه ام هی مجرد حکومة فی الظاهر و امارة الجیش فی الحروب وتعیین الولاة و القضاة فی البلاد و نحو ذلك؟ بشرط حسن الایالة[2] والعقل والعدالة ومعرفة الاحکام الشرعیة وان کانت بالاستعانة الی من هو اعلم واتقی واکرم عندالله، وانت ممن لایشتبه علیه الامر ان کنت ذا ادنی بصیرة مع الانصاف.

ثم قال: واحتج الجمهور علی ان الفاسق لایصلح لان یعقد له الامامة بهذه الایة والاستدلال بهامن وجهین:

الاول مابیناه من ان قوله: لاینال عهدی الظالمین جواب لقوله تعالی: ومن ذریتی، وقوله: ومن ذریتی طلب للامامة، فوجب ان یکون المراد بهذا العهد هو الامامة لیکون الجواب مطابقا للسؤال، فتصیر الایة کأنه تعالی قال: لاینال الامامة الظالمین، و کل فاسق[3] فانه

١ــ مرتبة ــ م.

٢ــ الایالة ــ ج ــ ایالات: السیاسة، البلاد المحدودة تحت ولایة وال.

٣ــ عاص «التفسیر الکبیر».

ظالم لنفسه، فكانت الاية دلت على ماقلناه.

فان قيل : ظاهر الاية يقتضى انتفاء كونهم ظالمين ظاهراو باطنا ولايصح ذلك فى الائمة والقضاة؟

قلنا: اما الشيعة فانهم يستدلون على[١] صحة قولهم فى وجوب العصمة ظاهراو باطنا و اما نحن فنقول: مقتضى الايـة ذلك، الا انـا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة.

فان قيل: اليس يونس عليه السلام قال: سبحانك انى كنت من الظالمين (الانبياء ـ ٨٧)، وقال ادم عليه السلام: ربنا ظلمنا انفسنا (الاعراف ٢٣)؟

قلنا: المذكور فى الاية هـو الظلم المطلق[٢] وهذا غير موجود فى ادم و يـونس عليهما السلام.

الوجه الثانى ان العهد كان قديستعمل بمعنى الامر، قال الله تعالى: الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لاتعبدوا الشيطان (يس ـ ٦٠)، يعنى الم امركم[٣]؟ وقال: قالوا ان الله عهد الينا (ال عمران ١٨٣)، بمعنى امرنا، ومنه عهود الخلفاء الى امرائهم وقضاتهم.

اذا ثبت ان عهد الله هو امره فنقول: لاينال عهدى الظالمين، من ان يريد ان الظالمين غير مأمورين، وان الظالمين لايجوز ان يكونوا بمحل من يقبل منهم اوامر الله ، ولما بطل الوجه الاول لاتفاق المسلمين على ان اوامر الله تعالى لازمة للظالمين كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الاخر و هـو انهم غير مؤتمنين على اوامر الله و غير معتدين[٤] بهم فلايكونون ائمة.

١ـ بهذه الاية على صحة «التفسير الكبير»

٢ـ الظلم المطلق هو الظلم الحق لا الظلم الاضافى كما ان السواد المطلق هو السواد الحق لا السواد الاضافى والاسود الحق هو السواد المطلق و ظلمهما عليهما السلام انما هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين و هـو ليس بظلم حقيقة، فافهم فانه مع وضوحه دقيق «نورى».

٣ـ آمركم بهذا «التفسير الكبير».

٤ـ غير مقتدى بهم فيها «التفسير الكبير».

فثبت بحسب دلالة الاية بطلان امامة الفاسق. قال صلى الله عليه واله: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولان الفاسق لايكون حاكما وان احكامه لاينفذ اذا ولى الحكم، و كذلك لايقبل شهادته ولاخبره اذا اخبر عن النبى صلى الله عليه واله ولافتياه اذا افتى و لايتقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لايفسد الصلوة.

قال ابوبكر الرازى: و من الناس من ظن ان مذهب ابى حنيفة انه يجوز كون الفاسق قاضياً[1]، قال: وهذا خطاء ولم يفرق ابوحنيفة بين الخليفة والحاكم فى ان شرط كل منهما العدالة.

فكيف يكون خليفة و روايته غير مقبولة و احكامه غير نافذة؟ وكيف يجوز ان يدعى ذلك ابوحنيفة وقد اكره ابن هبيرة فى ايام بنى امية على القضاء وضربه فامتنع من[2] ذلك فحبس، فلح ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا، فلما خيف عليه قال له الفقهاء: تقبل له شيئاً من عمله اى شىء كان حتى يزول عنك الضرب، فتولى له عد احمال اللبن[3] التى تدخل فخلاه، ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عدله اللبن الذى كان يضرب لسور المدينة، وذلك انه كان يقول فى المنصور واشباهه: لو ارادوا بناء مسجد و ارادونى على عد آجرة لما فعلت.

و قصته فى امر زيد بن على عليه السلام مشهورة و فى حمل المال اليه وفى فتياه الناس سراً فى وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد و ابراهيم ابنى عبدالله ابن الحسن عليه السلام.

ثم قال: وانما غلط فى هذه الرواية ان قول ابى حنيفة: ان القاضى اذا كان عدلا فى نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة، لان

١ــ كون الفاسق اماماً وخليفة ولايجوز كون الفاسق قاضياً «التفسير الكبير»

٢ــ قال الغزالى فى الاحياء: و روى انه دعى الى ولاية القضاء فقال: انا لااصلح لهذا، فقيل له: لم؟ فقال: ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لايصلح للقضاء

٣ــ اللبن «التفسير الكبير».

القاضى اذا كان عـدلا فى نفسه ويمكنه تنفيذ الاحكام كانت احكامه نافـذة، والاعتبار فى ذلك بمن ولاه بمنزلة[1] سائر اعوانـه وليس من شرط اعوان القاضى ان يكونـوا عدولا.

الاترى ان اهل بلد لاسلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضاء بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه، لكان قضائه نافـذاً و ان لم يكن له ولاية من جهة امام ولاسلطان. انتهى ماذكره.

الحديث الثانى
و هوالثالث والثلاثون واربع مائة

«محمد بن الحسن، عمن ذكره، عن محمد بن خالد، عـن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً و ان الله اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا وان الله اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا وان الله اتخذه خليلا قبل ان يجعله اماماً فلماجمع له الاشياء قال: «انى جاعلك للناس اماماً، قال: فمن عظمها فى عين ابراهيم قـال: و من ذريتى ، قال لاينال عهدى الظالمين قال: لايكون السفيه امام التقى».

الشرح

قد علمت ان هذه درجات متفاضلة بعضها افضل من بعض وان الانسان لكونـه مخلوقا من طبيعة العنصر يترقى فى سفره المعنوى و سيره الاستكمالى الى الله تعالى من انقص المنازل الى اعلى المراتب والمقامات، والمسافر الى غايـة مالم يقطع ادنى المنازل من مستقره لم ينحط باقربها الى غايتها.

فكـذا الانسان الصاعد الى ربـه لابد ان يقطع له المرور بكل منزلة رفيعة بعد المرور بما هو ادنى منها ، فما لـم يصر عبداً صالحاً مطلقا لم يصر وليا من اولياء الله

١ــ ولاه، لان الذى ولاه بمنزلة «التفسير الكبير».

ومالم يصرولیا مطلقا لم يصر رسولا منه تعالى الى خلقه.

لان الرسول من يسع قلبه الجانبين ولايحجب بشهود الحق عن الخلق، فهو اكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه وعن مظاهر اسمائه وتجلياته، ثم مالم يصر رسولا لم يصر صاحب شريعة و دين كامل و عزم و رياسة على كافة الخلق اجمعين و قمع اعداء الله الكافرين و الظالمين ، و انما وقع كلامه فى ابراهيم عليه السلام لكونه مستجمعا لهذه المقامات كلها وكان غرضه ايضاً ان منصب الامامة اجل المناصب و المقامات.

فذكر ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام نال رتبة الامامة للناس فى اخر مقاماته فاتخذه الله تعالى اولا عبداً لقوله: و اذكر عبادنا ابراهيم و اسحق و يعقوب (ص ـ ٤٥)، ثم نبياً لقوله: انه كان صديقاً نبيا (مريم ـ ٤١)، ثم رسولا لقوله: ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين اذقال لابيه وقومه (الانبياء ـ ٥١)، الاية...، ثم خليلا لقوله: و اتخذالله ابراهيم خليلا (النساء ـ ١٢٥)، ثم جعله اماما بعد ان جمع له هذه الاشياء يعنى مقام العبودية والطاعة ومقام النبوة والولاية ومقام الرسالة والدعوة ومقام الخلة والمحبة قال: انى جاعلك للناس اماما (البقرة ـ ١٢٤)، فدل على ان مقام الامامة اعلى المقامات و اعظمها.

ثم قال الصادق عليه السلام: فمن عظمها فى عين ابراهيم طلبها لذريته و عقبه حيث قال : و من ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين (البقرة ١٢٤)، اى لايكفى لارث الامامة مجرد النسب و النبوة بل لابد فيه التبرى عن الظلم والفسق.

قال الصادق عليه السلام: لايكون السفيه امام التقى، فان كل فاسق سفيه، اذ من ظلم على نفسه باتلاف ماله الذى يعيش به فى الدنيا يعد سفيهاً، فمن ظلم على نفسه فى خسرانه لما يعيش به فى الاخرة اولى بان يعد سفيها، فالفاسق لايصلح للامامة بهذه الاية، و لان الامام من وجبت طاعته على الامة والاقتداء به، فلو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به و ذلك يؤدى الى كون الفعل الواحد ممنوعاً منه ومندوبا اليه وهو محال، فدلت الاية على وجوب العصمة فى الامام وعلى ابطال امامة غير المعصوم كما

سبق شرحه.

الحديث الثالث
و هو الرابع والثلاثون واربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن هشام، عن ابن ابي يعفور قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم اولوا العزم من الرسل و عليهم دارت الرحى: نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه واله وعلى جميع الانبياء».

الشرح

السادة جمع السيد من ساد قومه يسودهم سيادة وسوداً وسيدودة فهو سيد، وهم سادة، وتقدير سيد فعيل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبائع وقيل تقديره فيعل وسوده قومه.

والعزم هو الارادة الجازمة من القاصد لفعل التي لايتخلف عنها الفعل الالمانع[1]، و اولوا العزم من الرسل[2] سموا بذلك لما فيهم من العزم التام على دعوة الخلق الى طريق الحق والمجاهدة مع اعداء الله و ثبات القدم في الحروب و الصبر على الشدائد والمكاره و احتمال الاذى من القوم.

۱ـ اى لوجود مانع في المقابل، فافهم «نوري».

۲ـ قال المؤيد الدين الجندي في شرحه للفصوص: اولوا العزم هم الذين امروا ان يبلغوا الى الامم رسالة الله، فان لم يجيبوا بالمعجزة قاتلوهم، وصنف ماعليهم الا البلاغ فان امنوا امنوا من العذاب. انتهى.

قال الصدر الدين القونوي في الفكوك في الفص الهارونى: كل رسول بعث بالسيف فهو خليفة من خلفاء الحق وانه من اولي العزم، فان كثيراً من الناس لم يعرفوا معنى اولي العزم وهم الذين يبلغون رسالات ربهم ويلزمون من ارسلوا اليهم بالايمان، فان ابوا قاتلوهم بخلاف الرسول. انتهى.

قال تعالى لحبيبه: فاصبر كما صبروا اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم (الاحقاف - ۳۵)، اى اصبر كما صبروا على اذى قومهم وعلى الشدائد، فان نوح عليه السلام صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وابراهيم على النار و ذبح الولد، وموسى قال له قومه: انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين (الشعراء - ۶۱ و ۶۲)، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال: انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها، و قال فى حق ادم: ولم نجد له عزما (طه - ۱۱۵)، وفى يونس: ولا تكن كصاحب الحوت (القلم - ۴۸).

قيل: ان النبى صلى الله عليه واله ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل العذاب بمن ابى من قومه، فامر بالصبر و ترك الاستعجال لهم بالعذاب.

وقوله عليه السلام: و عليهم دارت الرحى، اى رحى الرسالة استعارة بالكناية تشبيها لهم فى امر الرساله بقطب الرحى الذى دارت عليه اجزاء الرحى، فكان هؤلاء هم الاصل القائم بالرسالة وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام يتبعهم ويقوم بهم و يدور حولهم ويقتدى بهداهم، سواء سبقوا بالزمان[1] ام لا.

فعلى هذا كان خاتم الرسل صلى الله عليه و آله لكونه افضل الكل وسيد السادات و قطب الاقطاب وخاتمة الكتاب يدور عليه الكل سابقاً ولاحقا فهو كواسطة القلادة، وكل ولى من الاولياء بعده بحذاء نبى من الانبياء قبله، ولهذا كان امير المؤمنين عليه السلام و هو اقرب الاولياء منه شبيهاً بعيسى عليه السلام وهو اقرب الانبياء اليه، ومن جملة المضاهاة بينهما انه اتخذ كل منهما لجماعة بالربوبية ذاك للنصارى وهذا للغلاة.

الحديث الرابع
و هو الخامس والثلاثون واربع مائة

«على بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن اسحاق بن-

---

۱- فالترتب والتقدم و التأخر انما هو بحسب الباطن وكون الشخص قطباً فيه هو المعنى المقصود من الامامة التى هى فوق الخلة، والمقدم فى الامامة هو الولى القيم للمتأخر المقوم له والمتأخر متقوم به تابع له كتبعية الفعل للفاعل والظل لذات الظل، فافهم «نورى».

عبدالعزيز ابى السفاتج» بالتاء المنقطة فوقها نقطتين بعدالالف والجيم بعدها، روى عن ابى عبدالله عليه السلام قال ابن الغضائرى: يعرف حديثه تارة و ينكره اخرى و يجوز ان يخرج شاهداً «صه»، «عن جابر، عن ابى عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: ان الله اتخذ ابراهيم عليه السلام عبداً قبل ان يتخذه نبياً و اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا و اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا و اتخذه خليلا قبل ان يتخذه اماماً فلما جمع له هذه الاشياء و قبض يده قال له: يا ابراهيم انى جاعلك للناس اماماً، فمن عظمها فى عين ابراهيم عليه السلام قال: يارب ومن ذريتى، قال: لاينال عهدى الظالمين».

الشرح

قدمضى شرحه، قوله عليه السلام: قبض يده، فيه اضمار اى قبض ابراهيم عليه السلام هذه الاشياء بيده او قبض المجموع فى يده، ومما يجب ان يعلم ان احد اوان كان مالم يصر نبيا لم يصر رسولا لكن ليس يجب منه ان يكون كل رسول افضل من كل نبى، بل رب نبى لم يكن رسولا هو افضل واقرب من كثير من المرسلين، الاترى ان خضر عليه السلام كان نبيا غير رسول وقدتعلم منه موسى عليه السلام وكان من اعاظم الرسل ومن اولى العزم منهم؟ بل جهة النبوة فى الرسول افضل من جهة رسالته، لان الاولى من كمال العقل النظرى والثانية كمال العقل العملى ولان الرسالة منقطعة و النبوة وهى الولاية والقرب من الله باقية الى يوم القيامة.

باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث

وهو الباب الثالث من كتاب الحجة وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هو السادس و الثلاثون واربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد، عن احمد بن محمد بن ابى نصر، عن ثعلبة

بن ميمون عن زرارة قال: سألت اباجعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: وكان رسولا نبياً، ماالرسول و ماالنبي؟ قال: النبي الـذي يرى في منامه و يسمع الصوت ولايعاين الملك و الرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام و يعاين الملك. قلت: الامام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولايرى ولايعاين الملك، ثـم تلاهذه الاية : وماارسلنا من قبلك من رسول ولانبي (الحج ـ ٥٢) ولامحدث».

الشرح

اعلم ان الدنيا عالم الشهادة والملك والاخرة عالم الغيب والملكوت والانسان مركب من جزئين: احدهما من هذاالعالم وهوبدنه العنصري المستحيل الكائن الفاسد، وكذلك حال الدنيا وكل مافيها فانها مستحيلة كائنة فاسده كل حين. و ثانيهما من عالم الاخرة وهو روحه الثابت الباقي وكذلك كل مافيها باقي دائم لايزول ابـداً، وللاخرة درجـات كثيرة متفاضلة لقولـه تعالـى : وللاخـرة اكبر درجـات و اكبر تفضيلا (الاسراء ـ ٢١).

و اول درجات الاخرة حالة المنام ثم حالة الموت وتمامه بالعبث، فالنوم بعض حركة الرجوع الى الاخرة، والنبي بما هـو نبي كالمبعوث يوم القيامة فيرى من الصور والحقائق والاحوال مالايراه الناس كما قال النبي صلى الله عليه واله: انى ارى مالاترون، فيعبر عمايراه ويسمعه في ذلك العالم فيحكيه لاهل هذه العالم الذين هم بالحقيقة كالنائمين لقوله (ص): الناس نيام، بكسوة الالفاظ وضرب الامثال كمال قال تعالى: وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الاالعالمون (العنكوت ـ ٤٣).

وان اردت توضيح ذلك و بيان معنى النبوة والرسالة والتحديث فاعلم اولا:

ان سبب الرؤيا انعكاس الروح الحيواني الذي هو مستوى الروح العلوي من الظاهر الى الباطن، وهذه الروح عبارة عن جرم لطيف متكون من بخار الاخلاط في تجويف القلب ومركبه الدم الصافي وهو مركب للقوى النفسانية والحيوانية وبها ينتشر الحيوة في كل البدن ويتصل القوى المدركة والمحركة الى آلاتها واعضاء الحس والحركة، ولذلك اذاوقعت

سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة، وكذلك اذا سديد الانسان سداً محكماً احس بخدر فى رأس اليد فيبطل فى الحال حسه الى ان يخلى فيعود بعد زمان.

وهذا الروح بواسطة عروق الضوارب ينتشر الى ظاهر البدن وقد يحبس فى الباطن باسباب مثل طلب الاستراحة عن كثرة الحركة و لهذا يغلب النوم عند امتلاء المعدة ومثل ان يكون الروح قليلا ناقصا فلايفى بالظاهر والباطن جميعا، ولنقصانه و زيادته اسباب طبية، والاعياء معناه نقصان الروح بالتحليل بسبب الحركة ومثل الرطوبة والبلة[1] التى تمكنت فيه بسبب انحباس الروح الحاملة لقوة الحس عنها والثقل[2] الذى يغلب عليه فيمنعه عن سرعة الحركة كما يغلب فى الحمام وبعد الخروج منه وبعد تناول الشراب المرطب للدماغ.

فاذا ركدت الحواس بسبب هذه الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لاتزال مشغولة بالتفكر فيما يـورده الحواس عليها، فاذا وجدت فرصة الفراغ و ارتفعت عنها الموانع استعدت للاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها جميع نقوش الموجـودات كلها المعبر بها فى لسان الشرع باللوح المحفوظ، اعنى[3] صور مافى تلك الجواهر العقلية من الاشياء لاسيما ماينا سب اغراض النفس ويـكون مهمالها.

فيكون انطباع تلك الصورة فى النفس منها[4] عند الاتصال كانطباع صورة مراة فى مراة اخرى تقابلها عند ارتفاع الحجاب بينهما، فكل مايكـون فى احدى المراتين يظهر فى الاخرى بقدرها.

فان كانت تلك الصورة جزئية وقعت من النفس فى قوة الخيال و حفظها الحافظة

۱ــ الندوة ــ الماء.

۲ــ والعقل ــ م.

۳ــ و انطبعت فيها النقوش اعنى ــ م.

۴ــ منها فى النفس ــ م .

على وجهها و لـم يتصرف فيها القوة المتخيلة المحاكية للاشياء بتمثلها فيصدق هـذه الرؤيا ولايحتاج الى التعبير.

و ان كانت المتخيلة غالبة او ادراك النفس للصـورة ضعيفا صـارت المتخيلة بطبعها الى تبديل مارأته النفس بمثال كتبديل الـرجل بشجرة و تبديل العدو بحية و تبديله بمايشبهه او يناسبه مناسبة ما.

وقد يكون بمضادة كمن رأى انه ولدله ابن فتولدت لـه بنت و بالعكس فهذه الرؤيا يحتاج الى التعبير، وربما لم يكن انتقالات الخيالات مضبوطة بنوع مخصوص فانشعب وجوه التعبير و صار مختلفا بالاشخاص والاحوال والصناعات و فصول السنة و صحة النائم و مرضه، وصاحب التعبير لاينال الا بضرب من الحـدس ويغلط فيه و يغلب فيه الالتباس.

واما اضغاث الاحلام فهى المنامات التى لااصل لها منشأها حركة القوة المتخيلة واضطرابها فانها فى اكثر الاحوال لايفتر عن المحاكاة والانتقالات ولايفتر ايضاً فى حال النوم و فى اكثر الاحوال، فمهما كانت النفس ضعيفة و تبقى مشغولـة بمحاكاتها كما تبقى فى اليقظة مشغولة بالحواس ولاتستعد للاتصال بالجـواهر الروحانية، و المتخيلة باضطرابها اذا كانت قوية بسبب من الاسباب، لاتزال تحاكى و تخترع صـوراً[1] لا وجود لها وتبقى فى الحافظة الى ان يستيقظ فيذكر مارآه فى المنام، فيكون لمحاكاتها ايضاً اسباب من احوال البدن ومزاجه.

فان كان غلب على مزاجه الصفراء حاكاها بالاشياء الصفر وان كان فيه الحرارة

۱ـ لايذهب عليك ان المراد باختراع المتخيلة ليس مايترااى من ظاهر هذا البيان بانه لم يكن مسبوقاً بقضاء و قدر منه تعالى، فان حدوث كل حادث فى عالمنا هذا انما هو بقضاء منه سبحانه وقدر، بل المراد انه ليس له مطابق فى المادة العنصرية الخارجية فى احـد من الازمنة وان كان مسبوقا بوجوده فى المبادى العالية المرتبة فى المراتب الاربـع: مرتبة الاسماء ومرتبة القلم الاعلى و مرتبة اللوح المحفوظ ومرتبة لوح القدر. فافهم هذا و اعلم: ان المراد من عدم اتصال النفس حينئذ بالمبادى العقلية هو عدم استفاضتها منها بلاواسطة، كمايكون الحال عنداشتغال النفس بمايورده الحواس. فتفطن كل ذلك فانه عميق «نورى».

حاكاها بالنار والحمام الحاروان غلب عليه الرطوبة حاكاها بالثلج والشتاء وان غلب السوداء حاكاها بالاشياء السود و الامور الهائلة، و انما حصلت صورة النار مثلا في النخيل عند غلبة الحرارة، لان الحرارة التي في موضع، تتعدى الى المجاور لها، كما يتعدى نور الشمس الى الاجسام، بمعنى انه يكون سبباً لحدوثه، اذ خلقت الاشياء موجودة وجودا فائضا بامثاله على غيره، والقوة المتخيلة منطبعة او متعلقة في الجسم الحار فيتأثر به تأثيراً يليق بطبعها و عالمها، فهي ليست بجسم حتى تقبل نفس الحرارة فتقبل من الحرارة مافي طبعها للقبول لها وهو قبول صورتها ومثالها.

وهكذا يكون تأثر النفس عن البدن والبدن عن النفس، فان كلا منهما يتأثر عن صاحبه بنحو من الوجود يناسبه، الاترى انه اذا غلب على النفس الغضب وهو هيئة نفسانية يتأثر منها البدن باحمرار وتسخن وهيئات بدنية؟ وهكذا افاعيل البدن واوصافه يؤثر في النفس هيئات نفسانية تناسبها.

واما سبب معرفة الغيب و رؤية مالاوجود له في الخارج في اليقظة فهو ماقول: من ان سبب الحاجة الى النوم و وقوعه ممايكون غالباً من ضعف النفس وكون الحواس شاغلة لها حتى اذا ركدت الحواس اتصلت بالجواهر العقلية و استعدت بالقبول منها، ويمكن ان يكون ذلك لبعض النفوس في اليقظة من وجهين.

احدهما ان تقوى النفس قوة لايشغلها بالحواس بحيث يستغرقها و يمنعها، بل تسع قوتها بضبط الجانبين والنظر الى الجهتين: جهة العلو وجهة السفل جميعاً فلا يشغلها شأن عن شأن كما تقوى بعض النفوس فيجمع في حالة واحدة بين ان يكتب و يتكلم ويسمع ويرى، فمثل هذه النفوس يجوز ان يفتر عنها في بعض الاحوال شغل الحواس ويطلع على عالم الغيب فيظهر لها منه بعض الامور و هذا نوع من النبوة، ثم ان ضعفت المتخيلة و قوى عين الحس الباطن بقي ماانكشف له من الغيب في حفظه وكان وحيا صريحاً، وان قويت المتخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة فيكون هذا الوحي

مفتقر الى التأويل[١] كما يفتقر الرؤيا الى التعبير.

السبب الثانى ان يغلب على المزاج اليبوسة و الحرارة حتى يصرفه لغلبة السوداء عن موارد الحواس، فيكون مع فتح العين كالمبهوت الغافل الغائب عن مايرى ويسمع، و ذلك لضعف خروج الروح الى الظاهر، فهذا ايضاً لايستحيل ان ينكشف لنفسه شيء من الغيب مما يناسبه فيحدث به ويجرى على لسانه فكأنه ايضاً غافل عما يحدث به، وهذا يوجد فى المجانين والمصروعين و بعض الكهنة من الهند والعرب فيحدثون بمايكون موافقا لما سيكون، وهذا نوع نقصان والذى يراه من الغيب[٢] الجزئى الذى فى بعض البرازخ السفلية، و السبب الاول نوع كمال والذى يراه ربما كان من صور الملكوت الاعلى.

واما السبب فى رؤية الانسان فى اليقظة اموراً لا وجود لها حقيقة فهو بان تعلم اولا ان الابصار وكذا كل احساس وادراك فى الحقيقة ليس عبارة عن شهود نفس صورة التى فى المادة الخارجية، فان تلك الصورة ليست محسوسة ولاحاصلة للنفس الدراكة، بل المحسوس بالذات هى الصور التى تراها النفس بعين الحس المشترك، و اما التى فى الخارج فهى سبب لظهوره صورة يماثلها للحس المشترك، فالمحسوس بالحقيقة هو ذلك المتمثل المتصور والخارج يسمى محسوساً بمعنى الاخر، ثم لافرق فى وقوع الصورة المتمثلة بين يدى الحس المشترك بين ان يقع من جهة الخارج و يرتقى اليه باستعمال الات الحواس لادرك الخارجات وبين ان يقع من جهة الباطن و ينزل اليه باستعمال المتخيلة لاستحضار مافى الخزانة من المدركات العقلية اوغيرها، بل كلما وقع عند الحس المشترك يكون مشاهدا.

١ــ الرؤية التى يحوج الى التأويل هو المتشابه، فالقسم الاول محكم والثانى متشابه، و على السر المتشابه تصرف المتخيلة وتبديلها، فتدبر فيه «نورى».

٢ــ و السر فيه عدم كون المكاشف ذا فضيلة علمية و حكمة بالغة وسيرة عادلة، لعدم كونه مقيداً بالدين القويم و سالكا للصراط المستقيم فيصير من جنس الشيطان الرجيم و متعلماً منه و محلا لتصرفه وعكسه على العكس كما لايخفى «نورى».

اذا تقرر هذا فنقول: ان النفس قد يدرك ادراكا من الغيب فيبقى عين ما ادركته في الحفظ وقد يقبله قبولا ضعيفاً يستولي عليه المتخيلة فيحاكيه بصورة محسوسة، فاذا قويت تلك الصورة في المتخيلة استثبته عين الحس المشترك و تمثلت عنده فرائتها النفس بعين الحس مشاهدة وان كانت الاجفان مغمضة و كان في ظلمة شديدة ايضاً.

والذي يتخيله الانسان في اليقظة انما لايرى بعين الحس المشترك حتى يصير مبصراً، لان الحس المشترك مشغول بمايؤدى اليه الحواس الظاهرة و هو اغلب، ولان العقل يكسر من المتخيلة اختراعها ويكذبها ولاتقوى تصورها في اليقظة، فمهما ضعف العقل عن الرد والتكذيب بسبب مرض من الامراض اوخوف شديد لم يمنع ان ينطبع في الحس المشترك كما عليه الجمهور اويحضره عنده كما نحن عليه، فيرى المريض صوراً لاوجود لها.

وكذا اذا غلب الخوف واشتد الوهم وضعف العقل المكذب تمثل صورة المخوف للحس حتى يشاهدها ويبصرها[1] يخافه، ولهذا قديرى الجبان الخائف صوراً هائلة لاوجود لها والغول الذي يبصر في الصحارى ويسمع كلامه هذا سببه، وقد يشتد شهوة هذا العليل لضعف ما، فيشاهد مايشتهيه و يمديده اليه ويرجع كأنه يأكل ويرى اشخاصاً و اشياء لاوجود لها.

فاذا تمهدت هذه المعلومات فنقول: اصول المعجزات والكرامات ثلاثة امور: لان الانسان الكامل ذواجزاء ثلاثة : طبيعة و نفس و عقل و يقال له الروح ايضاً، وكل منها من عالم اخر و لكل منها كمال و نقص، و قل من الانسان ما يكون كاملا في الجميع.

فكمال الروح وهو العقل النظري بالعلم بالحقائق والامور الالهية.

وكمال النفس وهي القوة الخيالية باستثبات الصور الجزئية.

وكمال الطبيعة هو التصرف في المواد بالاحاطة والقلب والتحريك.

والنبي هو الشخص الكامل في الجزء النظري من جهة الالهام من الله، فاذا حصلت

١ــ ويبصرها مايخافه ــ م.

لـه الرسالة ايضاً فقدكمل فى القوة النفسانية ايضاً، و اذا كان صاحب شريعة وعزم فقد صار جامعاً للكمالات كلها فكأنه رب انسانى تجب طاعته بعد طاعة[1] الله، ففى الانسان الكامل الجامع للكمالات الانسية ثلاث معجزات:

الاولى: خاصية فى قـوة النفس العملية وهى ان يـؤثر فى هيولى العالم بازالة صورة و ايجاد صـورة، و بان يؤثر فى استحالة الهواء الى الغيم و يحدث مطراً مثل الطوفان اوبقدر حاجة الاستسقاء، او بان يؤثر فى استحالة النار برداً وسلاماً اومايجرى مجرى هذين الامرين وهذا امر ممكن.

اذ قد ثبت فى العلوم الالهية ان المواد خاضعة للنفوس ، والطبائـع متأثرة بها، وان هـذه الصور المتعاقبة على الهيولى من اثار النفوس الكلية الفلكية و ان النفوس الانسانى من جـوهر تلك النفوس[2] و شديدة الشبه بها، لان نسبتها اليها نسبة السراج الـى الشمس ، و ذلك لايمنع فى كـون السراج مؤثـراً فى التسخين و الاضائـة كالشمس.

وكذلك نفس الانسان تؤثر فى هيولى العالم ولكن الغالب ان لايتعدى تأثيرها عن عالمه الخاص وهو بدنه فيقتصر تأثيرها عليه، ولذلك اذا حصلت فى النفس صورة مكروهة استحال مزاج البدن وحدثت رطوبة العرق، و اذا حصلت فيها صـورة الغلبة بالغضب حمى مزاج البدن و احمر الوجـه، و اذا وقعت فيها صـورة مشتهاة حصلت فى اوعية المنى حرارة مسخنة منفخة حتى يمتلى به عروق آلة الوقاع، فهذه الحرارة و الرطوبة والبرودة حصلت فى البدن عن مجرد التصور و التوهم.

وقد يتعدى اثر بعض النفوس الى بدن اخر، و ذلك لقوة فيها وان كانت خبيثة حتى يفسد الروح بالتوهم وتقتل الانسان و يعبر عن ذلك باصابة العين ، و لـذلك قال

۱ــ الطاعة طاعتان: تشريعية وتكوينية، والتشريعية يجب وجوباً بالنسبة الى صاحب الشريعة، والتكوينية يجب وجـوباً بالنسبة الى صاحب الامامة التى هـى فوق الخلة كما مضى «نورى».

۲ــ الولد سرابيه «نورى».

(ص): العين حق[1]. و قال: العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر، و اذاكان هـذا ممكن سيما فی النفوس الخبيثة فلم لايكون لبعض النفوس العالية الشريفة تأثير اقوى واكثر من هذا على الندور؟ و مثل ذلك يعبر عنه بالمعجزة والكرامة

الثانية ما بحسب القوة الخيالية و هـو: ان تقوى النفس الخيالية للانسان قوة تتصل فی اليقظة عالم الغيب الصورى، فان كان ذا فضيلة علمية يرى معلوماته فی كسوة الفاظ مسموعة او مكتوبة ويرى مبدأها الملقی اياها له اعنى الملك فی صـورة شخص انسانی، فربما كانت الصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلی الالهی فی غاية الحسن والبهاء على اكمل هيئة واجملها فيناجيه بالغيب، او يرتسم صورة الامر الغيبی مشاهدة او يسطر على سبيل كتابة او على طريق نداء هاتف غيبی يسمع ندائه ولايعاين شخصه او على سبيل غلبة ظن بالامر الغيبی فيطلع.

فما بقی من الكلام محفوظا فان كان فی النوم فهو رؤيا صادقـة غيرمحتاج الى التعبير كمامر، وان كان فی اليقظة فهو وحی صريح غيرمحتاج الى التأويل ومابطل هو، وبقيت محاكياته فهو وحی محتاج الى تأويل اوحلم مفتقر الى تعبير، و اما اذا قويت القوة الخيالية و لـم يكن الشخص ذا فضيلة علمية او سيرة عادلـة فربمايرى ما يلقی الشيطان فتنة له و لغيره فی اليقظة او فی النوم، وهذا حال اكثر الكهنة والموسوسين و ضرب من المتصوفة واهل الخلوة من البطالين.

الثالثة وهی اعلى الخراص النبوية و اشرفها، وهو كمال القوة النظرية و العقل النظری بان يصفو الجوهر العقلی صفاء يكـون شديد الاتصال بالعقل الفعال المسمى بالقلم الاعلى والمعلم الشديد القوى وهو المفيض للعلوم باذن الله على الواح النفوس العقلية فسيتفيض منه العلوم والمعارف بلاواسطة معلم بشری فی زمان يسير، وهذا ممكن ايضاً، فان النفوس البشرية منقسمة الى مايحتاج الى التعلم والى المستغنی عنه:

والمحتاج الى التعلم له مراتب متفاوتة: فمنهم قد لايؤثر فيه التعليم وان طال طلبه

۱ــ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك... (القلم ــ ۵۱) الاية، ولكن ليس لهم سلطان علـى الذين امنوا، فافهم «نورى».

وكثر جده و تعبه ومنهم من يتعلم على قرب، وكم من شخص يستنبط الشيء من نفسه من غير تعليم؟ بل العلوم كلها اذا تأملت فيها فهى من مستنبط النفوس، فان كل معلم لو تعلم من غيره لذهب الامر الى مالانهاية و هـو محال، بل يرتقى الـى من عرف من نفسه بحدس او فكر بان يحظر بباله النتيجة فيتنبه للحد الاوسط كأنه القى فى نفسه من حيث لايدرى او يتنبه للحد الاوسط فيختر النتيجة.

ويتفاضل النفوس فى قوة الحدس و شدة الذكاء و سرعة الفهم الى حد و تبلغ الى حد[1] ينتقل ذهنه من معلوم الى معلوم وهكذا الى اخر المعلومات فى زمان قصير من غير تعلم بشرى، فيقال له انه نبى او ولى، وان ذلك معجزة او كرامة و هوافضل اجزاء النبوة والرسالة وهذا ممكن ليس بمحال، لانه اذا جازان ينزل القصور الى حـد من البلادة يمنع عن الفهم من المتعلم يجوز ان يترقى الكمال الى حـد يغنى عن التعلم ، كيف لايمكن هذا و نحن رأيناكم من متعلمين مـدة واحدة سبق احدهما الى الاخر بحقائق العلوم التى خرجت عن حداكثر الافهام؟ مع ان اجتهاد الاخر اشد وسعيه اكثر، ولكن لشدة الحدس وقوة الذكاء فيه والزيادة على هذا كماً وكيفا من الممكنات.

فهذه الاحـوال الثلاثة من المعجزات و الكرامات التى توجـد لطبقات الانبياء عليهم السلام، وقد يوجد بعضها لغير النبى و قد لايوجد بعضها للنبى، الا ان النبى بما هو نبى او ولى لاينفك عن الخاصية الاخيرة اعنى العلم بالله و آياته و كلماته وباليوم الاخر بطريق الالهام من الله بتوسط الملك، وهذا بالحقيقة تكليم من قبل الله له بالعلوم والايات واستماع له منه اياها وان لم ير المتكلم معاينة.

وهذا معنى ما روى عنه (ص) انه قال: ان فى امتى مكلمين محدثين، لكن هذا التكلم و التحديث علـى ضربين: ضرب لايتعدى من نشأة العلم و العقل ولاينزل الى معدن التخيل والتمثل الحسى وهوالاكثر، وضرب يكـون معه سماع حسى باطنى او فى الخارج بان يتعدى صورة الكلام من الحس المشترك الى الصماخ ثم الى الهواء الراكد فيه فيزعم انه سمع من الخارج.

١ـ وسرعة الانتقال الى حد ـ م.

ولنرجع الى المتن فقوله عليه السلام: النبى الذى يرى فى المنام ويسمع الصوت ولايعاين الملك، اراد بالرؤية الرؤية العقلية العلمية وبالسماع ايضاً السمع العقلى وبالمنام النشأة الباطنة وبالصوت الكلام العقلى، و ذلك لاجل التفهيم والتعليم، فان اكثر الناس يعجزون عن ادراك الامور العقلية الا بصفة الامور الحسية، ويحتمل ان يكون مراده ماهو الظاهر من كلامه، فيكون النبى يرى فى منامه صورة ماالهمه الله تعالى من العلوم و المعانى فى كسوة الالفاظ والاصوات والحروف ويسمعها، فحينئذ لايكون هذه الخاصية من الخواص الشاملة للجميع، وقوله: لايعاين الملك، اى فى اليقظة.

وقوله: والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك، اى فى اليقظة و اذا عاين الملك فى اليقظة فكان سماع الصوت والكلام منه ايضاً فى اليقظة، و وقوع ذلك ليس من جهة اسباب خارجية طبيعية بل هو بروز من مكامن الغيب الى عالم الشهادة، فان الذى يرى بعين الخيال اذا قوى واشتد تمثله انفعل منه الحس الظاهر وتعدى الى الخارج من غير ان يكون فى مادة طبيعية، وكذا مايسمع بسمع الباطن اذا قوى ينفعل منه الاذن ويتعدى صورته الى الكلام الظاهر كمامر.

و هيهنا مرتبة اخرى وهى ان يسمع الكلام فى اليقظة ولايعاين المتكلم، وهذه كلها منشائها قوة التخيل والحس الباطن وهى من خواص الرسل عليهم السلام بشرط ان يكون من قبل الله ويكون وحيا بالعلوم الحقة وبما فيه مصالح العباد فى المعاش و المعاد، والا فالكهنة والرهابين وبعض كفرة الهند قد تلقى اليهم بالمغيبات ويسمعون الكلام يوحى اليهم الشياطين زخرف القول غرورا.

وقوله عليه السلام فى باب الامام: يسمع الصوت ولايرى ولايعاين الملك، اراد بسماع الصوت قبول الالهامات والتعليمات من الله بسمع عقلى من غير رؤية شىء فى المنام و لامعاينة ملك فى اليقظة، وليس كلام الله وحديثه بالحقيقة الا اعلام الحقائق و الهام الحق والصدق لتنزهه عن الالفاظ المسموعة والاصوات المحسوسة، ثم تلى الاية وكان فى مصحفهم عليهم السلام هكذا بزيادة «ولامحدث».

الحديث الثانى
و هوالسابع والثلاثون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن ابيه، عن اسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العباس المعروفى»، مجهول. «الى الرضا عليه السلام: جعلت فداك اخبرنى ماالفرق بين الرسول والنبى والامام؟ قال: فكتب اوقال: الفرق بين الرسول والنبى والامام ان الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى وربما رأى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام والنبى ربما يسمع[1] الكلام و ربما رأى الشخص ولم يسمع والامام هوالذى سمع الكلام ولايرى الشخص».

الشرح

قوله: الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل، وهوالمسمى بروح القدس و المعلم شديد القوى والمؤيد بالقاء الوحى الى الانبياء والهام الحق للاولياء والرؤيا الصادقة للاتقياء، و هو الروح الامين والرسول الكريم المعدود خصاله العميم نواله فى قوله تعالى: انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين (التكوير - ١٩ و ٢١)، وهوجبرئيل على لغة السريانيين معناه عبدالله.

لان ايل اوال بلغتهم الاله وهو وجوهر روحانى عقلى كما دل عليه بعض هذه النعوت ككونه عند ذى العرش مكين، فان ذى العرش هوالبارى جل ذكره وهومنزه عن المكان والجسمية فكذا من عنده، وككونه مطاعاً فى عالم الملكوت.

وايضاً البرهان قائم على ان معلم العلوم و هى صورة العقلية لابد ان يكون عقلا بالفعل لكونه مخرج النفوس من القوة الى الفعل فى باب العقل والمعقول، ومفيد العقل اولى بان يكول عقلا بالفعل ومعقولا و عاقلا بالفعل، ومعنى نزوله على الرسول تمثله بصورة البشر كما فى قوله تعالى: فتمثل لها بشرا سويا (مريم - ١٧)، اى فى اكمل

١- سمع (الكافى).

صورة واجملها و كذامعنى نزول الوحى عليه كما فى قوله عليه السلام: وينزل عليه الوحى، بمثل العلوم الملقاة عليه بصورة الحروف والالفاظ المسموعة وهى كلام الله.

واعلم ان كثيراً من اهل العلوم و المنتسبين الى الحكمة من الحكماء الاسلاميين زعموا ان هذه الصور المرئية والمثل المسموعة امور مرتسمة فى لوح الحس المشترك الذى هو ايضاً عندهم قوة قائمة فى الجزء المقدم للدماغ او فى الروح البخارى المصبوب فى ذلك الجزء ارتساماً كارتسام الاعراض فى موضوعاتها، اويكون المرتسم من صورة الجوهر عندهم عرضا خارجيا جوهراً ذهنيا.

وهذا كله لقصور المعرفة بعالم الملكوت وضعف الايمان بالملائكة و صورة الوحى والكتاب، فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لافى محل و هى اقوى فى الموجودية من هذه الاكوان الخارجية، الا ان نشأة وجوداتها نشأة اخرى و عالمها عالم اخر ولايمكن ادراكها بهذه الحواس الدائرة.

وقوة الخيال منا ايضاً بحسها المشترك فهى قوة قائمة بذاتها و بذات مبدأها العقلى وليست متعلقة بالدماغ تعلق الحلول ولا الصور الخيالية بل الحسية مرتسمة فى لوح الروح الدماغى، بل ذلك كالمراة مظهر من مظاهرها، ونحن قدبينا جميع ذلك بالبراهين والشواهد.

وقوله عليه السلام: وربما رآى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام، اى لاينافى الرسالة الرؤية فى المنام كماوقع لابراهيم عليه السلام وكان رسولا وكل رسول نبى دون العكس، و قوله: والنبى ربما سمع الكلام، اى سماعاً عقليا[1] دون ان يرى الشخص المتكلم رؤية حسية كماهو حال الامام، و ربما رأى الشخص رؤية حسية باطنية و لم يسمع اى الكلام منه فيكون الرؤية الحسية من جهة كونه رسولا ايضاً، اذا النبى اعم واكثر افراداً من الرسول.

وقوله: والامام هوالذى يسمع الكلام ولايرى الشخص، اى يسمع كلام الله

١ــ يعنى ان الرؤية الحسية غير معتبرة فى النبوة بماهى نبوة و هكذا فى الامامة، و ليس المراد ان الرؤية الحسية منافية للنبوة او الامامة، فافهم «نورى».

بواسطة الروح القدسى سماعا فى اليقظة لكن لابصورة الالفاظ ولايرى الواسطة متمثلا شخصيا لافى اليقظة ولافى النوم ايضاً كمادل عليه الحديث الاتى.

الحديث الثالث

وهوالثامن والثلاثون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب، عن الاحول قال: سألت ابا جعفر عليه السلام ، عن الرسول و النبى و المحدث ، قال : الرسول هو الذى[1] ياتيه جبرئيل عليه السلام قبلا فيراه و يكلمه فهذا الرسول و اما النبى فهو الذى يرى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ونحو ماكان رأى رسول الله صلى الله عليه واله من اسباب النبوة قبل الوحى حتى اتاه جبرئيل عليه السلام من عندالله بالرسالة و كان محمد صلى الله عليه واله حين جمع له النبوة و جائته الرسالة من عندالله يجيئه بها جبرئيل عليه السلام و يكلمه بها قبلا ومن الانبياء من جمع له النبوة ويرى فى منامه و يأتيه الروح ويكلمه و يحدثه، من غير ان يكون يرى فى اليقظة و اما المحدث فهو الذى يحدث فيسمع ولايعاين ولايرى فى منامه».

الشرح

رأيته قبلا بفتحتين و قبلا بضمتين كصرد وعنب وقبالا وقبيلا كاميراى مقابلة و عيانا.

قدعلمت ان الرسول بماهو رسول هوالذى قويت قوته النفسانية الخيالية فتمثل له الصور العقلية و مبدأها المفيض عليه بصور حسية فيسمع كلاماً ويرى متكلما بسمعه وبصره الحسيين الباطنيين، فالكلام كلام الله والمتكلم هو ملك مقرب رسول واسطة بين الله وعبده ، فالملك رسول من الله الى الرسول، والرسول رسول منه الى الخلق.

لانا قد ذكرنا فيما سبق ان القلب المعنوى من الانسان وهونفسه له وجهان: وجه

١ــ قال الرسول الذى (الكافى).

الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى و وجه الى عالم الحس والشهادة، والذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب الشهادة و من ابوابها الحسية لايكون الاصور متخيلة، لان عالم الشهادة كلها متخيلات وهميات، لان الخيال كمامر تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالاحساس فيجوز ان لايكون الصورة على وفق المعنى، حتى يرى شخص جميل الصورة خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة كثير التلبيس.

اما الصورة التى تحصل فى الخيال من النظر الى عالم الغيب ومن اشراق عالم الملكوت العلوى على باطن سر القلب فلايكون الا محاكياً للامور الالهية و ماينبعث من جهة القدس و يكون الصورة موافقة للمعنى، لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للمعنى والصفة، فلاجرم يرى المعنى الحسن كالملك فى صورة جميلة حسنة ويرى المعنى القبيح كالشيطان فى صورة قبيحة كالحية و الكلب و الخنزير، ويكون تلك الصور عنوان المعانى، ولذلك يدل القرد والخنزير فى المنام على انسان خبيث الباطن ويدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير والتأويل، وهيهنا اسرار عجيبة تضيق المقام عن كشفها والافهام عن وصفها ، قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون (ص - ۶۸ و ۶۷).

فقوله: يأتيه جبرئيل قبلا، اى معاينة مشاهدة فيراه و يكلمه وهو عليه السلام يسمع كلامه بسمعه الحسى ، فان المعرفة العقلية اذا قويت او اشتدت تصورت بصورة مطابقة لها و ربما تعدت من معدن الخيال الى مظهر خارجى كالهواء الصافى فيكون الهواء كالمراة.

وقوله عليه السلام: واما النبى فهو الذى يرى فى منامه، هذا مما يقع للنبى ولكن ليس من الخواص الشاملة التى لايتحقق النبوة الا به، حتى لوفرض ان احداً كان عالما بالعلوم الالهية و الاسرار الربانية بحيث لم يكن احد مثله وكان اعلم الخلائق ولكن لم يتفق ان يرى فى المنام فمثله لايكون نبيا ويكون تابعا سيما و قد يجىء فى بعض احاديث هذا الكتاب : ان الناس فيما قدم من الزمان لم يكن لهم رؤيا فى

مناماتهم.

وقوله: وكان محمد صلى الله عليه واله حين جمع له النبوة الى قوله: قبلا، خبر، كذلك قوله: يجيئه بها جبرئيل عليه السلام الى اخره، يعنى انه صلى الله عليه واله اتصفت ذاته بصفة النبوة وجائته الرسالة من عندالله باطناً و سراً[1] قبل ان يتصف بصفة الرسالة وينزل عليه جبرئيل معايناً محسوساً بالكلام المنزل المسموع من عندالله عزوجل، وانما جائه[2] جبرئيل منه تعالى بالرسالة حين جمع له من اسباب النبوة ماجمع للانبياء الكاملين كابراهيم عليه السلام من الرؤيا الصادقة و الاعلامات المتتالية بحقائق العلوم والايحاات بالمغيبات.

والحاصل انه صلى الله عليه واله استكمل باطنه وسره قبل ان يتعدى صفة الباطن منه الى الظاهر و اتصف القالب بصفة القلب محاكياله، والاول نهاية السفر الى الله و الثانى نهاية السفر من الحق بالحق الى الخلق.

وقوله عليه السلام: ومن الانبياء من جمع له النبوة ويرى فى منامه ويأتيه الروح و يكلمه و يحدثه من غير ان يرى فى اليقظة، هذا الجار الاخير متعلق بمجموع و يأتيه الروح ويكلمه و يحدثه من غير ان يرى، والمراد بهذا التكليم والتحديث مايكون فى باطن السر والعقل كلاماً عقليا و حديثا روحانيا، ولهذا عبر عن جبرئيل بالروح و هو روح القدس لانه فى ذاته جوهر قدسى مالم ينزل عن سماء تجرده وقربه، فاذا نزل عن مقام قربه تمثل و تصور بصورة تناسب المنزل عليه، وايضاً لم يعبر عن اتيانه بالنزول بل قال: ويأتيه الروح.

فعلم ان التكلم والتحديث ليسا الا مجرد اعلام الحق والهام الصدق وهذا بعينه

۱ـ حاصله: ان رسولنا صلى الله عليه واله كان رسولا فى الازمنة السالفة سراً و كان سائر الانبياء كل فى زمانه رسولا جهراً، ومحصله: انهم عليهم السلام كانوا حقيقة مظاهر رسالته وهوالرسول المطلق وله الرسالة المطلقة؛ و هومن الغوامض المستغرقة فى الغموض والدقة «نورى».

۲ـ جاء به ـ م.

حال المحدثين ايضاً كما فی قوله صلی الله عليه واله : ان فی امتی مكلمين محدثين، والاول وهو قوله: جمع له النبوة فيرى فی منامه، حال الانبياء، وكذا قوله: واما المحدث فهو الذی يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى فی منامه، اراد بالتحديث التعليم الباطنی و بالسماع السماع العقلی.

فاعلم ان هذه الاحوال السنية ماخلا الرسالة و رؤية جبرئيل عيانا و سماع الكلام منه صريحاً مما يقع فيه الاشتراك بين الانبياء و الرسل والمحدثين من هذه الامة، بل ماخلا الارض عن النبوة الباطنية الانبوة التشريع واطلاق الاسم، وماانقطعت الرسالة والوحی الامن وجه خاص و بقيت الانذارات والمبشرات.

قال بعض العرفاء ممن لايجازف فی الكلام فی باب الخامس والخمسين والمائة من كتابه: ان النبوة والرسالة قد انقطعت كما قاله رسول الله صلی الله عليه واله، وما انقطعت الامن وجه خاص انقطع منها[1] مسمی النبی والرسول، فلهذا قال: فلا رسول بعدی ولا نبی، ثم ابقی منها المبشرات وابقی منها حكم المجتهدين وازال عنهم الاسم وبقی[2] الحكم و امر من لاعلم له بالحكم الالهی ان يسأل اهل الذكر، فيفتونه بما ادی اليه اجتهادهم و ان اختلفوا كما اختلفت الشرائع قال : لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا (المائدة ـ ۴۸) وكذلك كل[3] مجتهد جعل له شرعة من دليله و منهاجاً وهو ماعين[4] دليله فی اثبات الحكم و يحرم عليه العدول عنه، وقرر الشرع الالهی ذلك كله.

وقال: فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها ما انقطعت وما نسخت، و انما انقطع الوحی الخاص بالرسول والنبی من نزول الملك علی اذنه وقلبه وتحجير اسم النبی والرسول، فلايقال فی المجتهد انه نبی ولا رسول كما حجر الاجتهاد الانبياء فيما تشرعه، وهذا اللفظ خاص بالانبياء والرسل.

۱ـ وانما انقطع «الفتوحات».

۲ـ ابقی «الفتوحات».

۳ـ لكل «الفتوحات».

۴ـ وهو عين «الفتوحات».

ثم قال: و اما الاولياء فلهم فی هذا النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا ولاسيما والنبی قدقال فيمن حفظ القران: ان النبوة قد ادرجت بين جنبيه، فانها لـه غيب و هی للنبی شهادة، فهذاهو الفرقان بين النبی والولی فی النبوة فيقال فيه نبی ويقال فی الولی وارث، و الوراثة نعت الهی فانه قال عن نفسه انه: خير الوارثين (الانبياء ـ ٨٩).

فالولی لايأخذ النبوة من النبی الابعد ان يرثها الحق منهم ثم يلقيها الى الولی، الى اخر هذا الكلام وقد نقلنا الشمة فيماسبق من كلامنا فی شرح الكتاب الاول.

الحديث الرابع

و هوالتاسع والثلاثون واربع مائة

«علی بن محمد[1] ومحمد بن يحيی، عن محمد بن الحسين عن علی بن حسان، عن ابن فضال عن علی بن يعقوب الهاشمی»، روی عن مروان بن مسلم وغيره، و روی عنه احمد بن الحسين بن علی بن فضال و احمد بن هلال و محمد بن احمد، عن الحسن العلوانی[2]. «عن مروان بن مسلم عن بريد، عن ابی جعفر و ابـی عبدالله عليهما السلام فی قوله عزوجل: ومـاارسلناك قبلك من رسول ولانبی ولامحدث، قلت: جعلت فداك ليست هـذه قرائتنا فما الرسول و النبی و المحدث؟ قال: الرسول الـذی يظهر له الملك فيكلمه والنبی هوالذی يری فی منامه و ربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحـد والمحدث الذی يسمع الصوت ولايـری الصورة. قال، قلت: اصحلك الله كيف يعلم ان الذی رأی فی النوم حق وانه من الملك؟ قال: يـوفق لذلك حتی يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الانبياء».

الشرح

اما شرح معنی النبی والرسول والمحدث فقد مضی بمايسع الـوقت كشفه، و

١ـ احمد بن محمد (الكافی).

٢ـ احمد بن الحسن القطوانی «جامع الرواة».

هذه علوم كشفية و ذوقية ظفر بها علماء الاخرة و حرم ذلك على علماء الدنيا الراغبين فى جاهها و مالها، ولايكاد نظرمن لاذوق له وان كان معدوداً من اهل الذكاء و الفطنة[1] ان يصل اليها، اذالعلم بهاكالعلم بكيفية حلاوة السكر لايحصل بالوصف ممن ذاقه لمن لم يذقه.

و مما ينبئك عن شرف علوم اهل المعرفة وعلماء الاخرة ان العلوم كلها لايتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق الاخلاص والتقوى، بل ربماكان محبة الدنيا عوناً على تحصيلها واكتسابها، لاطلاع الجمهور على نتائجها وثمراتها التى بهامصالح الخلق ونظام معشيتها الدنيوية ، فيتحملون المشاق وسهر الليل والصبر على الغربة و الاسفار لطلب الحديث و الاسناد العالية لاستشعارهم حصول الجاه و الرفعة بحصول العلم.

و اما علوم هؤلاء القوم فلايحصل مع محبة الدنيا ولاينكشف الابمجانبة الهوى والتوحش عن صحبة ابناء الزمان وعاداتهم الرديئة و اخلاقهم السيئة وملازمة التقوى، قال الله تعالى: واتقوا الله ويعلمكم الله (البقرة ـ ٢٨٢)، جعل العلم ميراث التقوى، و غيرعلوم هؤلاء ميسر من غير ذلك بلاشك، فعلم من ذلك فضل علوم علماء الاخرة على علوم غيرهم.

و اما قول القائل: كيف يعلم ان الذى رأى فى النوم حق وانه من الملك؟ فهذا مما ذكره الصوفية فى كتبهم و بحثوا عن التميز بين الخواطر والمنامات و الفرق بين ماهو من قبل الله والملك و بين ماهو من قبل الشيطان والنفس.

وما اجاب عليه السلام بقوله: يوفق لذلك حتى يعرفه، اشارة الى ان من له اهلية ان يرى الملك فى المنام كان له من التوفيق الالهى والهداية الربانية ان يعرف به التميز بين الهام الملك و وسوسة الشيطان لانه كان على بينة من ربه، هذاالذى ذكره عليه السلام اصل الكلام فى هذا المقام.

لكن العرفاء واصحاب الرياضات والمكاشفات بعدمابينوا اقسام المكاشفة والمشاهدة

١ـ الفتنة ـ م ـ ط.

قد قرروا للفرق بين الخواطر علامات و شواهد يعرفون بها صحة مناماتهم و مكاشفاتهم.

قالوا اولا فی مراتب الكشف وانواعها على الاجمال: ان الكشف منه معنوی ومنه صوری، وعينوا بالصوری مايحصل فی عالم المثال من طريق الحواس الخمس، و ذلك اما على طريق المشاهدة كرؤية المكاشف صور الارواح المتجسدة و الانوار الروحانية واما على طريق السماع، كسماع النبی صلى الله عليه واله الوحی النازل عليه كلاما منظوما اومثل صلصلة الجرس و دوی النحل كماجاء فی الرواية فانه صلى الله عليه واله كان يسمع ذلك و يفهم المراد منه، او على سبيل الاستنشاق وهو التنسم بالنفحات الالهية والتنشق بالروائح[1] الربوبية حيث روی انه قال: ان لله فی ايام دهركم نفحات الافتعرضوا لها، وقال: انی لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن.

اوعلى سبيل الملامسة وهی بالاتصال بين النورين اوبين الجسدين المثالين[2] كماروی ابن عباس[3] انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: رأيت ربی فی احسن صورة فقال: فبم تختصم الملاء الاعلى يامحمد؟ قلت: انت اعلم ای ربی مرتين، قال: فوضع الله كفه* بين كتفی فوجدت بردها بين ثديی فعلمت مافی السموات و الارض[4]، ثم تلى هذه الاية: وكذلك نری ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين (الانعام ـ ۷۵).

۱ـ لفوحات «شرح الفصوص للقيصری».

۲ـ المثاليين «شرح الفصوص».

۳ـ عبدالرحمن بن عايش «الشرح».

۴ـ ومافی الارض «الشرح».

* لعل موضع الكف فی هذا المقام هوالاشارة الی ان اختصام الملاء الاعلى انما هو فيه، اذالملاء الاعلى منهم جمالی و منهم جلالی، و اما الجماليون فهو الموكلون القائمون بالامر التشبيهی، واما الجلاليون فهوالموكلون القائمون بالامر التنزيهی، فوضع الكف بين الكتفين هوالاشارة الی كون الكمال فی باب المعرفة وتمامها هوالقيام بالامر بين الامرين بان يحصل التنزيه فی عين التشبيه والتشبيه فی عين التنزيه كماهو مقتضی المشرب الجامع اعنی مشرب جامع الجوامع كما قال صلى الله عليه واله: اوتيت جوامع الكلم «نوری».

اوعلى طريق الذوق كمن يشاهد انواعاً من الاطعمة فاذاذاق منها و اكل اطلع على معان غيبية، قال النبى صلى الله عليه واله، رأيت انى اشرب اللبن حتى خرج الرى[1] من اظفارى فاولت ذلك بالعلم.

وانواع الكشف الصورى اما ان يتعلق بالحوادث الدنيوية ام لا ، فان كانت متعلقة بها تسمى رهبانية، و اهل السلوك لعدم وقوف هممهم العالية فى الامور الدنيوية لايلفتون[2] الى هذه القسم من الكشف لصرفها فى الامور الاخروية و احوالها و يعدونه من قبيل الاستدراج[3] والمكر بالعبد، بل كثير منهم لايلتفتون الى القسم الاخروى ايضاً، وهم الذين جعلوا غاية مقصدهم الفناء فى الله والبقاء بالله[4]، وان لم يكن متعلقة بها فهى مطلوبة معتبرة.

وهذه المكاشفات قل ماتقع مجردة عن الاطلاع بالمعانى الغيبية بل اكثرها يتضمن المكاشفات المعنوية ويكون اعلى مرتبة واكثر يقينا لجمعها بين الصورة والمعنى، ومنبع هذه المكاشفات هو القلب الانسانى[5] بذاته وعقله المنور العملى المستعمل لحواسه الروحانية، فان للقلب عينا و سمعاً وغيرذلك من الحواس ؛ و فى الاحاديث المشهورة مايؤيد ذلك كثيرة وتلك الحواس الروحانية اصل هذه[6] الحواس الجسمانية، فاذا ارتفع الحجاب بينها و بين الخارجية يتحد الاصل مع الفرع و يشاهد بهذه الحواس مايشاهد بها، والروح يشاهد جميع ذلك بذاته، لان الحقائق تتحد فى مرتبته، كمامر ان الحقائق

۱ــ الرو: الخصب، واصله روى فقلبوا الياء واواً، الروى الماء الغزير، الرى: اسم من ارتوى الشجر.

۲ــ لايلتفتون «الشرح».

۳ الاستدراج هو اظهار الايات وخوارق العادات على يدالسالك مع سوء الادب و مخالفة اداب الطريقة، ولعله ادخلها فى المعجزة و نحوها مجازاً «نورى».

۴ــ به «الشرح».

۵ــ والمراد من العقل ههنا هو القلب الذى ملهم بالمعانى ويكشف له الحقائق و الارواح كما سنشيراليه بعيد هذا «نورى».

۶ــ اتصل بهذه «الشرح».

كلها فی العقل الاول متحدة.

واما الكشف المعنوی المجرد من صور الحقائق الحاصل من تجليات اسم العليم والحكيم وهو ظهور المعانی العقلية و الحقائق الغيبية[۱] فله ايضاً مراتب: ظهور[۲] المعانی فی القوة المفكرة من غير استعمال المقدمات وتركيب القياسات، بل بان ينتقل الذهن من المطالب الی مباديها ويسمی بالحدس.

ثم فی القوة العاقلة المستعملة للمفكرة و يسمی بالنور القدسی، و الحدس من لوامع انواره فهی ادنی مراتب الكشف المعنوی، ثم فی مرتبة القلب و يسمی بالالهام ان كان المكشوف معنی من المعانی[۳]، وان كان حقيقة من الحقائق او روحاً من الارواح يسمی مشاهدة قلبية[۴]، ثم فی مرتبة الروح فيسمی بالشهود الروحی، فهو بذاته اخذ من الله العليم و يفيض علی ماتحته من القلب و قوة الروحانية والجسمانية، ثم فی مرتبة السر ثم فی مرتبة الخفی بحسب[۵] مقاميهما[۶] ولايمكن اليه الاشارة ولايقدر علی اعرابهما[۷]

۱ــ ظهور المعانی الغيبية والحقائق العينية «الشرح».

۲ــ اولها ظهور «الشرح».

۳ــ والفرق بين المعنی والحقيقة كالفرق بين العرض والجوهر، وبعبارة اخری: كالفرق بين الماهية والوجود، والفرق بين القلب و الروح كالفرق بين الفرقان والقران وكالكتاب والحكمة، و محصله و مرجعه هو التفصيل و الاجمال، والروح مظهر الاسم والاسم مظهر الذات كما يومیء اليه السر والخفی بوجه خفی «نوری».

۴ــ ان كان الظاهر معنی من المعانی الغيبية لاحقيقة من الحقائق و لاروحاً من الاواح وان كان روحاً من الارواح المجردة اوعيناً من الاعيان الثابتة فيسمی مشاهدة قلبية «الشرح».

۵ــ قال الشيخ العارف المحقق كمال الدين عبدالرزاق القاسانی فی كتاب الاصطلاحات فی المقامات الثلاثة: ای السر و الخفی والاخفی: هی مقام قاب قوسين و مقام او ادنی ومقام البقاء بعدالفناء، قال: مقام الاول هو الترقی الی عين الجمع و الحضرة الاحدية و هو مقام قاب قوسين مابقيت الاثنينية، فاذا ارتفعت فهومقام او ادنی و نهاية الولاية، والثالث السير بالله عن الله المتكميل وهومقام البقاء بعدالفناء وهوالفرق بعدالجمع.

۶ــ مقاميه «النسخة البدل فی الشرح».

۷ــ اعرابها «الشرح»

العبارة .

فهذا خلاصة ماذكره بعض الشارحين لكتبهم مثل فصوص الحكم و غيره.

وقالوا ايضا فی الفرق بين الالهام و الوحی: ان الالهام قديحصل من الحق تعالی من غير واسطة الملك و الوحی يحصل بواسطته، ولذلك لايسمی الاحاديث القدسية بالوحی والقران و انكانت كلاماً[1]، وايضاً قد مر ان الوحی قد يحصل بشهود الملك وسماع كلامه فهومن الكشف الصوری المتضمن للكشف المعنوی، والالهام من المعنوی فقط، و ايضاً الوحی من خواص الرسالة و متعلق بالظواهر[2] و الالهام من خواص الولاية، و ايضاً هومشروط بالتبليغ كما قال : يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك (المائدة ـ ۶۷)... الاية دون الالهام.

واما معرفة الخواطر و تفصيلها والتميز بين اقسامها فقد تعرضوالها وبسطوا القول فيها فی كتبهم ورووا عن رسول الله صلی الله عليه واله انه قال: للشيطان لمة بابن‌ادم و للملك لمة، و امالمة الشيطان فايعاد بالشر و تكذيب بالحق و امالمة الملك فايعاد بالخير و تصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمدالله[3] و من وجد الاخری فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء (البقرة ۲۶۸).

قالوا: و من الخواطر ماهو رسل الله الی العبد كما قال بعضهم: ان لی قلبا[4] ان عصيته عصيت الله، وهذا حال عبد استقام قلبه.

و قد ورد فی الخبر: ان الشيطان جاثم[5] علی قلب ابن‌ادم فاذا ذكر الله خنس[6]

۱ـ كلام الله تعالی «الشرح».

۲ـ من خواص النبوة لتعلقه بالظاهر « الشرح » .

۳ـ فليحمدالله « الاحياء » .

۴ـ قال لی قلب « الاحياء ».

۵ـ ای: لاصق.

۶ـ تولی وخنس « الاحياء » الخناس الشيطان لانه يخنس اذا ذكرالله، ای يذهب ويستتر، و فی التفسير له رأس كرأس الحية... الحديث فيقال: خنس يخنس اذا تأخر.

و اذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه، وقد قال سبحانه: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو لـه قرين (الزخرف ـ ۳۶)، فالذكر لله من احدى العلامات التى يعرف بها ان الخاطر شيطانى ام روحانى.

وقالوا ايضاً: الفرق بين الواردات يتعلق بميزان السالك المكاشف؛ وهذا قريب مما ذكره عليه السلام، و معذلك نومىء بشىء يسير مما ذكره فى التميز وهو:

ان كل مايكون سببا للخير بحيث يكون مأمون الغائلة فى العاقبة ولايكون سريع الانتقال الى غيره ويحصل بعد توجه تام الى الحق ولذة مرغبة فى الطاعة والعبادة فهو ملكى او روحانـى، والذى بالعكس شيطانى او نفسانى، ومايقال من ان[1] مايظهر من اليمين او القدام اكثره ملكى ومـا يظهر من اليسار والخلف اكثره شيطانـى ليس من الضوابط، اذ الشيطان يأتـى من الجهات كلها كما نطق به القران الكريم: ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم و عن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين[2].

و ايضاً كل مـايتعلق بالامـور الدنيويـة و الحظوظ النفسانية من الكشوف و المشاهدات الجزئية مثل احضار الاشياء الغائبة عن المكاشف فى الحال كاحضار الفواكه الصيفية فى الشتاء مثلا والاخبار عن قـدوم زيد غداً وامثال ذلك ممايعـده العامة كرامة فهو من الجن، وطى الزمـان والمكان والنفوذ من الجدران من غير الانثلام و الانشقاق ايضاً من خواصهم وخواص الملائكة التى فوقهم، وان لم يتعلق بها و تعلق بالاخرة او كان من قبيل الاطلاع على الضمائر وكشف القلوب والخواطر او كشف القبور ومايقع فيها ملكى وكذا مايتعلق بانكشاف العلوم الحقيقية، لان الجن والشياطين لايقدرون على ذلك.

والحق ان المكاشفات الصورية ان وقعت من غير الكاملين فى العلم واليقين فهى من باب الاستدراج والمكر و من اسباب الشقاوة والبعد والطرد عن باب الله الى باب

۱ـ ومايقال ان «الشرح».

۲ـ الاعراف ـ ۱۷، هذه العبارات مذكورة فى الفصل السابع فى مقدمة شرح القيصرى على الفصوص مع ادنى تغيير وتوضيح واسقاط بعض العبارات، و نبذة منها من احياء العلوم للغزالى التى استطرد فيها.

الشيطان، و اما مايكون للمتصرفين فى الوجود[1] و اصحاب المقامات كالاحياء والاماتة واخراج المحبوسين فى البرازخ من الحبس وقلب الحقائق العنصرية كقلب الماء هواء و بالعكس فذلك رحمانى من قبل الله، لان امثال هذه التصرفات من خواص المرتبة الالهية القائم بها الكل من الرسل والاقطاب كخاتم الانبياء والرسل والمهدى عليهم السلام فى اخر الزمان.

واما قوله عليه السلام: لقد ختم الله بكتابكم الكتب و ختم بنبيكم الانبياء، فوجه ذلك مع مادل عليه من الشواهد السمعية والايات القرانية: ان النفوس والغرائز من زمن نزول ادم و ابتداء خلق العالم فى الترقى دائماً بحسب قابلياتها و استعداداتها والارتقاء من حضيض النقص الى ذروة الكمال والارتفاع من مهوى البعد وارض السفالة الى بقاع الرفعة وسماء القرب من المبدأ المتعال.

و ذلك ببعثة الانبياء ونزول الملائكة بالكتب والصحف المنزلة عليهم من ملكوت السماء لتعليم الامم وهدايتهم وتخليصهم عن القيود و التعلقات وتكميل نفوسهم بانوار العلوم والمعارف والايات، وكلما زادوا فى الاستعداد و صفت اذهانهم بالتلطيف والتأديب استعدوا واستحقوا لشريعة جديدة واحكام اخرى ناسخة لما سبق من الاحكام، و هكذا الى ان انتهت الشرائع و الاديان الى شريعة لااكمل منها و دين لااتم منه وهو الاسلام لقوله تعالى: اليوم اكملت لكم دينكم (المائدة ـ ۳)... الاية، وبلغت الكتب المنزلة الى كتاب هو كلام الله النازل بالحق على قلب عبده كما قال: نزل عليك الكتاب بالحق (ال عمران ـ ۳)، وقال: نزله على قلبك (البقرة ـ ۹۷)، اى نزل حقائق القران وانوار الكتاب على قلبك بالحقيقة متجلية بسرك و روحك لاصورة الفاظ مكتوبة على الواح احجار مقروئة كل قار سريانية او عبرانية وكما قال: و بالحق انزلناه و بالحق نزل (الاسراء ۱۰۵)، يعنى نزل بالحقيقة لابالصورة فقط.

۱ـ السرفيه هوان النفس بماهى نفس متعلق بالبدن لايؤثر ايجاباً بل يؤثر اعداداً، فانها تفعل و تؤثر بالبدن و بوصفه فهى انما يكون مبدأ للحركة لامبدأ للوجود، والتصرف بالايجاد شأن العقل الكلى لاالنفس بماهى نفس، فافهم «نورى».

ثم اخبر عن حقيقة الكتاب الذى[1] كلام الحق بقوله: ولكن جعلناه نورانهدى به من نشاء من عبادنا (الشورى ـ ۵۲)، اشارة الى ان تعليم القران بان يتجلى نور الكلام[2] الذى هوحقيقة القران على قلب من يشاء من عباده.

و من علمه الرحمن القران[3] بهذا التعليم يكون عليه من الله فضلا عظيما كما قال بعد امتنانه على عباده ببعثة الرسول وتعليمه اياهم الكتاب والحكمة: وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ۲ و ۳)، كما قال لحبيبه بعد تعليمه: و علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (النساء ـ ۱۱۳)، فمن ذلك الفضل العظيم فى حقه ان نزل على قلبه حقيقة القران قبل ان نزل صورة الكتاب والكلام على سمعه وصورة المتكلم وهو الملك على بصره وقال: وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس (ال عمران ـ ۴)، يعنى لاتظنن يا محمد ان انزال الكتب الاخرى على الانبياء كان كتنزيل القران بالحق و الحقيقة على قلبك، فيكاشف عند تجلى انواره و حقائق اسراره التى بينى وبينك فى مقام او ادنى حيث لايطلع عليه ملك مقرب ولانبى مرسل.

وانما انزلت الكتب على الانبياء عليهم السلام بالصورة على ظواهرهم مكتوبة فى صحائف و الواح يقرأها كل قارىء ويستوى فى هداها الانبياء و الامم لقوله: هدى للناس، عمهم فيه، لان معظم مافى التورية الاحكام الظاهرة وكنت مخصوصاً بالهداية و اهل بيت نبوتك عند تجلى انوار القران على قلبك فينعكس منه على قلوبهم للقرابة والمناسبة المعنوية و الصورية دون الصورية فقط كما قال: ولكن جعلناه نورانهدى به من نشاء

۱ـ هو كلام ـ م.

۲ـ مرتبة الكلام مرتبة الصنع والصنع صفة الصانع، ومرتبة الكتاب مرتبة المصنوع و المصنوع لايكون صفة للصانع، ان الله لا يوصف بخلقه، فافهم «نورى».

۳ـ فيه قال تعالى: الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان فان الانسان الكامل الختمى صلى الله عليه واله خلق و يخلق بالقران والقران هو البيان لانه بيان كل شىء و فى الاية النشر على ترتيب اللف فيه سر عظيم فتلطف لئلايفوت عنك سرسيرة كريمة وماترى فى خلق الرحمن من تفاوت «نورى».

من عبادنا (الشوری ـ ۵۲).

ثم قال مؤكداً لمعناه ومؤيداً لفحواه: و انزل الفرقان (ال عمران ـ ۴)، سماه الفرقان كما سماه القران كل منهما من جهة اخری ، فالقران للمقام الجمعی و العلم الاجمالی وهو المسمی عند الكحماء الالهيين بالعقل البسيط والفرقان لمقام الفرق والعلم التفصيلی المسمی عندهم بالعقل النفسانی المنبعث من العقل البسيط انبعاث القدر من القضاء و القضاء من العناية ، لان العقل القرانی كل الاشياء كما مرت الاشارة اليه.

و ايضا سمی القران فرقانا لحصول الفرق بين تنزيله علی قلب رسول الامی و بين انزال الكتب علی ظاهر الانبياء اونفوسهم، وكذا الفرق متحقق بين تعلمه القران و بين تعلمهم الكتب، فانهم كانوا يتدارسون الكتب والنبی صلی الله عليه واله كان يتخلق بالقران، فان افادلهم الحكمة فقد افادله ان اوتی جوامع الكلم و به فضل علی سائر الانبياء وبخمس خصال اخری لقوله: فضلت علی الانبياء بست، وعدمن جملتها بقوله اوتيت جوامع الكلم[1]، فان كانت الكتب يتصرف فيهم، بان يكون الكتاب مع احدهم نورا من الله يجیء به الی قومه ليكون هدی لهم كما قال تعالی: قل من انزل الكتاب الذی جاء به موسی نوراً وهدی (الانعام ـ ۹۱).

فان تصرف نور القران علی قلبه جعله نوراً من الله يجیء به الی الامة و معه القران كما قال: قد جائكم من الله نور، وهو محمد صلی الله عليه واله، وكتاب مبين، وهو

۱ـ وهو تحليل الغنائم و طهارة الارض و اتخاذها مسجداً، و نصر المعروف و هو الرعب، و اوتی جوامع الكلم و اوتی مفاتيح خزائن الارض وختم النبوة ـ هذا حاصل ماقال الشيخ الاكبر الشيخ محی الدين فی الباب الثانی عشر من الفتوحات: ان هذه الست مما اوحی به فی السموات من قوله تعالی: و اوحی فی كل سماء امرها ، و عين اياً من هذه هذه من ای سماء « نوری » .

القران، فشتان بين نبيين رسولين: نبى يجىء ويكون هو بذاته نوراً[1] ومعه كتاب ونبى يجىء ومعه نورمن الكتاب، وفرق ايضاً بين ماشرف به من اكرام الحق وبين ماشرفوا به، فقال تشريفا لموسى عليه السلام كليمه: وكتبنا لـه فى الالواح من كل شىء موعظة (الاعراف ـ ۱۴۵)، وقال تشريفا لحبيبه: فاوحى الى عبده ما اوحى[2]، وقال تشريفا لامته: اولئك كتب فى قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه (المجادلة ـ ۲۲) ، فشتان بين نبى تشرف بكتابة الموعظة لـه فى الالواح و بين نبى تشرف امته بكتابـة الايمان لهـم فى قلوبهم.

والايمان عبارة عن العلم بالله و مـلائكته وكتبه و رسله واليوم الاخر، فما اعظم واشرف قدرهم فضلا عن قـدر نبيهم؟ و له الخلافة الكبرى و مظهرية الاسم الجامع الالهى وهو الاسم الله الجامـع لجميع الاسماء الذى منه الفيض والاستمداد عليها ، و كذا حال مربوبه ومظهره وهو حقيقة المحمدية التى ترب صور العالم ومعانيها، فبصورتها التى هى مظهر الاسم الظاهر يرب صور العالم وبباطنها يرب باطن العالم، لانه صاحب الاسم الاعظم و له الربوبية المطلقة على الاسماء كلها و لهذا قال تعالى: هو الذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله (التوبة ـ ۳۳).

و روى انـه قاله صلى الله عليه واله : خصصت بفاتحة الكتاب ، وهى مصدرة بقوله تعالى: الحمدلله رب العالمين (الفاتحة ـ ۱)، فجمع عوالم الاجسام والارواح كلها، وهذه الربوبية من جهة حقيقته لامن جهة بشريته، فانها من تلك الجهة فهى عبد مربوب محتاج كما نبه عليه بقوله تعالى: قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى (الكهف ـ ۱۱۰) ، و نبه

۱ـ فالنور الحقيقى القرانى صار فى حقه صلى الله عليه واله جوهريا والنور الكتابى صار فى حقهم عرضا وعرضيا، وهذا كالفرق بين النيرين الشمس والقمر والانوار التفصيلية يقوم بقلبه قيام صدور وبقلبهم قيام عروض «نورى».

۲ـ النجم ـ ۱۰، مرتبة اوحى ما اوحى درجة الحكمة التى هى نور ينكشف به حقائق الاشياء كماهى واثر المواعظ كما قرر فى محله انما هو عقد القلب على العمل بدين الحق و لا يوجب نور الايمان ولا يلزم منه اليقين بخلاف الحكمة، قال الله تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظه الحسنة... الاية «نورى».

بالجهة الاخرى[1] بقولـه: وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (الانفال ـ ۱۷)، فاسند رميه الى الله وهذا المعنى لايمكن الا بالقدرة التامة والصفات الالهية، فله كل الاسماء يتصرف بها فى العالم حسب استعدادهم.

ولماكانت هذه الحقيقة مشتمله على الجهتين الالهية و العبودية لايصح لها ذلك باصالة بل بالتبعية وهى الخلافة، فلها الاحياء والاماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات ليتصرف فى العالم و فى نفسها و بشريتها ايضاً لانها من العالم، و بكائه وضجره وضيق صدره لاينافى ما ذكرناه فانه بعض مقتضيات ذاته وصفاته.

والحاصل ان ربوبيته وتصرفه فى العالم بالصفات الالهية التى له من حيث مرتبته وقربه، وعجزه ومسكنته وجميع مايلزمه من النقائص الامكانية من حيث بشريته الحاصلة من التقيد و التنزل الى العالم السفلى ليحيط بظاهره خواص العالم الجسمانى و بباطنه خواص العالم الروحانى فيصير مجمع البحرين[2] و مظهر العالمين، فنزوله ايضاً كماله كما ان عروجه الى مقامه الاصلى كمالـه، يعرف ذلك من تنور قلبه بالنور العرفانى، فهذا ماقصدنا ايراده فى هذا المرام والله ولى الفضل والانعام.

۱ـ الاولى فى الاستشهاد للجهة الاخرى قوله تعالى: ليس كمثله شىء، فانه صريح فى الخلافة الكلية فى الربوبية المطلقة، فتلطف فافهم ان شاء الله «نورى».

۲ـ اقول: ومن هنا ينكشف حقيقة حال مافى اسئولة رأس الجالوت عن على بن موسى-الرضا عليهما السلام و روحى لهما الفداء حيث قال: ماالواحد المتكثر و المتكثر المتوحد و الموحد الموجد والجارى المنجمد والناقص الزائد؟ و قد صـدر عن معدن العصمة و مصـدر الحكمة عليه السلام ما صـدر فى مقام الجواب عن تلك الاسئولة الغامضة، وساق الكلام عليه السلام فى مقام الى ان قال: ونص بـه القران حيث قال: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان فباى الاء ربكما تكذبان، و تعلم قولنا: من كان فـى سنخ الانسان ... الى الاخره، وهوالبرزخ، هوالحضرة الختمية صلى الله عليه واله، فافهم ان شاءالله «نورى».

باب ان الحجة لايقوم لله على خلقه الا بالامام

وهو باب الرابع من كتاب الحجة وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هوالاربعون واربع مائة

«محمد بن يحيى العطار، عن احمد بن محمد بن عيسى؛ عن ابن ابى عمير، عن الحسن بن محبوب، عن داود الرقى، عن العبد الصالح عليه السلام قال: ان الحجة لاتقوم لله على خلقه الا بامام حتى يعرف».

الشرح

قد علمت ان الحجة حجتان: حجة باطنة وحجة ظاهرة، اما الحجة الباطنة فهى النور البارق القدسى و البرهان النير العرشى الـذى اشرق من الافق الاعلى فيتنور به عين القلب وينكشف له احوال المبدأ والمعاد فيهتدى الى طريق الحق وسلوك الاخرة والنجاة عن العذاب يوم القيامة و يعرف حكمة الرسالة و البعثة فهو رسول من داخل، فيذعن لذلك النور النفس و قواها المحجوبة عن عالم الاخرة و الغيب ، المكبوبـة الى اغراض الدنيا و دواعيها المقيدة بسلاسل التعلقات والشهوات، فينزعج عن مستقرها ويرتقى بمشايعة الروح الى منازل القرب و الرحمة و الراحة و الرضوان و ينجوعن عذاب القطيعة والحرمان والام السيئات والعصيان.

واما الحجة الخارجة فهى الانبياء بمعجزاتهم الظاهرة والائمة بكراماتهم الباهرة، وانت تعلم ان الذى يرى فى باطنه وقلبه نوراً من الله وحجة منه اليه، وجـود مثله يقع فى قليل من الناس اقل من الكبريت الاحمر ، ونعم ماقيل: جل جناب الحق ان يكـون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحداً بعد واحد.

فالخلق كلهم الاواحـداً او شاذاً محتاجون الى حجة ظاهرة اما رسولا او نائباً

منه اماماً ، فثبت ان لايقوم الحجة[1] الله بعد رسوله على خلقه الابامام حتى يعرف الخلق بتعريف الامام و تعليمه اياهم و ارشادهم معبودهم[2] وخالقهم و طريق عبادته وطاعته و سبيل التقرب اليه و التخليص من عذاب يوم القيامة.

و قد سبق ان كتاب الله لاشتمال اياته على محكمات و متشابهات و ظواهر و مأولات و نواسخ ومنسوخات لايكفى بمجرده لان يكون حجة لله على عباده، و لايضاً الذين يعدون انفسهم من العلماء و الناس يزعمون بهم انهم من اهل العلم و اصحاب المعرفة ممن لهم اطلاع على اسرار الايات و رموز القران، بل كما اخبر سبحانه عن امثالهم ونظرائهم من علماء الدنيا بقوله: يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون (الروم - ۷).

فالقران لايكون حجة من الله على الخلق الامع امام من اهل بيت النبوة والحكمة عليهم السلام، وهم شقيق القران الحكيم وشريكه، وانهما كماقيل تركتا[3] رسول الله فى امته وهما الثقلان اللذان لم يضل من تمسك بهما ابداً ولايهتدى من اتخذ من دونهما ملتحداً كمادل عليه الحديث المشهور المتفق عليه بين الجمهور مما اطبقت الامة على صحته عن رسول الله صلى الله عليه واله و اتفقت حفاظ الحديث و رواة الاخبار على روايته بطرق عديدة.

منها انه صلى الله عليه واله قام خطيبا بما يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمدالله واثنى عليه و وعظ و ذكر ثم قال: ايهاالناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب، فانى تارك فيكم الثقلين، ماان تمسكتم بهمالن تضلوا بعدى ابداً وهما كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض و عترتى اهل بيتى ، اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى، اذكركم الله فى اهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما.

۱- الحاجة - م - ط.

۲- الى خالقهم و معبودهم - م.

۳- تريكتا - م - ط.

قال الناقد النحرير ابن الاثير فى نهايته موافقا لشارح صحيح مسلم ابى عبدالله المازرى : سماهما ثقلين لان الاخذ بهما و العمل بمؤداهما ثقيل[1]، و يقال لكل خطير نفيس ثقل ، فسماهما ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما ، وقال الطبى[2] فى شرح المشكوة: شبه بهما الكتاب والعترة فى ان الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين، و سمى الجن والانس ثقلين لانهما فضلا على سائر الحيوان، وكل شىء له وزن وقدر يتنافس[3] فيه فهو ثقل.

و مما اتفقت الامة من الخاصة والعامة على صحته عن النبى صلى الله عليه واله انه قال: الا ان مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجى و من تخلف عنها هلك، كذلك رواه احمد بن حنبل فى مسنده و الحاكم فى مستدركه و اورده السيوطى فى جامعه الصغير والطبى[4] فى شرح المشكوة، ومن طريق عديدة جمهورية: من تخلف عنها غرق، ومن طرق كثيرة خاصية و عامية: من تخلف زخ فى النار بالزاء والخاء المعجمة وكذلك فى الصحيفة المكرمة الرضوية وفى كتاب عيون اخبار الرضا.

و اورد ابن الاثير فى النهاية: من تخلف عنها زخ به فى النار، فسره فقال: اى رفع ورمى، وعلى هذه الرواية الباء ليست للتعدية بل اما مزيده لتأكيد المعنى والعائد لمن، واما للسببية والعائد لمصدر الفعل، اى رفع ورمى فى النار بسبب التخلف.

قال فى شرح المشكوة : شبه الدنيا بما فيها من الكفر و الضلالات و البدع و الاهواء الزائغة ببحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض (النور ـ ۴۰)، وقد احاط باكنافه و اطرافه الارض كلها وليس منه خلاص ولامناص الابتلك السفينة.

۱ـ والعمل بهما ثقيل « النهاية » .

۲ و ۴ـ الطيبى ـ م.

۳ـ نافس نفاساً و منافسة فلاناً فى الامر: فاخره وباراه فيه.

الحديث الثانی
و هوالحادی والاربعون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلی بن محمد؛ عـن الحسن بن علی الوشاء قال: سمعت الرضا و اباعبدالله عليهماالسلام[1] قال: ان الحجة لاتقوم لله عزوجل علـی خلقه الابامام حتی يعرف».

الشرح

معناه كما مضی.

الحديث الثالث
وهوالثانی والاربعون و اربع مائة

«احمد بن محمد عن محمد بن الحسن ، عن عباد بن سليمان» ، همارجلان: احدهما عباد بن سليمان[2] بن محمد بن خالد البرقی روی عنه و كذا بكتابه قاله النجاشی، والاخر روی عنه محمد بن سليمان الديلمی روی عنه الصفار. «عـن سعد بن سعد» ، الاحوص بن مالك الاشعری القمی ثقة روی عن الرضا و ابی جعفر عليهماالسلام و روی الكشی عن اصحابنا عن ابـی طالب عبدالله بن الصلت القمی ان ابا جعفر عليه السلام سأل الله تعالی ان يجزيه خيراً «صه» روی عنه عباد بن سليمان و محمد بن خالد البرقی، «عن محمد بن عمار[3] عن ابی الحسن الرضا عليه السلام قال: ان الحجة لاتقـوم لله علی خلقه الا بامام حتی يعرف».

۱ـ سمعت الرضا عليه السلام يقول: ان اباعبدالله عليه السلام قال: (الكافی).
۲ـ عباد بن سليمان: محمد بن خالد البرقی عنه بكتابه «جش».
۳ـ عمارة (الكافی).

الحديث الرابع
و هوالثالث والاربعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن البرقى عن خلف بن حماد ، عن ابان بن تغلب قال : قال ابوعبدالله عليه‌السلام : الحجة قبل‌الخلق و مع الخلق و بعدالخلق».

الشرح

فائدة هذاالحديث دفع توهم مايظنه‌النفوس العامية ان الذوات‌الكاملة والنفوس العالية و الانوار الشامخة انما خلقت لاجل اهتداء الخلق حتى يكون الغاية فى وجود العالى انتفاع السافل وليس الامر كما زعموه ، فان الغاية دائماً اشرف من ذى‌الغاية، والذى لاجله يكون شيء فذلك الشيء ادون منزلة منه.

و ذلك كما يتوهم ان‌حركات الافلاك و دوران الشمس والقمر والنجوم ودؤبها وسعيها ليلا و نهاراً انما هى لانتفاع السافلات من‌الحيوان والنبات و الجماد بوقوع اشعتها على هذه المواد وحصول الفصول الاربعة و اختلاف الازمنة لانصلاح احوال البقاع والبلاد، بل انما هى مسخرة بامرالله مقيدة بزمام التقدير، و انما يتحرك عبادة لله و تقرباً اليه و تشبها بالمقربين لديه ويلزم من حركاتها نفع السافلات على سبيل التبع، لا انه المقصود بالذات من وجودها وحركاتها.

وكذلك الانبياء والهداة و الحجج ليس الغرض و الغاية فى وجودهم اصلاح حال الامم، بل ماهواعلى من وجودهم[1] و هوالقرب من‌الله والوصول الى لقائه، ولكن تترتب على افعالهم التى بها يتقربون اليه تعالى اهتداء الامة الى سبيل نجاتهم والفوز الى سعاداتهم.

وايضاً وجودالشيء على قسمين: وجوده فى‌نفسه لنفسه و وجوده فى‌نفسه‌لغيره،

۱- وجوههم - م - ط.

و الثانی کوجود الاعراض و الصور المادیة ، فان وجـوداتها فی انفسها هـی بعینها لموضوعاتها و موادها، والاول کوجودالجواهر المفارقة، ولکن قد یعرض لهاالوجود النسبی، کالنفس الناطقة لهاوجودان: وجودها لنفسها وهو وجودها الحقیقی و وجودها للبدن وهووجودالنسبی وهونفسیتها وتدبیرهاله، فاذاانقطع تعلقهاعن البدن زالت نفسیتها ولم تزل ذاتها وحقیقتها، لان وجودها النسبی غیروجودها الحقیقی بخلاف الاعراض، و الصور التی وجودها الحقیقی هو بعینه وجودها النسبی فاذا زالت عن المحل بطلت.

فاذا علمت هذا فنقول: کون النبی والامام حجة للخلق اضافة عارضةله، و ذاته من هذه الحیثیة یکون مع الخلق فاذا لم یکن الخلق لم یکن حجة لهم ، ولکن لایلزم منه ان لایکون موجوداً فی حد ذاته، بل ذوات الحجج الالهیة لکونها مرتفعة الذوات عن المواد و الجسمانیات باقیة فی حد حقائقها و ذواتها ببقاء الله.

فهی قبل الخلق من حیث کـونها واسطة فی ایجاد الخلق، وبعدالخلق من حیث کونها من الغایات التی ینتهی الیها الجسمانیات ، ومع الخلق لتکون حجة لهم و نوراً یهتدون به فی ظلمات احوالهم الی طریق الاخرة وسبیل القدس.

فافهم، ولااراك ان تفهم، لانـك لست من الطیارین ولامن السیارین، فادع الی الله وتضرع الیه و ارج بلطفه و رحمته ان لاتکـون من المحبوسین المقیدین فی سجن التعلق بحبل التقلید، انه لطیف رحیم بمن دعاه ومستجیب لمن ناجاه.

باب ان الارض لاتخلو من حجة

وهو الباب الخامس من کتاب الحجة وفیه ثلاثة عشر حدیثا :

الحدیث الاول

وهو الرابع و الاربعون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن عیسی، عن محمد بن ابی عمیر عن الحسین بن ابی العلاء قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: تکون الارض لیس فیها امام؟ قال: لا، قلت: یکون امامان؟ قال: لا الا واحدهما صامت».

الشرح

اما ان الارض لابد فيها بعد انقراض زمن النبوة من امام، فعليه اتفاق الامة سلفا و خلفا الاشاذاً لايعبأبه مـع اختلافهم فى ان وجوب نصبه علينا سمعاً او علينا عقلا او على‌الله تعالى عقلا.

فالاول مذهب جمهور اهل السنة واكثرالمعتزلة.

والثانى مذهب الجاحظ والكعبى وابى‌الحسن[1] البصرى.

والثالث مذهب الشيعة رحمهم‌الله، فعند بعضهم ليكون معلماً فى‌معرفة الله تعالى وهـو الظاهر من بعض الاحاديث المنقولة فى هذا الكتاب ، وعند بعضهم وهم اكثر الامامية ليكون لطفا فى‌اداء الواجبات العقلية واجتناب المقبحات العقلية، وعند بعضهم وهم الغلاة لتعليم اللغات و احوال الاغذية و الادوية و السموم و الحرف و الصناعات والمحافظة عن الافات والمخافات.

و قالت النجدات قـوم من الخوارج اصحاب نجـدة بن عامر[2]: انـه ليس بواجب اصلا.

وقال ابوبكر الاصم من‌المعتزلة: يجب عند ظهور الظلم.

وقال هشام العوطى[3] منهم: بالعكس، اى يجب عند ظهور العدل لاظهارشعائر[4] الشرع لاعند ظهورالظلم، لان الظلمة لم يطيعوه وصار سبباً لزيادةالفتن.

واماالقائلون بالمذهب الاول فاستد لوابوجوه: الاول‌وهوالعمدة عندهم اجماع الصحابـة و غيرهم حتى جعلوا ذلك اهم الواجبات و اشتغلوا بـه معرضين عن دفن الرسول صلى‌الله عليه واله، كذا عقيب موت كل امام، قالوا: روى انه لماتـوفى‌النبى صلى‌الله عليه واله خطب ابـوبكر فقال: ايها الناس من كان يعبد محمداً فـان محمدا

۱ــ ابى الحسين «تلخيص المحصل».

۲ــ عويمر «شرح المقاصد».

۳ــ القوطى «شرح».

۴ــ شرايع « شرح » .

قدامات و من كان يعبد رب محمد فانه حي لايموت ، لابـد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتواارائكم رحمكم‌الله، فتبادروا من كل جانب وقالوا: صدقت ولكن ننظر في هذا الامر، ولم يقل احد لاحاجة الى الامام.

الثاني ان الشارع امر باقامـة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد و كثير من الامور المتعلقة بحفظ النظام و حماية بيضة الاسلام مما لايتم الا بالامام ، و مالايتم الـواجب المطلق الابه وكان مقدوراً فهو واجب على ماثبت في اصول الفقه. لايقال الامر باقامةالحدودكقطع يدالسارق مثلا ان‌كان مشروطا فلم يكن واجبا مطلقا[1]، لانانقول: فرق بين تقييد الوجوب وتقييد الواجب، فهيهناالوجوب مطلق، اى لم يقيد ولم‌يشترط بوجودالامام، والواجب اعني المأمور به مشروط[2] وموقوف عليه‌كوجوب الصلوة المشروط بالطهارة، واما فيالزكوة فالوجوب مشروط بحصول النصاب‌حتى اذا انتفى فلاوجوب.

الثالث ان في نصب الامام استجلاب منفعة لاتحصى و استدفاع مضار لايخفى وكل ماهوكذلك فهو واجب ، اما الصغرى فتكادتلحق بالضروريات بل‌المشاهدات و تعد من العيان الذي لايحتاج الى البيان، و لهـذا اشتهر ان مانزع[3] السلطان اكثر مما نزع[3] القران، و مايلتئم بالسنان لاينتظم بالبرهان.

و ذلك لان الاجتماع المؤدي الى صلاح المعاش والمعاد لايتم بـدون سلطان يدفع المفاسد و يحفظ المصالح ويمنع مايتسارع اليه الطباع ويتنازع عليه الاطماع، وكفاك شاهداً مايشاهد من‌استيلاء الفتن والابتلاء بالمحن بمجرد هلاك من‌يقوم بحماية الحوزة ورعاية البيضة، وان لم‌يكن على ماينبغي في[4] الصلاح و السداد ولم يخل عن شائبة شر وفساد، ولهذا لاينتظم امر ادنى اجتماع كرفقة طريق بدون رئيس يصـدرون

١ـ لم يكن مطلقا « شرح » .
٢ـ مشروط به « شرح » .
٣ـ ينزع « شرح » .
٤ـ من « شرح » .

عن رأيه و مقتضى امره و نهيه، بل ربما يجرى مثل هذا فيمابين الحيوانات العجم كالنحل لها عظيم يقوم مقام الرئيس منتظم امرها مادام فيها، فاذا هلك انتشرت الافراد انتشار الجراد و شاع فيمابينها الهلاك والفساد.

لايقال غاية الامر انه لابد فى كل اجتماع من رئيس مطاع ينوط به النظام و الانتظام، لكن من اين يلزم عموم رئاسته[1] جميع الناس وشمولها امر الدين على ماهو المعتبر فى الامامة[2]؟

لانا نقول: انتظام امر عموم الناس على وجه يؤدى الى صلاح الدين و الدنيا يفتقر الى رئاسة عامة فيها[3]، اذ لو تعددت الرؤساء فى الاصقاع والبقاع لادى الى منازعات و مخاصمات موجب لاختلال امر النظام، ولواقتصرت رئاسته على امر الدنيا لفات انتظام امر الدين الذى هو المقصود الاهم والعمدة العظمى ، و اما الكبرى فبالاجماع عندنا وبالضرورة عندالقائلين بالوجوب العقلى.

واعترض صاحب تلخيص المحصل بانالصغرى عقلى من باب الحسن والقبح وليس من مذهبكم و الكبرى اوضح من الصغرى فلا حاجة الى التعرض للاجماع، مدفوع بانكون الشيء صلاحاً او فساداً ليس فى شيء[4] من متنازع الحسن و القبح و كون دفع الضرر واجباً بمعنى استحقاق تاركه العقاب عندالله تعالى ليس بواضح فضلا عن الاوضح ، ولاينبغى ان يخفى مثل هذا عليه ولا ان يكون الرجل العلمى فى هذه الغاية من الشعف[5] فى الاعتراض.

لايقال الاجماع على الوجوب انما هو اذالم يتضمن مضرة مثل المضرة المندفعة

١ــ رياستها «شرح».

٢ــ الامام «شرح»

٣ــ فيهما «شرح».

٤ــ فيه مافيه، اذكونه نصب الامام من قبلنا صلاحاً وعدمه فساداً ليس بمحل الكلام بل الكلام فى ذلك النصب وتركه، فتفطن « نورى » .

٥ــ الشغف « شرح » .

اوفـوقها، و ههنا نصب الامام يتضمن مفاسداً لايضبطها العد و الاحصاء لما فى الاراء من اختلافات الاهـواء وفـى الطباع من الاستنكاف عن تسلط الاكفاء، والانسان قليل البقاء على ما عليه من الاهتداء وصلوح الاقتداء فتميل النفوس الى الاباء والاستعصاء و يظهر الفساد و يكثر البغى والعناد[1] ويهلك الحرث والنسل و يـذهب الفرع والاصل، وكفاك شاهداً ماتسمع من قصص انقضاء خلافة عثمان الى ابتداء دولة بنى العباس.

لانا نقول: مضاره بالنسبة الى منافعه ومفاسده بالاضافة الى مصالحه مما لايعبأ[2] بكثرته ويلحق بالعدم فى قلته.

فان قيل: لووجب نصب الامام لـزم اطباق الامـة فى اكثر الاعصار على ترك الواجب، لانتفاء الامام المتصف بمايجب من الصفات سيما بعد انقضاء الدولة العباسية ولقوله صلى الله عليه واله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضاً[3]، وقدتم ذلك بخلافة على عليه السلام، فمعاوية و من بعده مـلوك وامراء لائمة و لاخلفاء، و اللازم منتف، لان ترك الـواجب معصية و ضلالة و الامـة لاتجتمع على الضلالة للحـديث المشهور؟

قلنا: انما يلزم الضلالة لو تركوه عن قـدرة و اختيار لاعن عجز و اضطرار، و الحديث مع انه من باب الاحاد يحتمل الصرف الى الخلافة على وجه الكمال[4]، وقد يتمسك بمثل قوله تعالى: اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ۵۹)، و قوله صلى الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، فان وجوب الطاعة والمعرفة يقتضى وجوب الحصول.

واما انه لايجب علينا عقلا ولاعلى الله اصلا، فلما مرمن بطلان الاصلين[5].

۱ـ العناء ـ ط.

۲ـ اى ان كان كثيراً الا يعبأ بكثرته وان كان قليلا يكون ملحقا بالعدم.

۳ـ اى ملكا بكره و جبر.

۴ـ اى ماقال صلى الله عليه واله بانقضائه هو الخلافة على وجه الكمال مطلقا.

۵ـ اى وجوب العقلى على مذهب الاشعرى باطل.

هذه زبدة ما ذكره هـذه الفرقة، فانظر الى مرتبة عقول هؤلاء و منزلـة امامهم الذى اوجبوا على الرعية نصبه ولايجب بزعمهم على الله و لامن الله ولاشرعا و لاعقلا، ثم الى استدلالهم المبتنى على نفى الرابطة العقلية بين الاشياء و الايجاب والاقتضاء و على نفى الحسن والقبح الذاتيين فى الافعال، فمع نفى هذين الاصلين ونفى الدواعى والغايات فى الافعال والاثار و تمكين الارادة الجزافية من الفاعل المختار لاادرى كيف يبقى لهم البحث فى شىء والاستدلال وكيف يسع لاحد غيرهم معهم مجال المناظرة والجدال والقيل والقال؟

فعلى مذهبهم لايجب من الله ولاعليه بعثة الرسل عليهم السلام ولا الوحى ولاالكتاب ولا الايمان والالهام.

ثم لم يتفكروا فى انفسهم اذاكان امامة امامهم باختيار الرعية من غير استحقاق ذاتى و تأييد ربانى والهام غيبى، ثم اتفق ان يختاروا بعقولهم الناقصة احداً للامامة و الرئاسته العامة فى امر الدين و الدنيا ولم يكن له من العلم بالله واياته و اسرار التنزيل وانوار التأويل شىء يعتدبه ولا له خير من الحقائق العلمية و المعارف اليقينية، فاذا قدم عليه قادم من الاخيار بل احـد من الحكماء العارفين باحوال المبدأ و المعاد و اراد ان ينظر فى حقيقة هذه الملة حتى يدخل فى الاسلام فكيف يكون الحال اذا كانت له مسائل مشكلة طرأت له من النظر والتأمل فى ايات القران ومافيها من العلوم التى عجزت العقول النظرية عن ادراكها، فمن الذى اجاب عن سؤالاته و تفصى عن اشكالاته؟

فان اصل اصول هذه الدين المتين هو القران المبين والقائم به الحافظ له عن اوهام المضلين وزيغ المبطلين لابد ان يكون مؤيداً من عندالله بنفس قدسية والهام الهى وعلم لدنى، حتى يعلم بتعليم الله اسرار ايات القران و رموزه وظهره وبطنه وتفسيره وتأويله، ومثله يقدر على حل الرموز والغوامض ودفع الشكوك والنواقض فهذا هو اللايق بامر الامامة، ولما كان امره خافياً على الناس فلابـد فى معرفته والاهتداء بهداه والاستضاء بنوره من تعريف ونص من قبل الله و رسوله.

واما استدلالهم بقولـه تعالى: اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم

(النساء ـ ۵۹)، وبقوله صلى الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه فقدمات ميتة جاهلية، فذلك لايدل اصلا على مذهبهم من وجوب نصب الامام عليهم، بل يدل على وجوب الطاعة له والمعرفة به كما دل على وجوب طاعة الرسول وعرفانه لاعلى وجوب نصبهم اياه.

واما القائلون بوجوبه علينا عقلا فاستدلوا على ذلك بان دفع الضرر واجب عقلا كالاجتناب من الطعام المسموم والجدار المشرف على السقوط ولوظنا، ويرد عليهم مثل مايرد على الطائفة الاولى فيقال لهم: ان وجوب اختيار شيء و دفع الضرر به فرع معرفته، فلابد اولا ان يعرف الامام بوصف ماوجب للامام ان يكون عليه حتى يجب اختياره للامامة، ومن اين لكم هذه المعرفة؟ فان استحقاقيته الامامة ليست امراً محسوساً و لابديهيا ولامما يمكن لكل احدان يعرفوا[1].

واحتج هؤلاء على عدم وجوبه على الله تعالى مع ان الوجوب على الله في الجملة مذهبهم، بانه لووجب على الله تعالى لماخلا زمان من الازمنة من امام ظاهر قاهر جامع لشروط الامامة قامع[2] لرسوم الضلالة قائم بحماية بيضة الاسلام واقامة الحدود و تنفيذ الاحكام، واللازم ظاهر الانتفاء فالملزوم منتف.

اقول: والجواب عنه اما اولافبانه منقوض بحال الرسل مع وجوب بعثة الرسول عليه تعالى عندهم، و اما ثانيا فبان النصب للامام شيء و تسليطه على الكفار والفجار باقامة الحدود و تنفيذ الاحكام شيء اخر و لايلزم من نفي احدهما نفي الاخر بل نقول:

ربماكان انتفاع الناس به من خموله و اشتغاله بتعليم العلوم اكثر من انتفاعهم به من ظهوره واستقلاله باقامة الحدود و السياسات، لان الاول ينفع للاخرة والثانى للدنيا و نفع الاخرة خيرمن نفع الدنيا لانه اهم و اتم وابقى.

و اما القائلون بوجوب نصب الامام على الله وهم اصحابنا الامامية رحمهم الله

۱ـ يعرفه ـ م.

۲ـ قاطع «شرح».

فمتكلموهم استدلوا عليه بان: نصب الامام لطف من الله فی حق العباد واللطف واجب عليه تعالى فيكون واجباً عليه، اما الصغرى فلان اللطف وهومايقرب العبد الى الطاعة و يبعده عن المعصية متحقق بنصبه ، فان الناس اذا كان لهم رئيس قاهر يمنعهم من المحظورات ويحثهم على الواجبات، كانوا معه اقرب الى الطاعات وابعد من المعاصى منهم بدونه، و اما الكبرى فلما بينوه فی اصولهم الكلامية.

و هذا الاستدلال لايخلو من ضعف و ذلك لقصور عقولنا عن ادراك غوامض الطاف الله فی حق عباده، و اعترض عليه مخالفوهم بانا نقول بعد تسليم المقدمتين نصب الامام انماكان لطفا واجباً اذا لم يكن لطف اخريقاوم له، والقول بانا نعلم ان اللطف الذى يحصل بالامام لايحصل بغيره مجرد دعوى ليس ببين و لامبين، نعم لو ادعى احدالبديهة فی كونه لطفااذا كان قاهراً زاجراً عن القبائح قادراً على تنفيذ الاحكام و اعلاء لواء الاسلام لكان له وجه ولكن هذا غير واجب عندكم، فالامام الذى ادعيتم وجوبه ليس بلطف والذى هو لطف ليس بواجب.

واجابوا عنه بان: وجود الامام لطف سواء تصرف اولم يتصرف على مانقل عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: لاتخلوالارض من قائم لله بحجة اماظاهرا مشهورا او[1] خائفا مغمورالئلاتبطل حجج الله و بيناته، و تصرفه الظاهر لطف اخر و انما عدم من جهة العباد وسوء اختيارهم حيث اخافوه و تركوا نصرته ففوتوا اللطف على انفسهم، وفيه للكلام مجال وللحضم مقال.

و اما حكمائهم و عرفائهم فيعلمون بقوانينهم العقلية والايات القرانية عدم خلو الارض عمن يقوم به حجة لله على خلقه، اما رسول نبى او امام وصى، و بهذا جرت سنة الله من لدن ادم و نوح و ال ابراهيم و ال عمران وهكذا الى وقت نبينا محمد صلى الله عليه واله.

لكن النبوة ختمت به اعنى نبوة الرسالة والتشريع و بقيت الامامة التى هى باطن النبوة الى يوم القيامة، فلابد فی كل زمان بعد زمان الرسالة من وجود ولى يعبد-

---

١ــ اما «نهج».

الله على الشهود الكشفی و يكون عنده علم الكتاب الالهی و مأخذ علوم العلماء و المجتهدين، وله الرئاسة المطلقة و الامامة فی امر الدين و الدنيا، سواء الرعية اطاعوه او عصوه والناس اجابوه او انكروه، وكماكان الرسول رسولا و ان لم يؤمن برسالته احد كماكان حال نوح عليه السلام مثلا، فكذلك الامام امام وان لم يطعه احد من الرعية، وليس اذا لم يستعلج ولم يستشف المرضى من الطبيب لم يكن طبيبا، فهكذا حكم الذين هم اطباء النفوس ومعالجوا الامراض النفسانية والادواء القلبية وهم الانبياء و الاولياء عليهم الصلوة والثناء[1].

وايضاً قاعدة الامكان الاشرف[2] دالة على وجودهم فی كل زمان كما لايخفی على من تأمل.

و ايضاً ان وجودهم غاية وجود الخلائق من الجن والانس كمادل عليه القران مطابقا للبرهان: وماخلقت الجن والانس الاليعبدون (الذاريات ـ ۵۶)، و هم العابدون العارفون بالله على بصيرة و كشف، وكماان النبوة والرسالة ختمت برسولنا محمد صلى الله عليه واله، فالولاية والامامة يختم باخر اولاد المعصومين، وهو الذی يواطیء اسمه رسول الله صلى الله عليه واله ومعناه معناه وبوجوده اقيمت البلاد و رزقت العباد وبظهوره يملاء الله الارض قسطا وعدلا بعد ماملئت جوراً و ظلما.

و بالجملة لاتخلو الارض ابداً من حجة ، و فی حديث كميل بن زياد النخعی المنقول عن امير المؤمنين عليه السلام مايدل على هذا المطلب وهو قوله عليه السلام بعد كلام

۱ـ قال قدس سره فی الحديث السادس الاتی: و الحاجة الی الامام فی كل زمان اعظم و اهم من الحاجة الی غذائهم وكساهم و مايجری مجراها من المنافع والضرورات، فوجب فی العناية الربانية ان لايترك الارض ... الی اخره، فليراجع.

۲ـ قال قدس سره فی الباب الاتی و هو الباب السادس فی شرح الحديث الاول: فان قلت : هذه القاعدة اعنی قاعدة امكان الاشرف انما يطرد فی الابداعيات التی لايفتقر وجودها الی صلوح قابل... قلنا: حكم الانواع والطبايع الكلية فی ذواتها... الی اخره، فيلراجع.

سابق: يا كميل مات خزان الاموال[١]، والعلماء باقون مابقى الدهر، اعيانهم مفقودة و امثالهم فى القلوب موجودة، آه آه[٢] ان هيهنا (واشار بيده الشريفة الى صدره المنشرح بنور القدس) لعلماً جما لو وجدت له حملة، بلى اصيب[٣] لقناً غير مأمون يستعمل الة الدين فى الدنيا ويستظهر بحجج الله على خلقه وبنعمه على عباده، او منقاداً للحق لابصيرة له فى احيائه[٤]، ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة، الا لا ذا ولاذاك.

او منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات او معزماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين فى شىء، اقرب شبها[٥] بهما الانعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم لله بحجة ظاهر مشهور او مستتر مغمور[٦] لئلا يبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا واين اولئك؟ اولئك والله الاقلون عدداً والاعظمون خطراً[٧]، بهم يحفظ الله حجته[٨] وبيناته حتى يودعوها نظرائهم و يزرعوها فى قلوب اشباههم، هجم بهم العلم على حقائق الامور[٩] وباشروا روح اليقين واستلانوا ماستوعره[١٠] المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى، اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة الى دينه، آه آه شوقا الى رؤيتهم. انتهى الحديث وفيه دلالة على امور:

١ــ الاموال وهم احياء «نهج».

٢ــ هاان ههنا «نهج».

٣ــ اصبت «نهج».

٤ــ مأمون عليه، مستعملا الة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه، اومنقاداً لحملة الحق لابصيرة له فى احنائه «نهج».

٥ــ اقرب شبهاً «نهج».

٦ــ بحجة، اما ظاهراً مشهوراً واما خائفاً مغمورا «نهج».

٧ــ والاعظمون عندالله قدراً «نهج».

٨ــ حججه «نهج».

٩ــ على حقيقة البصيرة «نهج».

١٠ــ ما استعوره «نهج».

الاول ان العالم الحقيقى و العارف الربانى له الولاية على الدين و الدنيا و له الرئاسة الكبرى.

والثانى ان سلسلة العرفان بالله والولاية المطلقة لاينقطع ابداً.

والثالث ان عمارة العالم الارضى و بقاء الانواع فيها بوجـود العالم الربانى ، وقد اقيم عليه البرهان فى الحكمة المتعالية، فيلزم الاعتراف بوجـود امام حافظ للدين فى كل زمان.

الرابع ان هذا القائم بحجةالله لايجب ان يكون ظاهراً مشهوراكهو عليه السلام فى اوقات تمكنه من الخلافة، بل ربمايكون خاملا مستوراً كاولاده المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين.

والخامس ان قوله عليه السلام: هجم بهم العلم على حقائق اليقين وباشروا روح اليقين، دال على ان علوم اولياءالله حاصلة بحدس تام والهام من الله وانه اطلعهم الله على الحقائق و قذف فى قلوبهم نـوراً من لدنه يريهم الله الاشياء كماهى و هـو روح اليقين ، والله ولى المتقين.

الحديث الثانى
و هوالخامس والاربعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم ، عن ابيه عن محمد بن ابى عمير، عن منصور بن يونس و سعدان بن مسلم عن اسحاق بن عمار، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الارض لاتخلـوا لاوفيها امام، كيما ان زاد المؤمنون شيئاً ردهـم ، و ان نقصوا شيئاً اتمه لهم».

الشرح

قد علمت ان الارض لاتخلـو من حجة الله علـى خلقه اما رسول اونائبه الامام على الناس، فبعد انقراض زمان الرسالة لاتخلو الارض من امام هادى للخلق.

وقوله عليه‌السلام: ان زاد المؤمنون[1] الى اخره، معناه ان اضافوا على الدين شيئاً ليس من الدين فيكون لامحالة من بدعة وتشريع ردهم الامام عليه‌السلام الى ماهو من الدين، و ان نقصوا من الدين شيئاً كاهمال فرض او تعطيل حكم من احكام الشريعة اتمه الامام لهم. وبالجملة كلما وقع منهم خطاء فى الاجتهاد قومهم الامام واصلح فسادهم فى جانبى الافراط والتفريط، و ذلك لانهم غير معصومين عن الخطاء، فلابد من امام معصوم عن الغلط والخطاء ليحفظ الدين عن شبهات المخطئين و اغلاط الضالين و تغليطات المضلين.

فان قيل: هيهنا آلة ميزانية تعصم الناس عن الخطاء فى افكارهم فيكتفى بها عن الحاجة الى الامام.

قلنا: قد يقع السهو والاهمال عن مراعات تلك الالة، ولذلك وقع الغلط من المتفكرين العالمين بقوانين الميزان حتى ناقض بعضهم بعضا فى مسألة واحدة كقدم العالم وحدوثه، ولو كانت الالة كافية فى العصمة لم يقع منهم الخطاء.

ثم ان بعض اسرار الدين و اطوار الشرع المبين بلغ الى حد هو خارج عن طور العقل الفكرى وانما يعرف بطور الولاية والنبوة[2]، ونسبة طور العقل و نوره الى طور الولاية ونورها كنسبة نور الحس الى نور الفكر، فليس لميزان الفكر كثير فائدة و تصرف هناك.

الحديث الثالث

و هو السادس والاربعون واربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد عن على بن حكم، عن ربيع بن محمد

۱ــ اى هذا الحكم يكون فى المؤمنين خاصة لامطلقا، فلاتغفل «نورى».

۲ــ ولله دره:

مرغان هوا ز آشيان دگراند مردان خدا ز خاكدان دگراند

المسلی» الكوفی ابن محمد بن عمرو[1] بن حسان الاصم المسلی ، و المسيلة قبيلة من مذحج، روى عن ابی عبدالله عليه السلام قال النجاشی، وقال ايضاً كمافی الفهرست: له كتاب روى عنه عباس بن عامر. «عن عبدالله بن سليمان العامری»، كوفی من اصحاب الصادق عليه السلام، «عن ابی عبدالله عليه السلام قال: مازالت الارض الاولله فيه الحجة، يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس الی سبيل الله».

الشرح

قد سبق فی شرح الحديث الاول من احاديث هـذا الباب: ان الارض لم يزل غيرخالية عن الامام الی قيام الساعة، والذی يزيدك فی هذا باب تأكيداً و ايضاحاً فوق الشواهـد العقلية والمعالم الحكمية مارواه العامة والخاصة على حد التواتر معنى وان كانت الروايات بالفاظ مختلفة عن رسول الله صلی الله عليه واله.

ان اوصيائه وخلفائه وائمة امته من بعده اثنی عشر اماماً بعدد نقباء بنی اسرائيل ، لايزال الدين بهم قيماقويما والاسلام بهم قيما مستقيما الی ان يقوم الساعة، وان الله تعالی جعل الامامة فی عقب الحسين عليه السلام و ذلك قوله عزوجـل : وجعلها كلمة باقية فی عقبه (الزخرف ـ ۲۸)، من انه صلی الله عليه واله قال: يكون بعدی اثنی عشر اميراً، و قال: لايزال هذا الامر فی قريش مابقی منهم اثنان، وفی رواية مابقی من الناس اثنان، و قال صلی الله عليه واله: لايزال امر الناس ماضيا ماوليهم اثنا عشر رجلا، و قال صلی الله عليه واله: ان هذا الدين لاينقضی حتی يمضی فيه اثنی عشر خليفة، وقال صلی الله عليه واله: ان هـذا الدين لايزال عزيزاً منيفاً الی اثنی عشر خليفة، و انه صلی الله عليه واله قال: لايزال هذا الدين قائما حتی يقوم الساعة ويكون عليهم اثنی خليفة، وقال صلی الله عليه واله: اثنی عشر خليفة كلهم من قريش، و فی رواية: لايزال الدين قائما حتی تقوم الساعة ويكون عليهم اثنی عشر خليفة كلهم من قريش، وانه صلی الله عليه واله قال: ان

۱ـ عمر بن حسان « جش » .

عدة الخلفاء من بعدى عدة نقباء بنى اسرائيل.

فهذه الروايات باسرها مستصحبة[1] الاسانيد من طرق العامة مثبتة الصحة فى صحاحهم واصولهم جميعاً وهنالك من الطريقين مسانيد صحاح وطرق مستفيضة يجمعها انه صلى الله عليه واله قال: الائمة بعدى من عترتى عدد نقباء بنى اسرائيل تسعة من صلب الحسين عليه السلام، اعطاهم الله علمى وفهمى والتاسع مهديهم، و فى صحاحهم، الستة وجامع اصولهم انه صلى الله عليه واله قال: المهدى من عترتى من ولد فاطمة يملاء الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما و جوراً، وانه صلى الله عليه واله قال: لايذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى ، وانه صلى الله عليه واله قال : لولم يبق من الدنيا الايوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا منى او من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى يملاء الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلماً و جوراً.

قال شارح المشكوة: هذه الاحاديث و اشباهها فيها دليل ظاهر على ان الخلافة مختصة بقريش ولايجوز عقدها لغيرهم وبين صلى الله عليه واله ان هذا الحكم الى اخر الدهر مابقى من الناس اثنان.

فنقول: من لم يكن فى عقله آفة و على بصيرته غشاوة يعلم ان هذه النصوص المتواترة الصحة دالة على ان خلفاء النبى صلى الله عليه واله من بعده اثناعشر اماما لاغير كلهم من قريش بهم يقوم الدين و يستقيم الاسلام الى قيام الساعة ، ولم يوجد هذا العدد ولاهذا الوصف الا فى الائمة الشيعة الامامية فهؤلاء الاوصياء الخلفاء، فثبت ان الارض مازالت الا ولله فيه الحجة.

وقوله عليه السلام: يعرف الحلال والحرام، اى عرفانا شهوديا عن كشف الهى و الهام، لابطريق استفادة بشرية و رواية سمعية او اجتهاد رسمى او استنباط فكرى، و قوله عليه السلام: يدعو الناس الى سبيل الله، اى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن، كما امر الله عزوجل به الرسول صلى الله عليه واله فى قوله ادع الى سبيل

---

١ ـ مستصحة ـ م.

ربك[1]... الاية، لان الامام نائب الرسول صلى الله عليه واله و خليفة[2] على امته، فيصنع بهم كما صنع ويعلمهم كما علم.

فالدعوة بالحكمة لقوم والموعظة لقوم والجدل لقوم اخرين، و ذلك لاختلاف قرائح الناس وتفاوت عقولهم، قال صلى الله عليه واله: نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم، فهكذا شأن خلفائهم و اوصيائهم، ولقد شبه التعليم بالتغذية لكون العلم مما يتقوى به الروح كما يتربى البدن بالغذى.

فالحكمة والبرهان كاللحوم ونحوها من الاغذية القوية للرجال الاصحاء، و الموعظة للمبتدى كاللبن الاطفال للناقصين، والجدل للمنحرفين عن سمت السبيل كالادوية للمرض[3] حتى يرد الى مزاجه الاصلى ويصلح معدته لهضم الطعام، فلوغذى الطفل باغذية الرجال البالغين لهلك و لوغذى المريض باغذية الاصحاء الصحيح[4] لازداد مرضه وانجر الى الهلاك، وهكذا حال اختلاف قرائح الناس الموجب لاختلاف الدعوة والتعليم.

الحديث الرابع
و هو السابع والاربعون و اربع مائة

«احمد بن مهران، عن محمد بن على عن الحسين بن ابى العلا، عن ابى عبدالله

۱ــ النحل ــ ۱۲۵، قال الشيخ الرئيس فى الفصل الاول من المقالة الاولى من الخطابة فى منطق الشفاء: نطق الكتاب الالهى الذى لا يأتيه الباطل بين يديه و لامن خلفه الذى هو تنزيل العزيز الحكيم: ادع الى ربك، اى الديانة الحقيقية بالحكمة، اى البرهان، و ذلك ممن يحتمله، والموعظة الحسنة، اى الخطابة، و ذلك لمن يقصر عنه، وجادلهم بالتى هى احسن، اى بالمشهورات المحمودة، فاخر الجدل عن الصناعتين لان ذينك مصروفتان الى الفائدة والمجادلة مصروفة الى المقاومة، والغرض الاول هو الافادة و الغرض الثانى هو مجاهدة من ينتصب للمجاهدة فالخطابة وافرة النفع فى مصالح المدن وبها يدبر العامة.

۲ــ خليفته ــ م.

۳ــ كذا فى جميع النسخ: والظاهر للمرضى.

۴ــ نسخة « م » لفظة الصحيح فاقدة.

عليه‌السلام قال: قلت له: تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا».

الحديث الخامس

وهوالثامن والاربعون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان عن ابى بصير عن احدهما عليهما السلام قال: قال: ان الله لم يدع الارض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل».

الشرح

المراد بالعالم فى كلامهم هو العالم الربانى الاخذ علمه من الله علماً لدنيا، لان من كان علمه مأخوذا من الرواية و السماع او من افواه الرجال فليس بعالم حقيقى لما فيه من امكان تطرق الشبه والشكوك فى قلبه و احتمال الزوال لعلمه، و اما الذى علمه مأخوذ من البرهان النير القدسى او الالهام التام الالهى فلايزول عن علمه وان زالت الجبال الرواسى من مكانها وانقطعت السموات عن دورانها، قوله عليه‌السلام: ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل، اى ولولا العالم الربانى او ولولا الامر كما ذكرنا: من ان الله لم يدع الارض بغير امام حتى لوفرض وقت لم يكن فى الارض امام، لم يعرف الحق من الباطل فى الامور التى عجزت عن ادراكها عقول البشر بافكارها وانما يعرف بنور الوحى او الالهام.

الحديث السادس

و هوالتاسع والاربعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن على بن ابى حمزة عن ابى بصير، عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: ان الله

اجل واعظم من ان يترك الارض بغير امام عادل».

الشرح

لماثبت ان نظام الدين والدنيا لايتمشى الابوجود امام يقتدى به الناس ويأتمون به ويتعلمون منه سبيل هداهم و تقواهم ، والحاجة اليه فى كل زمان اعظم و اهم من الحاجة الى غذاهم و كساهم ومايجرى مجراهما من المنافع و الضرورات، فوجب فى العناية الربانية ان لايترك الارض ولا يدع الخلق بغير امام والالزم احد الامور الثلاثة: اما الجهل وعدم العلم بتلك الحاجة او النقص وعدم القدرة على خلقه او البخل والضنة بوجوده والكل محال[1]، والله اجل واعظم مما يستلزم احد هذه الامور.

الحديث السابع

و هوالخمسون و اربع مائة

«على بن محمد؛ عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب ، عن ابى اسامة، و على بن ابراهيم ، عن ابيه، عن الحسن بن محبوب، عن ابى اسامة؛ و هشام بن سالم ، عن ابى حمزة عن ابى اسحاق ، عمن يثق به من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ان امير المؤمنين عليه السلام قال : اللهم انك لاتخلى ارضك من حجة لك على خلقك».

۱ــ هذا اشارة الى سرقاعدة الامكان الاشرف، اعلم ان الائمة مشتركون فى مطلق الارشاد والهداية وان اختلفت فى خصوصياتها، وهذا المطلق لايكون متوقفاً على الاستعداد والايمكن ان يكون مختلفا بحسب اختلاف الاستعدادات، و لما لم يكن المطلق متوقفاً على الاستعداد فبرهان الامكان الاشرف يجرى فيه كما يجرى فى الانواع من حيث هى انواع، لان النوع من حيث هو نوع لايحتاج الى المادة و الاستعداد، لان كل الاشخاص مشترك فيما كان من مقتضيات النوع و لوازمه مع اختلاف استعداد الاشخاص، فمايكون فى الكل متفقاً و على نهج واحد من غير اختلاف مع كون الاستعدادات مختلفة لايكون مستنداً الى الاستعدادات المختلفة، ويمكن ان يكون مجرداً كلياً كما فى الذهن «نورى».

الشرح

لاتخلى صيغة مضارع من باب الافعال من خلاء الاناء مما فيه، يخلو خلواً وخلى لك الشيء و اخلا بمعنى و اخليت المكان صادفته خاليا، و استخلاه مجلسه‌اى سأله ان يخليه له، و اخليت اى خلوت و اخليت غيرى يتعدى ولايتعدى.

و كلامه عليه‌السلام مناجاة وحمد وليس بدعاء وطلب، كأنه قال: اللهم انك بلطفك وجودك على عبادك لاتخلى ارضك من حجة لك عليهم ليهتدوا به سبيل قربك و رحمتك وينجوا به عن عقابك وغضبك.

الحديث الثامن

و هوالحادى والخمسون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل»، له كتاب روى عنه الحسين بن على اللؤلؤى الشعيرى، كذا فى الفهرست، وقال الفاضل الاسترابادى: يحتمل كونه الازدى الاتى اسمه واراد به محمد بن فضيل الازدى الصيرفى من اصحاب الرضا عليه‌السلام الذى يرمى بالغلو وقدمر ذكره. «عن ابى حمزة عن ابى جعفر عليه‌السلام قال، قال: والله ماترك الله ارضا منذ قبض ادم عليه‌السلام الاوفيها امام يهتدى به الى الله وهوحجته على عباده ولاتبقى الارض بغيرامام حجة لله على عباده».

الشرح

اراد عليه‌السلام بالامام مقتدى الخلائق اعم من ان يكون رسولا اوخليفة رسول، فان الارض تخلو من احدهما لابعينه وان جاز خلوهامن احدهما بسبب حصول الاخر، ومعنى كون الامام والنبى حجةلله على العباد انه اذا لم يكن احدهما فى الارض لم يعرف العباد خالقهم ومبدئهم و معادهم، و اذا جهلوا باحوال مبدئهم و معادهم جهلوا بكيفية اكتساب مايقربهم اليه و الى ثوابه والاجتناب عما يبعدهم عنه ويوجب عقابهم، فلم

يكونوا مكلفين بالعبودية والطاعة.

اذالتكليف فرع معرفة المكلف والمكلف به، و اذا خرجوا عن حدود التكليف خرجوا عن حدود الانسانية الى حدود البهيمية فلم يستحقوا ثوابا ولاعقابا كسائر البهائم، وكماليس لله حجة على البهائم والحشرات فكذلك حكم من لاامام له، ولهذا ورد عنه صلى الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه فقدمات ميتة جاهلية.

و ليس فى قوله: ولاتبقى الارض بغير امام حجة لله على عباده، تكرار لما مضى من قوله، اذ الاول لبيان حاجة العباد للاهتداء الى الله و الى سبيل النجاة فى الآخرة اليه، والثانى لبيان ان الارض لاتبقى معمورة لتعيش الخلق الا به، لما سبق ان الحاجة الى النبى ومن ينوبه فى المعاد و المعاش جميعاً لا فى المعاد وحده ، فالفقرة الثانية لبيان الثانى و قوله: فيها حجة لله على عباده، صفة موضحة للامام وليس للتعليل.

الحديث التاسع

و هوالثانى والخمسون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمدعن بعض اصحابنا، عن ابى على بن راشد»، اسمه حسن وقد مروصفه. «قال: قال ابوالحسن عليه السلام: ان الارض لاتخلو من حجة وانا والله ذلك الحجة».

الشرح

اى انا والله ذلك الحجة الذى لاتخلو الارض منه فى هذا الوقت، و اما علمه عليه السلام بكونه حجة فبوجهين: احدهماالوجدان والكشف التام الذى به يعلم الانسان حال نفسه، فهو عليه السلام كان يعلم من نفسه انه يقع اليه الالهام من الله فى معرفة امور يعجز عقول الخلائق عن ادراكها من احوال المبدأ والمعاد ومعرفة النفس ومافوقها و ماتحتها ومايسعدها و مايشقيها، ويجد ايضاً التأييد منه تعالى فى قوة المجاهدة مع

النفس والصبر على الشدائد والزهد فى الدنيا وغير ذلك من الاخلاق العظيمة التى يختص بامثالهم من الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

و ثانيهما بالنصوص الواقعة عليه من ابيه و ابائه واجداده عليه و عليهم السلام كما سيجىء ذكره.

الحديث العاشر

وهو الثالث والخمسون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى؛ عن محمد بن الفضيل، عن ابى حمزة قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام، تبقى[1] الارض بغير امام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت».

الشرح

قوله: لساخت، اى انخسفت، ويقال: ساخت قوائمه فى الارض تسوخ وتسيخ اى دخلت فيها وغلبت.

والسبب اللمى الحكمى فى ذلك ان الله تعالى لما خلق الموجودات المترتبة فى الشرف و الخسة على سنة الابداع حتى بلغت نهايتها فى الدنائة و وصلت مركزها فى السفالة وهى الموادالعنصرية سيما الارضية التى هى منبع الخسة والكثافة والبعد عن اللطافة، ارادان يرتقى بها الى غايتها فى الشرف والعلومع مايزيد عليها مما يحصل لها من جهات الامتزاج والتركيب و لاتناهى اعداد الافراد لانحفاظ الانواع وبقائها الى ماشاء واراد، فجعل فى هذه الموجودات العائدة كل ماهو اشرف و اعلى سببا كماليا و علة غائية لما هو اخس وادنى.

فخلق الارض للنبات والنبات للحيوان والحيوان للانسان و اخر درجة الانسان الذى هوغاية هذه الاكوان هو مافى مرتبة الامامة اعنى الانسان الكامل الذى هوسلطان

١ـ اتبقى؟ (الكافى).

العالم الارضي و خليفة الله فيه، فالارض و مافيها انما خلقت لاجله، وكل ماخلق لاجل شيء فمتى لم يكن لم يكن ذلك الشيء[1]؟ فمعنى قوله: لو بقيت بغير امام لساخت، اى لوفرض انها خلت من امام لهلكت وسقطت عن درجة الوجود.

الحديث الحادى عشر

وهوالرابع والخمسون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل، عن ابى الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: اتبقى الارض بغير امام؟ قال: لا، قلت: فانا نروى عن ابى عبدالله عليه السلام انها لاتبقى بغير امام الا ان يسخط الله تعالى على اهل الارض او على العباد، فقال: لا، لاتبقى اذاً لساخت».

الشرح

يعنى ان الارض لاتبقى بغير رسول او امام سواء كان الله ساخطاً على اهلها ام لا.

و ذلك لمامر ذكره من ان وجوده سبب لوجودها ، و بقائه سبب لبقائها ، و لايقوم المسبب بدون سببه كماهو قاعدة العلة و المعلول ، و سنزيدك ايضاحاً و تاكيداً.

وقوله: اوعلى العباد، هذا الترديد شك من الراوى اومن محمد بن الفضيل.

الحديث الثانى عشر

و هوالخامس والخمسون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد عن الوشاء قال: سألت ابا الحسن

١ـ ذلك الشيء لكان هالكا ـ ط.

الرضا عليه السلام هل تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا، قلت: انا نروى انها لاتبقى الاان يسخط الله عزوجل على العباد؟ قال: لاتبقى اذاً لساخت».

الشرح

قد مر شرحه.

تذنيب

لايخفى على كل عاقل ان من كان له ادنى بصيرة ولم يعم عين قلبه بغشاوة العصبية والتقليد ونظر فى هذه المأثورات وماثبت عن رسول الله صلى الله عليه واله بالنقل الشائع المشهور بطرق متكاثرة انه قال: الخلفاء او الائمة بعدى اثنى عشر كلهم من قريش، و قال: لايزال الاسلام عزيزاً او هذا الدين قائما حتى يقوم الساعة ويكون عليهم اثناعشر خليفة، او مايجرى مجرى هذه الالفاظ كما مر مع ماشاع و ذاع من قوله صلى الله عليه واله: انى تارك فيكم الثقلين... الحديث، وسائرما ورد فى فضائل اهل البيت عليهم السلام، لعلم يقينيا ان المذهب الحق هو مذهب الشيعة الامامية، اى محققيهم الذين اهتدوا بهدى الائمة الطاهرين عليهم السلام و ساروا بسيرتهم من طلب الحق و الاعراض عن الاغراض الدنيا، لاالجهلة والحمقى الذين وجهة قصدهم التعصب والرياء والعداوة والبغضاء واللعن والطرد و ايلام الخلق و ايذاء البرايا.

ثم من العجب ان جماعة من علماء العامة ضاق عليهم المخرج من النقل المتواتر عن النبى صلى الله عليه واله ان القائم بالامر بعده اثناعشر خليفة وليس هم الا ائمة الامامية، فحاولوا التفصى عنه والتجئوا الى القول بان المراد الخلفاء من بعده الى عمرو بن عبدالعزيز فان به يتم عدد الاثنا عشر.

و لايخفى لعاقل ان الذى ذكروه سفاهة لايستحق الاصغاء اليها ولا الاعتباربها.

اما اولا فان الاحاديث المذكورة ناطقة تصريحاً وتفهيما باستمرار الامر بالاثنا-عشر الى اخر الدهر وقيام الخلافة بهم الى قيام الساعة.

واما ثانيا فلان حديث نعت[1] النبی صلی الله علیه واله و رؤياه المشهورة بين الجمهور ينافيه، وهی ان رجالا من امته ينزون علی منبره بعده نزوة القردة يردون الناس علی اعقابهم القهقری، وهو ثابت الصحة متواترة النقل بين الفريقين، و قوله سبحانه فی التنزيل الكريم: و ماجعلنا الرؤيا التی اريناك الافتنة للناس والشجرة الملعونة فی القران (الاسراء ـ ۶۰)، مفسر بذلك، والشجرة الملعونة بنی امية.

اما من طريق اهل البيت عليهم السلام فقد ثبت لدی الخاصة من طرق غير محصورة.

واما من طريق الجمهور فقد رواه علامتهم الزمخشری فی الكتاب بقوله فی تفسير هذه الاية: قيل هی رؤياه انه سيدخل مكة وقيل: رأی فی المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

فقال الشارحون: الولد هيهنا للجنس، ای اولاد الحكم يعنی نوافل الحكم و هو الجد الاعلی لمعاوية ويزيد و فعلهم بالحسن و الحسين عليهما السلام تعبير هذه الرؤياء.

وقال النيشابوری فی تفسيره: الثالث من الاقوال قول سعيد بن مسيب وابن عباس فی رواية عطاء: ان رسول الله صلی الله عليه واله رأی بنی امية ينزون علی منبره نزو القردة فساءه ذلك، و قالوا فی بيان الشجرة الملعونة عن ابن عباس: الشجرة الملعونة بنو امية.

وقال علامتهم الفخر الرازی فی التفسير الكبير: والقول الثالث فی الرؤيا قال سعيد بن مسيب رأی رسول الله صلی الله عليه واله الی قوله فساءه ذلك، وهذا قول ابن عباس فی رواية والاشكال فيه ان[2] هذه الاية مكية و ماكان لرسول صلی الله عليه واله بمكة منبر، قال: ويمكن ان يجاب عنه بانه لايبعد ان يری بمكة ان له بالمدينة منبراً يتداوله بنو امية.

۱ـ نعسة ـ م.

۲ـ فی رواية عطاء والاشكال المذكور عائد فيه لان هذه... «التفسير الكبير».

ثم قال: القول الثانى فى الشجرة الملعونة: قال ابن عباس: الشجرة الملعونة فى القران المرادبها بنوامية الحكم بن ابى العاص و ولده، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه واله فى المنام ان ولد مروان يتداولون منبره، فقص رؤياه على ابى بكر وعمر وقد خلا فى بيته معهما، فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه واله الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه واله فاشتد ذلك عليه واتهم عمر فى افشاء سره، ثم ظهران الحكم كان يتسمع اليهم فنفاه رسول الله .

ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة لمروان: لعن الله اباك وانت فى صلبه فانت بعض من لعنه الله. انتهى ماقاله فى تفسير هذه الاية بعبارته.

ثم قال فى تفسير سورة القدر فى قوله تعالى : ليلة القدر خير من الف شهر (القدر ـ ٣) ، روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن يامسود وجوه المسلمين[١] عمدت الى هذا الرجل فتابعت معدله[٢] يعنى معوية؟ فقال: ان رسول الله صلى الله عليه واله رأى فى منامه بنى امية يطئون منبره واحد بعد واحد، و فى رواية ينزون على منبره نزو القردة، فشق ذلك عليه فانزل الله : انا انزلناه فى ليلة القدر الى قوله خير من الف شهر ، يعنى ملك بنى امية ، قال القاسم : فحسبنا ملك بنى امية فاذا هو الف شهر.

طعن القاضى فى هذه الوجه فقال: ما ذكره من الف شهر ليس فى ايام بنى امية[٣] لانه تعالى لايذكر فضلها بذكر الف شهر مذمومة، وايام بنى امية مذمومة. واعلم ان هذا الطعن باطل[٤] لان ايام بنى امية كانت اياماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلايمتنع ان يقول الله تعالى: انى اعطيتك ليلة هى فى السعادات الدينية افضل من تلك الايام فى السعادات الدنيوية. انتهى كلامه بالفاظه.

١ـ المؤمنين «التفسير».

٢ـ فبايعت له «التفسير».

٣ـ بنى امية بعيد «التفسير».

٤ـ ضعيف «التفسير».

وقال البيضاوی فی تفسيره: وقيل: رأی رسول الله صلی الله عليه واله قوماً من بنی امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال: هو حظهم من الدنيا يعطونها باسلامهم، وعلی هذا كان المراد بقوله الافتنة للناس ماحدث فی ايامهم، والشجرة الملعونة فی القران عطف علی الرؤيا ثم قال: وقد اولت بالشيطان و ابی جهل و الحكم بن ابی العاص. انتهی قوله.

وقال امين الاسلام ابوعلی الطبرسی طاب ثراه فی تفسيره المسمی بمجمع البيان وفی تفسيره الوجيز المسمی بجامع الجوامع: وثالثها ای ثالث الاقوال: ان ذلك رؤيا رآها النبی صلی الله عليه واله فی منامه ان قروداً تصعد منبره و تنزل فسائه ذلك واغتم به، رواه سهل بن سعيد عن ابيه: ان النبی صلی الله عليه واله رأی ذلك وقال: انه صلی الله عليه واله لم يسمع بعد ضاحكا حتی مات، و روی سعيد بن يسار وهو المروی عن ابی جعفر و ابی عبدالله عليهما السلام و قالوا علی هذا التأويل: ان الشجرة الملعونة فی القران هی بنو امية اخبره الله تعالی بتغلبهم علی مقامه وقتلهم ذريته.

روی عن المنهال بن عمرو قال دخلت علی علی بن الحسين عليه السلام فقلت له: كيف اصبحت يابن بنت[1] رسول الله: فقال: اصبحنا والله بمنزلة بنی اسرائيل من ال فرعون يذبحون ابنائهم و يستحيون نسائهم واصبح خير البرية بعد رسول الله صلی الله عليه واله يلعن علی المنابر واصبح من يحبنا منقوصا حقه لحبه ايانا، و قيل للحسن البصری[2]: يا اباسعيد قتل الحسين بن علی عليه السلام فبكی حتی اختلج جنباه ثم قال: واذلاه لامة قتل ابن دعيها ابن نبيها. انتهی كلامه.

فاذن حديث المنام ناص بمنطوقه علی ان دين الاسلام بعد رسول الله صلی الله عليه واله قائم باثنا عشر اماما ليس احد من اولئك المدعين منهم. و بالجملة اذا كان الامر علی هذا المنهاج فكيف يستصح ذو بصيرة وقسط من الدين ان يكونوا بنو امية وهم القرود و الشجرة الملعونة من ائمة الدين بعد الرسول صلی الله عليه واله النازلين

۱ــ يا بن «مجمع».

۲ــ للحسن يا ابا سعيد «مجمع».

منزلة القائمين مقامه؟

واما ثالثا فلان من الامـراء المستكمل بهم نصاب العدد عندهـم الى عمر بن-عبدالعزيز يزيد بن معوية و مروان بن الحكم ابن ابى العاص بن امية بن عبدالشمس بن عبد مناف، اما يزيد فمن اشقى المقرنين فى الاصفاد و اخـرى المقمحين بالاغلال فى العذاب الشديـد ، و اما مروان فقدكان يقال له الطريد ابن طريد، لما قدكان طرد رسول الله صلى الله عليه واله ونفاه الى الطائف، وقيل: طرده الى الربذة، ثم الى الطائف فارجعهما عثمان الـى المدينة و نفى اباذر الى الربـذة ، و من المتفق على صحته ان رسول الله صلى الله عليه واله سماه: الوزغ ابن الوزغ و الملعون بن ملعون، قال حافظ الدميرى الشافعى فى موضعين من كتاب حيوة الحيوان.

روى الحاكم فى كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبدالرحمن بن عوف انه قال: كان لايولد لاحد مولود الا اتى الى النبى صلى الله عليه واله فيدعوله، فادخل عليه مروان بن الحكم فقال: هوالوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون، ثم قال: صحيح الاسناد، و روى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لمابايع معوية لابنه يزيد قال مروان: سنة ابى بكر وعمر، فقال عبدالرحمن بن ابى بكر: سنة هرقـل وقيصر، فقال له مروان: انت الذى انزل الله فيك: والذى قال لوالديه اف لكما (الاحقاف ـ ١٧)، فبلغ ذلك عايشة فقالت : كذبت و الله ماهو به ولكن رسول الله صلى الله عليه واله لعن ابا مروان و مروان فى صلبه.

ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهنى و كانت له صحبة رسول الله صلى الله عليه واله قال : ان الحكم بن عاص استأذن على النبى صلى الله عليه واله فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه الا المؤمن منهم وقليل ماهـم، يشرفون فى الدنيا و يصنعون[1] فى الاخـرة ذومكر و خديعة يعطون فى الدنيا ومالهم فى الاخرة من خلاق. انتهى كلامه.

ومن بعده عبدالملك بن مروان الجابر الغشوم الظلوم المقدام على سفك الدماء،

١ـ يضعون ـ م ـ يترفهون فى الدنيا ويضيعون «حيوة الحيوان».

هو وكل من عماله كالحجاج بن يوسف و اخيه والمهلب بن ابی صفرة وغيرهم، كان يلقب برشح الحجر لبخله، جائته الخلافة وهو يقرء القران فطبقه وقال[1]: هذا فراق بينی و بينك.

ومن بعده الوليد بن عبدالملك، وقد روی عن عمر بن عبدالعزيز قال: لما الحدث الوليد ارتكض فی اكفانه وغلت يداه الی عنقه، نستعيذ بالله من عذاب الله[2].

فاما بعد عمر بن عبدالعزيز فمنهم يزيد بن عبدالملك المعروف بالفاسق[3]، قال: خذوا بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فصار[4] بسيرته اربعين يوماً فدخل عليه اربعين رجلا من مشايخ دمشق وحلفوا له انه ليس علی الخليفة[5] حساب ولاعقاب فی الاخرة وخدعوه بذلك فانخدع لهم فتولع بالفجور والفسوق.

ومنهم ولده وليد بن يزيد اوغل فی المعصية منه، فهم عمه هشام بن عبدالملك بقتله لاشتهاره بالفسق و استخفافه بالدين وانهماكه فی شرب الخمر و مجاهرته بالكفر والزندقة، ففر منه وصار لايقيم بارض خوفا منه علی نفسه، بويع له بالخلافه يوم موت هشام وهو اذ ذاك بالبرية فاراً من مخافته[6] فنبذ فی خلافته الاخرة وراء ظهره وتوغل فی الولوع علی المنكرات حتی انه واقع جاريته[7] وهو سكران وجائه المؤذنون يؤذنونه بالصلوة فخلف ان لايصلی بالناس الاهی، فلبست ثيابه وتنكرت و صلت بالمسلمين وهی سكری متلطخة بالنجاسات علی الجنابة.

وحكی اهل السير و الاخبار انه اصطنع بركة من خمر وكان اذا طرب القی

۱ــ سلام عليك هذا «حيوة الحيوان».

۲ــ نسأل الله العافية والسلامة «حيوة الحيوان».

۳ــ قال الدميری فی كتاب حيوة الحيوان: قال بعض المؤرخين: ان يزيد هذا هو المعروف بالفاسق وهو غلط، وانما الفاسق ولده الوليد كما سيأتی.

۴ــ فساروا «حيوة الحيوان».

۵ــ الخلفاء «حيوة الحيوان».

۶ــ فاراً من عمه هشام «حيوة الحيوان».

۷ــ جارية له «حيوة الحيوان».

نفسه فيها ويشرب منها حتى يبين النقص من اطرافها[١]، وحكى صاحب الكشاف والدميرى: ان الوليد تفأل يوماً فى المصحف وخرج له قوله تعالى: واستفتحوا و خاب كل جبار عنيد (ابراهيم - ١٥)، فمزق المصحف وانشأ يقول:

اتوعد كل جبار عنيد؟ فها انا ذاك جبار عنيد

اذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقنى الوليد

فاجمع اهل دمشق على قتله، فلما دخلوا عليه فى قصره قال: يوم كيوم عثمان، فقتلوه وقطعوا رأسه وطيف به فى دمشق.

فانظروا يا اهل العقل والانصاف هل يستصح ذومسكة ان يقال ان رسول الله صلى الله عليه واله يقول لايزال الاسلام عزيزاً والدين قائماً ما وليهم اثنى عشر رجلا من امثال هؤلاء الخلفاء من الشجرة الملعونة ؟ ثم العالم المستبصر يعلم ان حديث نزوالقردة ليس بتخصيص[٢] هؤلاء اى يزيد ومابعده، بل يرتقى منهم الى معوية بن ابى-سفيان وماقبله.

ومن ثم قال علامتهم التفتازانى فى شرح المقاصد بهذه العبارة: ان ماوقع بين الصحابة من المشاجرات على الوجه المسطور فى كتب التواريخ والمذكور على السنة الثقاة يدل بظاهره على ان بعضهم قد جاوز عن طريق الظلم[٣] والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد والحسد واللداد وطلب الملك والرئاسة والميل الى اللذات والشهوات، اذ ليس كل صحابى معصوما و لاكل من لقى النبى صلى الله عليه واله بالخير موسوماً، الا ان العلماء لحسن ظهنم باصحاب رسول الله صلى الله عليه واله قد ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق، او ذهبوا الى انهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة سيما المهاجرون منهم و الانصار والمبشرين بالثواب فى دار القرار.

١- فى «حيوة الحيوان».

٢- يختص بهؤلاء - م.

٣- قد حاد عن طريق الحق و بلغ حد الظلم «شرح المقاصد».

و اما ماجری بعدهم من الظلم علی اهل بیت النبی صلی الله علیه واله فمن الظهور بحیث لامجال للاخفاء والشناعة بحیث لااشتباه علی الاراء یکادتشهد به الجماد والعجماء ویبکی لـه الارض[۱] والسماء و تنهدم[۲] منه الجبال وتنشق لـه الصخـور[۳] ویبقی سوء عملهم علی کنز[۴] الشهور و مرالدهور، فلعنة الله علی من باشراوامر اورضی اوسعی، و لعذاب الاخرة اشد و ابقی (طه ـ ۱۲۷).

فان قیل: فمن علماءالمذهب من لم یجوزاللعن علی یزید مع علمهم بانه یستحق مایربوا علی ذلك ویزید.

قلنا : تحامیاً علی ان یـرتقی الی الاعلی فالاعلی کماهـو شعار الروافض علی مایروی فی ادعیتهم ویجری فی اندیتهم، فرأی المعتنون بامرالدین الجام العوام بالکلیة طریقا الی الاقتصاد فی الاعتقاد بحیث لاتزل الاقدام عن السواء ولاتضل الافهام بالاهواء، والا فمن الـذی یخفی علیه الجواز والاستحقاق وکیف لایقـع علیه[۵] الاتفاق؟ انتهت عبارته بالفاظها.

و من المستغرب فیما نحـن فیه من صاحب کتاب الملل و النحل محمد بـن عبدالکریم الشهرستانی وهومن نحاریرهم وعظماء علمائم حیث قال فی مقدمات کتابه : المقدمة الثالثة فی بیان اول شبهة وقعت فی الخلیقة و من مصدرها فی الاول ومن مظهرها فی الاخر.

اعلم ان اول شبهة وقعت فی الخلیقة شبهة ابلیس علیه اللعنة، ومصدرها استبداده بالرأی فی مقابلة النص و اختیاره الهـوی فی معارضة الامر و استکباره بالمادة التی خلق منها وهی النار علی مادة ادم علیه السلام وهی الطین، وانشعبت عن هذه الشبهة سبع

۱ـ له من فی الارض «شرح».
۲ـ تنهد «شرح».
۳ـ تنشق الصخور «شرح».
۴ـ عمله علی کر «شرح».
۵ـ علیها «شرح».

شبهات وسارت فی الخليقة وسرت فی اذهان الناس حتی صارت مذاهب بدعة وضلالة، و تلك الشبهات مسطورة فی شرح الاناجيل الاربعة: انجيل لوقا و مارقوس و يوحنا و متی، مذكـورة فی التوريـة متفرقة علی شكل المناظرة بينه و بين الملائكة بعـد الامر بالسجود و الامتناع[1].

و ذكر تلك السبع وما نشأت منها من الشبهات فی سائر الامم و قال: انها بالنسبة الی سائر الشبهات وانواع الضلالات كالبذر[2] ويرجع جملتها الی انكار الامر بعد الاقرار والاعتراف بالحق والی الجنوح الی الهوی فی مقابلة النص، وختم الكلام بقوله: قال صلی الله عليه واله جملة: لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة[3] والنعل بالنعل حتی لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه.

ثـم قال: المقدمة الـرابعة فی بيان اول شبهة وقعت فی الملة الاسلامية وكيفية[4] انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها، وكما قررنا ان الشبهات التی وقعت فی اخر الزمان هی بعينها تلك الشبهات التی وقعت فی اول الزمان، كذلك يمكن ان يقرر فی كل زمان[5] نبی و دور كل صاحب ملـة وشريعة ان شبهات امته فی اخـر زمانـه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين[6]، وان خفی علينا ذلك فی الامم السالفة لتمادی الزمان، فلـم يخف من[7] هـذه الامة ان شبهاتها كلها انشأت[8] من شبهات منافقی زمـن النبی صلی الله عليه واله، اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهی وشرعوا فيما لا مشرع[9] فيه

۱ــ والامتناع منه «الملل».
۲ــ كالبذور «الملل».
۳ــ القذة بالقذة «الملل» القذة: القطعة من الشیء.
۴ــ وكيف «الملل».
۵ــ نقرر فی زمان كل «الملل».
۶ــ واكثرها من المنافقين «الملل».
۷ــ فی «الملل».
۸ــ نشأت «الملل».
۹ــ مسرح «الملل».

الكفر و لامسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لايجوز الجدال فيه.

فهذا ماكان فى زمانه صلى الله عليه واله و هـ وعلى شوكته وقدرته وصحة بدنه، فالمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق، وانما يظهر نفاقهم فى كل وقت بالاعتراض على حركات النبى صلى الله عليه واله وسكناته[1] فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منه الشبهات كالزروع.

فاول تنازع وقع فى مرضه صلى الله عليه واله فيمارواه الامام ابوعبدالله محمد[2] بن اسمعيل البخارى باسناده عـن عبدالله بن عباس قال: لما اشتد بالنبى صلى الله عليه واله مرضه الذى توفى فيه قال: اتونى[3] بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعدى، فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط[4] فقال النبى صلى- الله عليه واله: قوموا عنى لاينبغى عندى التنازع، قال ابن عباس: الرزيئة كل الرزيئة ماحال بيننا وبين كتاب رسول الله. انتهى كلامه بالفاظه. وفى كلام امامهم الامدى على مضاهاة ذلك.

ونحن نقول: ومن تلك الاعتراضات و الشبهات مافى صحيح البخارى ومسلم وسائر صحاحهم و اصولهم مما صدر عن عمر فى صلح حديبية وما صدر عنه فى التمتع فى حجة الوداع.

و روى البلاذرى: لماقتل ذبيح الله الحسين بن على عليه السلام كتب عبدالله بن- عمر الى يزيد بن معوية اما بعد: فقد عظمت الرزيئة وجلت المصيبة وحدث فى الاسلام حدث عظيم و لايـوم كيوم الحسين عليه السلام، فكتب اليه يزيد اما بعد: يا احمق فانا جئنا الى بيوت منجدة[5] وفرش ممهدة و وسائد منضدة فقاتلنا عنا، فان يكن الحق لغيرنا

۱ـ على حركاته وسكناته «الملل».

۲ـ فيما رواه محمد بن... «الملل».

۳ـ ايتونى «الملل».

۴ـ اللغط «الملل» اللغط: الصوت والجلبة ـ الاصوت المبهمة لاتفهم.

۵ـ اى: مرتفعة :

فابوك اول من سن هذا و ابتز[١] واستأثر بالحق على اهله، و من هيهنا قيل: قتل الحسين عليه السلام يوم السقيفة، وقيل ايضاً:

باسياف ذاك البغـى اول سلـها اصيب علـى لابسيف ابن ملجم

ومما يدل على مانحن فيه انه قد صح فى باب الحشر من مشكوتهم ومصابيحهم وفى غير ذلك من ابواب صحاحهم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لاصحابه: انكم محشورون حفاة عـراة غرلا[٢]، ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وعـداً علينا انا كنا فاعلين (الانبياء ـ ١٠٤)، الا ان اول[٣] من يكسى يـوم القيامة ابراهيم عليه السلام وان ناساً من اصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول: اصحابى، اصحابى و روى ايضاً اصيحابى اصيحابى، فيقال: انك لاتدرى ما احدثوا بعدك انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم مـذ فارقتهم، فاقول كما قال العبد الصالـح: وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد[٤].

ومن طريق اخر: سيجاء برجال من اصحابى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقـول: يارب اصحابى فيقول: لا لاتدرى ما احدثوا بعدك انهم لايزالون مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم.

ومن طريق اخر: يرد على يوم القيامة رهـط من اصحابى فيخلون عن الحوض فاقول: يارب اصحابى فيقول: انك لاعلم لك بما احـدثوا بعـدك انهم ارتـدوا على ادبارهم القهقرى.

ومن طريق اخر فيقال: انهم كانـوا يمشون بعدك القهقرى، وايضاً قـد نقل فى صحاحهم الستة والمشكوة والمصابيح انه قال صلى الله عليه واله: سيكون بعدى اثرة، وانه قال صلى الله عليه واله للاصحاب: انكم ستحرصـون على الامارة وسيكون ندامة

١ـ اى استلبه قهراً.

٢ـ اى غير مختونين وهو الاقلف.

٣ـ و اول «مشكوة المصابيح».

٤ـ المائدة ـ ١١٧، وفى مشكوة المصابيح: ما دمت فيهم الى قوله: العزيز الحكيم.

يوم القيامة، فنعمت المرضعة و بئست الفاطمة[1].

وانه قال صلى الله عليه واله لكعب بن عجزة: اعيذك بالله من امارة السفهاء قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: امراء سيكونـون بعدى من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم و اعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ولن يردوا على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولـم يصدقهم بكذبهم ولـم يعنهم على ظلمهم فاولئك منى وانا منهم و اولئك يردون على الحوض، وان اباذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه والـه: كيف انتم و الائمة من بعدى يستأثرون بهـذا الفيء؟ قلت: اما والـذى بعثك بالحق اضـع سيفى على عاتقى ثـم اضرب بـه حتى القاك، قال: اولا ادلك على خير مـن ذلك؟ تصبر حتى تلقانى.

و بالجملة الروايات الصحاح فى هـذا الباب كثيرة مشهورة لايمكن انكارها و لاتأويلها، يعلم منها ان ائمة الدين و خلفاء الله و رسوله على المسلمين و ولاة امر الله و القوام على شرعه ليس المراد بهم الا الائمة لهذه الطائفة، لكـونهم المعصومين عن الذنوب والخطايا، العارفين بالله وایاته عن كشف وشهود، ولانهم من ذرية النبى صلى الله عليه واله واهل بيت النبوة والهداية الذين امرنا النبى صلى الله عليه واله بالتمسك بهم حتى لانضلوا بعده ابداً فى قوله: انى تارك فيكم الثقلين، ولانه صلى الله عليه واله افضل الانبياء و خاتمهم عليه وعليهم السلام، وكان فى ذرية نوح و ابراهيم وهما ابوا الانبياء بعدهـم النبوة والكتاب لقوله تعالى: ولقد ارسلنا نـوحا وابراهيم و جعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب (الحديد ـ ٢٦).

فيجب ان لاتنقطع الامامـة التى هى و النبوة حقيقة واحـدة بالـذات متغايرة بالاعتبار عن ذريته صلى الله عليه واله، بل نقول: لابدان لاينقطع معنى النبوة ومايجرى مجراه عن وجه الارض ابداكما علمت، ثم لم يكن احدمن لصوص الخلافة ومتقلديها ممايحتمل فيه ذلك المعنى او يدعيه احـد، فيبقى ان يكون هـذا السلسلة المبتدأة من

١ـ اى حسن الابتداء و سيئى العاقبة.

نـوح و ابراهيم عليهماالسلام مستمرة الى يـوم القيامـة فيهـذه الذرية التى بعضها من بعض.

وايضاً قوله عليه‌السلام: من مات ولـم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، هل يستصح عندذى مسكة ان مقتضى الحـديث وجوب معرفـة كل من تلك الامراء التى مروصفها على كل من كان فى زمانـه ؟ و هذا شيء يلزم هـؤلاء القوم الذين انكروا حقيقة[1] اهل البيت عليهم‌السلام ولـم يهتدوا بهداهم، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون (الشعراء ـ ٢٢٧)، ولنرجع الى ماكنا فيه.

الحديث الثالث عشر

وهوالسادس و الخمسون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن‌عيسى عن ابـى عبدالله المؤمن»، قال الفاضل الاسترابادى فى‌ذكر الكنى من كتابه فى‌النجاشى: هـو زكريـا بن محمد عتبة النوفلى محمد بن‌عيسى تقدم فى‌الاسماء انه‌ابن‌على بن‌محمدالبرمكى، وعن‌ابن‌طاووس: انفى رواية صحيحة اسمه على بن البرمكى، وقال العلامة فى «صه» كما فى‌النجاشى: زكريا بن محمد ابـوعبدالله المـؤمن روى عـن ابـى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ولقى الرضا عليه‌السلام فى‌المسجدالحرام، وحكى عنه مايدل على انه‌كان واقفيا وكان مختلط الامر فى‌حديثه.

«عن ابى هراسة» ، ذكر اسمه عند اسم ابنه الموصوف بان له‌كتاب الايمان و الكفر والتوبة، ابوسليمان احمد بن نضر[2] بن سعيد المعروف بابن ابى هراسة فيكون اسم ابى هراسة احمد بن نضر بن‌سعيد و فى «صه» والنجاشى‌الباهلى المعروف بابن‌ابى هراسة يلقب ابوهوذة[3]، سمع منه التلعكبرى سنة احدى وثلاثين و ثلاث مائة، و

١ـ حقية ـ م.

٢ـ و فى بعض النسخ: نصر.

٣ـ الهوذة: القطاة، وهو لقب النضر او نصروالد احمد.

لـه منه اجازة مات يـوم التروية سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاث مائـة . «عن ابى جعفر عليه السلام قال : لـو ان الامام رفـع مـن الارض ساعـة لماجت باهلها كما يمـوج البحر باهله».

الشرح

ماج البحر يموج موجاً اضطرب.

دل هذا الحديث على حقيقة مامر ذكره منا من ان وجود النبى صلى الله عليه واله او الامام عليه السلام ليس بمجرد ان الخلق محتاجون اليه فى اصلاح دينهم و دنياهـم وان كان ذلك امراً مترتبا على وجـوده ضرورة، بل انما قامت بوجـوده الارض ومن فيها الكون وجوده الكونى علة غائية لوجودها، فلا تقوم الارض ومن فيها لحظة الا بوجود الانسان الكامل، وذلك لقوله عليه السلام: ساعة، اى لحظة، اذ على ذلك التقدير لم يلزم من فرض عدمه ساعة بطلان الارض واهلها.

باب انه لو لم يكن فى الارض الا رجلان لكان احدهما الحجة

وهو الباب السادس من كتاب الحجة وفيه خمسة احاديث:

الحديث الاول

وهو السابع والخمسون واربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد عن محمد بن سنان، عن ابن ابى الطيار قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: لو لم يبق فى الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة» .

الشرح

قد علمت ان ترتيب سلسلة الوجود الصادرة من الاول سبحانه انما يكون ابدأ

من الاشرف الى الاخس ومن الاعلى الى الادنى، ومن نظر فى احوال الموجودات و نسبة بعضها الى بعض عرف ان الادنى والانقص لايوجد الابسبب الاعلى والاكمل سببية ذاتية و تقدماً طبيعياً، وان كان وجود الادنى والانقص يصير مبدأ متهيأ[1] للمادة لفيضان الاعلى والاكمل، فالحيوان سبب ذاتى لوجود النطفة متقدم عليها تقدماً بالذات وكذا النبات للبذر، اما النطفة فهى سبب معد لوجود الحيوان متقدمة عليه تقدماً بالزمان لابذات وكذا البذر للنبات.

و بالجملة فالنوع الاشرف متقدم على النوع الاخس فى سلسلة البداية وان كان بعض اشخاص الاخس متقدماً بالزمان على بعض اشخاص الاشرف كما ذكرنا من مثال النطفة والحيوان والبذر والشجر.

فان قلت : هذه القاعدة اعنى قاعدة الامكان الاشرف انما يطرد فى الابداعيات التى لايفتقر وجودها الى صلوح قابل واستعداد مادة دون المكونات الزمانية الواقعة فى عالم الحركات والاضداد والاتفاقيات، فان كثيراً مما هو الممكن الاشرف لايوجد لمانع خارجى او فقد استعداد.

قلنا: حكم الانواع والطبائع الكلية فى ذواتها حكم الابداعيات، فان افتقار النوع الطبيعى كالفلك والانسان والفرس وغيرها الى استعداد خاص ليس بالذات بل بواسطة مايلزمه من العوارض والاحوال الانفعالية[2].

فان قلت: فعلى هذا لايلزم ماكنت بصدده، لان الحجة و غير الحجة والامام و

١ــ مهيأ ــ م.

٢ــ اى النوع لايصير بالمادة نوعا وان صاربها موجوداً فى عالم الماديات، والطبيعة من حيث هى يمكن ان تصير كلية مجردة وان تصير جزئية، ومثل هذا الشىء لايكون محتاجاً الى الزمان والاستعداد، اى الى المدة والمادة.

قال السيد الداماد فى القبس الخامس من القبسات: ليس طبيعة الحيوان المرسل بما هى حيوان مثلا متعلق الذات بمادة ومدة، و لاهو مرهون الوجود بالامكان الذاتى هناك ملاك فيضان الوجود عن مدبر العالم وممسك النظام اعنى العناية الاولى الالهية. انتهى.

الحاصل: ان الطبيعة من حيث هى لاتكون مكونة ولافاسدة.

والرعية جميعها من نوع واحد وافراد النوع الواحد متماثلة لاتقدم لاحدها على الاخرى بالذات ولاعلاقة ذاتية لبعضها بالقياس الى بعض.

قلنا: هيهات! انما المماثلة بين افراد البشر انما هى بحسب المادة البدنية و النشأة الطبيعية قبل ان يخرج النفوس الساذجة الهيولانية من القوة الى الفعل بحصول الملكات والاخلاق الفاضلة او الرذيلة فيها، و اما بحسب النشأه الروحانية فهى واقعة تحت انواع كثيرة لاتحصى، وقوله تعالى: قل: انما انابشر مثلكم (الكهف ١١٠)، انما هو بالاعتبار الاول دون الثانى، فنوع النبى صلى الله عليه واله و الامام عليه السلام نوع عال شريف اشرف من سائر الانواع الفلكية والعنصرية، فنسبة نوع الحجة الى سائر البشر فى رتبة الوجود كنسبة الانسان الى سائر الحيوان و كنسبة الحيوان الى النبات و البنات الى الجماد.

وقد علمت الحال فى باب التقدم والتأخر فى الوجود بين النوع الشريف والنوع الخسيس كما وصفناه، قال تعالى مخاطبا للانسان: خلق لكم مافى الارض جميعاً (البقرة ـ ٢٩)، لكونه اشرف الاكوان الارضية، فصار سبباً لوجودها و غاية ذاتيه لخلقها، فلوارتفع الانسان عن الارض ارتفع سائر الاكوان من الجماد والنبات والحيوان، فكذلك لو ارتفع الحجة عن الارض ارتفع الناس كلهم، فثبت قوله عليه السلام: لولم يبق فى الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة.

الحديث الثانى

و هوالتاسع والخمسون و اربع مائة

«احمدبن ادريس ومحمدبن يحيى جميعاً، عن احمدبن محمد، عن محمد بن عيسى بن عبيد عن محمد بن سنان، عن حمزة بن الطيار، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: لو بقى اثنان لكان احدهما الحجة على صاحبه. محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى مثله».

الشرح

كما مضى ذكره فلاحاجة الى اعادته.

الحديث الثالث

و هوالستون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عمن ذكره، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن جعفر بن-محمد، عن كرام» بن عمر بن عبدالكريم قاله الكشى، وقال ابن داود : انه واقفى «قال: قال ابوعبدالله عليه‌السلام: لوكان‌الناس رجلين لكان احدهما الامام وقال: ان اخر من يموت الامام لئلا يحتج احد على‌الله عزوجل انه تركه بغير حجة لله عليه».

الشرح

واعلم ان معنى كون النبى او الامام حجة من‌الله على عباده والسبب اللمى فيه هوان‌الانسان اول مايولد فى‌مقام‌النفس، فانه‌حيوان‌كباقى‌الحيوانات لايعرف الا الاكل والشرب لاغير، ثم بالتدريج يظهر له باقى صفات النفس من‌القوى الشهوية والغضبية والحرص والحسد والبخل وغيرذلك من‌الصفات التى هى نتائج الاحتجاب والبعدمن عالم الملكوت ومعدن الصفات الكمالية.

فهو حيوان منتصب القامة يصدر منه الافاعيل‌المختلفةبحسب الارادة المتنوعة، فهو فى‌الحجب الظلمانية الساترة للحق سبحانه، فلومات على هذه الحالة لم يكن له فى‌الاخرة حيوة مستقرة ولاحساب ولاكتاب ولا ثواب ولا عقاب ايضاً، اذ العذاب و الشقاوة فرع الشعور بالسعادة التى فى‌مقابلها، بل‌كان اماكسائر الحيوانات ملهواً عنها اوكان لها حيوة ناقصة وسعتها الرحمة التى وسعت‌كل شىء.

و اما اذا تيقظت نفسه من نوم الجهالة وسنة الغفلة و تنبهت بواسطة احدى الرسولين الحجتين: اما داخلى‌كالبرهان‌النير العقلى او خارجى كالنبى ومن ينوبه وهو

البرهان النير الحسى، والاول للانبياء والكمل من الاولياء صلوات الله عليهم اجمعين والثانى لسائر الناس.

فتذكرت او ذكرت ان وراء هذا العالم عالم اخر فيه الجنة للسعداء والنار للاشقياء وان فوق هذه اللذات لذات اخر كمالية وحينئذ لم يبق له عذر فى التوانى و التساهل، فان ساعده التوفيق فلابد ان يتوب عن اشتغاله بالمنهيات الشرعية وينيب الى الله تعالى بالتوجه اليه ويعرض عن الدنيا وطيباتها و يترك فضول شهواتها طلباً للطيبات الاخروية ولذاتها الحقيقية الكمالية، فيشتغل بالذكر والفكر والصلوة و الصيام وغيرها من الطاعات والعبادات وهكذا الى ان يتم الاجل، فحينئذ يستحق الثواب الدائم على حسب مقامه وحاله.

و اما اذا استهواه الشيطان ولحقه الخذلان و اعرض عن الذكر بعدما انذر به واستحب العمى على الهدى بعدما دعى اليه، فحينئذ يستحق العذاب الاليم والنكال الجسيم على حسب مقامه فى الجحود والاعراض عن الهدى او الركون الى اغراض النفس والهوى.

اذا تبين هذا فنقول: معنى كون النبى او الامام حجة لله على العباد: ان طاعته يوجب استحقاق الرحمة والجنة والنعيم وان عصيانه يوجب استحقاق الغضب والعذاب الاليم، ومعنى كون رفعهما جميعاً حجة للعباد انهم لايستحقون عند ذلك ثوابا ولا عقابا كما ذكرنا.

الحديث الرابع

و هو الحادى والستون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى، عن على بن اسمعيل» مشترك بين عدة من الرجال، وكان المراد به على بن اسمعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار ابو الحسن الميثمى، اول من تكلم على مذهب الامامية وصنف كتابا فى الامامة،

كوفي سكن البصرة وكان من وجوه المتكلمين من اصحابنا تكلم اباهذيل العلاف[1] و النظام «صه» وفي النجاشي: مولى بني اسد. «عن ابن سنان، عن حمزة بن الطيار قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: لو لم يبق في الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة او الثاني الحجة. الشك من احمد بن محمد».

الشرح

معناه ظاهر و سببه ما ذكر، و وقوع الشك لابد ان يكون من احد الرواة، و انما علم صاحبه بخصوصه بان يصرح به ويقول: الشك مني او مايجري مجراه من لفظ اخر.

الحديث الخامس
و هوالثاني والستون و اربع مائة

«احمد بن محمد، عن محمد بن الحسن عن النهدي»، مجهول غير مذكور في هذه الكتب المشهورة الرجالية. «عن ابيه، عن يونس بن يعقوب، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سمعت[2] يقول: لو لم يكن في الارض الا اثنان لكان الامام احدهما».

الشرح

معناه مكشوف، و مما يجب ان يعلم ان الغاية والغرض من وجود الامام ليس مجرد حصول الائتمام، حتى لو فرض امام لم يرجع اليه احد من الناس لفات الغرض من وجوده وكذا لوكان خاملا مستوراً غير ظاهر، فانا قداشرنا الى ان السبب و العلة في كون الارض لاتخلو عن حجة ماذا هو؟

فبذلك يندفع طعن جماعة من المخالفين على الامامية بانهم قائلون بوجود امام

١ــ كلم ابو الهذيل العلاف «صه».

٢ــ سمعة (الكافي).

قائم حتى مدة مديدة من غير ان يعرف احد شخصه ويهتدى بنور تعليمة و ارشاده فما الفائدة فى وجوده؟

وهذا الطعن غير وارد اصلا، فان الغاية الحقيقية فى وجوده شيء اعلى و ارفع من تعلم الناس منه، و معذلك يلزم وجوده[1] كونه بحيث يكون هدى للناس ان اهتدوا به، و اما عدم اهتدائهم بنوره واستضائهم بضوئه فليس من جهته عليه السلام بل من جهة الناس، لاحتجابهم عن الحق بالظلمة الغاشية بينهم وغلبة الهوى والشهوات على نفوسهم الى ان يفتح الله من رحمة من عنده ويهب ريح عاطفة يكشف عنهم حجاب الظلمة والهوى فيهتدوا بنور الهدى والحجة البيضاء ان شاء الله تعالى.

باب معرفة الامام والرد اليه

و هو الباب السابع من كتاب الحجة و فيه اربعه عشر حديثا :

الحديث الاول

و هو الثالث والستون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضيل، عن ابى حمزة قال: قال لى ابو جعفر عليه السلام: انما يعبد الله من يعرف الله، فاما من لا يعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالا قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزوجل و تصديق رسوله صلى الله عليه واله و موالاة على عليه السلام والائتمام به و بائمة الهدى عليهم السلام والبراءة الى الله عزوجل من عدوهم، هكذا بعرف الله عزوجل».

الشرح

اما قوله عليه السلام: انما يعبد الله من يعرف الله، فوجهه ان العبادة والعبودية له

١ــ من وجوده ــ م.

تعالى فرع معرفته، كيف و المقصود الاصلى من العبادة التقرب الى المعبود الحقيقى برياضة ما للقوى الحيوانية الخيالية والشهوية والغضبية من النفس لتصير منكسرة مطواعة للروح مسالمة له ليجرها بالتطويع والتعويد من جانب الزور ومعدن الغرور الى جناب الحق ومقصد[1] الصدق و مشهد النور، و هكذا كله متوقف على معرفة الحق و دار القربة على معرفة النفس ومنزل القربة[2]:

فمن لم يعرف نفسه بالمذلة والنقصان والوقوع فى مهبط الارذال ولاربه بصفات القدس والعزة والجلال فلامعنى لارادته للعبادة الارياء وتصدية ومكاء كما عليه اكثر الناس، واليه اشار بقوله: فاما من لايعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالا، فان اكثر الناس يعبدون الله بزعمهم من غير معرفة و بصيرة، ولاايضاً يقتدون بامام ذى بصيرة كالا عمى الذى له قائد يعول عليه فى سلوكه ايضاً على سبيل نجاة وضرب من الخلاص عن النكال.

فمن لم يوقع نفسه موقع المقلدين ولا له درجة العارفين المستبصرين فلاجرم يكون فى ضلال مبين، اذ يترتب على عبادته سيما اذا بالغ فيها واكثر منها انواع من الشر والافة كالعجب والتكبر والامن من مكر الله الخفى والاستدراج ونحو ذلك.

واما قوله عليه السلام فى جواب السائل عن بيان معرفة الله حيث قال: تصديق الله عزوجل الى اخره ففيه وجهان: خاصى وعامى.

اما الوجه الخاصى فى المعرفة و هوان يصدق بوجوده تعالى تصديقا يقينيا حاصلا بالبرهان، ويصدق بوحدته واحديته وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته الكمالية و انها غير زائدة على ذاته، وان ذاته بذاته منشأ افعاله وان افعاله محكمة فى غاية الجودة والنظام والتمام.

فلابدان يكون بينه تعالى وبين خلقه وسائط فى الايجاد وهم الملائكة المقربون المقدسون و من والاهم من الملائكة المدبرين، و وسائط فى التكميل والارشاد وهم الانبياء المكرمون ومن يخلفهم من الاولياء الهادين.

١ــ مقعد ــ م.

٢ــ الغربة ــ م.

و بالجملة فالملائكة و من والاهم وسائط فى الخلق و البداية و الانبياء و من ضاها هم وسائط فى الامر والاعادة، فاهل الخصوص يعرفون اولا ذات الله تعالى ومن ذاته صفاته ومن صفاته افعاله على الترتيب الاشرف فالاشرف فى جانبى النزول من عنده و العود اليه ، و المعرفة على هذا الوجه هو الايمان الحقيقى كما قال الله تعالى: والمؤمنون كل امن بالله وملائكته و كتبه و رسله (البقرة ٢٨٥)، فاذا عرفوه وعرفوا رسله و اوليائه كذلك، فلاجرم احبوا خاتم الرسل و اوصيائه عليه و عليهم السلام و اطاعوهم و والوا اوليائهم وعادوا اعدائهم وتبرأوا برائة شديدة منهم الى الله فى الدنيا و الاخرة ، فحشروا مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا.

و اما الوجه العامى: فاول مايجب الاعتقاد به على البالغ المكلف هو ترجمة ان لااله الاالله وحده لا شريك له وان محمداً رسوله المبعوث الى كافة الخلق اجمعين، وينبغى ان يصدق فى صفات الله واليوم الاخر على قدر عقله و مبلغ فهمه، و ان يتيقن بوجود الامام المعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه واله فى كل زمان، وان يعرف الائمة الاثناعشر عليهم السلام على التفصيل واحداً بعد واحد الى القائم المهدى ويحبهم بقلبه ولسانه ويوالى اوليائهم ويتبرأ من اعدائهم، وكل ذلك مما يشتمل عليه القران والحديث من غير مزيد برهان.

اما فى صفات الله: فلايجب عليه فوق انه حى عالم قادر مريد كاره متكلم، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (الشورى - ١١)، وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات، وان الكلام قديم او حادث.

اما فى الاخرة: فبالايمان بالبعث والحشر والثواب والعقاب والجنة والنار، و ليس عليه بحث عن تحرير الادلة التى حررها المتكلمون، بل متى خطر فى قلبه التصديق بما هو الحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو من حزب المؤمنين ولم يكلف الرسول صلى الله عليه واله العرب اكثر من هذا، و على هذا الاعتقاد المجمل استمر العرب وعوام الخلق، ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن ذات الله و صفاته و

الكلام فيها، وانما زجرواعنه الضعفاء والعوام.

واما ائمة الدين والعلماء الكاملين فلهم الخوض فى غمرة الاشكالات و السباحة فى ابحر العلوم الغامضة ومنع العوام من الكلام يجرى مجرى منع الصبيان السباحة عن شاطىء الدجلة خوف الغرق، ورخصة الاقوياء فيه يضاهىء رخصة الماهر فى صنعة السباحة، الا ان ههينا موضع غرور ومزلة اقدام، اذ كثير من الناس يزعم بنفسه انه من الاقوياء وليس كذلك.

و اما الاقوياء فربما يخوضون و ربما يغرقون فى بحر الجهالات من حيث لايشعرون، فالاولى منع الخلق كلهم الاالشواذ الذين لايسمح الاعصار الابواحد منهم اواثنين، فمن تجاوز من النازلين او المتوسطين سلوك مسلك السلف الذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه واله و عهد اميرالمؤمنين عليه السلام ومايقرب منه قبل ظهور البدع والمقائيس وصنعة الكلام بالايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ماانزل الله او امر به رسوله من غير بحث و تفتيش، فقد ركب متن الحظر واوقع نفسه فى شغل شاغل كان الغالب فيه الهلاك و سوء العاقبة الامن عصمه الله تعالى.

اذقال رسول الله صلى الله عليه واله حيث رأى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه: افبهذا امرتم؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا الى ما امركم الله فافعلوا ومانهيكم عنه فانتهوا، فهذا تنبيه على منهج الحق ومشرع الدين المبين لعامة المسلمين امناً من الزيغ والضلالة وسد طريق الوسواس والضلالة.

الحديث الثانى
و هوالرابع والستون واربع مائة

«الحسين عن معلى عن الحسن بن على الوشاء، عن احمد بن عائد، عن ابيه، عن ابن اذينة قال: حدثناغيرواحد، عن احدهما عليهما السلام انه قال: لايكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والائمة عليه السلام كلهم وامام زمانه ويرداليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول».

الشرح

شرط في ايمان العبد ان يكون عارفا بالله اى بوجوده ووحدانيته وصفاته الحسنى وبرسوله صلى الله عليه واله و انه خاتم الأنبياء و الرسل و بالائمة بعده الى امام زمانه، فيرد امر دينه اليه ويسلم له اى يطيعه في كل مايأمره وينهاه، فيأتمر بامره فيما يأمره وينتهى بنهيه عماينهاه، وانما لم يذكر عليه السلام معرفة المعاد لانه مندرج في الايمان بالرسول والائمة عليهم السلام.

وقوله: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول، ارادبه ان معرفة الرسول صلى الله عليه واله، كما هومتوقف على معرفة الله ومعرفة الائمة عليهم السلام متوقف على معرفة الرسول صلى اله عليه واله، كذا معرفة كل امام لاحق موقوف على معرفة الامام السابق عليه، وفيه اشارة الى ان العصمة والامامة امرخفى لايعرف الا بنص سابق كمان ان النبوة امرخفى لايعرف الا باعلام من الله و وحيه الى الرسول ثم بتوسط تأييده بالمعجزات للامة.

الحديث الثالث
و هوالخامس والستون و اربع مائة

«محمه بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم عن زرارة قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: اخبرنى عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق، فقال: ان الله عزوجل بعث محمد صلى الله عليه واله الى الناس اجمعين رسولا و حجة لله على جميع خلقه فى ارضه، فمن آمن بالله و بمحمد رسول الله صلى الله عليه واله و اتبعه و صدقه فان معرفة الامام منا واجبة عليه و من لم يؤمن بالله و برسوله ولم يتبعه ولم يصدقه و لم يعرف حقهما فكيف يجب عليه معرفة الامام وهو لايؤمن بالله و رسوله ولم يعرف حقهما؟! قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله و رسوله ويصدق رسوله فى جميع ما انزل الله، ايجب على اولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم اليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: اترى ان الله هوالذى اوقع فى قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما اوقع ذلك فى قلوبهم الا الشيطان، لا والله ماالهم

المؤمنين حقناالا الله عزوجل.

الشرح

اعلم ان الناس كمامر غيرمرة قسمان : عامة الخلق و الضعفاء، والخواص و الاقوياء، وقدمر ايضا ان الايمان غيرالاسلام وهوكمال زائد على الاسلام، فكل مؤمن مسلم دون العكس.

اذا تقرر هذا فنقول: قد استفيد من هذاالحديث ان معرفةالامام بالحق انمايجب على احد اذاكان بحيث يؤمن بالله و يؤمن بمحمد صلى‌الله عليه واله و يتبعه ويصدقه، يعنى بذلك ان من شأنه ان يعرف حقية النبى صلى‌الله عليه واله فى جميع ما انزل الله من ربه فحينئذ يجب عليه معرفة اهل بيت النبوة والرسالة كمايجب عليه معرفةالكتاب بالسؤال عنهم عليهم السلام ، فان النبى صلى‌الله عليه واله حين مضى بسبيله الى الله تعالى خلف فى امته كتاب الله و وصيه اميرالمؤمنين عليه‌السلام صاحبين مؤتلفين يشهد كل منهما صاحبه ويصدقه ، ينطق الامام عن الله فى الكتاب بما اوجب الله على عباده للذى اراد من استكمال دينه و الاحتجاج بحجته و الاستيضاء بنوره وكذا فى كل زمان.

فاوضح الله بائمة الهدى واهل صفوته و خيرة خلقه من اهل بيت نبينا عليه و عليهم السلام عن دينه و ابلج بهم عن سبيل منهاجه وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه و اسرار كتابه وجعلهم ابواب معرفته حيث‌اطلعهم على خزائن علمه ومكامن سره و وحيه، كلما مضى امام منهم نصب لخلقه من عقبه اماماً مرشداً هادياً نيرا.

فالامام هوالكتاب‌الناطق والكتاب هوالامام الصامت، فهما متصاحبان متلازمان معرفة و جهالة ، فمن ليس له استيهال معرفة الكتاب وان يسأل عن علومه و مسائله فليس من شأنه ان يعرف الامام وحقه فلايجب على مثله ان يعرف الامام الحقيقى، بل الذى يجب عليه ان يكون تحت سياسة الشرع العام والاسلام المطلق الذى يبتنى عليه حقن الدماء و الاحوال و صحة المعاملات و المناكحات و العقود و الذبائح

و نحوها.

واليه الاشارة بقوله عليه‌السلام: ومن لم يؤمن بالله ورسوله، اى ايماناً ناشئاً عن الدليل والمعرفة لابمجرد الاقرار اللسانى و مافى حكمه، ولم يتبعه، اى اتباعا مترتبا على المعرفة، ولم يصدقه، اى تصديقا يقينيا عن حجة ودليل، ولهذا عقب بقوله: ويعرف حقهما، اى لم يعرف حق الله ورسوله، لانه عطف على يصدقه مدخول حرف النفى وكذا فى الموضع الثانى عطف على يؤمن بالله ورسوله، اى لايؤمن بهما ولايعرف حقهما، وليس المراد به الكفرة والمجوس واليهود والنصارى بل ضعفاء اهل الاسلام.

ويؤيد ماذكرنا ايضاً قوله عليه‌السلام فى الجواب عماسأله زرارة بقوله: فماتقول فيمن يؤمن... الى اخره، نعم! اليس هؤلاء يعرفون فلانا وفلانا، يعنى ان الذين يدعون المعرفة والايمان بالله و برسوله والتصديق له فى جميع ما انزل اليه ثم يبحثون عن الامامة و يعرفون ائمة الخلاف فهم ليسوا معذورين كالضعفاء و اهل الضرر و الزمانة وسائر العوام والناقصين الذين لايجدون حيلة ولايهتدون سبيلا فى ان يجهلوا حقنا اهل البيت، فهؤلاء لم يعرفوا حقنا.

كان ذلك لاجل مرض فى قلوبهم واغراض فاسدة فى نفوسهم توجب لهم اتباع الهوى والشيطان و اشار بقوله: فلانا و فلانا الى مطلق ائمة الجور و الطغيان او الى اثنان[1] منهم على الخصوص، ثم اكد ذلك بقوله: الاترى ان الله هو الذى اوقع فى نفوسهم معرفة هؤلاء اى الائمة الجابرة، و ذلك لان الله اجل واعلى من ان يوقع او يفيض على قلب احد مادام على فطرته الاصلية ولم يطرأ عليه مرض او انحراف و سوء استعداد، اعتقاداً باطلا.

ثم بين مؤكداً بالقسم ان الموقع فى نفوس المنحرفين الضالين صورة الجهالات والعقائد الزائفة[2] كاتباع ائمة الجور ونحوه ليس الا الشيطان، ومنشأ تسلطه على النفوس بالوسواس والاغواء سبق اتباع الشهوة والهواء وطلب الدنيا، وان الملهم فى القلوب

١ـ اثنين ـ م.

٢ـ اى: المردودة لغش فيها.

المؤمنين بالمعارف والعلوم الحقة ومعرفة الائمة الطاهرين و واجب حقهم الذى كانوا عليه ليس الا الله تعالى، و ذلك لكون قلوبهم خالية عن امراض النفس واتباع الهوى وحب الدنيا.

الحديث الرابع
و هوالسادس و الستون و اربع مائة

«عنه عن احمد بن محمد عن الحسن بن المحبوب، عن عمرو بن ابى المقدام» ثابت بن هرمز العجلى مـوليهم كوفى تابعـى من اصحاب الصادق عليه السلام ، قال النجاشى: ان ابى المقدام[1] ثابت بن هرمز الحداد مولى بنى عجل روى عن على بن الحسين و ابى جعفر و ابى عبدالله عليهم السلام ، لـه كتاب لطـيف روى عنه عباد بن يعقوب.

قال الكشى: حدثنى حمدويه بن نصير قال: حدثنى محمد بن الحسين عن احمد بن الحسن الميثمى، عن ابى العرندس الكندى عن رجل من قريش قال: كنا بفناء الكعبة و ابوعبدالله عليه السلام قاعد، فقيل: ماا كثر الحاج؟ فقال: ماا قل الحاج، فمر عمرو بن ابى المقدام فقال: هذا من الحاج، وقال العلامة فى «صه» روى الكشى باسناد متصل الى ابى العرندس عن رجل من قريش ان الصادق عليه السلام قال عنه: هذا امير الحاج، وهذه الرواية من المرجحات، ولعل الذى وثقه ابن الغضائرى ونقل عن اصحابنا تضعيفه هو هذا، انتهى. «عن جابر قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله و عرف امامه منا اهل البيت ومن لايعرف الله عزوجل و يعرف[2] الامام منا اهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا.

١ـ ابن ابى المقدام «جش».

٢ـ و [لا] يعرف (الكافى).

الشرح

هذا الحديث يدل على ان معرفة الله يتوقف على معرفة الامام و معرفة الامام يتوقف على معرفة الله عزوجل فيوهم دوراً مستحيلا، وكذا قوله: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله، يدل على ان معرفة الله يتوقف على معرفة الله، فيوهم توقف الشيء على نفسه ابتداء والكل صحيح من غير دور مستحيل و لاتوقف لشيء على نفسه توقفا مستحيلا، فان مراتب المعرفة بالله تعالى متفاوتة وكذا معرفة الامام.

فنقول: الذى يكلف به الانسان اولا ان يعلم ان له الها واحداً حيا قادراً عالماً، فاذا عرف المكلف هذا القدر فلابدان يطلب اماماً مرشداً هادياً يعلمه طريق معرفته لمعبوده وكيفية عبادته لربه حتى لايضل عن سبيل معرفته ولايقع فى الالحاد والاباحة باغواء الشياطين وازاغة المبطلين، فاذا وفق لذلك و وجد الامام الحق يتزيد فى معرفته بالله ويحسن العبادة، فاذا ازدادت معرفته بالله وعبادته فيزداد اعتقاده بالامام و انقياده له فى كل مايأمره به وينهاه عنه حتى يصير كالميت بين يدى الغاسل لايتحرك الابتحريكه ولايريد غير ارادته.

فاذا دام على هذه الحالة يعرف الله حق معرفته التى من شأنه ان ينالها ويعبدالله حق عبادته التى فى وسعه ان يفعلها، فعلى هذه الوجه تبين ان من لم يعرف الله اولا بوجه ولم يعرف الامام ويتبعه لم يعرف الله على التحقيق ولم يعبده، وتبين ايضا ان من يدعى معرفة الامام الحق ولم يعرف الله فهو مدع[1] كاذب ضال يعبد غير الله.

و قوله: هكذا والله، جملة اسمية مؤكدة بالقسم، اى حاله فى المعرفة والعبادة هكذا والله، وقوله: ضلالا، حال اوتميز والعامل معنى الاشارة.

الحديث الخامس
و هوالسابع والستون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور عن فضالة بن-

١- مبتدع - م.

ايوب، عن معوية بن وهب، عن ذريح»، بالراء المكسورة بعدالدال المعجمة المفتوحة والياء المنقطة نقطتين تحتها و الحاء المهملة ابن محمد بن يزيد ابوالوليد المحاربى، عربى من بنى محارب بن قيس[1] روى عن ابى عبدالله وابى الحسن عليهما السلام «صه» والنجاشى، قال الشيخ: انه ثقة له اصل.

و اما ذريح بن يزيد المحاربى الكوفى ابـوالوليد من اصحاب الصادق عليه السلام، فلعله هـو والمذكور اولا واحداً وكان ابن محمد سقط عن القلم كماقيل، لان فى الفقيه: ذريح بن يزيد بن محمد وهو دليل على الاتحاد.

قال الكشى: و روى عن محمد بن سنان، عن عبدالله بن جبلة عن ذريح المحاربى قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام بالمدينة ماتقول فى احاديث جابر؟ قال: تلقانى بمكة، قال: فلقيته بمكة قال تلقانى بمنى، قال فلقيته فى المنى فقال لى: ماتصنع باحاديث جابر[2]؟ اله عن احاديث جابر فانها اذا وقعت الى السفلة اذاعوها، قال عبدالله بن جبلة: فاصبت[3] ذريحاً سفلة، انتهى.

قال الفاضل الاسترابادى: لايخفى انقطاعه وضعفه لمحمـد بن سنان، قال و فى موضـع اخـر منه عن جبرئيل بن احمد عن محمد بن عيسى عن عبدالله بن جبلة عن ذريح: قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن جابر و ما روى فلم يجبنى فسألته الثانية فقال: ياذريح دع ذكر جابر فان السفلة اذا سمعوا شنعوا[4]، وقال اذاعوا.

لكن روى الصدوق فى الصحيح عن عبدالله بن سنان قال: اتيت اباعبدالله عليه السلام فقلت: جعلنى الله فـداك، قول الله عزوجل: ليقضوا تفثهم (الحج ـ ٢٩) ، قال: اخذ الشارب وقص الاظفار وماشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فان ذريح المحاربى

١ـ بن حفص «صه» .

٢ـ اى : اترك ذكره.

٣ـ وفى الكشى ـ فاحسب ـ والظاهر ان الكلمة بصيغة التكلم من المضارع المجرد او الماضى المزيد.

٤ـ شيعوا او قال «جامع الرواة» .

حدثني عنك انك قلت ليقضوا تفثهم لقاء الامام و ليوفوا نذورهم تلك المناسك، قال: صدق ذريح وصدقت، ان للقران ظاهراً و باطنا ومن يحتمل مايحتمل ذريح؟ وفيه كما ترى دلالة على علو مرتبة ذريح رحمه‌الله. «قال سألت ابا عبدالله عليه‌السلام عن الائمة بعدالنبي صلى‌الله عليه واله فقال: كان امير المؤمنين عليه‌السلام اماماً ثم كان الحسن اماما ثم كان الحسين اماما ثم كان علي بن الحسين اماما ثم كان محمدبن علي اماما، من انكر ذلك كان كمن انكر معرفة الله تعالى ومعرفة الرسول[1] صلى‌الله عليه واله ثم قال قلت: ثم انت جعلت فداك؟ فاعدتها عليه ثلث مرات فقال لي عليه‌السلام: اني انما احدثك لتكون من شهداء الله تبارك وتعالى في ارضه».

الشرح

الامام عندنا وعند اهل الحق من ينوب عن رسول‌الله صلى‌الله عليه واله في جميع مايحتاج الامة في امر دينهم و دنياهم ويكون ممن عنده علم القران ظاهره و باطنه و تفسيره و تأويله وجميع علوم الانبياء والمرسلين، ولايوجد هذا الوصف باتفاق محققي الامة بعدالنبي صلى‌الله عليه واله في غير عترته عليهم‌السلام ممن يتولى الامارة ويتسمى بالخلافة.

اولهم علي بن ابي طالب عليه‌السلام، وقد ثبت في الصحاح والاصول انه باب مدينة العلم وباب دار الحكمة وذو قرني هذه الامة وباب حطتها وانه خير البشر وخير الخلق والخليفة وانه سيد العرب و ربانى هذه الامة و امير المؤمنين و سيد الوصيين و يعسوب البرية اجمعين، وان مثله في الناس مثل قل هو الله في القران، وانه ورسول‌الله صلى‌الله عليه واله خيرة من الورى وابو اهذه الامة، وانه قد اعطي تسعة اعشار العلم والناس كلهم عشراً واحداً وهو اعلمهم بالعشر الباقي.

وان علم ابن عباس في جنب علمه كالقرارة في المثعنجر[2]، و بحبه يتبار[3] اسلام

١ـ رسوله (الكافي).

٢ـ القرارة: الغدير الصغير. المثعنجر: هو اكثر موضع في البحر ماء.

٣ـ اي يختبر و يمتحن. و منه الحديث: كنا نبور اولادنا بحب علي عليه‌السلام. و←

المسلمين، ومن احبه فهو لرشده ومن ابغضه فهو لغيه، و به فسر: من عنده علم الكتاب (الرعد ـ ٤٣)، والامام المبين فى قوله تعالى: وكل شيء احصيناه فى امام مبين (يس ـ ١٢)، والنبأ الذى هم فيه مختلفون (النبأ ـ ٢ و ٣)، وعنه مسئولون، و اطبقت العقول على ان كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق، وقال النبى صلى الله عليه واله: من كنت مولاه فهذا على مولاه ومن كنت نبيه فعلى وليه.

قال ابن الاثير فى النهاية: قال الشافعى: يعنى بذلك ولاء الاسلام وتولى امر المسلمين كقوله تعالى: ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لامولى لهم (محمد ـ ١١)، وقال عمر لعلى: اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، اى ولى كل مؤمن، ولو ذهبنا الى ذكر نعوته و مناقبه لايفى به الدفاتر والالواح.

و اما ابناه الحسن والحسين فهما سبطا رسول الله صلى الله عليه و اله و سيد الشباب اهل الجنة، و قد كان رسول الله صلى الله عليه واله يتمطى لهما ويركبهما على عاتقه و يقول لهما: نعم المطى مطيكما ونعم الراكبان انتما و ابوكما خير منكما.

واما على بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين مشهور فى السموات ومعروف فى الارضين، صحيفة الكريمة السجادية من انوار حقائق المعرفة و اثمار حدائق الحكمة واسرار دقائق البلاغة يجرى مجرى التنزيلات السماوية وتسير مسير الصحف اللوحية والعرشية، ومن المعروف عند العارفين باحوال الرجال ان اخيار العلماء و احبار العقلاء من السلف الصالح كانوا يلقبونها زبور ال محمد صلى الله عليه واله وانجيل اهل البيت عليهم السلام، و من حواريه اعاظم من بقى من الصحابة وافاخم من سبق من التابعين. قال الزمخشرى فى الكشاف فى قوله سبحانه: سيماهم فى وجوههم من اثر السجود (الفتح ـ ٢٩)، كان كل من العليين يقال له ذو الثفنات، لان كثرة سجود هما احدث[1] فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير.

واما ابو جعفر محمد بن على باقر علم النبيين سماه رسول الله ولقبه بالباقر لتبقره

← فى حديث علقمة الثقفى: حتى والله ما نحسب الان ذلك شيء يبتار به اسلامنا «النهاية».

١ ـ احدثت «الكشاف».

فی العلم وقال: انه يبقر العلم بقراً، و انبأ جابر رضی الله عنه: انك ستدركه، قال له: اذا ادركته فاقرأه منی السلام، و الحديث مستفيض الطرق متواتر المعنی و المفاد لدی العامة والخاصة.

واما ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فهو ميزان الله الفارق ولسان الحق الناطق و نوره الشارق و وميضه البارق، انفجرت منه ينابيع العلوم والحكم و انتثرت ازاهير المعارف والاحكام، احصی من رجاله المعروفين زهاء اربعة الاف رجال من الحجاز والعراق والشام وخراسان و دون فی مجالسه من اجوبة عن المسائل واقضية فی الغوامض اربعمائة مصنف، لاربعمائه مصنف، هی المسماة باصول ائمة المذاهب، واعلام الطرائق و عظماء المشايخ يدخلون انفسهم ويسندون مسالكهم الی طريقه ويتبجحون[1] بالاسناد الی بابه و يباهون بالانتساب الی جنابه. كان مالك اذا سأل فی الدرب عن مسألة لم يجب السائل، فقيل له فی ذلك فقال: انی اخذت العلم من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام و كنت اذا اتيت اليه لاستفيد منه نهض و لبس افخر ثيابه و جلس فی مسنده و حمدالله تعالی و افادنی شيئا ، و استفادة ابی حنيفة منه ظاهرة غنية عن البيان.

قال شيخهم الناقد ابوعبدالله الذهبی فی كتاب ميزان الاعتدال فی نقد الرجال: جعفر بن محمد بن علی بن الحسين الهاشمی ابوعبدالله احد الائمة الاعلام بر صادق كبير الشأن، ثم قال: لم يرو مالك عن جعفر حتی ظهر امر بنی العباس، وقال فی مختصره فی رجال الكتب الستة: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ابوعبدالله، قال ابوحنيفة: مارأيت افقه منه مشی[2]، وقد دخلنی له من الهيبة مالم يدخلنی المنصور فی موكبه.

و قال امامهم الرازی فی كتاب الاربعين: كان ابويزيد البسطامی يفتخر بانه يستسقی الماء لدار جعفر الصادق عليه السلام ومعروف الكرخی اسلم علی يدی الرضا عليه السلام و كان بواب داره الی ان مات.

۱ــ ای : يتفاخرون و يتباهون.

۲ــ شیء ــ م .

و قال القاضی عضد فی کتاب المواقف فی فضائـل علی علیه السلام: اختصاصه بمصاحبة کفاطمة سیدة نساء العالمین و ولـدین کالحسن والحسین وهما سیداشباب اهل الجنة ثم اولاد اولاده ممن اتفق الانام علی فضلهم علی العالمین حتی کان ابویزید مع علو طبقته سقاء فی دارجعفر الصادق علیه السلام و کان معروف الکرخی بواب دار علی بن موسی الرضا علیه السلام.

فانما اوردنا هذه الاخبار من کتب الجمهور لیکون حجة علی العامة و علمائهم الذین هم علماء الرسوم ولایعرفـون الحق الامن طریق السمع و نقل الرجال لابنور[1] الاحوال.

واما العارفون بالله وایاته و ملائکته و کتبه و رسله من طریق المکاشفة والبرهان فهم اذا نظروا الی احادیث اهل البیت و علـومهم المنقول عنهم علیهم السلام علموا وتیقنوا انهم ینابیع الهدی و العرفان و معادن علم الوحی و القران و ابواب الحکمة والبرهان ومقائیس[2] انوار الایمان.

وقوله علیه السلام: انما حدثتك لتکون من شهداء الله تعالی فی ارضه، ای انما علمتك معرفة الائمة الهداة لتکـون من العرفاء الشاهدین بتوحیده تعالی کمافی قـوله تعالی: شهدالله انه لاالهالا هو و الملائکة و اولـوا العلم (ال عمران ـ ١٨)، فان علم التوحید لایمکن تحصیله بالحقیقة الا بتعلیمهم و هدایتهم علیهم السلام، وکأنه انما لم یجب عن قول ذریح: ثم انت؟ لاجـل ان معرفتهم علیهم السلام یستلزم معرفته، ولانه علیه السلام لم یرد التصریح بتزکیة النفس.

الحدیث السادس

وهوالثامن والستون واربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن خالـد، عن ابیه، عمن ذکـره عن

١ـ لابغور ـ م.

٢ـ مقابس ـ م.

محمد بن عبدالرحمن بن ابی لیلی، عن ابیه، عن ابی عبدالله علیه السلام قال: انکم لاتکونون صالحین حتی تعرفوا ولاتعرفوا حتی تصدقوا و لاتصدقوا حتی تسلموا ابواباً اربعة لایصلح اولها الا باخرها، ضل اصحاب الثلاثة وتاهوا تیها بعیداً ان الله تبارك و تعالی لایقبل الا العمل الصالح ولایقبل الله الا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفی لله عزوجل بشرطه واستعمل ماوصف فی عهده نال ماعنده و استکمل [ما] وعده، ان الله تعالی اخبر العباد بطریق[1] الهدی وشرع لهم فیها المنار واخبرهم کیف یسلکون، فقال: وانی لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدی (طه - ٨٢)، وقال: انما یتقبل الله من المتقین (المائدة - ٢٧). فمن اتقی الله فیما أمره لقی الله مومناً بماجاء به محمد صلی الله علیه واله هیهات هیهات! فات قوم وماتوا قبل ان یهتدوا وظنوا انهم امنوا واشرکوا من حیث لایعلمون، انه من اتی البیوت من ابوابها اهتدی ومن اخذ فی غیرها سلك طریق الردی، وصل الله طاعة ولی امره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم یطع الله ولارسوله و هو الاقرار بما انزل من عندالله عزوجل، خذوا زینتکم عندکل مسجد (الاعراف-٣١) والتمسوا البیوت التی اذن الله ان ترفع ویذکر فیها اسمه، فانه اخبرکم انهم رجال لاتلهیهم تجارة ولابیع عن ذکر الله و اقام الصلاة و ایتاء الزکاة یخافون یوما تتقلب فیه القلوب و الابصار (النور - ٣٦ و ٣٧)، ان الله قد استخلص الرسل لامره، ثم استخلصهم مصدقین بذلك فی نذره، فقال: وان من امة الا خلا فیها نذیر (فاطر - ٢٤)، تاه من جهل واهتدی من ابصر وعقل. ان الله عزوجل یقول: فانها لاتعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور (الحج - ٤٦)».

«وکیف یهتدی من لم یبصر! وکیف یبصر من لم یتدبر! اتبعوا رسول الله واهل بیته و اقروا بمانزل من عندالله و اتبعوا آثار الهدی، فانهم علامات الامانة والتقی و اعلموا انه لوانکر رجل عیسی بن مریم علیهما السلام و اقر بمن سواه من الرسل لم یؤمن، اقتصوا الطریق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الاثار تستکملوا امر دینکم و تؤمنوا بالله ربکم.

١- طرق (الکافی).

الشرح

قال الجوهرى فى الصحاح: التسليم بذل الرضا بالحكم وكذا الاسلام، و اسلم امره الى الله اى سلم، واسلم دخل فى السلم و هو الاستسلام، واسلم من الاسلام، يقال: تاه فى الارض تيهاً وتيهانا ذهب متحيراً؛ والمنار علم الطريق، و اول من ضربه ابرهة بن الحرث ملك اليمن فسمى ذا المنار، والمنارة التى يؤذن عليها لانها كانت ممايوضع فوقها[1] السراج و هى مفعلة من الاستنارة؛ وهيهات وكذا ايهات كلمة تبعيد؛ و النذر بضمتين جمع نذر او نذير بمعنى منذور ، و النذير فعيل بمعنى المنذر اى المبلغ و الانذار الابلاغ ولايكون الا فى التخويف؛ والردى من ردى فى البئر و تردى اذا سقط فى بئر او تهور من جبل، وقص اثره وكذا اقتص وتقصص اى اتبعه قال تعالى: فارتدا على اثارهما قصصا (الكهف ـ ٦٤).

الغرض من هذا الحديث بيان حاجة الناس الى الامام الحق من جهة ان طاعتهم لله لاتتم ولاتصلح الابالمعرفة و التصديق على وجه اليقين، و ذلك لايمكن الا بالاخذ عن ولاة الامر وابواب العلم والهدى واهل بيت النبوة والولاية، فقوله: انكم لاتكونوا صالحين حتى تعرفوا، ان الصلاح والعدالة لاتحصل الابتكرر العبادة والاعمال مقرونا بالنية الخالصة و قصد التقرب الى الله تعالى، و ذلك يتوقف على معرفة الله.

و قوله: ولاتعرفوا حتى تصدقوا ، اى تعلموا علماً يقينيا بوجود ذاته تعالى و توحيده وبرائته عن نقائص الامكان و مثالب الحدثان ، اذا المراد بمعرفته ليس مجرد تصور هذه المعانى او حصول الظن بتحقيقها كما هو حال الاكثرين كما قال: و مايتبع اكثرهم الاظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئاً (يونس ـ ٣٦) ، وقوله: ولاتصدقوا حتى تسلموا ابوابا اربعة، و ذلك لان العلم والحكمة كمامر لايأتى الامن قبل الله بالوحى او الالهام، و هو المسمى بالعلم اللدنى، او بواسطة من يأتيه من لدنه وهم الابواب.

واما من اكتسب علمه من جهة تقليد او رواية او قياس اونحو ذلك فليس ذلك

---

١ ـ عليها. النسخة البدل.

بعلم حقيقي وسيغلب به الشكوك و توقعه في اودية الظنون والجهالات ومهاوى الحيرة والضلالات، فالانسان الذى هو غير النبى والولى لايعرف الاصول الايمانية الا بالاخذ من احدهما، ولايكون الرجل مؤمنا حقا الابان يكون عارفا بالله وملائكته وكتبه ورسله على وجه التحقيق، و بين عليه السلام ذلك بوجوه:

منها قوله: ان الله تبارك و تعالى الى قوله و استكمل وعده، يعنى ان الفوز والنجاح لايحصل الا بالعمل الصالح ولايكون العمل صالحا مقبولا عندالله الا اذا كان مقرونا باستيفاء شروطه وعهوده التى لايتم الابها، ومن الشروط والعهود الاخلاص فى العمل ، و معرفة الغاية التى لاجلها العمل، و معرفة المبدأ الذى امر العباد بذلك و توحيده وعلمه الكامل المحيط وقدرته الشاملة وكرمه و جوده ولطفه و رحمته وسائر صفاته التمجيدية والتقديسية، و معرفة الهادين المعلمين و معرفة الشياطين المضلين من الجن والانس وجنود ابليس اجمعين.

ومنها قوله عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى اخبر العباد الى قوله: لقى الله مؤمنا بماجاء به محمد صلى الله عليه واله، حاصله: ان القران مشحون بذكر طرق العلم والهدى و ابواب الدخول الى عالم القرب والملكوت الاعلى وكيفية العبودية و سلوك الصراط المستقيم الى الرب تعالى والوصول الى دار رحمته وكرامته.

اما الاول فهو المراد بذكر الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر عباد الله الكاملين كخضر ولقمان و اسكندر وآصف تعليما لعباده بالاتباع لمن كان يضاحيهم ويحذو حذوهم ويتنور بمثل نورهم و يهتدى بهداهم، كما قال تعالى بعد ذكر الانبياء مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه واله: اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده (الانعام ـ ٩٠)، وقوله: شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى و عيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا (الشورى ـ ١٣)، وقوله تعالى: انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبوراً الى قوله: وكلم الله موسى تكليما (النساء ١٦٣ و ١٦٤)، وامثال هذه من الايات التى فيها ذكر الانبياء عليهم السلام

واحوالهم و حكاياتهم.

اذ المقصود من ذلك كله ان يعلم العباد ابـواب الهداية و ائمة الرشاد واولياء الرحمن و منار السبيل الى دار الرضـوان و امناء الدين و الايمان لينتهجوا مناهجهم و ليقتبسوا نور العلم والعرفان من مشكوتهم.

و اما الثانى اعنى اخبار الله عن كيفية السلوك الى الله فيه ايات كثيرة: مثل قوله تعالى: و انى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى (طه ـ ٨٢)، جعل غفرانه متعلقا بامور اربعة: احدها التوبة لانه بمنزلة صقالة مراة القلب عن درن المعاصى ورين السيئات؛ والثانى الايمان والمراد به هيهنا الاقرار بالتوحيد والرسالة ؛ والثالث العمل الصالح كالصلوة و الزكوة والصوم والحج والجهاد؛ والرابع الاهتداء و هو العمدة و لهذا عطف بـ«ثم» اهتماماً به ، فعلم من هـذه الاية ان استحقاق غفران الله و رضـوانه لايحصل الا بالاهتداء وهو استنارة القلب بنور العلم و الهدى، وكقوله: انما يتقبل الله من المتقين، يعنى ان الاعمال والعبادات غير مقبولة لله من احد الا من المتقين، والمتقى من اتقى الله فيما يأمره وينهاه، والاتقاء والخشية فرع على العلم و المعرفة لقوله: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ـ ٢٨)، و مثل الايات التى فيها الحث على العلم و التذكر والعقل والتدبر والذم للجهل والنسيان والغفلة وهى كثيرة لاتحصى.

و قوله: هيهات هيهات، الى قوله: سلك طريق الردى، اشارة الى غرور طائفة زعموا انفسهم انهم من اهل النسك والعرفان وهم اضل ضلالا من الانعام، وظنوا انهم من المؤمنين الموحدين والله يشهد انهم من المنافقين والمشركين وماتوا وهم كافرون، واليهم الاشارة بقوله تعالى: قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم (الكهف ـ ١٠٣) ...الايـة، و ذلك لتركهم الاقتداء بالذين هـم من اهـل الهدى و اليقين و البصيرة فى امر الدين .

ومنها قوله عليه السلام: وصل الله طاعة ولى امره بطاعة رسوله الى قوله عزوجل، يعنى انه تعالى حيث امر عباده بطاعة الله و طاعة رسوله و طاعة اولى الامر فى قوله : اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩) ، فقد ربط طاعة ولى

امره بطاعة رسوله كما وصل وناط طاعة رسوله بطاعته. فقد علم و تحقق ان طاعة الله كمالايتم الابطاعة الرسول فكذلك طاعة الرسول لايتم ولايكمل الابطاعة ولى الامر فى كل زمان، فمن ترك طاعة[1] الرسول وهو الاقرار بجميع ما انزل اليه من عندالله كفر بالله وترك طاعته واشرك به.

و منها قوله عليه السلام على وجه الاقتباس : خذوا زينتكم عندكل مسجد، فان زينة الانسان وكماله بماهو انسان معنوى انما هى بالعلم والعبودية، و حقيقة المسجد هى بيت الذكر و التقديس والتسبيح، وهو بالحقيقة قلب العالم بالله الراسخ فى العلم و العرفان.

فتأويل الاية : ايجاب اخذ العلم من قلوب الاولياء والعلماء الراسخين لامن افواه الرجال الناقصين فى العلم واليقين.

وقوله: والتمسوا البيوت التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، يعنى اطلبوا العلم من اهالى بيوت النبوة والعلم والهدى، وتلك البيوت هى قلوب الانبياء والاولياء التى ارتفعت وصعدت الى الله تعالى باذنه و تأييده لها بالعلم والعمل كما فى قوله : اليه يصعد الكلم الطيب (فاطر ـ ١٠)، اذ قد يعبر عن القلوب والارواح بالكلمات كما فى قوله: وكلمته القاها الى مريم و روح منه (النساء ـ ١٧١)، وقوله: ومثل كلمة طيبة (ابراهيم ـ ٢٤)، وقوله: ومثل كلمة خبيثة (ابراهيم ـ ٢٦)، كما يعبر عنها بالكتب كما فى قوله: ان كتاب الابرار لفى عليين (المطففين ـ ١٨) ، و قوله: ان كتاب الفجار لفى سجين (المطففين ـ ٧).

وانما يعبر عن قلوبهم و ارواحهم بالمساجد والبيوت لله، لانها بالحقيقة مواضع ذكر الله ومحال معرفته و خزائن علمه كما اشير اليه بقوله: و يذكر فيها اسمه، والمراد بالذكر هو العلم بالله وصفاته و اسمائه، ومعلوم لذوى البصائر انه ليس المراد بالبيوت فى هذه الاية البيوت المبنية من الحجر و المدر ولاالمراد بان ترفع ارتفاع الجدران

١ـ فمن ترك طاعة ولاة الامر و الائمة فقد ترك طاعة الرسول، لانهم حفظة كتابه و علمه وخزنة سره و وحيه، و من ترك طاعة الرسول... ـ م.

والسقوف، وقد ورد: قلب المؤمن بيت الله، فعلى هذا القياس قلب المنافق بيت الشيطان لانه موضع الوساوس والحيل والاغاليط.

وقوله عليه السلام: فانه اخبركم انهم رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار، اشارة الى صحة هذا التأويل و تحقيقه، يعنى ان الله تعالى اعلمكم وانبأكم بان المراد من البيوت المذكورة التى اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه هم نفوس الائمة والاولياء عليهم السلام حيث قال: رجال كذا وكذا ولم يقل فيها رجال.

واما القول بان الرجال ومايوصف به متعلق بقوله: فى بيوت و روادفه بان يكون مبتداء و قدم عليه خبره كما قاله اهل التفسير فلايخلو عن بعد مع انه غير لازم، و انه عليه السلام اعلم بالتأويل لانه من الراسخين فى العلم، والمراد بقوله تعالى يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار، يوم القيامة ونشأة الاخرة اذ يبعث فيه القلوب والابصار. فطائفة تبعث وقدصارت قلوبهم كارواح الملائكة المقربين وابصارهم بصائر ناظرة الى ربهم، وطائفة تحشر و قد صارت قلوبهم البهائم والسباع و ابصارهم عمياء، وهذه حركة جوهرية و تقلب ذاتى ومسخ باطنى كما حققناه.

ومنها قوله عليه السلام: قد استخلص الرسل لامره ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى نذره فقال: وان من امة الا خلا فيها نذير. وجه الاستدلال به ان الله سبحانه من لدن ابتداء العالم و وجود بنى ادم الى بعثة نبينا صلى الله عليه واله لم يبق الارض من غير رسول اونبى، و لم يترك الامم الاوارسل اليهم الهداة المنذرين، وانه قد اصطفى و استخلص الرسل والانبياء وهم افضل الخلائق لتبليغ امره وحكمه وجعلهم بسبب ذلك الاستخلاص والاصطفاء مصدقين معصومين عن الخطاء فى اخبار الله و نذره كما دل عليه قوله تعالى: وان من امة الا خلا فيها نذير، اى مامن امة الا مضى وارسل فيها نذير وهو رسول اونبى.

فاذا تقرر و ثبت ان سنة الله جارية على عدم خلو الارض عن القائمين بامره الحافظين لدينه المخبرين عنه الهادين لخلقه فيكون الحال فى كل زمان على هذا

المنوال ولن تجد لسنة الله تبديلا ولاتحويلا، الاان الرسالة لما ختمت بمحمد صلى الله عليه واله فلايكون بعده نبى، اى نبوة التشريع ولارسول.

لان كل من يأتى بعده من الائمة و الاولياء فهو تابع له فى دينه و شريعته، لان الدين قدكمل ببعثته و بلغت الشريعة غايتها لقوله تعالى: اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى (المائدة ـ ٣)، فلم يبق الا الاعلامات والالهامات الباطنية المتعلقة باسرار اليقين وعلوم الكتاب والحكمة والدين وهى لاتنقطع ابدا، فلابد فى كل زمان من هادى منذر يتعلم من الله ويتنور قلبه بنوره ويهتدى بهداه لابهدى الخلق لان يهدى الخلق.

ومنها قوله عليه السلام: تاه من جهل واهتدى من ابصر الى قوله عليه السلام: لم يتدبر، تقريره:

ان العلم و هـو البصيرة القلبية شرط الاهتداء الى سواء السبيل، كما ان البصر الحسى شرط للمشى على طريق مقصد من غير زيغ و وقوع فى بئر ونحو ذلك، فمن جهل تاه عن سبيل الله فى اودية الضلال والهلاك ومن ابصراى عقل اهتدى، لان الجهل عمى فى القلب عن ملاحظة طريق الحـق و العقل بصيرة قلبية لقـوله : فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، فكيف يهتدى الى طريق الحق بلاامام وقائد من لم يكن له نور البصيرة العقلية ولم يتدبر؟ كماان من لم يكن له البصر الحسى لايقدر ان يمشى الى المقصد بلاقائد.

فعامة الناس يحتاجون فى طريق العبودية والطاعه لله الى قائد ذى بصيرة و امام حق اخذ علمه من الله بلاواسطة ، والاحتاج هو ايضاً الى امام اخر فيلزم اما التسلسل او الانتهاء الى من يأخذ من الله، والاول باطل فتعين الثانى وهو المراد بالامام هيهنا.

و اذا بين وحقق عليه السلام بهذه الوجوه والدلائل ماكان بصدده صرح بماهو كالنتيجة لها فى صورة الامر بالعمل بمقتضاها فانه ابلغ واكد وهو قوله: اتبعوا رسول الله صلى اله عليه واله واهل بيته، اى اهل بيت النبوة والهدى، وقوله: و اقروا بما نزل من عندالله، اراد بمانزل من عندالله الايات التى ذكرها فى هذا الحديث اوكل اية نزلت فى باب اتباع الرسول و ولاة الامر او نزلت فى باب العلم والهدى و التقى و ذم الجهل

والعمى، فان الاقرار بها يوجب اتباع ائمة الدين و اقتفاء اثار العلم واليقين وعلامات هدى الله و اليه اشار بقوله: و اتبعوا اثار الهدى فانهم علامات الامانة و التقى، و قد حققنا معنى الامانةالتى عرضت علىالسموات والارض والجبال ولميحملها الاالانسان الكامل .

و قوله: و اعلموا انه لوانكر رجل عيسى بن مريم عليهالسلام و اقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن ، اراد به ان الايمان بالرسول صلىالله عليه واله لايتم الا بالايمان بمن بعده من الائمة عليهمالسلام، لان سبب وجوب الايمان والطاعة مشترك بينه و بين الائمة عليهمالسلام و هوالحاجة الى من يقودالناس ويهديهم فىكل زمان.

و اوضح ذلك بان من انكر واحداً من الرسل والانبياء كعيسى عليهالسلام و اقربمن سواه منهم لم يكن مؤمنا بهم ولا باحدهم فىالحقيقة، لان العلة مشتركة بين الجميع، فمنامن ببعضهم دون بعضفليس ايمانه الامجرد الاقرار باللسان دونالضمير والا فلامعنى للتفرقة بينهم كمافى قوله تعالى حكاية عن قول المؤمنين بالله و رسوله: لانفرق بين احد منهم (البقرة ـ ١٣٦)، فكذلك يجب ان يكون الامر فى باب الائمة والاوصياء عليهم السلام من وجوب طاعتهكلهم وانقيادهم و اتباع سبيلهم جملة من غير فرق.

ثم استأنف الكلام تأكيداً و توضيحا بقوله: اقتصوا الطريق، اى اتبعوا سبيل الحق واسلكوها بالتماس المنار، اى العلامةكيلا تضلوا و لاتخرجوا عن الطريق الى اودية الهلاك، و قوله: والتمسوا من وراء الحجب الاثار، عطف تفسير لما قبله مع زيادة اعتراضية افادها تنبيها على شدة الحاجة الى التماس المنار والاثار، فان الاعمى فىالظاهر له حجاب واحد وهو فقد بصره واكثر الناس لهم حجب كثيرة يحجبهم عن سبيل الحق بعضها داخلية وبعضها خارجية.

فالداخلية كالجهل وسائر الامراضالقلبية ممايطول شرحها ـ وسيأتى فىكتاب الايمان و الكفر ـ ، والخارجية كالائمة و الامراء المضلين و علماء الدنيا الجاهلين بحقائق الدين و اسرار اليقين و سائر المعطلين و الاشرار وابناء الشياطين و جنود

ابليس اجمعين .

و قـوله عليه‌السلام : تستكملوا امر دينكم و تؤمنوا بالله، جـواب لماسبق من الاوامر اولقوله: اقتصوا والتمسوا خاصة تنبيها على ان الدين لايكمل والايمان لايحصل الاباتباع هؤلاء الائمة عليهم السلام.

الحديث السابع

و هوالتاسع والستون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن‌الحسين بن صغير»، مجهول غير مذكور فى هـذه الكتب الرجالية. «عمن حدثه عن ربعى بن عبدالله، عن ابى عبدالله عليه‌السلام انه قال: ابى الله ان يجرى الاشياء الاباسباب، فجعل لكل شىء سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما وجعل لكل علم بابا ناطقا، عرفه من عرفه وجهله من جهله؛ ذاك رسول الله صلى الله عليه واله ونحن».

الشرح

قوله: ابى الله ان يجرى الاشياء الاباسباب، لان الله سبحانه فى غاية الاحـدية و التنزيه والتقديس، والاشياء كثيرة منقسمة، ولابد فى الايجاد من مناسبة خاصة بين السبب والمسبب، وايضاً نسبته تعالى الى الكل بالقدرة نسبة واحدة فلابد فى تخصيص بعضها بايجاد دون بعض من سبب مرجح والايلزم الترجيح بلامرجح وهومحال.

واعلم ان هذه مسألة مهمة لااهـم منها، لان القول بالعلة والمعلول مبنى جميع المقاصد العلمية و مبنى علـم التوحيد والربوبية والمعاد وعلم الرسالة والامامة و علم النفس ومابعدها وماقبلها و علـم تهذيب الاخلاق والسياسات وغيرذلك، و بانكاره و تمكين الارادة الجزافية كما هو مذهب اكثر العامة و علمائهم، تنهدم قواعـد العلم و اليقين واصول الحكمة والكتاب والدين.

ففى ما ذكره عليه السلام رد على مذهب العامة و من يجرى مجراهـم ، و انه

اعظم فتنة ابـدعها الشيطان و انتشرت بين الناس يتشبث بها المنافقون المعرضون عن طريق الحق من انكار الحكمة واليقينيات والاقتصار على الظنون والنقليات، و انما عبر عن ايجاد الاشياء باجرائها تنبيهاً على ان وجودات الاشياء الكونية على وجه السيلان و التجدد وانها تدريجية الوجود من باب الحركة والزمان ـ كما حققناه واثبتنا به حدوث العالم بجميع مافيه ـ .

وقوله: فجعل لكل شيء سببا، اى لكل موجود سواه، فان الممكن مفتقر الى السبب لا فى امكانه و لافى شيئيته بل فى وجوده ، فالمجعول هو وجـود الانسان مثلا لاماهيته ولاانسانيته ولاكـونه انسانا اوحيوانا بالجعل البسيط او المركب كمابين فى مقامه، و قوله: و جعل لكل سبب شرحاً ، اى حـدا او رسماً وهوالذى يقال له القول الشارح فى عرف النظار، فالحد للمركبات سواء كان من المواد والصور اومن الاجناس والفصول، والرسم للبسائط وهو من الخواص والاعراض اللازمة.

وقوله: وجعل لكل شرح علماً، اراد بالعلم اليقين كماهوعرف القران والحديث، وفيه اشارة الى مابين فى الحكمة ان الحد للشيء و البرهان عليه متشاركان فى الاجزاء و الحدود، وما لاحـد له لابرهان عليه وكـذا العكس، وان العلم اليقينى بذى السبب لايحصل الامن جهة سببه وهوالبرهان.

فكما ان العلم بوجود الشيء لايحصل الا بالبرهان فكذلك معرفة حده وشرحه لايحصل الا بالبرهان، لان اجزاء شرحه الحدى هى بعينها اسباب وجـوده فى ذاته و اجزاء شرحه الرسمى هى اسباب وجوده على صفة[1]، وقدجعل الله لكل من هذه المطالب علماً يستفاد بالبرهان وهو معرفة الشيء من جهة سببه.

و قوله: وجعل لكل علم باباً ناطقا عرفه من عرفه وجهله من جهله، الضمير الاول فى كل منهما راجع الى العلم والثانى الى الباب، وقد علمت فيماسبق ان حجة الله حجتان: حجة باطنة وحجة ظاهرة.

فالاولى الانبياء و من يحذو حذوهم فى الاخذ عن الله بواسطة البرهان العقلى.

١ـ على صفته ـ م.

والثانية للعامة من العباد و مايجرى مجراهم فى وجوب اخذهم المعارف من النبى والامام عليهما السلام، فكما جعل الله لكل علم باباً باطناً و حجة باطنة فكذلك جعل لكل علم بابا ناطقا و حجة ظاهرة؛ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله و اهل بيته المعصومين عليهم السلام.

الحديث الثامن
و هو السبعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى عن علاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: كل من دان الله عزوجل بعباده يجهد فيها نفسه ولا امام له من الله، فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانيء لاعماله، و مثله كمثل شاة ضلت عن راعيها و قطيعها فهجمت ذاهبة و جائية يومها؛ فلما جنها الليل بصرت بقطيع غنم مع غير[1] راعيها، فحنت اليها واغترت بها، فباتت معها فى مربضها فلما ان ساق الراعى قطيعه انكرت راعيها و قطيعها، فهجمت متحيرة فحنت اليها و قطيعها[2] فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها واغترت بها، فصاح بها الراعى: الحقى براعيك وقطيعك فانت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة؛ متحيرة، تائهة، لاراعى لها يرشدها الى مرعاها او يردها؛ فبينا هى كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها، فاكلها».

«وكذلك والله يامحمد! من اصبح من هذه الامة لاامام له من الله عزوجل ظاهر عادل اصبح ضالا تائهاً، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاق واعلم يامحمد! ان ائمة الجور و اتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا و اضلوا، فاعمالهم التى يعملونها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد (ابراهيم - ١٨)».

١- مع راعيها (الكافى).

٢- متحيرة تطلب راعيها و قطيعها (الكافى).

الشرح

دان الله اى اطاعه من الدين؛ وشانىء من الشنائة كالشناعة و هى البغض، وقد شنأه من باب لبس شنئاً بحركات الشين اى ابغضه فهوشانىء؛ والقطيع الطائفة من الغنم والبقر؛ والهجوم الاتيان دفعة والدخول من غير استئذان؛ جنه الليل وجن عليه واجنه ستره؛ والمربض للغنم كالمعطن والمبرك للابل، وربوض الغنم والبقر والفرس و الكلب مثل بروك الابل و جثوم الطير وجلوس الانسان، ذعرة اى فزعة من ذعره ذعراً فزعه، بيناهى كذلك اى كانت بين اوقات تحيرها فانه قديحذف مضاف اليه بين ويعوض عنه بالالف، كمايقال: بينا نحن نرقبه اتانا، اى اتانا بين اوقات رقبتنا اياه، و الضيعة الهلاك، يقال: ضاع الشيء يضيع وضياعا.

اقول: لما ثبت ان العبادة لاتصح الابالعلم والعلم لايحصل الامن عندالله بلا- واسطة او بواسطة من حصل له من عندالله كالنبى والامام بالحق، فكل من اراد ان يدين الله بعبادة و بذل فيها غاية سعيه وجهده وهو وليس ممن يهتدى بهدى الله ونوره بلاواسطة ولاله امام هاد ومهدى من الله فسعيه باطل غير مقبول، وهومعذلك ضال عن طريق الحق متحير والله مبغض لاعماله.

اماكون سعيه باطلاغير مقبول فظاهر، لان شرط صحة العبادة معرفة المعبود والقصد الى تقربه وهى غير حاصلة له، واماكونه ضالا عن الطريق فلظنه الفاسد انه على شيء يعتد به من الطاعة وهوليس على شيء منها اصلا، و اماكون عمله مبغوضاً ممقوتا عندالله وعند ملائكته ورسله واوليائه، فلما لاينفك عنه الجاهل الناسك من الاعجاب والكبر و الغرور و تزكية النفس و تحقير الغير وسائر الامراض والافات المهلكة.

ثم انه عليه السلام ضرب للجاهل المتعبد الذى ليس له امام مثلا فقال: و مثله كمثل شاة الى قوله: ميتة كفرو نفاق، والتمثيل عبارة عن تشبيه هيئة مجموع بهيئة مجموع اخر ولابد من اشتماله على تشبيهات متعددة للاجزاء.

ففى هذاالتمثيل شبه الامام بالراعى والامة بالغنم والجاهل الذى لاامام له بالشاة التى ضلت عن راعيها و قطيعها و شبهت عبادته و سعيه بتهجم تلك الشاة ذاهبة و

جائية لاشتراكهما فى الضلال والتحير مع السعى والتردد.

واما قوله عليه السلام: فلما جنها الليل بصرت بقطيع غنم، فكان المشبه ههنا اطلاع الجاهل الناسك فى بعض الاوقات على ظلمة جهله وعماه لما ظهر عليه بعض العلامات الدالة على انحطاط مرتبته، مثل مايرى من ارتفاع حال من يحقرهم ويذرى بهم من بعض طلبة العلم و نحو ذلك، فعند ذلك ربما يريد ان يدخل فى زمرة طائفة منهم ويشرع فى اكتساب ماهم عليه، لكن لما بطل استعداده ورسخ فى قلبه هيئة الجهل والعمى فلم يزده الدخول فيهم والكون معهم زماناً الاتنفراً وانكاراً انكر طبعه طريق تلك الطائفة وانكر قائدهم و امامهم وان كانوا على الحق، فقوله: فباتت معها فى مربضها، تشبيه لكونه مع تلك الجماعة مدة فى مجلس استفادتهم ومدرستهم، والتعبير عنه بالبيتوتة لماسبق من كونه فى ظلمة ليل الجهل.

و قوله: فلما ان ساق الراعى قطيعه، تشبيه لترقى تلك الطائفة فيما هم عليه و انسياقهم فى سبيلهم من جهة امامهم وقائدهم، وقوله: وانكرت راعيها و قطيعها، تشبيه لانكار هذا الجاهل المتنسك لتلك الجماعة من الطلاب و رئيسهم بعد ان كان مدة معهم على ظاهر التقليد و صورة الطلب من غير قلب سامع و اذن واع.

وقوله: فهجمت متحيرة بطلب راعيها وقطيعها، تشبيه لحاله بعد انكاره لهؤلاء و انضجاره عن طريقتهم لما وجدها صعباً غامضاً، وهو لاعجابه بنفسه يريد ان يطلب منهجاً يكون هو من جملة المعتبرين فيه.

و قوله عليه السلام: فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها و اغترت بها، تشبيه بحاله فى ارادة لحوقه بطائفة اخرى زاعما انه من صنف هؤلاء دون الطائفة الاولى لما رأى منهم من صورة الاعمال والعبادات، ولم يدر ان بناء اعمالهم على المعارف الحقة الباطنية والمكاشفات العلمية السرية، فلما اراد ان يدخل فى زمرتهم ويسنن بسنتهم رده شيخ هذه الطائفة و امامهم لما رأى من عدم اهليته و فساد باطنه و جمود قريحته و قساوة قلبه.

والى هذا الرد اشار بقوله: فصاح بها الراعى الحقى براعيك وقطيعك فانت

تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، تنبيه على انه كان يجب عليه منذ اول امره قبل رسوخ هذه الرذائل النفسانية و استحكام الجهالة و القساوة ان يكون مع الجماعة تابعا لقائد مرشد يهديه ويأمره وينهاه، وهو يأتمر بامره وينتهى بنهيه ويعمل باشارته ويسلك بنوره و يهتدى بهداه، واما بعد مرور الازمنة والاوقات بالبطالة والجهالات فلاينجع فيه التعليم والتأديب ولاالسعى والتهذيب، ومثل قول هـذا الراعى لها: الحقى براعيك وقطيعك فى ما حكاه الله تعالى بقوله: يـوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا (الحديد ـ ١٣).

وقوله: فهجمت ذعرة متحيرة لاراعى لها يرشدها الى مرعاها او يردها، تشبيه بضيعة فيمابقى من عمره متحيراً شاكا مضطرباً ضالا لاهـادى له يرشده الى معاده او يرده من الضلالة الى الاهتداء ومن الانحراف الى الاستقامة.

وقوله: فبينا هى كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها، المشبه بالذئب اما موته الذى هو باستيلاء احدى الطبائع العنصرية على مزاجه الحيوانى و حرارته الغريزية وتغمرها و تفنيها فيقطع الهلاك، واما الشيطان اذ يغتنم اضلاله فى تلك الحالة و يجـد الفرصة لاهلاك الابدى بالكفر والنفاق، وباقى الفاظ الحديث واضح.

الحديث التاسع

وهو الحادى والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور عن عبدالله بن عبدالرحمن» الاصم المسمعى بصرى ضعيف غال ليس بشىء، وله كتاب فى الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت وكان من كذابة اهل البصرة، و روى عن مسمع كردين وغيره «صه» قال النجاشى: له كتاب المزار سمعت ممن رآه فقال[1]: هو تخليط، وله كتاب الناسخ والمنسوخ روى عنه محمد بن عيسى.

«عن الهيثم بن واقـد»، من اصحاب الصادق عليه السلام، و فى كتاب البرقى

١ـ فقال لى «جش».

مولاه[1] عليه السلام، في النجاشي: الخرزي[2]، روى عن ابي عبدالله عليه السلام له كتاب يرويه محمد بن سنان، و في كتاب ابن داود: من اصحاب الصادق عليه السلام، كشي: ثقة فيتدبر.

«عن مقرن» بن عبدالرحمن مولاهم كوفي من اصحاب الصادق عليه السلام: «قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوا الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين! وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (الاعراف ـ ٤٦)، فقال: نحن على الاعراف نحن، نعرف انصارنا بسيماهم و نحن الاعراف الذى لايعرف الله عزوجل الا بسبيل معرفتنا و نحن الاعراف يعرفنا الله عزوجل يوم القيامة على الصراط؛ فلايدخل الجنة الامن عرفنا وعرفناه ولايدخل النار الامن انكرنا وانكرناه، ان الله تبارك و تعالى لوشاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا ابوابه وصراطه وسبيله والوجه الذى يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا او فضل علينا غيرنا، فانهم عن الصراط لناكبون فلاسواء من اعتصم الناس به ولاسواء حيث ذهب الناس الى عيون كدرة يفرغ بعضها[3] من بعض، و ذهب من ذهب الينا الى عيون صافية تجرى بامر ربها، لانفاد لها ولاانقطاع».

الشرح

ابن الكوا اسمه عبدالله هو من جملة رؤساء الخوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين عليه السلام حين جرى امر الحكمين و اجتمعوا بحرورى من ناحية الكوفة، و رأسهم عبدالله بن الكوا وعتاب بن الاعور وزيد بن عاصم المحاربى وابن زهير البجلى المعروف بذى الثدية، وكانوا يومئذ فى اثناعشر الفا اهل الصلوة والصيام اعنى يوم النهروان، وفيهم قال النبى صلى الله عليه واله: تحقر صلوة احدكم فى جنب صلوتهم وصوم احدكم فى جنب صومهم ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم، وهم المارقة

١ـ مولى الصادق «جامع الرواة».
٢ـ الجزرى «جش».
٣ـ فى (الكافى).

الذين قال صلى الله عليه واله فيهم: سيخرج من ضئضىء[١] هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم عن الرمية، وهم الذين اولهم ذوالخويصرة و اخرهم ذوالثدية وحكايتهم طويلة.

والغرض ان ابن الكوا كان منهم ومن اشدهم مروقا من الدين وخروجا على امير المؤمنين عليه السلام.

والاعراف جمع عرف و هو كل مكان عال مرتفع، ومنه عرف الفرس و عرف الديك، وكل موضع مرتفع من الارض عرف، وذلك لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه، نكب عن الطرين من باب طلب نكوبا فهو ناكب اى عدل؛ و فرغ الماء من باب لبس انصب.

اعلم ان الذى ذكره عليه السلام فى معنى الاعراف و اصحاب الاعراف اليق و اولى مما ذكره المفسرون واوفق بما فى الاية من الاوصاف التى ذكره الله تعالى للرجال الذين هم على الاعراف، و ذلك ان للمفسرين اقوالا فى تفسير الاعراف واصحابه، اما تفسير الاعراف فلهم قولان:

الاول وهو الذى ذهب اليه الاكثرون ان المراد بها اعلى السور[٢] المضروب بين الجنة و النار و هو المروى عن ابن عباس ، و روى عنه ايضاً انه قال : الاعراف شرف الصراط.

والقول الثانى عن الحسن والزجاج فى احد قوليه: انه و على الاعراف اى و على معرفة اهل الجنة والنار رجال يعرفون كلا من اهل الجنة و النار بسيماهم، وقيل للحسن: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فضرب على خده[٣] ثم قال: هم قوم جعلهم الله على ان تعرف اهل الجنة واهل النار يميزون البعض عن البعض، والله لا ادرى لعل بعضهم معنا،

١ــ قال صاحب المجمع: ضئضىء الشىء، اصله، ومنه حديث على عليه السلام: سيخرج من ضئضىء هذا... الى اخره.

٢ــ اعالى ذلك السور «التفسير الكبير».

٣ــ فخده «مجمع» فخذيه «التفسير».

وما ذكره قريب من الحق.

ثم ان القائلين بالقول الاول اختلفوا فى ان الذين هم على الاعراف من هم؟ و لقد كثرت الاقوال فيه وهى مع كثرتها محصورة فى قولين: احدهما ان يقال: انهم الاشراف من اهل الطاعة والثواب، والثانى ان يقال: انهم اقوام يكونون فى الدرجة السافلة من اهل الثواب، اما على تقدير الاول ففيه وجوه:

احدها قال ابومجاز[1]: هم ملائكة يعرفون اهل النار، فقيل له: قال تعالى: وعلى الاعراف رجال، فقال[2]: الملائكة ذكور لااناث فيكونون رجالا، و لقائل ان يقول: الوصف بالرجولية انما يحسن فى الموضع الذى فى[3] مقابلة الرجل من تكون انثى، و لما امتنع ان يكون الملك انثى امتنع وصفهم بالرجولية.

وثانيها قالوا: انهم الانبياء، عليهم السلام اجلسهم الله على اعالى ذلك السور تمييزاً[4] لهم عن سائر اهل القيامة واظهاراً لشرفهم و علو مرتبتهم، و اجلسهم الله على ذلك المكان العالى ليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار، مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم، وفيه ماسيأتى من منافاة حالهم فى الاخرة لذلك.

وثالثها قالوا انهم هم الشهداء لانه تعالى وصف اصحاب الاعراف بانهم يعرفون كل واحد من اهل الجنة واهل النار، ثم قال: قوم انهم يعرفون اهل الجنة يكون وجوههم ضاحكة مستبشرة و اهل النار بسواد وجوههم و زرقة عيونهم. وهذا الوجه باطل، لانه تعالى خص اهل الاعراف بانهم يعرفون كل احد من الطائفتين بسيماهم، و لو كان المراد ماذكروه لما بقى لاهل الاعراف اختصاص بهذه المعرفة، لان كل احد من اهل الجنة واهل النار يعرفون هذه الاحوال.

ولما بطل هذا الوجه ثبت ان المراد بقوله: يعرفون كلا بسيماهم هو انهم كانوا

١ــ ابومجلز «التفسير».

٢ــ وتزعم انهم ملائكة؟ فقال ... «التفسير».

٣ــ يحصل فى «التفسير».

٤ــ تمييزاً «التفسير».

يعرفون فى الدنيا اهل الخير والايمان واهل الشر والفساد والطغيان، وهو تعالى يجعلهم على الاعراف وهى الامكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل و يشهدون على كل احد بما يليق به ويعرفون ان اهل الثواب وصلوا الى الدرجات و يصلون اهل العقاب الى الدركات.

و اعترض بان هذه الوجوه الثلاثة باطلة، لانه تعالى قال فى وصفهم: انهم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها وهذا الوصف لايليق بالانبياء والملائكة والشهداء.

واجاب الذاهبون الى هذاالوجه بانه لايبعد ان يقال: انه تعالى بين من صفة[1] اصحاب الاعراف ان دخولهم الجنة يتأخر، والسبب فيه انه تعالى ميزهم عن اهل الجنة و اهل النار و اجلسهم على تلك الشرفات العالية و الامكنة المرتفعة ليشاهدوا احوال اهل الجنة واهل النار فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الاحوال، ثم اذا استقر اهل الجنة فى الجنة و اهل النار فى النار ينقلهم[2] الله تعالى الى امكنتهم العالية فى الجنة.

فثبت ان كونهم غير داخلين فى الجنة لايمنع من كمال شرفهم وعلو درجتهم، و اما قوله تعالى: وهم يطمعون، فالمراد من هذا الطمع اليقين، الاترى ان الله تعالى قال حكاية عن الخليل عليه السلام: والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين؟ (الشعراء ـ ٨٢)، وذلك الطمع يقين فكذا هيهنا.

فهذا تقرير قول من يقول ان اصحاب الاعراف هم اشراف اهل الجنة، و هذا الجواب ضعيف كما لايخفى، فان السرور بمشاهدة احوال الفريقين انى يكون كالكون فى اعلى منازل الجنة ومقعد الصدق ولذة لقاء الله حتى يكون لاجله التعويق عن الدخول فيها واللقاء؟

ثم ما ذكروا من ان الطمع لاينافى اليقين انما يصح اذا وقع فى الدنيا قبل انكشاف الغطاء وقيام الاخرة وحيث يصير اليقين مشاهدة والعلم عيناً، فهذا الطمع انما

١ـ صفات «التفسير».

٢ـ فحينئذ ينقلهم «التفسير».

يليق بحال الانبياء ومن يجرى مجراهم ماداموا فى الدنيا.

واما القول الثانى وهو قول من يقول: انهم يكونون فى الدرجة النازلة من اهل الثواب والقائلون بهذا القول ذكروا له وجوها:

احدها انهم اقوام تساوت حسناتهم و سيئاتهم فلاجرم ماكانوا من اهل الجنة ولامن اهل النار ثم يدخلهم الله الجنة بفضله و رحمته و هم اخر قوم[1] يدخلون الجنة ، وهذا منقول عن حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وطعن الجبائى والقاضى الباقلانى فى هذا القول واحتجوا على فساده بوجهين:

احدهما ان قالوا : ان قوله تعالى : و نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون (الاعراف ـ ٤٣)، يدل على ان كل من دخل الجنة فانه لابد ان يكون مستحقا لدخولها، و ذلك يمنع من القول بوجود اقوام لايستحقون الجنة والنار ثم انهم يدخلون الجنة بمحض التفضل لا بسبب الاستحقاق.

و ثانيهما ان كونهم من اصحاب الاعراف يدل على انه تعالى ميزهم من جميع اهل القيامة بان اجلسهم على الاماكن العالية المشرفة على اهل الجنة والنار، و ذلك تشريف عظيم و مثل هذا التشريف لايليق الا بالاشرف ، و لاشك ان الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فدرجاتهم قاصرة لايليق بهم ذلك التشريف.

والوجه الثانى من الوجوه المذكورة فى تفسير اصحاب الاعراف قالوا: المراد منهم قوم[2] خرجوا الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فجلسوا بين الجنة والنار.

واعلم ان هذا القول داخل فى القول الاول، لان هؤلاء لما ساوت معصيتهم طاعتهم بالجهاد[3] فهم من جملة من ساوت حسناته سيئاته، فلا وجه لتخصيص هذه الصورة و قصر لفظ الاية عليها.

والوجه الثالث قال عبدالله بن الحرث: انهم مساكين اهل الجنة.

١ـ قوم «التفسير».

٢ـ اقوام «التفسير».

٣ـ باجهاد «التفسير».

والوجه الرابع قال: قوم انهم الفساق من اهل الصلوة يعفوالله عنهم و يجلسهم فى الاعراف، وكلا القولين ضعيف كما لايخفى.

فهذا كله شرح قـول من يقول: الاعراف عبارة عن الامكنة العالية على السور المضروب بين الجنة والنار.

واما الذين يقولون: الاعراف عبارة عن الرجال الذين يعرفون اهل الجنة واهل النار فقال بعض متأخرى مفسرين: ان هـذا القول غير بعيد عن الثواب، الا ان هؤلاء الاقوام لابد لهم من مكان عال يشرفون منه على اهل الجنة واهل النار وحينئذ يعود هذا القول الى القول الاول.

اقول: سينكشف لك تحقيق هذا القول من غير ان يعود الى القول الاول.

فهذه تفاصيل اقوال الناس ممن لاكشف لهم بحقائق الامور وليسوا من الراسخين فى العلم والنور.

و لنرجع الى تبيين ما ذكره امير المؤمنين عليه السلام، فلتعلم اولا ان اصحاب الكشف والشهود والعيان والكاملين فى العلم والايقان وصلـوا الى مرتبة من اليقين و الكمال يشاهـدون احوال الاخرة و اهـل الجنة و اهل النار، وهم بعد فى جلابيب من ابدانهم الدنيوية كأنهم قدنضوها و تجردوا عنها، فلايحجبهم الابدان عن مشاهدة تلك النشأة و احـوال اهلها، كماحكى حارثـة الانصارى عن نفسه و هو من خواص امير المؤمنين عليه السلام حين سألـه رسول الله صلى الله عليه واله عن حقيقة ايمانـه فقال: ارى اهل الجنة فى الجنة يتزاورون واهل النار فى النار يتعاوون.

فحمل قـوله تعالى: وعلى الاعراف رجال، على مثل ماذكرناه اليق واولى، اذ قوله تعالى: يعرفون كلا بسيماهم، يناسب حال اهل العرفان ماداموا فى الدنيا، فان معرفة الطائفتين والتميز بينهما بالسيماء والعلامة انما يكون فى الدنيا.

واما فى الاخـرة فالامتياز بين الفريقين فى غاية الظهور لايحتاج الى ان يعرف بالسيماء وكذا: لم يدخلوها وهـم يطمعون، يناسب حالهم فى الدنيا وكذاقوله: و اذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا لاتجعلنا مع القوم الظالمين (الاعراف ـ ٤٧)،

يعنى اذا رأوا اهل النار الذين عرفوهم بسيماهم وماهم عليه من الكفر والفسق ظاهراً كان اوباطناً استعاذوا بالله ودعوا الله انلايجعلهم مع القوم الظالمين ولايحشرهم مع هؤلاء، ومثل هذا الدعاء انما يليق ويفيد ويستجاب اذا كان العبد فى الدنيا دار الاكتساب، لان الاخرة دار الجزاء والثواب والعقاب لادار العمل والسعى، الاترى ان اهل النار يدعون ربهم: خفف عنا يوما من العذاب ولايفيد ولايستجاب؟

واما قوله تعالى: ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم (الاعراف ـ ۴۶) فيحتمل الوقوع فى الدارين وكذا قوله: ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (الاعراف ـ ۴۸)، وان كان الظاهر فيه كونه حكاية قولهم فى الاخرة بان يكون معناه: و نادى اصحاب الاعراف فى الاخرة رجالا كانوا يعرفونهم فى الدنيا بسيماهم، وقالوا ذلك القول ولكن يجوز حمله الوقوع فى الدنيا اوعلى ماهو اعم ، وعلى اى تقدير لاينافى كون ماسبق من المذكورات اخباراً عن حال العارفين فى الدنيا.

فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول: قوله عليه السلام: نحن على الاعراف نعرف انصارنا بسيماهم، تنبيه على ان معنى على الاعراف على المعرفة وان كلمة «على» هيهنا للاستعلاء المعنوى العلمى لالارتفاع المكانى الوضعى، وفيه اشارة الى ان انصارهم اهل الجنة و اعدائهم اهل النار وهم يعرفون الفريقين فى الدنيا بسيماهم لابظواهر اعمالهم الحسنة او السيئة.

ولايبعد ان يكون فيه كناية لابن الكوا ونظرائه الذين كانوا فى الظاهر من اهل العبادة والزهد وكانت بواطنهم ملطخة بالكفر والعداوة والنفاق.

وقوله عليه السلام: ونحن الاعراف الذى لايعرف الله الا بسبيل معرفتنا، اراد بالاعراف مايعرف به الشيء سواء كان مابه المعرفة ذاتا اوصفة من باب تسمية[1] الشيء باسم سببه و منشئه، فلامنافاة بين قوله: نحن على الاعراف وقوله: نحن الاعراف، و

١ـ الظاهر هنا تسمية الشيء باسم مسببه لا السبب، ويمكن التوجيه بعيداً والامر فيه سهل لمكان سهو القلم، ومحصل التفرقة هيهنا هو ان المراد فى الاول هو المعرفة بمعنى العارفية و←

لايلزم كون الشيء على نفسه لاختلاف معنى اللفظ فيهما، ففى اولاول اريد بالاعراف نفس المعرفة وفى الثانى اريد سببها، وقوله: لايعرف الله بصيغة المجهول ومعنى الكلام: انه لايمكن من الناس معرفة الله الا من طريق معرفتنا، اى من عرفنا فقد عرف ربه.

واماقوله عليه السلام: ونحن الاعراف يعرفنا الله عزوجل يوم القيامة على الصراط[1] فلايدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه و لايدخل النار الا من انكرنا وانكرناه، فاراد بالاعراف هيهنا نفس المعروف بالذات كما يطلق العلم على الصورة العلمية وهى المعلومة بالذات، واماالذى فى الخارج بازائها فهو معلوم بالعرض لابالذات.

اذاعرفت هذا فاعلم ان علمه تعالى بالاشياء على وجهين: احدهما اجمالى والاخر تفصيلى، اما علمه الاجمالى وهوعلمه الكمالى الذاتى، فهو نفس ذاته الاحدية من غير كثرة وتفصيل، لان ذاته منبع انبجست منه وجودات الاشياء كلها، فاذا علم ذاته علم جميع الاشياء بنفس ذلك العلم الذى هونفس ذاته تعالى.

و اما علمه التفصيلى سواء كان بحضور ذواتها عنده بحسب وجودها الخارجى او بحصول صورها العلمية قبل ايجادها فى خزائن قضائه كلية اوفى الواح قدره جزئية، فذلك انما يكون على الترتيب السببى و المسببى، فان العلم بالشيء ذى السبب انما يكون من جهة العلم بسببه كماثبت فى العلوم الحكمية.

← فى الثانى هوالمعرفة بمعنى المعروفية التى مرجعها كون الله تعالى معروفا بهم عليهم السلام و كونهم مايعرف به الله سبحانه، ولكن كونهم عليهم السلام مايعرف به الله، محصلة كون اشعة انوارهم الفائضة على قلوب العرفاء بالله سبحانه شعاع شعاع نورالانوار، فان انوارهم الربوبية عبارة عن تجلى نورالانوار و اشعة انوارهم عبارة عن تجلى نور التجلى الاول، و تجلى التجلى الاول ليس بمباين له، بل هو بمنزلة عكس العكس، و الكل يرجع الى التجلى الواحد الذى له مراتب باعتبار احتلاف المظاهر والترتب الواقع بين المرايا. فافهم (نورى).

١ــ كان المراد من الصراط حسبما اقتضاه مساق الشرح هيهنا هوالقوس الصعودى الوجودى يتأدى لطائفة الى الجنة ولطائفة الى النار وهوصراط الوجودى الذى هوغير صراط التوحيد لمكان التعميم الذى يبتنى عليه حل الحديث، وفيه اسرار عجيبة حسبما اومىء اليه ان شاء الله، ومنها كونه علمه تعالى فعليا فيترتب عليه ما يترتب. فافهم (نورى).

ثم اعلم ان الانبياء والرسل عليهم السلام ومن يحذو حذوهم من الائمة والاولياء عليهم السلام اسباب و وسائط لهداية الناس، وجعلهم من اهل الجنة و صيرورتهم من حدود الحيوانية الى حدود الملكية، كما ان الملائكة اسباب فعالة لايجاد الخلائق و ما هو دونهم فى رتبة الوجود؛ وكما ان علمه تعالى بالموجودات الكائنة بواسطة علمه بالملائكة من العقول و النفوس و غيرها و هو معنى كونهم شهداء عندالله على خلقه، فكذلك علمه بعباده المؤمنين بواسطة علمه بالانبياء والاولياء الهادين، فهم شهداء عندالله يوم القيامة على العباد.

ثم كان معرفتهم واتباعهم سبب السعادة و الجنة و انكارهم و عصيانهم سبب الشقاوة و النار، فلهم السببية على الوجهين للفريقين، و هذا معنى كونهم قسيم الجنة و النار، فعلمه تعالى بكل من الفريقين واحواله ومايستحق من الثواب والعقاب انما حصل من جهة هؤلاء الشهداء بالاعتبارين المذكورين.

فهذا تحقيق كون النبى والائمة عليه و عليهم السلام شهداءالله على خلقه ومعنى قوله تعالى: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا (النساء ـ ٤١)، فاعرف قدره واغتنم فانك لاتجده فى غيرهذا الكتاب.

فاذا تقرر ماذكرناه ظهر معنى قوله عليه السلام: نحن الاعراف، اى المعروفون بالذات المشهودون لله بلاواسطة، لكونهم فى درجة القرب عندالله من درجات الصراط و منازله التى لابد للانسان من المرور عليها على الاستقامة حتى يصل الى درجة القرب منه تعالى.

فمن كان على الصراط فى درجة القرب فهو معروف الحق تعالى، فيعرفه بذاته ويعرف به امته واتباعه، فمن عرفهم وعرفوه يدخلون الجنة، لان ذلك سبب استحقاقهم لدخولها و ادراك النعيم ، و من انكرهم وانكروه يدخلون النار لان ذلك سبب حرمانهم عن الجنة واستحقاقهم لدخول الجحيم ونيل العذاب الاليم.

وقوله عليه السلام: ان الله تبارك و تعالى لوشاء لعرف العباد نفسه و لكن جعلنا ابوابه و صراطه وسبيله والوجه الذى يؤتى منه، متعلق بقوله: نحن الاعراف الذى

لايعرف الله الابسبيل معرفتنا، والغرض منه دفع ما ربما يتوهم من ظاهر العبارة انه لو اراد الله تعريف نفسه للعباد بلاتوسيط لاحد فيذلك لكان مستحيلا[1].

فازاح انذلك جائز علىوجه الاطلاق كمافي تعريف ذاتهللمقربين من الملائكة المهيمين والانبياء الكاملين والاولياء الـواصلين سلام الله عليهم اجمعين وغير جـائز على وجهالعموم لكل احد ، فان سائر افراد الناس لايمكن لهم ان يعرفوا الله الابتعليم من هو نبى او وصى او وارث، واليه اشار بقوله: ولكن جعلنا ابوابه وصراطه و سبيله والوجه الذى يؤتى منه.

اماكونهم ابـوابا لـه تعالى فمن حيث انه لايمكن للناس الدخول الى معرفته الا بهم.

واماكونهم صراطه فمن حيث انه لابـد من المرور على منازل مقاماتهم العلمية

١ـ خلاصة ازاحةالوهم هوان كونهم عليهم السلام واسطة للكل من الملائكة المقربين وسائر الانبياء و الاوصياء و الاولياء الماضين وغيرهم ينافي كون المقربين من الملائكة و سائر الانبياء الكاملين والاولياء الـواصلين من العلماء اللدنيين و من العارفين بالله بغير واسطة و بدون وساطة احد من الاولين والاخرين، والسر فيه هوكونهم ربانيين بالاصالة و على الحقيقة، وكون غيرهـم من الربانيين ربانيين على ضرب من التبعية، وكل ربانى و ان كان علمه بالله وبصفاته العليا وافعاله لدنياً مأخوذاً من الله تعالى من دون وساطة احد، لكن ربانيتهم عليهم السلام اصل الربانيات ، والربانيات الاخـرى من فروع ربانيتهم، كما ان نور وجودهم اصل الانوار الوجودية و سائر الانوار الوجـودية نزولية كانت او صعودية من اشعة انـوارهم، وان الملائكة المقربين المهيمين و سائـر الانبياء المرسلين و الاولياء الواصلين وان كان لهم منصب الوراثة، لكن وراثتهم بتبعية وراثة هـؤلاء الختميين عليهم السلام، لكون الختمية مقتضية للاصالة فى الـولاية والوراثة، و سر السر هوالفناء فى الله و البقاء به، و الحاصل فىهذه الخصوصية العليا التى هى الغاية القصوى هم عليهم السلام و الباقون من فروعهم فىهذا المقام القمقام على تفاوت درجاتهم فى منصب الفرعية و التبعية فى المقام، وظاهر ان اندكاك الانية له درجات مختلفة و مقامات متفاوتة بالقرب والبعد، مع انهم عليهم السلام هم الكل ولهم الكل وبهم الكل، ومنهم واليهم يرجع الكل، ان الينا ايابهم، فافهم فانه من اللطائف الشديدة اللطافة «نورى».

ودرجات اخلاقهم العملية ولو على وجه التبعية حتى يمكن الوصول الى الجنة والمغفرة.

و اما كونهم سبيله تعالى فلكون الانحراف عنهم يوجب السقوط فى الحميم والوقوع فى نار الجحيم.

واما كونهم وجهه الذى يؤتى منه اى من ذلك الوجه اليه تعالى فلان العباد من جهة معرفتهم بهؤلاء يعرفون الله، فان وجه الشىء مايواجه منه، فان اريد بالوجه الجهة والسمت فهم جهة الحق التى يؤتى منها اليه كما علمت.

و قوله: فمن عدل عن ولايتنا او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون، شرح و تأكيد لمعنى كونهم صراطا، فان صراط الله بالحقيقة من جهة العلم هو الايمان بالله واليوم الاخر ومن جهة العمل هو العدالة وهى التوسط بين الاضداد والاطراف فى مبادى الصفات الشهوية والغضبية والفكرية.

فقوله تعالى: ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون (المؤمنون ـ ٧٤) اشارة الى ان الايمان هو الصراط، وقد علمت ان ايمان الامة بالله واليوم الاخر يحصل بسببهم و بمعرفتهم عليهم السلام، فهم بهذا المعنى صراط الله ومن عدل عن ولايتهم و الاهتداء بنورهم او زعم ان غيرهم افضل واهدى منهم فقد عدل عن الصراط وانصرف عن معنى العلم والايمان وتنكب عن طريق الحق وخرج عن نور الفطرة و سقط فى الجحيم.

وقوله عليه السلام: ولاسواء من اعتصم الناس به ولاسواء، تنبيه على الفرق بين ائمة الضلال و ائمة الهداية وكرر لفظ «ولاسواء» لزيادة التأكيد فى الفرق وعلل ذلك بقوله: حيث ذهب الناس الى عيون كدرة الى اخره، شبه عليه السلام قلوب ائمة الضلال و رؤساء المذاهب الفاسدة من جهة مافيها من العلوم المغالطية و الشبهات التقليدية بعيون كدرة ينصب الكدر من الماء ويفرغ بعضها الى بعض، و شبه قلوب الائمة الهداة عليهم السلام من حيث اشتمالها على العلوم الالهية المصفاة عن كدورات الشبه والشكوك، لانها العلوم البرهانية الفائضة عليهم من الله بلاتوسط سماع او تقليد، بالعيون الصافية الجارية بامر الله التى لاتنفد ولاتنقطع.

واعلم ان مبنى هذين التمثيلين على تشبيه مطلق العلم بالماء مطلقا، و وجه الشبه

اشتراكهما فى سببية الحيوة فى الجملة، اما العلم فللحيوة الحقيقية الباقية و امـا الماء فللحيوة الدنيوية.

وقد ورد فى الكتاب الالهى تشبيه العلم بالماء فى مواضع كقوله تعالى: لايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج (فاطر ـ ١٢)، تمثيل للايمان والكفر و هما نوعان من العلم: احـدهما منشأ الحيوة الاخرويـة السالمة من العذاب، والاخر منشأ العقوبة والمحنة، اذ المراد بالكفر فى اكثر مواضع القران الاعتقاد الباطل فى حق الله واياته و رسله مـع الجحود والعناد لامجرد الجهل بهذه الامور فانه امر عدمى وليس قسماً من العلم حتى يمثل بالماء الاجاج.

وقوله تعالى: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها (الرعد ـ ١٧)...، الاية.

قال بعض العلماء: العلم كبحر اجرى منه اودية ثـم اجريت من الاودية الانهار ثم اجريت من الانهار جـداول ثـم اجريت من الجداول سواقى ، فالوادى لايحتمل البحر والنهر لايحتمل الوادى والجدول لايحتمل النهر، فبحـور العلم عندالله فاعطى الرسل ومن يجرى مجراهم[1] منها اودية، ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهار الى العلماء، ثم اعطى العلماء جداول صغار الى عامة المتعلمين على قدر طاقتهم، ثـم اجرى هؤلاء المتعلمون سواقى الى اهاليهم من العوام بقدر طاقتهم.

وهذا مأخوذ مما ورد فى الخبر: للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى من وراء ذلك كله سر، فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم[2]، ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم[3]، ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم، ولو اطلع

١ـ فالكل يجرى من البحر الى البحر، والكل من الله والـى الله، والاسم يعنى اسم الله الذى هـو امام ائمة الاسماء الحسنى هو سر الولى المطلق و المسمى انما هـو الحق سبحانه و تعالى شأنه، والذى هوشأن الذوت وفعل الذات بالذات وهوالاسم الاعظم الذى يكون امام الائمة، وهو الحقيقة المحمدية والعلوية الولوية. «نورى»

٢ـ باد بيداً و بياداً و بيوداً هلك ـ اباده: اهلكه.

٣ـ لوعلم اباذر مافى قلب سلمان لكفره اولقتله :

و رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا. «نورى»

الانبياء على سر الملائكة لخالفوهم، ولواطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين و بادوا بائدين[١].

والسبب في ذلك ان العقول والاذهان لايحتمل الاسرار القوية كمالايحتمل الابصار الضعيفة كابصار الخفافيش نور الشمس، وكذلك كل مرتبة من النور القوى لايحتمل ماهو اقوى منه واشد كثيراً فيضمحل في مشهده، وكذلك في قوله: انا اعطيناك الكوثر (الكوثر ـ ١)، فالكوثر صورته صورة الماء وحقيقته حقيقة العلم.

لست اقول المراد من هذه الامثال الواردة في القران مقصور على معانيها الباطنة العقلية من غير تحقق صور[٢] المحسوسة كمايقوله الباطنية كلا، بل نقول: الغرض منها العبور من مظاهرها الى مطاويها ومن صورها الى معانيها، فان للقران ظهراً و بطناً و تفسيراً و تأويلا.

ثم اذا شبه العلم مطلقا بالماء فيترتب عليه تشبيه اقسامه باقسام المياه كتشبيه العلوم الحقة الخالية عن الشبه والشكوك بالماء الطاهر الزلال و العلوم التي بخلافها بالماء الكدر المخلوط بالكثائف، وكتشبيه اليقينيات الدائمة بماء الجارى ابداً والتي بخلافها بالماء المنقطع، وكتشبيه العلم الذي يفيض من عندالله بالهامه بلاواسطة معلم بشرى بالماء النازل من السماء الجارى في الاودية بلاسعي وتعمل آلة وحفر قناة واستنباط.

والذي يحصل بالفكر والروية كالماء المستنبط من الارض بالحفر ونحوه، و الذي يحصل بالتقليد كالماء الذي يفرغ من حوض الى حوض واليه الاشارة بقوله عليه السلام: يفرغ بعضها من بعض، اشعاراً بان علوم ائمة الضلال ليست مستفادة من قبل الله و رسوله ولامأخوذة ايضاً باستنباط من كتاب اوسنة، بل يأخذه بعضهم من افواه

١ـ ومقام سر الاسرار الذي هو سر الله تعالى هو الختميين صلى الله عليهم اجمعين، اذ الولاية المطلقة منصبهم الاعلى الذي هو فوق المناصب وهي مظهر العجائب ومظهر الغرائب، والولي المطلق هو سر الله الساري في السموات والارضين، الله نور السموات والارض مثل نوره... الاية. «نوري»

٢ـ صورها ـ م.

بعض تلفقا[1] و تقليداً لاتحقيقا وعرفانا، فيضلون و يضلون.

الحديث العاشر

و هوالثانى والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن على بن محمد، عن بكر بن صالح عن الريان بن شبيب»، خال المعتصم ثقة «صه» و قال النجاشى : سكن قم و روى عنه اهلها و جمع مسائل الصباح بـن نصر الهندى للرضا عليه السلام، روى عنه يحيى بن زكريا اللؤلؤى. «عن يونس، عن ابى ايوب الخراز عن ابى حمزة قال: قال ابوجعفر عليه السلام: يا اباحمزة! يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وانت بطرق السماء اجهل منك بطرق الارض، فاطلب لنفسك دليلا».

الشرح

نبه عليه السلام على وجوب طلب الامام والاهتداء بنور تعليمه وارشاده فى سلوك سبيل الاخرة والمشى على صراط الحق بان الانسان ربما يخرج من بيته فـراسخ فى طلب دليل لنفسه لاجـل سفره البعيد فى الارض الى مقصد يسافـر اليه، و ذلك لجهله بالطريق الموصل الى مقصده، و اذا كان الامر كذلك ولاشك ان الانسان الغير المستبصر بنور العرفان والشهود جهله بطرق السماء اكثر واشد من جهله بطرق الارض.

و ذلك لان هذه الطرق امور حسية ومراحل صورية وتلك امور عقلية ودرجات معنوية، و ادراك المحسوسات اسهل عليه من ادراك مابعدها لانه فى اوائل السلوك و مبادى الاحوال، واقع فى مرتبة الحس والمحسوس لايعرف غيرها، فاذن هو اجهل بطرق السماء منه بطرق الارض بل هو كالاعمى بالقياس الى تلك المراحل فهو احوج فى سلوك سبيل السماء الى امام يكون قائداً و دليلا له من الاعمى الى القائد فى سلوك

١ــ تلفق به: لحقه، و تلقف الشيء: تناوله بسرعة.

طرق الارض، فكيف من الجاهل[1]؟

فثبت و تحقق ان الناس محتاجون فى سلوك الاخرة الى امام هاد يقتدون به و يهتدون بنوره، فيجب عليهم طلبه والتوصل اليه اشد وجوب واكده لئلا يقعوا فى اودية الضلال و مهاوى النكال؛ وهذا الحديث حجة لمن اعتقد ان الجنة فى السماء او فى السماء السابعة، والذى يستفاد منه انه لابد للسالك المرور عليها وليس هيهنا موضع تحقيق ذلك.

لكن يجب ان يعلم ليس المراد من السماء هيهنا صورتها الظاهرة ولا المراد من طرقها او المرور عليها او الوصول بها مايكون بحسب صورتها الطبيعية الوضعية، لانها من الدنيا والاخرة نشأة اخرى ليست من جنس الدنيا، بل ماهو بحسب صورها الباطنية الغيبية التى لاتدرك بهذه الحواس الطبيعية بل بحاسة اخرى باطنية، والله ولى التوفيق.

الحديث الحادى عشر
و هوالثالث و السبعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ايوب بن الحر» بالراء بعد الحاء المهملة، الجعفى مولاثقة روى عن ابى عبدالله عليه السلام «صه» قال النجاشى: ذكره اصحابنا فى الرجال يعرف باخى اردبم[2]، له اصل و فى الفهرست: روى عنه احمد بن ابى عبدالله. «عن ابى بصير، عن ابى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا (البقرة ـ ٢٦٩)، فقال طاعة الله ومعرفة الامام».

١ـ اى فكيف لم يكن الانسان احوج من الجاهل الغير الاعمى المسافر فى الارض؟ والحال انه احوج من الاعمى الى القائد.

٢ـ اديم «جش».

الشرح

حقيقة الحكمة[1] هي معرفة الله تعالى و طاعته، و بعبارة اخرى الايمان بالله وبملائكته وكتبه و رسله واليوم الاخر والعمل بمقتضاه، وبعبارة اخرى: العلم بحقائق الاشياء كماهي عليها والزهد في الدنيا.

وكما علمت ان الحجة حجتان: باطنة وظاهرة، فكذا الحكمة حكمتان: مستورة ومكشوفة، فالمستورة في قلوب الانبياء و الاولياء وهم الحكماء الالهيون، وكل واحد منهم حكيم باعتبار، وحكمة باعتبار على مانقرر في اتحاد العقل بالفعل[2] و العاقل، و اما الحكمة الظاهرة فهي ذوات هؤلاء، اشخاصهم اشخاص الحكمة، فكل من رأى واحداً منهم رأى صورة الحكمة و شخصها، و هذا غاية ايتاء الحكمة وايتاء الخير الكثير في حق عامة الناس.

فمن عرف امامه و اطاعه فقد اطاع الله و اوتى الحكمة والخير الكثير، يعني الامام عليه السلام، لانه نفس الحكمة[3] كمابين. فافهم هذا واغتنم.

الحديث الثاني عشر

و هو الرابع والسبعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن ابان، عن ابي بصير، قال: قال لي ابوجعفر عليه السلام: هل عرفت امامك؟ قال، قلت: اي والله، قبل ان

١ــ فسرت بالحكمة العملية والعلمية، و تقديم العملية على مايستفاد من قوله تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، لان العمل طريق الى العلم و ان كان بعض مراتب العلم مما يتوقف عليه العمل. «نوري»

٢ــ على ماتقرر من اتحاد العاقل مع العقل بالفعل ــ م.

٣ــ اشارة الى كون الولي المطلق و الامام الحق كل الاشياء، لان حقيقة الولاية المطلقة و الامامة الكلية التي هي ولاية ولي الاولياء و امام الائمة بسيطة محيطة، فانها بعينها نورالله الساري في السموات والارض، الله نورالسموات والارض... الاية. «نوري»

اخرج من الكوفة. فقال: حسبك اذاً».

الشرح

معناه واضح مكشوف[١].

الحديث الثالث عشر
و هو الخامس و السبعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن محمد بن اسمعيل، عن منصور بن يونس، عن بريد قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: فى قول الله عزوجل: او من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس (الانعام ـ ١٢٢)، فقال: «ميت» لايعرف شيئاً و «نورا يمشى به فى الناس» اماماً يأتم[٢] به «كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها» قال: الذى لايعرف الامام».

الشرح

قوله عليه السلام: ميت، الاولى ان يكون النسخة ميتا بصورة النصب ليكون على وجه الحكاية كما فى نوراً يمشى به الناس و كذا كمن مثله فى الظلمات، واما محل كل منهما من الاعراب فيحتمل ان يكون الرفع بالابتدائية ومابعده خبره ويحتمل ان يكون باقيا على اعرابه ويكون مابعده نعتا تابعاً له فسر معناه بذلك الوصف.

و اما شرح الحديث وتحقيقه بعدما تحقق ان حيوة الاخرة انما هى بنور العلم و العرفان و قوة العقل والايقان فنقول: ان الناس بحسب النشأة الثانية قسمان: اما

١ـ فيه لطيفة عجيبة حيث يومىء الى ان معرفة الامام هى المعرفة التامة التى يحتوى على كل المعارف، ولكن هذه المعرفة انما هى المعرفة بالنورانية علميا كان او عينيا ام حقيا. «نورى»

٢ـ يؤتم (الكافى).

اموات او احياء، والاحياء قسمان: احدهما من يكون حيوته حيوة ذاتية مستقلة وثانيهما من يكون حيوته حيوة تابعة لحيوة غيره غير مستقلة، فهذه ثلاثة اقسام.

اما القسم الاول اى الميت فهو من لايعرف شيئاً لا بالاستقلال ولا بالتقليد.

و اما القسم الثانى وهو الحى بالذات فهو الذى احياه الله بنور العلم والحكمة كالنبى والامام بالحق عليهما السلام.

واما القسم الثالث فهو الذى له امام يتبعه و يأتم به، فيكون الامام نوره الذى يمشى به الى سبيل الاخرة فى زمرة الناس الماشين الى الاخرة، وكون الامام عليه السلام نوراً على وزان ما علمت فيما سبق من كونه حجة ظاهرة و فيه حجة باطنة، و من كونه حكمة باهرة و فيه حكمة خفية من وجهين، فهكذا وزان كونه نوراً يهتدى به ويجىء تابعه فى الاخرة و له نور باطنى عقلى هو حيوته العقلية[1] و به يستضىء له الدار الاخرة ومافيها من الصور و الهيئات الملكوتية باذن الله العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (الجمعة ـ ٤).

الحديث الرابع عشر

و هو السادس والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمد بن اورمة»، بضم الهمزة و اسكان الواو و فتح الراء و الميم، و قد يتقدم الراء على الواو، يكنى محمد بابى جعفر، له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد.

قال الشيخ الطوسى رحمه الله: فى رواياته تخليط، و قال: قال محمد بن على بن بابويه القمى: محمد بن اورمة طعن عليه بالغلو، وكلما كان فى كتبه مما يوجد فى كتب الحسين بن سعيد وغيره فانه يعتمد عليه و يفتى به، ومهما تفرد به لم يجز العمل عليه ولايعتمد، وقال النجاشى: ذكره القميون و غمزوا عليه و رموه بالغلو حتى دس

١ـ ولاسيما امام الائمة، فان نوره العقلى نورالله السارى كما اسلفناه. «نورى»

عليه من يفتك به فوجدوه يصلى من اول الليل الى اخره ليال عدة[1] فتوقفوا عنه.

وقال بعض اصحابنا: انه رأى توقيعات ابى الحسن الثالث عليه السلام الى اهل قم فى معناه وبرائته مما قذف به، قال: وكتبه صحاح كلها الا كتاباً ينسب اليه من ترجمة تفسير الباطن فانه مختلط، وقال ابن الغضائرى: انه اتهمه القميون بالغلو و حديثه نقى لافساد فيه، ولم ارشيئاً ينسب اليه تضطرب فيه النفس الا اوراقاً فى تفسير الباطن و مايليق بحديثه واظهار[2] موضوعة عليه، ورأيت كتابا خرج من ابى الحسن على بن محمد عليهما السلام الى القميين فى برائته مما قذف به، والذى اراه التوقف فى روايته «صه»، «و محمد بن عبدالله عن على بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال ابوجعفر عليه السلام: دخل ابوعبدالله الجدلى على امير المؤمنين عليه السلام فقال: يا ابا عبدالله الا اخبرك بقول الله عزوجل: من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل يجزون الا ماكنتم تعملون (النمل ـ ٨٩ و ٩٠)، قال: بلى يا امير المؤمنين جعلت فداك. فقال: الحسنة معرفة الولاية وحبنا اهل البيت والسيئة انكار الولاية وبغضنا اهل البيت، ثم قرأ عليه الاية»[3].

الشرح

قد علمت مراراً ان حكم الناس فى طريق الحق اما اهل البصائر كالانبياء والاولياء عليهم السلام واما المحجوبون، فاهل البصيرة المكحلة بصائرهم بنور المعرفة والشهود فيشاهدون سبيل الاخرة ويسلكون منازلها و درجاتها من غير حاجة لهم الى قائد وهاد غير الله سبحانه، واما اهل الحجاب فهم بمنزلة العميان فى طريق السعادة والرحمة و الرضوان فلابد لهم من الاقتداء بامام قائد يهديهم الى طريق النجاة، و ذلك لايتم الا

١ـ عدة ليال «صه».

٢ـ واظنها «صه».

٣ـ هذه الاية (الكافى).

بمعرفة الولاية للامام والمحبة له، فان الاعمى متى لم يعرف قائده بالبصيرة فى طريق المطلوب والوصول الى الغاية المطلوبة ولم يحبه من جهة كونه واسطة الى محبوبه الاصلى الذى عرف بالاجمال ان خيره و سعادته بنيل القرب منه، لم يعول على ذلك القائد و لم يطعه كما ينبغى، فينقطع عن السبيل و يبقى متحيراً ضالا فى معرض الهلاك.

فاذا تقرر هذا ظهر وتبين ان لاحسنة لاهل الحجاب الامعرفة ولاية امامهم الهادى لهم طريق الاخرة والمحبة له، اذ جميع اعمالهم التى يفعلونها بالاستبداد باطلة الامافيه اتباع الامام، وان لاسيئة لهم اعظم من انكار الولاية و بغض الامام الهادى من اهل بيت النبوة والولاية سلام الله عليهم اجمعين.

فجميع حسنات هذه الامة يرجع الى ولاية اهل البيت عليهم السلام و محبتهم و جميع سيئاتها يرجع الى انكار ولايتهم و بغضهم.

باب فرض طاعة الائمة عليهم السلام

وهو الباب الثامن من كتاب الحجة وفيه سبعة عشر حديثا

الحديث الاول

و هو السابع والسبعون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن ابى جعفر عليه السلام قال: ذروة الامر وسنامه ومفتاحه وباب الاشياء و رضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته ثم قال: ان الله تبارك و تعالى يقول: من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا (النساء ـ ٨٠)».

الشرح

الذروة بالكسر و الضم واحدة الذرى بالضم وهى اعالى الشيء؛ السنام واحد

اسنمة البعير، وسنام الشيء ماارتفع منه.

المعنى: ان اصل امر الدين وعمدته ومعظمه ومفتاح خزائن الرحمة والمنفعة و باب معرفةالاشياء ومابه الفوز برضاءالرحمن والبعد من سخطه جميع ذلك كله مندرج فى الطاعة للامام بعد معرفته، واستشهد عليه السلام فى هذا المعنى بقوله تعالى: من يطع الرسول فقد اطاع الله، حيث انه تعالى جعل طاعةالرسول صلى الله عليه واله عين طاعة الله، ولاشك ان الامام بالحق ينوب مناب الرسول صلى الله عليه واله فى جميع الامور الافيما يختص بكونه رسولا من نزول الملك اليه بالوحى فى كسوة الامثال، فيجب ان يكون حكمه عليه السلام فى باب الاطاعة و الاتباع حكم الرسول من كون طاعته طاعة الله و رسوله.

ولما كانت طاعة الله بعد معرفة[1] اصل الخيرات الحقيقية و مفتاح السعادات العقلية كلها، فكذلك طاعة الامام اصل الخيرات و مفتاح السعادات على النحو الذى يليق بنشأة المتبعين المطيعين، فان طبقات النشأة الاخرة و درجات الجنة متفاوتة متفاضلة.

وقوله تعالى: و من تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا، اى من اعرض عن الطاعة و تولى عنها الى طاعة الطاغوت فلايعود وبال ذلك وشره الا عليه، فليس على الرسول الا التبليغ والاعلام والنصيحة، فما ارسل الرسول على الامة ليكون حفيظا لهم عن المعاصى والشرور والافات، فلايضره كثرة المخالفات و المعاصى الواقعة منهم وكذا حال الامام عليه السلام، فان تولى القوم عن طاعته الى طاعة غيره من امراء الجور لايضره ولاينقص قدره عندالله.

الحديث الثانى
وهوالثامن والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء،

١ــ معرفته ــ م.

عن ابان بن عثمان، عن ابى الصباح»، اسمه ابـراهيم بن نعيم بضم النون وفتح العين غير المعجمة واسكان الياء الغير المنقطة تحتها نقطتين ، الكنانى العبدى[١]، قال العلامة فى «صه»: ثقة اعمل على قوله، سماه الصادق عليه السلام: الميزان، قال له: انت ميزان لاعين فيه، يكنى ابا الصباح بفتح الصاد غير المعجمة و تشديدها و تشديد الباء المنقطة تحتها نقطة، كان كوفيا ومنزله فى كنانة فعرف به و كان عبديا، رأى ابا جعفر الجـواد[٢] عليه السلام و روى عن ابى ابراهيم موسى عليه السلام.

«قال[٣]: انى اشهد ان علياً امام فرض الله طاعته و ان الحسن امام فرض الله طاعته و ان الحسين امام فرض الله طاعته و ان على بن الحسين امام فرض الله طاعته و ان محمد بن على امام فرض الله طاعته».

الحديث الثالث

وهو التاسع والسبعون واربع مائة

«وبهذه الاسناد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على، قال: حدثنا حماد بن عثمان عن بشير العطار» مجهول. «قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: نحن قـوم فرض الله طاعتنا و انتم تأتمون بمن لايعذر الناس بجهالته».

الحديث الرابع

و هو الثمانون واربع مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار، عن بعض اصحابنا عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله عز و

١ــ اى من عبدالقيس و نسب الى بنى كنانة، لانه نزل فيهم «جخ».

٢ــ قال صاحب جامع الرواة : و فى «صه» ابا جعفر الجـواد، و هو سهو كما يفهم من «جخ و كش».

٣ــ قال: اشهد انى سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: اشهد ان علياً... (الكافى).

جل: و آتيناهم ملكا عظيما (النساء ـ ٥٤)، قال: الطاعة المفروضة».

الشرح

الملك بضم الميم مبدأ اشتقاق الملك و هو القادر الواسع المقدور التى له السياسة والتدبير، والملك بكسر الميم او فتحها مبدأ اشتقاق المالك و هو القادر على التصرف فى ماله على وجه ليس لاحد منعه، و قد يتحقق المالكية مع العجز و بالنسبة الى المملوك الحقير، بخلاف الملكية فانها لايكون الامع القدرة وبالنسبة الى المملكة الجليلة و يقال: ملك بين الحكم والملك بضم الميم، ومالك بين الملك والملك بكسر الميم و فتحها.

وقال بعض اللغويين: الملك والملك يرجعان الى اصل واحد و هو الربط و الشد كما قالوا: ملكت العجين اى شددته، ثم انه قد يطلق المصدر و يراد به المعنى الحقيقى المضاف اليه دون الامر النسبى ، كما يطلق الخلق على المخلوق و هو المراد هيهنا.

اذا عرفت مفهوم اللغة فاعلم ان الملك العظيم المذكورة فى هذه الاية هو ملك الاخرة، لان ملك الدنيا بحذافيرها حقيرة بل الدنيا ولذاتها و ترفعاتها امور وهمية مستحيلة زائلة، ثم نقول: هذاالملك العظيم الدائم الحقيقى مما يتفاوت و يختلف، فهو بالقياس الى الحق الاول جلت كبريائه شيء و بالقياس الى الانبياء و الائمة شيء و بالقياس الى الامة شيء والاتباع شيء آخر.

اماالذى بالقياس الى الحق الاول فكون ذاته تعالى غنيا عن كل شيء ولايستغنى عنه شيء فى شيء، و له ذات كل شيء، لانه فاعل الكل و غاية الكل فمنه بدو الاشياء واليه مصير الاشياء، فيكون هو الكل على وجه اعلى وابسط. ونحن قدافادنا الله البرهان النير العرشى على هذه المعانى سيما على كونه فى حد ذاته البسيطة الذى لاابسط منه كل الاشياء.

و اما الملك العظيم بالقياس الى الانبياء والائمة عليهم السلام و هو كون ذات

الانسان فى مقام القرب بحيث يرى الاشياء كماهى بنور الحق تعالى ويحيط بها علماً و عينا ويستغنى به تعالى عما سواه ، ذلك بصيرورة نفسه مترقية الى الحضرة الالهية موضوعة لهيئة الوجود كله على وجه عقلى مقدس عن النقص والقصور من صورة عالم عقلى يوازى العالم الحسى المثالى كله، وجنة عقلية يحاذى جنة عرضها السموات و الارض، وعقله المنور بنور الله عزوجل محيطاً بها متصرفا فيها كيف يشاء بمشية ربه، فيسرى حكمه فى الملك و الملكوت بحكم ربه لكونه مستغرقا فى بحر احديته باقيا ببقائه فضلا عن ابقائه.

وهذا هو الملك العظيم الذى لاعظم منه فى حق المقربين من الانبياء العظام و الاولياء الكرام ، والى هذا المقام اشار امير المؤمنين و سيد الموحدين على عليه السلام فيما نسب الى نفسه الشريفة من الامور الالهية والافعال الربانية.

واما الملك العظيم فى حق عامة اهل الاسلام فغاية مايتصور فى حقهم منه هو الطاعة المفترضة للامام لكونها توجب لهم الفوز بالجنة التى فيها ماتشتهى انفسهم و تلذاعينهم وهم فيها خالدون، فهذا هو الملك العظيم و النعيم المقيم فى حق المقلد فى المعرفة و التابع فى العبودية للامام العارف بالحق الناهج سبيل الله بالشهود المطلق .

والسر فى ذلك: ان الاخرة نشأة علمية و دار حيوانية ولايمكن الوصول اليها الا بالعلم والايمان، ونسبة المقلد فى العلم الى العارف البصير كنسبة القالب الى الروح والظل الى ذى الظل و القشر الى اللب والشبح الى الاصل، فيصيب المقلد والاتباع من كل ما هو يصيب القائد المطاع قشر من اللب وظل من النور و شبح من الاصل، و لان صور الاجسام والامثال المحسوسة تابعة فى وجوداتها لصور العقليات، فالملك الحقيقى والجنة المعنوية للائمة الهدى عليهم السلام والملك الحسى والجنة الجسمانية للمقلدين التابعين. فاعلم واغتنم.

ثم ان اصل الاية قوله تعالى: ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والنبوة واتيناهم ملكاً عظيما، وسنعود الى تفسيرها فى الحديث

الاتى بما فيه زيادة توضيح و تحقيق.

الحديث الخامس
وهو الحادى والثمانون واربع مائة

«عـدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابى خالد القماط»، فى الفهرست: له كتاب، قال ابن عقدة: اسمه كنكر روى عنه ابن سماعـة و محمد بن سنان، و فى «صه» ابو خالد القماط اسمه يزيد، وعن الكشى فى عبدالرحمن بن ميمون فى طريق صحيح: ابو خالد صالح القماط[1]. «عن ابى الحسن العطار»، مجهول. «قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام اشرك[2] بين الاوصياء والرسل فى الطاعة».

الشرح

امر عليه السلام بالاشراك فى الطاعة بين رسل الله و اوصيائهم، لان لافرق بينهم فيما هو سبب طاعتهم و اتباعهم، و هـو كونهم وسائـط بين الله عزوجل و عباده فى هدايتهم وارشادهم على سبيل النجاة وتعليمهم الكتاب و الحكمة و تنوير قلوبهم بنور الايمان و المعرفـة على حسب احتمالهم و قـدر عقولهم ، فاذا كانت العلة مشتركـة فالطاعة كذلك.

١ـ وفى نضد الايضاح: القماط مولى بنى عجل بن لجيم كوفى ثقة، وجـدت بخط السيد السعيد صفى الدين محمد بن معد حاشية صورتها: ان اراد بيزيد هذا الكناسى فالذى ذكره الدارقطنى انه بريد بالباء المنقطة نقطة من تحتها قال: و هو شيخ من شيوخ الشيعة روى عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام والشيخ ابو جعفر الطوسى ذكره فى رجال ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام وقال: يزيد بياء منطقة نقطتين من تحتها. ذكر ذلك فى كتابه كتاب الـرجال، والله اعلم. وكتب محمد بن معد الموسوى: اقول : حكى انه ناظر زيـديا فظهر عليه فنقل لابى عبدالله فاعجبه.

٢ـ يقول: اشرك (الكافى).

فان قلت: كيف يكون حال الوصي كحال النبي في كونه واسطة بين الله وعباده، اومتى يكون وصي من الاوصياء منزلته كمنزلة الرسول؟ والرسول هو الذي علمه العلم والحكمة وافاده الفضيلة واسطة من الله والمتعلم المستفيد كيف يكون مساوياً للمعلم المفيد؟ وايضاً النبي صلى الله عليه واله كان اخذ العلم من الله بلاواسطة و الامام اخذ العلم منه تعالى بواسطة النبي صلى الله عليه واله، فلامساواة في المرتبة بين من لاواسطة بينه و بين الله في الافاضة و بين ذي الواسطة فيها؟

قلت: التفصي عن هذا الاشكال يستدعي تمهيد مقدمة: وهي ان الواسطة قسمان: احدهما واسطة في الاعداد وهي ان يهيىء القابل ويعده لان يفيض الواهب عليه مايستعد له والثاني واسطة في الافاضة والايجاد.

اذا تمهدت هذه المقدمة فنقول: ان النفس مادامت متعلقة بهذا البدن العنصري لايكون افعالها الامن باب التحريكات والاحالات دون الافاضة و الايجاد، و انما يصير سبباً فياضاً اومتوسطاً بينه تعالى وبين خلقه في الافاضة والايجاد اذا تجردت عن هذا العالم بالكلية وانخرطت في سلك الملائكة الفعالة المقربين، وكذا حكم التعليم، فان التعليم نوعان: تعليم بشري و تعليم الهي، والمعلم البشري نسبته الى المتعلم نسبة الوالد الى الولد، والوالد ليس موجداً للولد ولاواسطة في الايجاد بل في الايلاد الذي هو الاعداد، وكذا المعلم البشري واسطة في اعداد النفس لقبول الحيوة الاخروية الدائمة ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه واله: يا علي انا وانت ابوا هذه الامة.

فاذا تحقق وتبين هذا فلاحجر في ان يكون معلم البشري واسطة في ان يصير المتعلم منه مثله في درجة العلم والمنزلة عندالله، و رب ولد يكون مثل والده او افضل منه. على انا قد اسمعناك كلاماً فيماسبق شرحه من شرح بعض الاحاديث كيفية اخذ الاولياء علومهم وراثة عن الانبياء عليهم السلام بعد ان يرثه الله والله خير الوارثين. فتذكر ان كنت من اهل الذكر، والله ولي التوفيق.

الحديث السادس
و هو الثاني والثمانون و اربع مائة

«احمد بن محمد عن محمد بن ابي عمير، عن سيف بن عميرة، عن ابي الصباح الكناني قال، قال ابو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، لنا الانفال و لنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله سبحانه: ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله (النساء ـ ٥٤)».

الشرح

الانفال في اللغة جمع النفل والنفل الزيادة على الشيء، يقال: نفلتك كذا اذا زدته، وقيل: النفل العطية، يقال: نفلتك اى اعطيتك، والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب، ومنه نوافل الصلوة، والنوفل الرجل الكثير العطية.

ثم اختلف المفسرون في الانفال فقيل: هي الغنائم التي غنمها النبي صلى الله عليه واله يوم بدر وهو المروى عن عكرمة عن ابن عباس، وقيل: هي انفال السرايا عن الحسن، وقيل: هي ماشذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطاء، وقيل: هو للنبي صلى الله عليه واله خاصة يعمل به ماشاء، و قيل: ماسقط بعد[1] قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى، و روى عنه ايضاً: ان سلب الرجل و فرسه ينفل النبي صلى الله عليه واله من شاء، و قيل: هو الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس عن مجاهد في رواية اخرى.

وقال شيخ ابو علي الطبرسي في تفسيره المسمى بمجمع البيان: قد صحت الرواية عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السلام انهما قالا: الانفال كل ما اخذ في[2] دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال و ميراث من لاوارث له

١ـ من المتاع بعد «مجمع».

٢ـ من «مجمع».

وقطائع الملوك اذا كانت فى ايديهم بغير غصب و الاجام و بطون الاودية والارضون الموات و غير ذلك مما هو مذكور فى مواضعه، وقالا عليهماالسلام: هى لله وللرسول و بعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء.

وقالا عليهماالسلام: انغنائم بدر كانت للنبى صلى الله عليه واله خاصة، فسألوه ان يعطيهم. و قد صح ان قرائة اهل البيت عليهم السلام: يسئلونك عن الانفال فقال الله سبحانه: قل يا محمد الانفال لله وللرسول، وكذلك ابن مسعود وغيره انما قرأوا كذلك على هذا التأويل[1]. انتهى كلام الطبرسى رحمه الله.

وقوله عليه السلام: ولناصفو المال، اراد به صفايا الملوك والسلاطين وقطائعهم مما لم يكن مغصوبة من مسلم اومعاهد، وقد علمت انها بعدالرسول صلى الله عليه واله للامام خاصة بل هى داخلة فى جملة الانفال كمافى الرواية الاخيرة.

ذكرعليه السلام من خصال الائمة عليهم السلام ومناقبهم اموراً اربعة:

الاول كونهم مفترض الطاعة و قد مربيانه.

والثانى كون الانفال والصفايالهم بعد رسول الله يصرفونها كماشاؤا فى مصالح انفسهم، و ذلك كونهم بمنزلة الرسول صلى الله عليه واله فى امور الدين و الدنيا فيستحقون السلطنة الكبرى و الصغرى و خلافة الله فى الارض والسماء.

والثالث كونهم الراسخين فى العلم و هذا اصل كل فضيلة و رأس[2] كل منقبة، وانماكانوا راسخين فى العلم لان علومهم الهية لدنية غيرمكتسبة من تعلم بشرى او بترتيب مقدمات فكرية و تأليف قضايا باستعمال قوانين ميزانية، فان هذه الصنعة الميزانية والحيلة الفكرية قليلة الجدوى فى باب ادراك الغوامض الالهية والمعارف القرانية والاسرار الربانية التى هى وراء طور العقول البشرية.

والرابع كونهم محسودين وانهم و رسول الله صلى الله عليه واله هم المرادون

١ــ قال استاذنا الشعرانى تغمده الله برحمته: هذا بمعنى رواية الثقات لا بمعنى التواتر حتى يجوز القرائة به، لان القران لا يثبت بغير المتواتر.

٢ــ اس ــ م.

بقوله: ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله، وهذه الاية هی التی تمامها: فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكم والنبوة و اتيناهم ملكاً عظيما، وقد وعدنا تفسيرها.

فنقول: كلمة ام هيهنا منقطعة، والتقدير: بل يحسدون الناس، والحساد كانت حينئذ احبار اليهود، وكذا فی عصر كل نبی و وصی كان الحاسدون من ذلك القبيل من المتشبهين بالعلماء و الزاعمين انفسهم انهم من العلماء وهم من الجهال المنافقين كبلعم بن باعور، فانه رأى فی بعض الكتب ان الله يبعث نبيا فزعم انه هو ذلك النبی فلما بعث موسى عليه السلام حسده و دعا على قومه حتى بقوا فی التيه فكان كما افصح الله عن حاله فی قوله: و اتل عليهم نبأ الذی اتيناه الى قوله: فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (الاعراف ـ ۱۷۵ و ۱۷۶).

و اختلفوا فی المراد بلفظ الناس على قولين: الاول وهو المروی عن ابن عباس والاكثرين انه محمد صلى الله عليه واله، وانما جاز ان يقع عليه لفظ الناس وهو واحد لانه اجتمع عنده من خصال الخير مالا يحصل الامتفرقا فی الجمع العظيم، و من هذا يقال: فلان امة وحدة وقال الله تعالى: ان ابراهيم كان امة (النحل ـ ۱۲۰)، والقول الثانی: ان المراد هو الرسول صلى الله عليه واله و من معه من المؤمنين، قال من ذهب الى هذا القول ان لفظ الناس لفظ جمع فحمله على الجميع[1] اولى من حمله على المفرد.

اقول: والحق كما علم من هذا الحديث ان يكون المراد من الناس محمد صلى الله عليه واله واهل بيته الذين هم بيت النبوة والولاية و ذلك لوجهين: احدهما ان الحساد كما مر هم الذين يعظمون العلم ويزعمون انفسهم انهم من اهله، و امثالهم لا يحسدون عامة اهل الايمان اللهم الا ان يراد بالمؤمنين من لهم الايمان الحقيقی كما فی قوله تعالى: انما وليكم الله و رسوله والذين امنوا (المائدة ـ ۵۵)، وهذا المعنى من الايمان لا يكون الامع نور الولاية.

والثانی انما حسن ذكر الناس فی هذا المقام و ارادة طائفة معينة من الناس،

۱ـ الجمع «التفسير الكبير».

لان المقصد[1] و الغاية من الخلق انما هو القيام بالعبودية التامة و المعرفة الكاملة كما قال تعالى: وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (الذاريات ـ ٥٦)، فلما كان القائمون بهذا المقصد[1] ليس الا محمداً صلى الله عليه واله و من يحذوحذوه وينوب منابه و هو اولياء امته واهل بيت نبوته فكانوا كأنهم كل الناس، ولهذا حسن اطلاق لفظ الجمع وارادة البعض.

ثم ان المفسرين اختلفوا فى تفسير الفضل الذى لاجله صاروا محسودين، القول الاول: انه هو النبوة والكرامة الحاصلة بسببها فى الدين و الدنيا، و القول الثانى: انهم يحسدون على انه كان له صلى الله عليه واله من الزوجات التسع[2].

و اعلم ان الحسد لايحصل الاعند الفضيلة، فمهما كانت فضيلة الانسان اتم و اكمل كان حسد الحاسدين عليه اعظم، و معلوم ان النبوة اعظم المناصب ثم انه تعالى اعطاها لمحمد صلى الله عليه واله وضم اليها انه جعله كل يوم اقوى دولة و اعظم شوكة واكثر انصاراً واعوانا وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم، و اما كثرة الزوجات فهى كالامر الحقير بالنسبة الى ماذكرنا، فتفسير ذلك الفضل بكثرة الزوجات فى غاية السقوط.

ثم ان من تأمل فى خصال امير المؤمنين عليه السلام و مناقبه الجمة العظيمة و جامعيته لاشتات الصفات الالهية والخلقية والكمالات العقيلة والنفسية والبدنية مما يشبه جمع الاضداد و علم ايضاً كما علمت ان باطن النبوة مشترك بينه و بين النبى صلى الله عليه واله و انما خص النبى صلى الله عليه و اله برسالة التشريع و نزول الملك بالصورة المتجسدة، يعلم ان لااحد بعد رسول الله صلى الله عليه واله اشد استحقاقاً لان يكون اكثر حساداً و اعظم حسد عليه منه.

ولذلك كان اكثر حساده من اعظم الصحابة و اشراف قومه لكن بعضهم ابطن الحسد و بعضهم اظهر، و ذلك لانهم كانوا اعرف من غيرهم بفضائله و مناقبه، بل

١ـ المقصود «التفسير».

٢ـ تسع «التفسير».

يمكن ان يقال: كل ما اصابه من المصائب والشدائد والمنع عن الخلافة كان منشأه الحسد والعناد والحقد واللداد من رؤساء القوم وامرائهم الغاصبين للخلافة المتقمصين للامارة، حتى انه لوفرض انه عليه السلام لم يكن بهذا المثابة من العلم و الكرامة و كان كغيره من الصحابة، لكان فوضت اليه الخلافة بمجرد قرابة الرسول صلى الله عليه واله وزوجية البتول و ابوة الحسن والحسين عليهما السلام هذا.

ثم انه تعالى لما بين ان كثرة نعم الله على النبى صلى الله عليه واله صار سبباً لحسد هؤلاء اليهود وامثالهم بين مايدفع ذلك فقال: فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة والنبوة و اتيناهم ملكاً عظيماً (النساء ـ ٥٤)، والمعنى انه حصل فى اولاد ابراهيم عليه السلام جماعة كثيرة جمعوا بين العلم والنبوة والملك وانتم لاتتعجبون من ذلك ولاتحسدونهم، فلم تتعجبون من حال محمد صلى الله عليه واله وال محمد عليهم السلام و يحسدونهم[1]؟

واعلم ان الكتاب اشارة الى اسرار الحقيقية المثبتة فى صحائف العلوية بالاقلام الالهية، النبوة وهو كمال العلم كماعلمت والحكم من اثاره ونتائجه، و اما الملك العظيم فهو كمال القدرة، وقد ثبت ان الكمالات الحقيقية كلها راجعة الى العلم والقدرة.

و اعلم ان العلم والقدرة متغايران فى النشأة النفسانية و اما فى العالم الالهى و النشأة العقلية فاعلم هناك عين القدرة و القدرة عين العلم وكذا المبادى العقلية، علمها بالاشياء عين ايجادها و انشائها لصورتلك الاشياء، والانسان اذا كمل علمه و تم كماله وتجرد عن هذا العالم صائراً[2] الى عالم القدس كان علمه و قدرته شيئاً واحداً فنفذ حكمه و قدرته فى الملك والملكوت و جرى سلطانه فى طبقات الجنات وملكوت السموات، و ذلك هو الملك العظيم للانسان الكامل بالاصالة ومثاله وشبحه للمقلدين و التابعين بالتبعية كمامر.

١ـ و تحسدونهم ـ م.

٢ـ كذا فى جميع النسخ، والظاهر: سائراً.

الحديث السابع
و هوالثالث والثمانون و اربع مائة

«عنهم[1] عن احمد بن محمد عن على بن الحكم، عن حسين بن ابى العلاء قال: ذكرت لابى عبدالله عليه السلام قولنا فى الاوصياء ان طاعتهم مفترضة قال، فقال: نعم! هم الذين قال الله تعالى: اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩)، وهم الذين قال الله عزوجل انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا (المائدة ـ ٥٥)».

الشرح

قد علم مما ذكرنا انفاً ان الايمان الحقيقى الذى هو العلم التام واليقين الكامل بالله وكلماته و اياته و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الاخر هو نور فائض من الله تعالى على النفس الانسانية، فتصير بذلك النور جوهراً قدسيا و روحاً امريا وانسانا ربانيا و ملكاً عقليا بعد ان كان حيوانا بشريا طبيعيا، و هذا النور هو النور النبوة فى النبى صلى الله عليه واله ونور الالهام والولاية فى الولى.

الحديث الثامن
وهوالرابع والثمانون و اربع مائة

«و بهذا الاسناد عن احمد بن محمد، عن معمر بن خلاد» ، بغدادى ثقة روى عن الرضا عليه السلام «صه» قال فى الفهرست: له كتاب روى عنه محمد بن عيسى بن-زياد واحمد بن ابى عبدالله. «قال: سأل رجل فارسى اباالحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم، قال: مثل طاعة على بن ابيطالب عليه السلام؟ فقال: نعم».

الشرح

قد علمت علة الاشتراك والمماثلة فى الطاعة بين الرسل و الائمة عليهم السلام،

١ـ لفظة عنهم ليست فى الكافى.

فالاشتراك فيها بين الائمة اولى ، بـل الحق ان ارواحهم عند الاستكمال بالعبودية فى مقام قرب الاحدية متحدة وطينتهم فى البداية و انوارهم فى النهاية واحـدة لافرق بين احد منهم فى الهداية والاشراق، و بايهم وقع الاقتداء وقع الاهتداء.

الحديث التاسع

و هو الخامس والثمانون و اربع مائة

«احمد[1] بن محمد عن على بن الحكم، عن على بن ابى حمزة، عن ابى بصير، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الائمة هل يجرون فى الامـر والطاعة مجرى واحد؟ قال: نعم».

الشرح

قد سبق الوجـه العقلى فى كونهم يجرون مجرى واحـد فى باب الامر منهم و الطاعة من العباد لهم عليهم السلام.

الحديث العاشر

و هو السادس والثمانون واربع مائة

«و بهذا الاسناد عن مروك بن عبيد، عن محمد بن ذيل[2]» الطبرى، اصله كـوفى من اصحاب الرضا عليه السلام. «قال: كنت قائما على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عـدة من بنى هاشم وفيهم اسحق بن موسى بن عيسى العباسى، فقال: يا اسحق بلغنى ان الناس يقولون انا نزعم ان الناس عبيد لنا؟ لا وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه واله، ماقلته قط ولاسمعته من احد آبائى[3] قاله ولابلغنى من احد من آبائى قاله ولكنى اقول:

١ــ و بهذا الاسناد عن احمد بن محمد (الكافى).

٢ــ زيد (الكافى).

٣ــ ولا سمعته من ابائى (الكافى).

الناس عبيد لنا فی الطاعة، موال لنا فی الدين، فليبلغ الشاهد الغائب».

الشرح

معنى الالفاظ غنى عن الشرح، والسبب العقلی فی كون الناس عبيداً و مـوالی لهم فی الطاعة والدين كما علمت. ثم ان عبودية العلم والـدين ليست باقل من عبودية الخدمة والقن[1]، على الناس لوعلم مقامهم عليهم السلام عندالله ومافيهم من الامر الالهی والقوة الربانية لعلموا انهم لو عبدوهـم لم يعبدوا الا الله الها واحداً كما قال تعالى : من يطـع الرسول فقد اطاع الله (النساء ـ ٨٠)، و عنه صلى الله عليه واله انه قال: من رآنی فقد رأى الحق، وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: ما قلعت باب خيبر بقوة انسانية بل بقوة ربانية، ونفس بنور ربها مضيئة.

وانت اذا رأيت الحديدة الحامية بمجاورة النار تتصوره بصورة النار و تفعل فعلها من التسخين والاحراق والاضائة، فلاتتعجب من نفس استنارت و استضائت بنور الله فاطاعها الاكـوان طاعتهم للملائكة المقربين، فطاعـة الناس لمثل هـذه النفوس الطاهرة، الذين طهرهم الله عن رجس المعاصی والجهالات ونورهم بنور العلم والفضائل والكرامات ترجع الى طاعة الله.

الحديث الحادی عشر

وهو السابع والثمانون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن صالح بن السندی»، فی الفهرست: له كتاب روى عنه احمد بن ابی عبدالله ، و فی النجاشی: روى عن يونس بن عبدالرحمن و روى عنه ابراهيم بن هاشم لم[2] يرو.

«عن جعفر بن بشير» ابومحمد البجلی الوشاء من زهـاد اصحابنا و عبادهم و

١ـ القن: عبد ملك هو وابواه.

٢ـ اى: ولمن لم يروعنهم عليهم السلام

نساكهم، وكان ثقة و مات بالابواء سنة ثمان و مأتين يعرف بفقه العلم ، لانه كان كثيرا العلم ثقة روى عن الثقات و رووا عنه «صه» و فى الفهرست: له كتاب ينسب الى جعفر بن محمد عليه السلام رواية الرضا عليه السلام، روى عنه ابن ابى الخطاب، وفى النجاشى: ذكره الشيخ فى اصحاب الرضا وكان يلقب فقه العلم روى عنه، و فى الايضاح ايضا: قفحة وقيل نفحة و فى «صه» كمامر.

«عن ابى سلمة» البصرى له كتاب، ذكره ابن النديم كذا فى الفهرست. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال، سمعته يقول: نحن الذين فرض الله طاعتنا، لايسع الناس الا معرفتنا و لايعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنا ومن انكرنا كان كافراً ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع الى الهدى الذى افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فان يمت على ضلالته يفعل الله به مايشاء».

الشرح

اعلم ان ظاهر هذا الحديث و امثاله عموم الحكم بوجوب معرفة الائمة عليهم السلام على جميع الناس و بكونهم كفاراً ان لم يعرفوهم باعيانهم ، لكنه مختص بمن كان ذاقوة استعداد عقلية دون عامة الناس والناقصين والضعفاء العقول الذين لايجدون حيلة و لايهتدون سبيلا، والدليل على هذا التخصيص اما من النقل فمثل مامر فى الباب الذى قبل هذا الباب فى معرفة الامام من الاحاديث.

منها مارواه زرارة قال: قلت: لابى جعفر عليه السلام: اخبرنى عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: ان الله بعث محمداً صلى الله عليه واله على[1] الناس اجمعين رسولا و حجة لله على جميع خلقه فى ارضه، فمن امن بالله و بمحمد صلى الله عليه واله[2] و اتبعه وصدقه فان معرفة الامام منا واجبة عليه، ومن لم يؤمن بالله و رسوله ولم يتبعه ولم يصدقه لم يعرف حقهما فكيف يجب عليه معرفة الامام وهو لايؤمن بالله ورسوله

١- الى (الكافى) .
٢- بمحمد رسول الله (الكافى).

ولايعرف حقهما.

قال: قلت: فما تقول فى من يؤمن بالله و رسوله و يصدق رسوله فى جميع ما انزل‌الله يجب على اولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم! اليس هؤلاء يعرفون فلانا و فلاناً؟ قلت: بلى! قال: الاترى[1] ان الله هوالذى اوقع فى قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما اوقع فى‌قلوبهم الا الشيطان، لاوالله: ما الهم المؤمنين حقنا الا الله عزوجل.

فعلم من هذا الحديث ان معرفة الائمة عليهم‌السلام انما يجب على من فى نفسه داعية البحث و التفتيش عن المذاهب والاراء والملل والاهواء، وان يكون فى قلبه اما موضع وسوسة الشيطان او محل المعرفة والالهام، واكثر عامة المسلمين ليس من‌هذا ولامن ذاك.

ومنها مـا رواه ابوالمقدام عن جابر انه سمـع ابا جعفر عليه‌السلام يقول: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله و عرف امامه منا اهل البيت، ومن لايعرف الله عزوجل ولايعرف الامام منا يعرف[2] ويعبد غيرالله، هكذا والله ضلالا.

ومعلوم ان اكثرالناس ليس فى وسعهم ادراك الامور العقلية فضلا عن معرفة الله و معرفة اوليائه و مقربيه، فانها علوم غامضة ليست سهل المنال.

ومنها الحديث الثانى من ذلك الباب الذى رواه ابن اذينة عن احدهما عليهما‌السلام: انه لايكـون‌العبد مؤمنا حتى يعرف الله و رسوله والائمة كلهم و امام زمانه و يرد اليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول؟

وانى يتيسر لعامة المسلمين هذه المرتبة من‌المعرفة واليقين؟ ومعلوم ان الحاجة الى الامام ليست الا لاكمال النعمة والدين ولاكتساب معارف وعلوم هدى يختص هو بتعليمها و افادتها ولايمكن استفادتها من غيره الامن استفاد ايضاً منه ، وانت تعلم ان اكثرالناس بمعزل عن نيل رتبة الاستفادة العلمية.

و من الدلائل النقلية قوله : امـرت ان اقاتل الناس حتى يقولـوا لا اله الا الله

١ـ اترى (الكافى).

٢ـ منا اهل البيت فانما يعرف (الكافى).

محمد رسول الله، فاكتفى فى اسلامهم بمجرد هـذا القول ولم يكلفهم بمعرفة الله على التحقيق .

ومنها قوله تعالى: قالت الاعراب امنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا (الحجرات ـ ١٤)، فانه تعالى حكم باسلامهم ونفى الايمان عنهم و لـم يحكم بكفرهم؛ فعلم ان مرتبة الايمان شيء اخر فوق الاسلام، و انما الحاجة الى معرفـة الامام لاجل اكتساب المعارف الالهية و العلـوم الحقيقية التى مفاتيحها بيدهم و هم عليهم السلام ابـواب خزائنها.

و اما الدليل العقلى: فلما علمت من تضاعيف ماسبق من الكلام من كون الايمان بالله وملائكته وكتبه و رسله و اليوم الاخر ومعرفة النفس ونشأتها و مقاماتها والوحى والالهام وكيفية النبوة و الامامة علوم يختص بدركه علماء الاخرة و هى غاية الكمال الانسانى.

و مامر ايضاً من كـون الايمان الحقيقى نور من انوار الله العقلية يصير بها من حزب الملائكة المقربين، مع ماسيرد من الاحاديث المذكـورة فى كتاب الايمان من فضائل الايمان وخصائص المؤمن، فانه كالكبريت الاحمر لايوجد الا على غاية الندرة والشذوذ، فمن تأمل فى هذا الامر يعلم ان تكليف الناس كلهم بالايمان الحقيقى تكليف بما لايطاق.

و مما يؤيد هذا ماذكره صاحب هذا الكتاب الكافى رحمه الله فى صدر الكتاب ان الله تعالـى خلق عباده خلقة منفصلة عن البهائـم فى الفطن والعقول المـركبة فيهم محتملة للامر والنهى وجعلهم صنفين: صنفاً منهم اهل الصحة والسلامة و صنفا منهم اهل الضرر و الزمانـة، فخص اهل الصحة و السلامة بالامر والنهى بعدمـا اكمل لهم الة التكليف، و وضع التكليف عن اهل الزمانة و الضرر، اذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم، وجعل عزوجل سبب بقائهم اهـل الصحة والسلامة وجعل بقاء اهل الصحة و السلامة بالادب والتعليم، فلـو كانت الجهالة جائـزة لاهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم، و فى جـواز ذلك بطلان الكتب والرسل والاداب، و فى

رفع الكتب و الرسل و الاداب فساد التدبير و الرجوع الى قول اهل الدهر . انتهى كلامه.

فان قلت: اليست العامة والضعفاء مكلفين بالصلوة والصيام والزكوة والحج و الجهاد واداء الامانات واقامة الشهادات وحضور الجمعة والجماعات وغير ذلك من الامور الاسلامية التى كلفت بها عامة الناس؟ فكيف قال الجامع لهذا الكتاب من انه وضع عنهم التكليف اذ خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم؟

قلت: لو نظرت حق النظر فيهم و فى احوال نفوسهم الناقصة لعلمت ان تكاليفهم بهذه الامور ممايجب على السائس، لان فائدتها لهم لايتعدى هذه النشأة الظاهرة، وهى من باب السياسات الحيوانية الدنيوية التى تنتظم بها امور المعاش للجميع وينصلح بها احوال المعاد لمن كان من اهله، و بالحقيقة انما يجب على الامام السائس ضبطهم و تكليفهم و سياستهم بما فيه صلاح امورهم لئلايكونوا معطلين مهملين مسلمين عن الخطاب كسائر الدواب.

وايضاً لماكان جميع افراد الناس متماثلة فى صورة البشرية غير متميزة فى ظاهر الحس وانما الاختلاف بينهم فى قبول السعادة و عدمه بحسب البواطن والضمائر، و الدنيا دار الاشتباك والاختلاط والاشتباه والاخرة دار الامتياز والافتراق كما قال تعالى: يومئذ يتفرقون (الروم ـ ١٤)، وقوله: ليميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه فى جهنم (الانفال ـ ٣٧)... الاية.

فعلى هذا يجب ان يكون التكليف بالامور الاسلامية و الاحكام السياسية عامة للجميع، واما الذى يحصل به السعادات الاخروية من العلوم الحقيقية والمعارف الالهية التى يختص بدركه اهل الصحة والسلامة فليس المكلف بها الاهذا القسم خاصة.

فعلم مما ذكرنا ان انواع الناس بحسب العاقبة خمسة: لانها بالقسمة الاولى التى ذكرها الجامع قسمان، ثم ان القسم الثانى قسمان: اما اهل النبوة والولاية و من فى درجتهم من القرب عندالله والاخذ منه بلاواسطة، و اما غيرهم، والثانى ثلاثة اقسام كما فى هذا الحديث: احدها المؤمن وهو العارف بائمة الدين الاخذ منهم التابع لهم

فى سلوك الاخرة.

والقسم الثانى الكافر المعاند وهو المنكر لائمة الدين الجاحد لحقهم و هو الضال المضل.

و القسم الثالث ما ليس بمؤمن ولاكافر معاند، وهومادام كذلك ضال واقف عن الطريق حتى يهتدى بنور المعرفة و يرجع الى الهدى الذى فرض الله عليه من طاعة الامام فيحشر معه على الوجه الذى مر بيانه.

اذ ليس حكمه حكم من لايجب عليه المعرفة بالله و كلماته لا على الاستقلال و و لا على الاتباع، وهم الذين قال الله فيهم: لهم قلوب لايفقهون بها الى قوله: اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون (الاعراف ـ ١٧٩)، وهم المختوم على قلوبهم فى اصل الفطرة، واما هؤلاء فليسوا كذلك، فان ماتوا على هذه الضلالة فيفعل الله بهم مايشاء، اما يعذبهم و اما يتوب عليهم (التوبة ـ ١٠٦).

فان قلت: فماحال الطائفة الاولى فى الاخرة؟

قلت: قد وقع الاختلاف من الحكماء الاسلاميين فى معادهم على قولين، والحق ان لهم فى الاخرة حيوة ناقصة حيوانية ، ثم انه قد اختلف اهل الكشف فى تعذيب الجهلة والكفرة الذين لايهتدون و لايجحدون و ليسوا من اهل العناد و الاستكبار ولا الجحود والانكار مع اتفاقهم على تسرمدهم فى الجحيم وخلودهم فى النار.

الحديث الثانى عشر
و هوالثامن والثمانون و اربع مائة

«على عن محمد بن عيسى عن يونس، عن محمد بن الفضيل، قال : سألته عن افضل مايتقرب به العباد الى الله عزوجل، قال: افضل مايتقرب به العباد الى الله عزوجل طاعة الله وطاعة رسول الله و طاعة اولى الامر. قال ابوجعفر عليه السلام: حبنا ايمان و بغضنا كفر».

الشرح

الضمير فى سألته راجع الى الصادق عليه السلام و يحتمل ان يكون الكاظم عليه‌السلام، لان القوم كانوا لايصرحون باسمه خوفاً من الاعداء، و معنى الحديث كما علمت.

الحديث الثالث عشر
و هوالتاسع والثمانون واربع مائة

«محمد بن‌الحسن عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن فضالة بن‌ايوب عن ابان، عن عبدالله بن سنان، عن اسمعيل بن جابر قال، قلت لابى جعفر عليه‌السلام: اعرض عليك دينى الذى ادين‌الله عزوجل به قال، فقال : هات. قلت: اشهد ان لااله‌الا الله وحده‌لاشريك له، واشهد ان محمدا عبده و رسوله والاقرار بماجاء به‌من عندالله، و ان عليا كان اماما فرض‌الله طاعته، ثم كان بعده الحسن عليه‌السلام اماما فرض‌الله طاعته، ثم كان‌الحسين عليه‌السلام بعده اماما فرض‌الله طاعته، ثم كان على‌بن‌الحسين عليه‌السلام بعده اماما حتى انتهى[1] الامر اليه، ثم قلت: انت يرحمك الله. قال، فقال: هذا دين الله و دين ملائكته».

الشرح

ادين الله به اى اطيعه واعبده به، فان الدين بمعنى الطاعة، وقوله: والاقرار بما جاء به، خبر مبتداء و كذا ماعطف هذا عليه من قول اشهد مع مايتلوه.

وتقدير الكلام: دينى انه‌اشهد انلااله‌الاالله ودينى انه‌اشهد انمحمداً عبده‌ورسوله ودينى الاقرار بماجاء بـه من عندالله و دينى ان عليا كـذا الى اخر كلامه، والمراد ان دينى‌مجموع هذه‌الامور لاكل واحد واحد، لان‌كل واحد جزء الدين لا تمامه، وقوله:

١ــ على‌بن‌الحسين اماماً فرض‌الله طاعته ــ حتى انتهى الامر اليه (الكافى).

حتى انتهى الامر اليه، يعنى انى ذكرت و احداً و احداً من الائمة على هذا الوجه حتى انتهت النوبة اليه.

ثم قلت: انت يرحمك الله، اى انت بعدهم تكون اماماً فرض الله طاعته، وقوله عليه السلام: هذا دين الله و دين ملائكته، من باب اضافة المصدر الى مفعوله اى هذا طاعة الله و طاعة ملائكته.

الحديث الرابع عشر
و هو التسعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن محبوب عن هشام بن سالم، عن ابى حمزة، عن ابى-اسحق، عن بعض اصحاب امير المؤمنين عليه السلام، قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: اعلموا ان صحبة العالم و اتباعه دين يدان الله به و طاعته مكسبة للحسنات ممحات للسيئات و ذخيرة للمؤمنين و رفعة فيهم فى حيوتهم وجميل بعد مماتهم».

الشرح

مكسب بكسر الميم اسم الة كمفعال من الكسب و كذا ممحاة مفعال قلبت لامه الفاً من المحو.

واعلم انه اراد عليه السلام بالعالم العالم الربانى العارف بحقائق الاشياء كماهى وهو الامام، فذكران صحبته و اتباعه دين لمن يتبعه به يدين الله و يطيعه، و يستفاد من كلامه عليه السلام ان لادين لغير العالم الربانى الا اتباعه و تقليده لذلك العالم وان طاعته عين طاعة الله، و ذلك امر محقق يظهر صدقه عند التأمل، فان العالم الحقيقى هو البصير بامر الدين السالك سبيل الله بقدم العلم و اليقين بخلاف غير العالم، فانه فى حد نفسه لابصيرة له ولاقدم صدق عند ربه ولافوة سلوك فى قطع المنازل الى الاخرة وانما له ان يقتدى بغيره.

فالامام هو القائد البصير، والتابع كالاعمى الذى يحمله القائد البصير ويمشى به

ويسلك به الى المقصد، فكما ان الاعمى لادين و لارأى له فى باب المذهب والمطلب الا مايقوده القائد البصير فكذلك حكم التابع فى باب امر الدين وطاعة رب العالمين، فدينه و طاعته لله عزوجل عبارة عن طاعته للامام العالم.

وقد وقعت الاشارة الى ما ذكرنا من عدم قوة العمل و السلوك لغير العالم الا بقوة العالم فى الحديث النبوى على قائله واله افضل الصلوة وازكى التحيات: مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق.

فما احسن هذا التمثيل من جهة احدى القوتين[1] اللتين بهما كمال النفس الحيوانية والسعادة الاخروية لها؟ اعنى قوة العمل و المشى فى سبيل القدس والنجاة من الغرق فى بحر الطبيعة التى باطنها نارا لجحيم.

فكما ان السفينة متحركة بامر الله واذنه و بهبوب الرياح الهابة من لطف عنايته ورحمته وبسم الله مجريها و مرسيها واما الراكب فيها فهو ساكن بالذات متحرك بالتبعية بحركة السفينة لا بالذات، فكذلك حكم التابع للعالم من جهة القوة العملية، واما حكمه من جهة القوة النظرية فمثل الاعمى الذى يقوده البصير فى سبيل مقصده.

وقوله: وطاعته مكسبة للحسنات و ممحاة للسيئات، و ذلك لان العالم كالطبيب وغيره كالمرضى فمن اتبعه يأمره بفعل الخيرات والحسنات التى هى كالادوية النافعة ويأمره بترك المعاصى والسيئات التى هى كالسموم المهلكة او الضارة، فيصير التابع المطيع له فيما يأمره و يزجره صحيحاً معافاً ذا قلب سليم فيخلص من عذاب الاخرة، فلذا قال الله تعالى: الا من اتى الله بقلب سليم[2]، فهذا معنى كون طاعته مكسبة للحسنات

١ــ يعنى ان هذا منه صلى الله عليه واله تنصيص و تصريح بكون كل من النور العملى والعلمى اللذين يتنور بهما شراشر وجود اشياع الائمة واتباعهم انما هو من اشعة انوارهم عليهم السلام، فتبصر «نورى».

٢ــ الشعراء ــ ٨٩، قوله سبحانه: الا من اتى الله بقلب سليم نص على كون النشأة الاخروية حسية كانت او عقلية ناشئة من مادة القلب الذى يكون القلب الجسمانى اللحمى الصنوبرى مظهراً له و ذلك القلب يبقى بعد فناء البدن بسبب تجرده عما يقتضى الانحلال والدثور والزوال فى وجه لا يعرفه الا الراسخون فى الفن. فافهم «نورى».

وممحاة للسيئات.

وقوله: ذخيرة للمؤمنين، اى ما يدخر لهم من ثواب الاخرة لاجل ما يحصل لهم من القلب السليم والاستقامة على الصراط المستقيم بملكة العدالة و التوسط بين ذمائم الافراط والتفريط والاقتصاد بنفي الاطراف واضداد، وكلا طرفي القصد في الامور ذميم وسقوط عن الصراط في الجحيم، وقوله عليه السلام: و رفعة فيهم في حيوتهم، لان ارتفاع حال الباطن و حسن الخلق مما يترشح منه الى الظاهر فيوجب الوقع في قلوب الناس فيعظمون صاحبه، وقوله: وجميل بعد مماتهم ، اى ذكر جميل لهم بعد الموت.

الحديث الخامس عشر

وهو الحادي والتسعون و اربع مائة

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم قال، قلت لابى عبدالله عليه السلام: ان الله اجل و اكرم من ان يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله. قال: صدقت. قلت: انمن عرف انله ربا فقد ينبغي له ان يعرف ان لذلك الرب رضا وسخطا وانه لايعرف رضاه وسخطه الابوحي او رسول، فمن لم يأته الوحي فينبغي له ان يطلب الرسل فاذا لقيهم عرف انهم الحجة و ان لهم الطاعة المفترضة فقلت للناس: اليس تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه واله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى! قلت: فحين مضى صلى الله عليه واله من كان الحجة؟ قالوا: القران! فنظرت في القران فاذا هو يخاصم به المرجيء والقدري والزنديق الذي لايؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت ان القران لايكون حجة الابقيم فما قال فيه من شيء كان حقا. فقلت لهم: من قيم القران؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم. قلت: كله؟ قالوا: لافلم اجد احد يقال انه يعلم القران كله الاعليا صلوات الله عليه و اذا كان الشيء بين القوم فقال هذا لاادري و قال هذا لاادري و قال هذا: انا ادري! فاشهد ان عليا عليه السلام كان قيم القران وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على

الناس بعد رسول الله صلى الله عليه واله و ان ما قال فى القران فهو حق . فقال : رحمك الله».

الشرح

صدر هذا الحديث الى هذا الموضع بهذا السند بعينه، قد سبق ايراده فى الباب الاول من هذا الكتاب اعنى كتاب الحجة، و قد شرحناه بما تيسر لنا فلاوجه لاعادة شرحه، فلنذكر التتمة ونشرح مايحتاج الى الشرح و هى قوله:

«فقلت: ان عليا عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله، وان الحجة بعد على الحسن بن على واشهد على الحسن عليه السلام انه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك ابوه وجده، وان الحجة بعد الحسن الحسين عليه السلام و كانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله، فقبلت رأسه و قلت: و اشهد على الحسين عليه السلام انه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده على بن الحسين عليه السلام و كانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله فقبلت رأسه. وقلت: و اشهد على على بن الحسين انه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده محمد بن على ابا جعفر عليه السلام و كانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك الله. قلت: اعطنى رأسك حتى اقبله. فضحك. قلت: اصلحك الله قد علمت ان اباك لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك ابوه و اشهد بالله انك انت الحجة و ان طاعتك مفترضة. فقال : كف رحمك الله. قلت: اعطنى رأسك حتى اقبله. فقبلت رأسه، فضحك و قال : سألنى عما شئت فلاانكرك بعد اليوم ابداً».

الشرح

قوله: فضحك، كأنه لاجل سروره عليه السلام، لكون الرجل عارفا بحقهم عليهم السلام، و انما اقتصر على الدعاء فى المرتبة الاولى اقر بامامة على والحسن و الحسين عليهم السلام، و زاد فى المرتبة الثانية التى ساق الامامة الى ابى جعفر الباقر عليه السلام فضحك سروراً ثم زاده فى المرتبة الاخيرة التى اقر بامامته على الدعاء واظهار السرور

بان رخصه فى السؤال عماشاء وجعله من معارف اصحابه تنبيها على تفاوت المراتب فى الفضيلة والعرفان.

و ذلك لان القول بامامة الثلاثة الاولى عليهم السلام ربما قال به غيرهذه الفرقة فليس فى ذلك اشكال، وانما الجاحدون لامامتهم كالجاحد لضوء الشمس فى رابعة النهار لكثرة ماورد فى شأنهم من ايات القران و احاديث سيد الابرار.

واما القول بامامة الائمة الثلاثة بعد الاولين عليهم السلام ففيه زيادة بصيرة و اهتداء ولهذا وقع فيه اظهار السرور، ان العثور على الامامة الموجود فى الوقت مع ماجرت عليه عادة الناس من الحسد والوقوع فيمن فاق عليهم من الفضل والكمال امر يحتاج الى درك كامل وقلب مستنير وعقل صحيح، ولهذا زاده فى التعظيم والتخصيص، واما قوله: كف رحمك الله، فكأنه امر بالتقية.

الحديث السادس عشر
و هوالثانى والتسعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن الخالد البرقى عن القاسم بن محمد الجوهرى» ، من اصحاب ابى الحسن الكاظم عليه السلام واقفى لم يلق ابا عبدالله عليه السلام «صه» وفى رجال الشيخ : و قال الكشى : قال نصربن صباح : قالوا : كان واقفيا ، و قال النجاشى: مولى تيم الله كوفى الاصل روى عن على بن ابى حمزة و غيره من اصحاب الصادق عليه السلام ، كوفى سكن بغداد روى عن موسى بن جعفر عليه السلام، و فى الفهرست: روى عنه الحسين بن سعيد و ابو عبدالله البرقى.

«عن الحسين بن ابى العلاء قال، قلت لابى عبدالله عليه السلام: الاوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم! هم الذين قال الله عزوجل: اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩)، وهم الذين قال الله عزوجل: انما وليكم الله و رسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون (المائدة ـ ٥٥)».

الشرح

استدل عليه‌السلام على كون الاوصياء طاعتهم مفترضة بهاتين الايتين: اما الاية الاولى: فظاهر ان‌المراد باولى‌الامر الذين امرالله الناس بطاعتهم بعدالله و رسوله ليس امراء الزور وائمة‌الجور لقوله‌تعالى: لاينال عهدى‌الظالمين (البقرة ـ ١٢٤)، فثبت ان المراد منهم الاوصياء و ائمة‌الدين و ان طاعتهم واجبة.

واما الايـة الثانيه: فقد نزلت فى اميرالمؤمنين عليه‌السلام‌بالاتفاق حين تصدق بخاتمه‌فى‌صلوته كما روى‌الجم‌الغفير بروايات كثيرة وطرق‌شتى‌مما نقله‌يوجب‌التطويل.

روى ابوالمؤيد الخوارزمى فى مناقبه عن ابى صالح عن ابن عباس قال: اقبل عبدالله بن سلام ومعه نفرمن قـومه ممن قد امنوا بالنبى صلى‌الله عليه واله فقالـوا: يا رسول‌الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولامتحدث دون هذاالمجلس من ان قومنا لما رأونا امنا بالله و رسوله وصدقناه رفضونا و صـدوا عنا وآلـوا على انفسهم الا يجالسونا ولايناكحونا ولايواكلونا ولايكلمونا فشق‌ذلك علينا، فقال لهم‌النبى صلى‌الله عليه واله: انما وليكم الله و رسوله والذين امنوا... الاية.

ثم ان النبى صلى‌الله عليه واله خرج الى المسجد والناس بين قائم و راكع و بصر بسائل فقال له النبى صلى‌الله عليه واله: هل اعطاك احد شيئاً؟ قال: نعم خاتما من ذهب، فقال له النبى صلى‌الله عليه واله: من‌اعطاك[١]؟ قال: ذلك القائم و اومىء بيده الى اميرالمؤمنين عليه‌السلام، فقال صلى‌الله عليه واله: علـى اى حال اعطاك؟ قال: اعطانى وهو راكع، فكبر النبى صلى‌الله عليه واله ثم قرأ: ومن يتول‌الله ورسوله والذين امنوا فان حزب‌الله هم‌الغالبون (المائدة ـ ٥٦)، وانشأ حسان بن ثابت يقول:

ابا حسن تفديك نفسى و مهجتى ... وكل بطىء فى‌الهدى و مسارع

ايذهب مدحى و المحبر[٢] ضائع ... وماالمدح فى‌جنب الاله‌بضائع[٣]

١ـ اعطاكه «كشف الغمة».

٢ـ و فى كشف الغمة: المحبر، حبر الشعر: حسنه و زينه.

٣ـ وفى ديوانه هكذا : ←

وانت الذی اعطیت اذ کنت راکعاً فدتك نفوس القوم یاخیر راکع
فانزل فیك الله خیر ولایة و بینها فی محکمات الشرائع

فالایة نص فی انه کلما ثبت لله و رسوله من الولایة فهو ثابت لعلی علیه السلام بنص القران یؤیده من الخبر، وقول النبی صلی الله علیه واله یوم الدار و قد جمع بین بنی عبدالمطلب خاصة: من یوازرنی علی هذا الامر یکن اخی و وصیی و وزیری و وارثی وخلیفتی فیکم من بعدی، فقام امیرالمؤمنین علیه السلام وقال: کنت اصغرهم سناً وارمصهم عیناً واحمشهم ساقا واکبرهم بطنا، قلت: انا یا رسول[1] الله.

وقد اورد ابن جریر الطبری و ابن الاثیر هذا الحدیث فی تاریخهما بالفاظ تقارب هذه و هذا صریح فی استخلافه.

وقوله فی غدیرخم، وهوحدیث مجمع علی صحته اورده نقلة الحدیث واصحاب الصحاح الست: الست اولی بالمؤمنین من انفسهم؟ فقالوا: بلی یا رسول الله، فقال: من کنت مولاه فعلی مولاه... الحدیث بتمامه، فاوجب له من الولایة ماکان واجباً له صلی الله علیه واله، وهذا نص ظاهر جلی لولاالهوی.

و قوله حین توجه الی تبوك: انت منی بمنزلة هرون من موسی الا انه لانبی بعدی، فهذا ایضاً من الصحاح قد اورده الجماعة و نقله فی مسنده احمد بن حنبل من عدة الطرق، فثبت لامیرالمؤمنین علیه السلام وزارته صلی الله علیه واله والقیام بکل ماکان هرون یقوم به الانبوة التشریع کما اخبرالله عنه بقوله: واجعل لی وزیراً من اهلی هرون اخی اشدد به ازری واشرکه فی امری (طه ـ ۲۹-۳۲)، و قال فی استخلافه: و اخلفنی فی قومی واصلح ولاتتبع سبیل المفسدین (الاعراف ـ ۱۴۲)، فثبت له خلافته

← ایذهب مدحی والمحبین ضائعاً؟ وماالمدح فی ذات الاله بضائع

و بعدها:

بخاتمك المیمون یاخیر سید و یا خیر شار ثم یا خیر بائع

۱ـ و فی الکامل فی التاریخ: لاحدثهم سناً وارمصهم (رمصت عینه من باب تعب، و الرمص: صغرها و لزوقها) و اعظمهم بطناً و احمشهم ساقاً (ای: ادق ساقاً) انا یا نبی الله.

بمحكم التنزيل فجعل له النبى صلى‌الله عليه واله كلما لهرون عليه‌السلام عدا النبوة وجعل له استخلافه و شد ازره و شركته فى‌امره و قيامه بنصره، وامثال هذاكثير يورد فى‌مواضع هذاالكتاب اذا حان حينها ان شاء الله.

فاذن قد ثبت بهذا النصوص من القران والحديث وجوب طاعة الوصى كطاعة النبى صلى‌الله عليه واله وكذلك الامر فى‌سائرالاوصياء والائمة الطاهرين، وقد تكاثرت وتظافرت الاخبار و الروايات الناصة على ان الجميع من نور واحد وطينة واحدة كما سيجىء فى‌هذاالكتاب، فاذن لافرق بين احد منهم فى‌الولاية و وجوب الطاعة.

و دل عليه ايضاً الحديث المتفق على روايته بين اصحاب الروايات من طرقهم الصحاح من قول النبى : لايزال اهل الاسلام بخير ماوليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش، اومايقارب هذااللفظ، وقدمرذكره بالفاظ مختلفة وبيان دلالتها على‌هذا المطلب فى‌الباب الخامس من هذا الكتاب ، فليتذكر، على ان دلائل هذا المطلب اكثرمن ان يحصى لولم تكن القلوب مغشاة باغشية الدنيا مأسورة بقيود التعلقات فى طاعة النفس و الهوى.

الحديث السابع عشر

و هوالثالث والتسعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، عن حماد عن عبدالاعلى قال: سمت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: السمع والطاعة ابواب الخير، السامع المطيع لاحجة عليه والسامع العاصى لاحجة له وامام المسلمين تمت حجته و احتجاجه يوم يلقى‌الله عزوجل، ثم قال: يقول‌الله تبارك وتعالى: يوم ندعو كل اناس بامامهم (الاسراء ـ ٧١)».

الشرح

اعلم ان جميع ابواب الخير والسعادة و مدارك نورالعلم والهداية منحصر فى

بابين[1] احدهما باب القلب[2] اعنی القلب المؤيد بقوة الحجة والبرهان المنور بنور العرفان، والثانی باب السمع الموفق بقوة القبول والتسليم والطاعة للمعلم الاخذ بقلبه من الحق فی الباطن الملقی بلسانه الی سمع المتعلم فی الظاهر، فالاول للائمة الهادين الكاملين فی الحكمة الراسخين فی العلم والثانی للتابعين لهم المتعلمين منهم المقتبسين من نورهم المهتدين بهداهم.

والی القسم الاول اشار تعالی بقوله: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم علی قومه[3]، نرفع درجات من نشاء و فوق كل ذی علم عليم (يوسف ـ ٧٦)، اشعار بالتفاوت بين من له علم وبين من هو عليم بنفس ذاته لاشیء فی ذاته غير العلم، اذ كله علم و نور كالبارىء جل ذكره و ضرب[4] من الملائكة المقربين كما حقق فی مقامه.

فالامام عليم والسامع المطيع ذو علم ولابد من انتهاء ذوی العلوم الی عليم كذلك والا لزم التسلسل، لان كل متعلم يحتاج الی معلم فذلك المعلم ان كان علمه زائداً علی ذاته فيحتاج الی معلم اخر، اذ الشیء لايخرج من القوة الی الفعل و من النقص الی الكمال بنفسه بل بامر اخر، فلو لم ينته الی ماذكرناه لزم التسلسل وهو محال.

والی القسم الثانی بقوله: والی القسمين، ايضاً وقعت الاشارة بقوله تعالی: و لو كنا نسمع او نعقل ماكنا فی اصحاب السعير (الملك ـ ١٠)، دلت الاية بمفهومها علی ان من ليس بعالم ولامتعلم فهو فی اصحاب النار.

فانقسم الناس الی ثلاثة اقسام: العالم وهم الائمة والمتعلم وهم الشيعة والاتباع، و الباقی وهم الهمج الرعاع كمامر فی الباب الثالث من ابواب كتاب العلم من قول الصادق

١ـ هذا الشرح و امثاله من الشارح قدس سره مما يدل علی جلالة كماله قدراً و صيرورة هلاله بدراً «نوری».

٢ـ هذا علی مايومیء اليه قوله سبحانه: ان فی ذلك لذكری لمن كان له قلب او القی السمع وهو شهيد، فتبصر «نوری».

٣ـ الانعام ـ ٨٣: برهانه هو كون ما بالعرض مستنداً بما بالذات دائماً، فتبصر «نوری».

٤ـ حزب ـ م.

عليه‌السلام الناس على ثلاثة اصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء.

وهكذا كان الامر فى كل زمان سابق او لاحق، وذلك ان العلماء الربانيين سواء كانوا انبياء او اولياء كلهم على دين واحد و مذهب واحد فى حكم واحد، بل كلهم كشخص واحد كلى عقلى وكذا المؤمنون التابعون لهم اينما كانوا و متى كانوا كنفس واحدة، و شيعة كل امام شيعة امام اخر و شيعة جميع الانبياء والاولياء عليهم السلام، و بعبارة اخرى للتقسيم: الناس اما سابق بالخيرات او مقتصد او ظالم لنفسه. وبوجه اخر: اما مقربون او اصحاب اليمين او اصحاب الشمال.

اذا تقررت عندك هذه المقدمات وانتقشت فى صحيفة ذهنك فانظر الى كلامه عليه‌السلام كيف راعى تفاوت الدرجات فى الاقسام واعطى لكل قسم حقه، فاثبت الحجة التامة[1] لامام المسلمين، وانما وصف حجته بالتمام اشعاراً بانها ليست على سبيل التبعية والعرض كما للتابع، بل اوتيت الحجة له من عندالله بلاواسطة الخلق كما اوتى لابيه ابراهيم عليه‌السلام لقوله تعالى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم، وذكر ان السامع المطيع لاحجة عليه، اى لاحجة على مؤاخذته ولاباعث يوجب عقابه لانه فعل مايجب عليه من السمع والطاعة فلاوجه لتعذيبه، وكل من لايستحق العذاب وهومن اتباع المطيعين لامام المسلمين المحبين له، فهو لامحالة محشور معه مثاب بثوابه سعيد بسعادته، الاان المثوبات والسعادات للامام بالذات وللمطيع بالعرض.

وللامام حقيقية روحانية و للتابع مثالية بدنية، وانما لم يثبت عليه‌السلام للسامع المطيع حجة له بل اقتصر على انه لاحجة عليه، تنبيهاً على ان لاحجة له بالاستقلال و انما الحجة لامامه بالذات وله مجرد السمع والطاعة، ولم ينف الحجة له عنه صريحا كما نفى للسامع الغير المطيع، لاحتمال ان يبلغ بعض المطيعين لقوة استعداده واخلاصه

١ــ هذه الحجة التامة هو حصول العقل الكلى البسيط المحيط بالكل المفيض على الكل لقلب الامام عليه‌السلام، ولكن فيه تفصيلا ماحيث يكون مع الحضرات الختمية جهراً و مع سائر الانبياء و الاولياء سراً و بينهما فرقان عظيم «نورى».

فى التابعيه و حسن تعلمه وسماعه الى مقام اتاه الله الحجة و البرهان من قبله بلاواسطة فيكـون ذاحجة بالاستقلال[1] بعد ان كانت حجته امامه و كانت بالعرض.

و قال فى حق السامع العاصى لاحجة له اى لاحجة له فى خلاصه عن العقاب و نيله الثواب لا بالاستقلال، اذ فائدة السمع العمل والطاعة بمقتضاه فاذ لاطاعة فلافائدة، ثم لم يثبت عليه الحجة صريحاً لاحتمال العفوو الرحمة فى حقه لسلامة قلبه عن الجحود والانكار و سماعه العلم والايمان على سبيل التسليم والرضاء.

وهيهنا قسم اخر مندرج تحت القسم الاخير من الثلاثـة المذكورة اولا، اعنى العالم والمتعلم والغثاء، ولانه قسم القسم لايقدح فى تثليث القسمة، وهوالذى اردف مع عدم السمع الانكار، وهذا مماعليه الحجة قطعا، ولاشك فى انه مستحق للعذاب مستوجب للخلود فى النار لاقتضاء ذاته و داعية نفسه و هواه للهوى الـى الجحيم و الهبوط الى اسفل درك السافلين، و انما لم يتعرض لذكره لظهوره.

و اما الاية التى حكاها عليه السلام من قوله تبارك و تعالى: يوم ندعو كل اناس بامامهم، فالغرض من ايرادها التنبيه الى ان جمهور الناس و عامتهم فى الدعـوة الى الجنة والنعيم او النار و الحميم تابعـون لائمتهم، فمن كان امامـه على الحق والعدل كان معه فى الجنة ومن كان امامه على الباطل والجور كان معه فى النار، ليظهر ان جميع ابـواب الخير فى السمع والطاعة لامام المسلمين وجميع ابـواب الشر فى السمع و الطاعة لامام الظالمين، كل منهما له ماله من النعيم او عليه ماعليه من الجحيم على سبيل التبعية ولاماميهما على الاستقلال، لان احدهما يسمع ويطيع لله بالهامه بلاواسطة سمعاً عقليا والله وليه، والاخر يسمع ويطيع للشيطان بوسوسته سمعا وهميا والشيطان وليه، و: الله ولى الذين امنوا يخرجهم (البقرة ـ ٢٥٧)...، الاية.

١ـ تأمل فيه واحسن التأمل، فانه من مزال الاقدام «نورى».

باب فى ان الائمة شهداء الله عز وجل على خلقه

وهو الباب التاسع من كتاب الحجة و فيه خمسة احاديث

و مما يجب عليك ان تعرف قبل الخوض فى هذه الاحاديث معنى الشهيد المذكور فى مواضع من القران.

فاعلم ان الشهيد مأخوذ من الشهود و المشاهدة و هو حضور[1] صورة الشيء عند الشيء، فالشاهد لشيء من حضر عنده صورة ذلك الشيء، والشهيد هو القوة التى بها يقع الشهود و الحضور سواء كانت مفارقة او جسمانية، فان كثيراً من الاشياء ليس من شأنها فى ذاتها ان يحضر عندها صورة شيء الا بقوة اخرى، و كذلك ايضاً كثير من الاشياء مما ليس من شأنه ان يحضر عند شيء اخر الا بصورة اخرى هى مثال مطابق، وجميع ما فى هذا العالم الظلمانى من ذوات الاوضاع هكذا فليس لشيء منها حضور عند اخر ولا ايضاً عنده حضور لاخر، فلا الارض موجودة للسماء ولا السماء موجودة للارض ولا الماء للهواء ولا الهواء للماء ولا جسم ذو وضع لجسم اخر كذلك.

ولذلك يكون الدنيا دار الجهل والموت والشيء بقدر تعلقه بهذا العالم يكون ذا ظلمة و جهالة و غفلة و بعد عن عالم النور و العلم والحيوة وهو عالم الاخرة و دار الحيوان، و بقدر رشاشته[2] من نور عالم الملكوت يكون شعوره و حضوره، واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله : ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره... الحديث.

و اول درجة من درجات النور والشهود القوة الحاسة ثم القوة الخيالية ثم القوة العقلية، فالحس يجرد الصورة المدركة من نفس المادة لامن اثارها وغواشيها،

١ــ بحضور ــ م ــ ط.

٢ــ رشاشه ــ م.

فالخيال يجردها تجريداً اقوى حيث يحضرها ويدركها مع غيبة المادة واحوالها لكن لايجردها عن التعين المقدارى، والعقل يجردها تجريداً بالغاً، فيعمل بالمحسوس عملا يجعلها معقولا كليا مفارقا بالكلية عن هذا العالم عالم الظلمة والتفرقة، و قوله تعالى: و جائت كل نفس معها سائق و شهيد (ق ـ ٢١)، اراد بالسائق القوة العملية و المحركة و بالشهيد القوة العلمية والمدركة.

ومامن نفس الا ولها هاتان القوتان لكن على مراتب متفاوتة فى الكمال والنقص والشرف و الخسة والعلو والدنائة، و ادناهما ماللحيوانات الناقصة فى الغاية كالاصداف والحلزونات، فلها من الحس اللمس فقط و من الحركة الانقباض و الانبساط من غير مفارقة مكانه، فهذان حظها من السائق والشهيد، واعلاهما ما للكاملين فى العلم والعمل، وشهيدهم و سائقهم ملكان كريمان مقربان عقليان احدهما يهديه والاخر يسدده و يسوقه الى الجنة والرضوان، و بازاء هذين الملكين لاهل الهداية والكمال الشهوة و الهوى لاهل الغواية والضلال، فالهوى يضله و يغويه والشهوة يسوقه ويرديه الى اسفل دركة الجحيم ومبداهما الشيطان الرجيم[1].

اذا علمت معنى الشهيد فاعلم: انه قد يكون داخلا فى ذات الشىء مقوماً له و بالجملة غير مباين لذاته فى الوجود كالامور التى ذكرناها، وقد يكون مباينا عن ذات الشىء وهو كالانبياء عليهم السلام بالقياس الى اممهم و كالائمة عليهم السلام بالنسبة الى اتباعهم، فكل نبى شهيد على امته و كل امام قوم شهيد على قومه، وانما اوتى الشهيد

١ـ بنائه على ماحققه المحققون المحقون من ان كلا من النورين: النور العلمى والنور العملى يتقوى و يستكمل شيئا فشيئا بحيث يصير نوراً بسيطاً محيطاً بجملة الانوار التفصيلية، فالانوار التفصيلية يكون موجودة بضرب اشرف اجمالا و فائضة صادرة عنه تفصيلا، ولكل منهما مرتبة هيولانية، وبعدها مرتبة ملكة استعدادية وبعدها مرتبة يسمى بالعقل بالفعل الذى يكون بسيطاً محيطاً مصدراً للصور التفصيلية التى يستفاد من ذلك البسيط المحيط الاجمالى، و هذا البسيط المحيط له درجات متفاوتة حسب تفاوت الاشخاص و استعداداتهم فطرة و كسباً، و غاية العملية انما هى غاية العلمية فتصيران فى المآل واحدة «نورى».

فی‌هذا القسم موصولا بـ«علی» دون اللام لما فیه من معنی العلو ولشهادتهم علی قومهم یوم القیامة ایضاً کمایشهدون لهم ایضا لکن الاول اکثر، لان المهتدین الصالحین اقل من المذنبین.

و وجـه اطلاق الشهید علی الانبیاء والائمة علیهم‌السلام مضافاً الی الناس: ان کلامنهم بمنزلة القوة الادراکیة لاتباعه، اذ لاعلم ولاشهادة للتابع بما هو تابع الا علم الامام و شهادته.

فکل نبی وامام شهید علی قومه و محمد صلی‌الله علیه واله لکونه امام الائمة و مرکز دائرة النبوة شهید علی الانبیاء والائمة اجمعین سلفا و خلفا، لان الکل یقتدون به ویحذون حذوه ویصلون خلفه فی‌مقاماتهم و معارجهم وانهم علیه و علیهم‌السلام تحت لوائه کمادل علیه قوله تعالی: فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید وجئنابك علی هـؤلاء شهیدا (النساء ـ ۴۱)، والله سبحانه علی کل‌شیء شهید، اذ لاعلم لاحدبشیء من الاشیاء الا به تعالی وبما اعطاه و افاضه من العلم والشهادة کما قالت الملائکة: سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العلیم الحکیم (البقرة ـ ۳۲).

هذا ما قصدنا ایراده فلنرجع الی مانحن بصدده ان شاء الله تعالی الحکیم.

الحدیث الاول

وهوالرابع والتسعون و اربع مائة

«علی بن محمد عن سهل بن زیاد، عن یعقوب بن یزید، عن زیاد بن مـروان القندی[1]»، بالقاف والنون والدال المهملة یکنی ابا الفضل، وقیل: ابوعبدالله الانباری مولی بنی هاشم روی عن ابی عبدالله علیه‌السلام و ابی‌الحسن علیه‌السلام و وقف فی الرضا علیه‌السلام، وقال الکشی عن حمدویـه: قال: حدثنا الحسن بن‌موسی قال: زیاد هو احد ارکان الوقف، وبالجملة هوعندی مردود «صه».

۱ـ عن زیاد القندی (الکافی).

وفي الكشي ايضاً قال حمدويه: هو ابن مروان القندى بغدادى، وبسند غير نقى انه سمع النص عن ابى الحسن عليه السلام على الرضا عليه السلام و اظهره ثم خالفه، فلما قيل له اى شيء يعدل بهذا الامر ويحج عليه بالكلام مراراً؟ قال: ويحك فيبطل هذه الاحاديث التى رويناها، وبسند كذلك عن يونس بن عبدالرحمن قال: مات ابو الحسن عليه السلام و ليس من قوامه احد الا وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقفهم و جحدهم موته، وكان عند زياد القندى سبعون الف دينار و عند على بن ابى حمزة ثلاثون الف دينار، فلما رأيت ذلك و تبين على الحق وعرفت من امر ابى الحسن الرضا عليه السلام ماعلمت تكلمت و دعوت الناس اليه، فبعثا الى وقالا ان كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لى عشرة الاف دينار، فقلت: انا روينا عن الصادق عليه السلام: اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه، فان لم يفعل سلب نور الايمان، و ماكنت ادع الجهاد و امر الله على كل حال، فناصبانى واظهرا لى العداوة.

«عن سماعة قال ابو عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (النساء ـ ٤١)، قال: نزلت فى امة محمد صلى الله عليه واله خاصة فى كل قرن منهم امام مناشاهد عليهم ومحمد صلى الله عليه واله شاهد علينا».

الشرح

الضمير فى منهم راجع الى امة و فى عليهم راجع الى قرن، و اطلاق القرن والقرية على اهلها شائع كثير فى القران. معنى هذا الحديث يؤيد ماسبق ذكره من ان الائمة فى كل زمان وقرن كانوا هم من امة محمد صلى الله عليه واله، فالمراد بقوله: نزلت فى امة محمد صلى الله عليه واله خاصة، ان الشاهد على كل امة من الانبياء و الرسل والشهداء هم منا ومن حزبنا اهل بيت النبوة واليقين والشهود والعلم، وهم و نحن جميعاً من امة محمد صلى الله عليه واله بالحقيقة وسائر الناس من الاتباع هم امة محمد صلى الله عليه واله، ونحن و هم شاهدون على الامم والاتباع و محمد صلى الله عليه واله شاهد علينا، وهو معنى الاية.

وليس لك يا حبيبى ان تحمل كلامه على ان الاية حكمها مختص بامة محمد صلى الله عليه واله خاصة[1] دون سائر الانبياء عليهم السلام وامهم، ويختص ايضاً قوله فى كل قرن بالقرون التى بعد قرن النبى صلى الله عليه واله لما فى ذلك من الدلالة على قصور نظرك وجمود قريحتك عن الاطلاع على علو شأن نبيك وشموخ درجته وذروة امره، ولانه لاشبهة فى ان كل نبى شاهد على امته كما ان كل امام بعد نبينا صلى الله عليه واله شاهد على قومه، فلاوجه لتخصيص قوله تعالى: اذا جئنا من كل امة بشهيد، بهؤلاء الائمة دون اولئك الانبياء صلوات الله على النبى واله وعليهم اجمعين، وكذلك لاوجه للعدول عن ظاهر العموم فى قوله عليه السلام: فى كل قرن منهم امام.

ثم انا قد اوضحنا معنى الشهيد انفا[2] بحيث لو تأملت فيه لم يبق لك ريبة فى صحة ما ادعيناه من تأويل الاية ومعنى الحديث.

الحديث الثانى
و هو الخامس والتسعون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن احمد بن عائذ، عن عمر بن اذينة، عن بريد العجلى قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (البقرة ـ ١٤٣)، قال: نحن الامة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه و حججه فى ارضه، قلت: قول الله عزوجل: ملة ابيكم ابراهيم (الحج ـ ٢٢)، قال: ايانا عنى خاصة، هو سماكم المسلمين من قبل، فى الكتب التى مضت، وفى هذا، القران، ليكون الرسول عليكم شهيدا، فرسول الله صلى الله عليه واله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عزوجل ونحن الشهداء على

١ـ ومما اظهر فى شرح هذا الحديث يظهر و ينكشف ان مراده مما سبق منه قدس سره حيث قال قبيل ذلك: فيكون ذا حجة بالاستقلال بعد ان كانت حجته امامه وكانت بالعرض، ليس ما يترا ءى من ظاهره، فتلطف «نورى».

٢ـ حيث قال: و وجه اطلاق الشهيد على الانبياء... الى اخره، فتفطن «نورى».

الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة ومن كذب يوم القيامة كذبناه».

الشرح

المراد بمعنى الامة الوسط هم الذين ارائهم العلمية متوسطة بين الغلو والتقصير كالتعطيل والتشبيه في ذات الله و صفاته وكالجبر والتفويض في حق عباده، واخلاقهم العلمية متوسطة بين الافراط و التفريط كالجربزة والبلاهة والتهور و الجبن والفجور والخمول فيكونون حكماء ابرار، اوالوسط في الاصل اسم للمكان الذى يستوى اليه الساحة[1] من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين افراط وتفريط، ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى توصف بها من المصادر وغيرها.

و السائل عن معنى الاية كأنه سأل عن معنى الامة الوسط و كونهم شهداء على الناس واجاب عليه السلام بماهو مصداق المعنى والمطابق للفحوى[2]، فان اكثر الناس لايسهل لهم ادراك الحقائق الا بالامثلة المحسوسة فقال: نحن الامة الوسطى ونحن شهداء على خلقه وحججه في ارضه.

وقد علمت في صدر الباب معنى الشاهد والشهيد وانه قسمان: متصل و منفصل، وان المنفصل هو المعلم والهادى، فالمعلم ذاته بمنزلة الشاهد والحجة والبرهان للمتعلم التابع، وقوله قلت: قول الله عزوجل: ملة ابيكم ابراهيم، يحتمل ان يكون سؤاله عن معنى هذه الاية بتمامها ففسرها عليه السلام جزء فجزئاً، وان يكون عن الضمير في ابيكم فالاول اظهر.

فقوله عليه السلام: ايانا عنى خاصة، اى ابوته مضافة الينا فقط، اذ نحن اولاده بالولادة المعنوية دون غيرنا سواء كانوا من اولاده الصورية كسائر قريش اولا كسائر الناس،

١ـ المسافة ـ م.

٢ـ اى: اجاب بالمصداق و قال: نحن الامة الوسطى، ولم يبين معنى الوسط.

والضمير[١] المرفوع فی قوله: عنی، راجع الیه تعالی، ای ایانا عنی الله بالخطاب فی قوله[٢]: هو سماکم المسلمین من قبل، و هو اشارة الی المذکور فی قوله تعالی: ملة ابیکم، و کذا من قوله تعالی حکایة عن دعاء ابراهیم و اسمعیل علیهما السلام: ربنا و اجعلنا مسلمین لك ومن ذریتنا امة مسلمة لك (البقرة ١٢٨).

وقوله علیه السلام: فی الکتب التی مضت، متعلق بقوله تعالی: من قبل، ولایلزم ان یکون تفسیراً له لبعده بل هو صفة اخری، ای سماکم المسلمین فی سابق الزمان فی الکتب السابقة و هی صحف ابراهیم، و انما احتیج الی هذا التقدیر لیحسن عطفه فی هذا القران علیه، و قوله تعالی: لتکونوا شهداء علی الناس ویکون الرسول شهیداً علیکم، علة للجعل المذکور فی جعلناکم امة وسطا، کأنه قال: جعلناکم علماء حکماء عدولا مزکین بالعلم و العمل لتکونوا معلمین للناس شاهدین و یکون الرسول معلما لکم شهیدا.

وفی تعلیل کون الرسول شهیداً علیهم بصیرورتهم امة وسطاً تنبیه علی ان کون الرجل بحیث یقتبس نور العلم من مشکوة الخاتم صلی الله علیه واله مرتبة عظیمة لایحصل الابعد تزکیة نفسه بالعلم والعمل وصیرورته من اهل الکمال وذلك بوجهین: لان الذی اوتی مالم یؤت احداً من العالمین من الطور الذی هوفوق طور عقول البشر، ولان لسان النبوة والقران اتی بالاجمال فیندمج فیه باطن التأویل فی ظاهر التفسیر و ینتهی لب المعارف فی قشر الالفاظ بحیث لایعلم نور تأویله الا بنور الولایة.

ولاجل ذلك لم یکن لاحد من الصحابة رضی الله عنهم مع طول صحبتهم و مشاهدتهم اثار الوحی علم بالقران کله ظاهره و باطنه و تفسیره و تأویله ومحکمه و متشابهة الا لامیر المؤمنین علیه السلام، ولهذا قال النبی صلی الله علیه واله فی حقه: مولی کل مؤمن ومؤمنة، وقال: انت منی بمنزلة هرون من موسی، وقال: انت منی وانا منك و انا سالم لمن سالمك وحرب لمن حاربك، و قال: انت امام کل مؤمن و مؤمنة بعدی،

١ــ والمضمر ــ م.

٢ــ بالخطاب فی قوله ملة ابیکم وکذا فی قوله ــ م.

وقال: انت تبين لهم ما اشتبه عليهم، وقال: تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، الى غيرذلك من الاخبار الواردة عنه صلى الله عليه واله في حقه رواها العامة و الخاصة بالفاظ مختلفة وطرق كثيرة، وكذلك حكم باقي الائمة عليهم السلام في اختصاصهم بفهم عجائب بطون القران وغرائب تأويله، ومايعلم تأويله الاالله والراسخون في العلم (ال-عمران - ٧)، قالوا: نحن الراسخون في العلم.

روى: ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهواعلم بهم اقامة للحجة على المنكر، فنؤتى بامة محمد صلى الله عليه واله فيشهدون فتقول الامم: من اين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك باخبار الله ذلك في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه واله فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم، و رواه الزمخشري وغيره و قال: هذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول صلى الله عليه واله كالرقيب الميهمن على امته عدى بـ«على»، وقد اشرنا الى مثل ذلك الوجه من احد الوجهين الذين ذكرناهما في تعدية الشهادة بـ«على»، ثم انه قدمت الصلة هيهنا للدلالة على اختصاصهم بشهادة الرسول.

واعلم ان قوله عليه السلام: فرسول الله شهيد علينا بما بلغنا عن الله عزوجل، مؤكداً لماذكرنا في معنى الشهيد من ان المراد به، هيهنا المعلم، لانه بمنزلة قوة العلم والشهود للمتعلم بـه لقوله: بما بلغنا عن الله، اى بما علمنا وهدانا عن الله من المعارف الالهية والعلوم الربانية المنطوية في القران، وانما قال: شهيد علينا ولم يقل لنامع ان المقام يقتضيه لان مثل هذة الشهادة من الله بالقياس الى مثلهم لايكون الالهم لاعليهم، للنكتة المذكورة ولموافقة الكتاب.

واما قوله ونحن الشهداء على الناس فالاحرى ان يكون هذه الشهادة ايضاً على وفق شهادة الله لهم[1]، وحاصله انا اخذون علومنا من الله عزوجل ومعطون للناس، فنحن نكون مهتدين بهدى الله مستنيرين بنوره و سائر الامة المسلمة يكونون مهتدون بهدايتنا

١ - قوله: شهادة الله لهم، وقوله: يهدى الله، ينظر الى ماهو مقتضى الولاية من اخذ العلم بلاواسطة اويكون اشارة الى عظم منزلة الرسول صلى الله عليه واله. فافهم «نورى».

مستنيرين بانوار معرفتنا.

وقوله: من صدق صدقناه يوم القيامة، اى من صدق ولايتنا وعرف حقنا فى الدنيا صدقناه فى الايمان وشهدنا عليه فى الاخرة، وقوله: من كذب يوم القيامة كذبناه، يعنى ان من كذبنا وانكر حقنا كذبناه وانكرناه يوم القيامة. ونظير هذا ما مر فى حديث الاعراف من قوله عليه السلام: فلا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار الا من انكرنا وانكرناه، ولعل وجه تقديم الظرف هيهنا للاشعار بتخصيص وقوع تكذيبهم للمكذب لهم بيوم القيامة لاغير بخلاف تصديقهم للمصدق لهم، فربما وقع فى الدنيا كما يقع فى الاخرة.

الحديث الثالث

و هو السادس والتسعون و اربع مائة

«و بهذا الاسناد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على، عن احمد بن عمر الحلال قال: سألت ابا الحسن عن قول الله عزوجل: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (هود ـ ١٧)، فقال: امير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله على بينة من ربه».

الشرح

كون الانسان على بينة من الله هو ان يعرف الحقائق بنور البرهان الوارد على قلبه من قبل الله بلا واسطة امر اخر من سماع او نقل او احساس او تجربة او غيرها، فبذلك النور يكون على بصيرة وعلى هدى من ربه، و قد علمت معنى الشاهد فى مثل هذه الموارد من انه بمعنى العالم بالشىء المطلع عليه كما فى قوله تعالى: شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة و اولوا العلم (ال عمران ـ ١٨)، فاولوا العلم شهداء الله فى ارضه، ومعناه قريب من معنى الذى على بينة من ربه، فذكر عليه السلام ان المراد بقوله تعالى: افمن كان على بينة من ربه، وبقوله: ويتلوه شاهد، هو امير المؤمنين عليه السلام.

روى فى كتاب كشف الغمة مرفوعا عن عباد بن عبد الله الاسدى قال: سمعت عليا عليه السلام يقول وهو على المنبر: مامن رجل قريش الا وقد نزلت فيه اية او ايتان،

فقال رجل ممن يحبه[١]: فما نزل فيك؟ فغضب ثم قال: اما انك لو لم تسألنى على رؤس القوم ماحدثتك، ويحك هل تقرأ سورة هود؟ ثم قرأ على عليه السلام: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، رسول الله صلى الله عليه واله على بينة وانا الشاهد منه.

واعلم ان الهمزة فى أفمن استفهامى بمعنى الانكار، لان يقارب من هذا شأنه هؤلاء القاصرى الهمم والانكار[٢] على الدنيا و اغراضها، و قد اغنى عن ذكر الخبر للقرينة، وتقديره: افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا؟

الحديث الرابع

و هو السابع والتسعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن محمد بن ابى عمير، عن ابن اذينة عن بريد العجلى قال، قلت لابى جعفر عليه السلام قول الله تبارك وتعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، قال: نحن الامة[٣] الوسطى ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه فى ارضه. قلت قوله تعالى: يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتبيكم (الحج - ٧٧ و ٧٨)، قال: ايانا عنى ونحن المجتبون و لم يجعل الله تبارك وتعالى فى الدين من ضيق، فالحرج اشد من الضيق، ملة ابيكم ابراهيم، ايانا عنى خاصة و: سماكم المسلمين، الله عزوجل سمانا[٤]، من قبل، فى الكتب التى مضت، و فى هذا، القران: ليكون الرسول عليكم شهيدا، و تكونوا شهداء على الناس، فرسول الله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة فمن[٥] صدق

١- تحته «كشف الغمة»

٢- الافكار - م.

٣- الوسط «الكافى».

٤- الله سمانا (الكافى).

٥- على الناس فمن (الكافى).

يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه».

الشرح

قدمر فی شرح الحديث الثانی مايتعلق بتحقيق معنی الاية الاولی فلاوجه لاعادته، واما الاية الاخری وهی قوله تعالی: يا ايهاالذين امنوا اركعوا الی قوله: علی الناس، فنقول: عادة القران غالباً ان يقع فيه الخطاب بـ يا ايهاالناس لعامة الناس و بـ يا اهل الكتاب لاهل الكلام والمجادلة وحملة الكتب والاسفار من غير بصيرة فی الدين و بـ يا ايها الذين امنوا للكاملين فی الايمان كمافی هذه الاية، و قد ذكرنا مراراً ان للمؤمن الحقيقی مرتبة عظيمة عندالله و ان الايمان نور قلبی فائض من الله وانه مسمی باسامی مختلفة كالهدی والحكمة والبصيرة والولاية والفضل والنور وغيرذلك، ولاجل ذلك قال عليه السلام: ايانا عنی، ای بالخطاب الواقع فی هذه الاية.

والدليل علی حقية ماادعاه عليه السلام امور: احدها ماشار اليه بقوله عليه السلام: و نحن المجتبون ، لان الاجتباء تشريف عظيم لايعم عامة المسلمين بل مختص باهل القرب والولاية.

وثانيها ان هذه الاية متصلة بالاية السابقة من قوله تعالی: الله يصطفی من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم مابين ايديهم وماخلفهم والی الله ترجع الامور (الحج ـ ٧٥ و ٧٦)، دلت علی ان بعض الملائكة و بعض الناس هم المصطفون، ای صفوة الخلق لتجردهم عن الغواشی والاجرام وطهارتهم عن ارجاس الرذائل والاثام، و ذكر فيهم التقييد بقوله: رسلا، ولم يذكر هذا القيد فی الناس، فعلم ان المصطفين منهم ماكانوا رسلا، وهم اكابر الملائكة كجبرئيل وميكائيل واسرافيل، وان المصطفون من الناس يكون[1] رسلا وغيررسل كالاولياء و الاصياء.

وكما ان الاصطفاء تشريف عظيم فكذلك الاجتباء، و الموصوف باحدهما موصوف بالاخر، فقوله فی هذه الاية: هو اجتباكم، دال علی ان المراد بهم بعض المشار

١ـ يكونون ـ م.

اليهم فى الاية السابقة بقوله: ومن الناس.

وثالثها قوله تعالى: وتكونوا شهداء على الناس، وقد علمت ان هذه المنزلة ليست لسائر المؤمنين وانها مختصة باهل الكشف والشهود.

و رابعها قوله: وجاهدوا فى الله حق جهاده، والمراد به مجاهدة النفس على الوجه الاتم، والتكليف به لجميع الناس تكليف بما لايطاق فهو مختص باهل الله و اهل الاجتباء وميسر لماخلق له، واليه الاشارة بقوله تعالى: ماجعل عليكم فى الدين من حرج، اى وسعنالكم و شرحنا صدوركم و رفعنا ثقله عنكم كما فى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه واله: الم نشرح لك صدرك و وضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك (الانشراح ـ ١-٣)، وللغفلة عن ان المكلف بالمذكورات هم اهل الخصوص ذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة بقوله تعالى: فاتقوا الله مااستطعتم (التغابن ـ ١٦)، لان التكليف بها تكليف بمالايطاق.

واعلم انه تعالى لماتكلم فى الايات المتقدمة فى الالهيات ثم فى النبوات اتبعه بالكلام فى الشرائع والعمليات وهومن اربعة وجوه: احدها تعيين المأمور و ثانيها اقسام المأمور به و ثالثها ذكر مايوجب قبول تلك الاوامر و رابعها تأكيد ذلك[1].

اما النوع الاول و هو تعيين المأمور فهو قوله: يا ايها الذين امنوا، و فيه اقوال:

الاول ان المراد به كل المكلفين سواء كان مؤمنا اوكافرا، لان التكليف بهذه الاشياء عام فى كل المكلفين فلامعنى لتخصيص البعض[2] بذلك.

والثانى ان المراد منه المؤمنون خاصة دون الكفار، اما اولافلان اللفظ صريح فيه، واما ثانيا فلان قوله: هو اجتباكم وقوله: هوسماكم، بالمسلمين، و قوله: تكونوا شهداء على الناس، كل ذلك لايليق الا بالمؤمنين لايشمل غيرهم، غاية مافى الباب ان يقال: لماكان المأمور به واجباً على الكل فاى فائدة فى تخصيص المؤمنين به؟

١ـ ذلك التكليف «التفسير الكبير».

٢ـ المؤمنين «التفسير».

لكنا نقول: فائدة التخصيص انه لماجاء الخطاب العام مرة بعداخرى، ثم انه، ماقبله الا المؤمنون خصهم الله بهذا الخطاب ليكون ذلك كالتحريض لهم على المواظبة على ماقبلوه.

والثالث ان المراد به اهل الله خاصة وهم المؤمنون حقا ولهم حقيقة الايمان و علاماته الدالة عليه حديث حارثة الانصارى رضى الله عنه، وهذا قول اهل البيت عليهم السلام كمادل عليه هذا الحديث وغيره من الاخبار المنقولة عنهم وهو القول الصواب لمامر من الوجوه دون الاول وهو الظاهر و دون الثانى، لان الذى ذكروه فى اثباته من الوجهين لايدل عليه شيء منهما على وجه التعميم و كل منهما نعم الوجه على ابطال القول الاول دون اثبات القول الثانى.

اما الوجه الاول فلا نسلم ان اللفظ دال على ان المراد جميع المسلمين وعامة من تسمى بالمؤمنين فى الظاهر، بل التعليق بالوصف دال على العلية واعتبار الحيثية، فيكون المراد بالمكلف بالامور المذكورة المؤمن من حيث ايمانه، فيرجع الى ماندعيه كما لايخفى على اهل المعرفة[1].

واما الوجه الثانى فهو لنا لالهم كمايظهر بادنى تأمل.

واما النوع الثانى وهو المأمور به فقد ذكر سبحانه اموراً اربعة: الاول الصلوة لانها اشرف العبادات البدنية و انها معراج المؤمن و هو المراد بقوله: اركعوا و اسجدوا، لانهما اشرف الاركان الظاهرة فى الصلوة، فكأن ذكرهما جاريا مجرى ذكر الصلوة.

وعن ابن عباس: ان الناس كانوا فى اول اسلامهم يركعون ولايسجدون حتى نزلت هذه الاية، الثانى قوله واعبدوا ربكم و ذكروا فيه وجوها: احدها اعبدوه ولا تعبدوا غيره، و ثانيها اعبدوا ربكم فى سائر المأمورات والمنهيات، و ثالثها افعلوا الركوع والسجود و سائر الطاعات على وجه العبادة، اذ لايكفى صورة العمل مالم

١ــ لان المؤمن حقا هو المؤمن بالحقيقة وغيره مؤمن بضرب من التوسع و التبعية كما ينظر اليه قوله تعالى: النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم، فانه صلى الله عليه واله هو الاصل والحقيقة، فافهم ان شاء الله «نورى».

يقصد به العبادة.

وهيهنا وجه اخر اولى الوجوه، وهو ان المراد اعبدوا ربكم[1] الذى هو ربكم فى الحقيقة لا ما تصورتموه من الصور الوهمية و غيرها، فان اكثر الناس يعبدون غير الله مما تصوروه الها وليس باله، فالعارفون بالله خاصة هم الذين يعبدون ربهم الذى خلقهم، وغيرهم يعبدون الذى خلقوه وصوروه فى اوهامهم واليه الاشارة بقوله تعالى: افرأيت من اتخذ الهه هواه (الجاثية ـ ٢٣).

والثالث قوله: وافعلوا الخير، قال ابن عباس: يريد صلة الرحم ومكارم الاخلاق، وقيل: الوجه فى هذا الترتيب ان الصلوة نوع من انواع فعل الخير وهو ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن تعظيم امر الله و الى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف و الصدقة على الفقراء و حسن القول فى الناس.

وكأنه قال سبحانه: كلفتكم بالصلوة بل كلفتكم بما هو اعم منها و هو العبادة بل بما هو اعم من العبادات وهو فعل الخيرات لعلكم تفلحون، معناه لتفلحوا والفلاح الظفر بنعيم الاخرة وانما اوتى بلفظ الترجى اعتباراً له بالقياس الينا ، لان العواقب مستورة منا و المؤمن مادام فى الدنيا لايخلو عن الخوف و الرجاء ، وكل ميسر لما خلق له .

والرابع قوله: وجاهدوا فى الله حق جهاده، وهيهنا سؤالات:

الاول انه ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه؟ والجواب: ان الاضافة تكون بادنى مناسبة، ولما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت الاضافة اليه.

السؤال الثانى وهو انه ماهذا الجهاد فيه؟ و ذكروا فيه وجوها: احدها جاهدوا الكفار خاصة، و معنى حق جهاده ان لايفعل الاعبادة لارغبة فى الدنيا من حيث الاسم

١ـ اى بقصد التقرب والسلوك الى الله تعالى وطلب التخلق باخلاقه والتحقق بصفاته بحيث يؤدى الى كون العبد باقيا ببقائه لا ببقائه وهكذا «نورى».

او الغنيمة. و ثانيهما ان يجاهدوا اخرا كما جاهدوا اولا كما روى عن عمر انه قال لعبدالرحمن بن عوف: اما علمت اناكنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى اخر الزمان كما جاهدتم فى اوله؟ قال عبدالرحمن: ومتى ذلك يا امير المؤمنين؟ قال: اذا كانت بنوا امية الامراء وبنوالمغيرة الوزراء.

واعلم ان هذه الرواية بعيد ان يكون من القران والانقل كمانقل نظائره، و لعله ان صح ذلك عن الرسول صلى الله عليه واله قاله كالتفسير الاية ، و ثالثها روى عن ابن عباس انه قال: حق جهاده ان لاتخافوا فى الله لومة لائم، و رابعها عن الضحاك: علموا الله حق علمه[1]، وخامسها استفرغوا وسعكم فى احياء دين الله و اقامته بالحرب واليد واللسان وجميع مايمكن، و ردوا انفسكم عن الهون[2] والميل والكسل، وسادسها وهو الاولى قاله عبدالله بن مبارك: حق جهاده مجاهدة النفس والهوى، فانه لمارجع رسول الله صلى الله عليه واله من غزوة تبوك قال: رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر.

السؤال الثالث هل صح مانقل عن مقاتل و الكلبى ان هذه الاية منسوخة بقوله: فاتقوا الله ما استطعتم (التغابن ـ ١٦)، كما ان قوله: اتقوا الله حق تقاته (ال‌عمران ـ ١٠٢)، منسوخ بذلك؟ والجواب: كمامر بان هذابعيد من العقل، لان التكليف مشروط بالقدرة لقوله: لايكلف الله نفسا الا وسعها (البقرة ـ ٢٨٦)، فكيف يقول: و جاهدوا فى الله على وجه لايقدرون عليه؟

واما النوع الرابع وهو مايوجب قبول هذه التكاليف وهى ثلاثة امور:

الاول الاجتباء فى قوله: هواجتباكم، ومعناه ان التكاليف تشريف من الله[3]، فلما خصكم بهذا التكليف فقد خصكم باعظم التشريفات و اختاركم لخدمته والاشتغال بطاعته، فاى مرتبة اعلى من هذا ؟ اما قوله: ماجعل عليكم فى الدين من حرج، فهو

١ـ واعملوا الله حق عمله «التفسير»

٢ـ الهوى «التفسير».

٣ـ من الله للعبد «التفسير».

كالجواب عن سؤال يذكر و هو ان التكليف بهذه الامور وان كان تشريفاً لكنه شديد شاق على النفس، فاجاب الله بقوله: ماجعل عليكم فى الدين من حرج، بل سهل لمن وفقه وجعل عسره يسرا وصعبه ذلولا كما فى قوله تعالى: الم نشرح لك، الى قوله: ان مع العسر يسرا (الانشراح - ١-٥).

الموجب الثانى قوله: ملة ابيكم ابراهيم هوسماكم المسلمين، و ذكر لنصبها[١] وجهان: احدهما قول الفراء: انه مصدر[٢] لمضمون ماتقدم كأنه قيل: وسع دينكم وسعة[٣] ملة ابيكم ابراهيم ثم حذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه.

والثانى انيكون منصوباً على المدح والتعظيم اعنى بالدين ملة ابيكم ابراهيم، والمعنى ان دينكم هذا هوالتوحيدالخالص والعبودية المحضة هوملة ابيكم ابراهيم، فاقيموا ملة ابيكم ابراهيم، فنصبها بتقدير فعل مثل ماذكرناه[٤]، وقوله تعالى: هوسماكم المسلمين من قبل، اى من قبل نزول القران فى الكتب المتقدمة و فى هذا اى فى القران، والضمير المرفوع راجع الى الله تعالى وهوقوله عليه السلام: الله عزوجل سمانا المسلمين من قبل فى الكتب التى مضت وفى هذا القران، ويشهد على كون الضمير لله قرائة ابى بن كعب: الله سماكم المسلمين، وقيل: الى ابراهيم، وتسميتهم مسلمين فى القران وان لم يكن منه لكن كان تسميته من قبل فى قوله: ومن ذريتنا امة مسلمة لك (البقرة - ١٢٨)، والاول اولى و ارجح، وقيل: وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين.

الموجب الثالث قوله: ليكون الرسول عليكم شهيدا و تكونوا شهداء على الناس، وقدمر بيانه مستقصى فى الحديث الثانى، وهومتعلق اما بقوله: اجتباكم اوبقوله: جاهدوا او بمجموع المذكورات من الاوامر والكل متقارب، والوجه فى تقديم الجار فى الاول دون الثانى للدلالة على اختصاصهم بشهادة الرسول و تبليغه و تعليمه دون

١- اى: فى نصب الملة.

٢- انها منصوبة «التفسير».

٣- توسعة «الكشاف».

٤- مثل الخالص ما ذكرناه.

سائر الناس كمامر واليه الاشارة بقوله عليه السلام : فرسول الله الشهيد علينا بمابلغنا عن الله تعالى، ونحن شهداء على الناس يوم القيامة.

واعلم ان فى ذكر يـوم القيامة فى الشهادة الثانية وتركه فى الشهادة الاولى نكتة لطيفة وهى: ان نفوسهم القدسية وان كانت لها ضرب من التعلق بهذه القوالب البشرية لزيادة الاستكمال بل للتكميل لكنها فى ذاتها مجردة عنها، وانهم قد نضوا هذه الجلابيب الدنيوية عن اذيال ارواحهم وقامت قيامتهم وحشروا الى ربهم، فشهادة الرسول عليهم ثابتة لهم قبل حشر الخلائق و معه وبعده بخلاف شهادتهم عليهم السلام على الناس فانها يتوقف على يوم القيامه، يوم يقوم الناس من الاجداث والقبور وحصل لهم مافى الصدور.

وقوله عليه السلام: فمن صدق يوم القيامة صدقناه، الفعل الثانى من باب التفعيل والاول يحتمل البابين فى المعنى على كونه من التصديق كمامر، واما على كونه من الصدق فمعناه ان من كان صادقا فى اعتقاده يـوم القيامة فنحن الـذى جعلناه صادقا فى القول و الاعتقاد حيث اقتفى اثارنا واهتدى بهدانا واستضيىء بنورنا.

وكذا قوله: ومن كذب كذبناه، ويحتمل الوجهين: فمعناه على الاول كماعرفت وعلى الثانى: ان من كان كاذبا فى اعتقاده مصراً على كـذبه فنحن منشأ ذلك، لانه لاجل انكاره لحقنا وجحوده لما نحن عليه من الاصـول الايمانية و العلـوم الحقة اليقينية و اصراره و استمراره على ذلك صـار اسوء حالا من ماكان اولا، فبطل استعداده و فسد اعتقاده وساء معاده فصار المعروف عنده منكراً والمنكر معروفا فكان كاذبا، وهكذا حال رسل الله و اوليائه عليهم السلام يوم المعاد كما قال تعالى فى حق القران: يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً (البقرة ـ ٢٦)، والله اعلم بالصواب وعنده حسن الماب.

الحديث الخامس
وهو الثامن والتسعون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن ابيه عن حماد بن عيسى ، عن ابراهيم بن عمر اليمانـى، عن سليم بن قيس الهلالى، عن امير المؤمنين عليه السلام قال: ان الله طهرنا وعصمنا و

جعلنا شهداء على خلقه وحجته فى ارضه و جعلنا مع القران و جعل القران معنا لانفارقه و لايفارقنا».

الشرح

قوله: طهرنا اى عن ارجاس دواعى الكفر والجهالات و ادناس مبادى الاثام والشهوات، وقوله: عصمنا الله، اى عن ارتكاب المعاصى والسيئات والخطاء و السهو فى العلوم والاعتقادات، وقوله: جعلنا شهداء على خلقه، قد مضى شرح معناه وكذا قوله: وحجته فى ارضه، قد عرفت معناه، وقوله: وجعلنا مع القران الى اخره، اراد انهم عليهم السلام والقران متصاحبان متلازمان لاينفك احدهما صاحبه ، و ذلك لان حقيقة القران[1] و روح معناه وسره و لبه لايعرف الابهم، وكان القران لامعهم ليس بقران حقيقة بل جسد بلاروح و قشر بلالب، وكذلك لايمكن معرفتهم كماهم الابمعرفة القران، لان علومهم هى علوم القران وهم متخلقون بادابه واخلاقه. سأل بعض امهات المؤمنين عن خلق الرسول صلى الله عليه واله فقالت: خلقه القران.

ولنختم الكلام فى شرح هذا الباب بخاتمة حكمية فى بيان شجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية فنقول:

قد اشرنا سابقا الى ان طبيعة الانسان ليست بحسب باطنه و جوهر نفسه طبيعة

۱ــ حقيقة القران ليست الاحقيقة نورية بسيطة محيطة يحمله العلوم الحقة والمعارف الحقيقية وهوالعقل الكلى عقل العقول وكل العلوم بنحو اشرف وبوجه اعلى، بل هو كل الاشياء مجمع كلياتها وجزئياتها لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء وكل واحد منهم عليهم السلام متحقق بهذه الحقيقة الجامعة الكلية و متخلق بها فيكون معرفتهم بعينها معرفة تلك الحقيقة البسيطة المحيطة و معرفة تلك الحقيقة يكون معرفتهم بالحق، فانكشف ان حقيقة تلك المعية والمصاحبة المشار اليها فى هذا الحديث وامثاله محصلها يرجع الى التوحد فى الوجود، فظهر واتضح من هذا ان منزلتهم عليهم السلام من كلية العالم والعالم الكلى المعبر بالانسان الكبير والعالم الاكبر منزله الروح الاعظم من العالم، فبهم يمسك الله السموات والارض «نورى».

نوعية بل جنسية، ونسبة الساذجة اولا الى مايخرج من القوة الى الفعل فى النشأة الثانية والصور الاخرويـة هى بعينها كنسبة المادة الجسمانية الى الصور النباتية و الحيوانية التى بها يخرج من القوة الى الفعل فى هذه النشأة الاولية ، و المادة بـازاء الجنس و الصور المختلفة بازاء الفصول المنوعة يصير بها المادة انواعاً، و بهذا القياس يصير المادة النفسانية فى الاخرة انـواعاً بل اجناساً، و اليه الاشارة بقوله تعالى: ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لاتذكرون (الواقعة ـ ٦٢).

اذا علمت هذا فاعلم ان نسبة ارواح الانبياء والائمة صلوات الله عليهم اجمعين الى سائر النفوس هناك كنسبة نوع الانسانى الى سائر الحيوانات هيهنا بل افضل منها. وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (الاسراء ـ ٢١)، فالحكمة الالهية والعناية الربانية اقتضت ان يكون الشجرة نوعاً مفرداً مغايراً لسائر البشر متوسطاً فى وجودهم هيهنا بين الانسان والملك مشاركا لكل واحد منهما على وجه، فانهم كالملائكة فى علومهم الحاصلة بتعليم الله كما قالت: لاعلم لنا الا ماعلمتنا، و فى اطلاعهم على ملكـوت السموات و الارض كما قال تعالى: وكذلك نرى ابراهيم ملكـوت السموات والارض (الانعام ـ ٧٥)، وكالبشر فى احوال المطعم والمشرب، وقد جعل الله النبوة فى ذرية ابراهيم و من قبله فى ولد نوح عليه السلام كما نبه بقوله: ذرية بعضها من بعض (ال عمران ـ ٣٤)، وكذلك جعل الامامة فى ال رسول عليه و عليهم السلام ، و لو لم يختم النبوة بمحمد صلى الله عليه واله لكانوا انبياء.

وقد علمت ان الفرق بين الوحى والالهام بماذا؟ فهم وان كانوا من حيث الابدان كالبشر فهم من حيث الارواح كالملك[1] قـد ايـدوا بقوة الربانية و خصوا بها كما قال

١ـ والمراد من الملك الروحى هنا انما هـو الملك المقرب الكلى الذى يكون كل الملائكة بنحو اعلى، بل يكـون كل الاشياء بوجه اشرف و اوفى، و هو الذى يتعلم من الله تعالى بلاواسطة و يتفاوت درجات الاشياء فى الاخـذ منه والاتصال منه والاتصال به وليس لكل نبى ان يتحقق بحقيقة ذلك الروح الكلى القدسى الا الحضرة الخاتمية عليه واله افضل سلام و تحية «نورى».

تعالى فى حق عيسى: وايدناه بروح القدس (البقرة ـ ٨٧)، وقال فى نبينا: نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء ـ ١٩٤).

وتخصيصهم بهذا الروح لتمكنهم ان يقبلوا من الملائكة بل الله، كما قبلت الملائكة منه بما بينهم من المناسبة الروحانية، وينذروا قومهم بما بينهم من المناسبة البشرية ولذلك قال تعالى: و لو جعلناه ملكالجعلناه رجلا (الانعام ـ ٩)، تنبيهاً على ان ليس فى قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر، ولما عمى الكفار والمنافقون عن ادراك هذه المنزلة انكروا نبوة الانبياء صلوات الله عليهم و منزلة علومهم من علوم غيرهم قالوا ان انتم الابشر مثلنا (ابراهيم ـ ١٠).

وكذلك من انكر ولاية امير المؤمنين و اولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين، منشأ انكارهم عدم ادراكهم لما خصصوا به من الروح القدس[1] لمارأوا من المشاركة مع سائر الناس فى البشرية، ولم يعلموا انهم بالاضافة الى سائر الناس كالانسان الى سائر الحيوان وكالقلب المعنوى الى سائر الجوارح.

فمنزلة النبى صلى الله عليه واله من الامة المسلمة منزلة ضوء الشمس من جرم القمر والارض، ومنزلته صلى الله عليه واله من امير المؤمنين و باقى الائمة عليه وعليهم الصلوة والسلام منزلة ضوء الشمس من ضوء القمر وسائر الكواكب النيرة، فمنزلة علومهم من علوم الناس منزلة نور الشمس والقمر والنجوم من الانوار الفائضة على وجه الارض منها، فلايحصل علوم الناس وتزكية نفوسهم الابواسطة النبى صلى الله عليه واله ثم بواسطة الائمة و الاولياء عليهم السلام عند ذهاب شمس النبوة، و على ذلك دل بقوله: هوالذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة ـ ٢)، والله يزكى الانبياء والاولياء بواسطة الملك و بغير واسطة و يزكى الناس بواسطة الانبياء والاولياء عليهم السلام.

فتبين واتضح من جملة هذه المعانى تحقيق ماورد منهم عليهم السلام فى هذه الاحاديث من كونهم شاهدين على الناس يوم القيامة بتعليمهم و تزكيتهم اياهم، وكون

١ـ القدسى ـ م.

الرسول شاهداً عليهم بتبليغه صلى الله عليه واله عن الله اياهم عليهم السلام.

باب ان الائمة عليهم السلام هم الهداة

و هو الباب العاشر من كتاب الحجة
و فيه اربعة احاديث:

الحديث الاول
و هو التاسع والتسعون واربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد و فضالة بن ايوب، عن موسى بن بكر، عن الفضيل قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ولكل قوم هاد (الرعد ـ ٧)، فقال: كل امام هاد للقرن الذى هو فيه».

الشرح

انما ذكر بدل القوم القرن لئلا يتوهم تعدد الائمة الهداة فى زمان واحد بتعدد الاقوام، فللاشارة الى ان الامام فى كل قرن لايكون الا واحدا قال: كل امام هاد للقرن الذى هوفيه، اى لاهل ذلك القرن وان كانوا اقواماً متعددة، وهذا بعينها هى النكتة فيما ذكر فى الحديث التالى لهذا من قول ابى جعفر عليه السلام: ولكل زمان منا هاد بازاء قوله تعالى: ولكل قوم هاد.

الحديث الثانى
و هو الخمس مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن محمد بن ابى عمير، عن ابن اذينة، عن بريد العجلى، عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل: انما انت منذر ولكل قوم هاد

(الرعد ـ ٧)، فقال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: المنذر لكل زمان منا هاد يهديهم الى ماجاء به النبى ثم الهداة من بعده على ثم الاوصياء واحداً بعد واحد».

الشرح

قـد وقعت الاشارة سابقا الى ان لسان النبوة لسان الاجمال و ان الذى[1] اوتى جوامع الكلم، كما قال صلى‌الله عليه واله : اوتيت جوامع الكلم اى مجملات الاقوال والكلمات و رموز العلم و الاعتقادات ، و مايمكن ان يخاطب بـه كافة الناس فى كل زمان على اختلاف قرائحهم واذهانهم[2]، واما تفصيلها وبسطها على حسب قوة كل قوم و حوصلة ادراكه فليس ذلك الى النبى صلى‌الله عليه واله، بل لكل قوم فى كل قرن و زمان امام يهديهم ويعلمهم على قدر طاقتهم.

الاترى ان النبى صلى‌الله عليه واله لم يكلف ان يخاطب الناس فى الاعتقاد بالله بشىء فوق معرفة انه واحد لاشريك له فى خلق السموات والارض؟ و لـم يكلفهم ان يصدقوا بوجـود اله غير مشار اليه فى مكان ولامنقسم بالقول[3] ولا هو خارج العالم ولا داخله ولاشىء من هذا الجنس، والافقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما بينهم الدين واوقعهم فيما لامخلص عنه الا لمن وفق له من الذى يندر وجوده، فلايلبثون ان يكذبـوا بمثل هذا الموجود ويقعوا فى تنازع ويشتغلوا الى مباحثات ومقائسات يصدهم عن اعمالهم المدنية وصعب الامر على الشارع فى ضبطهم، فليس كل بميسر لـه فى الحكمة الالهية، بل يجب ان يعـرفهم جلالـة الله و عظمته برموز و امثلة من الاشياء التى عندهم جليلة عظيمة، و يلقى اليهم مع هذا انه لانظير له ولاند ولاشبه وليس كمثله شىء وهو السميع

١ـ النبى ـ م.

٢ـ اى بعبارات ظاهرها انيق وباطنها عميق، متاعا لكم ولانعامكم، لان ارشاده للعام والخاص ظاهر كلام حسن معجب صعب مستصعب، لكل وارد فيه مشرع و مشرب، فالكـل يجب ان يصير بتأديبه مؤدب، كل يعمل على شاكلته، لكل شرعة و منهاجا «نورى».

٣ـ بالقوة ولا بالفعل ـ م.

العليم البصير.

وكذلك يجب ان يقرر عندهم امر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وليسكن اليه نفوسهم، واما الحق فى ذلك فلايلوح لهم منه الا امراً مجملا، وهو ان ذلك شيء لاعين رأته ولا اذن سمعته،وان هناك من اللذة ماهـو ملك كبير و فوز عظيم و من الالم ماهو عذاب اليم.

ثم ينبغى ان يكون خطاب الله بلسان نبيه صلى الله عليه واله مشتملا على رموز و اشارات و تأويلات يستنبطها المستعدون ويعلمها الراسخون فى العلم وهم الائمة عليهم السلام، وسيجيء الاحاديث فى باب ان الراسخين فى العلم هم الائمة عليهم السلام، فلابد فى كل زمان من واحد منهم.

فهذا تحقيق هذا المقام و به ينكشف ما ذكره عليه السلام فى معنى قوله تعالى: انما انت منذر ولكل قـوم هاد من قوله: رسول الله صلى الله عليه واله : المنذر لكل زمان اى لاهل كل زمان منا هاد يهديهم الى ماجاء به النبى صلى الله عليه واله، و ذلك بتفصيل مجمله وفك مشكله و بسط موجزه وحل ملغزه وكشف معضله و تبيين مأوله.

واما قوله عليه السلام: ثم الهداة[1] من بعده على عليه السلام ثم الاوصياء واحد بعد واحد، فالغرض التنبيه على ان ليس احد من الصحابة وغيرهم يستحق الهداية والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه واله الا على امير المؤمنين وبعده الاوصياء من اولاده واحداً بعد واحد الى قيام الساعة بقائمهم المهدى عليه وعليهم السلام، ونعم ماقيل فى هذا المعنى: جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحدا بعد واحد، و قيل شعراً:

خليلى قطاع الفيافى الى الحـمى كثير و اما الـواصلون قـلائل[2]

ومعلوم عند اهل الحقيقة والحكمة ان هذا القسم من البشر الذى وصفناه من ان قياسه الى سائر البشر كقياس الانسان الى سائر الحيوان لايكون وجوده الاعلى الندرة

١ــ يعنى ان «ثم» للتراخى الذكرى بمنزلة ثم اعلم ان الهداة... الى اخره «نورى».

٢ــ قليل ــ النسخة.

والشذوذ، ولايكون واحد منه الابعد واحد على انهم من الشجرة النبوة.

الحديث الثالث
وهو الحادى و خمس مائة

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن محمد بن اسمعيل، عن سعدان، عن ابى بصير قال، قلت لابى عبدالله عليه السلام: انما انت منذر ولكل قوم هاد، فقال: رسول الله صلى الله عليه واله: المنذرو على صلوات الله عليه الهادى. يابامحمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى! جعلت فداك مازال منكم هاد من بعد هاد حتى دفعت اليك فقال: رحمك الله يا بامحمد لوكانت اذانزلت اية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الايـة مات الكتاب ولكنه حى يجرى فيمن بقى كمايجرى فيمن مضى».

الشرح

سأل ابوبصير الصادق عليه السلام المراد من قوله تعالى: انما انت منذرولكل قوم هاد، وكان غرضه ان يستعلم انه من المنذر ومن الهادى فاجابـه عليه السلام بقوله: رسول الله صلى الله عليه واله المنذرو على صلوات الله عليه الهادى، وقداشرنا الى الفرق بين المنذر والهادى من ان النبى صلى الله عليه واله شأنه دعوة الخلائق اجمعين الى سبيل المعاش فى الدنيا والخلاص فى الاخرة على وجه ينتفع به عامة الناس ويستكمل به اهل الخصوص، لان المنزل اليه من كلام الله مشتمل على العلم بالله وصفاته و افعاله وملائكته وملكوته و قضائه وقدره و بداية الخلق ونهايته، ومامن علـم حقيقى الا وفى القران اصله و فرعه و برهانه و تبيانه ولكن على وجه الاجمال.

واما الكشف عن رموز اياته و اسرار بيناته وتأويل متشابهاته و تبيين مجملاته لمن هو اهله ومستحقه فليس ذلك الى الرسول صلى الله عليه واله بل ذلك شأن الاوصياء عليهم السلام.

فلابد فی کل زمان من ولی قائم بحفظ القران عارف برموزه و اسراره لیعلم المؤمنین و یهتدی المهتدین ویکمل نفوس اتباعه وشیعته المتقین وینور قلوبهم بنور المعرفة والیقین، فاذن المنذر هو رسول رب العالمین والهادی هو امیرالمؤمنین و امام المتقین علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام لانه الموصوف بما ذکرناه ـ و الاحادیث النبویة المتکاثرة متظافرة فی‌هذاالباب مما ذکره یؤدی الی الاطناب ـ وبعده من ینوب منابه ویقوم مقامه من اولیاء الله و اوصیاء رسوله، اذ لایخلو الارض ممن یهتدی‌الناس بنوره ویستضیئون بضوئه.

ثم‌لمابین علیه‌السلام ان‌الهادی بعدرسول‌الله صلی‌الله علیه واله هو امیرالمؤمنین علیه‌السلام اراد ان‌یشیر الی ان الزمان لایخلو عن‌هاد الی‌قیام‌الساعة، فسأل اولا ابابصیر بقوله:یا بامحمدهل‌من‌هاد الیوم؟ لیستعلم مرتبة ایمانه‌واعتقاده بالائمة‌الهداة‌علیهم‌السلام بعدالنبی والوصی، فاظهر ابوبصیر ایمانه بالائمة الهدی واحدا بعد واحد حتی انتهی الی الصادق علیه‌السلام هادی وقته وامام زمانه وهوقوله: جعلت فداك مازال منکم هاد حتی دفعت الیك، ای دفعت الولایة والهدایة والنبوة‌الیك، ثم اشار الی البرهان الدال علی ان‌الارض لایخلو عن من یقوم بهدایة‌المسلمین ویعلمهم الکتاب والحکمة واسرار الیقین و یهدیهم الی سبیل ربهم و یدفع عنهم شبه المبتدعین و اغالیط المضلین الجاحدین فقال: یا بامحمد لوکانت اذانزلت ایة... الی اخره ، وتقدیره: لوکانت ایة اذا نزلت، بان یکون ایة اسم‌کانت وقوله: اذا نزلت علی رجل، صفة له.

وقوله: ثم مات الرجل صفة بعد صفة و یکون خبر کانت قوله: ماتت الایة، و قوله: مات الکتاب، بدل له بدل الکل، و المراد بالایة ایة القران و بالرجل النبی صلی‌الله علیه واله و الکلام فی قوة قیاس شرطی استثنائی یتم تلیت به‌المطلوب[1] من استثناء نقیض تالی‌الشرطیة‌لیلزم‌نقیض‌المقدم وهو عین‌المطلوب، والمطلوب بقاء الهادی فی کل زمان.

و صورة القیاس هکذا: لو لم یکن الهادی للخلائق موجوداً فی کل زمان للزم

١ـ استثنائی یثبت به المطلوب ـ م.

ان يموت القران بموت حامليه، لكن القران حي لايموت ابدا الى قيام الساعة فالهادى اليه حي في كل زمان لايموت الى قيام الساعة لاستلزام نقيض اللازم نقيض الملزوم.

واما بيان الملازمة: فبان لامعنى لموت الكتاب وحيوته الا موت حامله العارف بمقاصده ومعانيه وحيوته كما لا معنى لموت العلم الا موت العالم كمامر في كتاب العقل والعلم في باب فقد العلماء عن الصادق عليه السلام: ان الله عزوجل لايقبض العلم بعد مايهبطه ولكنه يموت العالم فيذهب بمايعلم ، لان الكتاب ليس الا العلم المكتوب في الصحائف اللوحية و القدرية النفسانية او الخارجية، والعلم لايقوم بنفسه بل في نفس حامله كما قال: بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم (العنكبوت ـ ٤٩).

واما اثبات الملزوم الذى هو نقيض وهو المشار اليه في قوله عليه السلام: ولكنه حي يجرى فيمن بقى كمايجرى فيمن مضى اشارة الى الدليل على بقائه في كل دهر و زمان، وهو ان الغرض من انزاله الى[1] الرسول صلى الله عليه واله ان يكون هدى للناس ونوراً يتنور به قلوبهم و حكمة يستكمل بها نفوسهم و يستخرج ارواحهم من ظلمات الحيرة والجهالة الى نور العلم والمعرفة.

ولاشك ان الناس محتاجون في كل زمان الى مايستكمل به نفوسهم من الحكمة والمعرفة، والحاجة الى كتاب الله واياته مستمرة الى يوم القيامة، فنسبة نور القران وهداه الى من بقى كنسبته الى من مضى، فالحاجة الى من عنده علم الكتاب مستمرة الى يوم القيامة، و الاحاديث في هذا الباب كثيرة لاتحصى ولنذكر شيئا منها ليكون انموذجاً للبواقى .

روى محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في كتاب الرسائل باسناده عن سنان بن طريف عن ابى عبدالله عليه السلام قال : كان امير المؤمنين عليه السلام يكتب هذه الخطبة الى اكابر الصحابة وفيها كلام رسول الله صلى الله عليه واله:

٢ـ على ـ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى المقربين[١] فى الاظلة الممتحنين بالبلية المسارعين فى الطاعة المستيبئين[٢] فى الكرة تحية منا اليكم، سلام عليكم، اما بعد: فان نور البصيرة روح الحيوة الذى لاينفع ايمان الابه مع اتباع كلمة الله تصديق[٣] بها، فالكلمة من الروح والروح من النور والنور نور السموات والارض، فبايديكم وصل[٤] اليكم منا نعمة[٥] من الله لاتغفلون سر شكرها خصكم[٦] واستخلصكم لها، و تلك الامثال نضر بها للناس و ما يعقلها الا العالمون (العنكبوت ـ ٤٣).

دعانى الى الكتاب اليكم استنقاذكم من العمى وارشادكم باب الهدى فاسلكوا سبل السلام[٧] فانها جماع الكرامة، اصطفى الله منهجه وبين حججه وارف ارفقو وضعه وحده، ان العبد اذا دخل حضرته يأتيه الملكان احدهما منكر والاخر نكير، فاول مايسألانه عن ربه وعن نبيه وعن وليه فان اجاب نجاوان تحير عذباه.

فقال قائل: فماحال من عرف ربه و عرف نبيه ولم يعرف وليه ؟ فقال صلى الله عليه واله: ذلك مذبذب لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء، قيل : و من الولى يا رسول الله؟ قال : وليكم فى هذا الزمان انا و من بعدى وصيى و من بعد وصيى لكل زمان لحجج[٨] الله كيماتقولون كما قال الضلال قبلكم فارقهم[٩] نبيهم: ربنا لولا ارسلت

١ـ المقرين ـ النسخة البدل فى نهج السعادة.

٢ـ المستيقنين بى «نهج» و فى البحار : المنشئين فى.

٣ـ و التصديق «نهج».

٤ـ سبب وصل «نهج».

٥ـ انعمة «نهج».

٦ـ لا تعقلون شكرها، خصكم بها «نهج».

٧ـ سبيل السلامة «نهج».

٨ـ حجج لله «نهج»

٩ـ حين فارقهم «نهج».

الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى (طه ـ ١٣٤)، وانما كان تمام ضلالتهم[١] جهالتهم بالايات وهم الاوصياء فالاوصياء قوام عليكم بين الجنة والنار، لايدخل الجنة الامن عرفهم وعرفوه ولايدخل النار الامن انكرهم وانكروه، لانهم عرفاء العباد عرفهم الله اياهم عند اهل[٢] المواثيق عليهم بالطاعة لهم فوصفهم في كتابه فقال عزوجل: وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (الاعراف ـ ٤٦)، وهم الشهداء على الناس و النبيون شهداء لهم يأخذ الله لهم مواثيق العباد بالطاعة و ذلك قوله: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض ولايكتمون الله حديثا (النساء ـ ٤١ و ٤٢).

وكذلك اوحى الله الى ادم: ياادم قدانقضت مدتك وقضيت نبوتك واستكملت اياتك و حضراجلك فخذ النبوة و ميراث النبوة و اسم الله الاكبر فاودعه الى ابنك هبة الله، فاني لم ادع الارض بغير علم يعرف، فلم يزل الانبياء و الاوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الامر الى وانا ادفع ذلك الى على وصيي وهو مني بمنزلة هرون من موسى، وان على يورث ولده حيهم عن ميتهم.

فمن سره ان يدخل جنة ربه فليتول عليا و الاوصياء من بعده وليسلم لفضلهم، فانهم الهداة بعدى اعطاهم الله فهمي وعلمي، فهم عترتي من لحمي و دمي، اشكوا الى الله عدوهم والمنكر لهم فضلهم القاطع عنهم صلتي، فنحن اهل بيت[٣] شجرة النبوة ومعدن الرحمة ومختلف الملائكة وموضع الرسالة، فمثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجاو من تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له، فايماراية خرجت ليس من اهل بيتي فهي الدجالية[٤].

ان الله اختار لدينه اقواماً انتجبهم[٥] للقيام عليه والنصر له، طهرهم بكلمة الاسلام

١ـ ضلالهم «نهج».
٢ـ اخذ «نهج».
٣ـ اهل البيت «نهج».
٤ـ دجالية «نهج».
٥ـ انتخبهم «نهج».

و اوحى اليهم كرامة مفترض[١] القران والعمل بطاعته فى مشارق الارض ومغاربها، ان الله خصكم بالاسلام و استخلصكم له، و ذلك لانه امنع سلامة واجمع كرامة اصطفى الله منهجه و وصفه و وصف اخلاقه و وصل اطنابه من ظاهر علم و باطن حلم[٢] ذى حلاوة و مرارة ، فمن ظهر باطنه رأى عجائب مناظره فى موارده و مصادره، و من فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الامثال والسير، فظاهره انيق و باطنه عميق، ولاتفنى غرائبه ولاتنقضى عجائبه، فيه مفاتيح الكلام ومصابيح الظلام، لايفتح الخيرات الابمفاتيحه و لاتكشف الظلمات الابمصابيحه[٣]. فى كلام طويل اخذنا منه مواضع الحاجة .

الحديث الرابع

و هوالثانى وخمس مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن منصور، عن عبدالرحيم القصير» ابن روح. الاسدى كوفى روى عنهما عليهاالسلام و بقى بعد ابى عبدالله. «عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: انما انت منذرولكل قوم هاد فقال: رسول الله صلى الله عليه واله المنذرو على الهادى ، اما والله ما ذهبت مناو مازالت فينا الى الساعة».

الشرح

الضمير المرفوع فى الفعلين راجعة الى الهداية، لانها المذكورة ضمناً، و معنى الحديث مما قد عرفته فلاوجه لاعادته.

١ــ اليهم مفترضة «نهج».

٢ــ حكم «نهج».

٣ــ بمفاتحه «نهج».

باب ان الائمة عليهم السلام ولاة امر الله و خزنة علمه

وهو الباب الحادى عشر من كتاب الحجة وفيه ستة احاديث

الحديث الاول

و هو الثالث و خمس مائة

«محمد بن يحيى العطار عن احمد بن ابى زاهر»، واسم ابى زاهر موسى ابو-جعفر الاشعرى القمى مولى كان وجهابقم وحديثه ليس بذلك النقى، وكان محمد بن-يحيى العطار اخص اصحابه كذا فى «صه» و «جش» و «ست». «عن الحسن بن موسى عن على بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: نحن ولاة امر الله و خزنة علم الله و عيبة وحى الله».

الشرح

الولاة جمع الولى و ولى الامر صاحبه، و الخزنة جمع الخازن من خزنت السر، واخزنته كتمته، والمال جعلته فى الخزانة وهى واحدة الخزائن.

هذا معناها اللغوى، وفى عرف اهل الحكمة موافقا للشريعة الالهية يراد بالخزانة القوة الحافظة للصور الادراكية سواء كانت جزئية اوكلية ، فالخيال عندهم خزانة حافظة لصور المحسوسات ، و حافظة الوهم التى سلطانها فى مؤخر الدماغ خزانة للموهومات و مايليها من الاوليات، والعقل الفعال عندهم خزانة للعقليات من العلوم.

اذا علمت هذا فنقول: خزائن علم الله سبحانه هى الجواهر العقلية و الذوات النورية البريئة عن مخالطة المواد والاجرام، وهى كاملة بالفعل فى باب العلم والعقل و ليس فيها نقص ولاقوة انفعالية استعدادية، فلاجرم ليس هى نفوساً ولاصوراً منطبعة فى اجرام ، لان النفس فى اول فطرتها امر بالقوة فى باب العقل فيحتاج فى صيرورتها

عقلا بالفعل الى مايخرجها من حد العقل بالقوة الى حد العقل بالفعل ، اذ الشيء لايخرج نفسه من القوة الى الفعل ومن النقص الى الكمال، فيكون بالفعل قبل كونه بالفعل و يكون كاملا عندكونه ناقصاً، والذى يكمل النفس ويجعلها عاقلا بالفعل بعد ان لم يكن لابد ان يكون عقلا بالفعل كاملا فى اصل الفطرة، والالعاد الكلام فى خروجه من القوة الى الفعل و احتياجه كامل اخر فيتسلسل الامر الى لانهاية وهومحال.

فثبت ان فى الوجود ذواتاً قدسية و جواهر عقلية فيها صور الموجودات كلها بالفعل على وجه مقدس عقلى تستكمل النفوس و تصير عاقلة بالفعل بعدكونها قابلة بالقوة، وهى واسطة بين الله و بين الخلق فى افاضة الخيرات و نزول البركات على الدوام، وهى كلمات الله التامات التى لاتبيد ولاتفنى، وهى مسماة باسامى مختلفة متعددة باعتبارات و وجوه مختلفة، وهى كلمات الله بوجه وعالم امره وقضائه بوجه ومفاتيح غيبه بوجه، و عنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو (الانعام ـ ٥٩)، وهى خزائن علمه و جوده، وان من شيء الاعندنا خزائنه ومانتزله الابقدر معلوم (الحجر ـ ٢١).

فهذا تحقيق خزائن علم الله وخزنته، فهى خزائن و خزنة باعتبارين، والفرق بينهما بالاعتبار كالفرق بين العقل والعاقل، وكذلك الحال فى جميع الصفات الذاتية التى هى موجودة بوجود ذاتها كصفات البارىء جل ذكره. واما بيان صيرورة الذوات الكاملة الانسانية خزائن علم الله تعالى فيحتاج الى اصلين شريفين بل بحرين عظيمين من بحار علوم المكاشفة[1].

١ـ كتب الناسخ فى خاتمة نسخته هذه العبارة : الى هنا قرر و حرر صدرالافاضل و المتألهين قدس سره ولم يتم الكلام و مات فى اثناء شرحه، هكذا وجد فى خاتمة بعض النسخ، والى هنا تم ماوجد فى مسودة ذلك الشرح و انقطع كلام الشارح هنا لورود القضاء عليه قدس الله سره.

قال العلامة النورى قدس سره فى اختتام هذا الشرح : كأنه قدس الله سره اراد بذينك الاصلين الشريفين اللذين يكونان من بحار علوم المكاشفة ويكون القول بهما من خواص علماء الاخرة ومن خصائص اصحاب الولاية والوراثة اصل الحركة الجوهرية التى لايمكن ان يتيسر حل الاصول الايمانية لاحد كما هى عليه الا بالقول بها ، و قل من وصل بحقيقة←

. . . . . .

←الحقيقة الا واحد بعد واحد، و هو اصل عجيب ينكشف به عجائب المعارف الايمانية و غرائب العلوم الحقيقية، ويحتجب عنه المحجوبون عن نور الولاية، والاخر هو اصل القول باتحاد العاقل بالمعقول وكون الحقائق المعقولة و الطبائع الكلية موجودة فى صقع من عالم الربوبية، و جواهر عقلية قائمة بذواتها و ذواتاً نورية متأصلة فى الخارج لامرتسمة فى الاذهان البشرية كما قالت به الجمهور من الحكماء، و النفس الناطقة الانسانية فى استكمالاتها العملية و ادراكاتها العقلية و تحولاتها النورية الجوهرية يتصل بها ضرباً من الاتصال تدريجاً و تتحد بها فيدركها و يشاهدها حسب اتصالها و اتحادها بها و غير ذلك من المقاصد المتعلقة والمباحث اللاحقة بذينك الاصلين. (لاستادنا الاعظم والفيلسوف المعظم مولانا على النورى دام ظله العالى سنة ١٢٣٢ هجرية).

و قد فرغ عن تصحيح هذا السفر الكريم و الفيض العظيم ليلة الثلاثاء من شهور جمادى الاولى سنة خمس و اربع مائة بعد الالف. و انا العبد المفتقر الولوى محمد بن احمد الخواجوى عامله الله بلطفه الخفى بحق ائمة المعصومين وال الله الغر الميامين.

الفهارس

- فهرس الاحاديث
- فهرس الاعلام

فهرس الاحاديث

الائمة بعدی من عترتی عدد نقباء بنی اسرائیل... ۴۸۱
ابی الله ان یجری الاشیاء الاباسباب .. ۵۳۰
ابی الله لصاحب البدعة بالتوبة. ۲۸۹
ابیت عند ربی یطعمنی و یسقینی. ۲۵۷
اتبع السیئة بالحسنة تمحها. ۸۵
آتونی بدواة و قرطاس اکتب لکم کتاباً لاتضلوا بعدی. ۴۹۸
اجلس فی مسجد المدینة و افت الناس... ۳۳-۱۹۵
احب الناس الی احیاء و امواتاً اربعة، برید بن معاویة... ۱۷۲
احصیها حتی نرجع ای احفظیها. ۲۵۹
احفظوا بکتبکم فانکم سوف تحتاجون الیها. ۲۷۶
اخبرنی الاحول ان زید بن علی بن الحسین... ۴۱۳
اذا بلغت النفس الی هاهنا، واشار بیده الی حلقه... ۲۳۱
اذا تقرب الناس الی الله عزوجل بانواع البر... ۴۱۸
اذا حدثتکم بشیء فأسالونی من کتاب الله. ۳۳۱
اذا حدثتم بحدیث فاسندوه الی الذی حدثکم. ۲۷۴
اذا ذکر القدر فامسکوا. ۳۹

اذا رأيتم الرجل قد اوتى صمتاً و زهداً فاقتربوا منه...	۱۹۶
اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم...	۲۲۷
اذا سأل الرجل منكم عما لايعلم فليقل: لاادرى...	۱۹۲
اذا سمعتم العلم استعملوه ليتسع قلوبكم...	۲۳۳
اذا ظهر البدع فعلى العالم ان يظهر علمه...	۵۹۰
اذا ظهرت البدع فى امتى فليظهر العالم علمه...	۲۸۸
اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس فى صعيد واحد و...	۳
اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين...	۳-۹۵
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث: علم ينتفع به...	۳
اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة و بقاع الارض...	۱۴۸
اذا مات المؤمن بكى عليه مصلاه و اثاره فى الارض...	۳۰۱
اذا مات المؤمن الفقيه ثلم فى الاسلام ثلمة...	۱۴۷
اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله...	۳۷۶
أرايتك لو حدثتك بحديث العالم ثم جئتنى من...	۳۶۶
اربعة احب الناس الى احياء و امواتاً...	۱۷۲
ارى اهل الجنة يتزاورون و اهل النار يتعاوون.	۲۴۱
اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم يفقه الله بعلمه.	۲۱۱
اطلبوا العلم و تزينوا معه بالحلم والوقار.	۱۱۳
اطلبوا العلم ولو بالصين.	۴-۷۶
اعربوا حديثنا فانا قوم فصحاء.	۲۷۸
اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنا.	۲۶۳
اعطيت جوامع الكلم واعطى على جوامع العلم.	۳۲۰
اعلموا ان صحبة العالم و اتباعه دين...	۵۷۶
اعيذك بالله من امارة السفهاء قال: و...	۵۰۰

اغد عالماً او متعلماً او احب اهل العلم، ولاتكن رابعاً... ٦٥
أفبهذا امرتم؟ تضربون كتاب الله ببعض؟ انظروا... ٥١١
اف لرجل لايفرغ نفسه فى كل جمعة لامر دينه ١٧٤
افضل مايتقرب به العباد الى الله عزوجل طاعته الله و... ٥٧٤
اقبل عبدالله بن سلام و معه نفر من قومه... ٥٨١
اقر بالبيعة وادعى الوليجة. ٣٢١
اكتبوا فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا. ٢٧٥
اكتب و بث علمك فى اخوانك فان مت فاروث... ٢٧٦
أكل القرآن احصيت؟ اى حفظت؟ ٥٥٩
الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لايقنط الناس من... ١٢٤
الا ان القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله، و... ٣٩
الا ان مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها... ٤٦٥
الا تخبرنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ ٤٠٢
ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ فقالوا: بلى يا رسول‌الله... ٥٨٢
اللهم ارحم خلفائى فقيل: يا رسول‌الله ومن خلفاؤك؟ قال... ٨٩
اللهم انك بلطفك و جودك على عبادك لاتخلى ارضك... ٤٨٥
اللهم انك لاتخلى ارضك من حجة لك على خلقك. ٤٨٤
اللهم انى أسالك بقوتك القوية و محالك الشديد و... ٣٦٧
اللهم برد على ابى عبيدة، اللهم نوره قبره... ٨٢
اللهم صل على محمد و آل محمد و ارزقه داراً و زوجة و... ٤٥
اللهم فقهه فى‌الدين و علمه التأويل. ٣٠٤
الى المقربين فى‌الاظلة الممتحنين بالبلية المسارعين... ٦١٣
اما لكم من مفزع امالكم مستراح تستريحون اليه... ١٢٣
اما والله لقد اوجع قلبى موت ابان. ٣٣-١٩٥

اما والله مادعوهم الى عبادة انفسهم، ولو دعوهم ما اجابوهم...	٢٨١
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله‌الاالله...	٥٧١
ان ابغض الخلق الى الله عزوجل لرجلين، رجل وكله الله...	٢٩٢
ان ابليس قاس نفسه بادم فقال: خلقتنى من نار وخلقته من طين.	٣١٥
ان اخر من يموت الامام لئلايحتج احد على‌الله عزوجل...	٥٠٥
ان الارض لاتخلو الاوفيها امام، كيما ان زاد...	٤٧٨
ان الارض لاتخلو من حجة وانا والله ذلك الحجة.	٤٧٦
ان اصحاب ابى كانوا زيناً احياء و امواتاً، اعنى...	٧٩
ان اصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم يزدهم...	٣٠٣
ان افضل الاعمال عندالله ما عمل بالسنة وان قل.	٣٧٨
ان الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً و...	٤٣٤
ان الله اجل واعظم من ان يترك الارض بغير امام عادل.	٤٨٤
ان الله اجل و اكرم من ان يعرف بخلقه، بل المخلق يعرفون بالله.	٥٧٨
ان الله بعث محمداً على‌الناس اجمعين رسولا و...	٥٧٠
ان الله تبارك و تعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل...	٤٣٠
ان الله تبارك و تعالى انزل فى‌القران تبيان كل شىء...	٣٢٤
ان الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً يحتاج اليه الامة...	٣٢٨
ان الله تعالى لايقبض العلم بعد مايهبطه ولكن...	١٥٢
ان الله تعالى و ملائكته واهل‌السموات والارض...	٩٥
ان الله خص عباده بايتين من كتابه: ان لايقولوا حتى يعلموا...	١٩٦
ان الله خلق ادم على صورة الرحمن.	٢٨٤
ان الله خلق ادم على صورته.	١٤
ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره...	٥٨٧
ان الله طهرنا و عصمنا وجعلنا شهداء على خلقه و...	٦٠٣

ان الله عزوجل بعث محمد الى الناس اجمعين رسولا و... ٥١٢
ان الله عزوجل لايقبض العلم بعد مايهبطه ولكنه... ٦١٢
ان الله عزوجل يقول: تذاكر العالم بين عبادى... ١٧٤
ان الله لاينظر الى صوركم و اموالكم ولكن... ٢٥
ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم... ١٨٠
ان الله لم يدع الارض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف... ٤٨٣
ان الله و ملائكته و اهل السموات والارض حتى النملة... ٣
ان الله يقبل التوبة مالم يغرغر. ٢٣٢
انا امة امية لانكتب ولا نحسب. ٣٣٨
انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا و عن... ٣٩٠
ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله... ٥٩٤
الانبياء قادة والعلماء سادة ومجالستهم... ٣
الانبياء والمرسلون على اربع طبقات، فنبى منبىء... ٤١٧
انت امام كل مؤمن و مؤمنة بعدى. ٥٩٣
انت تبين لهم ما اشتبه عليهم. ٥٩٤
انت منى بمنزلة هرون من موسى. ٥٩٣
انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لانبى بعدى. ٥٨٢
انت منى و انامنك واناسالم لمن سالمك... ٥٩٣
ان الحجة لاتقوم لله على خلقه الابامام حتى يعرف. ٤٦٣-٤٦٦
ان الحجة لاتقوم لله عزوجل على خلقه الابامام يعرف. ٤٦٦
ان الحديث ينسخ كما ينسخ القران. ٣٦١
ان حسنات الظالم ينتقل الى ديوان المظلوم و سيئات... ٨٥
ان الذى يعلم منكم له اجر مثل اجر المتعلم وله الفضل عليه... ٧٥
ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول: حدثنى موسى... ٢٣٥

ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التى تصيب رجله. ٨٥
ان رسول الله نهى عن القيل والقال وفساد المال... ٣٣١
ان رواة الكتاب كثيرو ان رعاته قليل وكم من مستنصح للحديث ٢٤٦
ان السنة لاتقاس، ألاترى ان المرأة تقضى صومها و... ٣١٢
انا سيد ولد ادم ولافخر. ٤٩
انا نجيب الناس على زيادة والنقصان. ٣٦١
ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم... ٤٥٦
انطلقوا بغيانا. ٢
ان العالم اذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته... ٢١٦
ان العبد لينشر له من الثناء مابين المشرق والمغرب و... ٢٣٦
ان عدة الخلفاء من بعدى عدة نقباء بنى اسرائيل. ٤٨٠
ان العلماء ورثة الانبياء و ذاك الانبياء لم يورثوا... ٤٠
ان العلم نور يقذفه الله فى القلب. ١٤١
ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله... ٣٧٣
ان عند كل بدعة تكون من بعدى يكاد بها الايمان... ٢٩٠
ان غنائم بدر كانت للنبى خاصة، فسألوه ان يعطيهم. ٥٦٣
الانفال كل ماأخذ فى دارالحرب بغير قتال و... ٥٦٢
ان فى امتى مكلمين محدثين. ٤٤٣-٤٥٠
ان فى ايدى الناس حقاً و باطلا و صدقاً وكذباً و... ٣٥٣
انك امرىء فيك جاهلية. ٣٤٣
انكم ستحرصون على الامارة و سيكون ندامة يوم القيامة. ٤٩٩
انكم لاتكونون صالحين حتى تعرفوا و لاتعرفوا حتى تصدقوا و... ٥٢٢
انكم محشورون حناة عراة غرلا. ٤٩٩
ان كنت تريد معانيه فلابأس. ٢٦٩

ان كنت كما قلت فاستغفر الله وان لم اكن كما قلت... ١١٦
ان كل بتعة يجتمع فيها قوم اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او... ٧٢
ان لله تسعة و تسعين اسماً من احصاها دخل الجنة. ٢٥٨
ان لله تعالى بابواب الظالمين من نورالله به البرهان و... ٢٧
ان لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون. ٤٢٤
ان لله فى ايام دهركم نفحات الافتعرضوا لها. ٤٥٣
ان لنا حديثاً من حفظه‌الله على دينه و دنياه... ٣٦٩
انما الاعمال بالنيات. ٣٨٢
انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد ١١٥
انما انا لكم مثل الوالد لولده. ١٣٨
انما البغى من سفه الحق ١٣١
انما العلم ثلاثة: اية محكمة او فريضة عادلة اوسنة قائمة. ٣٥
انما يهلك الناس لانهم لايسألون ١٦٩
ان من امة محمد علماء حكماء كأنهم من الفقه انبياء... ١٠٠
انما يعبدالله من يعرف الله، فاما من لايعرف‌الله فانما يعبده هكذا... ٥٠٨
انما يعرف الله عزوجل و يعبده من عرف الله و عرف امامه... ٥١٥-٥٧١
ان المرجئة نصب رجلا لم تفرض طاعته و قلدوه و... ٢٨٣
ان من‌العلم جهلا وان من العقل عيا. ٣٩
ان من العلم لجهلا. ٢٤٣
ان الناس الوا بعد رسول‌الله الى ثلاثة: الوا الى العالم... ٥٦
ان النبوة قد ادرجت بين جنبيه. ٤٥١
انهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال... ١٨٦
ان هاهنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة. ١٣٩-٢٦٦-٣٤٦-٤٠١
ان هذا الدين لاينقضى حتى يمضى فيه اثنى عشر خليفة. ٤٨٠

ان هذا العلم عليه قفل و مفتاحه السؤال. ١٧٠
انه (ص) بينما هوجالس والناس معه اذ... ٩٤
انه (ص) خرج ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله... ٩٥
انه لايكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله و رسوله و... ٥٧١
انهم كانوا يمشون بعدك القهقرى. ٤٩٩
انه يبقرالعلم بقراً، اذا ادركته فاقرأه منى السلام. ٥٢٠
انه يسخى نفسى فى سرعة الموت والقتل فينا قول الله... ١٥٥
انى اخذ بحجزكم عن النار و انتم تقتحمون فيها. ٢٥٨
انى ارى مالاترون. ٤٣٥
انى اسمع كلام منك فاريدان ارويه كما سمعته منك... ٢٧٠
انى اشهد ان علياً امام فرض الله طاعته وان الحسن امام... ٥٥٧
انى تارك فيلم الثقلين. ٤٨٩-٥٠٠
انى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله و عترتى. ٢٥٨
انى دعوت الله بدعوة فبعث الله اليه ملكا... ٣٦٨
ان يقولوا مايعلمون و يقفوا عند مالايعلمون. ١٩٥
ان يقولوا مالايعلمون ويكفوا عما لايعلمون، فان فعلوا ذلك... ٢٦٣
انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن. ٢٣١-٤٥٣
اوتاد الارض و اعلام الدين اربعة: محمد بن مسلم و... ٧٩
اوتيت جوامع الكلم. ٤٥٣-٤٦٠-٦٠٨
اوحى الله الى بعض الانبياء: قل للذين يتفقهون لغيرالدين و... ٢٣٤
اوحى الله الى داود: لاتجعل بينى و بينك عالماً مفتوناً... ٢٢٧
اهل القران اهل الله و خاصته. ٣٢
اياكم والكذب المفترع، قيل: وما الكذب المفترع؟..: ٢٧٧
اياك و خصلتين ففيها هلك من هلك: اياك ان... ١٨٨

ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له اجر من تبعه لا... ٨٣
ايها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون... ٢١٩
ايها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به. ١٥
ايها الناس اعملوا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه... ٢٦٤
ايها الناس ان الله تبارك و تعالى ارسل اليكم الرسول و... ٣٣٧
ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب... ٤٦٤
ايها الناس انما بدأ وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع... ٢٨٦
ايها الناس قدكثرت على الكذابة، فمن كذب على متعمدا... ٣٥٣

بشر المخبتين بالجنة: بريد بن معاوية العجلى و... ٣٤٩-٨٠-٧٨
بل كل شىء فى كتاب الله وسنة نبيه. ٣٤٩
بنى الاسلام على خمس. ٥

تحقر صلوة احدكم فى جنب صلوتهم و صوم احدكم... ٥٣٦
تذاكر العلم دراسة والدراسة صلوة حسنة. ١٧٨
تذاكروا و تلاقوا و تحدثوا فان الحديث جلاء للقلوب. ١٧٧
تفقهوا فى الدين فانه من لم يتفقه منكم فى الدين فهو اعرابى... ٢٤
تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل. ٥٩٤
تقتلك الفئة الباغية ٢

جاء رجل الى رسول الله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ فقال: الانصاف. ٢٤١
جزى الله صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان و زكريا بن ادم... ١٢٩

حبنا ايمان و بغضنا كفر ٥٧٤

حتى والله مانحسب الا ان ذلك شيء يبتار به اسلامنا. ۵۱۹
الحجة قبل الخلق ومع الخلق و بعدالخلق. ۴۶۷
حدثوا بها فانها حق. ۲۸۰
الحدود كفارات لاهلها. ۸۵
حديثنا صعب مستصعب لايحتمله الا ملك مقرب او نبى مرسل... ۴۹-۲۵۲
حديثى حديث ابى و حديث ابى حديث جدى و حديث... ۲۷۹
حلال محمد حلال ابداً الى يوم القيامة و حرامه حرام ابداً... ۳۱۷

خذ السيف و انطلق فان وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار. ۳۵۶
خصصت بفاتحة الكتاب. ۴۶۱
الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً. ۴۷۲
الخلفاء او الائمة بعدى اثنى عشر كلهم من قريش. ۴۸۹

دخل ابوحنيفة على ابى عبدالله فقال له: يا اباحنيفة... ۳۱۸
الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكرالله تعالى و... ۹۵

ذروة الامر وسنامه و مفتاحه و باب الاشياء و رضاالرحمن... ۵۵۵
ذرونى ماتركتكم فانما هلك من قبلكم بسؤالهم و... ۳۳۳
ذكرت لابى عبدالله قولنا فى الاوصياء ان طاعتهم مفترضة... ۵۶۷

الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا افضل من الف عابد. ۵۴
رأيت انى اشرب اللبن حتى خرج الرى من اظفارى... ۴۵۴
رأيت ربى فى احسن صورة... ۴۵۳
رب ارنا الاشياء كماهى. ۱۱۰

رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر. ٦٠١
رجلا سماه الناس عالماً ولم يغن فى العلم يوماً سالماً، اى... ٢٩٨
رحم الله اسمعيل بن خطاب و رحم الله صفوان فانهما من... ١٢٩
رحم الله امرىء اعد لنفسه و استعد لرمسه وعلم... ٣٤٧
رحم الله امرىء سمع مقالتى فوعاها كما سمعها... ٢٥٥
رحم الله عبداً احيا العلم قال: قلت: وما احياؤه؟... ١٧٦
رحم الله المعلى قد كنت أتوقع ذلك، لانه اذاع سرنا و... ٣٦٩
رحمة الله على خلفائى فقيل يا رسول الله من خلفاؤك؟... ٩٤
الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه والنبى هو... ٤٥١
رسول الله: المنذر وعلى الهادى، اما والله ما ... ٣١٥
رسول الله: المنذر وعلى الهادى. يا بامحمد هل... ٦١٠
الرسول هو الذى يأتيه جبرئيل قبلا فيراه ويكلمه... ٤٤٧
رضى الله عنهما فما خالفا ابى قط بعدما جاء فيهما ماقد... ١٢٩
روحوا انفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما تكل الابدان. ٢٣٧

زراة بن اعين ومحمد بن مسلم و بريد بن معاوية و... ١٧٢
زرارة و بريد بن معاوبة و محمد بن مسلم والاحول احب الناس... ١٧١

سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم اولوا العزم. ٤٣٢
سأل ابو الحسن هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون اليه؟... ١٢
سألت ابا الحسن عن قول الله عزوجل: أفمن كان على بينة من ربه و... ٥٩٥
سألت اباعبدالله عن قول الله عزوجل: وكذلك جعلناكم امة وسطا... ٥٩١
سألت ابا عبدالله عن قول الله عزوجل: ولكل قوم هاد... ٦٠٧
سأل رجل ابا عبدالله عن مسألة فاجابه فيها، فقال الرجل:... ٣١٩

سأل رجل فارسى ابا الحسن فقال: طاعتك مفترضة؟... ۵۶۷
سألته عن الائمة هل يجرون فى الامر والطاعة مجرى واحد؟... ۵۶۸
سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه... ۳۶۵
ستفرق امتى على نيف وسبعين فرقة كلهم فى النار... ۳۲۵
سلونى، فلاتسألونى عن شىء الا انبأكم به... ۳۳۴
سمعت ابا عبدالله اشرك بين الاوصياء والرسل فى الطاعة. ۵۶۰
السمع والطاعة ابواب الخير السامع المطيع لا... ۵۸۳
السنة سنتان: سنة فى فريضة الاخذ بها هدى و... ۳۸۵
سنوابهم سنة اهل الكتاب. ۳۸۵
سيجاء برجال من اصحابى فيؤخذ بهم ذات الشمال... ۴۹۹
سيخرج من ضئضىء هذاالرجل قوم يمرقون من الدين... ۵۳۷
سيكون بعدى اثرة. ۴۹۹
سيكون عليكم امراء تعرفون منهم و تنكرون، فمن انكر... ۲۳۶

شرار العلماء الذين يأتون الامراء... ۲۳۶

ضل علم ابن شبرمة عندالجامعة املاء رسول‌الله و... ۳۱۱

طلب العلم فريضة. ۱۰
طلب العلم فريضة على كل مسلم... ۱-۱۸-۷۶
طلبة العلم ثلاثة، فاعرفوهم باعيانهم و صفاتهم... ۲۴۲

العالم افضل من الصائم القائم المجاهد... ۹۵
العالم امين الله فى الارض. ۸۹

عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد. ٥١
العامل على غير بصيرة كالسائر على الطريق... ٣-٢٠٠
عدلت شهادة الزور الشرك بالله. ٢٦٤
عظم الحكمة فانى لااجعل الحكمة فى قلب عبد الا و... ٩٩
العلماء امناء الرسل على عبادالله مالم يخالطوا السلطان... ٢٣٦
العلماء امناء و الاتقياء حصون و الاوصياء سادة. ٤٧
العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم... ٢١٠
العلماء سادة و الفقهاء قادة و مجالستهم عبادة. ٨٩
العلماء منار والاتقياء حصون والاوصياء سادة. ٤٨
علماء هذه الامة رجلان: فرجل اتاه الله علماً فبذله للناس و... ٢٣٥
العلماء ورثة الانبياء. ٨٨
العلم ثلاثة: كتاب ناطق و سنة قائمة ولاادرى. ١٩٣-٣٠١
العلم علمان: علم على اللسان، فذلك حجة الله... ٢١١
العلم مقرون الى العمل، فمن علم عمل و من عمل علم، و... ٢١٥
علمنى رسول‌الله الف باب من‌العلم فانفتح لى... ٣٢٠
عليكم بالتفقه فى‌دين الله ولاتكونوا اعرابا... ٢٥
العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر. ٤٤٢
العين حق. ٤٤٢
عين العلم من العلو ولامه من اللطف وميمه من المروة. ١١٠

الفرق بين الرسول والنبى والامام ان الرسول الذى... ٤٤٥
فضلت على الانبياء بست. ٤٦٠
فضل العالم على‌العابد سبعين درجة بين كل درجة... ٩٣-٩٤
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على... ٨٨

فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى. ۱۲۲
الفقهاء امناء الرسول مالم يدخلوا فى الدنيا. ۲۲۸
فلارسول بعدى ولانبى. ۴۵۰
فلايدخل الجنة الا من عرفنا و عرفناه ولايدخل النار... ۵۹۵
فماكنا ننصرف الا مع فروع الفجر. ۲۷۸
فما نزلت اية من القران على رسول الله الا اقرأنيها... ۴۰۱
فهلك اذن مؤمن ال فرعون، مازال العلم مكتوماً منذ... ۱۸۶-۲۶۵
فى قول الله عزوجل: او من كان ميتاً فاحييناه و... ۵۵۲
فى قول الله عزوجل: و آتيناهم ملكاً عظيماً قال: الطاعة المفروضة. ۵۵۷
فى قول الله عزوجل: و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيراكثيرا... ۵۵۰
فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو... ۲۹۱

قال ابوعبدالله فى قول الله عزوجل: فكيف اذا جئنا من كل امة... ۵۹۰
قال كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار. ۳۰۴
قام عيسى خطيباً فى بنى اسرائيل فقال: يا بنى اسرائيل... ۱۸۴
القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران. ۵۹
قتلوه، الا سألوا؟ فان دواء العى السؤال. ۱۶۴
قد ولدنى رسول الله وانا اعلم كتاب الله و فيه بدأ الخلق. ۳۴۶
قصم ظهرى رجلان: عالم متهتك و جاهل متنسك. ۲۰۶
قلب المؤمن، اشد تقلباً من القدر فى غليانه. ۲۰۵
قلب المؤمن بيت الله. ۵۲۷
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن... ۱۰۱-۲۰۵-۴۲۳
القلب يتكل على الكتابة. ۲۷۵
قلت اصلحك الله انا نجتمع فنتذاكر ماعندنا ... ۳۰۹

قلت لابى جعفر: اعرض عليك دينى الذى ادين الله عزوجل به... ٥٧٥
قلت لابى الحسن الرضا: الرجل من اصحابنا يعطينى الكتاب و... ٢٧٣
قلت لابى الحسن الاول بما اوحدالله؟ فقال:... ٣٠٦
قلت لابى عبدالله: اذا جاء حديث عن اولكم وحديث... ٣٧٠
قلت لابى عبدالله: ان الله اجل و اكرم من ان يعرف بخلقه... ٣٩٥
قلت لابى عبدالله: الاوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال؟... ٥٨٠
قلت لابى عبدالله: ترد علينا اشياء ليس نعرفها... ٣٠٧
قلت لابى عبدالله: تكون الارض ليس فيها امام؟ قال:... ٣٤٨
قلت لابى عبدالله: الحديث اسمعه منك ارويه عن ابيك او... ٢٧٠
قلت لابى عبدالله: يجيئنى القوم فيسمعون منى حديثكم... ٢٧١
قلت له: تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا. ٤٨٣
قلت ما طعامه؟ قال: علمه الذى يأخذ عمن يأخذه. ٢٥٦
قلت : يا رسول‌الله كم انزل‌الله من كتاب؟ قال: ٣٤٥
قليل من التوفين خيرمن كثير من العلم. ٣٩
قيل: يا رسول‌الله اى الاعمال افضل؟ قال:... ٩٤
قوموا عنى لاينبغى عندى التنازع. ٤٩٨

كان اميرالمؤمنين اماماً ثم كان الحسن اماماً ثم... ٥١٨
كان رسول‌الله يأكل الجشب. ٣٤١
الكبر ياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما... ١١٤
كتاب‌الله فيه نبأ ماقبلكم و خبر مابعدكم و... ٣٤٨
كره للصائم ان يرتمس. ٣١٤
الكمال كل الكمال: التفقه فى‌الدين والصبر... ٤٦
كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى‌النار. ٣٠٨

کل شیء مردود الی الکتاب والسنة و... ۳۷۶
کل صعار معلون. ۱۸۳
کلکم راع و کلکم مسئول عن رعیته. ۲۴۶
کل من تعدی السنة رد الی السنة. ۳۸۴
کل من دان الله عزوجل بعباده یجهد فیها نفسه... ۵۳۲
کل میسر لما خلق له. ۶۱
کنا نبور اولادنا بحب علی علیه‌السلام. ۵۱۸
کنت عند ابی‌عبدالله فورد علیه رجل من اهل الشام... ۴۰۵
کیف انتم والائمة من بعدی یستأثرون بهذا الفیء؟ ۵۰۰

لا، ابو العیال احق ان‌یحمل شیئاً الی عیاله. ۱۱۵
لاتؤتوا الحکمة غیر اهلها. ۱۳
لاتؤتوا الحکمة غیر اهلها فتظلموها. ۲۶۶
لاتؤتوا الحکمة غیر اهلها فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم. ۷۷
لاتبقی بغیر امام الان ان یسخط الله تعالی... ۴۸۸
لاتتخذوا من دون الله ولیجة فلاتکونون مؤمنین... ۳۲۱
لاتحل الصدقة لمحمد وال محمد... ۴۱
لاتخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً او... ۴۷۵
لاتعلقوا الجواهر فی اعناق الخنازیر. ۱۳۹-۱۸۵-۲۶۶
لاتماروا فی‌القران فان المراء فیه کفر. ۲۹۹
لاحسد الا فی‌اثنین: رجل اتاه الله حکمة فهو... ۳-۴-۹۵-۱۸۴
لاخیر فی‌العیش الا لرجلین: عالم مطاع و مستمع واع. ۵۰
لاخیر فیمن لایتفقه من اصحابنا... ۴۹
لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق. ۴۲۹

لاقول الا بعمل و لافول و لاعمل الا بنيه و...	٣٨١
لان يهدى الله بك رجلا و احداً خير لك مما...	٩٤
لايدخل الملائكة بيتاً فيه كلب.	١٤٠
لايذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى...	٤٨١
لايزال الدين قائماً حتى يقوم الساعة و...	٤٨٠
لايزال الاسلام عزيزاً او هذا الدين قائماً...	٤٨٩
لايزال امر الناس ماضياً ماوليهم اثناعشر رجلا.	٤٨٠
لايزال اهل الاسلام بخير ماوليهم اثناعشر خليفة...	٥٨٣
لايزال هذا الامر فى قريش مابقى منهم اثنان.	٤٨٠
لايزال هذا الدين قائماً حتى يقوم الساعة و...	٤٨٠
لايسعكم فيما ينزل بكم مما لاتعلمون الا...	٢٦٠
لايسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا و يعرفوا امامهم و...	١٧٣
لايقبل الله عملا الا بمعرفة و لامعرفة الا بعمل...	٢٠٢
لايفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله و...	٣٧٩
لايفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى...	٢٥٤
لايقضى القاضى حين يقضى و هو غضبان.	١٩
لايقوم الساعة و فى وجه الارض من يقول: الله الله.	١٥٨
لايكرن العبد مؤمنا حتى يعرف الله و رسوله و...	٥١١
لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذه بالقذه و...	٤٩٧
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة، و امالمة...	٤٥٦
لكل امرىء مانوى.	٣٨٢
للعالم اذا سأل عن شيء وهو لايعلمه ان يقول: الله اعلم...	١٩١
العلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر و...	٥٤٧
لعن الله ابا حنيفة كان يقول: قال على و قلت...	٣٠٤

لمجلس اجلسه الی من اثق به اوثق من نفسی... ۱۶۴
للناس قال: لیکن الناس عندك فی العلم سواء. ۱۸۳
لن یلج ملکوت السموات من لم یولد مرتین. ۴۱
لوان الامام رفع من الارض ساعة لما جت باهلها... ۵۰۲
لوبقی اثنان لکان احدهما الحجة علی صاحبه. ۵۰۴
لو بقیت الارض بغیر امام لساخت. ۴۸۷
لو ثبت لی وسادة لحکمت بین اهل التوراة... ۴۰۱
لوددت ان اصحابی ضربت رؤسهم بالسیاط حتی یتفقهوا. ۳۳
لو شئت لاوقرت سبعین بعیراً من تفسیر فاتحة الکتاب:... ۴۰۱
لوکان الناس رجلین لکان احدهما الامام. ۵۰۵
لو لا ان یقول الناس فیك ما قالوا فی عیسی... ۲۹۱
لو لم یبق فی الارض الا اثنان لکان احدهما الحجة. ۵۰۲-۵۰۷
لو لم یبق من الدنیا الایوم واحد لطول الله ذلك الیوم... ۴۸۱
لو لکم یکن فی الارض الا اثنان لکان الامام احدهما. ۵۰۷
لو منع الناس عن فت البعر لفتوه و قالوا... ۱۳۹
لو یعلم الناس ما فی طلب العلم لطلبوة ولو بسفك المهج و... ۸۶
لیس من اخلاق المؤمن الملق الا فی طلب العلم. ۱۴۲

ما اجد احداً احیی ذکرنا و احادیث ابی الا... ۸۰
ما احد ابتدع بدعة الاترك بهاسنة. ۳۱۷
ما احد یحدث قوماً بحدیث لایبلغه عقولهم الا... ۱۸۵-۲۶۶
ما انتجیته ولکن الله انتجاه. ۳۳۲
ما انتم لما اقوله باسمع منهم لکنهم لایقدرون علی الجواب. ۵۹
ما تصنع باحادیث جابر؟ اله عن احادیث جابر فانها اذا... ۵۱۷

ما تقرب العبد الى بشيء ما افترضته عليه، و لايزال يتقرب الى... ٣٨٥
ما خلق الله تعالى خلقاً هو اكرم عليه من العقل. ٤١٨
ما خلق الله حلالا و لاحراماً الا وله حدكحد الدار... ٣٣٠
ما ذئبان ضاريان فى غنم غاب عنها رعاؤها بأضر فى دين... ١٢٨
ما زالت الأرض الا ولله فيه الحجة يعرف الحلال والحرام و... ٤٨٠
ما ستر عنك من امرنا اكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ ١١٦
ما سمعت منى فاروه عن ابى. ٢٧١
ما عرفت شيئاً الا و قد عرفت الله قبله. ٣٩٦
ما علمتم ففولوا ومالم تعلموا فقولوا: الله اعلم... ١٩٠
ما قلعت باب خيبر بقوة انسانية بل بقوة ربانية و... ٥٦٩
ما لكم والقياس ان الله لايسأل كيف احل و كيف حرم. ٣١٣
ما لم يوافق من الحديث القران فهو زخرف. ٣٧٦
ما من احد الا وله شره وفترة، فمن كانت فترته... ٣٨٢
ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه. ١٤٧-١٥٠
ما من امر يختلف فيه الاثنان الا وله اصل فى كتاب الله... ٣٣٥
ما من رجل قريش الا و قد نزلت فيه اية او ايتان... ٥٩٥
ما من شيء الا و فيه كتاب او سنة. ٣٣١
مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق. ٥٧٧
مجالسة اهل الدين شرف الدنيا و الاخرة. ١٦٢
محادثة العالم على مزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى. ١٦١
المرء مرء باصغريه: قلبه و لسانه. ١١٠
معلم الخير اذا مات بكى عليه الطير الهواء و... ٩٣
مكتوب فى الانجيل: لاتطلبوا علم ما لاتعلمون و... ٢١٧
من اتى ذا بدعة فعظمه فانما يسعى فى هدم الاسلام. ٢٨٩

من احب ان ينظر الى عتقاء الله من الله من النار فلينظرا... ٩٣
من ادرك المشعر فقد ادرك الحج. ٢٠٢
من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب. ٢٢٦-٢٢٧
من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعداً. ٢١٢
من استعان بغير الله ذل. ٣٢١
من افتى الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة... ١٨٩
من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه... ٢٩٥
من تحاكم اليهم فى حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت و... ٣٧١
من تعلم العلم و عمل به و علم لله دعى فى ملكوت السموات عظيماً. ١١٢
من جائه الموت و هو يطلب العلم ليحيى به الاسلام... ٩٣
من حفظ على امتى اربعين حديثاً مما يحتاجون اليه فى امر دينهم... ٢٤٩
من حفظ عنا اربعين حديثاً من احاديثنا بعثه الله... ٢٥٠
من حفظ عنى من امتى اربعين حديثا فى امر دينه يريد به... ٢٥٠
من حفظ من احاديثنا اربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة... ٢٤٩
من حفظ من امتى اربعين حديثاً من السنة كنت له... ٢٥٠
من خالف كتاب الله و سنة محمد فقد كفر. ٣٧٧
من خرج يطلب باباً من العلم ليرد باطلا الى حق او... ٩٤
المنذر لكل زمان مناهاد يهديهم الى ما جاء به النبى... ٦٠٨
من رآنى فقد رأى الحق. ٥٦٩
من زار قبر اخيه المؤمن فجلس عند قبره و... ٢٨
من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقا فى الجنة. ٦٨
من صام الدهر فلاصام ولا ال. ٥٦
من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى... ٩٣
من طلب العلم فهو كالصائم نهاره... ٩٣

من طلب العلم ليباهى به‌العلماء اويمارى به‌السفهاء، او... ۲۲۹
من طلب العلم ليحدث به‌الناس ابتغاء وجه الله... ۹۴
من عرف انا لانقول الا حقاً فليكتف بما يعلم منا. ۳۶۴
من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت. ۵۰
من علم باب هدى فله مثل اجر من عمل به لا... ۸۲
من علم خيراً فله مثل اجر من عمل به. ۸۰
من علم علماً فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار. ۱۸۱
من علم علماً فكتمه الجمه يوم القيامة بلجام من‌النار. ۲۶۶
من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم. ۲۱۳
من عمل بالمقائيس فقد هلك و اهلك و... ۱۹۷
من عمل على غير علم كان مايفسد اكثر مما يصلح. ۲۰۵
من فتنه العالم ان يكون‌الكلام احب اليه من الاستماع. ۲۳۵
من فرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه... ۲۷۲
من كان فعله لقوله موافقاً فائبت له الشهادة... ۲۱۸
من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار. ۱۳۹-۱۸۵
من كنت مولاه فهذا على مولاه ومن... ۵۱۹
من مات فى‌المدينة بعثه الله فى الامنين يوم القيامة... ۱۸۸
من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية. ۴۷۲-۵۰۱
من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية. ۴۷۴-۴۷۶
من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً من دون... ۲۷۲
من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره فى‌التباس و... ۳۱۴
منهومان لايشبعان: طالب دنيا و طالب علم... ۲۲۴
من يوازرنى على هذا الامر يكن اخى و وصيى و وزيرى... ۵۸۲
مولى كل مؤمن و مؤمنة. ۵۹۳

المهدى من عترتى من ولد فاطمة. ۴۸۱
الناس اعداء لماجهلوا. ۱۴۳
الناس ثلاثة: عالم و متعلم و غثاء. ۶۲
الناس على ثلاثة اصناف: عالم و متعلم وغثاء... ۵۸۵
الناس كلهم موتى الا العالمون. ۱۰۱
الناس كمعادن الذهب و الفضة. ۴۴
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. ۵۹
النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت... ۴۳۵
نحن الامة الوسطى ونحن شهداء الله... ۵۹۶
نحن الذين فرض الله طاعتنا، لايسع الناس معرفتنا و لا... ۵۷۰
نحن الراسخون فى العلم. ۵۹۴
نحن على الاعراف، نحن نعرف انصارنا بسيماهم و... ۵۳۶
نحن قوم فرض الله طاعتنا و انتم تأتمون بمن... ۵۵۷
نحن قوم فرض الله عزوجل طاعتنا، لنا الانفال و... ۵۶۲
نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم. ۱۳۸-۴۸۲
نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم... ۱۸۵-۲۶۶
نحن ولاة امرالله و خزنة علم‌الله و عيبة وحى‌الله. ۶۱۶
نضرالله امرىء سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها. ۲۷۰
النظر الى وجه العالم عبادة. ۳
نعم الهدية ونعم العطية كلمة حكمة تسمعها. ۹۵
نعم وزير الايمان العلم ونعم وزير العلم الحلم و نعم... ۲۴۰
والله انى لاعرفه يا سليم حيث يبايع بين الركن والمقام. ۲۰۹

والله ماترك الله ارضاً منذقبض ادم الا وفيها... ٤٨٥
والله ماصاموا لهم ولاصلوا لهم ولكن احلوا لهم... ٢٨٥
و ترك كل شائبة اولجتك فى شبهة او اسلمتك... ٢٥٩
وجدت علم الناس كله فى اربع: اولها ان تعرف ربك... ٢٦١
ودع القول فيما لاتعرف والخطاب فيما لاتكلف و... ٢٥٩
الوقوف عندالشبهة خيرمن الاقتحام فى الهلكة و... ٢٥٨
ويحك انى فعلت ذلك ان حريزاً جرد السيف... ١٦٦
ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار. ٢٣١
ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشرمع الجهال... ١٠٠

هل عرفت امامك؟ قال، قلت: اى، والله قبل ان اخرج من الكوفة... ٥٥١
هم قوم وصفوا عدلا بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره ٢٣٣
هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لايزيد... ٢٦٨
هوالوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون ٤٩٣

يا ابا عبدالله الا اخبرك بقول الله عزوجل: من جاء... ٥٥٤
يا ابان: ناظر اهل المدينة، فانى احب ان يكون مثلك... ٣٣-١٩٥
يؤتى بالعالم فيلقى فى النار فيندلق اقتابه... ٢١٢
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه... ١٢٠
يؤتى بمداد طالب العلم و دم الشهداء يوم القيامة... ٩٤
يا احمد، قلت: لبيك. قال: انه لماقبض رسول الله... ٧٨
يا اسحق بلغنى ان الناس يقولون انا نزعم ان الناس عبيدلنا... ٥٦٨
يابن ميمون، كم انتم بمكة؟... ٦٨
يا بنى، اختر المجالس على عينك فان رأيت قوماً يذكرون الله... ١٥٩

يا بنى اسرائيل، لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به و... ٢١٣
يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد. ٢٣٠
يا داود: قل لاحبار بنى اسرائيل و رهبانهم: حادثوا من الناس... ٩٩
يا ذريح دع ذكر جابر، فان السفلة اذا سمعوا شنعوا و... ٥١٧
يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته... ١٦١
يا زرارة ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم، ولو... ٣٦٣
يا زياد ماتقول لو افتينا رجلا ممن يتولانا بشيء من التقية؟ ٣٦٢
يا طالب العلم، ان العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع و... ٢٣٨
يا عبدالرحمن كلم اهل المدينة، فانى احب ان يرى... ١٨٨
يا على، انا وانت ابوا هذه الامة. ٥٦١
يا على ركعتان يصليها العالم افضل من الف ركعة... ٣
يا على لافقر اشد من الجهل و لاعبادة مثل التفكر. ٣
ياعلى من حفظ من امتى اربعين حديثاً يطلب بذلك... ٢٥٠
يا على نوم العالم افضل من عباده العابد. ٣
يا عيسى: عظم العلماء و اعرف فضلهم و... ١٠٠
يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال. ٩٥
يا كميل مات خزان الاموال، والعلماء باقون مابقى الدهر... ٤٧٧
يا معشر العلماء، ماظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا ان ترحمنا و... ١٠٠
يا ويحك فهل رأيت فقيهاً قط؟ ان الفقيه. ٣٧٩
يبعث الله عباده يوم القيامة ثم يميز العلماء... ٩٣
يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وانت... ٥٤٩
يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى فيخلون... ٤٩٩
يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء. ٨٩-١٠١
يعنى بالعلماء من صدق فعله و قوله و... ١٢٣

يغدو الناس على ثلاثة اصناف عالم و متعلم وغثاء... ۶۶
يقتدى به المؤمن و يخشع له القلب. ۱۱۶
يكتحل الصائم و يرتمس ولا يغتمس. ۳۱۴
يكون بعدى اثنى عشر اميراً. ۴۸۰
يكون فى اخر الزمان عباد جهال و علماء فساق. ۲۱۲
يوشك الناس يسألون نبيهم حتى يقولوا:... ۳۳۴

٩٩
٩١١
٩١٦
٠٨٢
٢١٦
٢٦٦

فهرس الاعلام

ادم عليه السلام : ۴۹ - ۹۶ - ۱۰۸ - ۱۳۹ - ۱۸۱ - ۱۸۲ - ۲۰۰ - ۲۳۵ - ۳۱۶ - ۳۱۷ - ۳۱۸ - ۳۲۴ - ۴۲۸ - ۴۳۳ - ۴۵۸ - ۴۷۵ - ۴۹۶ - ۵۱۶

اصف [بن برخیا] : ۵۲۴

ال ابراهیم: ۹۰ - ۴۷۵ - ۵۵۹ - ۵۶۴ - ۵۶۶

ال ابوسفیان : ۴۲

ال رسول صلی‌الله علیه واله: ۶۰۵

ال عمران: ۴۷۵

ال فرعون: ۵۹ - ۱۸۶ - ۲۶۶ - ۴۹۲

ال محمد صلی‌الله علیه واله : ۵۶۶

ال النبی صلی‌الله علیه واله: ۴۱

الامدی [سیف الدین ابوالحسن علی بن-محمد ۵۵۱-۶۳۱ ه.ق فقیه حنبلی ثم الشافعی، صاحب الاحکام فی اصول الاحکام و ابکار الافکار] : ۴۹۸

ابراهیم بن اذهم [بن منصور] : ۱۹۳

ابراهیم بن عبدالله بن الحسن علیه السلام: ۴۲۹

ابراهیم التیمی : ۱۹۳

ابراهیم خلیل علیه السلام : ۱۰۹ - ۳۴۵ - ۳۸۹ - ۴۰۵ - ۴۰۷ - ۴۱۹ - ۴۲۴ - ۴۲۵ - ۴۳۱ - ۴۳۳ - ۴۳۴ - ۴۴۶ - ۴۴۹ - ۴۵۳ - ۴۹۹ - ۵۰۰ - ۵۰۱ - ۵۲۴ - ۵۳۹ - ۵۶۴ - ۵۸۴ - ۵۸۵ - ۵۹۲ - ۵۹۳ - ۶۰۲ - ۶۰۵

ابرهة بن الحرث (ملك الیمن) : ۵۲۳

ابن ابی الجعد : ۹۹

ابن اثیر [عزالدین علی بن‌محمد، المتوفی ۶۳۰ ه.ق] : ۱۷۸ - ۲۷۸ - ۲۹۸ - ۳۰۰ - ۳۲۱ - ۴۶۵ - ۵۱۹ - ۵۸۲

ابن اذینة [عمر] : ۵۷۱

ابن‌الحکم: ۴۰۹ و انظر: هشام بن‌الحکم

ابن حکیم [محمد] : ۳۰۵

ابن زهير البجلي : ۵۳۶
ابن سينا (ابوعلي [حسين بن عبدالله ... ۳۷۰ - ۴۲۸ هـ. ق]) : ۱۷۵ - ۴۰۰ - ۴۸۲
ابن سيرين [محمد بن... البصري] : ۲۶۹
ابن شبرمة الضبي الكوفي : ۳۱۱
ابن عامر الجهني: ۹۳ - ۹۴
ابن عباس : ۲ - ۱۴۲ - ۱۵۵ - ۱۹۰ - ۲۳۵ - ۲۳۷ - ۲۵۰ - ۲۶۹ - ۲۷۷ - ۲۹۴ - ۳۰۱ - ۴۰۰ - ۴۵۳ - ۴۹۰ - ۴۹۱ - ۴۹۸ - ۴۹۹ - ۵۱۸ - ۵۳۷ - ۵۶۲ - ۵۶۴ - ۵۸۱ - ۵۹۹ - ۶۰۰ - ۶۰۱
ابن عبدالحكيم : ۱۷۹
ابن الكوا (عبدالله ... من جملة رؤساء الخوارج ، المارقين) : ۵۳۶ - ۵۳۷ - ۵۴۲
ابن المبارك (عبدالله) : ۹۸ - ۶۰۱
ابن مسعود [عبدالله، صحابي] : ۹۴ - ۹۷ - ۱۹۳ - ۲۶۸ - ۴۰۰ - ۵۴۰ - ۵۶۳
ابن ملجم : ۴۹۹
ابن هبيرة : ۴۲۹
ابو بصير: ۲۸۲ - ۳۱۲ - ۶۱۰ - ۶۱۱
ابوبكر [بن ابي قحافة، المتوفى ۱۳ هـ. ق ۶۳۴ م] : ۲۶۴ - ۴۲۵ - ۴۶۹ - ۴۹۱ - ۴۹۳
ابوبكر الاصم : ۴۶۹
ابوبكر الرازي [ابوبكر محمد بن زكريا بن يحيى...] : ۲۶۹
ابوجعفر الاحول : انظر : الاحول
ابوجعفر عليه‌السلام: انظر: ابوجعفر محمد بن علي باقر عليه‌السلام
ابوجعفر محمد بن‌علي بن‌بابويه : ۲۵۰ و انظر: الصدوق
ابوجعفر محمد بن علي باقر عليه السلام : ۱۸۵ - ۱۸۶ - ۳۱۴ - ۳۷۳ - ۴۱۴ - ۴۱۵ - ۴۱۶ - ۴۹۲ - ۵۱۲ - ۵۶۲ - ۵۷۰ - ۵۷۱ - ۵۷۹ - ۶۰۷
ابوجعفر المنصور (المنصور الدوانيقي [الخليفة العباسي ۲ من ۱۳۶ الى ۱۵۸ هـ. ق]) : ۳۱۱ - ۴۲۹ - ۵۲۰
ابوجهل [عمرو بن هشام بن مغيرة الملقب بـ«ابوالحكم»] : ۴۹۲
ابوحامد الغزالي : راجع الغزالي
ابوالحسن عليه‌السلام [امام النقي] : ۵۰
ابوالحسن البصري : ۴۶۹ و راجع الحسن البصري
ابوحنيفة [نعمان بن‌ثابت، فقيه و مؤسس المذهب الحنفي ۸۰-۱۵۰ هـ. ق]: ۱۹۹ - ۲۷۴ - ۲۸۵ - ۳۰۶ - ۴۲۹ - ۵۲۰
ابوالدرداء : ۲۳۴
ابوذر [جندب بن جنادة الغفاري، من مشاهير كبار الصحابة المتوفى ۳۲ هـ. ق] : ۱۲۱ - ۳۴۵ - ۴۹۳ -

٥٠٠ - ٥٤٧
ابوزيد [سعيد بن اوس الانصارى، نحوى و اللغوى المتوفى ٢١٤ هـ . ق] : ١٧٧
ابوسعيد الخدرى : ١٠١
ابوصالح : ٥٨١
ابوطالب المكى : ٥
ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ٣ - ٤٩ - ١٨١ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٩١ - ٣١٢ - ٣٧٣ - ٤٠١ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤٢٤ - ٤٣١ - ٤٩٢ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٦٢ - ٥٧٢ - ٥٨٢ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ و فى اكثر مواضع الكتاب
ابوعبدالله المازرى (شارح صحيح المسلم) : ٤٦٥
ابوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى : انظر: البخارى
ابوعبيد : ١٧٧
ابوعمرو: ١٦٢
ابوقبيس : ٩٣
ابوالمؤيد الخوارزمى : ٥٨١
ابومجاز (او ابومجلز) : ٥٣٨
ابوالمقدام : ٥٧١
ابوموسى الاشعرى [عبدالله بن قيس] : ٩٣
ابونصر [محمد بن محمد الفارابى، ٢٦٠ - ٣٣٩ هـ . ق] : ٤٠٠
ابوواقد : ٩٤
ابوهريرة [الصحابى، المتوفى ٥٧ هـ. ق]: ٣٣ - ٩٣
ابويزيد البسطامى [طيفور بن عيسى المتوفى فى سنة ٢٦١ او ٢٦٤ هـ . ق] : ٤٤ - ٥٢٠ - ٥٢١
ابويوسف : ٢٧٤
ابى ابن كعب [الملقب بسيد القراء ، الصحابى الانصارى المتوفى ٢١ هـ . ق] : ٦٠٢
الاحنف [بن قيس، من كبار العرب واسيادهم فى اوائل الاسلام و من انصار على عليه السلام فى وقعة صفين المتوفى ٦٧ هـ . ق] : ٩٩
الاحول (ابوجعفر الاحول او مؤمن الطاق) ٤١٢ - ٤١٤ - ٤١٥
احمد بن حنبل : ٤٦٥ - ٥٨٢
الاحياء : انظر: احياء علوم الدين
احياء علوم الدين : ٣ - ٥ - ١٨ - ١١٦ - ١١٨ - ١٢٩ - ١٩٣ - ٣٨٠ - ٤٢٣ - ٤٢٩ - ٤٥٧
الادريس - ادريس النبى عليه السلام - : ٣٨ - ٣٤٥
ارسطا طاليس : انظر: ارسطو
ارسطو : ١٠٢ - ١٠٣ - ٤٠٠
الازد : ٢٣١
الازهرى [ابومنصور محمد بن احمد الهروى، من علماء اللغة : المتوفى ٣٧٠ هـ . ق] : ١٣٢
اسامة بن زيد [من كبار الصحابة الرسول (ص) المتوفى ٥٤ هـ] : ١١٩ - ٢١٢

اسحق عليه السلام : ٤٣١ – ٥٢٤
اسكندر : ٥٢٤
اسكندر الافروديسى : ١٠٣
اسكندر الرومى [المقدونى ٣٥٦ – ٣٢٤ ق.م] : ٩٩ – ١٠٢
اسمعيل عليه السلام : ٥٩٣
الاشارات : ١٢٠
الاشاعرة – مذهب الاشعرى – : ٣١٣ – ٣٩١ – ٤٧٢
الاشعرى [ابو الحسن على بن اسماعيل البصرى] : ٤٧٢
الاشراقيين : ٧٤ – ٤٢٣
اصبغ بن نباته : ٣٩
الاصطلاحات : انظر : اصطلاحات الصوفية
اصطلاحات الصوفية [كتاب لعبد الرزاق القاسانى] : ٦٧ – ٤٥٥
الاعشى [ميمون بن قيس] : ٦٠
افلاطون – افلاطن – : ١٠٢ – ١٠٣ – ٤٠٠
ام زرع : ٥٥
امير المؤمنين عليه السلام : ٣٩ – ١١٥ و انظر : على بن ابى طالب عليه السلام
انجيل اهل البيت عليهم السلام (اى صحيفة السجادية) : ٥١٩
الانجيل : ١٠٠ – ٣٤٥ – ٤٥٩ – ٤٩٧
انجيل لوقا : ٤٩٧
انجيل مارقوس : ٤٩٧
انجيل متى : ٤٩٧
انجيل يوحنا : ٤٩٧
انس [بن مالك الانصارى] : ٩٣ – ٢٥٠ – ٢٦٤ – ٣٣٤
اهل بيت النبوة : ٤٢ – ٤٣ – ٥٥ – ١٤٢ – ١٥٥ – ٣٠٣ – ٣٧١ – ٤١٤ – ٤٥٤ – ٤٦٤ – ٤٨٩ – ٤٩٠ – ٤٩٦ – ٥٠٠ – ٥٠١ – ٥١٣ – ٥١٤ – ٥٢١ – ٥٢٣ – ٥٢٨ – ٥٣٢ – ٥٥٥ – ٥٦٢ – ٥٦٤ – ٥٦٥ – ٥٧١ – ٥٧٧ – ٥٩٠ – ٥٩٩ – ٦١٤
ايوب عليه السلام : ٥٢٤
الباقر عليه السلام : ٤١٤ و راجع : ابو جعفر محمد بن على باقر عليهما السلام
البتول عليها السلام : ٥٦٦ و انظر : فاطمة عليها السلام
البخارى (الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل [صاحب جامع الصحيح ١٩٤–٢٥٦ هـ ق]) : ٤٩٨
بدر : ٥٩ – ٩٢ – ١٣٦ – ٥٦٢ – ٥٦٣
برهان قاطع : ٧٥
بشر بن الحارث : ١٩٤
بصائر الدرجات : ١٨٥ – ١٨٦
البصرة : ١٨٥
البلاذرى [احمد بن جابر، مؤرخ عربى المتوفى ٢٧٩ هـ ق] : ٤٩٨
بلعم بن باعور : ١٢٠ – ٥٦٤
بنى اسرائيل : ٩٩ – ١٨٤ – ٢١٣ – ٤٢٥ – ٤٨٠ – ٤٨١ – ٤٢٩ – ٦١٤

بنی امیة : ۳۵۸ – ۴۲۹ – ۴۹۰ – ۴۹۱ – ۴۹۲ – ۶۰۱
بنی العباس : ۴۷۲ – ۵۲۰
بنی عبدالمطلب : ۵۸۱
بنی المطلب : ۴۱
بنی المغیرة : ۶۰۱
بنی هاشم : ۴۱
بیضاوی [القاضی ناصرالدین عبدالله بن‌عمر] : ۴۹۲

تبوك : ۵۸۲ – ۶۰۱
تحف العقول : ۲۸۱
الترك : ۳۴۰
التفتازانی [سعدالدین مسعود بن‌عمر ۷۲۲ – ۷۹۷ ه . ق] : ۴۹۵
التفسیر الکبیر ـ الکبیر ـ [کتاب «مفاتیح الغیب» المعروف بـ«التفسیرالکبیر» تألیف فخرالدین الرازی] : ۱۵۶ – ۳۲۵ – ۳۲۶ – ۴۲۵ – ۴۲۸ – ۴۲۹ – ۴۳۰ – ۴۹۰
تلخیص المحصل : ۴۷۱
التوراة : ۹۹ – ۱۲۰ – ۲۴۷ – ۲۵۶ – ۳۴۵ – ۴۰۱ – ۴۵۹ – ۴۹۷
التهذیب [او «تهذیب الاحکام» تألیف ابو-جعفر محمد بن‌حسن بن‌علی الطوسی الملقب بـ«شیخ الطائفة»] : ۲۸۰
التیه [الصحراء الواقعة بین المصر و الفلسطین] : ۵۴۱

جابر [بن عبدالله الانصاری، الصحابی] : ۵۲۰ – ۵۷۱
الجاحظ [ابوعثمان ۱۶۰ – ۲۵۵ ه] : ۴۶۹
جامع الجوامع : ۴۹۲
الجامع الصغیر : ۴۶۵
الجبائی [ابوعلی] : ۵۴
الجبرئیل : ۳۱۹ – ۳۹۲ – ۴۴۵ – ۴۴۸ – ۴۴۹ – ۴۵۰ – ۵۹۷
جعفر بن‌محمد الصادق علیه‌السلام : ۴۱۴ و انظر: ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق علیه‌السلام
الجوهری [ابونصر اسماعیل] : ۱۹۲ – ۵۲۳

حارثة الانصاری [بن مالك] : ۵۴۱ – ۵۹۹
الحاکم [ابو عبدالله محمد بن عبدالله النیشابوری ۳۲۱–۴۰۵ ه . ق] : ۴۶۵ – ۴۹۳
حجاج بن یوسف [ابومحمد حجاج بن-یوسف الثقفی ۴۵–۹۵ ه] : ۴۹۴
الحجاز : ۵۲۰
الحدیبیة : ۴۹۸
حذیفة : ۱۲۱ – ۲۳۶ – ۴۰۰ – ۵۴۰
حروری [= حروراء ، قریة بالقرب من الکوفة] : ۵۳۶
حسان بن ثابت : ۵۸۱
الحسن : ۹۳ – ۹۴ و انظر: حسن‌البصری
حسن البصری : ۹۳ – ۹۴ – ۱۲۹ – ۱۸۵ – ۱۸۶ – ۲۶۵ – ۲۶۶ –

٤٦٩ – ٤٩١ – ٤٩٢ – ٥٣٧ – ٥٦٢
حسن بن على عليه‌السلام : ١١٦ – ٢٥٩ – ٤٩٠ – ٥١٩ – ٥٢١ – ٥٦٦ – ٥٧٩
حسين بن على عليه‌السلام : ٩٦ – ٤٨٠ – ٤٨١ – ٤٩٠ – ٤٩٢ – ٤٩٨ – ٤٩٩ – ٥١٩ – ٥٢١ – ٥٦٦ – ٥٧٩
الحكم: ٤٩٠ وانظر: الحكم بن ابى العاص
الحكم بن ابى العاص : ٤٩٠ – ٤٩١ – ٤٩٢ – ٤٩٣
حكمة الاشراق : ٧٤
حمران بن اعين : ٤١٠ – ٤١٢
الحنابلة : ٢٦٦
حنان بن سدير : ٢٥٠
الحنفية : ١٢٦
حواء عليها السلام : ٩٦ – ١٣٩
حيوة الحيوان (كتاب لحافظ الدميرى الشافعى) : ٤٩٣ – ٤٩٤

خراسان : ٤١٥ – ٥٢٠
الخصال : ٢٥٠ – ٣٤٥
الخضر : ٣٣٤ – ٤٣٤ – ٥٢٤
خطيب الرازى : ٣٢٥ و انظر: الرازى
الخوارج: ٢٨٧ – ٢٩٤ – ٤٦٩ – ٥٣٦
الخوارزمى (ابوالمؤيد) : ٥٨١
خيبر : ٥٦٩

داود عليه‌السلام : ٩٩ – ٥٢٤
دحية [الكلبى] : ٣٩٢
دمشق : ٤٩٤ – ٤٩٥
الدميرى الشافعى : ٤٩٣ – ٤٩٤

ذريح [ابن محمد بن يزيد ابوالوليد] : ٥٢١
الذهبى [شمس‌الدين ابوعبدالله محمد بن احمد ، المتوفى نحو ٧٤٦ او ٧٤٨] : ٥٢٠
ذيمقراطيس : ١٠١

الرازى [فخرالدين محمد بن عمر بن حسين المعروف بامام الرازى] : ١٥٦ – ٣٢٥ – ٤٢٥ – ٤٩٠ – ٥٢٠
الربذة : ٤٩٣
رسالة اداب المتعلمين : ١٤٤
رسالة الذهبية : ١٠٣
رسول‌الله صلى‌الله عليه واله : انظر: محمد صلى‌الله عليه واله

زبور (داود عليه‌السلام) : ٩٩ – ٣٤٥ – ٥٢٤
زبور آل محمد (= صحيفة السجادية) : ٥١٩
الزجاج [ابو اسحق ابراهيم بن محمد المتوفى ٣٠١ هـ. نحوى] : ٥٣٧
زرارة [بن اعين] : ٥١٤ – ٥٧٠
الزمخشرى [جار الله ، ابوالقاسم محمود بن عمر... الخوارزمى ٤٦٧–٥٣٨ هـ] : ٣٥٨ – ٤٩٠ – ٤٩٥ –

۵۱۹ – ۵۹۴
زید : انظر: زید بن علی بن الحسین علیهما السلام
زید بن ثابت : ۱۴۲ – ۴۰۰
زید بن عاصم المحاربی : ۵۳۶
زید بن علی بن الحسین علیهما السلام : ۴۱۴ – ۴۱۵ – ۴۱۶ – ۴۲۹
زین العابدین علیه السلام : ۱۱۶ و انظر: علی بن الحسین علیه السلام
زین الملة والدین [زین الدین العاملی - الشهید الثانی] : ۱۴۴
زینون الکبیر : ۱۰۳

السامری : ۳۸۹
السجاد علیه السلام : ۴۱۴ و انظر : علی بن الحسین علیه السلام
سعد الدین الحموی : ۴۲۴
سعید بن مسیب : ۴۹۰
سعید بن یسار : ۴۹۲
سفیان الثوری [سفیان بن سعید... الکوفی المتوفی ۱۶۱ ه.] : ۱۹۳ – ۱۹۴
سقراط : ۱۰۱
سقیفة : ۲۶۴ – ۴۹۹
سلمان [الفارسی]: ۱۱۶ – ۳۵۵ – ۵۴۷
سلیمان علیه السلام : ۸۸ – ۵۲۴
سلیم بن قیس [الهلالی] : ۲۸۱ – ۳۵۵
سنان بن طریف : ۶۱۲
السهروردی (شیخ شهاب الدین...) : ۷۴
سهل بن سعید : ۴۹۲
السید الداماد [میر محمد باقر بن محمد المشتهر بـ«میر داماد» المتوفی ۱۰۴۰ او ۱۰۴۱] : ۵۰۳
سید مرتضی : ۴۱۱
سید المرسلین : ۵۹ و انظر: محمد صلی الله علیه واله
السیوطی : ۴۶۵

شارح المشکوة : انظر: الطیبی
الشافعی [محمد بن ادریس، امام و مؤسس المذهب الشافعی ۱۵۰–۲۰۴ ه.]: ۴۱ – ۵۱۹
الشام : ۵۲۰
الشرح : انظر شرح الفصوص للقیصری
شرح الفصوص (للقیصری) : ۴۵۳ – ۴۵۵ – ۴۵۷
شرح الفصوص (للمؤید الدین الجندی) : ۴۳۲
شرح المشکوة : ۴۶۵
شرح المقاصد : ۴۹۵
الشعبی : ۱۴۲ – ۱۹۳ – ۳۱۴
الشعرانی [العلامة ابوالحسن] : ۲۵۵ – ۲۸۰ – ۵۶۳
الشفاء : ۴۸۲
الشهرستانی (محمد بن عبدالکریم [۴۷۹–۵۴۸ ه.]): ۲۸۳ – ۲۸۵ – ۴۹۶
شیث علیه السلام : ۳۴۵
شیخ ابوعلی الطبرسی : انظر: الطبرسی
الشیخ بهاء الدین محمد عاملی : ۲۵۵
الشیخ الرئیس : ۴۸۲ و انظر: ابن سینا
الشیخ الغزالی : ۴۲۳ و انظر: الغزالی

الشیخ الیونانی [ای فلوطین الاسکندرانی]: ۱۰۲

صاحب کتاب الکافی : ۵۷۲ و راجع : الکلینی
صاحب الطاق : ۴۱۴ وانظر: الاحول
صاحب الکشاف: ۴۹۵ وانظر: الزمخشری
الصادق علیه السلام: انظر: ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق علیه السلام
صالح بن کیسان البصری : ۲۳۴
الصحاح [کتاب للجوهری] : ۱۷۷ – ۵۲۳
صحیح البخاری : ۴۹۸
صحیح المسلم : ۶۲ – ۴۹۸
الصحیفة الرضویة : ۴۶۵
الصحیفة السجادیة : ۵۱۹
صدرالدین القونوی : ۴۳۲
الصدوق (ابوجعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمی) : ۳۹ – ۲۵۰ – ۲۵۱ – ۳۴۵
الصین : ۴ – ۷۶

الضحاك : ۲۳۵ – ۶۰۱

الطائف : ۴۹۳
الطبرسی (ابوعلی [فضل بن الحسن الملقب بـ«امین الاسلام» المتوفی ۵۴۸ هـ]) : ۴۹۲ – ۵۶۲ – ۵۶۳
الطبری (ابن جریر [۲۲۶ – ۳۱۰ هـ]) : ۵۸۲
الطیبی ـ شارح المشکوة ـ : ۴۶۵ – ۴۸۱

عامر الجهنی : ۹۴ و راجع: ابن عامر
عائشة : ۴۹۱ – ۴۹۳
عباد بن عبدالله الاسدی : ۵۹۵
عبدالرحمن بن ابوبکر : ۴۹۳
عبدالرحمن بن ابی لیلی : ۱۹۴
عبدالرحمن بن عایش : ۴۵۳
عبدالرحمن بن عوف : ۴۹۳ – ۶۰۱
عبدالرزاق القاسانی (کمال الدین) : ۶۷ – ۴۵۵
عبدالملك بن مروان : ۴۹۳
عبدالله ابن ابی : ۳۵۸
عبدالله بن حرث : ۵۴۰
عبدالله بن الحسن علیه السلام : ۴۲۹
عبدالله بن سلام : ۵۸۱
عبدالله بن سلمان : ۱۸۵
عبدالله بن عباس : ۴۹۸
عبدالله بن عمر : ۴۹۸
عبدالله بن الکوا : ۵۳۶ و انظر: ابن الکوا
عبدالله بن مسعود : ۱۹۳ و راجع ابن مسعود
عتاب بن الاعور : ۵۳۶
عثمان : ۴۷۲ – ۴۹۳ – ۴۹۵
عثمان الاعمی : ۱۸۵
العراق : ۵۲۰
العرب : ۶ – ۱۹ – ۳۶ – ۱۱۶ – ۲۴۳ – ۳۳۸ – ۳۴۰ – ۳۴۲ – ۳۶۵ – ۳۹۸ – ۳۹۹ – ۴۰۴ – ۴۳۹ – ۴۸۱ – ۵۱۰

عزير : ٣٤٠
عطاء : ٤٩٠ – ٥٦٢
عقيل بن ابى‌طالب : ٤٠٩
عكرمة : ٥٦٢
علامة الحلى : ٢٧٢
علقمة الثقفى : ٥١٩
على بن ابى طالب عليه‌السلام : ٣ – ٣٩ – ٦٦ – ٩٤ – ٩٥ – ١٠١ – ١١٠ – ١١٥ – ١١٦ – ١٣٤ و من هنا يرد اسمه عليه‌السلام فى اكثر مواضع الكتاب
على بن الحسين سيد الساجدين و زين العابدين عليه‌السلام : ١١٦ – ٢٦٦ – ٤١٤ – ٤٩٢ – ٥١٩ – ٥٧٩
على بن موسى الرضا عليه السلام : ٤٦٢ – ٥٢٠ – ٥٢١
عمار : ٢
عمر بن‌الخطاب : ٥٩ – ٢٦٥ – ٤٠٠ – ٤٢٥ – ٤٩١ – ٤٩٣ – ٤٩٨ – ٥١٩ – ٦٠١
عمر بن عبدالعزيز [بن مروان المتوفى ١٠١ هـ] : ٤٨٩ – ٤٩٣ – ٤٩٤
عمرو بن مرة الجهنى : ٤٩٣
عيسى بن مازن : ٤٩١
عيسى بن مريم عليه‌السلام : ٤١ – ٦١ – ١٠٠ – ١١٩ – ١٣٢ – ١٦١ – ١٨٤ – ٢٣٤ – ٢٩١ – ٣٣٨ – ٣٤٠ – ٣٥٠ – ٤٢٥ – ٤٣٣ – ٥٢٤ – ٥٢٩ – ٦٠٦
عيون اخبار الرضا : ٤٦٥

غدير خم ـ خم ـ ٤٦٤ – ٥٨٢
الغزالى (ابوحامد محمد) : ١٨ – ٩٥ – ١١٦ – ١٢٩ – ١٩٣ – ١٩٩ – ٣٨٠ – ٤٢٣ – ٤٢٩ – ٤٥٧
غسان الكوفى : ٢٨٤ – ٢٨٥

فاطمة عليها‌السلام: ٤٨١ – ٥٢١ – ٥٦٦
فتح الموصلى : ٩٨
الفتوحات : انظر: الفتوحات المكية
الفتوحات المكية : ٤٤ – ٤٦٠
فخر الرازى : انظر: الرازى
الفراء [ابوزكريا يحيى بن‌زياد الكوفى، نحوى] : ٥٤٠ – ٦٠٢
الفرس : ٧٤ – ٣٤٠
فرعون : ١٠٩
الفصوص : انظر: فصوص الحكم
فصوص الحكم : ٤٥٦ – ٤٥٧
فضيل بن عياض : ١٩٤
الفكوك : ٤٣٢
فيثاغورس : ٩٩ – ١٠٣

القائم المهدى سلام الله عليه : ٥١٠ و انظر : المهدى سلام الله عليه
القاسم بن فضل : ٤٩١
القاضى الباقلانى : ٥٤٠
القاضى [اى قاضى عبدالجبار المعتزلى] : ٤٩١
القاضى عضد (صاحب كتاب المواقف) :

٥٢١
القاموس : ٣٢١
القبسات (لسيد الداماد) : ٥٠٣
القرآن الكريم ـ كتاب الله العزيز ـ : ٧ ـ ١٣ ـ ١٩ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٤٣ ـ و من هنا يرد اسمه العزيز فی اكثر مواضع الكتاب
قريش : ٤٨ ـ ٣٤٣ ـ ٤٨٠ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٩ ـ ٥٨٣ ـ ٥٩٢ ـ ٥٩٥
قيس بن الماصر : ٤١٠ ـ ٤١٢
قيصر : ٤٩٣
القيصری [داود بن محمود] : ٤٥٧

الكاظم عليه السلام [ابو ابراهيم موسى بن جعفر عليه السلام] : ٣٧٣ ـ ٥٧٥
الكامل فی التاريخ : ٥٨٢
الكبير : ١٥٦ و راجع : التفسير الكبير
كتاب الاربعين (لفخر الدين الرازی) : ٥٢٠
كتاب التوحيد (للصدوق) : ٣٩
كتاب الجامعة : ٣١١ ـ ٣١٢ ـ ٤١٥
كتاب الجفر : ٣١١ ـ ٤١٥
كتاب الرسائل : ٦١٢
كتاب الكافی : ٥٧٢
كتاب مسلم : ٦٢ و راجع : صحيح المسلم
كتاب الوافی [للمولى محسن الملقب بـ«فيض»] : ٢٨٠
كتاب هياكل النور (للسهروردی) : ٧٥
الكشاف [عن حقائق التنزيل تأليف جار الله الزمخشری] : ٤٩٥ ـ ٥١٩
كشف الغمة : ٥٨١ ـ ٥٩٥
كعب بن عجزة : ٥٠٠
الكعبة : ٢٨٤
الكعبی : ٤٦٩
الكلبی [ابو منذر هشام بن محمد بن سائب بن بشر المتوفی ٢٠٦ هـ.] : ٦٠١
الكلينی (ابو جعفر محمد بن يعقوب) : ٣٨٧ ـ ٥٧٢ ـ ٦١٢
كميل : ٩٥ وانظر : كميل بن زياد النخعی
كميل بن زياد النخعی : ٩٥ ـ ٢٣٧ ـ ٤٧٦ ـ ٤٧٧
الكناسة (موضع قريب من كوفة) : ٤١٥
الكوفة : ٣١١ ـ ٤١٥ ـ ٥٣٦

لقمان ـ لقمان الحكيم ـ : ٩٠ ـ ٩٩ ـ ١٨٣ ـ ٥٢٤
لوط عليه السلام : ٤٢٤
الليث : ١٨٣

مالك [بن انس] : ١٧٩ ـ ١٩٤ ـ ٩٢٠
المتوكل بن هارون : ٤١٥ ـ ٤١٦
مجاهد : ٥٦٢
مجمع البيان : ٤٩٢ ـ ٥٦٢
المجوس : ٣٨٥ ـ ٥١٤
محقق الطوسی : انظر : نصير الدين الطوسی
محمد بن ابراهيم المشتهر بـ«صدر الدين» الشيرازی : ٣٨٦
محمد بن احمد بن ابی نصر البزنطی : ٥٠
محمد بن الحسن ([الصفار] صاحب كتاب بصائر الدرجات) : ١٨٥

محمد بن زياد : ۴۹۳
محمد بن عبدالله بن الحسن عليه السلام : ۴۲۹
محمد بن علی عليه السلام : ۴۱۶ و انظر: ابـوجعفر محمد بن علی باقر عليه السلام
محمد بن الفضيل : ۴۸۸
محمد ـ رسول الله ـ صلی الله عليه واله : ۲ ـ ۳ ـ ۶ ـ ۳۶ ـ ۳۹ ـ ۴۰ ـ ۴۱ و من هنا يـرد اسمه صلی الله عليه واله فی اكثر مواضع الكتاب
محی الدين الاعرابی (الشيخ الاكبر العارف المحقق محی الدين بن عربی) : ۴۴ ـ ۴۶۰
المختصر (كتاب للذهبی) : ۵۲۰
المدينة : ۱۱۶ ـ ۳۵۸ ـ ۴۱۵ ـ ۴۱۶ ـ ۴۲۹ ـ ۴۶۴ ـ ۴۹۰ ـ ۴۹۳
المرجئة : ۱۲۶ ـ ۲۸۳ ـ ۲۸۴ ـ ۲۸۵ ـ ۳۶۵
مروان : ۴۹۱ و انظر: مروان بن الحكم
مروان بن الحكم (بن ابی العاص بن امية بن عبدالشمس بـن عبد مناف [۲ـ ۶۵ هـ]) : ۴۹۱ ـ ۴۹۳
مريم عليها السلام : ۳۱۸ ـ ۵۲۶
المستدرك [كتاب لابـوعبدالله محمد بن عبدالله النيشابوری]: ۴۶۵ ـ ۴۹۳
مسلم : ۶۲ ـ ۱۰۱ ـ ۴۹۸
المسند (لاحمد بن حنبل) : ۴۶۵ ـ ۵۸۲
مسيح النورانی عليه السلام : ۴۱ ـ ۶۱ و انظر: عيسی عليه السلام
مسيلمة الكذاب : ۳۹۸
المشكوة [مشكوة المصابيح]: ۴۸۱ـ۴۹۹
معاذ بن جبل : ۹۷ ـ ۲۳۵
معاوية : ۳۵۹ و راجع : معاوية بن ابی سفيان
معاوية بن ابـی سفيان : ۳۵۹ ـ ۴۷۲ ـ ۴۹۰ ـ ۴۹۱ ـ ۴۹۳ ـ ۴۹۵
المعتزلة : ۱۲۶ ـ ۳۸۸ ـ ۴۶۹
معروف الكرخی [ابومحفوظ معروف بن فيروزان الكرخی البغدادی المتوفی ۲۰۰ هـ] : ۵۲۰ ـ ۵۲۱
مقاتل : ۱۰۰ و راجع: مقاتل بن سليمان
مقاتل بن سليمان : ۱۰۰ ـ ۳۶۵ ـ ۶۰۱
مقامات العارفين : ۱۲۰
مكة : ۲۴۳ ـ ۴۲۰ ـ ۴۶۴ ـ ۴۹۰
الملل و النحل : ۲۸۳ ـ ۴۹۶
المناقب (ابوالمؤيد الخوارزمی) : ۵۸۱
المنصور : ۵۲۰ و انظر: ابوجعفر منصور الدوانيقی
منصور [بن حازم] : ۳۶۲ ـ ۴۰۱
منهال بن عمرو : ۴۹۲
مؤمن آل فرعون : ۱۸۶ ـ ۲۶۶
مؤيد الدين الجندی : ۴۳۲
المواقف (للقاضی عضد) : ۵۲۱
موسی عليه السلام: ۹۹ ـ ۱۰۹ ـ ۲۳۵ ـ ۳۳۴ ـ ۳۸۹ ـ ۴۰۵ ـ ۴۲۵ ـ ۴۳۲ ـ ۴۳۴ ـ ۴۶۰ ـ ۴۶۱ ـ ۵۲۴ ـ ۵۶۴ ـ ۵۸۲ ـ ۵۹۳ ـ ۶۱۴
المهلب بن ابی صفرة : ۴۹۴

المهدى القائم سلام الله عليه : ٤٨١ - ٥١٠ - ٦٠٩
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : ٥٢٠
النبى صلوات الله عليه واله : ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٨ - ٥٦
و راجع: محمد رسول الله صلى الله عليه واله
نجدة بن عامر (اوعويمر) : ٤٦٩
النصارى : ٢٣٦ - ٣٤٠ - ٥١٤
نصير الدين الطوسى : ١٢١ - ١٤٤
نمرود : ٤٠٧
النواصب : ٢٨٧ - ٢٩٤
نوح عليه السلام : ١٨٦ - ٤٢٥ - ٤٣٣ - ٤٦٥ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٢٤ - ٥٧٧ - ٦٠٥ - ٦١٤
النورى [العلامة المولى على بن جمشيد النورى] : ٤٢٨ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٧ - ٤٣٩ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٦ - ٤٤٩ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٧١ - ٤٧٩ - ٥٤٣ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٧٧ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٨ - ٥٩١ - ٥٩٤ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٧ - ٦١٨
النهاية [فى غريب الحديث لابن اثير] : ٤٨ - ٢٧٨ - ٢٩٨ - ٤٦٥ - ٥١٩
النهج - نهج البلاغة - : ١٨٥ - ٢٦٦ - ٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠٢ - ٣٤٦ - ٤١٨ - ٤٧٧
النهروان [بلدة فى العراق بين مدينتى بغداد و واسط] : ٥٣٦
النيشابورى [صاحب تفسير غرائب القران]: ٤٩٠

الواحدى : ٨٤ - ١٥٥
الوليد بن عبدالملك [الخليفة الاموى ٨٦ - ٩٦ هـ] : ٤٩٤
الوليد بن يزيد [الخليفة الاموى ١٢٥ - ١٢٦ هـ] : ٤٩٤ - ٤٩٥
هارون عليه السلام: ٥٢٤ - ٥٢٨ - ٥٨٣ - ٥٩٣ - ٦١٤
هرقل : ٤٩٣
هشام [بن الحكم]: ٤٠٥ - ٤٠٨ - ٤١١ - ٤١٢
هشام بن سالم : ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١٢
هشام بن عبدالملك [خليفة الاموى المتوفى ١٢٥ هـ] : ٤٩٤
هشام العوطى : ٤٦٩
الهند : ٣٤٠ - ٤٣٩ - ٤٤٤
يحيى بن زيد بن على عليه السلام : ٤١٥ - ٤١٦
يحيى بن معاذ : ٩٧

يزيد : ٤٩٠ و انظر: يزيد بن معاوية
يزيد بن عبدالملك : ٤٩٤
يزيد بن معاوية : ٤٩٠ – ٤٩٣ – ٤٩٥ – ٤٩٦ – ٤٩٨
اليمن : ٩٣ – ٢٣١ – ٤٥٣ – ٥٢٣
يعقوب عليه السلام: ٤١٥ – ٤٣١ – ٥٢٤
يوسف عليه السلام : ٨٨ – ١١٠ – ٤١٥
يونس بن عبدالرحمن : ٣٠٦
يونس [بن يعقوب] : ٤٠٨ – ٤١٢
يونس عليه السلام: ٤٢٥ – ٤٢٨ – ٤٣٣ – ٥٢٤
يونس النميرى (او يونس السميرى): ٢٨٤
اليونسية : ٢٨٤
اليهود : ٧٧ – ١١٩ – ٢٣٦ – ٣٤٠ – ٥١٤ – ٥٦٤ – ٥٦٦

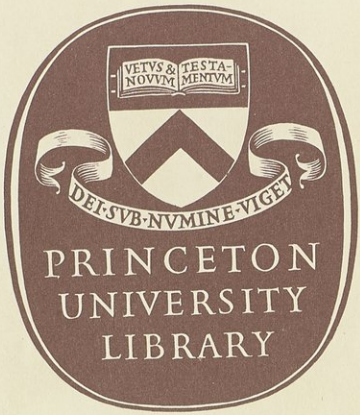
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY